

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثامن والعشرين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٢ شوال سنة ١٣٢٠

خزان اصوان

من غرائب الخلق ان الحيوان الاعجم سبق الانسان الى كثير من الاعمال التي يظن انها لا تُعمل الا بعد الروية وامعان النظر . من ذلك اقامة السدود في مسايل الانهر لكي يرتفع ماؤُها وتتكوَّن فيها بحيرات كبيرة فان الحيوان المعروف بكلب الماء يفعل ذلك الآن وقد كان يفعلهُ منذ العصور الخوالي يقرض سوق الاشجار باسنانهِ ويجرُّها الى مسيل الماء ويصنع منها سدًّا متيناً. والظاهر ان الناس انتبهوا منذ زمان طويل لما في اقامة السدود من النفع إما من تلقاء انفسهم او من مشاهدتهم سدود كلاب الماء فقد جاء في التوراة ان حزقيا ملك اليهود سدَّ مجرى نهر جيحون حتى ارتفع ماؤُهُ واجراهُ الى اورشليم . وجاء في اخبار العرب ان اهالي اليمن بنوا سدًّا في وادي مأرب حتى اذا انحدرت السيول اجتمعت خلفهُ كالبحر وكانوا اذا ارادوا سقي اراضيهم فتحوا من ذلك السد على مقدار حاجتهم بابواب محكمة . ثم خرب هذا السدُّ في اوائل التاريخ المسيحي وسال الماء منهُ فخرَّب البلاد وهو المعروف بسيل العرم

ويبعد عن الظن ان يكون المصريون قد اهملوا الاحتفاظ بما يزيد وقت الفيضان من ماء نيلهم ولم يفعلوا شيئاً لحفظهِ الى وقت الحاجة اليهِ . وتدلُّ التواريخ والآثار القديمة على انهم فعلوا ذلك من ايام الملك امنمحات الثالث الذي كان قبل المسيح بنحو الفين وخمس مئة سنة فكانوا يجرون بعض ماء الفيضان الى الفيوم ثم يردونهُ الى النيل وقت التحاريق الا ان عملهم هذا لم يبقَ في الامكان لان الجانب الاكبر من الفيوم صار ارضاً زراعيَّة

ولا بدَّ من ان جمع ماء الفيضان خطر لكثيرين من ولاة مصر بعد ذلك فقد جاء في ترجمة ابن الهيثم ان الحاكم بامر الله العبيدي صاحب مصر الذي كان في اوائل القرن الخامس للهجرة

بلغهُ ان ابن الهيثم قال لو كنت في مصر لعملت في نيلها عملاً يحصل بهِ النفع في كل من حالتي الزيادة والنقصان فاستدعاهُ فسار الى مصر ولما وصلها خرج الحاكم للقائهِ وامر بانزالهِ واكرامهِ واقام عندهُ ريثما استراح من وعثاء السفر فطالبهُ بما وعد بهِ من امر النيل فسار ومعهُ جماعة من الصنَّاع ليستعين بهم على هندستهِ التي خطرت ببالهِ ولما سار في الاقليم بطولهِ ورأى آثار من تقدَّم من ساكنيهِ من الامم الخالية وهي غاية في احكام الصنعة وجودة الهندسة تحقق ان الذي يقصدهُ ليس بممكن فان من تقدموهُ لم يفتهم علم ما علمهُ ولو امكن لفعلوا. فانكسرت همتهُ عند ذلك ووقف خاطرهُ ووصل الى الموضع المعروف بالجنادل (الشلال) فعاينهُ وباشرهُ واختبرهُ من جانبيهِ فوجد امرهُ لا ينطبق على مرادهِ وتحقق الخطأ في ما وعد بهِ وعاد خجلاً

وهذا الخاطر الذي خطر لابن الهيثم منذ تسع مئة سنة خطر لنابوليون بونابرت منذ مئة سنة وبعد نحو خمسين سنة تحققت بعض امانيهِ في القناطر الخيرية التي لا تزال الى الآن شاهدة بفضل محمد علي باشا الآمر بانشائها ومهارة موجل بك الذي وضع اساسها. وبعد مئة سنة تماماً تحققت كل اماني بونابرت واماني الحاكم وابن الهيثم اذ وُضع اساس الخزان سنة ١٨٩٨ وكان بونابرت قد اشار بهِ سنة ١٧٩٨

وجاء بعد بونابرت كثيرون من رجال الهندسة واشاروا بانشاء الخزان في اماكن مختلفة فاشار لينان باشا بانشائهِ في جبل السلسلة واشار السر صيموئيل باكر سنة ١٨٦٧ بانشائهِ في الشلال حيث انشيء الآن وعاد المسيو ده لاموت سنة ١٨٨٠ الى رأي لينان باشا واشار بانشائهِ في جبل السلسلة وخزن الماء فوقهُ وحسب نفقات انشائهِ اربعة ملايين من الجنيهات وقال انهُ يخزن فيهِ نحو ٦٠٠٠ مليون متر مكعب. وسنة ١٨٨٢ اشار المستر كوب هوَيتهوس بحفر ترعة الى وادي الريَّان وجعلهِ بحيرة لخزن الماء كما كانت بحيرة الفيوم في الزمن القديم. وسنة ١٨٨٩ اشار المسيو برونت بعمل قناطر متوالية وحياض متتابعة في مجرى النيل لخزن ماء الفيضان وكتب تقريرًا مسهباً في ذلك نشرناها في المقتطف في الجزء السابع والثامن من المجلد الرابع عشر وقدر النفقات اللازمة لذلك بنحو مليون ونصف من الجنيهات ونشرنا هناك انتقاد السر كولن منكريف عليهِ

وقرَّ رأي الحكومة المصرية سنة ١٨٩٠ على بناء سد او حبس في اصوان وقناطر في اسيوط لخزن ماء الفيضان وانتدبت المهندس ولككس لاجراء المباحث وتقدير النفقات اللازمة وكان ذلك بعد ان انتهت من تقوية القناطر الخيرية حتى صارت صالحة لما بنيت لهُ والغت السخرة التي اثقلت كاهل الفلاح المصري منذ العصور الخوالي ومنعت الشراقي التي كانت تتوالى على الصعيد

وصارت قادرة ان تلتفت الى ماء الفيضان لتحفظ بعضهُ وتوسّع بهِ نطاق الري الصيفي وتمنع تلف المزروعات الصيفيّة اذا قلّ الماء كثيرًا في زمن التحاريق وتحيي الكثير من الاراضي البور التي تصلح للزراعة لو اتاها ماء يرويها. هذه الاغراض الثلاثة نظرت اليها حينما عقدت نيتها على انشاء الخزان فانها تنتظر منهُ اولاً ان يتحوّل بهِ اربع مئة الف فدان في المديريات الوسطى من ري الحياض او الري النيلي الى الري الصيفي ويحيا بهِ مئتا الف فدان في الفيوم والوجه البحري من الارض الموات التي لا تزرع الآن وتتضاعف بهِ مساحة الارض التي تروى الآن ريًّا صيفيًّا في الفيوم. وتزيد المياه في الصعيد جنوبي اسيوط حتى تروى مئتا الف فدان منهُ بالآلات الرافعه.

وقد قال السر وليم ولككس في كتابهِ الذي وضعهُ عن الخزان "ان الري النيلي او ري الحياض الذي اعتمد عليهِ المصريون مدة سبعة آلاف سنة اخذ الآن ينقلب الى الري الصيفي اي الى زرع الارض مرتين او ثلاثًا في السنة بدلاً من زرعها مرةً واحدة ولكن الماء الذي يجري في النيل صيفًا لا يكفي للري الصيفي ولو كفى لزاد بهِ ايجار الاطيان سنويًّا ستة ملايين من الجنيهات". فلا عجب اذا بذلت الحكومة المصرية النفس والنفيس لتحقيق هذه الامنيّة امنية محمد علي باشا جد العائلة الخديوية لكنها لا تتحقق بخزان اصوان وحدهُ بل لا بدَّ من اعمال اخرى تزيد نفقاتها على نفقاتهِ اضعافًا مضاعفة لان الستة الملايين من الجنيهات لا يمكن ان تنال من المليونين والنصف التي أُنفقت على انشاء خزان اصوان بل ان هذا الخزان في حالتهِ الحاضرة لا يفي بنصف الفائدة التي تنال منهُ لو أُنفق عليهِ مئتا الف جنيه أُخرى عُلِّيَ بها ستة امتار فوق علوهِ الحاضر ولو غمر الماء حينئذٍ مباني انس الوجود

ولما فوّض الامر الى السر وليم ولككس ليختار مكانًا يبني فيهِ هذا السدّ اختار شلال اصوان لان صخورهُ صمَّاء تصلح ان تكون اساسًا لهُ لكنهُ رأى ان يتّبع في انشائهِ موقع الصخور وصلابتها فاشار بان يؤلف من ثلاثة سدود متصلة بعضها ببعض

ولما كان انشاء هذا الخزان من الاعمال الخطيرة جدًّا لكثرة ما يقتضيهِ من النفقات ولانهُ اذا انبثق يومًا ما حدث منهُ سيل كسيل العرم خرّب القطر المصري كلهُ استشارت الحكومة المصرية في امرهِ ثلاثة من كبار المهندسين وهم السر بنيامين بَاكر الانكليزي والمسيو بوله الفرنسوي والسنيور طوريشلي الايطالي فاتوا اصوان سنة ١٨٩٤ ونظروا في ما قرّ عليهِ السر وليم ولككس وبحثوا بحثًا دقيقًا عن افضل الاماكن لبناء الخزان وعن الاشكال التي يجب ان تُتبع في انشائهِ واخيرًا قرّ قرار المهندسين الانكليزي والايطالي على انشائهِ في اصوان

وعلى ان يكون سدًّا واحدًا مستقيمًا لا ثلاثة سدود منحنية كما اشار ولككس حاسبين ان السد الواحد اجمل منظرًا واسهل انشاء واشد مقاومة للحر والبرد

والسد يقطع النيل من الشرق الى الغرب تراهُ عن بعد قليل فلا تحسبهُ شيئًا كبيرًا . كذا حال الاهرام اذا رأيتها اول مرةٍ قبلما تصل الى سفحها ولكنك اذا دنوت منهُ ورأيتهُ قائمًا امامك كالحصن الحصين ويمتد ويستدق الى ان يتلاشى في اقصى بعدهِ هالك امرهُ وتجلّت لك عظمتهُ ثم اذا وصلت اليهِ ومشيت على ظهرهِ ورأيتهُ ينتشر امامك كالسجل كأن لهُ اولاً من غير آخر زادت عظمتهُ في عينيك وقعًا . حتى اذا اطللتَ عن شرفتهِ الجنوبيَّة ورأيت البحيرة التي غطَّى بها جنادل النيل واعلاها حتى طمرت قرى البرابرة ووصلت الى رؤُوس نخيلهم واشجارهم وعلت على جزيرة انس الوجود حتى بلغت ارض هيكلها فوقف فيها كأنهُ نابت من الماء والسفن البخارية والزوارق الشراعيَّة وقوارب البرابرة تجري على سطحها كأنها الطيور سابحة في جلد السماء ثم اذا اطللت من الشرفة الشمالية فرأيت ميازيب الماء تتصبَّب من عيون السدّ كذوب النضار فلا تكاد تبلغ الصخور التي تحتها حتى ترغي وتزبد ويزحم بعضها بعضًا فتململ وتتجعَّد كاذيال خوْد من دمقسٍ مفتَّل ويقف ماؤُها هنيهة حيران ذاهلاً يحاول الارتداد على عقبيهِ لكن قوة الجذب تتغلب عليهِ فيجري بين هاتيك الجنادل على عادتهِ التي جرى عليها منذ العصور الخوالي — اذا رأيت ذلك وامعنت نظرك في بناء السد واختيار الشكل الهرمي المائل لجدرانهِ وحجر الغرانيت وطين السمنت لبنيانهِ حتى يكون واسع القاعدة متين الاركان لا يتزحزح ولا يتقلقل يرسخ مدى العصور التالية كما رسخت الاهرام مدى العصور الخالية — اذا رأيت ذلك كلهُ وقفت مذهولاً بين جمال ما ترى وجلالهِ يطربك ذاك ويدهشك هذا. ثم اذا وصلت الى الطرف الغربي ورأيت الترعة (الهويس) التي تجري فيها السفن وعمقها الهائل وما اقيم فيها من الابواب العظيمة تجلّى لك ارتفاع السد من جديد لان الماء يغطي جانبهُ الجنوبي فلا يظهر عمقهُ والشكل المائل في جانبهِ الشمالي يقلّص ارتفاعهُ لكن جداري الترعة لا يحجبان شيئًا عن النظر حتى لقد كاد يصيبنا الدوار من النظر الى عمقها الهائل . اما الابواب التي تسد عيون السد ومجرى الترعة فيضيق المقام عن وصفها الآن فنرجئهُ الى فرصة اخرى

وطول السد من الشرق الى الغرب الفا متر اربع مئة متر منها في الجهة الشرقية خالية من العيون لان قاع النيل مرتفع هناك وفي ما بقي منها مئة وثمانون عينًا مختلفة الاوضاع والاقدار على حسب ما في قاع النيل من الارتفاع والانخفاض. وسعة العين نحو ثلاثة امتار من الامام ومتران من الوراء وبين العين والاخرى بغلة عرضها خمسة امتار وبين كل عشر عيون دعامة بارزة

من سطح الوجه متراً . والترعة الغربيَّة عرضها تسعة امتار ونصف متر وفيها ثلاثة احواض الواحد فوق الآخر لمرور السفن صعوداً ونزولاً كما هو شائع في الاهوسة طول الحوض منها نحو ثمانين متراً

وسمك السد من اسفلهِ ثلاثون متراً ثم يستدقُّ رويداً رويداً الى ان يبلغ ارتفاعهُ نحو ١٨ متراً ثم يصير عمودياً ويبلغ معظم ارتفاعهِ عن سطح الماء وقت التحاريق ٢٣ متراً وهو مبنيٌّ بحجارة كبيرة من الغرانيت غير منحوتة من ظاهرها الاَّ ما بُطِّنت بهِ العيون وبنيت بهِ الذروة فانهُ منحوت من جوانبهِ كلها وبعض العيون مبطن بالحديد

ووضع الحجر الاول من بناء هذا السد في ١٢ فبراير سنة ١٨٩٩ وضعهُ دوق كنوت ووضعت زوجتهُ الحجر الاخير منهُ الآن باحتفال عظيم كما سيجيء فتم بناؤُهُ في اقل من اربع سنوات وهي دون ما قُدّر لهُ مع ان الصخر الذي بني عليهِ لم يوجد صلباً كما ظنَّ اولاً فعمّق اساسهُ اكثر مما قدّر لهُ وزادت نفقاتهُ بذلك كثيراً

وقد دعت الحكومة المصرية وكلاء الدول وجمهوراً من اعيان النزلاء والوطنيين لحضور هذا الاحتفال وجاءهُ دوق كنوت اخو ملك الانكليز والدوقة زوجتهُ وجمهور من كبراء الامَّة الانكليزية فساروا جميعاً برًّا وبحرًا الى مدينة اصوان يتقدمهم الجناب الخديوي ونظار حكومتهِ ووكلاء النظارات

ولما حان وقت الاحتفال في العاشر من دسمبر تسابق المدعوون الى القطارات التي تنقلهم من اصوان الى الخزان في المواعيد المضروبة لهم وكان بعضهم يصل الى القطار قبل قيامهِ بربع ساعة فلا يجد لهُ مكاناً يجلس فيهِ فيقف بين المركبات وقد رأينا سيدات وقفنَ مسافة الطريق كلها من اصوان الى الشلال والبعض مشوا على طول السدّ ولعلَّ سبب ذلك ان كثيرين من الذين معهم تذاكر للدخول فقط وميعاد قيامهم الى الخزان قبيل الظهر تأخروا الى القطار التالي فازدحم بهم ولم تكفِ المركبات لنقلهم على السد فان سكة الحديد تصل الى الطرف الشرقي منهُ وموقع الاحتفال عند الطرف الغربي فينقل المدعوون اليهِ بمركبات تجرُّ باليد . ومكان الاحتفال ساحة كبيرة فيها ثلاثة اقسام مفصولة بعضها عن بعض بحواجز الخارجي منها للذين أُذن لهم في الدخول والمتوسط للمدعوين والامامي للجناب الخديوي والدوق والدوقة والبرنسات ومختار باشا الغازي ونظار الحكومة المصرية وقناصل الدول وكان فيهِ خمس كراسي كبيرة مذهبة للجناب الخديوي والدوق والدوقة وقنصل المانيا بالنيابة عن امبراطورها وقنصل ايطاليا بالنيابة عن ملكها لكنهم لم يجلسوا عليها وكان الناس يتوقعون جلوسهم لانهُ شاع انهُ وقع خلاف في كيف يجلسون فان كانت الاشاعة صحيحة فوقوفهم انقذهم من هذا المشكل

وقد كان الفوز لاصحاب الجرائد فان ادارة المطبوعات اقامت لهم دكة عالية امام الدكة التي وقف فيها الجناب الخديوي تماماً وتبعد عنها عرض السد لا غير بحيث يسمعون كل ما يقال ويرون كل ما يفعل

وفي الساعة الثالثة وصل القطار الخديوي فحُيي باطلاق المدافع ونزل من فيهِ الى المركبات التي تجرُّ باليد وكان الجناب الخديوي في الثانية منها والدوق عن يمينهِ وفي الثالثة البرنس محمد علي والدوقة عن يمينهِ ثم حضرات الامراء والنظار وحاشية الدوق وكان الجناب الخديوي وسمو الدوق ودولة مختار باشا الغازي بالحلل العسكرية والنياشين والبرنسات والنظار باللباس الاسود الرسمي وكذلك قناصل الدول. واقام الجناب الخديوي برهة يسلم على نساء القناصل مصافحةً ثم وقف عطوفة فخري باشا ناظر الاشغال بين يديهِ وتلا خطبة مسهبة باللغة الفرنسوية ذكر فيها الحاجة التي دعت الى انشاء هذا الخزان في اصوان وانشاء السد في اسيوط ومدح المهندسين الذين هندسوهما والمقاولين الذين بنوهما وهذا نص ترجمتها العربية

"مولاي : إن ابهى ما افتخر بهِ من اعمال وظيفتي ان يُتاح لي منتهى الشرف بدعوة جنابكم الفخيم الى الإشراف بنظرهِ الكريم على الاحتفالات التي تقيمها نظارة الاشغال العمومية تتويجاً لما تواليهِ من الاعمال الكبرى ذات الفوائد العميمة. ومنها البنيان الذي اكملتْ تشييدهُ بالامس واعدَّتهُ لحفظ مآثر الاقدمين في العلوم والصنائع وما ابقوهُ لنا من الآثار والمخلفات . اما عملها في يومنا هذا فما يرسخ في الاذهان على ممرّ الايام والازمان . وها هو يتمثَّل امام جنابكم السامي في منظرهِ الجسيم ومرآهُ المهيب دِعامةً من الصوان وطيدة الاركان من جملة الدعائم التي قد تأسست عليها عظمة مصر وقامت بها رفاهة احوالها

"إن فيضان النيل السعيد في كل عام هو قوام الحياة في هذه الديار وعليهِ مدار الخصب والعمران فلا غرو ان كانت المصلحة الواجبة التقديم في هذه البلاد تقتضي حصر العناية في توسيع نطاقهِ وتعميم خيراتهِ وذلك بتعديل جريانهِ المستمرّ وتنظيم اندفاقهِ في البحر حتى يستطيل زمان الانتفاع بخيراتهِ وتتسع دائرة الاراضي التي تستفيد من بركاتهِ

"كانت هذه المقاصد يا مولاي مطمحاً لانظار رجال حكومتكم السنية كما هو الواجب على القائمين بالشؤون العامة من الاستنارة بنبراس الحكمة والصواب فقرنوا المباحث بالمتاعب واستخدموا كلّ الوسائل لتذليل المصاعب وواصلوا الاجتهاد بالليل والنهار لتحقيق هذه الاماني الكبار حتى استقرّ رأيهم على انشاء خزان عظيم يكون موقعهُ على الشلال الاول في اقصى الصعيد وان يقيموا على مقربة من اسيوط قنطرة فوق النيل والغرض من الخزان حبس المياه

بكميات فائقة وراء جدرانهِ المتينة واسوارهِ المنيعة واما القنطرة ففائدتها حفظ مستوى النهر في درجة تعود بالنفع على الريّ وتصريف مياههِ على قدرٍ معلوم في وقت الحاجة وعلى حسب اللزوم

"كانت البداية في اقامة هذين العملين الجليلين في سنة ١٨٩٨ وقد بلغ كل منهما حدّ الكمال في هذه الايام بل ان قنطرة اسيوط قد فازت لدى الامتحان فوزًا يفوق المأمول واتت بكل الثمرات المنتظرة حينما جاء الفيضان منحطًا عن العادة في هذا العام . وفي هذه اللحظة ستصدر اشارة سامية يعقبها وضع حجر الختام ايذانًا بتمام نعمة الكمال

"على ان نيل المزايا العديدة المترتبة على هذا المشروع الجسيم يقتضي العناية بجملة اعمال تتميمية هي من الاهمية بمكان مثل حفر الترع وتوسيعها وبناء قناطر الموازنة والمصارف ونحوها. وقد شرعت النظارة في تنفيذ بعضها وفي تقرير الباقي منها في الجهات التي ستدعو الحال لتحويل طريقة الريّ فيها او تحسينها عن ذي قبل

"ان استدامة الريّ في الوجه البحري وتوسيع نطاقهِ في الاقاليم الوسطى وزيادة التسهيل في استدرار فوائدهِ في ارض الصعيد تلك هي الاماني الجميلة التي سيكون تحقيقها بعون مفيض الخيرات والبركات موجبًا لابتهاج قلوب الزرّاع واستمرار حركة التقدم والعمران وتوالي النعم على هذه البلاد

"هذا اليوم السعيد الذي تمّ فيهِ افتتاح الخزان في اصوان بين يدي جنابكم السامي وبحضرة اضيافكم الفخام وعلى مشهد من هذا الجم الغفير من اكابر القوم واماثل الاعيان سيكون له الاثر المشهود والذكر المحمود ويسطّره تاريخ مصر الحديث بحروف من النور فخرًا لكم على مدى الشهور والدهور

"على ان الاسراع بالتعجيل في إتمام هذا الصنيع الجليل لا يُنسينا المصاعب المالية والعوائق الفنية التي اعترضتنا في سبيل تمهيد الاعمال بطريقة منطبقة على العقل والعرفان والتي صادفها العمال عند اقامة بنيانهِ على هذا المثال الذي هو منتهى الكمال . ولا ينسينا ايضًا ما بذله القائمون بهِ من الهمة الفائقة والمواظبة الدائمة حتى تغلبوا على الصعوبات وذللوا كل العقبات

"هذا المنظر الباهر الذي يتمثل الآن بفخامتهِ وضخامتهِ امام الابصار قد تحملت بلادكم العزيزة في ايامكم السعيدة ما استوجبهُ من النفقات الطائلة بمعاونة اساطين العلم والحكمة وجهابذة الفن والعرفان . لذلك استميح الاذن الشريف في هذا المقام لتوفية كل ذي حق حقهُ من الثناء والاطراء

"فلقد كانت اليد البيضاء في اقامة هذا الاثر الماثل بل المجد الخالد لحضرة الماليين

البصيرين والسياسيين الخبيرين ألا وهما جناب السير إلوين بالمر المستشار المالي السابق وخليفتهُ في وظيفتهِ جناب السير إلدون غورست

" وهذا العمل هو على الاخص مأثرة من المآثر العديدة التي لجناب السير وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال العمومية المشتهر بمعارفهِ الواسعة واخلاصهِ في كل اعمالهِ مع العزيمة الماضية التي لا يعتريها كلال ولا ملال

"ولقد لقيت هذه العنايات المتناهية في الاقدام اكبر عضد واقوى نصير لدى صندوق الدين العمومي عندما اقتضت الحال فان حضرات الاعضاء المديرين لهُ لم يبخلوا قط بحسن موازرتهم الفعالة كلما دعت الضرورة لاتمام شيء من المشروعات التي تعود بالمنافع الكبار على هذه الديار

" ومن العدل ان نشرك مع هؤلاء العاملين في هذا الشكر الصادق والثناء الواجب اكابر المعينين لهم في انجاز هذا العمل العظيم . واعني بهم جناب السير بنيامين بيكر الذي لهُ المكانة العليا في عالم المهندسين فقد كان لخبرتهِ التامة ومعارفهِ العامة الفضل الاكبر في هذه المشروعات قبل تقريرها وفي اثناء انجازها وكذلك الطيب الذكر المستر واسون اول مدير للخزانات وقد اخترمتهُ يد المنون في عام ١٩٠٠ فكان لنعيهِ تأثير كبير في القلوب ثم جناب المستر وب مدير عموم الخزانات الآن فانهُ قام بما عهد اليهِ من المهام الجسام خير قيام ثم المفتشين البارعين وهم جناب المستر موريس فتز موريس فجناب المستر ماي بخزان اصوان وجناب المستر ستفنس بقنطرة الحجز في اسيوط وكافة المهندسين المؤتمرين باوامرهم فكلهم قد ادى الواجب عليهِ بتمام الغيرة والدراية والاهتمام . وكذلك جناب الكلي الاحترام السير ارنست كاسل المتمول البارع الهمام . فلقد تسنَّى للخزينة المصرية باتفاقها معهُ ان تفي بالنفقات الطائلة التي استوجبتها هذه الاعمال في بدايتها ثم جناب المستر ويلكوكس المهندس الطائر الصيت الذي قام بالمباحث الابتدائية وكانت مشروعاتهُ وتصميماتهُ اساساً لتشييد هذا البنيان ثم حضرات المستر ستوكس والمستر تيبر اللذين ابتكرا الاسلوب البديع لعمل الابواب الحديدية لخزان اصوان ثم جناب السير جون ايرد المقاول المشهور ومعاونيهِ جناب المستر بلو والمستر ماك لور فانهم قد اكملوا الخزان في اصوان وقنطرة الحجز في اسيوط قبل الميعاد المضروب لهم بزمان طويل ليكون هذان العملان الفخيمان العائدان على مصر باكبر المنافع واعظم المزايا شاهدين لهم بنشاطهم العجيب ومهارتهم التي ليس لها نظير

" فخليق بمصر ان تنقش هذه الاسماء على صفحات صدرها تخليدًا لذكرها"

فاجابهُ الجناب العالي الخديوي بخطبة فرنسوية وجيزة قال فيها ما ترجمتهُ

" يا سعادة الناظر اعدُّ من سعدي ان اشرف على هذا الاحتفال الفخيم الذي تدعونني اليهِ وان يحضرهُ معي ضيوفي الاكابر الكرام وجماعة الوجوه وذوو الحيثيات ممن حولي

" ان هذا العمل الكبير الذي نحن في موقف الاعجاب بعظمتهِ اليوم ألا وهو خزان اصوان وما يتبعهُ من قناطر اسيوط هو لا شك من جلائل الاعمال النافعة التي تمت حتى الآن في مصلحة مصر وخيرها واني لارجو وآمل ان سيعود عليها بصنوف الخيرات وان القرن العشرين سيتحلى بهِ في جملة مفاخرهِ

" على ان هذا الامل يبعث في نفسي السرور ويدعوني الى ان اقدم لكم يا سعادة الناظر عظيم شكراني وان اثني كذلك على اعوانكم الذين امتدحتم كفاءتهم بالحق ونوهتم بجليل مساعدتهم لكم على اتمام هذا العمل الخالد الذكر حتى قبل الميعاد المقرر

" وانهُ ليسرني كثيرًا ان ارى حكومتي تتبع اعز رغائبي واخص امیالي فتبذل كل الجهد في جلب الخير والسعادة للبلاد

" والآن اذكر بارتياح لصاحب السمو الملكي الدوق دي كونوت انهُ تفضل من قبل فوضع الحجر الاول من اساس الخزان واتقدم اليوم الى صاحبة السمو الملكي الدوقة قرينتهِ راجيًا ان تتكرم بوضع الحجر الاخير من بنيانهِ "

ثم تكلم سمو الدوق بالانكليزية فقال ما ترجمتهُ

" انني شاعر من صميم الفؤاد بجميل سموكم العظيم حيث دعوتموني لاشهد الاحتفال باتمام هذا العمل التاريخي العظيم الشان الذي يعدُّ الى ابد الدهر من اعظم عظائم هذا العصر وسيكون ذا منفعة لا تقدر قيمتها في اسعاد مصر

" ومما يزيدني سرورًا بحضور هذا الافتتاح اني وضعت اول حجر في اساسهِ منذ اقل من اربع سنوات . واستميحكم بتهنئة سعادة فخري باشا ناظر الاشغال العمومية على اتمام هذا العمل على ما يرام واخص بالذكر في الشكر السر وليم جارستن والموظفين الذين تحت يدهِ . ولا يسعنا الّا ان نعترف بالخدمات الجليلة التي قام بها في ري مصر وما نتج عنها من النتائج البادية في كل انحاء البلاد واقدم ايضًا تهاني القلبية الى السر بنيامين باكر المهندس المستشار والسر جون أيرد المقاول بالنجاح العظيم الذي كانت بهِ مساعيهما التي لم تعرف تعبًا ولا كلالًا في اتمام هذا العمل العظيم

" ويسرني ان ارى وكلاء الدول حاضرين هنا . نعم ان هذا العمل يعد اولاً انكليزيًا مصريًا ولكني عالم بالسخاء الحميد الذي ابداهُ صندوق الدين وهو مجلس دولي فسدَّ جانبًا عظيمًا من المال اللازم لهُ . هذا واعود فاشكر سموكم على دعوتكم لي الى الحضور في هذا اليوم وعلى

طلبكم من دوقة كنوت ان تضع الحجر الاخير "

وكان الجناب الخديوي ينظر اليهِ شاكرًا ثم صافحهُ حين اتمَّ الخطبة مصافحة طويلة والتفت الى الدوقة فتقدمت واخذت قليلاً من الطين على رأس ملعقة بناء (مسطرين) من الفضة ووضعتهُ تحت حجر من الغرانيت الاحمر كان مرفوعاً بحبال وبكر وبهِ تنتهي الذروة الشمالية من طرفها الغربي . وأُنزل الحجر الى مكانهِ فطرقتهُ بمطرقة صغيرة وهتف حينئذٍ السرجون ايرد مقاول الخزان ثلاثاً فردد بعض الحضور هتافهُ

والحجر مكعب طول كل ضلع من اضلاعهِ نحو متر وعلى وجههِ الغربي هذه الكتابة

This stone was laid to complete the dam by H. R. H. the Duchess of Connaught, 10th December 1902, in the 10th year of the reign of H. H. Abbass Helmy, Khedive.

وترجمتها "وضعت دوقة كنوت هذا الحجر اتماماً للسد في العاشر من دسمبر سنة ١٩٠٢ في السنة العاشرة من حكم سمو الخديوي عباس حلمي "

وتقدم المستر ستوكس مهندس صانعي بوابات الحديد وسلم الجناب الخديوي مفتاحاً من الفضة على رسم مفتاح النيل عند المصريين القدماء وقد كتب عليهِ بالعربية والانكليزية انهُ لفتح العيون الاولى من الخزان يفتحها بهِ سمو الخديوي عباس حلمي في السنة العاشرة من حكمهِ (والحق انها السنة الحادية عشرة) في العاشر من دسمبر سنة ١٩٠٢ اهداهُ اليهِ صانعو ابواب العيون والهويس . فاستلم المفتاح ووقف امام جسم في شكل هرم مقطوع عليهِ قنديلان كهربائيان وازرار كهربائية ورسم مصري فحالما وضع المفتاح في مكانهِ انار القنديلان الكهربائيان وانفتحت خمس عيون من عيون الخزان المئة والثمانين فتدفق ماء النيل منها وكان الضغط على هذه الابواب يساوي اربعين طنًّا فانفتحت بقوة الكهربائية في طرفة عين. وسار الجناب الخديوي بعد ذلك الى القفل الذي يقفل اعلى ابواب الهويس وهو دكة كبيرة من الحديد قائمة على بكر فوقف عليها هو والدوق والدوقة والبرنسات واللورد كرومر وكونتس كرومر فجرت بهم الى الجهة الغربية وارتفع من تحتها عتب كبير من الحديد وجرى غلق الباب الى خرق في الجدار وانفتح جانبا جسر جنوبي الباب فجرى الماء وملأ ذلك الجزء من الهويس وكان فيهِ زورقان وطنيان شراعيان فمخرا فيهِ وقطعا في جريهما شريطاً من الحرير مربوطاً في الهويس من جانب الى آخر وقطعهما لهُ علامة فتح الهويس . وعادت الدكة الى مكانها الاول وعاد كل شيءٍ الى وضعهِ وحينئذٍ اخذ الجناب الخديوي يوزع النياشين التي انعم بها على القائمين بهذا العمل ونزل الدوق والدوقة واللورد كرومر والكونتس زوجتهُ والذين كان الدوق عازماً ان يسلمهم

النياشين التي انعم بها عليهم جلالة ملك الانكليز وساروا في زورق بخاري الى يخت نظارة الاشغال فاعطاهم اياها فيهِ. وعاد الجناب العالي وحضرات البرنسات والنظار بالمركبات الى سكة الحديد وتبعهم المدعوون بما يحتمله المقام من الانتظام

وبقال جملة ان الاحتفال كان عظيماً وقوراً كما هو العمل الذي أُريد فخمة بهِ. لا زالت الاعمال النافعة تتوالى في عهد الجناب العالي والوزارة الفهمية الحكيمة التي انتفع القطر المصري في عهدها اعظم نفع قصر عنهُ ملوك مصر السالفين

ومما يحسن سوقهُ هنا انهُ مع كثرة الخلق وشدة الازدحام لم يحدث اقل حادث مكدر لا في سكة الحديد ولا حيث اجتمع الناس مراراً

ولو سألت جمهور الناس عمَّن لهُ الفضل في انشاء هذا الخزان ويحق لهُ ان يكون اول من يدعى لافتتاحهِ لاجابوك على الفور انهم اهالي البلاد الذين ستدفع نفقات انشائهِ من اموالهم فكان يجب ان يدعى وجهاؤهم وكبراء المزارعين منهم قبل غيرهم من الوطنيين والاجانب . وهذا الرأي شائع سمعناهُ من كثيرين وأنا لنعجب كيف يغفل الذين ارتأوهُ عن ان كل مايدفع من نفقات الخزان انما يدفع من الخزان نفسهِ لانهُ هو سيزيد ماء الري حتى يزيد بهِ ريع الارض وهذه الزيادة السنوية تفي في سنتين او ثلاث بكل ما أُنفق عليهِ ثم تصير ربحاً لاهالي القطر لم يتعبوا في جلبهِ بل كان بعضهم من اشد المقاومين لهُ واما الذين تعبوا وكان لهم القول والعمل فيهِ فهم

اولاً المهندسون الذين وجدوا بعلمهم ان انشاء هذا الخزان من الممكنات ورسموا كيفية انشائهِ حتى يكون ثابتاً متيناً يجمع بهِ من الماء ما تمسُّ اليهِ الحاجة وهم كثار عرف اولو الامر هنا وفي انكلترا فضلهم فمنحوهم الرتب والنياشين .

وثانياً المثري السر ارنست كاسل الذي جاد بالمال الكثير لانشاء الخزان واثقاً انهُ يسترد مالهُ مع رباهُ القانوني فلهُ علينا سكان هذا القطر فضل من مدَّنا بمليونين من الجنيهات نكتسب منهما مليوناً كل سنة. وشأننا معهُ شأن مَن يمتلك اطياناً غير مصلحة وليس عندهُ مال يصلحها بهِ ويشتري لها المواشي فيأتي رجل اجنبي ويقول ها صندوقي خذ منهُ كل ما تحتاج اليهِ من المال لاصلاح ارضك ثم اوفني اياهُ اقساطاً سنوية مع الربا القانوني فيأخذ منهُ الف جنيه يصلح بها ارضهُ فيزيد ريعها خمس مئة جنيه في السنة .

والفضل الثالث والاكبر للذين استخدموا ذلك العلم الهندسي وهذا الكرم الحاتمي لانفع عمل عُمل في هذا العصر وهم ولاة الامر نخص منهم الجناب الخديوي ونظارهُ ومستشار المالية ورجل الاصلاح صاحب الهمة التي لا تبارى والعزيمة التي تستسهل كل صعب جناب اللورد كرومر

فان الحكومة الخديوية داست على المصاعب واقدمت على هذا العمل العظيم اقدام واثق بالنجاح وجناب اللورد كانت تقوم له الصعوبة بعد الصعوبة من علماء الآثار ومن طبيعة الصخر الذي اقيم اساس الخزان فيهِ فيرمقها بعين المستخف ولو تضاعفت بها النفقات ليقينهِ الثابت ان الخزان نافع جدًّا ويبقى نفعهُ عظيمًا لهذا القطر مهما اقتضى من النفقات . رجل مثل هذا يثق بهِ المهندسون والماليون يستطيع ما لا يستطيعهُ غيرهُ. فان انصفنا ونسبنا كل فضل الى ذويهِ وجب ان نعزو الفضل في انشاء الخزان الى رجال الادارة ورجال المال ورجال العلم على ما تقدَّم بيانهُ.

اما قناطر اسيوط فسيرد وصفها بالتفصيل في فرصة اخرى مع ما يلزم من الصور لايضاحهِ

المؤتمر الطبي

شهد القطر المصري في الشهر الماضي (دسمبر) مشهدين عظيمين الاحتفال بافتتاح خزان اصوان وقناطر اسيوط والاحتفال باول مؤتمر طبي شهدتهُ البلاد الشرقية . اما افتتاح الخزان فقد وصفناهُ بالاسهاب في اول هذا الجزء واما المؤتمر الطبي فلا تنحصر فائدتهُ في هذا القطر كالخزان بل تتناول الاقطار الحارة كلها وسائر البلدان التي تستفيد من اتساع المعارف الطبيَّة.

وقد كان مثل احفل المؤتمرات افتتحهُ الجناب الخديوي في الاوبرا الخديوية في التاسع عشر من دسمبر وحضرهُ جمهور غفير من اطباء هذا القطر والاقطار الاوربية وعدد كبير من المدعوين وارباب الصحافة. فلم تأزف الساعة العاشرة صباحًا حتى ازدحمت فسحة الاوبرا وامتلأت لوجاتها بالمدعوين والمدعوات . وجلس الدكتور ابرهيم باشا حسن رئيس المؤتمر وعن يمينهِ الدكتور اباتا باشا الرئيس الاكرامي وعن يسارهِ السر هوراس بنشنج بك مدير الصحة والدكتور فورونوف سكرتير المؤتمر العام وحولهم اعضاء المؤتمر والمندوبون الطبيون من قبل الدول والمدارس الطبيَّة الاجنبية وغيرهم من مدعوي الاجانب وامامهم جمهور المدعوين وكان المندوبون واعضاء المؤتمر بالملابس السوداء والنياشين والعسكريون منهم بالحلل الرسميَّة

وفي الساعة العاشرة اقبل سمو الخديوي بموكبهِ ودخل المحل المعد لهُ ووقف حضرات النظار عن يمينهِ ويسارهِ وكبار رجال المعيَّة وراءهُ ثم قرأ سموهُ بالفرنسويَّة الخطبة الافتتاحيَّة بصوت صريح ولفظ فصيح وهذه ترجمتها

"ايها السادة

"اني بمزيد الرضى ارحّب بكم واؤكد لكم سروري باجتماعكم. ثم اني اعرب عن شكري

العظيم لحكومات والمجامع العلمية التي لبّت دعوة حكومتي وارسلت عنها مندوبين الى هذا المؤتمر الطبي الاول . ولما كان غرض هذا المؤتمر درس الامراض التي تحدث في البلدان الحارة فقد فعل عين الصواب باختياره وادي النيل مكانا لاجتماعهِ نظرًا الى هوائهِ وموقعهِ الجغرافي الذي يجعلهُ صلة الغرب بالشرق ويحق لي ان افتخر بان بلادي قد اهتمت اهتمامًا حقيقيًا بالسير في سبيل التقدم وفي ما هو صالح ونافع لنوع الانسان ولذلك جعلت مساعيَّ موجهة دائمًا الى المحافظة على سيرها في هذا السبيل وانا على يقين تام ايها السادة انها تستفيد فائدة كبيرة من اعمالكم

"بقي عليَّ ان اشكر جميع العلماء الذين جاؤوا ليجدوا هذا المؤتمر بمساعداتهم الثمينة المستنيرة بانوار العرفان وان اشكر لجنة تنظيم المؤتمر ايضًا على اتمامها مهمتها طبق المرام

"هذا واني ابدي سروري منذ الآن بنتائج اعمالكم واعلن افتتاح الجلسة الاولى للمؤتمر الطبي المصري"

وبعد ما فتح سموهُ المؤتمر جلس وجلس الحضور . ثم وقف سعادة ابرهيم باشا حسن فادّى واجب التعظيم للجناب الخديوي ثم قرأ خطبة عربية قال فيها

ان القطر المصري بل افريقية كلها لم يسعدها الحظ باجتماع مثل هذا جمع الكثير من مشاهير العلماء الذين جاؤوا من اوربا واميركا ليزينوا هذا المؤتمر الطبي وينيروا بانوارهم الحديثة بلاد الفراعنة القديمة ولذلك نرحب بهم اعظم ترحيب ونحتفل بهم ما استطعنا الى الاحتفال سبيلاً مدة اقامتهم بيننا . ومما افتخر بهِ اني كُلّفت بأن اشكر رصفائي الذين يعدون فخرًا لبلادهم وللعالم باسرهِ فبالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن مواطنيَّ اتشرف بأن احييكم ايها السادة وارحب بكم

ثم قال ان هذا المؤتمر كلفهم عناء كثيرًا وان الجناب العالي شجعهم وشدَّ ازرهم بجعلهِ مؤتمرهم تحت رعايتهِ وان حضرات النظار وجناب اللورد كرومر ومديري الصحة ساعدوهُ مساعدة ثمينة وان رصفاءهُ وسكرتيرهُ العام عكفوا على العمل بمزيد الجد والثبات حتى ازال ذلك كل المصاعب التي حالت دون اتمام هذا العمل العلمي وسيكون نجاح هذا المؤتمر فاتحة لاعمال جديدة مفيدة للعالم باسرهِ لان غرضهُ درس امراض البلاد الحارة وكان الاوربيون لا يهتمون بهذه الامراض كثيرًا في ما مضى لقلة من يقطن منهم الشرق اما الآن فاملاكهم في هذه الجهات اتسعت ونزلاؤهم يتضاعفون من يوم الى آخر ولذلك باتت امراض البلاد الحارة ذات شأن عظيم عندهم بل اصبحت من اهم مسائل هذه الايام فاهتم بها جميع العلماء اهتمامًا عظيمًا ووجهوا عنايتهم الى درسها درسًا دقيقًا في جهات عديدة من اوربا

ثم ذكر ان الاوربيين المقيمين في القطر المصري وحدهُ يبلغون ١١٢ الفاً عدا السيَّاح الذين يقصدون هذه البلاد في كل عام وقد بلغ عددهم في الاعوام الماضية نحو ١٥ الفاً . وزدْ على ذلك ان في هذا القطر اناساً من جميع الامم فكل ما يحسن حالتهُ الصحية لا ينفع الوطنيين وحدهم بل ينفع الاوربيين والوطنيين معاً وختم الكلام بالترحيب بالاطباء القادمين وقال انكم تحملتم المشاق وجئتم الى هنا لتأتوا هذا المؤتمر بنتائج علمكم وتجاربكم فاستحققتم شكر العالم وشكر رصفائكم الذين يبتهجون بالاستنارة بانواركم

ثم تلاهُ سعادة اباتا باشا فتلا خطبة فرنسوية افتتحها بشكر الجناب العالي على تكرمهِ بشمل هذا المؤتمر برعايتهِ وشكر جدهُ الاكبر المغفور لهُ محمد علي باشا على احيائهِ العلوم الطبية في الديار المصرية وذكر ما كان عليهِ علم الطب عند المصريين القدماء وختم بالشكر للاطباء القادمين من البلدان الاجنبيَّة وبالدعاء للحضرة الخديوية

وتلا الدكتور فورنوف سكرتير المؤتمر العام خطبة افتتحها بشكر الجناب العالي واستطرد الى ان علماء العالم المتمدن كلهِ يلتقون جميعهم الآن في ميدان المراقبة والتجربة فحلَّ الاتصال بينهم محل الانفصال الذي كان بين البلدان في عهد اسلافهم الاَّ ان مصر بقيت متأخرة عن سائر البلدان في هذا الميدان فارادوا ان يخرجوها من دائرة انفصالها بهذا المؤتمر ثم ابان موافقتها لدرس امراض البلدان الحارة والاوبئة التي تنتابها وشرح كيف توصلت لجنة المؤتمر بالمكاتبة وبالسفر الى اوربا الى تأليف عشرين لجنة طبية من اطباء جميع البلدان برئاسة مشاهير الاطباء في العالم. وقال ان عدد اعضاء المؤتمر ٥٢٠ طبيباً منهم ٣٤٠ في القطر المصري والوطنيون منهم ١٢٢ وان حكومة فرنسا وايطاليا واسبانيا والبلجيك والولايات المتحدة وايران وروسيا ارسلت مندوبين عنها رسميًّا من رجال نظارات المعارف عندها وان المقالات التي ستتلى في المؤتمر منها ١٥٠ مقالة بقلم اطباء مستوطنين مصر وسيكون مدار البحث على اهم المسائل المتعلقة بامراض البلاد الحارة وبالاوبئة. وهذه اول مرة يبحث فيها في تلك الامراض في الارض التي تتولد هي فيها فتستفيد مصر من ذلك زيادة الشهرة في العالم وتستفيد اوربا زيادة العلم بما يهمها ويهم مستعمراتها . وعليهِ ترى اللجنة ان عملها يهم العموم وينفع مصر كثيراً . وختم بالثناء على الجناب العالي والحكومة المصرية ونظارة المعارف العمومية وكل الذين ايدوا اللجنة في عملها مدة الثمانية عشر شهراً الماضية

ثم نهض مندوبو الدول حسب ترتيب اسمائها على حروف المعجم اولهم الدكتور نولدا مندوب حكومة المانيا فتلا خطبة المانية افتتحها بتقديم الشكر الى الجناب العالي بالنيابة عن

حكومتهِ وافاض في اظهار منافع عقد المؤتمر في مصر لدرس امراض البلاد الحارة والبحث في الاوبئة اذ لا يتيسر للاوربيين ان يدرسوها ويبحثوا عنها في بلادهم كما يبحثون عنها في وطنها وختم بالثناء على الجناب العالي ولجنة المؤتمر . وقام بعدهُ الاستاذ نوتناجل مندوب النمسا فخطب بالنمسوية مفتتحًا خطبتهُ بشكر الجناب العالي ثم وصف عناية مصر بالطب منذ قديم الزمان ووجه خطابهُ الى الجناب العالي حاثًّا سموهُ على ادامة عنايتهِ بالعلوم والمعارف وحماية العلم والطب

وعقبهُ الدكتور الفريد عيد مندوب حكومة البلجيك فقال بالفرنسوية اني سررت لمَّا انتدبتني نظارة الزراعة البلجيكيَّة مع الدكتور كوبس ولاسيما لان الصلات العلميَّة قديمة العهد بين مصر والبلجيك فان حكومة البلجيك ارسلت الدكتور روتربو سنة ١٨٧٦ بمهمة طبية الى مصر وفي سنة ١٨٧٨ فوضت اليهِ الحكومة المصرية النظر في مدرسة العميان والرمد بمصر وبعد ذلك نشر فركام رسالتهُ عن المعارف العمومية في هذا القطر واليوم كلفني المؤتمر بكتابة تقرير عن تاريخ الطب في مصر فأؤمل ان اجمع فيهِ من الحقائق والملاحظات عن امراض البلاد الحارة ما يهم حكومة البلجيك لشدة المشابهة بين بعض هذه الامراض وامراض ولاية الكنجو المستقلة

ثم استطرد الى مدح المغفور لهُ محمد علي باشا على احيائهِ علم الطب في مصر بانشائهِ المدرسة الطبيَّة ومدح الجناب العالي على قيامهِ بعد جدهِ الاكبر بنحو قرن ورئاستهِ الاحتفال بفتح هذا المؤتمر . وذكر ما افاد بهِ بعض اطباء المغرب بلاد مصر بعلومهم واكتشافاتهم وقال ولا بدع فمصر ايضاً تفتخر بان اطباء المغرب يردون اليها ثمار المعارف التي بقيت اعصارًا متطاولة محصورة في ممفيس وهليوبوليس والاسكندرية . وختم بالدعاء للمجلس بالنيابة عن حكومتهِ

ثم تلاهُ الماجور جورجاس مندوب الولايات المتحدة فخطب بالانكليزية وشكر للجناب العالي بالنيابة عن حكومتهِ وقال ان بلادي اهتمت بهذا المؤتمر لانهُ سيبحث في امراض البلاد الحارة وبناط البحث فيها بأناس اعلم من غيرهم بها لاسيما وان هذه الامراض صارت شغلاً شاغلاً لحكومة بلادي لانتشارها في البلدان التي أُضيفت الى بلادنا . ومن لطائف قولهِ ان الولايات المتحدة تعد احدث البلدان المتمدنة عهدًا وبلاد مصر تعد اقدمها عهدًا ثم ذكر فضل مصر على علم الطب في الاحقاب الغابرة والاعصار الوسطى وقال ان الولايات المتحدة احدث البلدان معترفة بفضل مصر اقدمهنَّ

وتلاهُ الاستاذ بوشار مندوب فرنسا فتلا خطبة رقيقة شكر فيها الجناب العالي بالنيابة عن الاعضاء الفرنسويين في المؤتمر وأمل أن يكون مؤتمرًا مفيدًا لمصر وقال انهُ يفيد كل الامم

وإن الاتفاق على البحث عن الحقيقة خدمة للانسانية وان خدمة العلم خدمة المدنية . ثم خاطب الاطباء المصريين فشكرهم على دعوتهم له ولرفاقهِ وترحيبهم بهم واستطرد الى منزلة مصر عند الفرنسويين فذكر افعال الفرنسويين الحربية والعلمية والفنية والاثرية فيها وقال ان مصر تعد عند الفرنسويين الشرق بعينهِ حيث شرق النور والجمال والحق فالجمال نجدهُ في آثارها والحق يقال لنا انهُ في برابيها والعلم قد دخل اليها فان علماءنا يقولون لنا انهم وجدوا فيها سر اصل كل تمدن فزيارتنا حج ارض مقدسة ولكم افضال اخرى كثيرة علينا نحن الاطباء خصوصاً لان الشرق بلادكم هو الحارس الذي يحمي الغرب وهو السد الذي تتنفس عليهِ امواج الاوبئة القادمة من الجهات الهمجيَّة . وقد قيل لنا انكم انفقتم اموالاً في البحر الاحمر وسينا وقيل لنا انكم اردتم ان تزيدوا نيركم ضبطاً وارضكم جوداً وصحة فاردنا ان نرى سد اصوان بعد الاهرام. واختتم بذكر مساعيكم الحسان في حفظ صحة بني الانسان

وتلاهُ الدكتور رجينلد هريسون مندوب بريطانيا العظمى والرويال كولج اوف سرجنس فتلا خطبة انكليزية شكر فيها الجناب العالي وقال ان كان عدد القادمين الى المؤتمر من بلادهِ قليلاً فما ذلك لقلة رغبتهم فيهِ بل لان واجبات صناعتهم تمنعهم منعاً باتًّا من مفارقة بلادهم في هذا الحين. ثم ذكر ما رآهُ من تقدم علم الطب في هذا القطر ومدح المدرسة الطبية ومستشفى قصر العيني وقال ان ما رآهُ من دلائل تقدمهما ونجاحهما فاق كل ما كان يظنهُ عنهما قبل رؤيتهما

ثم تلاهُ الاستاذ كارل هور مندوب المجر وتلا خطبة بالالمانيَّة مدح فيها الجناب العالي وتكلم بمعنى ما تقدم في خطب غيرهِ وقام بعدهُ الاستاذ مراليانو مندوب ايطاليا فخطب بالايطالية

وتلاهُ الدكتور ميرزا محمد مهدي خان مندوب دولة ايران العلية وتلا بالعربية خطبة نفيسة قال فيها ان جلالة الشاه امرهُ بان يعرب للجناب الخديوي عن سرورهِ بهذا العمل المجيد الذي جعل بهِ مملكتهُ المصرية السعيدة ترفل بثياب مجدها القديم

وقام بعدهُ الاستاذ ربتشوسكي مندوب روسيا فخطب بالفرنسوية وتلاهُ الاستاذ اترنو مندوب سويسرا وتكلم بالفرنسوية فشكر وختم بالدعاء للمؤتمر

ثم تلا جناب الاستاذ بوشار مقالة عن الترابيوتيا المحلية ضمنها كثيرًا من الفوائد والتجارب المبتكرة الطبية وسنأتي على ترجمتها في الجزء التالي ونذكر اعمال المؤتمر في جلساتهِ المختلفة وخلاصة الخطب التي تليت فيهِ

منزلة الشعر من التاريخ

﴿ ٧ ﴾

استعمال النقود

التعامل لهُ آثار بين امم الارض جماء فحيث لا نقود يحلُّ محلها الخرز والودع وامثال ذلك . والنقود وسيلة التعامل عند الامم الراقية في العمران . وقد كانوا يستخدمون في معاملتهم الحجرين الذهب والفضّة ونستدلُّ على ذلك من اقوال شعرائهم التالية

اولاً الدينار

في تداول الدنانير يقول عنترة العبسي

ولقد شربتُ من المدامة بعد ما ركد الهواجر بالمشوفِ المُعلَمِ (١)

يريد بقولهِ المشوف المعلم الدينار . وهي تسمية من باب الكناية واما الاسم الصريح فوارد في قول احيحة بن الجلاح في رثاء ابنهِ وهو

فما هبرزيٌّ من دنانير ايلةٍ بايدي الوشاة ناصع يتأكلُ (٢)

باحسن منهُ يوم اصبح نادياً ونفسي فيهِ الحِمامُ المعجَّلُ

والهبرزي الدينار الجيد . وايلة احدى مدن ادوم

وقال ربيعة بن المكدَّم وهو بدوي

شدّي عليَّ العصب امَّ سيارْ فقد رزئتِ فارساً كالدينارْ

ويثبت لنا هذا الشاهد استعمال العربِ البدو للنقود وعلاوة على ذلك يثبت لنا انهم كانوا يضربون بهِ مثل الحسن والجودة وهو استنتاج يحققهُ ما ورد في شعر احيحة المتقدم ايرادهُ وقول المحرز بن المكعبر الضبي

كأن دنانيرًا على قسماتهم وان كان قد شفَّ الوجوه لقاءُ

والقسمات جمع قسمة وهي الوجه او ما اقبل منهُ . يريد بقولهِ هذا الاشارة الى ان وجوههم مدوَّرة كما قال المرقش الاكبر

النشر مسك والوجوهُ دنا نيرٌ واطراف الاكف عنم

لان الوجوه المدوَّرة اتم جمالاً

(١) المدامة الخمرة. ركد سكن. الهواجر جمع هاجرة نصف النهار والمعلم الذي فيهِ علامة
(٢) الناصع الخالص من كل شيء يقال ابيض ناصع واصفر ناصع

ثانيًا الدرهم

وشواهد تداول الدراهم منها قول تميم بن ابي مقبل العامري

فقلتُ والمرء قد تخطيهِ منيتهُ   ادنى عطيتهِ اياي ميئاتُ
فكان ما جاد لي لا جاد عن سعةٍ   دراهم زائفات ضربجياتُ

وضربجيات بمعنى زائفات وفي هذا الشاهد فائدة اخرى هي معرفة العرب زائف النقود من خالصها الصحيح . وقال الاعشى ميمون

دراهمنا جيدٌ كلُّها   فلا تعرزنّ بتنقادها

وقال جوَّبة بن النضر

قالت طريفة ما تبقى دراهمنا   وما بنا سَرَف فيها ولا خَرَقُ
انّا اذا اجتمعت يومًا دراهمنا   ظلّت الى طُرُق المعروف تستبقُ
لا يألف الدرهم الصيّاح صرّتنا   لكن يمرُّ عليها وهو منطلقُ
حتى يصير الى نذلٍ يخلّدهُ   يكاد من صرّهِ اياهُ يمزقُ

ثالثًا ميزان النقود

وكان للنقود آلة يزنونها بها يسمونها القسطاس قال عديّ

في حديد القسطاس يرقُبني الحا   رث والمرء كلَّ شيءٍ يلاقي

رابعًا استعمال الحجرين وزنًا

ولم يقتصروا في استعمال الحجرين على المطروق فقط فقد استعملوا الوزن ايضًا قال زهير ابن عمرو بن نفيل

ونُرى أعبدٌ لنا وأواقٍ   ومناصيف من خوادم عشرِ

قال البغدادي صاحب خزانة العرب " اواقٍ اي من الذهب والفضة وهي جمع اوقية وهي سبعة مثاقيل واربعون درهمًا "

وقد جاء لاحد المؤلفين في النقود كلامٌ في نقود الجاهلية فانكر المعاملة بالنقود المضروبة بين العرب وقال " وكان الدينار يسمّى لوزنهِ دينارًا وانما هو تبر ويسمّى الدرهم لوزنهِ درهمًا وانما هو تبر (٢) " . والمّ احد المجلات العصرية بهذا البحث فتابع هذا المؤلّف . ولكنّ الشواهد التي وردت اولاً يستحيل معها ان يكون المراد بالدينار تبرًا موزونًا والله اعلم

(٢) كتاب النقود القديمة والاسلامية للعلامة المقريزي فصل اول

﴿ ٨ ﴾

اللباس

اولاً نوع اللباس

كان لباسهم " قميصاً وثوبين " قال عروة بن حزام

اغرّكما مني قميص لبستهُ   جديداً وبردا يمنةٍ زهيانِ

وقد ذكر الثوبين كثار من الشعراء قال امرؤ القيس الكندي

واقبلتُ زحفاً على الركبتين   فثوب لبستُ وثوب أجرْ

وقال ذو الاصبع العدواني

قتلنا منهم كلَّ   فتًى ابيض حسّانا
يرُى يرفلُ في بردَ   نِ من ابراد نجرانا

واوضح ذلك كل الايضاح الاعشى في قوله

وكلُّ زوج من الديباج يلبسهُ   ابوقدامةَ محبوًّا بذاك معًا(٤)

ولاشتهار لبس الثوبين استعيرا للنفس قال الجميح

فدى لسلمى ثوباي اذ دنس الـ   قوم واذ يدسمونَ ما دسموا

وكانوا يلبسون (السراويل) قال ابن مقبل

اتى دونها ذَبُّ الرياد كأنهُ   فتى فارسي في سراويل رامحِ(٥)

وقال قيس بن عُبادة

اردتُ لكيما يعلم الناس انها   سراويل قيس والوفودُ شهودُ
وان لا يقولوا غاب قيس وهذه   سراويل عاديّ نمتهُ ثمودُ(٦)

وكانوا في ايام الشتاء يتدثرون بالملابس الكثيرة وفي ايام القيظ يكتفون بخفيف الكسوة قال الربيع بن ضبع الفزاري

اذا كان الشتاء فادفئوني   فان الشيخ يهرمهُ الشتاء
فاما حين يذهب كل قرّ   فسربال خفيف او رداء

وكانوا لدى النوم ينضون ثيابهم الاّ ثوبًا يسمّونهُ الفضل وذلك واضح من قول امرىء القيس في معلقتهِ

فجئتُ وقد نضّت لنوم ثيابها   لدى الستر الاّ لبسة المتفضلِ

(٤) محبوٌّ منعم عليهِ (٥) ذب الرياد الثور الوحشي (٦) العادي القديم

ثانياً اجناس نسج الملابس

اما ما كانوا يتخذون منهُ ملابسهم "فالحرير" قال المنخل اليشكري

الكاعب الحسناء ترفل في الدمقس وفي الحريرِ

"والخز" قال عمر بن ربيعة القرشي

فقامت اليها حرّتان عليهما كساءان من خزّ دمقس واخضرِ

"والسندس والديباج" قال امية بن ابي الصلت

عليهم سندس وجياد ريط وديباج جرى منهم قتومُ (٧)
وتحتهمُ نمارق من دمقسٍ ولا احد يُرَى منهم سقيمُ

"والاضريج" قال النابغة الذبياني

يحييهم البيض الولائد بينهم واكسية الاضريج فوق المشاجبِ

"والقسيّ" قال ربيعة بن مقروم

على الاحداج واستشعرنَ ريطاً عراقيًّا وقسيًّا مصونا (٨)

وجميع هذه المنسوجات من الحرير . وهذا دليل تفنن العرب في اجناس اللباس. وقد اتخذوا ملابس من "الكتان" ايضاً فمن ذلك "القبطيَّة" قال زهير بن ابي سلمى المزني

ليأتينَّك مني منطق قَذَع باق كما دنَّس القبطية الودكُ (٩)

"والجهرم" قال رؤبة بن العجاج

بل بلد ملء الفجاج قتمُهْ لا يُشترى كتَّانهُ وجهرمُهْ

والقبطيَّة ثياب من كتان يُؤْتى بها من مصر. والجهرم ثياب من كتَّان تستجلَب من جهرم وهي بلد بفارس . وفي هذين الشاهدين دليل اتصال التجارة بين العرب والفرس والمصريين

وجاء لرؤبة في الاكتساء من الكتان قولهُ "عليهِ كتَّان وآخنيُّ" والآخنيُّ اكسية سود لينة يلبسها رهبان النصارى قال البعيث

فكرَّ علينا ثم ظلَّ يجرُّها كما جرَّ ثوب الآخنيّ المقدَّسُ (١٠)

ولعلَّ الثوب الذي يعنيهِ الشاعر هو الجبَّة لانها تُلبس فوق جميع الملابس وتستر ما سواها. وفي البيت شاهد آخر وهو انَّ ملابس الرهبان كانت كما لم تزل تختار من ذوات الالوان السوداء ويؤكد ذلك قول الاعلم يصف ضباعاً

(٧) القتوم المائل الى السواد (٨) استشعرن اتخذن شعارهنَّ
(٩) القذع الفاحش . الودك دسم اللحم (١٠) المقدَّس والمقدّسي الراهب

سود سحاليل كأنَّ جلودهنَّ ثياب راهبْ[1]

ومما نسج من الكتان ملابس "الرازقي" قال لبيد

لها غلل من رازقيّ وكُرسُفٍ بأيمان عجم ينصفون المقاولا[2]

وقد اتخذوا ملابس من "القطن" ومن اوضح ما جاء في ذلك ما اوردهُ صاحب لسان العرب في مادة تحم

صفراء متحمة حيكت نمانمها من الدمقسيّ او من فاخر الطُوطِ

والطوط القطن . واوضح قعنب بن ام صاحب عن معرفة العرب الكتان والقطن بقولهِ

واحتلَّ أهلكِ من صَرفِ النوى بهمِ ارضاً يحُاكُ بها الكتانُ والقطنُ

وقد استعملوا نسيج "الصوف" واستعمالهُ اما وهو خليط النسج مع سواه كالخز فانهُ خليط من صوف وحرير واما وهو غير خليط . ومن ذلك "الخسيج" او الخسي وشاهدهُ ما اوردهُ لسان العرب لرجل من بني عمرو وطيّء يقال لهُ اسجم وهو

تحمَّلَ اهلهُ واستودعوهُ خسيًّا من نسيج الصوف بالي

وكانوا يتخذون الميدع من الصوف قال الضبيّ

اقدّمهُ قدام نفسي واتقي بهِ الموت ان الصوف للخز ميدع[3]

ولنا دليل عقلي على اتخاذهم الصوف ملابس وهو سهولة عملهِ ورخص ثمنهِ وغزارة وجودهِ عندهم فضلاً عما اوردناهُ من تفننهم في تنويع ملابسهم حتى طرّزوا ثيابهم بالذهب قال مسلمي بن ربيعة

والبيض يرفلنَ كالدُمى في الريطِ والمُذهَبِ المَصونِ[4]

والريط[5] قد تكون من الكتَّان قال الراعي

يعلو الظواهر فردًا لا اليف لهُ مشيَ النطول عليهِ رَيْطُ كتَّانِ

وقد عرفوا المسوح (وهي ثياب من شعر) كما ورد معنا لعمرو بن عدي اللخمي قولهُ

اتتها العير تحمل ما دهاها رجالاً في المسوح مسوَّمينا

---

(١) سحاليل جمع سحلال وهو العظيم البطن

(٢) الرازقي الكتان وقيل ثياب من كتان . والكرسف القطن . والايمان جمع يمين . و ينصفون المقاول يخدمون الاقيال اي الملوك

(٣) التوديع ان تجعل ثوبًا وقاية ثوب آخر والميدع ما ودعت به

(٤) يرفلن يجررن ذيول اثوابهنّ والدمى جمع دمية والريط جمع ريطة وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين

(٥) الريط تذكر وتؤنث فتأنيثها وارد كثيرًا وتذكيرها كما سيرد معنا للعجاج (خود تخال ريطها المدقمسا)

ثالثاً الازار

وكانت نساء العرب اذا خرجن من بيوتهنَّ لزيارة لبسنَ فوق الثياب ازاراً ذا اهداب ربما كان منقوشاً برسوم قال امرؤ القيس الكندي

كأن دمى شغف على ظهر مرمرٍ كسا مزبد الساجوم وشياً مصوَّرا (٦)

وقال الفرزدق

عليهنَّ راحولات كل قطيفة من الخز او من قيصران علامها (٧)

وقال امرؤ القيس ايضاً

خرجتُ بها امشي تجرُّ وراءنا على اثرينا ذيلَ مرط مُرحَّلِ (٨)

رابعاً الفراء

اما الشيوخ فكانوا يتخذون الفراء كسوة في ايام القرّ قال النابغة الذبياني "جلوس الشيوخ في ثياب المرانب" والثوب المرنباني هو المتخذ من جلد الارنب . وروى سيبويه لليلى الاخيلية قولها "كراتُ غلام من كساء مؤرنبِ"

وقد اتخذوا الفراء من جلد السمور ايضاً ودليلهُ قول ابي زبيد الطائي

حتى اذا ما رأى الانصار قدغفلت واجتاب من ظلّه جوديّ سمّورِ (٩)

خامساً ازياء اللباس

وكانت الحسان يعمدنَ الى اخلاء اعلى الصدر ليظهر بياض الجسد للعيون قال طرفة بن العبد البكري

ندامايَ بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين بردٍ ومُجسَدِ (١٠)

رحيب قطاب الجيب منها رفيقة بجسّ الندامى بضَّة المتجرَّدِ (١)

وقطاب الجيب مجتمعهُ حيث قُطب اي جُمع وهو مخرج الراس من الثوب والرحيب الواسع وانما وصف قطاب الجيب بالسعة ليبدو صدرها فيُنظر اليهِ

---

(٦) الدمى الصور في الرخام وشغف موضع والساجوم واد والمزبد ما علاهُ الزبد والوشي المصور النسج الذي عليهِ رسوم

(٧) الراحولات الرحل الموشي . والقيصران ضربٌ من الثياب الموشية

(٨) المرط الازار . والمرحل الذي عليهِ صور الرحال

(٩) اجتاب لبس . وجوديّ نبطية اراد بها جوديا اي جبة كذا في معجم لسان العرب

(١٠) هو المصبوغ بالجسد وهو الزعفران والقينة الامة المغنية

(١) والجس المس والبضة الرقيقة الجلد

وكُنَّ ايضاً يفتقن فتيقاً في الكم الى الابط. قال الاعشى ميمون "لجسّ الندامى في يد الدرع مفتق"

واما ذيل الثوب فقد جاء في ارسالهِ حتى الكعب قول النابغة الذبياني

اثيث نبتهُ جعدٌ ثراهُ   بهِ عَوَذ المطافل والمتالي[٢]
كأنَّ نساءهنَّ مبطَّناتٍ   الى فوق الكعاب برود خالِ[٣]

وفي ارسالهِ حتى يمسَّ الثرى قول زياد بن حمل بن سعد من بني تميم

وبالتكاليف تأتي بيت جارتها   تمشي الهوينى ولا يبدو لها قَدَمُ

وقال العجاج

خود تخال ريطها المدقسا   وميسنانيٌّ لها مُمَيَّسا[٤]

وربما كانت النساء يلبسنَ ثيابهنَّ سابغات الذيل كما قال التيمي والبنات يلبسن ثيابهنَّ قصيراتهِ كما ذكر الذبياني ونستخلص من ذلك ان العادة المتبعة عندنا الآن في لباس النساء والبنات واردة الينا عن العرب الاقدمين والله اعلم

واما لباس الرجال فكان مميزاً بكشف الذراعين قال المحرز بن المكعبر الضبي في مدح قوم

لهم اذرع بادٍ نواشر لحمها   وبعض الرجال في الحروب غُثاءُ[٥]

وقال دريد بن الصمة في صفة اخيهِ عبد الله المدعو ايضاً معبداً

قصير الازار خارج نصف ساقهِ   صبور على العزاء طلّاع انجدِ

وقال اعشى باهلة في رثاء المنتشر بن وهب الباهلي

مهفهف اهضم الكشحين منخرق   عنهُ القميص لسير الليل محتقرُ

سادساً تيجان الملوك

وكانت ملوك العرب تلبس التيجان قال امية بن ابي الصلت في خطاب سيف بن ذي يزن تبع حمير

---

(٢) الاثيث الكثير الملتف · والثرى الجعد اللين والعوذ الحديثات النتاج المطفل الذي ولدها طفل· والمتالي من الابل التي لم تنتج حتى تصيف

(٣) الكعاب جمع كعب وهو في الانسان ما اشرف فوق رسغهِ عند قدمهِ · الخال نوع من البرود

(٤) المدقس والمدمقس واحد من الدمقس وهو الحرير· والمميس الذي له ذيل والميسناني نسبه الى ميسان بلد من كوَر دجلة وكورة سواد العراق· ورواية البيت برفع ميسناني متابعة لمعجم لسان العرب الجزء ٨ الصفحة ١١٠

(٥) النواشر عروق باطن الذراع· والغثاء ما يحمله السيل من القمش كناية عما لا فائدة بهِ

فاشرب هنيئًا عليك التاج مرتفعًا ... برأس غمدان دارًا منك محلالا (٦)

وقال تميم بن ابي مقبل العامري

وعاقد التاج او سام لهُ شرفًا ... من سوقة الناس نالتهُ عوالينا

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي

وسيد معشر قد توَّجوهُ ... بتاج الملك يحمي المحجرينا (٧)
تركنا الخيل عاكفة عليهِ ... مقلدة اعنتها صفونا (٨)

وقال النابغة الذبياني هازئًا بيزيد بن عمرو بن الصعق

لعمرك ما خشيت على يزيد ... من الفخر المضلَّل ما اتاني
كأنَّ التاج معصوبًا عليهِ ... لاذوادٍ اصبن بذي أبانِ (٩)

وقال اعشى بكر

من يرَ هوذةَ يسجد غير مكتئب ... اذا تعصب فوق التاج او وضعا
لهُ اكاليل بالياقوت فصلها ... صوَّاغها لا ترى عيبًا ولا طَبَعا (١٠)

وكانت ملوك بني غسان يضيف الواحد منهم على تاجهِ خرزة كلما مضت عليهِ سنة قال لبيد بن ربيعة

رعى خرزات الملك ستين حجةً ... وعشرين حتى فاد والشيب شاملُ

اي انهُ عمر حتى صار في تاجهِ خرزات كثيرة

سابعًا عمامات الرجال

وكانت الرجال تستر رؤوسها ايام السلم بالعمائم قال سليك بن السلكة

الا عتبت عليَّ فصارمتني ... واعجبها ذوو العمم الطوالِ

وقال عنترة العبسي

وما الفخر الاَّ ان تكون عمامتي ... مكوَّرة الاطراف بالصارم الهندي (١).

واما الفتيان فكان منهم من يلبس البرنس قال حسان بن ثابت

---

(٦) المرتفق المتكئ (٧) المحجرين الملتجئين اليهِ

(٨) العكوف الاقامة والصفون جمع صافن وهو من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد اقام الرابعة على طرف الحافر

(٩) كل شيء استدار بشيء فقد عصب بهِ ومن هذا يكون الراس معصوبًا بالتاج · الاذواد جمع ذود وهو القطيع من الابل الثلاث الى التسع

(١٠) الطبع الصدأ (١) كوَّر العمامة لفها وجمعها

يسعى بها احمرُ ذو برنس — محنلق الذفرى شديد الحزام (٢)

وكان من العرب من يلبس القلنسوة قال العجير السلولي

اذا ما القَلَنسى والعمائم أُجهِلت — ففيهنَّ عن صلع الرجال حُسورُ (٣)

ثامنا نصيف النساء

اما النساء فكنَّ يغطين رؤوسهنَّ بالنصيف حتى يستر وجوههنَّ قال النابغة الذبياني

سقط النصيف ولم ترد اسقاطهُ — فتناولتهُ واتقتنا باليدِ

وكنَّ يغطّين الوجوه قال ابو داود الايادي

ويغضنَّ الوجوه بالميساني — كما صان قرن شمس غمامُ (٤)

وقال عنترة العبسي

نحر الرجال سلاسل وقيود — وكذا النساء بخانق وعقود (٥)

وقال حجية بن المضرّب

لجئنا ولجت هذه في التغضُّب — ولطّ الحجاب دوننا والتنقُّب (٦)

وقال الممزق العبدي

ظهرنَ بكلّةٍ وسدلنَ رقماً — وثقبن الوصاوص للعيون (٧)

ولم يكن ارسال غطاء الوجه عامًّا عند العرب . قالت فاطمة بنت الاحجم في رثاء ابيها

قد كنتَ لي ذا حمية ما عشتَ لي — امشي البراز وكنت انت جناحي

وربما كان بعضهن يرسلنهُ حينما يردنَ اخفاء امرهنَّ قال الاعشى ميمون

ولقد ساءها المشيب فلطّت — بحجاب من دونها مصدوفِ (٨)

ولبعضهنَّ حيلة نجاتهنَّ من السبي يحسن ذكرها وفي انهنَّ كنَّ يتنقَّبن دون امائهنَّ فاذا غزت الاعداء قومهنَّ وظفروا كنَّ يبرزنَ وجوههنَّ وينقبنَ اماءهنَّ فتُسبى الاماء دون الحرائر . والى هذا اشار سبرة بن عمرو الفقعسي في قوله

ونسوتكم في الروع بادٍ وجوهها — يُخَلْنَ اماءً والاماء حرائرُ

---

(٢) البرنس قلنسوة طويلة . محنلق محلوق . الذفرى العظم الشاخص خلف الاذن

(٣) أُجهلت نزعت عن الجهالة وهي انحسار الشعر عن الرأس اكثر من الجلح . والحسور الفتور

(٤) الميساني نسبة الى ميسان على خلاف القياس وقيل بل الى ميسنان قال العبد "وما قرية من قرى ميسنان معجبة نظرا واتصافا"

(٥) البخنق برقع يغشي العنق والصدر (٦) . لط الحجاب سدلهُ

(٧) الوصاوص جمع وصواص وهو البرقع الصغير (٨) المصدوف المستور

وبعض العرب كانوا اذا فقدوا عزيزًا حسرت نساؤهم عن وجوههن ناشحات لاطمات . قال الربيع بن زياد العبسي

من كان مسرورًا بمقتل مالك فليأتِ نسوتنا بوجهِ نهارِ
يجد النساء حواسرًا يندبنهُ يلطمن اوجههن في الاسحارِ
قد كنَّ يخبأنَ الوجوه تسترًا فاليوم حين برزنَ للنظَّارِ
يضربن حرَّ وجوههنَّ على فتى عفّ الشمائل طيب الاخبارِ

وبعضهنَّ كنَّ يمزقنَ الثياب اسفًا على العزيز قالت مية بنت ام عتبة بن الحارث

تروَّحنا من اللَّعباء عصرًا فاعجلنا الإلهة ان تؤوبا (٩)
على مثل ابن مية فانعياه تشقُّ نواعم البَشَرِ الجيوبا

ولكن ذلك لم يكن شأن جميع العرب بدليل قول عمرو بن كلثوم التغلبي

معاذ الاله ان تنوح نساؤنا على هالكٍ او ان تضجَّ من القتلِ

ومن لا يسمحون لنسائهم بالنواح فبالاولى انهم لا يسمحون لهنَّ بالبروز حاسرات . ومن كان هذا شأنهم في الرصانة لدى الرزيئة يخلق بنا ان نقتدي بهم في هذه العادة الحميدة (ترك النواح) ونعترف لهم بعلو المدارك وجودة الرأي وشهامة النفس امين ناصر خير الله

قانون القرعة العسكرية المصرية

الصادر عليهِ الامر العالي بتاريخ ٢ شعبان سنة ١٣٢٠ هجرية الموافق (٤ نوفمبر سنة ١٩٠٢ افرنجية)

نحن خديو مصر بعد الاطلاع على الاوامر العالية الصادرة بشأن القرعة لجيشنا وبحريتنا المذكورة في الكشف الملحق بامرنا هذا وعلى الامر العالي الصادر في ٢١ يناير سنة ١٨٩٢ عن الخدمة في خفر السواحل وبالنظر الى ما تراءى من مناسبة تعديل القوانين الصادرة بشأن القرعة وتوحيدها وبناء على ما عرضهُ علينا ناظر حربيتنا وبحريتنا وموافقة رأي مجلس شورى القوانين امرنا بما هو آتٍ

القسم الاول في فرض الخدمة العسكرية الالزامية

١ — بعد مراعاة اوجه المعافاة الواردة في امرنا هذا تفرض الخدمة العسكرية الالزامية بموجب النصوص الواردة فيهِ على كل ذكر ينطبق عليهِ احد الشروط الآتية

(٩) الإلهة اسم من اسماء الشمس

اولاً — اذا كان من رعايا الدولة العلية مولوداً من ابوين متوطنين بالقطر المصري حين ولادته ولم يتوطن بعد ذلك قسماً آخر من بلاد الدولة العلية — . او

ثانياً — اذا كان من رعايا الدولة العلية وتوطن هو او والداهُ في القطر المصري خمسة عشر عاماً قبل بلوغهِ سن ١٩ او قبل كتابة اسمهِ في كشوفات القرعة المذكورة في الفصل العاشر على شرط ان يكون اسمهُ قد كتب فيها قبل بلوغهِ سن الرابعة والعشرين — . او

ثالثاً — اذا كان اصلهُ من السودان ولكنهُ متوطن بالقطر المصري وليس معروفاً انهُ من تابعية اجنبية

لا تسري احكام هذه المادة على العثمانيين الذين هم في حماية احدى الدول الاجنبية

٢ — تبدأ ملزومية الشخص بالخدمة العسكرية من السنة التي يبلغ فيها سن التاسعة عشرة وللعمل بهذا الامر العالي يحسب السن على طريقة الحساب الافرنكي

٣ — الخدمة العسكرية الالزامية تشمل خدمة خمس سنوات في الجيش العامل او في البحرية وخمس سنوات في الرديف او في البوليس او خفر السواحل وذلك بعد مراعاة احكام الرفت المبينة في القسم الخامس

٤ — الاشخاص المكلفون بالخدمة العسكرية والمتوفرة فيهم شروط البنية يطلبون للتجنيد بموجب الترتيب الذي يحددهُ لهم الاقتراع السنوي المنصوص عنهُ في الفصل الحادي عشر

٥ — لا يجوز في اي حال كان ان يطلب شخص للتجنيد بعد بلوغهِ سن السابعة والعشرين

القسم الثاني في تنظيم اعمال القرعة

٦ — ادارة القرعة الموجودة الآن في نظارة الحربية تبقى كما هي

٧ — ينوب عن ادارة القرعة في المديريات مجالس قرعة وتعين نظارة الحربية لكل مجلس منها قسماً يكون عبارة عن مديرية واحدة او اكثر وكل مجلس منها يشكل على الاقل من ثلاثة ضباط عسكريين احدهم رئيس لا تقل رتبتهُ عن رتبة بكباشي

ويجوز انتداب مجلس القرعة للعمل موقتاً خارج القسم المعين لهُ

٨ — تحضَّر كشوفة سنوية باسماء الاشخاص المكلفين بالخدمة العسكرية ويُعمل الاقتراع السنوي في كل مركز وذلك كلهِ بمعرفة مجلس اقتراع يؤلف من رئيس مجلس قرعة المديرية وضابطين من اعضائهِ الآخرين مع معاون من ديوان تلك المديرية وعمدتين من المركز يعينهما المدير

يرأس مجلس الاقتراع رئيس مجلس القرعة وتعتبر هيئتهُ قانونية اذا حضرهُ اثنان من

الاعضاء العسكريين واثنان من الاعضاء الملكيين

وعلى المديران يعدّ كشفاً باسماء عمد آخرين لينوبوا عن العمد الاعضاء في مجلس الاقتراع متى اضطروا الى الغياب

٩ — يلحق بادارة القرعة ضابطانِ على الاقل من القسم الطبي لا تقل رتبتهما عن بكباشي للقيام بالكشف الطبي على انفار القرعة حسب مواد الفصل الثاني عشر وعند عدم اشتغالها في الكشف الطبي يؤديان وظيفة التفتيش على اعمال القرعة تحت اوامر ادارة القرعة ومن اختصاص وظيفتهما مراجعة جميع الدفاتر والاوراق المتعلقة باعمال القرعة وطلب كل شخص اعفاهُ مجلس الاقتراع من الخدمة العسكرية لعدم اللياقة البدنية لاعادة الكشف عليهِ

١٠ — يجوز لناظر الحربية بمقتضى امر وزاري مصدق عليهِ من مجلس النظار ان يستثني أية جهة كانت من القرعة متى كان عدد الانفار الذين يؤخذون منها قليلاً لا يستحق اعمال القرعة بسبب عدم صلاحية اهلها او متى كان هناك اسباب اخرى خصوصية تستدعي استثناءها

القسم الثالث في المعافاة من الخدمة العسكرية

في المعافاة بالبدل النقدي

١١ — يحق لكل شخص ان يعفى من ملزوميتهِ بالخدمة العسكرية اذا دفع عشرين جنيهاً مصرياً في اي وقت كان قبل اقتراعهِ

١٢ — كل شخص اقترع وهو غائب اذا اثبت لنظارة الحربية انهُ لم يصلهُ اعلان ليحضر امام مجلس الاقتراع وانهُ لم يكن عالماً بدرج اسمهِ في كشوفة الاقتراع يرخص لهُ ان يدفع البدلية في خلال ثلاثين يوماً بعد علمهِ بدرج اسمهِ في الكشوفة المذكورة

١٣ — كل شخص استحق المعافاة بسبب من الاسباب المبينة في هذا الامر العالي ثم بطلت اسباب معافاتهِ يجوز لهُ ان يدفع البدلية في خلال ثلاثة اشهر من تاريخ سقوط حقهِ في المعافاة

١٤ — يمكن دفع البدلية في نظارة الحربية او في ديوان اي مديرية او مركز او الى رئيس مجلس الاقتراع في اي وقت قبل الاقتراع

وكل شخص يدفع البدلية تعطى لهُ شهادة معافاة بامضاء ناظر الحربية او بامرهِ

في المعافاة بسبب خدمة الحكومة

١٥ — يعفى الاشخاص الآتي ذكرهم من ملزوميتهم بالخدمة العسكرية بسبب استخدامهم

اولاً — مستخدمو الحكومة الداخلون في هيئة العمال ومن جملتهم المستخدمون منهم تحت التجربة

ثانياً — العمد والمشايخ الذين تنطبق عليهم احكام الامر العالي الصادر في ١٦ مارس سنة ١٨٩٥

ثالثاً — الحلاقون الصحيون الذين تعينهم مصلحة الصحة

رابعاً — صف ضباط وعساكر البوليس وخفر السواحل الذين تطوّعوا للخدمة تحت شروط توجب عليهم خدمة عشر سنوات على الاقل

خامساً — مستخدمو حكومة السودان الذين يؤدون اعمالهم في بلاد السودان او خارجاً عنها

وأحكام هذه المادة لا تعفي من يستخدم بعد إقتراعهِ الاّ اذا تصدق من نظارة الحربية على استخدامهِ بهذه الصفة

١٦ — يعفى نهائياً من الخدمة العسكريَّة كل شخص كان ابوهُ في احدى الحالات الآتية

اولاً — اذا كان ضابطاً في الجيش سواء كان عاملاً او مستودعاً

ثانياً — اذا كان ضابطاً في الجيش فيما مضى وبقي فيهِ عشر سنوات على الاقل ولم يطرد منهُ او يفصل عنهُ بصفة تاديبية

ثالثاً — اذا كان ضابطاً في الجيش وأُحيل على المعاش او أُخذ مكافأة بسبب جراح او اصابات او امراض اعترتهُ مدة تأدية واجباتهِ او توفي بسبب تلك الجراحات او الاصابات او الامراض

١٧ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية كلُّ شخص تعين ابوهُ عمدة او شيخاً حسب منطوق الامر العالي الصادر في ١٦ مارس سنة ١٨٩٥ لمدة عشر سنين ولم يرفت من العمدية او المشيخة بصفة تأديبية او لادانتهِ على جريمة ارتكبها

١٨ — يعفى موقتاً من الملزومية بالخدمة العسكريَّة ابن العمدة او الشيخ على شرط أن يكون أبوهُ قد تعين عمدةً او شيخاً قبل طلب الابن للتجنيد . فاذا عُين الاب شيخاً او عمدةً بعد طلب ابنهِ للتجنيد فلا يعفى الابن من بقية مدة خدمتهِ في الجيش او الرديف ولكن اذا بقي الاب شيخاً او عمدة لحين رفت ابنهُ من الجيش فالابن يعفى نهائياً من خدمة البوليس او خفر السواحل

في المعافاة لاسباب عائلية

١٩ — يعفى الاشخاص الآتي ذكرهم من ملزوميتهم بالخدمة العسكريَّة لإسباب عائلية

اولاً — كلُّ شخص يكون ابناً وحيداً لابيهِ سواء كان الاب حياً او ميتاً

ثانياً — كلُّ شخص يكون اكبر الابناء الاحياء لابيهِ سواء كان الاب ميتاً او بالغاً

سنّ الستين او كفيف البصر او بهِ عاهة مزمنة صيرتهُ عاجزًا عن اكتساب معيشتهِ

ثالثًا — كلُّ شخص يكون اكبر الابناء الاحياء او وحيدًا لوالدة ارملة او مطلقة او غاب عنها زوجها غيابًا شرعيًّا او تاركها ولا يعلم مقرُّهُ على شرط أن تكون باقية بلا زواج ولم ترجع الى زوجها السابق وأن تكون بلا اب ولا اخ شقيق في استطاعتهِ أن يقوم بمعيشتها

رابعًا — كلُّ شخص يقضي عليهِ قانون الاحوال الشخصية الخاضع لهُ أن يساعد في نفقة واحد او اكثر من اجدادهِ بشرط ان لا يتمتع بالمعافاة المدوَّنة في هذا البند الاخير الّا شخص واحد عند ما يكلف عدَّة اشخاص معًا باعالة جدّ واحد

وعند تطبيق هذه المادة يعتبر الشخص الغائب غيابًا شرعيًّا كأنهُ ميت

٢٠ — اذا كان احد من افراد العائلة قد تجند بالاقتراع فاخوهُ التالي لهُ يعفى من الزامهِ بالخدمة الى ان يتم الاخ الاكبر مدة خدمة الجيش ومدة خدمة الرديف او البوليس او خفر السواحل بحسب ما تكون الحالة

ولكن اذا فر الاخ الاول من الخدمة فالثاني المعفي منها بناء على خدمة اخيهِ يطلب ويجند في الحال ولا يعود لهُ حق المعافاة ثانية الّا بعد القبض على اخيهِ الفار او تسليمهِ نفسهُ وتتميمهِ مدة السجن التي يحكم عليهِ بها بسبب فرارهِ

٢١ — عند ما تفرض الخدمة العسكريَّة على اخوين او اكثر في سنة واحدة فلا يعتبر احدهم معفى منها . ولكن اذا طلب احدهم للتجنيد فاكبر الاخوة الباقين يعفى بموجب احكام المادة السابقة

٢٢ — اذا توفي احد افراد العائلة مدة خدمتهِ في الجيش او اخلي سبيلهُ من الخدمة بسبب جراح او امراض اصابتهُ فيها ثم مات بسببها او اصبح عقبها غير قادر على اكتساب معيشتهِ يعفى اخوهُ التالي لهُ من ملزوميتهِ بالخدمة العسكريَّة

٢٣ — اذا كان احد افراد العائلة الذي يستحق المعافاة من ملزوميتهِ بالخدمة العسكرية بحسب احكام هذا الفصل غير قادر على اكتساب معيشتهِ لانهُ كفيف البصر او بهِ عاهة اخرى فاخوهُ التالي لهُ يعفى بدلاً منهُ

٢٤ — اذا استحق شخص المعافاة من ملزوميتهِ بالخدمة العسكرية بحسب احكام هذا الفصل وكان اخوهُ التالي لهُ غير صالح للخدمة العسكرية لاسباب صحية ولكنهُ غير عاجز عن اكتساب معيشتهِ فالاخ الاكبر ولو انهُ قد نال المعافاة من الخدمة يجند بدل اخيهِ الاصغر

٢٥ - اذا ظهر ان احد انفار القرعة سيصير مستحقًّا للمعافاة حتمًا قبل ان تتم مدة خدمتهِ

في الجيش بسبب سن ابيهِ يجوز لنظارة الحربية ان تصدر امرًا باعتبارهِ معفى من الخدمة العسكرية

في المعافاة لاسباب دينية

٢٦ — يعفى الاشخاص الآتي ذكرهم من ملزوميتهم بالخدمة العسكرية لاسباب دينية

اولاً — العلماء والمدرسون في الازهر وفي اي جامع آخر في القطر المصري

ثانيًا — الخلفاء في مقامي السيد احمد البدوي والسيد ابراهيم الدسوقي

ثالثًا — مشائخ الطرق الدينيَّة المعروفة بمدينة القاهرة

رابعًا — القسس والقامصة والرهبان التابعون للطوائف المسيحيَّة المعروفة كذلك الحاخامات ووكلاؤهم والمشرعون في الطوائف الاسرائيلية

خامسًا — مشائخ التكايا

سادسًا — أئمة المساجد والزوايا وخطباؤها متى كانوا منقطعين لتلك الخدمة

سابعًا — الفقهاء الحافظون القرآن الشريف غيبًا ما داموا بلا حرفة أُخرى وبعد اتمام الشروط المبينة في المواد من ٣٠ الى ٣٧

ثامنًا — الطلبة المنقطعون لطلب العلوم الدينية وليس لهم حرفة اخرى سواءٌ كانوا مسلمين او مسيحيين او اسرائيليين

٢٧ — كل طلب للمعافاة بمقتضى الفقرة (الاولى) من المادة السابقة يجب ان يرفق بشهادة من شيخ الجامع الازهر وكل طلب بمقتضى الفقرتين (الثانية) او (الثالثة) يرفق بشهادة من شيخ مشائخ الطرق وكل طلب بمقتضى الفقرة (الرابعة) يرفق بشهادة من الرئيس المعروف لطائفة الطالب

طلب المعافاة بمقتضى الفقرتين (الخامسة) او (السادسة) يرفق بشهادة بأن الطالب حسن السيرة عالم بالشريعة الغرّاء ومشتغل فعلاً بالعمل الذي يطلب المعافاة بسببهِ . واذا كان الطالب تابعًا الى التكايا او المساجد او الزوايا التي تحت مراقبة ديوان الاوقاف فتكون الشهادة مختومة بختم ديوان الاوقاف واما في الاحوال الاخرى فالشهادة يتوقع عليها من قاضي ومفتي المديرية او من اثنين من اكابر علماء المديرية مصدقًا عليها من القاضي والمفتي اللذين يوقعان على مصادقتهما بالشهادة

٢٨ — كل شخص يطلب المعافاة لكونهِ فقيهًا يكلف بالحضور امام مجلس الاقتراع للامتحان في حفظ القرآن الشريف غيبًا

٢٩ — يجري امتحان الاشخاص الذين يطلبون المعافاة لكونهم من الفقهاء على اسلوب تضعهُ نظارة الحربية — الاشخاص الذين يطلبون المعافاة في القاهرة لكونهم فقهاء يجري امتحانهم العلماء الذين ينتخبهم شيخ الجامع الازهر وفي غير القاهرة قاضي او نائب قاضي المديرية او المركز فان لم يكن حضورهما ميسورًا فمجلس الاقتراع ينتدب عالمًا او اكثر لهذا الغرض

٣٠ — كل طالب للعلوم الدينية يطلب المعافاة يجب ان يكون قد انقطع سنتين على الاقل لتلك العلوم قبل ان يطلب شهادة المعافاة بالطرق المبينة في المواد الآتية . وبعد انقطاعهِ السنتين المذكورتين اعلاه يجوز لهُ ان يقدّم طلب المعافاة قبل ان يطلب للحضور امام مجلس الاقتراع

٣١ — طلبة العلم في الجامع الازهر يقدمون طلبات المعافاة الى شيخ الجامع الازهر وطلبة العلوم الدينيَّة الاسلامية في غير الجامع الازهر يقدمون طلباتهم الى الذين تتفق نظارة الحربية مع شيخ الجامع الازهر على تعيينهم لامتحان الطلبة كما في المادة ٣٣

وطلبة العلوم الدينية من المسيحيين والاسرائيليين يقدمون طلبات المعافاة الى رؤساء طوائفهم المعروفين

٣٢ — يرفق الطلب في جميع الاحوال بالاوراق الآتية

اولاً — شهادة من عمدة بلدة الطالب او شيخها يوضع فيها كل المعلومات اللازمة لاثبات شخصية الطالب ومحل سكنهِ ومسقط رأسهِ ويشهد فيها ان الطالب منقطع بكليتهِ للعلوم الدينيَّة وليس لهُ حرفة أُخرى

ثانيًا — شهادات من رؤساء المدارس او المواضع التي تعلم فيها مدة السنتين الماضيتين او من مدرسيهِ الخصوصيين تكتب فيها كل المعلومات اللازمة عن العلوم الدينية التي تلقاها وانهُ كان ذا سلوك حسن مجتهدًا متقدمًا فيها

ثالثًا — تعهُّد من الطالب يعلن فيهِ عزمهُ على الانقطاع كلية للعلوم الدينية او لخدمة الدين

اذا لم يقدر الطالب على تحصيل الشهادات المطلوبة في الفقرة (الثانية) يجب عليهِ ان يكتب انهُ طلب تلك الشهادات ولم تعطَ لهُ او يوضح بطريقة اخرى اسباب عدم حصولهِ عليها

٣٣ — عند ما يقدم الطالب الاوراق المذكورة بالمادة السابقة يجري امتحانهُ لتُعلم درجة معرفتهِ واما مواضيع هذا الامتحان وتشكيل الهيئة التي تقوم بهِ وزمانهُ ومكانهُ فكل ذلك يتم على طريقة يتفق عليها بين نظارة الحربية وشيخ الازهر فيما يختص بالطلبة المسلمين وبين النظارة ورؤساء الطوائف فيما يختص بالمسيحيين والاسرائيليين

ويجوز ان يُذكر في نصوص هذا الاتفاق ان المدارس او المواضع التي تمتحن تلامذتها في مواعيد مقررة تقبل نتائج امتحاناتها عوضاً عن الامتحان المنصوص عنهُ في هذه المادة

٣٤ — وفي جميع الاحوال يجب ابلاغ المدير او المحافظ وقت الامتحان ومحلهُ قبل الموعد بزمن كافٍ لانتداب من ينوب عنهُ في حضور ذلك الامتحان

٣٥ — اذا وجدت لجنة الامتحان ان نتيجتهُ تدل على ان درجة الطالب في العلم والتقدم كافية تستوجب الرضاء ترسل شهادة بهذا المعنى الى شيخ الازهر او رئيس طائفة الطالب وهو يمضيها و يرسلها الى نظارة الحربية مع الاوراق المطلوبة في المادة (٣٢)

٣٦ — اذا رأت نظارة الحربية ان الطالب يستحق المعافاة تجري ما يلزم لتسليمهِ شهادة معافاة ومع ذلك فقبل اعطائهِ الشهادة المذكورة لها الحق ان تطلبهُ الى القاهرة لاعادة امتحانهِ امام لجنة عليا تعقد في ديوان الحربية وتشكل بالاتفاق بين النظارة وشيخ الازهر وبينها وبين رئيس الطائفة المعروف حسبما تقتضيهِ الحالة

٣٧ — كل دار للعلوم الدينية ما خلا الجامع الازهر يجب ان يكون فيها دفتر تقيد فيهِ اسماء التلامذة مع تواريخ دخولهم اليها وخروجهم منها و يجب عرض هذا الدفتر للتفتيش عليهِ بمعرفة الضباط المعينين بموجب نصوص المادة التاسعة

في المعافاة لاسباب تلقي العلوم

٣٨ — يعفى موقتاً من الملزومية بالخدمة العسكرية كل تلميذ يكون في احدى المدارس الآتي ذكرها وهي

مدرسة الحقوق . والطب . والمهندسخانة . والتوفيقية للمعلمين . والناصريه للمعلمين . والزراعة . والطب البيطري . والصنايع في بولاق . والصنايع في المنصورة

والذين تخرجوا من احدى مدرستي المعلمين السابق ذكرهما و.٠١ بصفة معلمين تحت التجربة يعتبرون في تطبيق هذه المادة كأنهم باقون تلامذة في هاتين المدرستين

وتصير المعافاة المنصوص عنها في هذه المادة نهائية عند ما يتم التلميذ دروسهُ وينال الشهادة المدرسية (دبلومه)

٣٩ — يجوز لناظر الحربية أن يمنح المعافاة المنصوص عنها في المادة السابقة لتلامذة كل مدرسة عالية او خصوصية من المدارس الموجودة الآن غير التي سبق ذكرها او من المدارس التي تستجد في المستقبل وذلك بامر وزاري يصدر منهُ بناء على طلب ناظر المعارف وموافقة ناظر المالية

٤٠ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية اعفاء موقتاً كل شخص مواظب على تلقي العلوم في مدرسة جامعة او عالية او صناعية خارج القطر المصري تكون علومها كعلوم احدى المدارس المذكورة بالمادة ٣٨ وتصير هذه المعافاة نهائية عند ما يتم الطالب دروسهُ وينال الشهادة المدرسية (دبلومه)

كل مسألة تنشأ عن الدروس التي يتلقاها الشخص الطالب المعافاة على مقتضى نصوص هذه المادة تحال على نظارة المعارف للفصل فيها

٤١ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية اعفاء موقتاً كل تلميذ يكون في المدرسة الحربية او مدرسة البوليس او مدارس خفر السواحل . وبعد خروج التلميذ من المدرسة تستمر هذه المعافاة الوقتية ما دام تحت تصرف اولياء الامر لحين منحهِ رتبة ضابط

اما اذا خرج التلميذ من احدى المدارس السابق ذكرها ولم يكن منظوراً منحهُ رتبة ضابط فمتى طلب للتجنيد يجند وتحسب لهُ المدة التي اقامها في المدرسة من مدة الخدمة المفروضة عليهِ في الجيش الَّا اذا كان قد خرج من المدرسة طرداً بصفة تأديبية

في المعافاة لاسباب متنوعة

٤٢ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية كل شخص يكون في خدمة الجناب العالي الخديوي الشخصية

لا تجوز المعافاة بمقتضى هذه المادة بعد التجنيد

٤٣ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية كل شخص يكون مستخدماً عند احد القناصل الجنرالية او القناصل او وكلاء القناصل او وكلاء القنصليات وتكون خدمتهُ معروفة لدى الحكومة المصرية

٤٤ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية كل شخص لهُ اخ ضابط في الجيش سواء كان عاملاً او مستودعاً

٤٥ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية كل شخص اصلهُ من العربان من جهة الآباء

٤٦ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية اعفاء نهائياً كل شخص تجند في قسم آخر من بلاد الدولة العلية

٤٧ — يعفى من الملزومية بالخدمة العسكرية كل شخص تدفع عنهُ الفريضة العسكرية في اوقاتها في قسم آخر من بلاد الدولة العلية

احكام عمومية عن المعافاة

٤٨ — كل شخص لهُ حق في المعافاة لاسباب كانت موجودة عندهُ وقت الاقتراع يفقد حقهُ في هذه المعافاة اذا تأخر بدون عذر مقبول عن تقديم طلبهِ بالمعافاة الى مجلس الاقتراع قبل اجراء الاقتراع

٤٩ — اذا جدّ سبب من اسباب المعافاة لشخص بعد اقتراعهِ وقبل طلبهِ للتجنيد فعليهِ ان يقدم طلب المعافاة بدون تأخير الى نظارة الحربية او الى رئيس مجلس القرعة الذي في الجهة التابع هو لها

٥٠ — اذا صار احد العساكر مستحقًا للمعافاة بعد تجنيدهِ فعليهِ ان يقدم طلب المعافاة الى نظارة الحربية بواسطة قومندانهِ

لكن يشترط في هذه الحالة انهُ اذا كان وجود العسكري في الجيش قد متع اخًا لهُ بالمعافاة فذلك العسكري لا يرفت بسبب من اسباب المعافاة الّا اذا كان ذلك السبب موجبًا لمعافاة اخيهِ معهُ ايضًا

٥١ — يسقط الحق في المعافاة عند ما تزول اسبابها الّا في الحالات التي ينص عنها ما يخالف ذلك نصًا صريحًا

ومع ذلك فكل شخص استحقّ المعافاة وبقي معفًى الى ان بلغ سنّ الرابعة والعشرين لا يطلب بعد ذلك لتجنيدهِ مهما كانت الحالة

٥٢ — كل مامور او عمدة او شيخ او موظف آخر من موظفي الحكومة الذين لهم شأن في تنفيذ قانون القرعة علم ان شخصًا كان معفيًا بتصديق مجلس الاقتراع ثم بطلت اسباب معافاتهِ يجب عليهِ حتمًا ان يبلغ ذلك في الحال الى رئيس مجلس القرعة في تلك الجهة بالطريقة المتبعة

القسم الرابع في اعمال القرعة

في تحضير قوائم القرعة السنوية

٥٣ — يجب على عمدة البلد ومشايخها ان يتحدوا مع الصراف ويحضّروا قبل التاريخ الذي تعينهُ نظارة الحربية كشفًا في كل سنة على الاورنيك الذي تقررهُ نظارة الحربية باسماء الاشخاص الذين لهم علاقة بالبلد وستبدأ ملزوميتهم بالخدمة العسكرية في خلال تلك السنة

٥٤ — وهذه الكشوفة تشتمل على اسماء الاشخاص الآتي بيانهم وهم

اولًا — كل ذكر وارد اسمهُ في دفاتر مواليد البلد او في الكشوفة الملحقة بها المنصوص عنها في المادة (٥٨) سواء كان مقيمًا في البلد او غير مقيم فيهِ وسيبلغ عمرهُ ١٩ سنة في خلال

السنة على مقتضى دفاتر المواليد والكشوفة الملحقة بها المشار اليها سابقاً

ثانياً — كل ذكر متوطن عادة في البلد واسمهُ غير وارد في دفاتر المواليد ولا في الكشوفة الملحقة بها وسيبلغ بحسب الظاهر سن ١٩ في خلال تلك السنة

ثالثاً — كل ذكر متوطن في البلد بلغ بحسب الظاهر سن ١٩ ولم يبلغ سن ٢٧ واسمهُ غير وارد في كشوفات قرعة السنين الماضية

٥٥ — وفي تطبيق المادة السابقة يعتبر متوطناً في البلد كل شخص من عادتهِ الاقامة فيهِ ولو كان غائباً عنهُ وقت تحضير كشوفات القرعة وذلك

اولاً — سواء كان في السابق مقيماً في البلد ولم يتوطن غيره بصفة دائمة

ثانياً — او كان من عادتهِ الاقامة في البلد مدة في كل عام

٥٦ — متى ظهر من دفاتر وفيات البلد ان شخصاً من الاشخاص الواردة اسماؤهم في الكشوفة المنصوص عنها في الفقرة (الاولى) من المادة (٥٤) قد توفي فمن الواجب تدوين وفاتهِ في تلك الكشوفة والاشارة الى الدفتر المذكورة فيهِ

٥٧ — الكشوفة المنصوص عنها في المادة (٥٤) ترفق بكشف آخر مشتمل على جميع المعلومات التي تعينها نظارة الحربية كبيان عائلات الاشخاص المذكورين في الكشوفة الاولى وصناعتهم وحالاتهم الاخرى التي تكون ذات اهمية لمعرفة حقوقهم في المعافاة

٥٨ — يجب على العمدة والمشايخ ان يحرروا ايضاً كشفاً آخر باسماء الذكور الذين جاؤوا البلد بقصد الاقامة فيهِ بعد اتمام كشوفات السنة الماضية ولا يبلغون بحسب الظاهر سن ٦٧ ما عدا الجهات التي تستثنيها نظارة الحربية من تطبيق احكام هذه المادة بسبب تعوّد اهاليها على التنقل

وهذه المادة لا تسري على القاهرة والاسكندرية

٥٩ — تعلق صور الكشوفة المنصوص عنها في المادتين (٥٤ و٥٨) في محل ظاهر في البلد وتبقى معلقة الى ٧ ايام

٦٠ — ترسل صور الكشوفة المنصوص عنها في المواد (٥٤ و٥٧ و ٥٨) الى مأمور المركز قبل الميعاد الذي تعينهُ نظارة الحربية وتكون كلها مختومة باختام عمدة البلد ومشايخها والصراف

٦١ — اذا قدمت شكوى للمأمور بان اسماً ادرج في الكشوفة او اسقط منها بدون حق او ان فيها خللاً آخر فعليهِ ان يبادر الى تحقيق هذه الشكوى

فاذا كان موضوع الشكوى هو اسقاط اسم من احدى الكشوفة وثبت للمأمور ان ذلك الاسقاط حاصل فعلاً فعليهِ ان يضيف الاسم الساقط الى الكشف الخاص بهِ . اما في كل حالة اخرى فيجب عليهِ ان يدوّن نتيجة التحقيق في الكشف الخاص بذلك

٦٢ — وعند الانتهاء من تصحيح الكشوفة وضبطها يرسل المأمور صورًا منها مختومة بختمهِ الى رئيس مجلس القرعة . وللمأمور ان يسقط من الصور التي يرسلها بهذه الصفة اسماء الاشخاص الذين تظهر وفاتهم في دفتر المتوفين. (ستأتي البقية)

ناموس النشوء في تقدم العمران

(٤)

ان المبدأ الاول في تقدم العمران جارٍ على الناموس المعروف بناموس الاستعمال والاهمال مع حفظ الموازنة بين تأثير المحيط الخارجيّ في الامة وبين تهيئها الداخلي التدريجي . وعبّروا عن ذلك بقولهم ان مبدأ التقدم الاجتماعي قائمٌ بانحطاط الانانيّة وارتقاء الغيريّة . فان هذا الناموس هو نفس ما يجري عليهِ ارتقاء الاحياء من ادناها الى اعلاها . فاذا وقع اختلالٌ سريع في الموازنة بين المحيط وحالة الحيّ الداخليّة كأَن يتغيَّر المحيط فجأَةً قبل ان يستعدَّ الحي لملائمتهِ صار الى الهلاك والانقراض . ولكن اذا تغيَّر المحيط على سبيل التدريج استعدَّ الحيُّ لهُ تدريجاً كذلك حتى يبقى معهُ على تمام الملائمة . فان لم تتم هذه الملائمة في جيلٍ واحدٍ تمت في ما يليهِ من الاجيال كما يُشاهد في حال المهاجرين من بلادٍ الى أُخرى الذين قد لا يتأتى استعدادهم لاحوال الوسط الجديد فيتمّ امرهُ في اولادهم والاحفاد

فيؤْخذ من ذلك ان تقدم التمدن انما هو تدريجيٌّ بطيءٌ في التربية واعتياد الوسط طبيعيًّا وعقليًّا واديبًّا حفظًا للموازنة بين الامة وبين المحيط فيجري ذلك من جيلٍ الى آخر وتسري عناصر التقدم بطيئةً في مجموع الجنس البشري غير ظاهرة في سريانها هذا الى العيان . فكلُّ مدينةٍ تبنى وكل مخترع يجد وكل رأيٍ يظهر الى ساحة الوجود وكل مبدإٍ ينتشر في المعمور يؤَثر شيئًا في المحيط الاجتماعي فتتغيَّر بهِ نسبة الامة اليهِ ويقضي عليها باستعدادها الداخليّ لهُ على التدريج . وكل ما ينتهي اليهِ حال الجيل الواحد من مبلغ التمدن ينتقل الى الجيل التالي فيضيف الى محيطهِ مادةً جديدةً بحيث يصبح محيط الجيل التابع الذي ينبغي ان يستعدَّ لهُ مختلفًا عنهُ . ثم اذا ارتقت الامة الى حالٍ جديدة من التمدن أثَّر ذلك في محيطها ايضًا وهذا

أُعدَّ للجيل الذي يليهِ محيطًا جديدًا على التعاقب والتبادل الى ما شاء الله

وهاك ايضاح ذلك ملخصًا مما ثبت لاهل النظر والتحقيق في تاريخ التمدن منذ نشأتهِ الاولى الى ما بعدها من الاطوار

اجمعت شهادة المحققين ان حال النوع الانساني الاولى كانت حال تعدٍّ وعداء وكان محيط كل قبيلةٍ مجموع قبائل مجاورة تناصبها الشرَّ وتضمر لها الاذى والضرَّ فتضطرُّ تلك القبيلة الى اتخاذ اسباب الحيطة والاستعداد الدائم لدفع شرّها وضرّها حتى تشغلها هذه الحال عمَّا سوى الاستعداد المستمرّ الى النضال والقتال

ثم لما كان عدد كل قبيلة قليلاً وأفرادها متشابهة الطبقة والحال كان مجال العواطف الغيريَّة محصورًا في العلائق الزوجيَّة والوالديَّة . على ان هذه العواطف مع ضيق دائرتها وضعف امرها كانت هي الجرثومة الاولى التي نشأت منها مبادئ الغيريَّة العظمى في ما تبع ذلك من اطوار تقدُّم التمدّن والعمران

ففيما كان محيط القبيلة القليلة العدد كلهُ عداء وحقدًا وانتقامًا لم يكن يخلو حالها الداخليَّة من موضعٍ لمبادئ الامانة والشكر والعدل والمحبة العائليَّة والمودة الشخصيَّة ومراعاة حقوق الرفيق والشريك على ما فيها من القلة والضعف . ولذا كان ميدان الانانيَّة في حفظ كيانها الخارجيّ ازاء اعدائها اوسع حدودًا من دائرة الغيريَّة في نِسَبها الداخليَّة وكانت هذه العواطف الغيريَّة على حداثة نشأتها مشوبةً بصبغة الانانيَّة . فكان اسماها ادبًا وفضيلةً العصبيَّة القوميَّة واخلاص الطاعة الى سيّد القبيل . هذه كانت صورة الحالة الاجتماعيَّة لاول عهدها على ما ينطق بهِ تاريخ كل امة الآن كهنود اميركا وسكان جزائر البحر المحيط وعرب البادية وغيرهم

واما الوجه الذي ترقَّت فيهِ الغيريَّة وانحطَّت الانانيَّة على التدريج فهو اتساع نطاق الامة عددًا وتنوُّع طبقاتها وتفرُّع نِسبها في دوائر الشرع والقضاء وتشعُّب طرق الرزق والاحتراف اذ بهذه العوامل يتسع المجال لمبادئ الغيرية لما يزداد فيها من النسب الاجتماعيَّة . وكلما ارتقت حال القبيلة المدنيَّة ارتقت معها هاتيك المبادئ على الدوام كما كان شأن امم مصر واشور وفارس والهند في سالف العصور (وكما هي حال الصين الى هذا اليوم في ضعف شؤونها المشهورة) وكما كان من امر اليونان القدماء بعد ان اتحدت قبائلهم فصارت مجموع محالفاتٍ وكما انتهى اليهِ حال الرومان فتألفوا امةً سياسيَّةً واحدةً تضمُّ عناصر مختلفة وقبائل عديدة . ففي كلٍّ من هذه الصور الاجتماعيَّة تقلُّ الحاجة الى ازدياد التحصُّن والدفاع الحربي فيحلُّ محلَّ الغزو والغارة محبة الارتزاق بمعايش الزراعة والصناعة وحينئذٍ تقوى الحاجة الى

التعاون الشعبي وينشأ للامة حاجات جديدة واحوال عمرانية مرتقية فيأخذ الميل الى المناوأة والقتال بالضعف والزوال على نسبة الطور الذي بلغتهُ كلُّ قبيلة من المدنيَّة والحضارة . وفي حال ارتقاء الامة المدني يصبح فضُّ المشاكل بين الفرد ومواطنيهِ اقناعيًا ضروريًا ادبيًا بعد ان كان القاضي بينهما حدُّ الحسام . وبعد ان كانت اسمى العواطف الادبيَّة عند الامة عاطفة الاعتصاب الجنسي تسود محبة الوطن باسمى معانيها الى الحدّ الذي بلغتهُ عند اليونان والرومان

ولنلاحظ هنا ان باعتلاء المبدإ الادبي تفقد الحياة الجندية نزعتها الاولى الانانيَّة المحضة وتمسي مدرسة التهذيب الاخلاقي وتضحية الذات مغتذية بعناصر الغيرية على قدرٍ غير يسير . يؤيد هذا القول المقابلة بين واقعتي ماراثون وثرموبيليا وبين غارة عصابة همجيَّة بما هو معلوم من قسوتها البربريَّة وقرمها الى شرب الدماء

على ان الظواهر الادبيَّة نظير اخواتها الظواهر الطبيعيَّة في انها قد لا يظهر فيها الفاصل بين العناصر المختلفة تمام الظهور ففي محبة الوطن التي اشرنا اليها كانت الانانيَّة غير مفارقة للغيريَّة . فمن الجهة الواحدة كانت الوطنيَّة مشابهة للاعتصاب الجنسي ومن الجهة الاخرى اتسعت حدودها حتى لحقت بالوطنيَّة العامة بين البشر اجمعين . فكان العنصر الاعتصابي دائم الظهور في المحبة الوطنيَّة بدوام تألف الامة المدني . وكأنما تاريخ اليونان بعد طرد الفرس من البلاد كان تاريخ النزاع بين الوطنيَّة العليا والوطنيَّة الدنيا . اما الرومان فحين مدُّوا رواق سلطتهم الى تخوم البحر المتوسط جامعين تحت جناحي نسرهم (شعار لوائهم) تلك القبائل المختلفة العناصر والنزعات — القائمة لذاك العهد على الخصام والعداء — بجامعة الاشتراك في مصلحة التهذيب والتجارة والسلم — حينئذٍ — تمهَّد لهم السبيل الى بث روح الوطنيَّة العامَّة التي كان من اعزّ اركانها المساواة بين طبقات الخلق في نظر الشرع

هذا ولا يجوز الغفلة في عرض هذا البيان عن انهُ لم يتأتَّ لهاتهِ الأُمة توطيد اركان هذا المبدإ (الوطنية العامَّة) الاَّ بعد ان عانت المشقات وتجشَّمت الاهوال من الانقلابات السياسية . وذلك لانها اتَّسع حجمها باسرع مما ارتقى جسمها بحدود الحجم . فتسرَّعت بسحق مبدإ الحكم الذاتي المكنون في صدور القبائل المتفرقة قبل الاوان واقامت الامبراطورية على رمَّة الجنسيَّة . فكان من الحكم الطبيعي ان قبائلها المختلفة العناصر لم تكن قد تمكَّنت بينها عُرى الاتحاد العام الصحيح فلم تقوَ على صدّ هجمات البرابرة واغاراتهم على حدود مملكتها المتسعة الارجاء . غير ان ذلك المبدأ (اي الوطنيَّة العامَّة) الذي غرستهُ الامبراطورية الاولى

لم يكن من حظهِ التلاشي والفناء بل نما وزكا وانبثت اصولهُ في نفوس ذلك الجيل يرثهُ الخلف عن السلف . حتى انهُ حين اصاب الاجتماع الاوروبي مرةً ما يكاد يقضي على اوصالهِ بالانحلال فيعود مجموعهُ الى قبائل متفرقة هبَّت كوامن تلك الجراثيم الموروثة من مبدإِ الرومان وتمَّت لها الغلبة على دواعي ذلك التفريق . وهكذا كان شأن تلك المبادئ الرومانية في ايام شارلمان العظيم بانتصارها على عوادي الانقسام الى المحالفة الجنسيَّة والاعتصاب الشعبي . وجملة القول ان مبادئ النظام الروماني هي التي مهَّدت السبيل الى النظام الاقطاعي في القرون الوسطى فكان اساساً للنظام الاوروبي وركناً من اركان العمران الحديث

فنرى من ذلك كلهِ ان التقدم في تغيُّر المحيط الاجتماعي مع متابعة الامم لهُ لم يحد عن قياس التدريج . فحيث تجد الامة باقيةً على حال السكون الداخلي والمحيطي كما في قبائل المتوحشين لا ترى اثرًا لذلك التقدم الاخلاقي المذكور . وحيث ترى نموًّا في العدد دون ارتقاء يقابلهُ في التركيب والتنوُّع في الوظائف والنسب كما في اكثر امم اسيا الحريصة على حال الخمول والجمود ترى حالها الاخلاقي والادبي وسطاً بين المتوحش والمتمدن وذلك كلهُ شاهدٌ على صدق القاعدة الاساسية المتقدمة الذكر وهي ان تقدم الامة جارٍ على ناموس الموازنة بين حال المحيط الخارجيّ وبين حالها الداخليّ وانها في خلال ذلك يرتقي محيطها فتسمو افكارها فترتقي اخلاقها وتلحقهُ في شوط الارتقاء الدائم على التعاقب المستمرّ

ولنقف الآن عند هذا الحد من البيان مرجئين استيفاء الكلام فيهِ على سائر وجوه الشبه بين ارتقاء الاجتماع ونشو الاحياء الى الجزء التالي ان شاء الله ولنعطف بعض النظر على اثر هذا البحث الجليل الشأن الى ما يبنى عليهِ من الاحكام الاجتماعية التي هي باحوالنا الشرقية امس وعلينا اصدق فنقول

اولاً — ما دام التقدم لا يرجى لحيّ قبل تغير محيطهِ فما احرى اهل الشرق فرادى وجماعات في توخي هذه الغاية بمازجة امم الارتقاء اليوم ما احرى ائمة التشريع باقتباس شرائع العدل والمساواة الى حد التام. ما احرى ذوي السيادة بالاقتداء بنظرائهم الغربيين في تسهيل اسباب النجاح على العباد . ما احرى اهل الغنى والثراء باقتفاء آثار ارباب النخوة الوطنية والغيرة الانسانية . ما احرى حملة العلم فينا بتحري اساتذتهم في انتقاء موضوعات الدرس والتدريس واعتماد احسن اساليب البحث والتحصيل . ما احرى المؤلف منا والكاتب والشاعر بمتابعة شركائهم السابقين بحسن الوضع واحكام التبويب واطّراح الحشو والتقعر وانتهاج مناهج الابداع والاختراع . ما احرى القابضين على ازمة ادارات المدارس ودوائر الخير العام بمحاكاة اولئك

المصلحين اعلام الفضل والهدى في السلوك يبني جلدتهم مسالك النبل والاخلاص فينبذون الاغراض ويعرضون عن الاعراض ويعمدون الى تعهد القديم بالتغيير والتقويم والقلب والابدال في ما وُكل اليهم من الاعمال. بل ما احرى بني المشرق اجمعين بالنهوض من رقدة التهم حرصاً على ما بقي لهم من جراثيم الحياة قبل ان يلحقوا بسالف الامم. هذا الاحتكاك بالغرب هو الذي نريده بتغيير المحيط لا مجرَّد التباهي بتقليد العوائد والازياء او اقتباس الالقاب والاسماء.

ثانياً — ان سنة الارتقاء هي التدريج ابداً والطفرة محال. هذا هو الذي يهوّن على المصلحين الحكماء في ايّ الاجيال ويكبح جماح الحدة والهياج ويأخذ المسالك على اهل التهوُّر ونزق الشباب. ينشأ بعض فتياننا اليوم على التبرُّم من حطة الشرق ودائهِ الدفين فتأخذهم النعرة على شرف ما يعبرون عنهُ (بالوطن) فيندفعون في تيَّار الحماسة وفي كل وادٍ من الوسوسة يهيمون. يزعمون ان الاصلاح يقوم بالقذف والسباب في قاعات الخطب ومقاعد الطلب وحلقات المجالس على ما يشاهد اليوم في مصر وتسير بهِ ركائب الاخبار وقد فاتهم ان الامواج لا تصدُّ بالهياج وان ما كُفَّ سيلٌ بالاكفّ ولا رُدَّ جيشٌ بقرع دُفّ ولا ساد بالجهل قوم. يرجُّون ان يمضي عام في ساعةٍ او ينقضي قرنٌ في يوم. نعم طال على الشرق رقادهُ ولكن ما رحم الليل سميرَهُ المسهَّد فعجَّل اليهِ الصباح. نعم اشتدَّ في الشرق فسادهُ حتى غلت القدور في الصدور غير ان الطيش مفسدة الاصلاح. فالعاقل العاقل من ذكر ان الامور مرهونة باوقاتها فصبر على الايام واستنَّ بسنة الزمان وجارى محيطهُ حتى يتنقل تنقل الافياء. هذه هي شريعة الوجود وهذا هو ناموس الارتقاء. فكلٌّ من تعجَّل الى دعوةٍ قبل اوانها يقطف الاثمار قبل نضجها ويأتي الامور في غير نهجها. فلكم رأى الشرق من عواقب التغرير ردًّا على الاعقاب وكم جازت الطبيعة عضّات الطياشة شديد العقاب حتى شدوا على انفسهم خناق الضيق بدل الافراج وزادوا على الداء ادواء من حيث يبغون العلاج

ثالثاً — المرء ابن محيطهِ على الدوام. فما اجهل من قصر نظرهُ في التنظير بين الاقران فمدح هذا على رُقيهِ وذمَّ ذاك على هبوطهِ في حال من الاحوال. تقول زيدٌ وعمرو متشابهان في الفطرة والاستعداد فتقدم الاول لنشاط العزم وتأخر الثاني لضعف النفس وقلة الحزم على حين انك لا تعلم محيط كل منهما من المنشإ والتربية وفعل الوراثة وتمكن العادات. ثم ترى قوماً دبَّ فيهم النشاط فلحقوا باهل الإقدام وقوماً آخرين بقوا على وهن العزائم وسقوط الهمم فتقول هناك ميدان العقول وهنا مقرُّ الجهل والخمول وقد فاتك النظر الى الفرق بين المحيطين من موقع البلاد وموضعها من مطامع اهل الإطماع واخلاقها الموروثة وحال قوَّادها من العدالة

والاستبداد الى غير ذلك من الاحوال الملابسة ومقوّمات الوسط والمحيط . فالحكيم المنصف من راعى هذه الاحكام الطبيعيَّة في احكامهِ فانصف الناس بمدحهِ واطرائهِ وتعنيفهِ وازرائهِ. ولعمر الحق ما وقع على نفسك من مكارهِ الدنيا اشدُّ من لوم اخيك وهو يجهل حالك ولا ذقتَ كاسًا امرَّ من تقبيح امرك وقد لا يكلف يومًا سؤالك

رابعًا -- ان كان تكامل المحيط موقوفًا بالطبع على تكامل الانضمام في ذراتهِ وعناصرهِ كما تنضم قطرات السحاب قبل الانصباب فلتطب نفوس بني المشرق وليستنشقوا انفاس الرجاء من منافذ اليأس ان فيهم اليوم في اقطار مختلفة فيهِ وبلدان متفرقة منهُ مَن ضمنوا من انفسهم التفاني في اصلاحهِ فوقفوا الارواح والاعمار والاموال على تنويرهِ وصلاحهِ يضيفون الى محيطهِ كل يوم ولو ذرَّة من عناصر التمدن القويم من نشر علم وانهاض همة والهاب لب يسلكون في ذلك مسالك الحكمة والدعة والسكينة والثبات حتى تُمثل حقائق افكارهم كما تُمثل مواد الطعام في الابدان وتسري عناصر الغذاء في خلايا النبات . لا يعلو صياحهم في المحافل والاسواق ولا يموهون بفضلهم على صفحات الاوراق وينشرون صلاحهم في الآفاق انما هم المربون الالباء والمرشدون الاصحاء والكتبة العقلاء هؤلاء هم الذين بجهادهم واجتهادهم سيبلغ الشرق ما قدر لهُ من النماء. فعلى اساس بنيانهم نشيد اركانهُ وبنبراس هديهم يتعالى شأنهُ في معارج الارتقاء

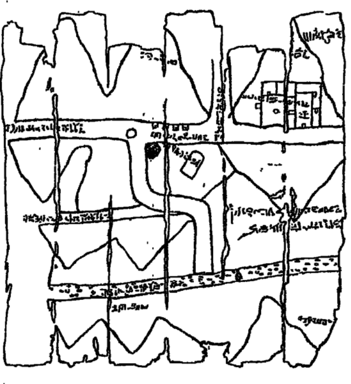
دمشق متري قندلفت

رسم الخرائط

نُشِر اطلس[1] بالامس في بلاد الانكليز كُتِبَ فيهِ انهُ أُنفق على عملهِ خمس مئة مليون جنيه ! اي مضاعف النفقات التي انفقتها انكلترا على حربها مع البوير . ومعلوم ان النفقات التي اقتضاها رسم ذلك الاطلس وطبعهُ لا تساوي عشر معشار هذا المبلغ ولكنهُ لم يرسم الاَّ بعد ان انفقت دول الارض ما لا يحصى من الاموال على تخطيط البلدان وقياسها بالضبط من عهد المصريين والاشوريين والفينيقيين الى الآن فقد اشتغلت كل الدول العظيمة بتخطيط البلدان ورسم الخرائط ولاسيما الدول الاوربيَّة وجمهوريَّة اميركا ولا تزال تشتغل كذلك واشتغل معها السيَّاح وارباب الرحلات من عهد حنو وهيرودوطس الى الآن. والاطالس الصغيرة التي يباع الاطلس منها ببضعة غروش لم يتسنَّ رسمها الاَّ بعد ان أُنفق ما لا يحصى من الملايين على تحقيق ما رُسم فيها

(١) الاطلس مجموع الخرائط سمي كذلك نسبة الى اطلس ملك مراكش كما سيجيء

والمال ليس كل ما أُنفق على عمل الخرائط بل لقد ذهبت الوف من النفوس ضحيَّة البحث والاستقصاء عن حدود البلدان وحسبنا شاهدًا على ذلك تجشُّم الاوربيين والاميركيين المشاق لكي يصلوا الى القطب الشمالي والقطب الجنوبي او يخططوا ما يجدونهُ حولهما من الاراضي ولكي يخترقوا مفاوز افريقية واسيا ويعرفوا كل مجاهلهما حتى تتمّ خريطة الارض ولا يبقى منها مكان مجهولاً



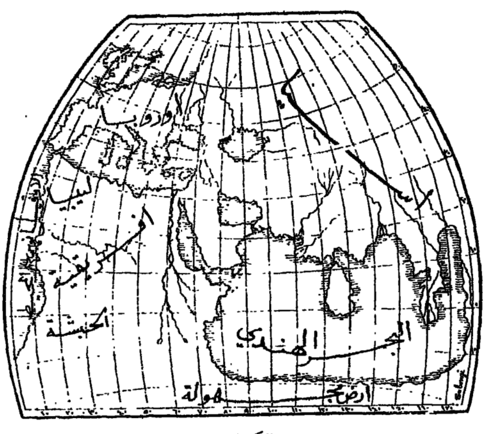
الشكل الاول

والانسان من اول عهده جوَّاب آفاق ينتجع المراعي والمناهل وقد اقام المعالم ليهتدي بها في رحلاته. والظاهر انهُ رسم الخرائط منذ عهد قديم جدًا لتكون مرشدًا لهُ في المسالك المترامية فقد رأينا صورة خريطة من عهد المصريين القدماء رسموا فيها مناجم الذهب في بلاد النوبة بين النيل والبحر الاحمر والطرق المؤدية اليها وهي المرسومة هنا وتاريخ رسمها سنة ١٣٧٠ قبل المسيح

وكان المصريون الاقدمون يرسمون طرق البلدان التي يدوخونها وكذلك كان الاشوريون والبابليون يرسمون مسالك البلدان وقد قسمت الدائرة الى ٣٦٠ درجة والدرجة الى ٦٠ دقيقة اقتداء بالبابليين في تقسيمها

واول من حاول رسم خريطة للمسكونة كلها الفيلسوف انكسيمندر اليوناني وكان ذلك سنة ٥٦٠ قبل المسيح فجعل بلاد اليونان مركز المسكونة وسائر البلدان محيطة بها . ثم قام مارين الصوري وألف الكتاب الذي اعتمد عليهِ بطليموس في جغرافيتهِ الشهيرة

وبطليموس هذا واسمهُ كلوديوس بطليموس من يوناني مصر نشأَ في الاسكندرية في اواسط القرن الثاني قبل المسيح واطّلع على كتب من تقدمهُ واستخلص منها ومن مبتكراتهِ العلمية كتابين كبيرين ارتشد بهما الناس ونسجوا على منوالهما الى ان بزغت شمس العلوم الحديثة منذ



الشكل الثاني

قرنين او ثلاثة وهما كتاب الجغرافية هذا وكتاب المجسطي في الفلك . وكتاب الجغرافية في ثمانية اجزاء ذكر فيها كل الاماكن المعروفة ووصفها وصفاً موجزاً وذكر اطوالها وعروضها وصنع ستّاً وعشرين خريطةً للبلدان المختلفة وخريطة واحدة تجمعها كلها وهي المرسومة في الشكل الثاني

واطبق ليل الجهل بعد بطليموس ولكن بقيت كتبهُ تنير حنادس الظلم الى ان قويت شوكة العرب واستعانوا بالسوريين على ترجمة كتب اليونان واهتموا بعلم الجغرافية فنسجوا على

منوال بطليموس. واضافوا الى معارف اليونان والرومان ما عرفوهُ برحلاتهم الكثيرة في اسيا وافريقية. وكانوا يقتصرون على رسم المدن والطرق التي يسار بها اليها ثم صاروا يرسمون الخرائط المسهبة. ودعا الملك روجر صاحب صقلية الشريف الادريسي في القرن الثاني عشر للميلاد فألَّف له كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق شرح فيهِ كرة ارضية صنعها من الفضة



الشكل الثالث

وصنعت خريطة عن هذه الكرة وهي المرسومة في الشكل الثالث. وبقي ليل الجهل مطبقاً على ربوع اوربا والذين يرسمون الخرائط الارضية فيها يجعلون القدس في مركز المسكونة ويرسمون حولها ما تصوّرهُ لهم المخيلة كبرج بابل وسفينة نوح وامرأة لوط والفرات ودجلة ويصورون سكان افريقية وعيونهم في اكتافهم الى ان كشفت اميركا وزادت الرغبة في الارتحال والاكتساب فصنع مركاتور خريطتهُ المشهورة والاطلس الاول او مجموع الخرائط وقد سماهُ

كذلك نسبة الى اطلس ملك موريتانيا او مراكش الذي قيل انهُ حُكم عليهِ بان يحمل العالم على عاتقهِ لانهُ نظر الى رأس المدوزا اي الغولة التي شعرها افاعي

وصنعت الاطالس في اوربا منذ نحو خمس مئة سنة ولا تزال آخذة في الاتساع والتدقيق وما يصنع منها هذا العام تدعو الحال الى تغيير كثير منهُ بعد اعوام قليلة على حسب ازدياد التحقيق وتغيير الحدود بين الممالك

ان من يملك مئة فدان من الارض في قطع مختلفة يجد اعظم مشقة في تحديدها ورسم تخومها فما قولك في رسم البلدان الواسعة والاقطار الشاسعة التي لا يرى اولها من آخرها وما فيها من شواهق لا ترتقى ومفاوز لا تسلك . لكن ما يعجز عنهُ الواحد لا تعجز عنهُ الممالك الكبيرة واهل العزائم من رجالها فان ممالك اوربا واميركا اناطت اعاظم مهندسيها بتخطيط بلدانها وغيرها من البلدان التي ليس فيها من يخططها وهي ترسل المسَّاحين جماعات واذا ضربوا في عرض البحار اعطتهم السفن والبوارج وزودتهم بكل ما يحتاجون اليهِ من الآلات والادوات وجعلت عملهم من جملة اعمالها الحربيَّة والبحرية تنفق عليها كما تنفق على الجنود والحصون بكرم حاتمي وهم يستعينون بالدقيق من الآلات الهندسيَّة والفلكيَّة على تحقيق الاطوال والعروض وقياس الابعاد والارتفاعات ومتى اتموا عملهم جاء الرسَّامون ورسموا نتيجة ذلك على القرطاس او اصلحوا به الخرائط التي بين ايديهم . ومتى تمَّ اصلاحها واعيد رسمها واريد ان تطبع بالوان مختلفة يظهر فيها مختلف البلدان رسموا كل جزء منها بلون واحد على حجر من حجارة الطبع الحجري وطبعوا الخريطة الواحدة مرارًا كثيرة حسب الالوان التي فيها . ولا بدَّ من الدقة التامَّة في ذلك كلهِ حتى لا يقع لون في غير موقعهِ ولا ينحرف حد عن وضعهِ ولو شعرةً وقد يكون في بعض الخرائط عشرة الوان فتدعو الحال الى اعادة طبعها عشر مرات متوالية

ولا بدَّ من تجليد الاطالس تجليدًا متينًا وعمل فهرس لها يذكر فيهِ كل ما ذكر فيها من اسماء البلدان والمدن والجبال والبحار والانهار مرتبة على حروف المعجم مع اشارات يستدل بها على موقعها اما بذكر درجات الطول والعرض ودقائقهما او بوضع حروف ترسم على الخريطة طولاً وعرضًا ويحصر بها مكان الاسم بين حرفين منها

وقد اهتمَّ البعض برسم الاطالس في بيروت والاستانة وهذه العاصمة نقلوها عن الخرائط الاوربية وكتبوا اسماءها بحروف عربية وزادت الحكومة المصرية ان اناطت بقسم المساحة في ديوان الاشغال اعادة تخطيط بلادها واضافة البحث الجيولوجي فيها الى القياس الجغرافي فاحسنت صنعًا لان ذلك وامثالهُ من الدعائم التي لا بدَّ منها لكل بلاد تريد ان تجاري غيرها في ميدان الارتقاء

نبأ من اليابان

زعماء الامَّة

لارتقاء الامم شرطان لا بدَّ منهما الاول ان تكون الامَّة مستعدة للارتقاء وليس في شرائعها وتقاليدها ما يبعدها عنهُ والثاني ان يقوم منها اناس ذوو علم وعزم يعرفون كيف يرشدونها في سبل الارتقاء ويقوون على مقاومة العقبات التي تعترضهم فيهِ. وقد ابنا في الفصول السابقة ان الشرط الاول كان متوفرًا للامَّة اليابانية لان ليس في شرائعها وتقاليدها ما يمنعها من الاقتداء بغيرها من الامم المرتقية . والثاني كان متوفرًا ايضًا لان امبراطورها رجل عاقل غيور يعرف مصلحة بلادهِ ويودُّ إسعاد رعيتهِ وحولهُ عصبة كبيرة من رجال الفضل والنبل استعدوا لمناصبهم بالدرس في اعظم المدارس الاوربيَّة والاميركيَّة وعادوا الى بلادهم وترقيتها نصب عيونهم والغرض الذي يرمون اليهِ

قال المستر ستد انهُ زار هؤلاء الرجال في بيوتهم وحادثهم طويلاً ووقف على آرائهم وهم لسبعة البارون شبوساوى والكونت اينوي والكونت اوكوما والشريف صدزوكا والمركيز يماغاتا والكونت متسوكاتا ورئيسهم الاكبر المركيز ايتو الذي قال عنهُ احد رجال اليابان "انهُ الرجل الذي تمثلت فيهِ بلادنا في حاضرها ومستقبلها والزعيم الذي تتجه اليهِ انظار كل الاحزاب متى وقعت البلاد في شدَّة سواء كان في الوزارة او خارجًا عنها"

المركيز ايتو

هو زعيم الامَّة اليابانية سواء كان في المنصب او خارجا عنهُ . ومن حين أُلفت الوزارة الاولى الدستورية في اليابان وهو الرئيس لها فعلاً ان لم يكن اسمًا لانهُ اذا اريد تأليف وزارة جديدة ليس هو رئيسًا لها فاول شيء يفعلهُ الوزير المكلف بتأليفها انهُ يزورهُ ويستشيرهُ في الذين يختارهم لوزارتهِ . واهالي اليابان كبيرهم وصغيرهم يثقون بهِ ثقة تامَّة ولو تحاملت عليهِ الجرائد الصغيرة من وقت الى آخر طعنت عليهِ حتى يقال انها لا تهاب شأن العظماء

والامبراطور يثق بهِ كما تثق بهِ الامَّة ويعدهُ صديقًا حميمًا لهُ وهذا يزيدهُ رفعةً في عين الامة لانها تنظر الى امبراطورها نظر العابد الى المعبود فلا تستطيع الاَّ استحسان ما يستحسنهُ

وحاول المستر ستد تشبيه المركيز ايتو ببسمارك وبنابوليون الاول ثم قال انهُ لم يقم في اوربا رجل يشبههُ تمامًا بل هو منقطع النظير كما ان ارتقاء اليابان السريع منقطع النظير فانها نشأت من لا شيءَ تقريبًا وفي ثلاثين سنة قبضت على ميزان القوة في الشرق الاقصى والمركيز

ايتو الفضل الاول واليد الطولى في هذا النشوء والارتقاء وما من احد بلغ الستين فقط من عمره وهو يستطيع ان ينظر الى ماضي بلادهِ ويرى فيها الفرق الذي يراهُ هذا الوزير الآن

وهو بعيد عن الدعوى تكلمْ في شؤُون بلادهِ فلا تسمع منهُ كلمة عجب . اتى انكلترا اول مرة سنة ١٨٦٣ في سفينة شراعيَّة لطلب العلم وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة . ولما عاد الى بلادهِ ظهرت نجابتهُ في المذاكرات مع السفراء فولّي عملاً متصلاً بعرفاءٍ أُعطي للاجانب ثم جُعل وكيلاً لناظر الماليَّة سنة ١٨٧٠ فذهب الى اميركا ليدرس الشؤُون الماليَّة فيها وبعد ثلاث سنوات جعل ناظرًا لنظارة الاشغال العموميَّة وعمرهُ اثنتان وثلاثون سنة وسنة ١٨٨٥ عهد اليهِ في تأليف وزارة جديدة وبقي رئيسًا للنظار ثلاث سنوات واعيد الى رئاسة النظارة سنة ١٨٩٢ فادار رحى الحرب الصينيَّة اليابانيَّة وبقيت وزارتهُ الى سنة ١٨٩٦ ورقي حينئذٍ الى رتبة مركيز ودعي لتأليف الوزارة ايضا سنة ١٨٩٨ و ١٩٠٠

وقد اوفدهُ الامبراطور الى اوربا واميركا مرارًا في مهام السلطنة ولا سيما سنة ١٨٨٢ حين اوفدهُ ليبحث في تأليف دستور يوافق بلاد اليابان ثم اوفدهُ اخيرًا لعقد المعاهدة الانكليزية اليابانية وهي المرة الخامسة التي زار فيها اوربا في مهمة سياسيَّة

اما انشاؤُهُ الدستور الذي قلب بهِ حكومة اليابان من الحكم الاستبدادي المطلق الى الدستوري المقيَّد فلم يكن بالامر السهل وقد قال عنهُ ما ترجمتهُ

"لقد كلفني هذا العمل عناءً كثيرًا فانهُ لم يكن في اليابان دستور استرشد بهِ الى معرفة الامور التي لا بدَّ منها . ولما اقررت على ما ظننتهُ لازمًا للبلاد كنت في ريب من إمكان العمل بهِ وكان لا بدَّ من احكام قواعدهِ حتى تكون ثابتة لا تتغير وذلك يستلزم النظر في عواقبها قبل الاقرار عليها وكان لا بدَّ من الاحتفاظ بكل حقوق الامبراطور المقدسة . وقد قمت بالعمل الذي طُلب مني ويسرني ان الدستور الذي وضعتهُ لبلادي لم تدعُ الحاجة الى تغيير شيءٍ منهُ حتى الآن"

وصرف همهُ الى اصلاح الحربية والبحرية فتمكن من قهر الصين وهو الذي جعل في اليابان عمارة بحرية تضاهي عمارات الدول الاوربية

وسنة ١٩٠٠ انشأ حزبًا سماهُ المجتمع السياسي الدستوري وقال في المنشور الذي نشرهُ على أعضائهِ ما ترجمتهُ "اذا كان قصد الحزب السياسي ان يكون مرشدًا لبلادهِ كما هو الواجب على كل الاحزاب السياسية وجب عليهِ اولاً ان ينظّم نفسهُ تنظيمًا تامًّا وان يخلص الخدمة لبلادهِ وان يتجنَّب الخطأ الفاحش وهو اعطاء الوظائف لغير الاكفاء لكونهم من حزبهِ"

هذا من حيث كونهُ زعيمًا سياسيًّا اما من حيث كونهُ رجلاً في هيئة اليابان الاجتماعية فقد زارهُ المستر ستد في مدينةٍ قرب توكيو فقابلهُ في القسم الاوربي منهُ لان منازل الكبراء في اليابان فيها قسمان قسم اوربي وقسم ياباني وجلس معهُ في غرفة تطلُّ على جبل فوجياما وهناك نظارتان يرى بهما الحجاج وهم صاعدون على ذلك الجبل ومائدة عليها كثير من الجرائد والمجلات الانكليزية لانهُ كثير المطالعة . فتكلم عما تمَّ في اليابان من التقدُّم السريع وقال ان كل ما اقتبسناهُ من الاوربيين صبغناهُ بالصبغة اليابانية قبل اقتباسهِ وكذا فعلنا بكل ما اقتبسناهُ قبلهُ كمذهب بوذه ومذهب كنفوشيوس هذا كان شأننا في الماضي وسيبقى كذلك . ولام المرسلين الذين اتهموا اهالي اليابان بفساد الآداب وقال انهُ مسرور لانهُ ليس في بلادهِ ديانة ظاهرة بل فيها قواعد ادبيَّة توجب على المرء ان يكون عادلاً مستقيمًا فهي في غنًى عمَّا في بعض الاديان من الاوهام والخرافات .

قال المستر ستد ثم دُعينا للطعام فخرجنا الى حديقة غناء تعتني زوجة المركيز بما فيها من الازهار وتقضي اكثر وقتها فيها وسرنا الى ان بلغنا القسم الياباني من بيتهِ ودخلنا غرفة المائدة فاذا الطعام كلهُ اوربي من افخر ما يكون والغرفة نفسها مزدانة ابدع زينة وفيها كثير من الازهار التي رتبتها زوجتهُ . ودار الكلام بعد الطعام على الصين فقال ان لا بدَّ لها من امبراطور حازم ولا مزَّقتها الفوضى سنين كثيرة. الى ان يقوم فيها زعيم قادر على لمّ شعثها وانقاذها من الدمار. ومن رأيهِ انهُ لا يمكن اصلاح الجنود الصينيَّة ما دام قوادها من الصينيين

وزار عواصم اوربا بعد ذلك ولقي الحفاوة والاكرام من ملوكها ولا سيما من قيصر روسيا وامبراطور المانيا وملك ايطاليا ووصل الى لندن في اواخر دسمبر الماضي وعلى اثر زيارتهِ عُقدت المحالفة بين انكلترا واليابان

البارون شبوساوى

البارون شبوساوى ليس من زعماء السياسة ولكن في يدهِ القوة المالية التي تدير السياسة . كان وكيلاً لناظر المالية فاستعفى من منصبهِ ودخل ميدان التجارة ولهُ الفضل الاكبر في تقدم بلادهِ ماليًّا وصناعيًّا . قال المستر ستد انهُ بلغ الثانية والستين من عمرهِ وهو الآن رئيس او مدير لنحو خمسين شركة كبيرة ولهُ اسهم في كل شركة صناعيَّة تنشأ في البلاد. وقد عُرض عليهِ حديثًا منصب نظارة المالية فرفضهُ لانهُ يقول انهُ يقدر ان يؤَثر في الحكومة وهو بعيد عن مناصبها اكثر ممَّا لو كان فيها . ولو رأى ان مصلحة بلادهِ تقتضي ان يقبل وزارة المالية لقبلها ولو اضطرَّ ان يستعفي من كل الشركات التي هو رئيس لها . وهو شديد الغيرة على مصالح

بلادهِ ونقدُّمها بنى كثيرًا من الملاجئ للمعوزين ووقف الاموال الطائلة على المدارس واعمال البر وهو الذي ادخل نظام الشركات الى بلادهِ

وقد زار اوربا قبل تنظيم الحكومة الجديدة وكان لابسا اللباس الياباني ومتقلدًا سيفين على عادة اليابانيين فلما وصل الى فرنسا رمى السيفين وخلع اللباس الياباني ولبس اللباس الاوربي. وبعث صورتهُ الى عائلتهِ فلما رأتها بكت وانتحبت على ما المَّ بها من العار اما هو فلم يعبأ بذلك بل بقي من ذلك الحين في مقدمة الآخذين مأخذ الاوربيين

وهو قصير القامة مملوءُ البدن محبوب جدًّا في بلادهِ لا يذكرهُ احد الَّا بالمدح والاطراء

الكونت اينوي

هو شيخ طاعن في السن لكنهُ شاب في الهمة والاميال تقلب في مناصب الحكومة المختلفة ولا يزال مستعدًّا للتقلب فيها وقد زار اوربا مع المركيز ايتو واربعة آخرين قبل انتظام الحكومة الجديدة ودرس هناك عوامل المدنية الاوربية وعاد الى بلادهِ ودخل مناصب الحكومة فارتقى فيها سريعًا واتصل بالامبراطور وجُعل ناظرًا للخارجية . ولما رأى ان الدول الاوربية تقاومهُ في وضع رسوم عالية للجمارك استعفى من منصبهِ لانهُ من المعتقدين بان لا بدَّ لارتقاء صناعة البلاد من وضع الرسوم الفاحشة على البضائع الاجنبيَّة. وزار اوربا مرارًا كثيرة وابنهُ سفير الآن لبلادهِ في برلين

وهو مغرم بجمع التحف اليابانيَّة وبيتهُ مملوءٌ من الصور القديمة ومصنوعات النحاس ولهُ ولع شديد بالحدائق وجمع الحجارة البديعة الالوان فيها ويقال انهُ من اكبر الثقات في مسائل اليابان الماليَّة وقد تقلب في اكثر مناصب الحكومة فكان ناظرًا للمالية وناظرًا للخارجية ورئيسًا للنظار

الكونت اوكوما

هذا الكونت من المغالين في الجري على اساليب الاوربيين حتى اتهمهُ اهالي بلادهِ بانهُ يقصد بيعهم للاجانب فقام عليهِ احد المتحمسين وقصد الايقاع بهِ فقتل الفرسين اللذين كانا يجران مركبتهُ وسائق المركبة ورماهُ بقنبلة من الديناميت مزقت فخذهُ الايمن لكنهُ بقي حيًّا فبُترت فخذهُ وعاد الى ما كان عليهِ من الانتصار للاجانب ووضع فخذًا صناعية وصار يمشي عليها بغير مشقة كبيرة

وهو مشهور في بلادهِ بانهُ افصح خطيب سياسي وتراهُ يضرب في طول البلاد وعرضها يخطب في المواضيع المالية ويحثّ الناس على تعليم اولادهم وقد كان ناظرًا للمالية ورئيسًا للنظار

وهو من زعماء حزب التقدُّم ومن اشد اعضائه حماسةً . وينتقد عليهِ البعض انهُ كثير الاماني شديد الآمال ولكن امانيهُ وآمالهُ تحققت كلها او اكثرها. ويقول بحرية التجارة مخالف صديقهُ الكونت اينوي في ذلك ولهُ مقالات كثيرة في المجلات الاميركية مع انهُ لا يعلم اللغة الانكليزية

ولهُ ولع بالتعليم وقد انشأ مدرستين الواحدة لتعليم البنات العلوم العالية والثانية لتعليم الصبيان العلوم العالية ايضاً ويتصل بالمدرسة الثانية دار طباعة لترجم فيها الكتب العلمية الى اللغة اليابانية وتطبع فيها. ولهُ بستان قرب المدرسة يعدُّ الاول بين بساتين توكيو وهو وزوجتهُ مغرمان بغرس الازهار والرياحين فيهِ ولاسيما الغرائب النادرة المثال

وهو والكونت اينوي لا يشيخان ولو علاهما المشيب ولا تفارقهما همَّة الشباب ولاسيما في المسائل الوطنية

الشريف صدزوكا

هو شاب عالي الهمة سائر في سبيل زعماء السياسة وسيكون لهُ شأن كبير في بلاده . لم يبلغ سن الكهولة حتى الآن ومع ذلك ترقَّى في كثير من المناصب العالية فكان وكيلاً لنظارة المعارف ولنظارة الخارجيَّة وهو اصغر عضوٍ في مجلس الاعيان وقد مُنح هذا الشرف اعترافاً بفضلهِ وكفاءتهِ . درس في المانيا وهو يتكلَّم الالمانية والانكليزية والفرنسوية وقد رافق المركيز ايتو لما كان في اوربا اخيراً كاتباً لهُ فادهش الذين رأوهُ بذكاء عقلهِ وقوة جدهِ وتفانيهِ في خدمة رئيسهِ . قال المستر ستد ولا بدَّ من ان تسند اليهِ نظارة المعارف او نظارة الخارجية

الكونت متسوكاتا

هذا الرجل اعظم رجال المالية في حكومة اليابان وقد بقي سنين كثيرة وادارة المالية في يدهِ ولا تزال في يدهِ حتى الآن . والناظر اليهِ يظن انهُ يرى البرنس بسمارك لشدَّة المشابهة بينهما وهو من المعجبين ببسمارك وبغلادستون وعندهُ تمثالاهما . وقد اقام وقتاً طويلاً في فرنسا يدرس نظاماتها المالية وعاد الى بلادهِ في اوائل العصر الجديد فوجد مجالاً واسعاً لاظهار معارفهِ . ولما كانت ادارة المالية في يدهِ اتمَّ عملين عظيمين الاول تحويل الاوراق المالية التي لم تتعهد الحكومة ان تبدلها بالنقود الى اوراق تعهدت بابدالها والثاني جعل الذهب معياراً للمعاملة . وهو الذي وضع نظام المالية اليابانية على اساس متين ولولاهُ ما استطاعت البلاد ان تنجو من العسر المالي وقت الحرب مع الصين . وقد كتب في مالية اليابان وفي الاعتماد على الذهب معياراً للمعاملة وكتابتهُ في هذين الموضوعين تدلُّ على علم واسع ورأي اصيل وهو من شيوخ الساسة المقربين من الامبراطور

المركيز ياغاتا

هو مرشال في الجيش الياباني وقد جاوز السادسة والستين من عمره ولكنهُ لم يزل منتصب القامة مملوءًا قوةً ونشاطًا بوجه باشّ وعينين برّاقتين حسن البزّة كما يكون القوّاد الاوربيون عادةً وهو من اكبر رجال السياسة عند اليابانيين ويظن البعض انهُ اكبرهم كلهم وقد كان رئيسًا للنظار اكثر من مرة وهو الذي ادخل نظام الجندية الحالي الى اليابان ويقال انهُ من اعلم الناس باحوال الصين وبما يلزم لاصلاحها

وقد لقي اشد المقاومة لما ادخل نظام القرعة العسكرية الى بلادهِ لان الجمهور كان يعتقد انهُ يستحيل الجمع بين ابن التاجر وابن الفلاح لكن تمّ الثورة الوطنية والتغلُّب على الجنود الصينية اثبتا انهُ أصاب كبد الصواب في تنظيم الجيوش اليابانية . ثم اثبتت الحوادث الاخيرة في بلاد الصين ان الجنود اليابانية لا تقل عن الجنود الاوربية انتظامًا وكفاءة

وقد كانت لهُ القيادة العامة زمانًا طويلاً وهو الآن متنحٍ عن المناصب ولكن افعالهُ الماضية تكسف كل ما فعلهُ او يفعلهُ سواهُ

—

هذه خلاصة الوصف الذي وصف بهِ المستر الفرد ستد رجال اليابان الذين عاونوا امبراطورها على ايرادها موارد الاسعاد . وصفهم كذلك في كتابهِ الذي نشرهُ في اوائل هذا العام بعد ان زار بلادهم وبحث في شؤُونها . ومن المحتمل ان بعضهم توفوا في غضون الشهور الماضية بعد ما نشر كتابهُ او تغيَّرت مناصبهم او حدث لهم ما يجب ذكرهُ في ترجماتهم لكننا لم نقف على شيء ذلك. وحسبنا من امرهم ما ذكرناهُ فان فيهِ الدليل الواضح على وجود الرجال في المشرق وعلى انهم اذا أُسعدوا بملك يعرف مصلحة امتهِ ويريد اصلاح بلادهِ ولم يكن في شرائعها وتقاليدها ما يبعدها عن الاصلاح ظهرت جواهرهم المخبوءة في نفوسهم وكفتهم ثلاثون سنة لترقيتها من حالة شبيهة بالهمجيَّة الى حالة لم تصل اليها بعض الممالك الاوربيَّة حتى الآن

وقد اوردنا هذه الفصول عن بلاد اليابان لا تزلُّفًا الى اهاليها ولا تفكهة لقراء المقتطف بل عبرةً وذكرى حتى يرى الساعون في اصلاح بلادهم من الشرقيين المثال الذي يليق بهم ان يحتذوهُ في اصلاحها ويرى ولاة الامر خاصةً ان الاصلاح غير بعيد المنال اذا شدوا العزيمة لتطلبهِ ولم يكن في العقائد المتسلطة على نفوسهم شيءٌ يبعدهم عنهُ . والاَّ فان بقيت عزائمنا فاترة وبقينا مستمسكين بالسخيف من العقائد الموضوعة التي تمنعنا من توحيد كلمتنا والاقتداء بغيرنا فلن تقوم لنا قائمة

المشي في النار

لبعض الناس اعمال غريبة مدهشة يتخذها دهاتهم سبيلاً للكسب زاعمين انها من الخوارق التي لا يستطيعها الا من أُعطي قوة تفوق قوى الطبيعة ولهُ اتصال بآلهة او ارواح وراء الطبيعة من ذلك مشي بعض الناس في النار او على الحجارة المحماة وهم حفاة الاقدام. وقد جرى ذلك حديثاً في جزائر فيجي امام بعض العلماء احتفالاً بتتويج ملك الانكليز ووصفتهُ جريدة ناتشر وصفاً علمياً وها خلاصة ما ذكرتهُ قالت

ان هذا العمل جرى في جزيرة مبنغا اجراهُ اناس من قبيلة مشهورة بتحمُّل اهاليها للحر الشديد. حفرت حفرة مستديرة في غاب كبير قطرها نحو ٢٠ قدماً وعمقها قدمان وغرزت فيها اوتاد كثيرة أُلقيت عليها سعوف النخل اليابسة واضرمت فيها النار ثم رصفت الحجارة في تلك الحفرة كما ترصف في الاتون وزيد اضرام النار تحتها وفوقها وظلت النار توقد يومين كاملين حتى صارت الحجارة بيضاء متلهبة من شدة حموها كما تصير في اتون الجير (الكلس) وصار يصعب على الانسان ان يدنو منها لشدة حموها ولأَنَّ الشظايا كانت تتشظى منها وتتطاير في كل الجهات. وحينئذٍ اتوا بعيدان كبيرة خضراء طول العود منها نحو عشرين قدماً وبحزم من الاغصان والدوالي الغليظة وربطوا الدوالي في رؤوس العيدان اناشيط او حلقات وجعلوا يلقونها على جزال الحطب التي لم يتم اشتعالها ويجرُّونها بها من الحفرة وكلما لمست هذه الحلقات او العيدان حجراً من الحجارة ازَّت واشتعلت حالاً دلالة على ان الحجارة كانت في اشد درجات الحمو. وظلوا يفعلون ذلك حتى لم يبقَ في الحفرة غير الحجارة فجعلوا يقلبونها بحلقات الدوالي المتصلة بالعيدان ويرصفونها بعضها بجانب بعض والحلقات تشتعل كلما اتَّصلت بها مع انها خضراء وهم لا ينفكون عن ابدالها بغيرها الى ان صارت الحجارة على استواء واحد تقريباً وحينئذٍ انتهى عمل هؤلاء الرجال وابتدأ عمل الذين يمشون في النار فخرج عشرة منهم من غابة لابسين ملابس غريبة ونزلوا الى الحفرة حفاة ومشوا على الحجارة مسرعين وداروا حول الحفرة كلها في نحو خمس عشرة ثانية. ورُميت لهم اوراق خضراء في وسط الحفرة فداروا اليها وداسوها وحالما وضعوا اقدامهم عليها ازَّت وخرج البخار منها واكتنفهم حتى كاد يحجبهم عن الابصار

وفحص احد الاطباء واحداً منهم قبل نزوله الى الحفرة فوجدهُ صحيح البدن ضربات نبضهِ تسعون في الدقيقة ويداهُ وقدماهُ ابرد من سائر بدنهِ. وقدماهُ نظيفتان لا رائحة فيهما ولا

يظهر انهُ عالجهما بشيءٍ من الاشياء واخمصاها ابيضان الى الصفرة صقيلان لينان جدًّا كأنهما من جلود الحداء

وكان هؤُلاء الرجال لا يرفعون نظرهم من الحجارة وهم يمشون عليها . وفحص واحد منهم بعد خروجهم من الحفرة فاذا ضربات نبضهِ ١٢٠ في الدقيقة واخمصا قدميهِ باردان وباطنتا رجليهِ سخنتان كأنهُ مصاب بحمَّى شديدة وكان لابسًا مئزرًا محوكًا من لحاء الاشجار والخلاخيل منها ايضًا فلم تشتعل بها النار ولا فعلت بشعر ساقيهِ . وداس الطبيب بعض تلك الحجارة بجزمتهِ فلم تسوَّد جلدها مع انها كانت حامية جدًّا لا تلمس . وطلب من احد الحذ ور ان يخرج لهُ حجرًا منها ولم يكن من الذين مشوا عليها فاخرج لهُ حجرًا بقدمهِ ولكنهُ لم يستطع لمسهُ بيدهِ

وقد علَّل الطبيب ذلك بان الحجارة من النوع المعروف بالاندسيت وقد وُجد بالامتحان ان سير الحرارة في هذه الحجارة بطيء جدًّا فاذا حُسب سيرها في النحاس الفا فسيرها فيها اقل من سبعة اي ان ايصالها للحرارة ضعيف جدًّا . واما اشعاعها للحرارة فكثير لانهُ اذا كان اشعاع الحديد مئة فاشعاعها ٤٨ ولذلك فالسطح المعرَّض منها للهواء يبرد ولو قليلًا والحرارة الباقية فيهِ لا تصل الى القدم بسرعة اذا كانت القدم تلمسهُ لحظة من الزمان لان هذه المدة غير كافية لانتقال مقدار كبير من الحرارة من الحجر الى القدم

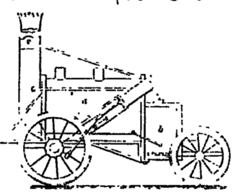
وخلاصة ذلك ان الحجارة المحماة يمكن دوسها بالاقدام ولو لم يكن لمسها بالايدي ممكنًا لان شعور الاقدام بالحرارة اضعف من شعور الانامل بها . ثم انهُ اذا كان الجسم غير موصل للحرارة كالماء وبعض الحجارة سهل لمسهُ ولو كان حارًّا لان الحرارة لا تنتقل منهُ الَّا ببطء مثال ذلك انك تستسهل لمس الماء السخن ولو كان غاليًا ولكنك لا تستطيع ان تلمس الاناء الذي فيهِ ذلك الماء اذا كان من النحاس او الحديد لان الحرارة لا تنتقل من الماء الى يدك بسرعة ولكنها تنتقل بسرعة من النحاس والحديد . ولذلك فالمشي على الحجارة المحماة ليس من الخوارق ولو كانت الحجارة شديدة الحمو اذا كان المشيُ سريعًا

هذا وبلغنا عن اناس يأكلون الجمر ويقضمون الزجاج ولا ينالهم مكروه ولم نسمع ان احدًا بحث في ذلك بحثًا علميًّا ولكن لا شبهة عندنا في ان هذه الافعال وامثالها اذا تولَّى البحث عنها عالم محقق لم يجد فيها شيئًا من الخوارق بل وجد انها جارية على مقتضى بعض النواميس المعروفة كناموس انتقال الحرارة في الاجسام وقد يجد انها جارية على مقتضى ناموس غير معروف كناموس اشعة رنتجن ولكنَّ هذا بعيد الاحتمال جدًّا

القاطرات ومخاطر سوقها

رأينا بالامس قاطرة اميركية من القواطر التي احضرتها الحكومة المصرية من معامل الولايات المتحدة الاميركية . رأيناها تئزّ وتزفر متحفزة للسير بقطار الصباح وهو كثير المركبات مشحون بالركاب والبخار يتلملم فيها من شدّة الحرارة ولا يجد لهُ منفذًا الا من مصراع السلامة فيفتحهُ بقوة انتشاره ويخرج منهُ بزفرات متتابعة تصمّ الآذان ولو احسن الوقّاد عملهُ لفتح لهُ بابا آخر وارسلهُ الى مخزن الماء حيث تحفظ قوتهُ من الضياع

وقد رأينا القواطر الاميركية الكبيرة في معرض باريس والقاطرة منها مضاعف القاطرة التي رأيناها امس وهي ليست اكبر ما صنع من نوعها. والقاطرة من قواطرنا تسير باسرع قطاراتنا ٣٧ ميلاً في الساعة واما القاطرة من قاطراتهم فتسير ٧٥ ميلاً في الساعة اي ان سرعتها



مضاعف سرعة قاطراتنا . الى هذا الحد بلغ اتقان القاطرات في نحو سبعين سنة فقد كانت في اول عهدها صغيرة بسيطة كما ترى في هذا الشكل .وهو صورة القاطرة الاولى التي صنعها ستفنصن منذ ثلاث وسبعين سنة ولم يزل الرجل الذي اجراها حينئذٍ حيًّا يرزق وكان حين اجراها فتًى في الرابعة من عمره

قلنا ان سرعة القطارات المصرية لا تزيد الآن على سبعة وثلاثين ميلاً في الساعة وحينما امتحنت قاطرة ستفنصن منذ ٧٣ سنة كان المظنون ان سرعة القاطرات لا يمكن ان تزيد على عشرة اميال او اثني عشر ميلاً في الساعة ومدّت حينئذٍ سكة حديدية بين لفربول ومنشستر طولها ٣١ ميلاً وعيّن اصحابها جائزة خمس مئة جنيه للقاطرة التي تجري عليها بسرعة لا تقلّ عن عشرة اميال في الساعة وتجرّ من المركبات ما هو اثقل منها ثلاثة اضعاف على الاقل فتقدّم ثلاث قاطرات للمباراة في هذا المضمار احداهنّ قاطرة ستفنصن واسمها الركت ففازت

بالسبق لان متوسط سرعتها كان ١٥ ميلاً في الساعة واعظمها ٣٥ ميلاً . فانظر مقدار ما ارتقت اليهِ هذه الآلات في ايدي ارباب العلم والصناعة

ولقد اعتدنا ان نلوم مديري السكك الحديدية كلما حدث خلل في قطراتهم كأَن الرجال الذين يسوقونها يعبثون بحياة الركاب لمجرَّد الفكاهة او التسلية وننسى ان هؤُلاء الرجال اشدُّ تعرُّضاً للخطر من كل راكب في القطرات وانهُ اذا لم يدفعهم الى الحذر التام الأَحبُّ السلامة فكفى بهِ دافعاً يزيد تأْثيره في نفوسهم على كل مراقبة وانتقاد. وهؤُلاء الساقة ليسوا من ارباب الاقلام حتى يدافعوا عن انفسهم الاَّ اننا عثرنا الآن على مقالة وجيزة كتبها المسيو اوجن ردلُف سائق اكسبرس الشمال الذي يجري بين باريس وكاله ذكر فيها بعض المخاطر التي يتعرَّض لها الساقة فرأَينا ان نلخص منها ما يلي قال

مضى عليَّ الآن عشرون سنة وانا اسوق قطرات تقطع ١٢٠ كيلومترًا في الساعة (٧٥ ميلاً) وهي تقطع هذه المسافة الآن ولو كانت الطريق صاعدة مع ان ثقل القطار ٣٧٥ طنًّا وكنا لا نقطعها بها قبلاً الاَّ اذا كانت الطريق نازلة

والمخاطر التي تمرُّ بنا كل يوم تفوق الوصف ولو كنا نوجس منها لكنَّا نطلّق هذه الحرفة بتاتًا لاسيما واننا نعلم ان سلامة جمٍّ غفيرٍ من الناس متوقفة علينا وهذا الخاطر لا يفارقنا لحظة من حين تشرع القاطرة في المسير الى ان تصل الى المحطة. واقل اهمال يوردنا ويورد كل من معنا موارد الهلاك ولاسيما اذا كان القطار نازلاً. وكثيرًا ما تسير المواشي على الخط فاذا لم يرَها السائق ولم يتمكن من ايقاف القطار قبل الوصول اليها فقد تخرجهُ من الخط فيرد حتفهُ هو وكثيرون من الركاب

على مقربة من باريس سرب قصير ضيق مظلم تمر سكة فيهِ وسكة فوقهُ . وحدث منذ مدة اني وصلت اليهِ وكان قطار آخر سائرًا فوقهُ فناداني السائق قائلاً قلل سرعتك فاستغربت نداءهُ ولكنني قلت في نفسي ان لا بدَّ لهُ من سبب فقللت السرعة ولما خرجت من السرب رأَيت امامي بقرة واقفة في منتصف الطريق ولو لم اسمع نداءهُ وبقيت مسرعاً لانقلبت القاطرة والقطار

والضباب من الد اعدائنا فان سائق الاكسبرس يقطع ميلاً او اكثر في الدقيقة ولابدَّ لهُ من ان يعتمد على الاشارات التي ترفع لهُ وهو قد لا يراها حينئذٍ على ابعد من متر فلا يتبيَّن ما هي حتى يكون قد ابعد عنها امتارًا كثيرة واذا لم يرَها جهل موقعهُ ومصيرهُ وقد يصير الى الهلاك بسرعة البرق

واشد ما لقيتهُ في حياتي اني تممت مرة من مدينة كاله في الساعة الاولى بعد نصف الليل وكان المطر غزيرًا والظلام حالكًا وكنا نسير بسرعة خمسين ميلاً في الساعة فمررنا بقطر بضاعة آتيًا من باريس وجزناهُ حالاً وبعد قليل سمعت صريفًا خفيفًا فبادرت الى انبوب البخار (النفس) وقطعتهُ لكن القاطرة وثبت عن الخط وتدهورت عن الجسر الذي تحتهُ وكان ارتفاعهُ عشرين قدمًا فوقعت على ظهرها وغرزت مدخنتها في الارض وارتفعت عجلاتها في الهواء ولحسن الحظ لم ينفجر الاظان بل تفرَّغ ماؤُهُ من صمام السلامة . وارتميتُ انا والوقَّاد على بعد من القاطرة واصابنا الماءِ السخن فسلقنا ولكنهُ لم يقتلنا ولما افقت مما اصابني كان اول خاطر خطر لي ان لا بدَّ من ان تصل قطرات أُخرى وتصطدم بقطارنا فتتكسَّر وتكسر ما بقي من مركباتنا فجمعت ما بقي فيَّ من الرمق وهرولت الى اقرب مكان فيهِ رقيب وأخبرتهُ بما جرى ليرفع الاشارات الى القطارات الذاهبة والراجعة حتى تتقي الخطر

ثم عرفت ان سبب ما اصابنا كرة من الحديد وقعت على الخط من قطار البضاعة الذي مررنا بهِ وبقي تأثير تلك الوقعة في ذهني حتى صرت انزعج لاقل حركة . وبعد ان شفيت مما اصابني من الرضوض ركبت القطار المنحدر الذي يسير بين باريس وكاله فلما وصلت الى المكان الذي جرت فيهِ الحادثة المذكورة لم اتمالك من ان التفت اليهِ لامعن نظري فيهِ فطار الفؤاد قبعتي. وكان الوقَّاد اشد مني اضطرابًا وحدث ان لولبًا انكسر حينئذٍ فانقمع واخذ يرتجف كالقصبة وهو يحسب اننا وقعنا في مهلك آخر

ومن المخاطر التي مرَّت بي اني كنت مرةً في محطة الشمال بباريس وكنت آخذًا القاطرة الى المخزن ووقفت عند مفترق الطريق منتظرًا المفتاحجي ليفتح لي الطريق المؤدية الى المخزن واذا انا باكسبرس ليل مسرعًا نحوي وفي اقل من طرفة عين وثبت من القاطرة وخطفت القنديل الاحمر واسرعت الى ملاقاتهِ ووقفت انادي السائق باعلى صوتي كالمجنون والوح لهُ بالقنديل ولحسن الحظ رأى السائق القنديل واوقف الاكسبرس على خمسة امتار من قاطرتي فعدت اليها وقد بللني العرق وانا انتفض كالعصفور بللهُ القطر

حقًّا ان مخاطر ساقة القطرات تفوق الوصف وقد يختلُّ شعورهم من شدَّة ما يلاقونهُ من الاهوال ولكنهم اذا وضعوا يدهم على القاطرة فجرت تسابق الرياح شعروا بانشراح لا يفوقهُ انشراح

هذا قليل مما يقولهُ كل سائق من سائقي القاطرات وما يقولهُ كلُّ وقَّاد ومفتاحجي وهؤُلاء اشدُّ تعرُّضًا للمخاطر من كل احد وكثيرون منهم يلاقون منيتهم في حال قيامهم بما يُطلب منهم فليس من الانصاف تشديد اللوم عليهم

البيسكل وتاريخهُ

من المخترعات ما لا يتجاوز نفعهُ حدَّ التفكُّه بهِ كالفونوغراف مثلاً ومنها ما يرتقي على مرّ السنين فينمو ويتسع ويصبح من الحاجيات لما في استخدامهِ من الاقتصاد في الوقت والقوَّة اللذين لهما الشأن الاكبر والمقام الاوَّل في حضارة كل قوم . ومن هذا القبيل البيسكل (او الدراجة) فقد ظهر منذ زمن قصير بمظهر لم يكن اعظم انصارهِ حينئذٍ يحسبهُ فاتحةً للارتقاء الذي اصابهُ بتوالي الزمان فيصير في مقدمة المخترعات المستخدمة في قضاء الاعمال كما هو الآن.

والبيسكل كما نراهُ اليوم حديث العهد بالوجود لكنهُ جرى شوطا بعيداً من الارتقاء والاتقان في زمن قصير شأن غيرهِ من المخترعات المفيدة كالتلغراف والتلفون والآلة البخارية فتناولتهُ ايدي ارباب القرائح والهمم العالية تحسيناً وتبديلاً وافرغ الصنَّاع عنايتهم في اتقانهِ حتى انزلوهُ في المنزلة العليا بين المصنوعات فاصبح مثالاً في الدقة والكمال الميكانيكيين كما يتضح لمن يتأمل اجزاءهُ الدقيقة وينعم النظر في حسن صنعها وخفتها ومتانتها

اما تاريخ نشأتهِ وسيرهِ فيقال فيهِ اجمالاً انهُ وُلد في فرنسا وبلغ اشدَّهُ في انكلترا واعتزَّ شأنهُ في اميركا بلاد العجائب والغرائب . اما كيفية نشوئهِ وزمان ظهورهِ فلا يزالان غامضين شأنهما في سائر المخترعات الكبيرة وقد زعم بعضهم ان البيسكل اخترع في القرن الخامس عشر لكن المتفق عليهِ عند الباحثين عن اصلهِ ان الموسيو دي سفراك الفرنسوي عرض في باريس في اوائل القرن التاسع عشر آلة سماها سلربيد (الرجل السريعة) وهي مصنوعة من عجلتين من الخشب بينهما شبه مقعد من الخشب ايضاً يجلس عليهِ الراكب فتطأُ رجلاهُ الارض وتدفعان الآلة فتدور العجلتان اما تحويل وجهة السير فيتمُّ بادارة مقبض متصل بالعجلة الامامية

ونحو ذلك الوقت صنع البارون ڤون دراي مركبةً اخرى لكنها كانت كسابقتها ثقلاً وبطوءًا وكلتاهما لا تفي بالغرض المطلوب . وفي سنة ١٨٥٥ صنع ميشو من صانعي المركبات في باريس مركبة من هذا النوع حوَّر فيها التركيب المألوف فوضع "الركبة" الاولى على العجلة الاماميَّة ففتح بذلك باباً كبيراً للاتقان لان جميع ما تلا هذا الوضع من التحسين والتبديل في اشكال البيسكل التي ظهرت في الربع الاخير من القرن التاسع عشر كان مدارهُ على مبدإ "الركبة" و"الدواسة" ثم قام لالمان الفرنسوي فاحدث بعض الاصلاح في مركبة ميشو وفي سنة ١٨٦٦ سافر الى الولايات المتحدة وصنع فيها آلة سماها الفيلوسبيد (الرجل السريعة) ولم يكن اسم البيسكل معروفاً بعدُ

وفي سنتي ١٨٦٦ و١٨٦٧ شاع ركوب الفيلوسبيد بين اهل فرنسا لاسيما كبارهم اقتداء بالبرنس امبريال ابن الامبراطور نبوليون الثالث فكثر الطلب على هذه المركبات في اوروبا واميركا لكنَّ المناظرة كانت منحصرة في التفنن في الركوب لا في سرعة جري المركبات وكان سراة باريس يذهبون الى الاوبرا راكبين الفيلوسبيد لكنَّ ذلك لم يطل فلم يعد الناس يحفلون بهِ لخشونة مركبهِ وقبح شكلهِ فتنوسي امرهُ وانقضى أجلهُ كانهُ بعض ازياء باريس الكثيرة الانتشار القصيرة الاعمار

وكان بعد ذلك ان الانكليز اهتموا بهذه الآلة اهتمامًا شديدًا فصنع واحد منهم اسمهُ توماس همبر مركبة في سنة ١٨٦٩ وجعل العجلتين متماثلتين شكلاً وحجماً وصنع غيرهُ آلة أُخرى على طرزٍ جديد فالعجلة الامامية فيها اكبر جدًا من الخلفية وكانوا يسمون هذه المركبة "بالعادية" وظلَّت شائعة نحو عشرين سنة واستعملت على قلَّة في مصر والشام . وبلغ من شغف الانكليز بالبيسكل بين سنتي ١٨٧٠ و١٨٨٠ ان معاملهُ انتشرت في انحاء بلادهم وكثر المصنوع منها

لا ريب في ان الاميركيين أقرب الامم الى تناول المفيد والانتفاع بهِ مجرَّدًا عن مصدرهِ لكنهم لم يجروا على هذا الحكم في امر البيسكل فلما عرضت بعض مركباتهِ عليهم في معرض فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ قابلوها بالاعراض وقد يستغرب القراء ذلك منهم ويزيد استغرابهم اذا علموا ان الولايات المتحدة تنفق الآن على هذه المركبات اكثر من مئة مليون ريال في السنة او عشرين مليون جنيه حتى صارت صناعة البيسكل من اوسع الصناعات الاميركيَّة واعظمها شأنًا كل ذلك جرى في خلال عشرين سنة وقد بلغ من اعجابهم بهِ منذ بضع سنوات ان كبارهم وصغارهم رجالاً ونساء كانوا يستخدمونهُ في قضاء الحاجات والنزهة في الاقامة والحضر حتى لما اضرب عمال الترامواي في فيلادلفيا عن العمل وكان العام شديد البرد جعل النساء يركبن البيسكلات الى السوق فيقضين حوائجهنَّ اما الرجال والنساء المستخدمون في المحالّ التجارية والمصانع والمعامل والحكومة فكانوا يركبون البيسكل جميعاً في الذهاب الى اماكن عملهم وفي الاياب منها . وقد كثر الآن استعمال الاوتوموبيل واتخذهُ كبراء القوم بدل البيسكل

ومما فعلهُ الاميركان من اصلاح البيسكل التبديل في تركيبهِ فاستعيض من العجلة الكبيرة الامامية بعجلة اصغر منها وأُخر السرج عن مكانهِ وغيّر شكل المقبضان واوضاعهما حتى يتيسر للراكب تسيير العجلة بقدميهِ بعد ان أُبعد السرج عن "الدواستين".

وفي سنة ١٨٨٣ اخذت يد الصناعة والاجتهاد تدخل التغيير والتحوير في البيسكل فجعلت

الهيكل خماسياً بعد ان كان مربعاً او كثير الاضلاع اذ اتضح لصانعي البيسكل ان الشكل الخماسي امتن تلك الاشكال واقلها نفقة

وكان من جملة اسباب النقص في البيسكل ارتجاجهُ اثناء سيرهِ بحيث يرتج جسم الراكب فيصيبهُ عناءٌ شديد فانصرفت همة المخترعين الى تخفيف هذا الارتجاج او منعهِ وكان في ارلندا طبيب بيطري اسمهُ دنلوب فشكا اليهِ ابنهُ ذات يوم ما يلاقيهِ من العناء في ركوب بيسكلهِ بسبب الارتجاج فخطر للأب ان يصنع اطاراً مجوفاً من الكاوتشوك يملأهُ بالهواء المضغوط وامتحن ذلك فوفى بالغرض فذاع اكتشافهُ في الخافقين واقبل الناس على الاطارات المجوفة اي اقبل حتى صار المطلوب منها يتجاوز الملايين ولا تزال هذه الاطارات تنسب الى صانعها الاوَّل الَّا ان راكبي البيسكل كانوا يشكون من سرعة عطب هذه الاطارات لسهولة ثقبها فحاول بعضهم ان يستبدلها باطارات الكاوتشوك المصمت فلم يفلح لقلَّة اقبال الناس عليها بسبب ضخمها وثقلها

وتصنع الاطارات المجوَّفة على شكلين امَّا الاوَّل فانبوب واحد بهيئة "خرطوم" الماء فاذا ثقب اضطرَّ الراكب الى سدّ الثقب وامَّا الآخر فانبوبان الظاهر منهما ثخين متين والداخل دقيق فاذا ثقب هذا وهو اسرع الاثنين عطباً لرقتهِ نزع من مكانهِ ولُحم ما تمزق منهُ

ومن ضروب التفنن في صنع البيسكل ما فعلهُ الاميركان سنة ١٨٩٣ من استبدال اطار العجلة الصلب (الفولاذ) الذي يلي اطار الكاوتشوك باطار من الخشب لامتياز هذا على ذاك في الخفة ولتساويهما في المرونة والمتانة

ومن غريب امر البيسكل ان التفنن في اتقانهِ كان بطيئاً في اول العهد سريعاً في السنوات الاخيرة فترى كل يوم شيئاً من التحسين والتبديل في بعض اجزائهِ. وقد لا يخطر على بال القراء ما يقتضيهِ صنع اجزائهِ وتركيبها من المهارة الميكانيكية والدقَّة في اختيار احسن المواد والعناية في إحكام ربط هذه الاجزاء الواحد بالآخر حتى تجمع الآلة بين خفَّة الوزن والمتانة وسهولة الحركة وقلة الاحتكاك والتوازن وهي مطالب تستدعي اشد العناية والحذق الميكانيكي

امَّا سرعة سير البيسكل فتفوق سرعة سائر المراكب ما خلا الآلة البخاريَّة فقد قطع بعض راكبيهِ ميلاً واحداً في دقيقة واحدة وعشرة اميال في ٢٠ دقيقة و٢٩ ميلاً في ساعة واحدة و ٥٢٩ ميلاً في اربع وعشرين ساعة ومن هؤلاء الركاب من طاف بلاداً بامرها او قطع قارَّات على بيسكلهِ

ولبعضهم مهارة وتفنن في اشكال الركوب فمنهم من يقف على السرج والمقبض او على

السرج فقط او يركب عليه كل ذلك والبيسكل مسرع في سيره ويركب بعضهم على العجلة الخلفية وينزع العجلة الامامية ويرفعها بيده او يفعل ذلك وينزع العجلة الامامية وينكث اجزاءها وهو سائر على العجلة الخلفية فقط وقد يسير بالبيسكل الى الوراء او يقلب البيسكل ويقف على الدواستين ويدير العجلتين كذلك او يركب العجلة الكبرى المعروفة "بالاعتيادي" ويوازن نفسهُ عليها "بالدواستين" فقط وكان احدهم ينقر على العود وهو كذلك او يحمل رجلاً على كتفيهِ وهذا يحمل آخر الى غير ذلك من ضروب التفنن في الركوب حتى لقد يخال الناظر ان الراكبين من مهرة السحرة

وبين ركاب البيسكل كثيرون من الملوك والامراء والحكام وكبار رجال العلم والأدب وقد انشأت بعض الدول فرقاً من جنودها تسير راكبة البيسكل فتسبق الفرسان

وللبيسكل جرائد خاصة بهِ وهي تبحث عن الطرق الملائمة لراكبيهِ والمتنزهات والبقاع الجميلة التي تحسن زيارتها فتصف كيفية الوصول اليها وتعيّن الفنادق الواقعة على الطرق حيث يمكن لراكبي البيسكل ان يجدوا فيها الطعام واسباب الراحة وتنشر اعلانات صانعي هذه الآلات وتطرف قراءها باخبار البيسكل وراكبيهِ وتطلعهم على ما يجدُّ من اتقانهِ وتحسينهِ لكن صانعي الاتوموبيل ناظروا صانعي البيسكل في ذلك كلهِ

والخلاصة ان البيسكل اليوم من خير الوسائل المستخدمة للاقتصاد في الوقت والقوَّة والمال فضلاً عن نفعهِ للصحة اذا اعتدل في ركوبهِ اذ الافراط في ذلك مجلبة للضرر لا سيما للذين يشكون من العلل القلبية والصدرية

شركة العمَّال

خطر لجماعة من العمَّال منذ خمس وخمسين سنة ان يتعاونوا على ما ينجيهم من مخالب الباعة الذين كانوا يبيعونهم لوازم المعيشة باثمان باهظة وكان ذلك في معمل بضواحي مدينة ليدس ببلاد الانكليز فاجتمع سبعة منهم ونشروا منشورًا في ٢٥ فبراير (شباط) سنة ١٨٤٧ قالوا فيهِ انهم لقوا الامرَّين هم وعيالهم من غلاء ثمن الدقيق ورأوا ان لا بدَّ لهم من ان يبذلوا جهدهم لمقاومة طمع التجار ودفع الحيف عن انفسهم وقد ارتأوا ان يجتمعوا ويكتتب كل واحد منهم بمبلغ لا يزيد على جنيه يدفعونهُ اقساطاً اسبوعية ويستأجروا بالمبلغ الذي يجمعونهُ بهذا الاكتتاب مطحنة يشترون منها طحينهم وهم يتوقعون ان يبلغ عدد المكتتبين الفاً من العمَّال

ولم يمضِ شهران على نشر هذا المنشور حتى اكتتب ١٠٢٣ من العمال دفع كل منهم خمسة غروش ابتداء وفي غرة اكتوبر من تلك السنة صنعوا الخبز من الدقيق الذي طُحن في مطحنتهم واجتمعوا كلهم في محفل حافل واكلوهُ معاً مسرورين وكان الدقيق اسمر دون الدقيق الذي يباع في السوق لوناً وطعماً لكنهم اصلحوهُ رويداً رويداً حتى صار مثل اجود انواع الدقيق ورخصوا ثمنهُ فاضطرَّ باعة الدقيق ان يرخصوا ثمن دقيقهم مجاراةً لهم . ولم تمضِ ثلاث سنوات على اعضاء هذه الشركة حتى بلغ ربحهم من هذه المطحنة اكثر من عشرة آلاف جنيه

وكانت الحكومة تمنع الشركة من بيع دقيقها لغير اعضائها لئلاَّ تفترَّ بالتجار ثم سمحت لها سنة ١٨٥٢ ان تبيع من تشاء فصارت تبيع كل اسبوع بالف ومئتي جنيه

وسنة ١٨٥٦ قرَّ قرار اعضائها على توسيع اعمالها وبيع كل اللوازم من طعام وشراب وكساء فبلغ رأس مالها بعد اربع سنوات نحو خمسة عشر الف جنيه وبلغت قيمة ما باعتهُ تلك السنة سبعين الف جنيه . ثم زاد رأس مالها على حاجتها حتى اضطرَّت ان تردَّ بعضهُ الى الشركاء وجعلت البيع كلهُ نقداً فاقتدى بها غيرها من الباعة فتغيَّر اسلوب البيع والشراء من ذلك الحين. وزاد عملها اتساعاً حتى صارت ارباحها السنوية تبلغ عشرة آلاف جنيه فرأت ان تنفق هذا الربح الوافر في بناء البيوت الصحية للشركاء . ولمَّا مضى عليها خمس وعشرون سنة من حين تألفت ارتكبت خطأً فاحشاً عاد عليها بالخسران وهو انها اشترت منجماً كبيراً من مناجم الفحم الحجري فاضاعت كل النقود التي دفعتها ثمناً لهُ لكنها تعلمت من ذلك ان لا تخاطر في عمل لا تعلمهُ

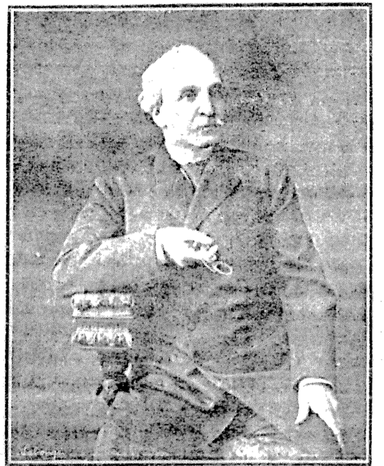
وعادت الى توسيع مخازنها وتكثير عددها واحترقت مطحنتها الاولى سنة ١٨٨١ فبنت مطحنةً غيرها اكبر منها كثيراً وفتحتها باحتفال عظيم اظهرت فيهِ ثروتها واتساع اعمالها فانضمَّ الى الاشتراك فيها حينئذٍ الف عضو زاد بهم رأس مالها ثمانية آلاف جنيه في يوم واحد

وسنة ١٨٩٢ اهتمت بالزراعة ايضاً حتى تكون كل حاجياتها مما ينتجهُ اعضاؤُها فزادت اعمالها زيادة بالغة وقد بلغت قيمة البضائع التي باعتها هذه السنة ثلاثة ملايين من الجنيهات وبلغ الصافي من ارباحها اكثر من مئتي الف جنيه بعد ان دفعت ربا رأس المال وما يلزم للاستهلاك

فمن مطحنة صغيرة اقيمت سنة ١٨٤٧ نشأ ثمانون مخزناً كبيراً وما يلزم لها من المطاحن والمخابز والمسالخ والحقول وكلها خاصة بالعمَّال الذين اشتركوا في هذه الشركة وزد على ذلك انها بنت لاعضائها سبع مئة بيت وساعدت غيرهم على ابتياع البيوت وتفرَّع منها ثلاثة عشر فرعاً فيها ١٥٠٠ من المستخدمين تبلغ رواتبهم السنويَّة ٧٥٠٠٠ جنيه ولها الآن ١٢

مخزنًا من مخازن الفحم الحجري وعشرون مركبًا وسبعون مركبةً من مركبات سكك الحديد لنقل بضائعها . وعدد اعضائها الآن اربعون الفًا وقد ردّت لهم الاموال التي دفعوها مرارًا كثيرة لوفرة ارباحها

سليم ده نوفل



يمسك المنشئ القلم ويخط بضع صفحات يثبت فيها ما يعلمهُ عن موضوع من المواضيع او ما اقتبسهُ من غيرهِ نقلاً او ترجمةً او تلخيصاً وينشرهُ في رسالة او جريدة وهو لا يدري ما يكون لهُ من الاثر نفعاً كان او ضرًّا . ولو تتبعت آثار ما يُكتَب وينشر كل يوم في البلدان المتمدنة لرأيت نصف افعال الناس وآرائهم ناتجًا عمَّا يقرأون والنصف الآخر عن سائر ملابساتهم

منذ سبع وثلاثين سنة كنَّا نطلب العلم في مدرسة عبيه وكانت العادة المتبعة هناك ان

يقف واحد من التلامذة وقت الغداء ويتلو فصلاً من كتاب علمي او ادبي على سماع التلامذة حتى لا يضيع وقت الاكل في الاحاديث الفارغة ولا في الصمت على غير جدوى لانهُ لا يعسر على العقل ان يشتغل ويعي وقت تناول الطعام وقبل ان تشرع المعدة في الهضم . وكانت الحوادث التي حدثت في سورية سنة ستين قد حركت عواطف الشفقة والحنان في اهالي اوربا واميركا فبعثوا بالبعض من فضلائهم لاقامة المدارس في بيروت وتعليم الاولاد الذين نُكبوا بوالديهم فاجتمع من معلميها وتلامذتها ومن الشبان الذين تلقوا العلوم في مدارس لبنان واضطرتهم حوادثهُ الى سكن بيروت جماعة الفوا جمعيةً علميةً كانوا يتلون فيها الخطب والمقالات العلمية ومن تلك المقالات مقالة طبيعيةً لفقيد علماء الشرق سليم نوفل سمعناها حينئذٍ تتلى على المائدة فتاقت نفوسنا الى المزيد من المعارف المتضمنة فيها وهي الباعث الاول الذي بعثنا على درس العلوم الطبيعيةً والتفرُّغ للكتابة فيها . فلنشئها فضل علينا نذكرهُ لهُ مدى العمر

وهو من مشاهير القرن الماضي وُلد في طرابلس الشام سنة ١٨٢٨ من عائلة وجيهة نشأَ منها كثيرون من الفضلاء اخصهم صديقنا المرحوم نوفل افندي نوفل صاحب صنَّاجة الطرب وسوسنة سليمان وسياجة المعارف . وحصَّل ما حصَّلهُ من العلوم الادبيةً والطبيعيةً بجدهِ واجتهادهِ وكان كبير النفس عالي الهمَّة يعنى بمصالح بلادهِ الاجتماعيةً ويناضل عنها وينشر الرسائل ولو لم يذكر اسمهُ فيها حاسباً ان الفائدة متعلقة بالقول لا بالقائل . ودعي الى بلاد الروس في حدود سنة ١٨٧٠ ليعلِّم اللغة العربية للشبان الروسيين الذين يستعدون للخدمة السياسيةً في البلدان الشرقية وارتقى هناك حتى صار من مستشاري الدولة الروسية وترجمان امبراطورتها واستاذ اللغتين العربية والفرنسوية والفقه الاسلامي في قسم اللغات الشرقية بالقلم الاول من اقلام نظارة روسيا الخارجيةً

وخدم اربعة من القياصرة باخلاص فاكتسب رضاهم فشملوهُ بانعامهم وكان يحسن عدة لغات تكلماً وانشاء حتى اللغة الحبشيةً ولهُ مؤلفات كثيرة في الشريعة والفلسفة باللغة الفرنسوية شهد لها العلماء الغربيون فضلاً عن الشرقيين . واشتهر بغيرتهِ على ابناء وطنهِ وسعيهِ الدائم في البلاط القيصري لمساعدة كل شرقي يقصدهُ في حاجة لدى الحكومة الروسية

ادركتهُ المنية في اليوم الثاني من نوفمبر الماضي شيخاً جليل القدر بالغاً اربعا وسبعين سنة من العمر فطير البرق نعيهُ الى اقاربهِ في طرابلس الشام والاسكندرية وتأخرنا عن نشر ترجمتهِ الى ان ظفرنا بصورة من صورهِ

وكان قصير القامة نحيف الجسم لقيهُ ابننا نجيب صروف منذ سنتين في باريس فرآهُ لا يزال عالي الهمَّة مهتماً بنشر ما لم ينشرهُ من كتبهِ حتى الآن



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

تاريخ التمدن الاسلامي

حضرة العالمين الفاضلين منشئي مجلة المقتطف الغرَّاء

وقفتُ على الجزء الاول من تاريخ التمدُّن الاسلامي الذي وضعهُ حضرة الكاتب الفاضل جرجي افندي زيدان منشىء مجلة الهلال فاكبرتُ اقدامهُ على مثل هذا الموضوع على وعورة مسلكهِ وندرة من نظر فيهِ حتى كتَّاب الغربيين على ان اجتهاد حضرتهِ اشهر من ان يذكر وهو من الفضلاء الذين وقفوا النفس لخدمة العلم والادب فلا غرو اذا لم يحفل بالمصاعب ولم يكترث للمشقات

وقد طالعت كتابهُ بما يستحقهُ من الروية والاعتبار فالفيتهُ حافلاً بالمعلومات النفيسة التي عثر عليها المؤَلف في المظان المتفرقة مملوءًا بالحقائق التي تروق مطالعتها فضلاً عما اضافهُ اليها من النتائج التي استخرجها اعتماداً على ما اتضح لهُ من درسهِ وما وقف عليهِ من كتب القوم واخبارهم

ولا يخفى ان الاسلام من العوامل الاجتماعيَّة الكبيرة ولحضارة المسلمين شأن كبير في تاريخ العالم بما احدثتهُ من الأَثر في حضارة غيرهم ممن عاصرهم او جاورهم او جاء بعدهم فالنظر في كيفية نشوء التمدن الاسلامي وارتقائهِ والأَثر الذي اوقعهُ في العالم ليس بالشيء القليل وكلُّ من يميل الى فنّ التاريخ وعلم السسيولوجيا يرتاح الى تتبع ارتقائهِ من اول يوم ظهرت الدعوة الاسلامية الى يومنا هذا لاسيما الشرقيين الذين ظهرت هذه الدعوة بين ظهرانيهم ولا يزال صداها يرنُّ في آذانهم

وقد عني المؤَلف بوصف ذاك التمدُّن وكيفية نشوئهِ والعوامل التي عملت فيهِ ومقدار تأثيرهِ في العمران فجاء على خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام اي ايام كانوا قبائل شتَّى ليس

بينها من الروابط سوى وجودها في بلاد واحدة وفي احوال متماثلة شأنهم الغزو وارتباط الخيل والعناية بالسائمة وتدرَّج في وصف احوالهم حتى بلغ ايام الدعوة فبيَّن استعداد تلك القبائل لتلقيها وتهيوء العصر لظهورها وما خصَّ بهِ ذلك الزمان من قيام رجال اكفاء توفَّرت فيهم شروط السياسة والحكومة كما يكون في كل عصر تقع فيهِ حادثة كبيرة او حركة في الافكار وهو مبدأ جليل في العمران والتاريخ أيَّده الاختبار

ثم اتى على خلاصة تاريخ الدعوة وما رافقها من اضطهاد صاحبها والمعارك التي نشبت بين انصارهِ والمنكرين رسالتهُ الى ان ثبت الاسلام في ايامهِ وايام مَن خلفهُ واعتزَّ شأنهُ في ايام ابي بكر وعمر حتى اذا ما المَّ بخلاصة تاريخ الدول الاموية والعباسية والاندلسية والفاطمية اقفل باب الاخبار وولج باب البحث الذي يطلبهُ بعد ان مهَّدلهُ السبيل بوصف ما سبق وضع تلك البناية الكبيرة وكيفية وضع اسسها

والكتاب جامع لكثير ممَّا تهمُّ المطالعين معرفتهُ مبوَّبًا احسن تبويب ومنسقًا احسن تنسيق. وقد يفهم عادة من التاريخ انهُ عبارة عن مجموعة حوادث ووقائع ومواقع وحروب وقيام ملك وموت ملك الخ وليس هذا كل التاريخ وقد احسن المؤلف في انهُ بحث في التاريخ من وجهتيهِ تقرير الحوادث والوقائع وذكر الاسباب والعلل كما ارتأى من يعتمد عليهِ من العلماء وكما استنبط بفطرتهِ السليمة وقد اجاد في ذلك غاية الاجادة لكنهُ اغضى عن امرٍ خليق بالاعتبار فقد ذكر في مقدمة الكتاب انهُ طالع كتب القوم من عرب وافرنج في هذا الموضوع وعدَّد بعض الكتب التي يشار اليها بالبنان حتى اذا ما خاض عباب البحث اغفل الاسناد في جميع تفاصيل الكلام من مثل الكلام عن مصالح الدول الاسلامية وعلامات الخلافة وشاراتها وولايات الاعمال والوزارة حتى رواتبها والجند وما يختص بهم من ديوان واعطيات وعدد ورتب ولواء وموسيقى وسلاح وآلات حرب برًّا وبحرًا وبيت المال وما يختصُّ بهِ من الفيء والجزية ثم البريد والقضاء وديوان المظالم

ولو فعل كما فعل صاحب "حضارة الاسلام في دار السلام" لاحسن صنعًا فان ذاك اشار في الصفحة عينها الى المصادر التي استقى منها او كما يفعل المؤلف نفسهُ غير مرَّةٍ في رواياتهِ التاريخية . ولست اقول هذا القول وانا مرتاب في صحة النقل على ان هنالك اموراً استخلصها المؤلف واستنتجها ممَّا قرأهُ واطلع عليهِ فلو اسندها الى مصادرها لتمكن المطالع من مراجعة الاصل فيحكم بنفسهِ في صحة الاستنتاج وعدمها

وهنالك امر آخر لم يبسط الكلام عليهِ البسط الشافي اريد بهِ البحث عمَّا اقتبس العرب عن

الروم والفرس والمصريين بعد ان غلبوهم على امرهم وحلّوا محلّهم والعرب اذ ذاك حثوٌ من المعارف والفنون ولدى الروم زبدة ما ابتكرتهُ قرائحهم وما نقلوهُ ممّن سبقهم من المصريين وغيرهم نعم انهُ اشار الى ما كان من امر ضرب النقود وتحويل الحساب والطراز ونحوها في عرض الكلام عن هذه المواضيع وكان الاجدر بهِ افراد فصل خاص يتضح منهُ ما الذي نقلهُ العرب عن غيرهم حتى اذا ما اتخذ ذلك بمثابة اساس او مقدمة او تمهيد استطاع القارئ معرفة ما انشأهُ العرب انفسهم كما ان سرد الوقائع في التواريخ المعروفة يستدلّ منهُ على مبلغ قوّتهم وبطشهم وانبساط ظلّ ملكهم في اربعة انحاء المعمور لذلك العهد

قال المؤلف في صفحة ٧٢ " ولما كانت الدولة العباسية اشهرها (اي اشهر الدول الاسلامية) واسبقها الى التمدن فنجعل ما يأتي من وصف التمدن خاصّاً بها على الاكثر " وقد رأيتهُ افاض في الكلام عن كثير من مصالح الدولة والجند لكنهُ اغفل بعض الامور الجديرة بالاعتبار فلم يأتِ على ذكر شيء من تاريخ المعارف في تلك الدولة وارتقائها في عهد افاضل خلفائها مع ان بحثهُ في المصالح يتجاوز ايام العباسيين ولا تنكر عنايتهم بالعلوم والمعارف وامرهم فيها مشهور وهي من عمد الحضارة ولها اليد الطولى في ترسيخ قدم التمدن وبسط ظلّهِ وليتهُ افرز لها فصلاً خاصّاً بها بعد الكلام عن القضاء وديوان الانشاء اذ الفرق بين معارف العرب في صدر الاسلام وما بلغوهُ في ايام المأمون عظيم يستحق النظر من وجهي التأثير في الحضارة والدلالة على مبلغ الارتقاء

ومن المعلوم ان مَن يمعن النظر في بحث او موضوع ما يميل الى ذلك البحث وهذا الموضوع فيعتقد صحة كثير من الامور التي يحتاج اثباتها الى اقامة الدليل فمن ذلك قول المؤلف في صدر الكتاب (صفحة ٩) " وعندنا ان العرب من اكثر الامم استعداداً للحضارة وسياسة الملك لا يقلون عن سواهم من الامم التي تمدنت قديماً او حديثاً " فاذا اراد المؤلف متابعة كتّاب السسيولوجيا العظام والمؤرخين الكبار وجب عليهِ ان يقول غير هذا القول لان العرب ليسوا كما قال من حيث الاستعداد للحضارة وسياسة الملك كما بيّن ذلك الفيلسوف ابن خلدون في مقدمتهِ وهم في هذين ادنى منزلةً من اليونان والرومان والانكليز والجرمان والفرنساويين واذا شاء ان يقول قولاً جديداً فعليهِ اثبات صحة قولهِ بالدليل المقنع

ومن هذا القبيل تصديقهُ اقوال المؤرخين في الكلام عن ضخامة الممالك الاسلامية والتماسهُ لهم العذر حيث يتعذر تصديقهم كما فعل في الكلام عن البصرة (صفحة ٨١) فقد نقل عن الاصطخري " ان انهارها أُحدِيت في ايام بلال بن ابي بردة فزادت على مئة الف

نهر وعشرين الف نهر تجري فيها الزوارق" وعقب على ذلك بقولهِ "فاعتبر المسافة التي تحفر فيها ١٢٠٠٠٠ نهر او ترعة كم يمكن ان يكون سكانها" ولو تأنى قليلاً في الاستنتاج لقضي بعدم صحة قول قائل هذا الكلام فان ترع مصر المتفرعة من النيل والترع الصغيرة المشتقة من تلك والمنتشرة في اراضٍ مساحتها اكثر من عشرة آلاف كيلو متر مربع لا يبلغ عددها كسرًا من العدد الذي نقلهُ وسكان مصر فوق عشرة الملايين ولا يصحّ ان يكون في البصرة مئة وعشرون الف نهر او ترعة تجري فيها الزوارق ولا يصدق هذا الكلام ولو قالهُ احد الانبياء

ثم اعتبر ما نقلهُ في الكلام عن مصر وانها لما فتحها المسلمون "كان عدد الذكور فيها ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك 'ليس فيهم امرأة ولا صبي ولا شيخ' ثمانية آلاف الف فاذا اضفنا الى ذلك عدد الاناث والاطفال والشيوخ زادت جملتهُ على ٣٠٠٠٠٠٠٠ وهو ثلاثة اضعاف سكانها اليوم ٠٠٠٠ ذكر المقريزي ان هشام بن عبد الملك (سنة ١٠٧ هـ) امر عبيد الله بن الحبحاب عاملهُ على خراج مصر ان يمسحها فمسحها بنفسهِ فوجد مساحة ارضها الزراعية مما يركبهُ النيل ٣٠٠٠٠٠٠٠ فدَّان وذلك خمسة اضعاف ما يزرع منها الآن مع ان مساحة الارض الزراعية في وادي النيل اليوم على ما تبذلهُ الحكومة من العناية في اخصابها وتعميرها لا تزال اقلّ من ستة ملايين فدان . ومساحة وادي النيل كلها اي الوجه البحري والصعيد على جانبي النيل لا تزيد على هذا القدر الاّ قليلاً فيستحيل ان تكون مساحتها في اوائل الاسلام خمسة اضعاف ذلك" . وبعد ان قال باستحالة هذا الخبر عاد فالتمس للمخبر عذرًا فقال "ولكن يظهر ان العرب زرعوا ما يجاور هذا الوادي من الشرق نحو البحر الاحمر ومن الغرب الى وادي النطرون لان مساحة مصر بما فيها الواحات في صحراء ليبيا والارض بين النيل والبحر الاحمر وبينهُ وبين بحر الروم الى العريش تزيد على ٤٠٠٠٠٠ ميل مربع وذلك يساوي نحو ١٨٧ مليون فدان . فلا غرابة اذ ذاك ان يكون العامر منها ٣٠ مليون فدان وان يكون سكانها ٣٠ مليون نفس". اما الدليل على فساد هذا الخبر فواضح واما اثبات ان العرب كانوا يزرعون هذا القدر من مصر فمستحيل لكني اتولى تكذيبهُ من قول هؤلاء المخبرين انفسهم فقد نقل المؤلف عن المقريزي ما يأتي

"وآخر ما اعتبر حال ارض مصر فوجد مدة حرثها ستين يومًا ومساحة ارضها ١٨٠٠٠٠٠٠ فدان يزرع منها في مباشرة ابن المدبّر (في اواسط القرن الثالث للهجرة) ٢٤٠٠٠٠٠ فدان . وانهُ لا يتمّ خراجها حتى يكون فيها ٤٨٠٠٠٠ حرَّاث يلزمون العمل بها دائمًا . . الخ" انتهى

فاذا قسمنا عدد الفدن المزروعة في ذلك العهد بحسب زعمهم على عدد هؤلاء الحرَّاث كان الخارج خمسين فدانًا لكل حارث ويعلم اهل الزراعة وغيرهم ان الرجل لا يستطيع ان يقوم على العناية بخمسين فدانًا من حرث وزرعٍ وريّ لاسيما اذا كان اكثر الارض المزروعة في جهات البحر الاحمر ووادي النطرون ! والمشهور ان العناية بالفدان الواحد ريًّا وحرثًا وزرعًا واستغلالاً تقتضي ½ عمل رجل الى نصفهِ . اي ان الرجل الواحد يزرع فدانين الى ستة على الاكثر . ثم قابل قول المقريزي هذا بما نقلهُ المؤلف عن مساحة مصر (صفحة ١٧٥) حيث قال " ان هشام بن عبد الملك انتبه لها فبعث الى عاملهِ على خراجها وامرهُ ان يمسحها فخرج بنفسهِ فمسح العامر والغامر مما يركبهُ ماءُ النيل فوجد مساحة ذلك ٣٠٠٠٠٠٠٠ فدان " وبين الغامر والعامر فرق ومع ذلك فماء النيل لا يركب هذا القدر من ارض مصر الا اذا صعد النيل الى الجبل

وقد بقي هنالك مواضع متفرقة تسامح فيها المؤلف واطلق فيها الكلام غير منقيّد كقولهِ في صفحة ٧٧ " ولاصبحت اللغة العربيَّة لغة اهل تلك القارَّة (اوروبَّا) كما هي لغة معظم قارتي اسيا وافريقيا وسائر العالم الاسلامي " وقولهِ في صفحة ٨٧ " الخلافة ضرب من الملك خاص بالاسلام لم يكن في سواهُ من قبل " ولو اجال نظرهُ في جغرافية الارض وتاريخ العالم لوجد نطاق العربيَّة اضيق مما ظن ولالفى للخلافة شبهًا سابقًا لها في البابوية فقد كان للبابوات الخلافة الدينية على العالم الكاثوليكي والسلطة السياسية على ذلك العالم مباشرة او توليدًا بعضهُ او كلهُ كما هو مشهور

خليل ثابت

العربيَّة والقبطية

سيديَّ الفاضلين منشئي المقتطف الاغر .

قرأت في المجلد السابع والعشرين الجزء الثاني عشر ديسمبر سنة ١٩٠٢ من المقتطف الاغر مقالة تحت عنوان " العربيَّة والقبطيَّة " وفيها ان حضرة الاديب الفاضل اقلاديوس افندي لبيب عني بجمع كثير من الكلمات العربيَّة العاميَّة التي اصلها قبطيَّة دخلتها عند دخول العرب الى مصر حيث اهملت اللغة القبطيَّة ولكن بقي لها أثر في اللغة العربيَّة العاميَّة لغة المصريين . ثم اورد حضرتهُ امثلة لذلك خلتها لاول وهلة رأيتها انها عربيَّة اكثرها ان لم تكن كلها وان اصلها عربي ولا ادري ان كانت قبطيَّة الاصل ايضًا ام لا وان كانت فذلك من باب الاتفاق

كقولك باللغة الانكليزية "اول" اي جميع و "اول" باللغة التركيَّة بمثل هذا المعنى فمن استشهاد حضرتهِ قولهُ

("حالوم" من قولهم "حالوم يا جبنه حالوم") مع ان هذه الكلمة عربيَّة الاصل بهذا المعنى قال الفيروزبادي "الحالوم ضرب من الاقط او لبن يغلظ فيصير جبناً طريًّا"

("اش" تفيد الاستفهام ماذا) وهي ولا شك محرفة من ايش اي "اي شيء" كقولك اي شيء تقصد اي ماذا تقصد

("ادهى" تفيد اردأ او اشرّ) هذه الكلمة عربيَّة الاصل والمبنى قال الله تعالى وقولهُ القديم "والساعة ادهى وأمرّ" وفي القاموس دهاهُ اي اصابهُ بداهية ولا شبهة في ان ادهى اسم تفضيل من هذا المعنى

("اوني" في قولهم اوني يا طاحون الرحايه اي رحى) اولاً لم نسمع بهذا المثل بين امثال المصريين ولم نسمع باحد يقول بهِ وان قال بهِ احد فلماذا لا نأخذ قولهُ على المعنى العربي "الانين" لان قولك إني بالكسر يا طاحون اقرب من قولك رحى رحى يا طاحون حيث لا معنى موجود

("طمس" معناها بالقبطية دفن) هذه الكلمة عربية الاصل حاملة نفس هذه المعنى ورد في القاموس طمس اي محى قال الله تعالى من قبل ان نطمس على وجوههم فنردها على ادبارها الخ الآية ويقال بلغة المصريين العامية فلان عينيهِ مطموسة فهي هي بالمعنى العربي والاصل العربي ايضاً

("يم" ومعناها بالقبطية البحر) يم بالعربية البحر قال تعالى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيهِ في التابوت فاقذفيهِ في اليم فليلقهِ اليم بالساحل — وقال شاعرنا العربي

القاهُ في اليم مكتوفاً وقال لهُ اياك اياك ان تبتل بالماء

("ليلي" ومعناها بالقبطية فرح) اظن ان الاحسن والاصح ان تحمل هذه الكلمة على المحمل الآتي فهو اقرب الى العقل وذلك انها مركبة من ليل وهي مضافة وياء المتكلم مضاف اليها يستعملها المفتنون للعشق والهيام لان الليل يهيج العشق وليل العاشقين طويل ويا ليل طل يا شوق دم الخ

("مدمس" بالقبطي الفول الناضج) وبالعربيَّة دمس اي اخفى قال الحريري ويني وبين كني ليل دامس وطريق طامس ومعلوم ان طريقة تدميس الفول بمصر عبارة عن وضعهِ في تراب النار الحار بحيث تخفى آنيتهُ فما يكون داخل تلك الآنية بعد هذه العملية يقال لهُ مدمس

فيمكنك ان تقول عدس مدمس ودول مدمس وليس فول فقط ومنهُ الديماس اي القبر لانهُ يخفي من فيهِ قال الفيروزبادي دمس الشيءَ اخفاهُ ودمّسهُ بالتشديد

(" نافلة " بالقبطية باطل) نافلة كلمة عربية معناها زيادة ومنها الصلاة النافلة اي الزائدة عن الفرض وجاء في القاموس النافلة ايضًا الغنيمة ومعلوم انها زيادة عن رأس المال

(" شوية " معناها قليل) هي ولا شك محرفة عن شوي تصغير شيء وهو القليل فهي اذًا عربية الاصل

ويعلم الله انني ما جئت بهذه العجالة لأحبط من عزيمتهِ في مشروعهِ ولكني اردت بذلك الخدمة العامة واظهار الحقائق فالحقيقة بنت البحث ولي في مكارم اخلاق حضرتهِ شفيع فيحمل قولي هذا على المحمل الحسن فضالتنا المنشودة واحدة وهي الحقيقة — وفي الختام تقبلوا فائق احترامي محمد فاضل

بالسكة الحديد السودانية بحلفا

مؤتمر العميان

في النصف الاول من شهر آب (اغسطس) المنقضي عقد في مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا مؤتمر تحت حماية جلالة الملك وسمو الدوق شارل تيودور البافاري احد مشاهير اطباء العيون ووالد الاميرة البرت البلجيكية . وكانت الغاية من هذا المؤتمر تخفيف المصاب عن الذين اصيبوا بفقد بصرهم وتولى زعامة المؤتمر وزير العدلية والاب اميده ستوكانس الرئيس العام لاخوة المحبة وشهدهُ فريق كبير من مشاهير الاطباء ورؤساء المستشفيات وزعماء ملاجيء العميان في كثير من الامصار وشهدهُ ايضًا كثيرون من العميان الذين خاضوا مع اعضاء المؤتمر في مجال المباحثات ومما يحسن سوقهُ هنا ان السواد الاعظم من العميان يجدون في تحصيل العلم ولا جد البصيرين فيهِ فيخطّون على القرطاس باحرف ناتئة الدروس التي يلقيها عليهم اساتذتهم ويسرعون في الكتابة كثيرًا لانهم يستعملون لذلك طريقة الكتابة المختزلة (ستانوغرافيا) ويكفيهم ان يمروا اصابعهم على الصحيفة المرسومة عليها الحروف الناتئة لكي يقرأوها بسرعة

وقد بحث اعضاء المؤتمر عما يعود بالنفع على العميان فاتفقت كلمتهم على انهُ ليس من حرفة يستطيع العميان ان يتعاطوها افضل من الموسيقى وصنع السلال والمذاري

وامعنوا في البحث عن اسباب العمى وطرق الوقاية منهُ فتحقق لديهم ان اكثر حوادث العمى

ناجمة عن الرمد الصديدي الذي يصيب الاطفال ويكون على الغالب في الطبقة الواطية من الناس وسببهُ التهامل والتهاون. وكثيرًا ما يذهب الوالدون بابصار اولادهم باستعمالهم علاجات يتناولونها من غير الاطباء . واليكم ما رواهُ احد اطباء العيون في بروسل في هذا الصدد قال :

اتتني ذات يوم امرأة حاملةً على ذراعيها طفلاً مصاباً بالرمد الصديدي وبعد الفحص المدقق وجدت ان نور عيني الطفل قد انطفأ ولم يعد من حيلة لارجاع البصر اليهما فجعلت الومها لتأخرها عن احضار طفلها اليَّ لاعالجهُ . فقالت لي : يا سيدي قد استعملنا لهُ وصفةً اخذناها من احدى النساء

فقلت وما هي هذه الوصفة ؟

فقالت غسل عيني الطفل بماء من النهر مأخوذ من موضع فيهِ جيف حيوانات . وعملاً بمشورتها استأذن زوجي من صاحب المعمل الذي يعمل فيهِ ومضى الى نهر السن وبعد الاستقصاء في التنقير عثر على جيفة كلب فملأ قنينة من الماء الذي حولها وعاد بها الى البيت فغسلنا عيني الطفل ولكن لسوء الحظ لم تبدُ ادنى علامة تدلُّ على التحسين . . . . . .

وواضح من ذلك ان العامَّة في اوربا لا يفرقون عن العامَّة عندنا من حيث الجهل والاعتماد على طب العجائز والدجالين ولو سهل انتشار امراض العيون في اقليمهم كما يسهل في القطر المصري لرأى حضرة الدكتور شدودي مجالاً لانتشار العمى في اوربا كما رأى مجالاً لانتشارهِ في هذا القطر

لبنان سبيريدون منسّى الصيدلاني

استفهام

اورد حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي كرد علي في مقالتهِ المنشورة في الجزء الحادي عشر من المقتطف عن التواريخ العربيَّة كلاماً نسبهُ الى الحافظ ابي البكر الخطيب وفيهِ " ان سعد بن ابي وقاص مات يوم قريظة قبل خيبر" والمعروف انهُ توفي سنة ٥١ او ٥٥ للهجرة وغزوة خيبر كانت سنة سبع ولعلهُ اراد. سعيد بن معاذ فنرجو منهُ ايضاح. ما تقدم ولهُ الفضل

ثم انهُ قال في الصفحة ١٠٤٨ ان الجبرتي وصل في تاريخهِ الى سنة ١٢٧٦ وهذا خطأٌ في النسخ او الطبع والصواب سنة ١٢٣٦ . وقد بلغني ان المطبوع من تاريخ الجبرتي ليس كل ما كتبهُ فهل عثر احد على بقية تاريخهِ واين هي الآن مستفيد

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

خبز جديد

يسعى المرء نهارهُ وبعض ليلهِ ليؤمن لنفسهِ ولاهل بيتهِ الحاجيات من قوت وكسوة ومسكن فاذا فضل من ربحهِ فضلة كبيرة انفق بعضها في احراز الكماليات فتأنق في الحاجيات واضاف اليها ما يعدهُ من متممات الراحة ورغد العيش واسباب التقدم على غيرهِ من ابناء جنسهِ.

ومن المعلوم ان الفقير يطلب من الطعام ما يسهل عليهِ ابتياعهُ ويغذيهِ وهذان الشرطان لازمان لهُ اما الاول فلضيق ذات يدهِ واما الثاني فلأن الغذاء ضروري لهُ فيجدد ما يبلى من جسمهِ وقوتهِ بمزاولتهِ عملهُ الشاق يوماً بعد يوم اما الغني فلا يهمهُ غلاء اثمان الاطعمة لكن الغذاء ضروري لهُ كما هو للفقير اذا اراد طول العمر والراحة والتخلص من الامراض والاوجاع

ومن الغريب ان الذين يتأنقون في اشكال الاطعمة والوانها لا ينتبهون الى امر جدير بالاعتبار وهو ان الانسان يأكل ليعيش ولا يعيش ليأكل اي ان الطعام واسطة لا غاية فتراهم على الغالب ينفقون مالهم على ما فيهِ إتلاف صحتهم وإضعاف قواهم حتى اذا ما وافتهم العلل واصابتهم الامراض اضطروا الى طلب معونة الطبيب ليدفع عنهم بالدواء ما جنوهُ على انفسهم بفضل تهاونهم وحسبنا دليلاً على ذلك كثرة العقاقير والحبوب التي تصنع لتسهيل الهضم ومعالجة المعدة والكبد فقد قال احد الذين زاروا الولايات المتحدة ان الاعلانات عن حبوب الكبد منتشرة فيها الى حد أن من يقرأها يحسب ان الاميركيين لا يأكلون سواها وعلة كثرتها انتشار الخبز الابيض بينهم واقتصارهم عليهِ في الاكل ونبذهم الخبز الاسمر فان الخبز الابيض خالٍ من المواد الغذائية التي في القمح فليس من اكلهِ فائدة كبيرة وهو حملٌ ثقيل على المعدة ولا يقتصر ضررهُ عليها بل يتناول الاسنان فقد اتضح ان أسنان الذين يقتصرون على اكلهِ اقرب الى التلف من اسنان غيرهم

ولا يخفى ان الخبز الابيض اجمل منظراً من الاسمر وبياضهُ علة رغبة الناس الوحيدة فيهِ والا فان الخبز المصنوع من الدقيق الذي لم ينخل اشد نفعاً منهُ لكن قبح منظرهِ وصعوبة خبزهِ

يحولان دون تعميمهِ ويصرفان انظار الناس عنهُ . ولطالما حاول الكثيرون الجمع بين الفائدة وحسن المنظر في الخبز فلم يفلحوا حتى اضطرَّت الحاجة بعض المرضى الى الاهتمام بهذا الامر سعياً وراء راحتهم. وتفصيل ذلك ان رجلاً اميركيًّا اسمهُ بركي اصيب بسوء هضم شديد وهو في سنّ الاربعين واشتدَّ بهِ هذا المرض حتى اضطرَّهُ الى الانقطاع عن اعمالهِ فسئم المعيشة واصبحت حياتهُ عبئًا ثقيلاً عليهِ فعمد الى التداوي فقصَّرت فيهِ حيل الاطباء وخانتهُ العقاقير ولمَّا ملَّ منها لقلة جدواها نبذها نبذ النواة واخذ يفكّر في امرهِ لعلهُ يهتدي الى ما يخفّف اوجاعهُ ويعيد اليهِ ماضي راحتهِ وقوَّتهِ فخطر لهُ ان يبدأ بطعامهِ فلا يتناول الَّا ابسط المآكل وبعد بحث طويل عقد النية على الاقتصار على الخبز وترك ما سواهُ اذ تبين لهُ ان القمح يحتوي على جميع موادّ الغذاء اللازمة لحفظ الجسم وان هذه الموادّ لا تكون في الخبز الابيض فتنزع منهُ ليكسب لونهُ الذي يرغب الناس فيهِ وكان بعضهم قد امتحن فعل الخبز الابيض والاسمر في الكلاب بأن جعل طعام بعضها من الخبز الابيض وطعام البعض الآخر من الخبز الاسمر فماتت الاولى من الضعف والهزال وسمنت الثانية وكبرت فايقن المستر بركي بصحة مذهبهِ وتأكد انَّ الخبز المصنوع من دقيق الحنطة بنخالتهِ مغذٍّ والخبز الابيض معدوم الغذاء كثير الضرر لا سيما بعد ان بدت امارات النجاح فيهِ فزالت اوجاعهُ وآلامهُ وعاودتهُ القوَّة والنشاط فحملهُ الفرح بشفائهِ على موالاة البحث حبًّا منهُ بالنفع العامّ واهتماماً بالوف المرضى الذين يذوقون صنوف العناء جهلاً منهم بالحقائق التي اكتشفها

والناظر الى حبَّة القمح يخالها مصنوعة من المادَّة البيضاء التي تستحيل الى الدقيق والغلاف الظاهر الذي يستحيل الى النخالة لكنَّ حبة القمح ليست كذلك فغلافها مؤَلف من خمس طبقات الطبقة الظاهرة منها هي النخالة الحقيقية والطبقتان اللتان تحتها مؤَلفتان من موادّ نتروجينية تقوم مقام اللحم في الغذاء ومادَّة اخرى تدخل في بناء العظام والاسنان ولا بدَّ للعظام والاسنان منها والطبقتان الاخيرتان تحتويان على المادَّة القمحية التي تكسب القمح لونهُ وطعمهُ وتساعد على الهضم وداخلها خلايا بيضاءُ تحيط بالنواة الداخلية وهي مؤَلفة من الجلوتن اللازم لبناء العضلات وانسجة الجسم واما الجزءُ الداخليّ الابيض فمؤَلف من دقائق نشائية ومنها يصنع الدقيق الابيض وفيهِ جرثومة النواة التي ينبت منها نبات القمح وفيها مواد تغذي الدماغ والاعصاب

فاذا طُحن القمح على النمط المعروف ونخل فالطبقات الخمس الاولى وجزءٌ كبير من الجلوتن تنزع منهُ ونزع الجلوتن ضروري في صنع الخبز الابيض لانَّ بقاءهُ يسمّر لونهُ فينتج من ذلك أنَّ

المواد اللازمة لتغذية الجسد تنزع من الدقيق فلا يبقى في خبزه الّا قليل من الغذاء

ذلك ما دفع المستر بركي الى الاهتمام بابتداع طريقة لصنع خبز يحتوي على جميع المواد المغذية التي في القمح ويكون لذيذ الطعم شهيّ المنظر وبعد ان اعمل فكرتهُ طويلاً اهتدى الى حلّ المسألة بأن صنع آلة تمزّق القمح تمزيقا او تهرسهُ هرسا فلا يفقد شيء من اجزائهِ المغذية وبعد ان تعالجهُ كذلك يصنع منهُ كعك مخبوز وقد زار احد الكتاب المعمل الذي اقامهُ لهذه الغاية بقرب شلالات نياغرا فوصف كيفية صنع هذا الكعك واليك خلاصة ما قال

يؤتى بالقمح الى الطبقة العليا من المعمل فيصبونهُ منها الى الاسفل في فوهة يصعد منها مجرى شديد من الهواء الصاعد فينقيهِ من الغبار والرمل والعصافة ونحو ذلك من الادران والاوساخ وبعد تنظيفهِ على هذه الصورة يلقى في حياضٍ من الماء المعقَّم فيغسل فيها ثم يوضع في اساطين مصنوعة من الاسلاك وتدار هذه الاساطين في الماء الغالي مدَّة ثلاثين دقيقة وفائدة هذا العمل تليين القمح وتنظيفهُ مما قد يبقى فيهِ من الاوساخ بعد الغسل كما تقدَّم وقتل الحشرات الصغيرة التي تلصق بغلاف حبوب القمح وتطحن معها عادةً وتؤكل وبعد ذلك ينشر على اطباقٍ ترصف بعضها فوق بعض في غرفة واسعة يهبُّ فيها مجرى هواء شديد فيصبح القمح ناشفًا نظيفًا ليِّنًا وحينئذٍ يوضع في احواض آلات تمزّقهُ على شكل خيوط طويلة ثم تلقى هذه الخيوط الواحد الى جنب الآخر حتى يكون منها قدد على شكل شريط الحرير وعدد هذه القدد ٣٦ تضمُّ الواحدة الى الاخرى فتصبح كأنها ملصوقة بها ولا يزيد ثخنها متى ضمَّت كذلك عن عقدة واحدة فتنقل حينئذٍ الى آلة أخرى تقطعها بحجم الكعك المطلوب ثم يوضع هذا الكعك في مقالٍ تدور افقيًّا على نار حامية فيبقى في المقالي نصف ساعة وبعد ذلك ينقل الى فرن آخر حرارتهُ اخفُّ من حرارة المقالي فيبقى فيهِ ساعة واربعين دقيقة ومتى برد يوضع في علب وتختم ويضعون في كل علبة ١٢ كعكة وزن الكعكة الواحدة منها ١٥ درهمًا وتمتص نحو ٤٠ درهمًا من الماء اذا بُلَّت بهِ فيكون في العلبة الواحدة ١٨٠ درهمًا او نحو رطل وربع تباع في اميركا بثلاثة غروش وهي بمثابة اربعة ارطال من الخبز وهذا الكعك يؤكل ناشفًا او مبلولاً باللبن المحلّى بالسكَّر وبعضهم يضيفهُ الى كثير من اصناف المآكل

ومن جملة اسباب النظافة في صنع هذا الكعك ان الآلات تقوم بجميع العمل المطلوب فلا يلمسهُ الصنَّاع في جميع ادوار صنعهِ الّا متى وضع في العلب وذلك موكول الى مئات من البنات اللواتي يضعنهُ في العلب : فترى مما تقدَّم ان هذا الكعك يحتوي على جميع اجزاء القمح خالصة من الشوائب والاوساخ والادران والظاهر انهُ براج رواجًا عظيمًا واصبح طعام كثيرين

من المصابين بسوء الهضم

ويظهر لنا ان البرغل الذي يصنع في هذا القطر والقطر السوري يقوم مقام هذا الكعك من اكثر وجوهِ فانهُ يصنع مثلهُ بسلق الحنطة ونبقى فيهِ كل موادها ما عدا القشرة الرقيقة الظاهرة التي لا تهضم لو اكلت فهو اذا طبخ جيدًا من اكثر مواد الطعام غذاء واسهلها هضمًا . واهالي جبال سورية يعلمون ذلك بالاختبار ويفضلون البرغل على الارز ويقولون انهُ يغذيهم ويقويهم وهم مصيبون في قولهم لانهُ حاوٍ كل مواد الغذاء ويتلوهُ في الفائدة الخبز الاسمر الذي لم ينزع من دقيقهِ الاَّ القشور الرقيقة من النخالة

تعليم البنات في المدارس العالية

قد يظن القارئ لاول وهلة ان البحث عن تعليم النساء في المدارس العالية لا محل لهُ في البلاد الشرقيَّة ولا سيما في القطر المصري لان البنات لم يحصلنَ حتى الآن على التعليم الابتدائي . والمدارس التي يُعلَّمنَ فيها التعليم الابتدائي قليلة جدًّا لا تفي ببعض الحاجة فاذا كان في الطاقة انشاء مدارس اخرى للبنات وجب ان تكون من نوعها لا من نوع المدارس العالية لان الاهم مقدَّم على المهم والضروري مقدَّم على الكمالي وهذا صحيح كلهُ لكن الناظر في امر التعليم يرى ان مدارس الصبيان العالية لم تنشأ لكل الناس ولا ينتظر ان يتعلَّم فيها كل احد ولا هي كافية لشبان البلاد كلهم ومع ذلك يحث الناس على تعليم ابنائهم في المدارس العالية ولا بدَّ من ان يتعلَّم فيها العدد الكافي لادارة الاعمال الكبيرة ولا سيما الفنون التي تقتضي توسعًا في العلوم كالطب والقضاء والادارة والتعليم . ولا بدَّ لكل بلاد من اناس يكونون في جسمها كالعمود الفقري في جسم الحيوان يحفظون كيانها وبهم يقوم هيكلها اوكالدماغ في جسم الانسان عليهِ تتوقف اعمالهُ فاذا اردنا ان نجاري الامم المرتقية فلا بدَّ لنا من ان نعلِّم فريقًا من بناتنا العلوم العالية كما تفعل تلك الامم

وقد عثرنا الآن على خطبة في تعليم البنات العلوم العالية للاستاذ داود ستار جوردان تليت في مؤتمر النساء في الولايات المتحدة الاميركية فلخصنا منها ما يلي لما فيهِ من الفائدة

قال الخطيب ان هذا الموضوع يتناول ثلاث مسائل

الاولى هل يحسن ان تتعلَّم البنات العلوم العالية

والثانية هل يحسن ان تتعلَّم العلوم العالية التي يتعلمها الصبيان

والثالثة هل يحسن ان تتعلم معهم في مدرسة واحدة

اما المسألة الاولى فالجواب عنها ان تعليم البنات يتوقف على استعدادهن . وهذا هو الواقع في تعليم الصبيان فانهُ على كل والد ان يعدَّ ابنهُ او ابنتهُ للجهاد في هذه الحياة على قدر طاقتهِ . نعم ان كثيرين يتعلمون في المدارس العالية ولا تظهر ثمرة من تعلمهم ولكنهم لو لم يتعلموا لكان نفعهم اقل. وقد ارتقى شأن البيت الآن في البلدان المرتقية لانهُ نتيجة ما وصل اليهِ الارتقاء فلا تقوم بهِ القيام الواجب الَّا المرأة التي نالت اعلى درجات العلم والتهذيب. والفتاة التي تبدو عليها مخايل النجابة ويظهر فيها الاستعداد لاكتساب اعلى درجات العلم يجب ان لا تقنع بما هو دون ذلك واذا لم يكن استعدادها العقلي كافياً ليجعلها تحرز الدرجات العليا فاقامتها اربع سنوات في مدرسة عالية مع معلمات من الطبقة الاولى في العلم والتهذيب وبين كتب الفها جهابذة العلم والفضل لابدَّ وان تؤثر في نفسها تأثيراً نافعاً. وللمرأة المتعلمة المتهذبة اعظم اثر في حياة الامة ويظهر اثرها في اولادها واحفادها والذين حولها . والذي يؤثر في حياة الناس اعظم تأثير ليس حكومتهم وشرائعهم بل امهاتهم وزوجاتهم. ولتعليم البنات شأن في مستقبل الامة اكثر مما لكل قوانين حكومتها ونظاماتها

ولا يقتصر تأثير المرأة على بيتها بل يتبع زوجها واولادها اينما كانوا فيزيد فيهم صفات الرجولية ويصلح شؤونهم فلنعلّم بناتنا كما نعلم ابناءنا والعلم خير صداق تأتي بهِ الفتاة من بيت ابيها واذا كان من نصيبها في بيت زوجها المنخج لا غير فالعلم ينفعها فيهِ ويزيد نفعها . والابن الحكيم هو الذي ولدتهُ وربتهُ ام حكيمة . فتعليم البنات اكبر ممهد لتعليم الصبيان

ونقول في الجواب عن المسألة الثانية نعم ولا . فاذا اريد بالتعليم تثقيف العقل وتهذيب الاخلاق حتى تعلو مدارك الابنة وتصير تتعقل الامور وتعمل اعمالها بروية وحكمة فهذا التعليم واجب . ولكن هل تصل الى هذه الغاية بتعلمها العلوم التي يتعلمها الشبان تماماً والجواب كلا لان التعليم الواحد لا ينتج نتيجة واحدة في الصبيان والبنات على حدٍّ سوى لاسيما وان الاسلوب المتبع الآن في التعليم لا يصلح لجمهور الناس بل هو في الاصل خاصٌّ بخدمة الدين والمستعدين لخدمة الحكومة وليس هذا بالتعليم المطلوب لجمهور الناس المختلفي المطالب والاغراض فان تعليمهم يجب ان يؤهل كلاًّ منهم للعمل الذي يريد ان يتعاطاهُ. وقد جرت المدارس الاميركية الجامعة هذا المجرى الآن فصار اساتذتها يبينون للتلامذة اساليب الاعمال التي يمكنهم ان يتعاطوها وكل تلميذ منهم يختار العمل الذي يناسب ذوقهُ وميلهُ ويستعد لهُ في المدرسة فيبرع فيهِ حينما يتعاطاهُ

واذا كان الامر كذلك اي اذا كان تعليم الشبان يجب ان يؤهلهم لتعاطي الاعمال

الخاصَّة بالرجال فهذا التعليم لا يصلح للبنات لان لهنَّ اعمالاً اخرى غير اعمال الرجال ويجب ان يكون تعليمهنَّ مما يوءهلهنَّ للقيام باعمالهنَّ وواجباتهنَّ الَّا اذا شئنَ ان يتعاطينَ الاعمال التي يتعاطاها الرجال كصناعة الطب او المحاماة فان تعليمهنَّ حينئذٍ يجب ان يكون مثل تعليم الرجال

وهذا لا ينفي ان تكون العلوم واحدة مدارس في الصبيان والبنات لانَّ اكثرها وسائل لغيرها كالعلوم الحسابيَّة والطبيعيَّة فانها يجب ان تعلَّم في مدارس الصبيان والبنات على حدٍ سوى ولكن اذا اريد التوسع في العلوم الحسابيَّة حتى يكون طلاَّبها تجَّارًا وفي العلوم الطبيعية حتى يكون طلاَّبها نظارًا للزراعة مثلاً فحينئذٍ يعلَّم الصبيان ما لا يعلَّمهُ البنات

ونقول في الجواب عن المسألة الثالثة ان التجارب اثبتت انهُ لا فرق بين ان يتعلم الصبيان والبنات في مدرسة واحدة او يتعلم كل فريق منهم في مدرسة خاصَّة ولكن اذا تعلم الفريقان في مدرسة واحدة وجب ان تراعى مطالب البنات في تعليمهنَّ كما تراعى مطالب كل فريق من الصبيان اي يجب ان ينوَّع تعليمهنَّ حتى يكون منطبقًا على ما يراد تأهيلهنَّ لهُ من اعمال الحياة

(ثم بيَّن الخطيب انهُ ميَّال الى تعليم البنات والصبيان معًا وذكر لذلك اسبابًا فلسفيَّة مبنيَّة على ما يُعرَف من الفرق بين عقول الرجال والنساء واختلافهما في طلب العلم والاشتغال بهِ واستنتج ان اجتماعهما في مدرسة واحدة يفيدهما كليهما اكثر مما لو تعلَّم كل فريق منهما في مدرسة على حدتها وقال ان وجود المعلّمات الحكيمات في مدارس الشبان يفيدهم فائدة لا تقدَّر لانهُ يعلي صورة المرأة في نفوسهم ويوجب عليهم ان يهذبوا اخلاقهم لكي يستحقوا ان ينالوا رضاها. وكذلك اذا رأى الشبان ان الفتيات يناظرنهم في دروسهم زادوا همةً واجتهادًا لانهُ لا شيءَ يخجل الشاب منهُ مثل ان يرى فتاةً تباريهِ وتفوقهُ في الهمَّة والاجتهاد والدرس والتحصيل. ولا حاجة الى نشر التفصيل الذي فصل بهِ الخطيب هذا الموضوع لاننا لا ننتظر ان تنشأ عندنا مدارس عالية يتعلم فيها الفتيان والفتيات معًا ولكن انشاء المدارس العالية للبنات وتعليمهنَّ العلوم العالية اذا استطاع اهلهنَّ ان ينفقوا عليهنَّ من لوازم الحضارة التي لا بدَّ منها اذا اردنا مباراة غيرنا من الامم المرتقية)

مسز ستانتون

فقد النساء المرأة التي لها الشأن الاكبر في الدفاع عن حقوقهنَّ المهتضمة وهي مسز اليصابات كادي ستانتون الاميركيَّة الشهيرة توفيت في السادس والعشرين من اكتوبر الماضي في السابعة والثمانين من عمرها

ولدت سنة ١٨١٦ واسم ابيها دانيال كادي وكان من القضاة المشهورين في بلادهِ وكانت تدخل مكتبهُ في حداثتها وتسمع فيهِ ما يدل على اهتضام حقوق المرأة لان حقها في التملك عندهم لم يكن مثل حق الرجل فتغتاظ من ذلك لانها لا ترى لها مسوغاً ثم يزيد غيظها كلما رأت الوالدين يهتمون بابنائهم اكثر مما يهتمون ببناتهم وكان لها اخ وحيد كان ابوهُ يفضلهُ على بناتهِ كلهن وكن خمساً ثم توفي فحزن ابوها عليهِ حزناً مفرطاً حتى لم يعد يتعزى . ونظر اليها ابوها ذات يوم وقال لها حبذا لو كنتِ صبياً فقالت لهُ سأصير صبياً وافعل كل ما كان يفعلهُ اخي . واخذت من ذلك الحين تدرس اللغة اليونانية واللاتينية والعلوم الرياضية فبرعت براعة فائقة واتمت دروسها في مدرسة عالية وكانت الاولى في فرقتها . وعزمت ان تدخل المدرسة الكلية حيث تعلم اخوها فرأت قوانين المدرسة تحظر عليها ذلك فزاد غيظها من هذا الاجحاف ودخلت مدرسة من مدارس البنات العالية واتمت دروسها فيها وانضمت الى مقاومي الاستعباد وتزوجت بالمستر ستانتون وكان من خطبائهم

وانتخب زوجها نائباً عن بلادهِ في مؤتمر اضداد الرق الذي التأم في بلاد الانكليز سنة ١٨٤٠ فرافقتهُ اليها وارسل نساء اميركا نواباً عنهن الى ذلك المؤتمر فلم يسمح لهن بالاشتراك في مذاكراتهِ فحسبت ذلك اهانة كبيرة على النساء وعادت الى بلادها وهي عاقدة النية على الدفاع عن حقوق المرأة وبذل كل واسطة لانصافها ولو قضت في ذلك عمرها كلهُ والفت مجمعاً سمتهُ مجمع حقوق النساء وطلبت ان يساوين لدى القانون في كل الحقوق حتى في حق الانتخاب لمجلس النواب وكان زوجها يخالفها في هذا الامر الاخير ولما التأم المجمع رأت اعضاءهُ يخالفونها في رأيها الا واحداً منهم لكنها استطاعت بقوة حجتها وشدة عارضتها وبمساعدة هذا العضو ان تجعل المجمع يقرُّ على كل مطالبها

وكان لهذا القرار شأن كبير في البلاد الاميركية وتناولتهُ الجرائد وتهكمت عليهِ . وعرضت نفسها للانتخاب سنة ١٨٦٦ لمجلس النواب وكانت ساكنة في مدينة نيويورك وعدد المنتخبين حينئذٍ ٢٣٠٠٠ فلم يصوت لها منهم سوى ٢٤ لكن فشلها هذا لم يثنها عن عزمها فانشأت جريدة للدفاع عن حقوق النساء ثم تخلت عن انشائها لغيرها وظلت ١٤ سنة تخطب مطالبة بحقوق النساء والفت كتاباً كبيراً في هذا الموضوع نشرتهُ في ثلاثة مجلدات في كل مجلد منها الف صفحة . وبسعيها واجتهادها أُنصفت المرأة في اميركا وجُعل حقها لدى القانون مثل حق الرجل وصارت تنتخِب وتنتخَب للمجالس المحلية في بعض الولايات . وكان لخطبها ومؤلفاتها شأن كبير في اوربا ايضاً . وقد ربت عائلة كبيرة خمسة ابناء وبنتين ومع ذلك لم تصرفها واجباتها

البيتية عن مساعيها العمومية وبقيت تخطب وتكتب الى آخر دقيقة من عمرها وفي الشهر الذي توفيت فيهِ كتبت مقالة في اصلاح قانون الطلاق في جورنال نيويورك . ومن انبل اعمالها ان المدارس العالية التي كانت تقفل ابوابها في وجوه البنات فيحرمن تعلم العلوم العالية صارت تفتح ابوابها لهنَّ الآن بسعيها . وفي الولايات المتحدة الآن ثلاثة ملايين وسبع مئة وخمسون الف امرأة يعملنَ اعمالاً شريفة غير اعمالهنَّ البيتية يكسبن بها ما يقوم بمعيشتهنَّ مثل ازواجهنَّ واخوتهنَّ من غير ان يكنَّ عالةً على غيرهنَّ والفضل الاكبر في ذلك لهذه المرأة فلها نصيب وافر من عمران الولايات المتحدة وارتقائها

ترويض الاطفال

حالما يصير الطفل قادرًا ان يفعل شيئًا فدربهُ حتى يفعلهُ على احسن اسلوب لانهُ لافرق عندهُ في كيفية فعلهِ ولكن الفرق كبير بين ان يحسن فعلهُ او يسيئهُ مثال ذلك انهُ قد يشرب اللبن متمهلاً ولا يريق منهُ شيئًا على ثيابهِ وقد يشربهُ مسرعاً فيشرق فيهِ او يصبهُ على ثيابهُ وهو يستسهل العملين على حدٍ سوى فيجب ان يعلم الاول ويمنع عن الثاني

ومما يجب الانتباه لهُ في الصغر بنوع خاص ترويض الجسم وتقويتهُ لان العقل السليم لا يكون في الجسم السقيم ولان لاعتدال القوام وقوة البدن شأنًا كبيرًا في نجاح الانسان

والرياضة الكثيرة لا تضرُّ الطفل ولا تتعبهُ لان الحركة من طبعهِ ويجب على والديهِ ان يشاركاهُ في لعبهِ كلما استطاعا الى ذلك سبيلاً فان اللعب ينفعهُ ولا يضر بهما بل ينفعهما . ومن اجمل المناظر منظر رجل شيخ مثل غلادستون يلعب مع ابنة ابنهِ وهي طفلة صغيرة عمرها بضع سنوات يحملها على ظهرهِ او يجري معها ويتسابقان وكبار الوزراء ووكلاء الدول ينتظرونهُ في غرفة اخرى . واللعب مع الاطفال على هذه الصفة يزيل آثار الشيخوخة من الشيوخ ويعيد الطلاقة الى وجوههم فضلاً عما يكسب الطفل من القوة والنشاط . واذا لعب الوالد مع ولدهِ شعر الولد ان اباهُ رفيق لهُ فزاد تعلقهُ بهِ وحبهُ لهُ

ومن الاقوال التي تتناقلها الامهات انهُ لا يجوز اللعب مع الاطفال قبل النوم لئلاَّ يقلقوا في نومهم وهذا خطأ لانهُ ظهر بالاختبار ان قوة الانسان تكون على اشدها في اواخر النهار عند غروب الشمس وفي المساء وان الاطفال الذين يتحركون كثيرًا حينئذٍ ينامون جيدًا

واذا أُريد ان تحصل للطفل الفائدة الكبرى من اللعب معهُ وجب ان تُتبع في اللعب القواعد العلمية حتى تستفيد منهُ كل اعضائهِ وعضلاتهِ وان يكرَّر ذلك يومًا بعد يوم ويُستمر

فيهِ الى ان يتعب فيتركهُ ليستريح وعلى الوالد حينئذٍ ان يجعل اللعب مسليًا للطفل ملذًّا لهُ فيتبارى معهُ ويقول لهُ لننظر ايُّنا اقوى من الآخر ويلعب معهُ الالعاب التي تقوي صدرهُ ورئتيهِ ويديهِ ورجليهِ وسنبين كيفية ذلك في الجزء التالي نقلاً عن استاذ علم الرياضة البدنية



زراعة القطن في العام الماضي

كتب المستر فودن سكرتير الجمعيَّة الزراعية مقالة مسهبة في ما رآهُ هو وغيرهُ من امر زراعة القطن في العام الماضي ذكر فيها اولاً ان احوال الهواء في شهر مارس الماضي لم تكن موافقة لزرع القطن على العموم فلم ينبت بعضهُ واضطرَّ الزارعون الى الترقيع وبعض ما زرع ثانية لم ينبت ايضًا فاضطروا ان يزرعوا بدلاً منهُ ثالثةً ولذلك نما القطن وشجراتهُ مختلفةُ الاعمار والنمو فعسر ارواؤُهُ في الاوقات المناسبة لهُ

واستطرد الى ذكر وقت الزرع فقال ان الزرع "البدري" اصلح من الزرع "الوخري" وقد مال اليهِ كبار المزارعين ولو لم تكن نتيجتهُ مرضية في العام الماضي . وانتقل الى الكلام على التقاوي وقال ان نوع القطن المصري آخذ في الانحطاط لقلَّة الاعتناء بانتقاء التقاوي . واشار بان تفحص الاقطان قبل حلجها وينتقى منها القطن الجيد الخالص في نوعهِ من الامتزاج بانواع اخرى ثم تؤخذ التقاوي المطلوبة منهُ على شرط ان تكون دواليب الحلج والغرابيل نظيفة . وقد اهتمت الجمعية الزراعية بان يزرع القطن في اطيانها بالجيزة وميت الدبة من اجود وانقى التقاوي التي يمكن الحصول عليها وان يتبعها في ذلك بعض الدوائر الزراعيَّة الكبيرة. وفي اثناء نمو القطن ينزع منهُ كل الاشجار التي ليست من نوعهِ ويكرر ذلك قبل الجنية الاولى فتنزع منهُ كل الشجرات التي تحمل قطنًا من غير نوع القطن المزروع او يخالفهُ في لونهِ. ويحلج قطن الجنية الاولى على حدة فتكون بزرتهُ انقى بزرة يمكن الحصول عليها من ذلك النوع. ولا بدَّ من ان يعتنى بزرع هذا القطن وخدمتهِ اعتناءً خصوصيًّا من حيث الحرث والعزق والتسميد حتى ينمو احسن نمو

واشار بان تخدم ارض القطن باكرًا وقال انهُ رأى مدة الموسمين الماضيين فرقًا كبيرًا بين نمو القطن المزروع بعد الذرة ونمو القطن المزروع بعد البرسيم المزرع بعد الذرة فان ارض الذرة

اذا حرثت وتركت بائرة الى حين زرع القطن يكون قطنها اجود من قطن الارض التي تزرع برسيمًا بعد الذرة ثم تحرث قبل زرع القطن مباشرة . وقال انهُ من الخطإِ تأخير حرث ارض البرسيم الى حين زرع القطن فان ما يمكن الحصول عليهِ من البرسيم لا يوازي ما ينقص من غلَّة القطن اذا تأخرت خدمة ارضهِ لان ارض القطن يجب ان تحرث وتترك مدة لتأثير الشمس والهواء

وعاد الى الموسم الماضي فقال ان احوال الهواء لم تكن على ما يرام في شهر مايو ايضاً لان تعاقب الحر والبرد فيهِ اخرا نمو النبات وكذلك لم يشتد الحر في شهر يونيو حتى يبلغ النبات الدرجة اللازمة لهُ من النمو وكانت حرارة الهواء في شهر يونيو اقل من المتوسط ولاسيما في النصف الاخير منهُ . ولم تكن حرارتهُ موافقة في اغسطس ولاسيما في اواخرهِ . وانتشر الضباب في شهر سبتمبر فزاد بهِ ضرر القطن . وظهر ان القطن الميت عفيف تأثر من رداءة الهواء اكثر من القطن العباسي واليانوفتش والاخير تأثر اقل من غيره

نتيجة التجارب في الجيزة

امتُحن السباخ البلدي في ثلاثة افدنة من اطيان الجمعية الزراعية في الجيزة وُضع في الفدان منها ١٥ مترًا مكعبًا . وامتحن السماد الكيماوي في ثلاثة افدنة أُخرى وُضع في الفدان منها ٤ قناطير من أعلى فصفات الصودا وقنطار من نيترات الصودا وقنطار من كبريتات النشادر . وبلغت نفقات السماد الكيماوي ١٧٠ غرشاً لكل فدان وكانت غلة الفدان المسمَّد بالسباخ البلدي ٨ قناطير و ١١ رطلاً والمسمد بالسماد الكيماوي ٩ قناطير و ٢٢ رطلاً فزادت بالسماد الكيماوي قنطارًا و ١١ رطلاً واذا فرض ثمن القنطار ٢٨٠ غرشاً فقط بلغت الزيادة ٣٠٠ غرش يطرح منها ثمن السماد وهو ١٧٠ غرشاً فيكون الربح الباقي ١٣٠ غرشاً يضاف اليها ثمن السباخ البلدي واجرة نقلهِ الى الاطيان لان ذلك كلهُ توفر في الاطيان التي سمدت بالسماد الكيماوي فيكون الربح من السماد الكيماوي وافرًا جدًّا

ولما كانت الآراءُ متضاربة في كيفية وضع السماد الكيماوي بين ان يذرَّ على الارض قبل تخطيطها للزرع وبين ان يوضع تكبيشاً قبل الزرع وبعد الرية الثانية امتحنت الطريقتان في السنة الماضية في الجيزة وفي ميت الديبة فظهر ان الطريقة الثانية انفع من الاول

وجُرِّب تسميد الارض بكبريتات البوتاسا مع تسميدها بالفصفات فلم يظهر للبوتاسا اقل فائدة فيها

نتيجة التجارب في ميت الديبة

كانت نتيجة التجارب في ميت الديبة مفيدة جدًّا لان تلك الارض ضعيفة وقد اختار المستر فودن اضعفها لزرع القطن وزرعها من القطن الينوفتش وسمده بمخلوط موافق من الاسمدة الكيماوية فبلغ المحصول ٥ قناطير وكانت الارض المخصصة للتجارب ٧ افدنة وقسمت سبعة اقسام متساوية ترك القسم الاول منها بغير سماد

وسمد القسم الثاني بالسباخ البلدي ١٥ مترًا مكعبًا للفدان

والقسم الثالث بقنطار من نيترات الصودا وقنطار من كبريتات النشادر

والرابع بقنطارين من كبريتات النشادر

والخامس باربعة قناطير من الفصفات الاعلى وقنطار من كبريتات البوتاسا

والسادس باربعة قناطير من الفصفات الاعلى وقنطار من نيترات الصودا وقنطار من كبريتات النشادر

والسابع سمد مثل السادس واضيف الى سماده قنطار من كبريتات البوتاسا

وعوملت هذه القطع معاملة واحدة في زرعها وريها وخدمتها والسباخ البلدي وضع في الارض قبل آخر حرثة والاسمدة الكيماوية وضعت بطريقة التكبيش والزرع نام فكانت النتيجة هكذا

القطعة	نوع السماد	محصول الفدان
١	بدون سماد	٠٨٨٠ رطلاً
٢	بالسباخ البلدي	١١٣٥ «
٣	قنطار من نيترات الصودا وقنطار من كبريتات النشادر	١٣٢٠ «
٤	قنطار من كبريتات النشادر	١٣٣٥ «
٥	اربعة قناطير من الفصفات الاعلى وقنطار من كبريتات البوتاسا	١٣٤٠ «
٦	٤ قناطير الفصفات الاعلى وقنطار نيترات وقنطار كبريتات النشادر	١٦٠٠ «
٧	مثل السادسة مع قنطار من كبريتات البوتاسا	١٥٣٥ «

ويظهر من هذه التجارب ان تلك الارض الضعيفة كانت محتاجة الى المواد النيتروجينيَّة والفصفوريَّة فلما اضيفت اليها المواد النيتروجينيَّة وحدها في القطعة الثالثة زاد المحصول ٤٤٠ رطلاً ولما اضيفت اليها المواد الفصفورية وحدها في القطعة الخامسة زاد المحصول ٤٦٠ رطلاً

ولما اضيفت اليها المواد النيتروجينيَّة والفصفورية في القطعة السادسة بلغت زيادة المحصول ٧٢٠ رطلاً وهي زيادة بالغة جدًّا ومعلوم ان السماد لا يفيد هذه الفائدة الاَّ في الارض الضعيفة التي تحتاج اليهِ واما الارض القوية الكثيرة الخصب ففائدتهُ فيها تكون اقل من ذلك كثيرًا كما ظهر من التجارب في اطيان الجيزة

والزيادة التي حصلت من القطعة السادسة وهي ٧٢٠ رطلاً بلغ ثمنها ٨٠٠ غرش لان القطن من اليَنوفتش كما تقدَّم وبيع القنطار منهُ بثلثمئة وخمسين غرشاً . وقد بلغ ثمن السماد الكيماوي واجرة نقلهِ ووضعهِ في الارض ١٨٠ غرشاً فبلغ الربح من ذلك ٦٢٠ غرشاً

واجرى المستر فودن تجارب اخرى هناك في ارض كانت مزروعة حنطة فقسم الارض سبعة اقسام متساوية وترك القسم الاول منها بغير تسميد وسمَّد الاقسام الباقية كما سمدها في القطع الاولى

فكان محصول الفدان الذي بغير سماد ٨٠٠ رطل ومحصول الفدان المسمَّد باربعة قناطير من الفصفات الاعلى وقنطار من نيترات الصودا وقنطار من كبريتات النشادر ١١٠٥ ارطال فبلغت الزيادة من استعمال السماد ٣٠٥ ارطال من القطن اليَنوفتش بلغ ثمنها ٣٤٠ غرشاً اذا طرح منها ثمن السماد بقيت الزيادة نحو ١٥٠ غرشاً

هذا وقد رأَينا بالاختبار ان غلة الفدان في مثل تلك الاطيان لم تبلغ هذا العام اكثر من ثلاثة قناطير فمحصول خمسة قناطير غاية في الجودة واذا كانت الجمعية الزراعية لم تثبت الاَّ هذا الامر وهو ان السماد الكيماوي المركَّب من المواد النيتروجينية والفصفورية يفيد الاطيان الضعيفة الى هذا الحد فهو وحدهُ يزيد على كل ما انفقتهُ الحكومة عليها حتى الآن

تجارب في زراعة الشعير

جُرب زرع الشعير في اراضي مدرسة الزراعة في الجيزة ليُعلم الفرق بين انواع التقاوي فأُتي بخمسة انواع من التقاوي الاول من حياض الجيزة والثاني من قليوب والثالث من الجيزة والرابع من المنصورة والخامس من انكلترا فبلغ محصول الفدان من الاول ١٥ اردبًّا و ٣ كيلات ووزنهُ ٤٠٨٦ رطلاً ووزن تبنهِ ٦ احمال و ١٥ اقة وثمن المحصول كلهِ ١١١٥ غرشاً . وبلغ محصول الفدان من النوع الثاني ١٤ اردبًّا و ٣ كيلات ووزنهُ ٣٩٣٧ رطلاً ووزن تبنهِ ٦ احمال و ٣ اقات وثمن المحصول كلهِ ١٠٤٠ غرشاً . ومحصول الفدان من النوع الثالث ١٣ اردبًّا وكيلة ووزنهُ ٣٥٢٠ رطلاً ووزن تبنهِ ٤ احمال و ١٣ اقة وثمن المحصول كلهِ ٩٢٠ غرشاً . ومحصول

الفدان من النوع الرابع ١٣ اردبًا وكيلة ووزنهُ ٣٥٨٦ رطلاً ووزن تبنهِ ٦ احمال و ١١٥ رطلاً وثمن المحصول كلهِ ٩٨٠ غرشًا . ومحصول النوع الخامس ٦ ارادب و ٦ كيلات ووزنهُ ١٩١٤ رطلاً ووزن تبنهِ ٤ احمال و ١٦٠ اقة

وواضح من ذلك ان التقاوي البلدية اصلح من التقاوي الاوربية في الاراضي الجيدة وان التقاوي المأخوذة من الحياض اجود من غيرها . وان كانت غلة الفدان تبلغ ١٤ او ١٥ اردبًا من الشعير ويبلغ ثمنها اكثر من الف غرش فمستقبل الزراعة العلمية يفوق كل تقدير

ويظهر من ذلك ايضًا ان تقاوي الشعير المأخوذة من قليوب اثقل من غيرها وقد قال المستر لنتون ان كل مئة حبة من شعير قليوب تزن مثل ١١١ حبة من شعير الجيزة المأخوذ من الحياض ومثل ١١٦ حبة من شعير المنصورة . وقال ايضًا انهُ أخذ شيئًا من تقاوي الشعير المنتقاة وزرع بعضهُ في ارض جيدة وبعضهُ في ارض رديئة فبلغ محصول الفدان في الارض الجيدة ١٦ اردبًا و ٧ كيلات وثمنهُ ١١٩٠ غرشًا وفي الارض الرديئة ١١ اردبًا و ١١ كيلة وثمنهُ ١٠٤٥ غرشًا وزرع شعير غير منتقى في الارض الجيدة والارض الرديئة فبلغ محصول الفدان من الارض الجيدة ١٤ اردبًا و ٨ كيلات وثمنهُ ٨٢٥ ومن الارض الرديئة ١١ اردبًا و ٦ كيلات وثمنهُ ٨٠٠ غرش

المعرض الزراعي

سيفتح المعرض الزراعي في الجزيرة في ١١ فبراير المقبل والايام الاربعة التالية وتعرض فيهِ المعروضات الزراعية على انواعها من الحيوانات والمحصولات الزراعية والآلات والادوات . والحيوانات تشمل البقر والجواميس والغنم والمعزى والجمال والخيل والبغال والحمير والدجاج والوز والبط والبيض والحمام والارانب . والمحصولات تشمل القمح والشعير والذرة والارز والعدس والفول وبزر الكتان والسمسم والحلبة والبرسيم . والقطن على انواعهِ اي الميت عفيف والاشموني والعباسي الينوفتش . وقصب السكر والبنجر والسكر ونباتات العلف وكسب القطن والزيوت والبطاطس والبصل والطماطم والزبدة والسمن والقشدة والجبن والعسل والشمع والصوف والتبغ ونباتات الصباغة والاخشاب النامية في مصر

وتبلغ قيمة الجوائز التي يراد اعطاؤها هذا العام نحو ٢٦٠ جنيهًا وهذا المبلغ قليل جدًا اذا قوبل بالتعب الذي يتجشمهُ اهل الزراعة في عرض ما يريدون عرضهُ والنفقات التي يتحملونها . وبعضها زريٌ جدًا لا يرغّب احدًا في الاعتناء بالزراعة فالجائزة الاولى للجبن البلدي ٥٠ غرشًا

والجائزة الاولى لشمع النحل ٥٠ غرشاً والجائزة الاولى لمجموعة من نباتات الصباغة مدالية من البرنز والجائزة للبطاطس ٧٥ غرشاً وللبصل ٧٥ غرشاً وللدجاج مئة غرش وللاوز ٥٠ غرشاً وللبط ٦٠ غرشاً مع ان هذه الاشياء مما يزيد في ثروة البلاد وقوتها. وعندنا ان تنشيط تربية الدجاج والوز والبط يجب ان لا يقل عن تنشيط تربية الغنم والمعزى والجوائز المعينة لتربية الغنم تساوي ٦٦ جنيهاً ولتربية المعزى ثمانية جنيهات مع ان الغنم لا امل انها تكثر في هذا القطر لانهُ لا مرعى لها فيهِ وليس في الامكان زرع المراعي لها لغلاء الاطيان والمعزى اذا كثرت فيه كانت ضربة قاضية عليهِ لان كل بلاد كثرت فيها جعلتها قفرًا



ناحية ابي رواش الطباشيرية

The Cretaceous Region of Abu Roash.

اتحفتنا ادارة المساحة الجيولوجية بالجزء الثاني من تقريرها عن جيولوجية الآكام الطباشيرية التي تلي الاهرام من الجهة الشمالية الغربية عند طرف الصحراء على ١٥ كيلومترًا من القاهرة غربًا ومساحتها كلها ٤٨ كيلومترًا مربعاً وفي هذا التقرير وصف وجيز لجغرافية تلك الآكام ووصف مسهب لجيولوجيتها اي شكل بنائها والزمن الذي تكوَّنت فيهِ والطوارئ الطبيعية التي طرأت عليها . ويمتاز هذا التقرير بكثرة الصور والرسوم ودقة صنعها فانها بالغة الدرجة القصوى من الاتقان . وقد وضعهُ المستر بيدنل الجيولوجي بعد بحث دقيق ومقابلة كل ما قالهُ العلماء المتقدمون في وصف تلك الآكام . وفائدتهُ خصوصيَّة لا تتناول احدًا من ابناء هذا القطر الآن ولكن قد يستفيدون منها في مستقبل الازمان

الثورة الافرنسية

هاجر السوريون الى اميركا طلبًا للرزق او هربًا من الجور ولم ينسوا لغتهم فيها فتراهم يصدرون الجرائد ويؤلفون الكتب باللغة العربية الى ان يشبَّ اولادهم على معرفة اللغة الانكليزية او البورتوغالية فيضطروا الى الاقتصار على لغة البلاد التي نزلوها . ومن مؤلفاتهم

الحديثة رسالة في الثورة الافرنسية لحضرة الكاتب المجيد امين افندي فارس ريحاني قال في مقدمتها انهُ انشأها ليطّلع عليها اخوانهُ الذين لا يعرفون الانكليزية ولا الفرنسوية والحقها بمقالة انتقادية جمع فيها الافكار التي تولدت في نفسهِ حينما قرأ تاريخ الثورة الذي الّفهُ توماس كارليل

وعبارة الرسالة رشيقة ومعانيها دقيقة وهي على ايجازها تصور ما تصفهُ ادق تصوير. قال كاتبها في الكلام على ڤولتير " لم يكن ڤولتير دهريًّا كما زعم البعض بل كان حرًّا في افكارهِ مستقلاً في عقيدتهِ مرتابًا فقط في بعض العقائد الدينية فهو الذي جاهر بحرية العبادة وذاد عنها في كل كتاباتهِ شعرًا ونثرًا وهزلاً وجدًّا . طعن برمح تهكمهِ الخرافات فقتلها وكان اذا تبسّم من وراء يراعتهِ يهتزّ لهُ اناك الظالم على عرشهِ . اشتغل بالتدمير فدمّر كل شيء سخيف وعقيم في الهيئة الاجتماعية القديمة ومهد الطريق للفلاسفة الذين اشتغلوا من بعده بالبناء " وانتقاد الكاتب على كارليل شديد عنيف وليس هنا محل البحث فيهِ

والرسالة مهداة الى حضرة الكاتب البليغ نعوم افندي مكرزل

النخبة

هو قصائد مختارة من ديوان الشاعر المطبوع رشيد افندي معوض فيهِ كثير من قصائد الغزل الرقيق والوصف البديع وكثير من الابيات الحكمية اخذ في بعضها مأخذ الاشتراكيين كقوله

وتأوي الى اوكارها طير ايكة وجنب فقير لا يلامس مرقدا
ترى في وجوه البائسين تفاؤلاً وفي وجنات الموسرين توردا

ومن احاسن مدحهِ قولهُ

يا خير من حثّت اليهِ ركابنا واليهِ قد زفّت بنات الخاطرِ

وقولهُ في مدح المرحوم عبده الحمولي

نثر الشمائل لؤلؤًا متناثرًا فعقدت منها سلكيَ المترصعا

ومن الوصف قولهُ في رحلتهِ الى الترنسفال

ترى البطائح فيحًا فوق ما نظرت عيناك يكلأُها عير وذيّال

وقولهُ في حب البوير لوطنهم

ليت ذاك الالماس ما كان لم يرموا بيكر من الوغى وعوانِ

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

وقد نقلها الى العربية حضرة الكاتب البليغ رشيد افندي الخوري الشرتوني . وهي رواية دينيَّة تاريخيَّة أدبيَّة جُعلت وقائعها في جبل لبنان وما يليهِ شمالاً الى جبال النصيرية في القرن الخامس عشر الذي تاريخهُ من اسقم التواريخ. ولم يتحاشَ المؤلف ذكرما لا يصدقهُ عقل ولا يصحُّ الَّا اذا اختل نظام الكون. والظاهر انهُ مبتدئ في تصنيف الروايات فلم يفلح كثيرًا في ما استنبطهُ من الحوادث لكنهُ اجاد وافاد في ذكر الامور التاريخية والاستشهاد بالمظان المنقولة عنها وحبذا لو ذكر الفصل او الصفحة من الكتب التي استشهد بها وذكر الاسماء الافرنجيَّة بحروفها الافرنجيَّة ايضاً تسهيلاً للمراجعة

باب الصناعة

الاليومنوم ومركباتهُ

لا يخفى على قرّاء المقتطف ان الاليومنوم معدن ابيض كالفضة خفيف جدًّا اخف من كل المعادن المطروقة . وهو كثير الوجود في الارض ولم يمنع الناس من كثرة استعمالهِ في الماضي الَّا صعوبة استخراجهِ حتى ان القدماء لم يهتدوا اليهِ كما اهتدوا الى الحديد والنحاس مع انهُ اكثر منهما جدًّا ولما اهتدوا الى طريقة رخيصة لاستخراجهِ وتجميدهِ منذ خمس عشرة سنة رخص ثمنهُ فصار ثمن الرطل منهُ مئة غرش ثم زاد رخصاً بازدياد طريقة استخراجهِ اتقاناً حتى يبلغ ثمن الرطل منهُ الآن نحو خمسة غروش فقط فان نفقات استخراجهِ لا تزيد الآن على اربعة غروش لكل رطل منهُ . وهو نقي جدًّا في المئة رطل منهُ نصف رطل فقط من الشوائب واكثرها من الحديد والسليكون

والهواء يفعل بالأليومنوم فيكدّر سطحهُ ولا سيما في المدن الفاسدة الهواء لكن الغشاء الذي يعلوهُ حينئذٍ يحفظ ما تحتهُ من المعدن

ولهذا المعدن فائدة كبيرة في سبك المعادن فانهُ اذا اضيف رطلان او ثلاثة منهُ الى الطن من الحديد او النحاس وقت سبكهما وافراغهما في القوالب امتصت ما في المعدن المسبوك

منَ الهواء ومنعت تكون الابواق فيهِ ولهُ فائدة صناعية اخرى في لحم قضبان الحديد في سكك الحديد فانهُ اذا مزج باكسيد الحديد واشعل بشريط من المغنيسيوم اشتعل وتولَّدت منهُ حرارة شديدة جدًّا تذيب قضبان الحديد وتلصقها بعضها ببعض

قلنا ان الالومنيوم اخف المعادن المطروقة فان ثقلهُ النوعي ٦ و٢ اي ان وزن السنتيمتر المكعب منهُ غرامان وستة اعشار الغرام فقط ولخفتهِ كثر استعمالهُ حيث يراد استعمال معدن خفيف كما في السفن والمركبات . وقد شاع استعمالهُ آنية للطبخ لانهُ من اشد الموصلات للحرارة ولا تتركَّب منهُ مركبات سامَّة مع الطعام كما تتركب من النحاس والرصاص وهذا يدعو الى استعمال مقادير كبيرة جدًّا منهُ لان آنية الطبخ توجد في كل بيت

ولا يعترض على الالومنيوم الا بانهُ قليل الصلابة او المتانة لكن ذلك يُصلَح باضافة قليل من النكل او النحاس اليهِ فاذا كان صرفًا فمتانتهُ ٢٨٠٠٠ رطل لكل عقدة مربعة فاذا أُضيف اليهِ نحو ٢ في المئة من النحاس صارت متانتهُ ٤١٠٠٠ واذا أُضيف اليهِ واحد في المئة من النحاس وواحد في المئة من النكل صارت متانتهُ ٤٥٩٠٠

والفائدة الكبرى التي يمكن ان تكون للالومنيوم هي استعمالهُ بدل النحاس موصلاً للكهربائية على مسافات طويلة بعد ان غلا ثمن النحاس غلاء فاحشًا فقد استعمل لنقل قوة ٢٠٠٠٠ حصان مسافة اربعين ميلاً وزيدت متانتهُ حينئذٍ باضافة ١/٢ ١ في المئة من النحاس اليهِ ولخفتهِ امكن ان يجعل البعد بين كل عمودين ١٥٠ قدمًا فاقتصد في عدد الاعمدة

هذا والذي يهمُّ قرَّاء المقتطف بنوع خاص مما تقدَّم ان آنية الالومنيوم اذا استعملت للطبخ فهي اصلح من آنية النحاس وانهُ يجب ان يكون ثمنها رخيصًا جدًّا فالقدر الذي يكون ثمنهُ اربعون او خمسون غرشًا اذا كان من النحاس يجب ان لا يزيد ثمنهُ على عشرة غروش اذا كان من الالومنيوم لان ثمن الرطل من الالومنيوم نحو نصف ثمن الرطل من النحاس ووزن الالومنيوم نحو ثلث وزن النحاس

التصوير الشمسي الملوَّن

نكتب هذه السطور لا طمعًا بان يطلّع عليها القراء ويستفيدوا منها فائدة عملية فيصوروا صورًا فوتوغرافية ملوَّنة بل لكي يعرفوا الى اي حدٍّ وصلت هذه الصناعة التي تعدُّ من ابدع مكتشفات القرن الماضي

ونحن نكتب الآن وامامنا رسم عشر بيضات من بيوض الطيور ملونة بالوانها الطبيعية تمامًا بين ابيض واصفر وبني وقرفي وبنفسجي وملطخ بلطخ مختلفة من هذه الالوان . لكنها مطبوعة

كذلك طبعاً بالحبر في المطابع العادية مع ان الصور صنعت بالتصوير الشمسي

وطريقة هذا التصوير ان تؤخذ ثلاث صور سلبيَّة على ثلاث زجاجات حسَّاسة وحين اخذ الصور عليها توضع بينها وبين عدسيَّة آلة التصوير الواح ملونة تمتص الالوان من صورة الجسم فلا يبقى منها كل مرة الاَّ لون واحد من الالوان الاصليَّة وهي الاحمر والازرق والاخضر. ومتى أُخذت الصور الثلاثة على ثلاثة الواح تنقل عنها الى ثلاث صفائح من الزنك او النحاس حسبما تنقل الصور عادة فيكون على الصفيحة الواحدة منها صورة كل ما هو ملوَّن باللون الاحمر وعلى الثانية صورة كل ما هو ملوَّن باللون الازرق وعلى الثالثة صورة كل ما هو ملوَّن باللون الاخضر. وتطبع الصورة على الورق ثلاث مرَّات بحبر احمر وازرق واخضر على التوالي. ولا بدَّ من ان تكون هذه الاحبار الثلاثة على نسبة ما في النور الابيض منها فتظهر الصورة اخيرًا ملوَّنة بالوانها الطبيعيَّة تماماً

الاَّ ان المدة اللازمة لاخذ الصورة على لوح الزجاج طويلة فاللون الازرق يقتضي نحو عشر دقائق والاخضر نحو ثلاثين دقيقة والاحمر اكثر من ذلك ونقول جريدة ناتشر ان هذه المدة يمكن ان تقصر كثيرًا اذا كان النور ساطعاً ولكنها مهما قصرت تبقى طويلة جدًّا بالنسبة الى الوقت لاخذ الصور العادية فلا تصلح هذه الطريقة لتصوير الناس ولا لتصوير الحيوانات الحيَّة ولكنها تصلح لتصوير المناظر الطبيعيَّة المختلفة والحيوانات المصبَّرة والنباتات على انواعها والآلات والادوات فهي خير معين لعلماء الطبيعة على رسم صورها في كتبهم وعلى ما يكبرونهُ بالفانوس السحري منها

آلة علب السردين

كان العامل الماهر لا يصنع في نهارهِ اكثر من ستمئة علبة من هذه العلب بانقن الآلات المعروفة اما الآن فاخترع رجل من اهالي نروج آلة يصنع بها العامل الواحد ثمانية عشر الف صندوق في اليوم

مواقد زيت البترول

لما اشتدَّ اعتصاب العمال مستخرجي الفحم الحجري اتجَّهت همة المخترعين الى اختراع اساليب جديدة لايقاد زيت البترول بدل الفحم الحجري او استعمال بخارهِ لادارة الآلات فبلغ عدد الذين طلبوا امتيازًا بمخترعاتٍ جديدة من هذا القبيل في الولايات المتحدة الاميركية حتى شهر سبتمبر الماضي ٣٩٨٠

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله. وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) اول عمل الزجاج

طنطا . الخواجه هارون حسون . هل وجدت قديمًا معامل لعمل الزجاج واي بلاد صنعتهُ اولاً

ج يظهر من آثار مصر وسورية وبابل واشور ان الزجاج كان يصنع بكثرة فيها قبل التاريخ المسيحي . واقدم الزجاج الموجود الآن مصري صنع في مصر قبل التاريخ المسيحي بنحو اربعة آلاف سنة فلا يبعد ان تكون مصر صنعتهُ قبل غيرها من البلدان

(٢) النبوات

باهيا بالبرازيل . الخواجه الياس مارون . ما قول علماء هذا العصر الذين ينكرون صحة النبوّات في ما قالهُ ابو نبوليون الاوّل وهو في حالة النزع فقد قال لا يحيني من هذه الساعة احد ولا سيف ابني نبوليون الذي سوف يقهر اوربا كلها

ج ان ما يحدث في المستقبل قد يكون مرتبطاً بامور معلومة فيُعرَف منها كما تعرف الامور المجهولة من الامور المعلومة بالاستدلال والاستنتاج وعلى ذلك تبنى أكثر معلومات الانسان ومعاملاتهُ فاننا نزرع البزور في الارض مثلاً ونحن واثقون انها تنبت بعد ايام فتنبت وتنمو وتثمر كاننا نتنبأ بما سيحدث في المستقبل . ومثل ذلك او أدقّ منهُ نعرف اوقات كسوف الشمس وخسوف القمر وحركات السيارات . وقد يكون غير مرتبط بامور معلومة عندنا فلا نستطيع ان نتّصل الى معرفتهِ . فاذا وُجد احد يعرف ما لا يعرفهُ غيرهُ من الحوادث المستقبلة فيكون قد استدلَّ عليها بدلائل لا يعرفها غيرهُ وما من احد من العلماء ينكر ذلك ولكنهم لا يصدقون كل ما يروى من هذا القبيل الاَّ اذا ظهرت ارجحيتهُ او ثبت صدقهُ فاذا انبأ واحد مثلاً ان ثمن البن البرازيلي سيصير بعد شهرين ثلاثة اضعاف ما هو الآن لم يصدقهُ احد من تجار البن الاَّ اذا عرفوا الدلائل التي بنى عليها حكمهُ ورأوا انها ترجح النتيجة التي استنتجها او عرفوا بالاختبار الطويل ان نبوّتهُ كانت تصحّ دائمًا

ولو لم يخبرهم عن الدلائل التي يبنيها عليها . اما الذين يدَّعون انهم يعرفون المستقبل بالهام الهي او شيطاني فاذا اثبتوا دعواهم بادلَّة قاطعة لا ينكرها احد عليهم

(٣) هواء لبنان

ومنهُ . يخال لي ان هواء جبل لبنان اطيب من هواء كل بلاد أُخرى فهل هذا رأْيكم

ج نحن ميالون الى هذا الرأْي ايضاً ولكن لم يبحث احد في ذلك بحثاً علميًّا حتى الآن. ونريد بالبحث العلمي اولاً ان يعرف مقدار الميكروبات في هواء لبنان على مدار السنة ومقدار الميكروبات المَرَضية منها. ثانياً ان يعرف مقدار الاوزون فيهِ ثالثاً ان تقاس درجات حرارتهِ على مدار السنة ويعرف اختلافها نهارًا وليلاً وتأْثير ذلك في صحَّة الابدان . رابعًا ان يعرف مقدار رطوبتهِ على مدار السنة. خامساً ان يعرف مقدار الساعات التي تشرق فيها الشمس في السنة . سادساً ان يقابل بينهُ وبين غيرهِ من البلدان المشهورة في جودة هوائها

(٤) الارجوحة للطفل

مصر . السيدة زينب ابرهيم عزت . هل الاصلح للطفل الرضيع ان يوضع في ارجوحة كما يفعل السوريون او في السرير او غيرها . نرجو افادتنا عن ذلك

ج الفرق قليل بين الارجوحة والسرير سواء كان السرير متحركًا او ثابتاً فانهُ اذا اعتاد الطفل تحريك جسمهِ وقت النوم صار يصعب عليهِ ان ينام من غير ان يحرَّك جسمهُ واذا اعتاد النوم من غير ان يحرَّك جسمهُ صار ينام كذلك . وقد تربى بعض اولادنا في سرير يهزُّ وبعضهم في سرير لا يهزُّ ويظهر لنا ان الذين تربوا في سرير لا يهزُّ كانت صحتهم اجود بنوع عام

---

(٥) ماء الارض

بتكرالين بالبرازيل . الخواجه نقولا ابو عيسى . هل مياه هذا الكون آخذة في الازدياد او التناقص او هي باقية على حال واحدة

ج نظن انكم تريدون بالكون كرتنا الارض وبالماء الماء السائل اي مياه البحار والبحيرات والانهار والينابيع فاذا كان الامر كذلك فمياه الارض آخذة في التناقص لانها تدخل الاجسام المتبلورة وستجف الارض يوماً ما كما جفَّ القمر

(٦) كشف الراس

ومنهُ . يعتقد اهالي برازيل انهُ اذا اقام الانسان خارج الاواء مساء مكشوف الراس اعتراهُ مرض في جسمهِ فهل هذا الاعتقاد صحيح

ج لا يعقل ان يحدث في البرازيل

غير ما يحدث في غيرنا نكشف الراس لمن اعتاد كشف رأسهِ غير ضار وكشفهُ لمن اعتاد تغطيتهُ يوقع في الزكام اذا كان الهواء شديد البرد ولا نرى لهُ ضررًا غير ذلك

---

(٧) الطبيعة الخامسة

مصر . احد المشتركين . ماذا يقصد الناس بقولهم العادة طبيعية خامسة هل ان الانسان ذو طبائع اربع واذا كان كذلك فما هي تلك الطبائع

ج ان الاطباء المتقدمين قالوا باربع طبائع في جسم الانسان الاولى مزاج البدن والثانية هيئتهُ التركيبيَّة والثالثة القوة المدبرة فيهِ ورابعاً حركة النفس. والعلم الطبيعي لا يعرف في جسم الانسان غير المادَّة والقوة فالعظم والعضل والدم والاعصاب والدماغ والجلد والشعر كل ذلك مادة والحركة التي تحركها هذه الاعضاء قوة والمادة والقوة تأتيان من الغذاء والهواء. أَدْخِلْ فارتين ذكرًا وانثى الى صندوق من الطحين واتركهما فيهِ شهرًا من الزمان تجد انهما قد ولدا فيرانًا كثيرة وكلها اكتست لحمًا وعظمًا وصوفًا وصارت تمشي وتسعى في طلب رزقها وتجاهد في طلبهِ وتتفق وتفترق وتتزاوج وتتوالد وكل مادتها وكل قوَّتها اتت من الدقيق الذي اكلتهُ والهواء الذي تنفستهُ والحرارة التي وصلت اليها . اما قول الناس الطبيعة الخامسة فلعلهم يعنون ان الطبائع الاربع المشار اليها آنفًا تشمل كل قوى الانسان فاذا اعتاد عادةً ما صارت تلك العادة طبيعة خامسة لهُ

---

(٨) بطء الشيب

صيدا . محمد افندي علي حامد . بماذا تعللون بطء الشيب في بعض الناس فقد شاهدت رجلاً قرويًّا ناهز الثمانين ولم يزل شعرهُ اسود فاحمًا

ج الشيب عَرَض سببهُ ضعف في تغذية الشعر يرافق ضعف القوى الحيوية ولذلك يظهر في الشيخوخة غير انهُ يقوى او يضعف بالوراثة اي اذا انهك رجلان قواهما في شبابهما او كهولتهما وتزوج ابن احدهما بنت الآخر فالراجح ان ابناء هذين الزوجين يكونون اميل منهما الى الشيب الباكر . واذا اتفق انهم تزوجوا بينات مولودات من والدين مائلين الى الشيب الباكر قوي هذا الميل في اولادهم ايضًا فصار الشيب يظهر فيهم باكرًا جريًا على ناموس الوراثة الذي اوضحناهُ غير مرةٍ وهو ان الولد يرث نصف ما فيهِ جسدًا وعقلاً من والديهِ وربعهُ من والديهم وثمنهُ من والدي والديهم وهلمَّ جرًّا . وقس على ذلك عدم الميل الى الشيب الباكر . غير ان الناس لا يقصدون في زواجهم اثبات صفة من الصفات في نسلهم كما نقصد في تربية المواشي والاشجار والازهار فيتفق كثيرًا ان الميل

الذي يكون في زيد يكون ضده في زوجتهِ فيتعدَّل في نسلهما . واذا يحتِّم عن اصل الرجل القروي الذي اشرتم اليهِ وجدتم الميل الى تأخُّر الشيب كان ظاهرًا في احد والديهِ او فيهما كليهما او في احد اجدادهِ لابيهِ او امهِ او لهما كليهما

(٩) تصوير الارواح

ومنهُ . اخبرني بعض الاذكياء انهُ توجد آلة فوتوغرافية تصور الصورة المستحضرة في ذهن المرء كانها محسوسة فهل لذلك صحة وما تعليل هذا التصوير

ج هذه دعوى ادَّعاها بعض المحتالين وصوَّروا بها صورًا خيالية لا وجود لها في الخارج على زعمهم . وقد شاهدنا صورًا مطبوعةً منقولة عن هذه الصور الخيالية ولكن وُجد لدى البحث انهم كانوا مخدوعين او خادعين . قلنا مخدوعين لانهُ ثبت الآن انهُ اذا وُضعت صورة على لوح من الزجاج مباشرة لهُ وبقيت عليهِ وقتًا طويلاً اثرت فيهِ تأثيرًا يظهر بالتصوير الشمسي ولو لم يُرَ بالعين فاذا كان المصور يجهل ذلك ورأى الصورة تصوَّر عن ذلك اللوح ولو لم يكن مصدرها امامهُ فهو مخدوع في حسبانهِ اياها صورة خالية واذا كان يعلم ذلك ويخدع غيرهُ بهِ فهو خادع . ولما كانت هذه الصور غير واضحة فيراها المرء ويتوهم انها تماثل الصورة التي كانت في ذهنهِ

(١٠) كتاب في العمران

ومنهُ . هل يوجد بعد مقدمة ابن خلدون تأليف وافٍ في علم العمران باللغة العربية

ج لا نظن ولم نرَ كتابًا عربيًّا قديمًا في علم العمران غير المقدمة

(١١) فهرس المقتطف

ومنهُ . اقترح عليكم بعض الادباء ان تجمعوا ما نشرتموهُ وتنشرونهُ في المقتطف تحت عنوان تدبير المنزل واقترح ايضًا اديب آخر ان تضعوا فهرسًا هجائيًّا عامًّا لكل مجلدات المقتطف فهل توفقتم الى انجاز هذين الامرين او احدهما

ج وفقنا الى انجاز الامر الثاني فقط فوُضع الفهرس العام للخمسة والعشرين مجلدًا الاولى من المقتطف ولكننا لم نجد فرصةً حتى الآن لطبعهِ

(١٢) النهضة الجديدة

ومنهُ . ما قولكم في هذه النهضة العلمية الاصلاحية هل تنتج ثمرًا في المستقبل

ج هذا الذي نرجوهُ ونسعى لهُ ولكنها قد تختنق قبل ان تنمو النمو الكافي ما دام التضييق على الافكار جاريًا مجراهُ في بلادنا

(١٣) استحضار الارواح

ومنهُ . هل استحضار الارواح امر صحيح او باطل وان كان باطلاً فلماذا صدَّق بهِ جم غفير من علماء اوربا واميركا وانبرى لاثباتهِ مثتا مجلة

ج كنا منذ سنتين راجعين من بيت رجل من المعتقدين استحضار الارواح في مدينة باريس عرّفنا بهِ صديق قديم من نزلاء تلك المدينة فسألنا وهو يمشي معنا كيف رأيتم الرجل فقلنا ان عقلهُ غير موزون . وانبنى على هذا الجواب جدال طويل لا محل لبسطهِ هنا. وكلما رأينا رجلاً من العلماء الذين يعتقدون اعتقاداً اكيداً باستحضار الارواح نرى شيئاً من الخلل او الهوس في عقلهِ فانهُ قد يكون من اعلم الناس في امور كثيرة يبني احكامهُ فيها على القواعد العلمية ثم اذا حدثتهُ في مسألة استحضار الارواح رأيتهُ يصدق السخائف وينخدع بما لا ينخدع بهِ ابسط الناس. وتعليل ذلك ان مراكز القوى العقلية كثيرة مختلفة فيتفق كثيراً ان ينمو بعضها على نفقة البعض الآخر فتختل موازنتها كما يتفق ان تقوى العين الواحدة وتضعف الاخرى او يشتد سمع الاذن الواحدة ويضعف سمع الاذن الاخرى . ولو كانت الارواح تحضر حقيقة لوجب ان تحضر بصورة محسوسة يشعر بها الجميع كما يشعر بها واحد ولوجب ان تفعل افعالاً محسوسة معقولة مفيدة لا الافعال السخيفة التي ينسبونها اليها لانهُ لا يحتمل ان تكون روح الانسان اجهل من الانسان نفسهِ ولا اسخف منهُ عقلاً ومع ذلك فان الارواح التي يدَّعي هؤلاء انهم يستحضرونها لا تعمل الَّا اسخف الاعمال

(١٤) تقدم الرتب والنياشين

ومنهُ . هل كانت الرتب والنياشين معروفة عند الامم القديمة

ج نعم كانت الرتب معروفة عند كل الامم القديمة كاليهود والفرس والمصريين واليونانيين والرومانيين اما النياشين فاقدم ما عُرف منها مصنوع في عهد اوغسطس قيصر قبيل التاريخ المسيحي وفي بداءتهِ وهو من نوع المداليا اي قطع من المعدن مضروبة كالنقود تحمل للامتياز

(١٥) حفظ البرتقال

النبطية . احمد افندي رضا . ما احسن طريقة لحفظ البرتقال والليمون الى اواخر الصيف

ج لا بدَّ لحفظ الاثمار من شيء يمنع تبخُّر الماء منها ومن شيء آخر يمنع دخول جراثيم الاختمار اليها اما جراثيم الاختمار فلا تدخلها اذا كانت قشرتها سليمة من كل شق ورض . واما منع تبخر العصار منها فيتم بلفها بورق خفيف لفًّا محكمًا او بوضعها في صناديق محكمة من الصفيح ولحمها او بنحو ذلك من التدابير التي تمنع التبخُّر او تقللهُ كثيراً

(١٦) وقاية النباتات من الصقيع

ومنهُ . بماذا توقى النباتات من الصقيع

ج بتغطيتها بالقش او التبن او نحو ذلك من المواد التي يتخلل الهواء اجزاءها لان الهواء موصل رديء للحرارة فتبقى حرارة النباتات فيها ولا تنتقل منها الى الهواء الجوي

باب الاخبار العلمية

التلغراف الاثيري

التلغراف الاثيري او التلغراف الذي تجري عليهِ الكهربائية من غير سلك استنباط حديث يعلم قرّاء المقتطف تاريخهُ وتدرُّجهُ ولم يختم العام الماضي حتى نجح نجاحاً يفوق ما قدّر لهُ فانهُ في الحادي والعشرين من شهر دسمبر الماضي بعث لورد منتو حاكم كندا الى ملك الانكليز الرسالة الآتية ترجمتها بواسطة هذا التلغراف وهي .

" الى جلالة الملك بلندن . اسمحوا لي ان اهنئ جلالتكم بواسطة هذه الرسالة المرسلة من غير سلك بنجاح الاختراع العظيم الذي اخترعهُ مركوني فوصل بهِ انكلترا بكندا

منتو "

وبعث مركوني نفسهُ رسالة برقية بتلغرافهِ الى الملك يقول فيها

" بتلغراف مركوني الذي لا سلك لهُ في ٢٢ دسمبر سنة ١٩٠٢ الى لورد نولس في قصر بكنهام بلندن . ليسمح لي ان اقدّم عبوديتي بالاكرام التام الى جلالة الملك بواسطة هذه الرسالة المرسلة بغير سلك من كندا الى انكلترا في اول ارسال الرسائل قاطعةً الاوقيانوس الاتلنتيكي من غير سلك مركوني "

فبعث الملك الى لورد منتو حاكم كندا رسالة برقية يقول فيها

" لقد سررت جدًّا بالرسالة التي ارسلتموها اليَّ بغير سلك وابتهجت بنجاح السنيور مركوني في اختراعهِ العظيم الذي يزيد الاتصال بين بريطانيا وكندا ادورد "

وبعث مركوني رسالة برقية من غير سلك الى ملك ايطاليا فيها ٢٥ كلمة قال فيها انهُ جعل ينقل الرسائل التلغرافية من غير سلك بين كندا وانكلترا وقدَّم فيها عبوديتهُ للملك والملكة وابنتيهما واعرب عن شكرهِ لجلالتهِ على موَّازرتهِ لهُ في بداية تجاربهِ . فاجابهُ الملك مهنئًا اياهُ بنجاحهِ

وبعث وزير كندا الى جريدة التيمس الرسالة التالية من غير سلك وهي .

" ان حكومة كندا ترغب بواسطة جريدة التيمس في ان تهنئ الشعب الانكليزي باتمام مركوني لاعظم عمل نتج عن العلم الحديث "

ومعلوم ان لارسال الاشارات الكهربائية مسافة الفي ميل او اكثر من غير اسلاك معدنيَّة شأنًا كبيرًا علميًّا وعمليًّا واذا أُنفق على اتقان هذا الاختراع جزء صغير من النفقات التي تنفق على مد الخطوط التلغرافية في البحار فلا يبعد ان يغني عنها في المستقبل القريب

الكسوف والخسوف

يقع في هذا العام كسوفان وخسوفان

الكسوف الاول حلقي يقع في ٢٩ مارس ولا يرى في القطر المصري

والخسوف الاول جزئي يقع في ١١ ابريل يرى في القطر المصري وهذه اوقات رؤيته في القاهرة

	س	د
اول مماسة الظليل	١١	٢٨
اول مماسة الظل	١٢	٣٤
وسط الخسوف	٢	١٣
آخر مماسة الظل	٣	٥٢
آخر مماسة الظليل	٤	٥٨

ومقدار هذا الخسوف ٩٦ ٪ من قطر القمر

والكسوف الثاني تام يقع في ٢١ سبتمبر ولا يرى في القطر المصري

والخسوف الثاني جزئي يقع في ٦ اكتوبر يبتدئ الساعة ٢ والدقيقة ٢٨ بعد الظهر ويرى بعضهُ في القطر المصري وهذه اوقاتهُ

	س	د
اول مماسة الظليل	٢	٢٨
اول مماسة الظل	٣	٤٠
وسط الخسوف	٥	١٨
غياب الشمس في القاهرة	٥	٣٧
شروق القمر فيها حينئذ	٦	٣
آخر مماسة الظل	٦	٥٥
آخر مماسة الظليل	٨	٧

مقدار ما يخسف من القمر ٨٦٫٩ من قطره

بناء الكون

ارتأى الاستاذ اوسبرن رينلدز رأياً جديداً في بناء الكون قال انهُ يفسّر كل الحوادث الطبيعيّة ومفاد هذا الرأي ان الكون مملوء بالاثير وهذا الاثير مؤلَّف من كرات صغيرة صلبة قطر كل كرة منها جزء من مئة وسبعين مليون من طول موجة من امواج النور البنفسجي. وهذه الكرات منتظمة بعضها مع بعض على ابعاد متساوية ولكن انتظامها غير تام بحيث يكون فيهِ خلل فهناك ما نسميهِ مادّة اي ان المادّة خلل في انتظام دقائق الاثير. وقد ألَّف رسالة في هذا الموضوع بيَّن فيها الادلة التي قادتهُ الى هذا الرأي. فاذا استطاع ان يثبتهُ بالبراهين العلمية المقنعة ابقى لهُ اسماً في التاريخ اعظم من اسم الفيلسوف اسحق نيوتن كما قالت جريدة ناتشر

متحجرات الحبشة

اكتشفت البعثة الفرنسوية في بلاد الحبش كثيرًا من الظرّان ومتحجرات كثيرة على الضفة اليمنى من نهر اومو من ذلك بقايا نوعين من التماسيح ونوعين من الافيال احدهما اكبر من الافيال المعروفة والآخر اصغر منها كثيرًا لا يزيد ارتفاعهُ على متر. وثلاثة انواع مختلفة من الخيل وخمسة انواع من الخنازير وثمانية عشر نوعاً من الايائل

اليد اليمنى واليسرى

خطب الاستاذ كننهام بالامس الخطبة التي تتلى تذكاراً للاستاذ هكسلي وكان موضوعهُ اليد اليمنى واليد اليسرى فبيَّن ان استعمال الانسان لليد اليمنى دون اليسرى قديم جدًّا موروث فيهِ كالنطق وسببهُ ان الجانب الايسر من الدماغ اقوى من الجانب الايمن وهو متسلط على اليد اليمنى فتكون اقوى من اليسرى طبعاً ولكن يتفق احياناً ان يكون جانب الدماغ الايمن اقوى من الجانب الايسر فتكون اليد اليسرى اقوى من اليمنى ومن المؤكد ان مركز النطق في الجانب الايسر من الدماغ واذا كان الانسان ايسر فمركز النطق فيهِ يكون في الجانب الأيمن من دماغهِ الذي يحرّك يدهُ اليسرى

زلزلة اندجان

اصيبت مدينة اندجان من اعمال فرغانة التابعة لروسيا بزلزلة صباح السادس عشر من شهر دسمبر الماضي خربت ١٦ الف بيت من بيوتها وقتلت ٢٥٠٠ من اهاليها وبلغ عددهم خمسين الفاً

سرعة النور

أُعيدت التجارب لمعرفة سرعة النور بالتدقيق التام فثبت منها ان سرعتهُ تبلغ ٢٩٩٨٨٠ كيلو متراً في الثانية من الزمان او ١٨٦٢٢٥,٥ ميلاً

الثرميت

قلنا في الكلام على الاليومنيوم المدرج في باب الصناعة في هذا الجزء ان هذا المعدن استُعمل حديثاً للحم قضبان سكك الحديد . والظاهر ان الحرارة الحادثة من حرقهِ من اشد انواع الحرارة فتبلغ ٣٠٠٠ درجة من درجات سنتغراد او ٥٤٠٠ درجة من درجات فارنهيت حتى اذا وضعت قليلاً من دقيق الاليومنيوم واكسيد الحديد على لوح من الحديد سمكهُ ربع بوصة واشعلتهُ على اللوح اشتعل واذاب اللوح وخرقهُ في بضع ثوانٍ لان الحرارة التي يذوب بها الحديد تبلغ ١٥٣٠ درجة فقط واما الحرارة التي يشتعل بها الاليومنوم فتبلغ ٣٠٠٠ درجة كما تقدَّم . وقد أُطلق على دقيق الاليومنوم الممزوج باكسيد الحديد اسم الثرميت وصُنعت لهُ بواتق مخصوصة يُصهر الحديد بهِ فيها ويستعمل لحم قضبان سكك الحديد وانابيب الماء فان الحديد الذي يذاب بهِ يكون صرفاً واذا صُبَّ على متَّصل قضيبين او انبوبين من الحديد جمد عليهما حالاً ولحمهما لحاماً متيناً كانهما قطعة واحدة واذا اضيف قليل من الثرميت الى الحديد او الصلب وقت سبكهما زادت سيولتهما

البارابلوم

البارابلوم اسم مسدَّس جديد عزمت

حكومة سويسرا على تسليح جنودها بهِ فان مدى رصاصهِ ١٨٠٠ متر واذا أُطلق على خمسين متراً خرقت رصاصتهُ لوحاً من الحديد ثخنهُ ربع بوصة ويمكن ان يطلق بهِ مئة طلق في الدقيقة

الانتحار في فرنسا

كان المتوسط السنوي لعدد المنتحرين في فرنسا بين سنة ١٨٨١ وسنة ١٨٨٥ نحو ٧٣٤٠ نفساً اي ١٩ من كل مئة الف نفس فزاد رويداً رويداً حتى بلغ ٩٩٥٢ سنة ١٨٩٩ اي ٢٥ من كل مئة الف نفس وهبط في السنة التالية فبلغ ١٨٩٢٦ اي ٢٢ من كل مئة الف والنساء منهم اقل من الرجال كثيراً فان متوسط عددهن ٢٠١٧ فقط ومتوسط عدد الرجال المنتحرين ٧٠٦٩

النجاة بالاتوموبيل

قيل ان المستر كارنجي المثري الاميركي كان يكلم المستر غلادستون مرةً في وجوب الاتفاق بين انكلترا والولايات المتحدة الاميركية وفي ما يعود من الضرر على انكلترا اذا نشبت حرب بينهما فقال لهُ غلادستون اذا نشبت الحرب بيننا وبينكم فانتم الذين تضامون لان بوارجنا تحصر كل مرافئ بلادكم وتمنع تجارتكم فقال لهُ كارنجي ان هذا الحصر نفعلهُ نحن بانفسنا ان لم تفعلوهُ انتم لاننا اذا امتنعنا عن اخراج القمح والدقيق من بلادنا الى بلادكم امتنأكم جوعاً في بضعة اشهر. فصمت غلادستون ولم يحرْ جواباً

ويقول علماء الانكليز الآن ان ما كانوا يخشونهُ من المجاعة في بلادهم اذا نشبت حرب بينها وبين اميركا او غيرها من البلدان سيزيلهُ الاوتوموبيل لانهُ سيغنيهم عن الخيل وعددها في بلادهم خمسة ملايين وهي تأكل في السنة غلة ارض لو زرعت قمحاً لكفت الشعب الانكليزي لان ارضهم التي تزرع قمحاً الآن لا تبلغ مساحتها مليوناً وثلاثة ارباع المليون من الافدنة واما ارضهم التي تزرع حبوباً للخيل فتبلغ مساحتها اكثر من ثلاثة ملايين فدان والارض التي تزرع مراعي للخيل وغيرها من المواشي تبلغ مساحتها نحو ١٩ مليون فدان فاذا قام الاوتوموبيل مقام الخيل حُوِّل كثير من هذه الارض لزرع الحنطة

معرض اميركا واليابان

ستشترك دول اوربا الكبيرة في معرض اميركا الذي يقام في سنت لويس سنة ١٩٠٤ وقد خصَّصت فرنسا ٢٥ الف جنيه اعانة للذين يريدون ان يعرضوا فيهِ من الفرنسويين وينتظر ان تضاعف هذا المبلغ في السنة التالية اما اليابان البلاد الحديثة العمران فخصَّصت ثمانين الف جنيه اعانة للذين يريدون ان يعرضوا فيهِ من اليابانيين

الملاريا حيث لا بعوض

اثبت الدكتور كبولين في السويس ان البعوض الذي يسبب الحمى الملارية تحمله رياح الصحراء احياناً مسافة ثلاثين ميلاً فينقل عدوى الملاريا الى حيث لا توجد مستنقعات يتولد البعوض منها وبذلك يعلل ظهور الحمى الملارية حيث لا توجد هذه المستنقعات

سرعة الكهربائية

بيَّن الاستاذ فلمنغ الكيماوي في كتاب وضعهُ حديثاً انهُ اذا أُلقي حجر كبير في الماء عند ساحل اوربا الغربي ووصل تموُّج الماء الى اميركا بلغها في مئة ساعة. واذا اهتزت الارض في اوربا وبلغت هزتها اميركا وصلت اليها في اربع ساعات . واذا حدثت شرارة كهربائية في اوربا وهزَّت الاثير بلغت الهزَّة اميركا في جزءٍ من ستة عشر جزءًا من الثانية وبهذه السرعة الفائقة يجب ان تنقل الاشارات الكهربائية بتلغراف مركوني

فائدة لبن الوالدة

من المشاهَد ان الاطفال الذين ترضعهم امهاتهم يسلمون من الامراض اكثر من الاطفال الذين يرضعون اللبن المستحضر. وقد اوضح الدكتور ولتش سبب ذلك الآن بان في دم الوالدة ولبنها مواد تقي من جراثيم الامراض كما يكون في دم الانسان عادة فاذا رضع الطفل لبن امهِ وصلت هذه المواد الى دمهِ واما اللبن المعقم او اللبن المستحضر فلا تكون فيهِ هذه المواد فيكون جسم الطفل الذي يغتذي بهما اكثر تعرُّضاً لفتك الامراض من جسم طفل يرضع لبن امهِ

الاوربيوم

الأوربيوم اسم عنصر جديد انبأَ بوجودهِ السر وليم كروكس منذ سنة ١٨٨٥ ثم وجدهُ المسيو دماركي ووجد ان ثقلهُ الجوهري ١٥١

بركان القمر

يظهر ان ماحدث من الازديادفي ثوران البراكين غير خاص بالارض فقد اتضح الآن ان بركاناً من براكين القمر واسمهُ بركان لينه آخذ في الثوران وقد اتسعت فوهتهُ كثيراً منذ سنة١٨٩٨الى الآن وان الابخرة المائية قد كثرت فوقهُ كثيراً كما تكثر فوق براكين الارض

هبات علمية اميركية

وهبت مسزهرست مدرسة كليفورنيا الجامعة ١١١ الف ريال لدرس الاركيولوجيا والانثروبولوجيا . والدكتور كلارك مدرسة بنسلفانيا الجامعة مئة الف ريال لدرس الآثار الاشورية . وعرض المستر ركفلر انهُ يهب مدرسة المعلمين في مدرسة كولمبيا الجامعة خمس مئة الف ريال اذا وهبها غيرهُ ٤٤٠ الف ريال. ووهب المستر ماسي وزوجتهُ تلك

المدرسة ٢٧٤٥٠٠ ريال. وتركت مسز سوسان برون ١٤٠ الف ريال لمدرسة برنستون الجامعة . وتركت لها مس ماريس ونترب مليونًا واربع مئة الف ريال . وترك المستر سوثورث ١٧١ الف ريال لمدرسة يال الجامعة . والمستر فرنسيس لومس ١٥٠ الف ريال لمدرسة اوهيو الجامعة وترك المستر جونس كلارك مليونًا وخمس مئة وسبعة وسبعين الف ريال للمدرسة المسماة باسمهِ وقد اعطيت قبلاً خمس مئة الف ريال من تركتهِ

هذه اكبر الهبات العلمية التي وهبها الاميركيون في خلال الشهور الثلاثة الاخيرة من السنة الماضية ومجموعها نحو خمسة ملايين من الريالات

مقاومة المسكرات في روسيا

اهتمَّ دوت وزير روسيا بمقاومة المسكرات في بلاد الروس على اسلوب فعَّال فتألَّفت لجان في كل المدن والقرى الكبيرة لمقاومة المسكرات بتقديم الغذاء الكافي للفقراء وبانشاء المكاتب والمنتديات الادبيَّة حيث يجد الناس ما يسليهم بقضاء ساعات العطلة من غير محجر فيفضلونها على الحانات . واكثر الاعتناء على الدور التي انشئت للفقراء وهي واسعة نظيفة يجد فيها الفقير كل راحة ويبتاع طعامهُ منها بارخص ثمن لان الحكومة تحمل كل النفقات اللازمة لادارة هذه الدور ولا تأخذ من الفقراء الاَّ ثمن مواد الطعام الاصلية . وفي كل دار منها غرف للراحة وغرف للمطالعة فيقيم الفقير نهارهُ كلهُ فيها اذا اراد ولا يدفع غرشًا. ودار الفقراء في بطرس برج بناء كبير حولهُ حديقة غناء وفيهِ خمسة اقسام مختلفة الاول للجلوس والثاني لتناول الطعام والثالث لاستماع الغناء والرابع لمشاهدة التمثيل والخامس للمطالعة ويتعشى الانسان هناك ولا يدفع ثمن عشائهِ اكثر من غرش

والحكومة تدفع نفقات هذه الدور مما تربحهُ باحتكار بيع المسكرات فانها اغلت ثمنها جدًّا حتى لا يشتريها الاَّ الاغنياء وهي تنفق ما تربحهُ من ذلك على مساعدة الفقراء وهم الجمهور الاكبر لكي يستغنوا عن شرب المسكرات بما يجدونهُ من اسباب الراحة والتسلية في هذه الدور

نفقات التلغراف

يدفع الانكليز كل سنة مليون جنيه عن الرسائل التلغرافية التي يرسلونها الى اميركا و٤١٢ الف جنيه عن الرسائل التلغرافية التي يرسلونها الى اوستراليا و٣٦٦ الف جنيه عن الرسائل التي يرسلونها الى جنوبي افريقية و٣٠٠ الف جنيه عن الرسائل التي يرسلونها الى الهند ومثلها عن الرسائل التي يرسلونها الى الصين وغيرها من بلدان المشرق ومجموع ذلك مليونان و٣٧٨ الف جنيه

بيضة ثمينة

بيعت بيضة من بيض الاوك بالامس في بلاد الانكليز بالمزاد العلني فبلغ ثمنها ٢٥٢ جنيهاً وطائر الاوك قد انقرض من الارض الآن فصار العثور على بيضهِ من النوادر وقد بيعت بيضة قبلها بالمزاد فبلغ ثمنها ثلثمئة جنيه

معرض البراغيث

عند تشارلس روتشليد معرض فيهِ الوف والوف الوف من البراغيث المختلفة الانواع والاقدار لان البراغيث التي تعلق بكل حيوان وطائر تختلف عن البراغيث التي تعلق بغيرهِ واكبر هذه البراغيث برغوث خلد طولهُ خُمْس بوصة (عقدة)

النظام العشري

بيَّن المستر مورس في مجلة السلطنة (امبير رقيو) ان تغيير الموازين والمقاييس في انكلترا وجعلها حسب النظام العشري الفرنسوي يكلّف انكلترا مئة وخمسين مليونًا من الجنيهات واشار بان يبقي الانكليز على مقاييسهم ويجعلوا البوصة وحدةً لها. ومن رأي الاستاذ ريف الاميركي ان النظام الاثني عشري خير من النظام العشري حتى في العد وانهُ لا بدَّ من ان يعدل الناس عن النظام العشري ويعتمدوا على النظام الاثني عشري في كل شيء. ووضع عددين بين التسعة والعشرة فصارت الارقام الاولى اثني عشر رقمًا واشار بان يبقى اليرد مقياسًا للطول ويقسم الى اثني عشر قسمًا و يبقى الريال مقياسًا للمعاملة وهلمَّ جرًّا

الامتياز بالمخترعات

جاءنا مهندس قبيل كتابة هذه السطور يقول لقد اخترعت آلة رخيصة الثمن تخرج النار من تحت الاظان في الآلة البخارية اذا قلَّ الماء فيهِ وخيف من انفجارهِ وقد سجلتها في المحكمة المختلطة واكتفيت بذلك لانني لا اجد سبيلاً لاخذ امتياز من الحكومة المصرية بهذا الاختراع. فخطر لنا كلام قالهُ احد رجال يابان منذ عهد قريب وكانت حكومة بلادهِ قد ارسلتهُ الى اميركا ليدرس قانون الامتيازات فيها فقال بعد ان درسهُ بالتدقيق

"ان نجاح اميركا وهي ابنة مئة عام نجم عن قانون الامتياز الذي فيها ولذلك سنسنُّ قانونًا للامتياز مثلهُ في بلادنا". ومعلوم ان قانون الامتياز لا يقتصر على المخترعات بل يشمل كل ما يستنبطهُ الانسان وما يؤلفهُ حتى لا يتمتع زيد بتعب عمرو عفوًا من غير جزاء يدفعهُ لهُ فحبذا لو رأت الحكومة المصرية سبيلاً لتسهيل اخذ الامتيازات لحفظ حقوق المؤلفين

اكل الذبان

ان اهالي استراليا الاصليين يدخنون الذبان حتى تختنق ويجمعونها ويصنعونها اقراصاً ويأكلونها

مخدر جديد

يقول اطباء الاسنان في بلاد المجر انهم اكتشفوا مخدرًا جديدًا مثل الكوكايين وفعله في التخدير اطول اقامة من فعل الكوكايين وهو يستخرج من نبات هندي اسمهُ غاسو باسو. والمظنون ان هذا العقار يغني عن الزرنيخ في تسكين الم الاضراس التي يراد حشوها واذا اذيبت قمحة منهُ في الف قمحة من الماء ودهن باطن الفم بهِ خدَّرهُ جيدًا . وهو من السموم المخدرة فلا يجوز تكثير مقدارهِ

جوائز نوبل

اعطيت جوائز نوبل هذا العام هكذا :

جائزة الطبيعيَّات للدكتور لورتز والدكتور زيمان الهولنديين . وجائزة الكيمياء للدكتور اميل فشر الالماني وجائزة البحث للماجور روص مكتشف بعوض الحمى الملارية وجائزة علوم الادب للمؤَرخ ثيودور ممسن وجائزة الطب للدكتور فنسن وقيمة كل جائزة من هذه الجوائز ثمانية آلاف جنيه

بوري الاكساسيتيلين

الاسيتيلين غاز معروف اذا مزجت ثمانية اجزاء منهُ بجزءٍ من الاكسجين وحرقت ببوري صالح لذلك تولَّد منها لهب شديد الحرارة جدًّا يذيب الحديد والصلب والسلكا والكلسيوم وقد بيَّن ذلك المسيو فوشه في الجمعيَّة الطبيعيَّة الفرنسويَّة

نجاح الولايات المتحدة

قال لدوغ مكس غولدبرجر وزير التجارة في برلين ان سكان الولايات المتحدة وهم اقل من خمسة في المئة من سكان المسكونة امتلكوا ربع الاراضي الزراعية في المسكونة فان مساحة الاراضي الزراعية كلها لا تزيد على ١٦٣٠ مليون فدان وعند الاميركيين منها ٤٠٧ ملايين فدان . وقد بلغت غلة المسكونة من الذرة في خمس سنوات من سنة ١٨٩٥ الى سنة ١٩٠٠ اقل من ثلاثة آلاف مليون اردب وغلة الولايات المتحدة وحدها من ذلك اكثر من الفي مليون اردب او نحو ثلاثة ارباع غلَّة الدنيا كلها . ونحو ربع غلَّة القمح في الدنيا من الولايات الاميركية ويستخرج منها اكثر من اربعة اعشار الحديد الذي يستخرج من الدنيا كلها واكثر من نصف النحاس

رواية المقتطف

لم يقع اختيارنا على رواية صالحة للمقتطف الآن في اواخر الشهر وسنشرع في نشرها في الجزء التالي ونجعلها ملحقة باجزاء المقتطف حتى تجلَّد على حدة .

فهرس الجزء الاول من المجلد الثامن والعشرين

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٣ ذي القعدة سنة ١٣٢٠

رجال المال والاعمال

اذا عُدَّ ارباب المال والاعمال الذين دار ذكرهم على الالسنة في الشهر الماضي وكثر تحدث الصحف بهم فتشمبرلين الوزير الانكليزي وكروب العامل الالماني في مقدمتهم . وهذان الرجلان ليسا من العصاميين مثل اغنياء اميركا اي لم ينشأا من حضيض الفقر والذل بل نشأا في نعمة لكنهما انمياها ووسَّعاها حتى صارا من ارباب الاعمال الكبيرة وكبار الاغنياء المثرين وهاك ترجمة وجيزة لكلٍ منهما تلائم ما نشرناهُ حتى الآن من ترجمات رجال المال والاعمال

تشمبرلين

المشهور ان تشمبرلين من رجال السياسة لا من رجال المال ولا من رجال الاعمال . ولا شبهة في انهُ من اكبر ساسة العصر ولعلَّ مقامهُ السياسي الآن في انكلترا اعظم من مقام كل سياسي آخر لكنَّ مقامهُ المالي ليس دون مقامهِ السياسي والاول اساس الثاني ودعامتهُ

ولد في اواسط سنة ١٨٣٦ فقد ناهز الآن سن الشيخوخة لكن الناظر اليهِ يظنهُ كهلاً في الخمسين من العمر . ودرس في مدرسة لندن الكليَّة ولم يستطع ان يطلب العلم في مدرسة من مدارس الانكليز الجامعة كاكسفرد او كمبردج او ادنبرج لان هذه المدارس كانت تقفل ابوابها في وجوه الموحدين وكان ابوهُ منهم وهم فئة من البرتستانت لا تعتقد بالوهيَّة المسيح . ومن المحتمل ان اقتصارهُ على الدرس القليل افادهُ ولم يضرَّ بهِ لانهُ لم يغرهِ بالايغال في العلم ومضايقهِ ولو فعل ذلك لصار من العلماء المتبحرين الذين يشار اليهم بالبنان ولكن نفعهُ لنفسهِ ولامتهِ لم يكن قدر ما هو الآن

كان ابوهُ يبيع الاحذية بيع تاجر لا بيع صانع واشتهر بعلو الهمة وشدَّة الحزم مع شيء

من الدعة فورث منهُ مقاماً في التجارة ودراية في تعاطيها . ولما صار لهُ ١٦ سنة من العمر اطلعهُ ابوهُ على اسرار صناعتهِ وادخلهُ معمل الاحذية فتعلَّم صناعتها ونشأ اسكافاً من الاساكفة وتاجراً من التجار . وقد وقف خطيباً في جمعيَّة الاساكفة منذ بضع سنوات وقال " اني بقيت في مدينة لندن الى ان صار عمري ١٨ سنة وكان يمكنني ان اقول حينئذٍ ما لا يستطيع كثيرون من اعضاء هذه الجمعيَّة ان يقولوهُ وهو ان ابي وجدي وابا جدي من الاساكفة الذين تعاطوا هذه الصناعة على التعاقب في بيت واحد مئة وعشرين سنة وفي هذا المكان وقفت مع ابي وانا فتى وخطبت الخطبة الاولى "

لكن تعلُّمهُ السكافة واتصالهُ بجمعيَّة الاساكفة لم يطولا الاَّ سنتين فان زوج عمتهِ واسمهُ تتلفورد كان يصنع لوالب الخشب واشترى امتيازاً بطريقة لعمل اللوالب من مخترعها واقنع ابا تشمبرلين أن يأتي الى مدينة برمنهام ويشاركهُ في هذا العمل فاشترك الاثنان ودئبا زماناً طويلاً الى ان تكللت اعمالهما بالنجاح وصار لهما معمل كبير لعمل اللوالب وكان يُصنَع في برمنهام سنة ١٨٦٥ نحو ١٩ مليون لولب كل اسبوع ونحو ١٣ مليون لولب منها تصنع في معمل تتلفورد وتشمبرلين (واللولب يعمُّ ما يسمَّى في مصر بالفتيلة والالاووظ والبرمة وما يسمى في الشام بالبرغي)

والشائع ان الاباء ينشئون الاعمال الكبيرة مبتدئين من اسسها واولادهم يرثونها قائمة الاركان مشيدة البنيان فيتولون ادارتها وهم يجهلون مبادئها فتضعف في ايديهم رويداً رويداً الى ان تزول اما صاحب الترجمة فشارك اباهُ وزوج عمتهِ في عمل اللوالب وكل ما يتعلَّق بها ولم يقتصر على ذلك بل عني بالقسم التجاري من العمل وهو القسم الاهم اي بيع اللوالب الى التجار وفتح الاسواق لها في اقطار المسكونة. وجرى ابن عمتهِ مجراهُ فتعلَّم صناعة عمل اللوالب مثلهُ وكان يشارك العمال في عملها

ولم تكن اللوالب دقيقة من رؤوسها كما هي الآن فكان النجار يضطرُّ ان ينقب لها ثقباً تدخل فيهِ واستنبط تشمبرلين طريقة تُصنَع بها دقيقة من اعلاها كما ترى في صورتهِ ونال امتيازاً بذلك فراجت لوالبهُ اكثر من كل اللوالب واتسع معملهُ حتى صار فيهِ اربعة آلاف عامل وجمع من ذلك ثروةً وافرةً جدًّا. ومصدر ثروتهِ اتقانهُ عمل اللوالب وابتياع المعامل الصغيرة وضمُّها كلها الى معمل واحد وترويج مصنوعاتهِ في المسكونة. وقد تعب في كل فرع من هذه الفروع وبذل اقصى الجهد لنيلهِ واعتمد على الاقيسة الفرنسوية في عمل اللوالب التي ترسل الى البلدان الفرنسويَّة وعلى لفها بالورق الازرق الذي اعتاد التجار ان يروها فيهِ . ولما صارت لهُ ثروة طائلة اعتزل العمل الصناعي والتجاري وعكف على السياسة وامرهُ في السياسة معلوم وهو الآن وزير

المستعمرات البريطانية وصاحب [illegible] في سياسة الامبراطورية الانكليزية

كروب

معمل كروب الذي تصنع فيه المدافع اكبر معامل المانيا ان لم يكن اكبر معامل المسكونة وقد كان فيه سنة ١٩٠١ [illegible] ٤٣ [illegible] الذي يدفعه في السنة الى الحكومة الالمانية يزيد على [illegible] من الجنيهات.

اسس هذا المعمل جده الاكبر في اوائل القرن الماضي وتوفي سنة ١٨٢٦ وعمره ٣٩ سنة فقط وترك عمله في حالة يرثى لها لا اموال ولا عمال فقام ابنه الفرد كروب بعده ورأس ماله سر صناعي وهو سر [illegible] الحديد الصلب (الفولاذ) فيها وكان فتى في الرابعة عشرة من عمره [illegible] ان العمل يبقى مستمراً في عمله وان الفولاذ الذي يصنع فيه يبقى كما كان في [illegible] فقام هذا الفتى بعمل ابيه واظهر من الضعف قوة ولم تمض عليه [illegible] سنوات [illegible] يستخدم عشرة من العمال وبعد عشر سنوات أخرى صار عنده نحو [illegible] عاملاً [illegible] فلما شبا انضما اليه وساعداه في عمله وقد قال بعد ذلك انه بقي خمس عشرة سنة لا يربح الا اجرة العمال لكنه كان مسروراً بانه احتفظ بالعمل الذي خلفه له ابوه ولم يبطله

ثم استنبط [illegible] وهي طريقة عمل الملاعق المعدنية وطريقة لعمل الاطر الحديدية من غير لحام وطريقة عمل المدافع من الفولاذ (الصلب). وباع امتياز الطريقة الاولى في بلاد الانكليز بثمن كبير جداً واستعمل المال الذي ربحه من ذلك للتجارب في عمل مدافع الفولاذ وعمل الاطر من الفولاذ لمركبات سكك الحديد. وكانت الاطر تصنع من الحديد [illegible] فتكون كثيرة العطب فنجح النجاح التام في الامرين وحتى الآن لم يزد المخترعون على ما عمله الا قليلاً جداً. ونال الامتياز باطره في كل مكان فربح منها ربحاً وافراً جداً وصار له الفضل الاكبر في اصلاح سكك الحديد وانتشارها في المسكونة وله الفضل الاكبر في [illegible] عن انتشار سكك الحديد من العمران لكن شهرته العظمى وثروته الكبرى جاءت عن طريق المدافع لا عن طريق سكك الحديد ففي سنة ١٨٤٧ صنع مدفعاً صغيراً من الفولاذ (الصلب) وامتحنه امام لجنة المدافع البروسية ففاق بالغرض. ولما فتح المعرض العام في بلاد الانكليز سنة ١٨٥١ عرض فيه مدفعاً وقطعة كبيرة من الفولاذ ثقلها طنان ثم اهدى هذا المدفع الى ملك بروسيا فمنحه نشان النسر الاحمر. ومن ثم جعل يصنع المدافع من الصلب وحكومة بروسيا تعضده وتجزل عطاياه وامراؤها يزورونه في

معملهِ ويضيفونهُ في بيتهِ تشديداً لهمتهِ. وزاد عدد العمال في معملهِ فبلغ ٣٦٠ عاملاً سنة ١٨٥٤ و ٦٩٠ سنة ١٨٥٥ و ١٠٠٠ عامل سنة ١٨٥٨. وكانت الآلات صغيرة لا تقوم بهذا العمل الكبير فابدلها باكبر منها وصنع المطارق البخارية الكبيرة والاتاتين الضخمة وبنى لاتون منها مدخنة ارتفاعها ٢٣٠ قدماً وقطرها عند قاعدتها من الداخل ٣٠ قدماً. وظل معملهُ يتسع وعدد العمال يزيد حتى بلغ ٢٠٣٧ عاملاً سنة ١٨٦١ اي عشر اهالي مدينة اسن حيث كان المعمل

واي شيء تطلبهُ دول الارض اكثر من المدافع وهي عماد عزها وحامية حوزتها فلما رأت ان مدافع كروب امتن من غيرها وافتك اقبلت عليها ايَّ اقبال حتى الحكومة المصرية فانها ابتاعت ثمانية عشر مدفعاً منها سنة ١٨٥٦ و ١٨٥٧

وزارهُ الملك ولهلم الاول سنة ١٨٦١ ومعهُ ولي عهدهِ فسبك امامهما قطعة من الفولاذ ثقلها تسعة اطنان من ٣٠٠ بوتقة وطرَّق قطعةً اخرى ثقلها سبعة اطنان ونصف طن وطولها ١٥ قدماً بمطرقة بخارية ثقلها خمسون طناً وتحتها سندان ثقلهُ الف ومئة طن فدهش الملك من قوة هذه المطرقة ومن كل ما رآهُ في المعمل وقويت عزيمتهُ من ذلك الحين على مقاومة نبوليون الثالث واحباط مساعيهِ. ومن ثم كثر الطلب على مدافع كروب فصنع مئتين منها سنة ١٨٦٣ وطُلب منهُ ٨١٧ مدفعاً في السنة التالية وبلغ عدد العمال في معملهِ ٤٠٣١ سنة ١٨٦٣ و ٦٤١٣ سنة ١٨٦٤ و ٨٢٥٥ سنة ١٨٦٥ وكان وزن الفولاذ الذي سبكهُ سنة ١٨٦٣ خمسة وعشرين مليون رطل فبلغ سنة ١٨٦٥ مئة مليون رطل

ومما يذكر بالاسف الشديد ان اكثر الاغنياء جمعوا ثروتهم في الحروب كأنها من اسلاب المغلوبين او كأنهم يضرمون نار الحرب بانفسهم لهذه الغاية. والحقيقة انهم يتحينون الفرص ويغتنمونها فمتى طاشت احلام الناس وبادر القائد الى تحلية صدرهِ بوسام الفخار ولو مخضباً بدماء الابرياء والملك الى توطيد دعائم عرشهِ وتوسيع تخوم ملكهِ ولو ضمَّ الى بلادهِ بلاداً لا يضمر لهُ اهلوها غير البغضاء يبادر رجال المال والاعمال الى الكسب وتوسيع الثروة بتقديم الميرة او بتسليف النقود ولم يشذَّ كروب عن هذه القاعدة فلما نشبت الحرب بين بروسيا والنمسا كان متأهباً لها فابتاعت منهُ الحكومة البروسيَّة ٨٢٦ مدفعاً وصنع لها ٧٣٦ مدفعاً تلك السنة وكان قد اضاف المناجم والمسابك الى معملهِ لكي يكون مستقلاً عن غيرهِ فسبك تلك السنة ١٢٥ مليون رطل من الحديد او اثنين وستين الف طن وخمس مئة طن

وفُتح المعرض العام في باريس سنة ١٨٦٧ فاغتنم تلك الفرصة لعرض مصنوعاتهِ فيهِ لكي يرى نوَّاب الدول ما يمكن ان يصنع في معملهِ من الغرائب وعرض مدفعاً ثقلهُ نحو خمسين

طنًّا وقطعةً من الصلب ثقلها اربعون طنًّا .اما المدفع فكان طولهُ خمسة امتار وربع متر وقطر فوهته ٣٥ سنتمترًا وفيهِ اربعون حزرة لولبيَّة وقد قضي في عملهِ سنة واربعة اشهر جرى العمل فيهِ كل هذه المدة نهارًا وليلاً وبلغت نفقات عملهِ ٦٥٢٥ جنيهًا ثم اهدى المدفع الى ملك بروسيا فبعث بهِ الى كيل لتحصين مرفإها

ومرَّت السنوات الثلاث التالية وكروب يصنع المدافع للدول ويبتاع اسهم مناجم الفحم حتى يستقلَّ بها ولا يبقى تحت رحمة اصحابها الى ان نشبت الحرب بين فرنسا والمانيا سنة ١٨٧٠ وكان مستعدًّا لها فاثبتت مزيَّة مدافعهِ فباع منها ٩١٩ مدفعاً سنة ١٨٧١ و٩٨٥ مدفعاً سنة ١٨٧٢ و١٨٤٥ مدفعا سنة ١٨٧٣ و٢٩٣١ مدفعاً سنة ١٨٧٤ مصداقًا لقول من قال مصائب قوم عند قوم فوائدُ .وبلغ عدد المدافع التي صنعها ثلاثة وعشرين الف مدفع . وانهالت عليهِ سمات الاكرام من الملوك لانهم رأوا في مدافعهِ ما يعزز شوكتهم وزارهُ امبراطور المانيا وامبراطور برازيل في معملهِ سنة ١٨٧٧ ومعهما كثيرون من الامراء والقواد

ولما اقيم المعرض الاميركي في فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ كان لمدافع كروب المقام الاول فيهِ وهي سبعة اكبرها ثقلهُ ٥٦ طنًّا ونصف طن وثقل مركبتهِ ٣٣ طنًّا ونصف طن.لكنهُ لم يقتصر على عرض آلات الهلاك بل عرض ايضاً كثيرًا من ادوات سكك الحديد المصنوعة من الصلب فتعادل الضرُّ بالنفع . ثم صنع مدفعاً اكبر من كل ما تقدَّمهُ ثقلهُ ثمانون طنًّا وقطر فوهتهِ اربعون سنتمترًا وقنبلتهُ تخرق لوحًا من الحديد سمكهُ قدمان على بعد خمسين مترًا

وتوفي فردرك كروب سنة ١٨٨٧ وخلفهُ ابنهُ الفرد كروب الذي توفي حديثًا فسار في خطوات ابيهِ وجدهِ وزاد على اعمالها سبك صفائح الفولاذ لتدريع البوارج الحربيَّة وابتاع معملاً آخر لعمل هذه الصفائح ولعمل مركبات المدافع وقنابلها واستخدم فيهِ ثلاثة آلاف عامل وتولَّى ادارة شركة الملاحة والهندسة الالمانية في كيل وبرلين وفيها ١٧٧٨ عاملاً وزارهُ امبراطور المانيا سنة ١٨٩٢ فاطلق امامهُ مدفعاً قطعت قنبلتهُ اثني عشر ميلاً ونصف ميل في سبعين ثانية وبلغ ارتفاعها وهي سائرة ٢١٤٥٦ قدماً

ولما اقيم معرض شيكاغو باميركا سنة ١٨٩٣ بعث اليهِ مدفعاً ثقلهُ ١٣٠ طنًّا وطولهُ ٤٦ قدماً وثقل القنبلة من قنابلهِ ٢٥٠٠ رطل . وارسال مدفع هذا ثقلهُ من اواسط اوربا الى اواسط اميركا مع ما يقتضي نقلهُ من النفقة والمشقة برًّا وبحرًا لاكبر دليل على علو همَّة الرجل ولم يكن قاصدًا الشهرة مجرَّدةً عن كل منفعة بل كان قصدهُ الاول كما كان قصد ابيهِ وجدهِ من قبلهِ الكسب المالي وتعزيز مقام الصناعة الالمانية

واشتهر معمل كروب بعمل صفائح الفولاذ لتدريع البوارج الحربيَّة كما اشتهر بعمل المدافع لخرق دروعها فكأنَّهُ يجهِز الدول باقوى انواع المدافع فاذا رأى انها اكتفت منها لأنها تتلف بها امنع البوارج صنع دروعاً منيعة للبوارج لا تقوى تلك المدافع على خرقها فلا يعود للمدافع قيمة فيصنع مدافع اقوى منها تخرق الدروع الجديدة فتضطر الدول الى ابتياعها ثم يصنع دروعاً امتن من الاولى لا تفعل بها هذه المدافع فتضطر الدول الى استعمالها وهلمَّ جرًّا . وهو ليس منفردًا في ذلك بل لهُ مماثلون ومناظرون من الانكليز والاميركيين والفرنسويين وغرضهم كلهم واحد وهو كسب المال والجاه كأنهم في الدنيا خالدون . ولكن الممالك لا تقوم والامم لا ترتقي الاَّ بهؤُلاء الرجال وامثالهم من الذين يوطدون دعائم عزها ويعلون منائر مجدها

والاعمال التي تجري في معامل كروب سرّيَّة كلها لا يباح لاجنبي ان يطَّلع عليها ولذلك لا يؤذن لاحد ان يراها . اما العمَّال فيعتنى بهم اعتناء خاصًّا حتى يكتموا اسرار العمل ويُعطى كلٌّ منهم معاشاً بعد ان يعمل اربعين سنة واذا عجز عن العمل قبل ذلك أُعطي معاشاً يكفيهِ . وكل ما يحتاج اليهِ العامل يجدهُ في بلد المعامل من مأكل ومشرب ومأوى وملهى فلا يضطر ان يخرج منهُ الى مكان آخر ولذلك لا خوف من افشاء اسرارهِ . وهذه المعامل تستخرج حديدها وفحمها وغازها وتصنع قرميدها وتطبع كتبها وفيها مكاتب للبريد والتلغراف ومطافئ للحريق ومدارس وكنائس ومغاسل ومطاعم واندية ومستشفيات وكل ما يحتاج اليهِ الانسان في المدن الكبيرة

وقد بلغ عدد المدافع التي صنعها معمل كروب قبل وفاة رئيسهِ الاخير اربعين الف مدفع . وهو يحرق في السنة اكثر من مليون ونصف مليون طن من الفحم وفيهِ سكتان حديديتان الواحدة واسعة وطولها ٣٦ ميلاً وفيها ست عشرة قاطرة و٧٠٠ عربة والثانية ضيقة وطولها ٢٣ ميلاً وفيها ٢٦ قاطرة و١٢٠٩ عربات وكل هذه العربات لنقل مصنوعاتهِ وفيهِ ٥٩٠ ميلاً من التلغراف و٣٢٨ محطة للتلفون و٤٥٨ آلة بخاريَّة قوة بعضها ٣٥٠٠ حصان وقد بلغ عدد العمال فيهِ منذ سنتين ٤٦٧٠٠ عامل

وقد توفي السر كروب في ٢٢ نوفمبر الماضي وعمرهُ ٤٨ سنة فقط وترك ثروتهُ الوافرة لزوجتهِ ولابنتها الكبرى بعدها . ولم يجمع الكتَّاب على مدحهِ لكن امبراطور المانيا نفى عنهُ كل لوم . وقد رسمنا صورة ابيهِ في صدر هذا الجزء لان لهُ اليد الطولى في توسيع معمل كروب وتعزيز شأنهِ وشأن البلاد الالمانية بهِ

المؤتمر الطبي

عقد المؤتمر الطبي المصري جلستهُ الاولى في اقسامهِ الثلاثة في مدرسة قصر العيني الطبيَّة صباح السبت في ٢٠ دسمبر فافتتح كومانوس باشا القسم الخاص بالامراض الباطنية الذي يرئسهُ فتلا خطبة رحَّب فيها باعضاء المؤتمر وقال ان البحث في هذا القسم يدور على طب الامراض الخاصَّة بالاقاليم الحارَّة وهي (١) الدسنطاريا وامراض الكبد (٢) الملاريا وسائر الحمَّيات المعروفة في الاقاليم الحارَّة (٣) الكوليرا والطاعون (٤) التدرُّن (٥) امراض متفرّقة

ثم اعلن افتتاح الجلسة وقال ان الاستاذ بوشار يرئس الجلسة الخاصة بالحمَّيات الملاريَّة والاستاذ مارليانو جلسة التدرُّن والاستاذ نثناجل جلسة الدسنطاريا

فاستلم الاستاذ نثناجل كرسي الرئاسة وتلا الدكتور كرتوليس رسالة في اسباب الدسنطاريا والحصى الكلويَّة وقال ان الحصاة الكلويَّة ظهرت على اثر الدسنطاريا في ٨٥ من ١٦٤ حادثة وقعت تحت مشاهدتهِ فهذه النسبة دفعتهُ الى الحكم بان نصف الحصى الكلويَّة مسببٌ عن الدسنطاريا وقال انهُ اذا بذلت العناية في معالجة الدسنطاريا الى ان تشفى أُمن ظهور الحصاة الكلوية

وخالفهُ الدكتور دي سيجون فقال ان الدسنطاريا مسببة عن ضربٍ من الباشلس لا عن الاميبا التي تسبب الدسنطاريا فقال الاستاذ شوتميس ان الدسنطاريا نوعان احدهما مسبب عن نوع من الاميبا وهذه غير وافدة ولكنها تحدث الخراجات الكبدية والآخر مسبب عن نوع من الباشلس وهي تكون وافدة وميكروبها يشبه ميكروب الكوليرا وميكروب التيفويد ولكن يمتاز عنهما تمام الامتياز

وعقبهُ الدكتور لجراند والدكتور بللي فشرحا طريقتهما في معالجة هذا الداء

ثم طرح الدكتور كومانوس باشا مسئلة التهاب الكبد واحتقانها فلم يكن في الابحاث التي تليت بشأنها شيء جديد

وتداول الاعضاء في المرض المعروف بالبلهارتسيا هيماتوبيا في قسم الجراحة فتلا الاستاذ لوس مقالة في تاريخ هذا المرض الطبيعي وقال انهُ مقتنع بان ميكروبهُ لا يصل الى الدم عن طريق الفم والمعدة لانَّ الحامض الكلوريك الموجود في المعدة يهلكهُ لكنهُ يصل الى الدم عن طريق الجلد . وعقبهُ الدكتور سمرس فتلا رسالةً في وصف هذا المرض وعرض صور اعضاء مصابة بهِ في ادوارهِ المختلفة

وبعد ان ارفضَّت جلسات الصباح زار الاعضاء مستشفى المدرسة ومتحفها ومعاملها

وبعد ظهر السبت عاد المؤتمر الى الجلسة فتلي في القسم الباثولوجي عدة رسائل عن الحمى الملارية وغيرها من الحميات الكثيرة الوجود في البلدان الحارَّة. وبحث اعضاء قسم الجراحة عن معالجة البلهارسيا بالجراحة فوصف الدكتور ويلد انتشار هذا الداء في مصر ولاسيما في الشرقيَّة والبحيرة وقال ان خمس امراض الفلاحين يكون بالبلهارسيا . وانهُ لا يكاد يخلو ذكر من اهالي مديرية البحيرة من هذا المرض. وتلاهُ الدكتور ملتون فقال ان العلاج الوحيد في الحوادث المتقدمة هو العمليَّة الجراحيَّة . ثم تلا الدكتور روبرت بل مقالة في السرطان ومعالجتهِ بغير عمليَّة جراحيَّة

وصباح الاحد جرى البحث في قسم الباثولوجيا عن الكوليرا فوصف الدكتور بتر طرق الوقاية المعتمد عليها في القطر المصري وقال انها وفت بالغرض المطلوب كما يظهر من المقابلة بين فتك الكوليرا هذا العام وفتكها في السنين السابقة . وهذه الطرق هي الحجر الصحي التام في الخارج والتدابير الصحيَّة التامة في الداخل. والتدابير الصحيَّة افعل وانفع. ووافقهُ الدكتور روفر على ذلك ودعا اعضاء المؤتمر لمشاهدة محجر الطور . وتكلم الدكتور غوتشلنغ عن الطاعون فقال انهُ ظهر في القطر المصري على نوعين ممتازين الواحد عادي وهو النوع الصيفي وهو دبلي غير خبيث وسببهُ الجرذان والثاني غير عادي وهو النوع الشتوي وهذا نادر ولكنهُ خبيث جدًّا وسببهُ الجوهري رئوي. ويعود الطاعون في الربيع بسبب تكاثر الجرذان حينئذٍ . وقتل الصابين والتطهير يمنعان انتشار النوع الرئوي وقال ان على التطهير الاعتماد في استئصال شأفة الطاعون

ويوم الاثنين دار البحث في قسم الباثولوجيا على السل فتلا الدكتور مارجليانو مقالة مسهبة في معالجة السل الرئوي والاستاذ دومر في معالجة السل بالكهربائيَّة اي بمجارٍ سريعة متوالية من الكهربائيَّة وقال انها جاءت بفائدة كبيرة وتكلَّم الدكتور سندوث والدكتور انجل عن داء الجذام في مصر والدكتور ورنوك عن الجنون المسبب عن استعمال الحشيش

ودار البحث في قسم الجراحة على الخراجات الكبديَّة فقرأ الدكتور كرتولس مقالة مسهبة عن اعراض هذا الداء وعلاجهِ الدوائي والدكتور ڤرنوف عن علاجهِ الجراحي . وذكر ١٠٩٤ حادثة عولجت بالعمليات الجراحيَّة فلم يمت منها سوى ثلاثين في المئة . وقال انهُ لا بدَّ من الالتجاء الى العمليَّة الجراحيَّة حالما تدلُّ الدلائل على تكوُّن مادَّة في الخراج وانهُ لا بدَّ من ان يكون الشق كبيرًا وعلى طرفيهِ شقَّان عرضيَّان ولا بدَّ ايضًا من تنظيف البؤرة جيدًا وحينئذٍ يقل عدد الوفيات

وتلاهُ الدكتور لجراند فتكلم على خراجات الكبد في الاطفال . وبعد الظهر تكلم الدكتور هريسن عن استئصال البروستاتا من عنق المثانة ثم دار الكلام على مرض الحصاة

ويوم الثلاثاء تليت مقالات عديدة منها مقالة في الزهري في مصر واخرى في علل القلب واخرى في استخدام اشعة رنتجن في تشخيص الامراض الباطنة كحصى الكبد وما اشبه واخرى في التشنج النفاسي واخرى في اقليم مصر والامراض التي يكثر وقوعها لمناسبة الاقليم لها وختمت جلسات المؤتمر العلمية الساعة الاولى بعد الظهر

واحتفل يوم الاربعاء في ٢٤ دسمبر باقفال المؤتمر في الاوبرا الخديوية فلما ازفت الساعة العاشرة صباحاً حتى غص المكان بالاطباء والعظماء وجلس سعادة فخري باشا ناظر المعارف العمومية في صدر القاعة والدكتور ابرهيم باشا حسن رئيس المؤتمر عن يمينهِ والدكتور اباتا باشا والسر هوراس بنشنج مدير عموم الصحة عن يسارهِ وجلس بقية اعضاء المؤتمر ومندوبو الدول على شكل نصف دائرة ثم فتح فخري باشا الجلسة وخطب الدكتور ابرهيم باشا حسن بالفرنسوية فقال اني بمزيد السرور اقدم الشكر بالاصالة عن نفسي والنيابة عن اهل وطني الى الحكومات الاجنبية والجمعيات العلمية والمندوبين الذين لبوا دعوتنا وشاركونا في مؤتمرنا فقد اعليتم شأن العلم ونبتم عن الامم المتمدنة التي انتدبتكم احسن نيابة واحييتم لارض الفراعنة ذكرى مجدها العلمي فجددتم وكدتم لا شباح هذا المؤتمر وسيبقى تذكارهُ نصب عيوننا وتكتب اعمالهُ بالتبر في تاريخ مصر

ثم اعاد الشكر والثناء على المندوبين وقال اني لا اقول لكم "استودعكم الله" فقد جاء في الاثر المأثور ان من يشرب ماء النيل مرة فلا بدَّ ان يعود اليهِ اخرى وعليهِ اقول "على الطائر الميمون الى حين اللقاء"

ثم تلا الدكتور فورنوف خطبة مسهبة في المباحث المفيدة التي بحثتها اقسام المؤتمر وشكر المندوبين على الفوائد الكثيرة التي افادوا بها هذا القطر واشار الى ما ابداهُ الجناب العالي من الرعاية والعناية بشأن المؤتمر وقال ان سموهُ سيبلغ اعضاءهُ شكرهُ وسرورهُ عند مقابلتهِ لهم

وخطب الدكتور شخت مندوب المانيا بالالمانية والدكتور نتناجل مندوب النمسا باللغة النمسوية والدكتور كوبس مندوب البلجيك بالفرنسوية فذكر ان جلالة ملك البلجيك انشأ بعنايتهِ وجدهِ مستعمرة لبلادهِ في الكنغو وان كثيرين من ابناء وطنهِ الذين قاموا فيها ذهبوا فريسة لامراض البلاد الحارة ولذلك كانت اعمال هذا المؤتمر من اهم الاعمال المفيدة لبلادهِ لان الغرض منها مقاتلة الامراض التي تنتشي في البلاد الحارة وتخفيف وطأتها عن الاهالي. ثم ذكر ان حكومة بلادهِ ستعقد مؤتمراً طبياً في شهر سبتمبر من العام القادم ودعا حضرات

المندوبين واعضاء اللجان الى حضورهِ وختم كلامهُ بالشكر والثناء

ثم خطب الماجور جورجاس المندوب الاميركي بالانكليزيَّة والدكتور بوشار الفرنسوي والدكتور كوبيس اليوناني بالفرنسويَّة فقال الدكتور بوشار ان الذين استفادوا من هذا المؤتمر حقيقة هم الاطباء الذين قدموا من البلاد الاجنبيَّة فشاهدوا امراضاً لم يكونوا يعرفونها الاَّ بالاسم واطلعوا على المباحث المفيدة التي جمعها لهم اطباء هذه البلاد بعلمهم ومزاولتهم وسيوالون البحث والتوسع فيها في بلادهم خدمة للعلم ولنوع الانسان

وخطب بقية المندوبين بالانكليزية او الفرنسوية الاَّ الدكتور ميرزا محمد مهدي خان مندوب دولة ايران فانهُ خطب بالعربية

وخطب المستر رجينلد هريسون مندوب انكلترا فهنأ الجناب العالي بنجاح المؤتمر وقال ان مصر خدمت بهِ علم الطب خدمة عظيمة انيقة وشكر الدكتور فورنوف ورفاقهُ على تنظيم المؤتمر

ثم تلا الاستاذ نتناجل مندوب النمسا مقالة طويلة في وقاية الصحة من الامراض . وتلا الاستاذ مراليانو مندوب ايطاليا خطبة في اسباب التهاب الكلية

وقد اتفق الخطباء كلهم على شكر الجناب العالي ورجال حكومتهِ ولجنة المؤتمر على ما لقوا من حسن الضيافة ومزيد الاكرام مدة اقامتهم في هذا القطر

واخيرًا قرأ السكرتير العام الاماني التي بسطها المؤتمر وهي (١) ان يعقد المؤتمر الآتي سنة ١٩٠٧ في اواخر ديسمبر (٢) عقد مؤتمرات جديدة لتحوير ما تقرر في مؤتمر البندقية تحويرًا مطابقًا للمبادئ العلمية الجديدة وتنظيم الحج في المغرب الاقصى وغيرها تنظيمًا يزيل ما يقع فيهِ الآن من الخلل (٤) مراقبة شرق القطر المصري مراقبة خصوصية (٥) اتخاذ الوسائط الواقية من الرمد الحبيبي (٦) انشاء محلات خاصة بالحمى التيفويديَّة في المستشفيات

ثم نهض سعادة نخري باشا وختم الجلسة بخطبة فرنسوية قال فيها ما يأتي

"تشرفت بان انتدبني مولاي الخديوي لرئاسة حفلة اختتام المؤتمر الطبي الاول فيسرني ان اقوم بهذه المهمة امام ممثلي الهيئات الطبية في العالم المتمدن الذين عقدوا مؤتمرهم تحت جو مصر الصافي واني اشكر باسم كل مصري الحكومات التي شرفت مؤتمركم بان انتدبت لهُ مندوبين خصوصيين كما انني اشكر الجمعيات الطبية والاطباء الاجانب المقيمين في مصر ولجنة تنظيم المؤتمر واتشرف في الختام ان اعلن باسم الجناب الخديوي اقفال المؤتمر الاول المصري"

هذا وقد تلا البعض من اطبائنا الوطنيين مقالات طبيَّة مختلفة سنأتي على خلاصتها في فرصة اخرى

دربار الهند

الدربار كلمة فارسية معناها بلاط الملك او حفلة استقباله لوزرائهِ ووجهاء بلادهِ استعملها الانكليز اولاً سنة ١٨٧٧ للاحتفال بتلقيب الملكة فكتوريا سلطانة للهند . وقد اقاموا دربارًا آخر في غرة هذا العام بمدينة دهلي احتفالاً بتتويج ملكهم سلطانًا على بلاد الهند وقال الذين شهدوا الاحتفال انهُ اعظم مشهد تجلّت فيهِ آيات الابهة والفخامة وتمثلت صورة العز والسودد حيث اجتمع الملوك والامراء من جميع انحاء السلطنة الهندية والبلاد المجاورة لها. فان امام المسجد الجامع الذي اقامهُ السلطان شاه جهان في مدينة دهلي على دكة عالية وجعلهُ آية الدهر في فخامة البناء وجمال النقش ساحة كبيرة شهدت كثيرًا من مشاهد المجد والابهة في سالف عهدها . هنا اختار لورد كرزن حاكم الهند ان يقيم الدربار الآن كما اقيم سنة ١٨٧٧ لكن دربار هذا العام كان اعظم من ذاك وافخم لانهُ اشترك فيهِ كل امراء الهند ورؤسائها . فترك السلَّم العريض المؤدي الى المسجد ليقف عليهِ المسلمون وخصص الرواق الذي امامهُ للاوربيين ونوَّاب البلدان المجاورة كسيام ونبال وغوى والمستعمرات الفرنسوية. والجانب المواجه للمسجد تحت اسوار القصر لامراء الهند واتباعهم حسب درجاتهم ومراتبهم وقفوا فيهِ راكبين على افيالهم وهوادجها الفضيَّة تتألق في شمس الظهيرة وبعدهم الوف الجنود حسب فرقهم وصفوفهم

ولما تكبَّدت الشمس السماء في التاسع والعشرين من شهر دسمبر الماضي أُطلقت المدافع ايذانًا بوصول لورد كرزن الى محطة دهلي وبعد ربع ساعة أُعيد اطلاقها اشارة الى وصول دوق كنوت وزوجتهِ . وبين المحطة وساحة الدربار ميل ونصف فسار موكب اللورد وموكب الدوق وتلتهما مواكب امراء الهند وكان امام موكب اللورد حرس الشرف يقودهُ الجنرال كولنس وبعدهُ النذير ومعهُ اثنا عشر مبوقًا ستة منهم انكليز بخوذ بيضاء وستة هنود بعمائم مذهبة الحواشي وابواقهم من الفضة وحللهم من المخمل المزركش بالذهب وهم راكبون خيولاً دهماء ثم حرس آخر من الهنود على خيول شهب ثم حرس ثالث من الامراء واولاد الامراء الذين يرتفع نسبهم في شجرات الهند قرونًا عديدة وحللهم وحلاهم تبهر الابصار وريش الذهب يلوح فوق عمائمهم وهم على خيول دهم سروجها مغطاة بجلود النمورة. ثم تلامذة المدرسة الحربيَّة وفي مقدمتهم مهرجا إدار السر برتاب سنج ووراءهُ مهرجا جذبور ومهرجا كشنغار ومهرجا ذلبور ورجا رتلام ونوَّاب جاورا وعشرون نائبًا من اشرف بيوتات هندستان ووراء ذلك الافيال مطايا كل موكب عظيم في بلاد الهند وهي تسير الهوينا سير الجبابرة العتاة كأنها البوارج

المدرعة تمخر بحر ذلك المشهد الوقور . وكان على الافيال الاولى اركان حرب الحاكم العام واركان حرب الدوق ورجال حاشيتيهما ثم جاء بعدها فيلان كبيران يفوقان سائر الافيال ارتفاعاً وضخامة فلما بانا من ساحة الدربار عزفت الموسيقى بالنشيد الوطني والتفت الجمع الى الهودج الذي على الفيل المتقدم فاذا فيهِ الحاكم العام لورد كرزن منتصب القامة طلق المحيا وهو يشير بيدهِ مسلّماً على الجماهير المنتصبة لاستقبالهِ والى جانبهِ زوجتهُ تزيد طلعتها المشهد بهجة وجمالاً

وهذا الفيل لمهرجا بنارس وهو الذي اقلّ لورد لتن لما اتى دهلي لمثل هذا الاحتفال سنة ١٨٧٧ وهودجهُ من الفضة الخالصة معلم بالذهب وتتدلّى منهُ حلساحرير يصلان الى الارض على كلّ منهما شمس واسود من الذهب الوهّاج وامامهُ وعلى جانبيهِ رمّاحة رماحهم من الفضة وعذباتها من الذهب . والفيل الثاني يقل الدوق والدوقة وهو كالاول قدرًا وعظمةً هودجهُ من الفضة معلم بشعار مهرجا جيبوز وهو فهد ذهب واثب على غزال وحلساهُ معلمان بصورة الشمس والاسود

وهنا ابتدأت مجالي الابّهة بما يفوق وصف الواصفين فان الافيال التي تبعت فيلي الحاكم والدوق اقبلت اثنين اثنين نقلّ اقيال الهند خمسين اميرًا ووراءهم خمسون فيلاً اخرى تقل المهرجات والرجات والنوّاب . يرى الناظر المطل عليها بحرًا من الحرير والمقصب زبدهُ الذهب والفضة تتلألأ فيهِ فرائد الجواهر من الماس والياقوت والزمرد وتتألّق الدرر الغوالي على الحلل والعمائم ولا يسمع منهُ الّا صوت جلاجل الفضة والذهب من اعناق الافيال وحواشي الموادج

ثم اقبلت صفوف المركبات تقلّ حكام الولايات ورؤساء دوائر الحكومة . ثم القائد العام لجنود الهند لورد كتشنر بطل السودان والترنسفال منتصباً على ظهر جوادهِ عابس الوجه بادي المهابة كالاسد الرئبال وامامهُ اركان حربهِ من جنود بريطانيا وجنود الهند ووراءهُ رمّاحة بنغالا وبهم ختام الموكب. ولكنهم لم يكادوا يصلون الى ساحة الدربار حتى دارت الافيال التي كانت واقفة فيها وسارت وراءهم وهي مئة وخمسون فيلاً سارت سيرًا وئيدًا فماجت بها الارض ومادت وهي لاتباع امراء الهند وزينتهم تقلّ عن زينة اسيادهم لكنها ليست دونها بهاء . وقد اقتضى مرور هذا الموكب من محطة سكة الحديد الى ساحة الدربار ساعتين كاملتين وكانت سطوح دهلي وشرفاتها وكواها وكل مصطبة فيها غاصة بجماهير المشاهدين وهم بابهى الحلى والحلل . ولما وصل الموكب كلهُ الى الساحة وقف لورد كرزن ودوق كنوت واصطف الامراء في اماكنهم ثم تفرقوا الى خيامهم ومنازلهم على ان يجتمعوا ثانية في غرة العام الجديد للاحتفال بالدربار

وفي الوقت المعين اجتمع في ساحة المهرجان اكثر من اربعين الفًا من الجنود والقواد بقيادة البطل الباسل اللورد كتشنر واقبل اللورد كرزن بموكبهِ الحافل وجلس على عرش من الذهب والفضة

مثلاً ملك الانكليز وجلس دوق كنوت اخو الملك على عرش آخر ووراءهما دوقة كنوت ولادي كرزن ثم حاشية الحاكم وحاشية الدوق وحول الجميع الاقيال والامراء والعظماء حسب مقاماتهم .

ولما انقطع دوي المدفع الاخير من مدافع السلام تقدم ناظر خارجية الهند الى امام لورد كرزن واستأذنهُ في افتتاح الدربار فاذن لهُ في ذلك فاشار الى رئيس فرق الموسيقى فقرعت الطبول ونفخ في الابواق وارتفعت الاصوات الموسيقية ثم دخل النذير ووراءهُ المبوقون ودنوا من العرش وسلموا فامرهُ الحاكم ان يقرأ منشور الملك الذي يعلن فيهِ تتويجهُ امبراطورًا على الهند فقرأهُ بصوت رنَّان سمع في كل ناحية من نواحي المشهد وهذا تعريبهُ

"حيث اننا ارتقينا الى عرشنا باسم ادورد السابع بنعمة الله ملك مملكة بريطانيا العظمى وارلندا المتحدة حامي الايمان وامبراطور الهند حين وفاة ملكتنا السعيدة الذكر الملكة فكتوريا في الثاني والعشرين من شهر يناير سنة الف وتسعماية وواحدة لمخلصنا

"وحيث اننا اعلنَّا رغبتنا الملكية بنعمة الله القدير في الاحتفال بتتويجنا في السادس والعشرين من شهر يونيو سنة ١٩٠٢ .... وتمكَّنا بنعمة الله القدير وبركتهِ من اقامة الاحتفال المذكور يوم السبت في التاسع من شهر اغسطس الماضي

"وحيث اننا نودُّ ونريد ان ذلك الاحتفال يعلن لكل رعايانا المحبوبين في ممالكنا الهندية وان يباح لحكامنا ونوابهم ورؤساء الادارات وامراء الولايات الوطنيَّة التي تحت حمايتنا ورؤسائها وشرفائها ولنوَّاب كل الولايات في سلطنتنا الهندية ان يشتركوا في هذا الاحتفال

"فنحن نعلن بهذا المنشور ونأمر ونوصي وزيرنا الامين المحبوب جورج نثانائيل لورد كرزن نائبنا في بلاد الهند ان يقيم في مدينة دهلي في غرة يناير سنة ١٩٠٣ دربارًا امبراطوريًّا لكي يُعلَن فيهِ اتمام الاحتفال بتتويجنا. ونأمر انْ يقرأ هذا المنشور في الدربار المشار اليهِ لكي يعلم بهِ كل من يهمهُ

"صدر من بلاطنا بسنت جمس في غرة اكتوبر سنة ١٩٠٢ في السنة الثانية من ملكنا"

ولما اتمَّ النذير تلاوة هذا المنشور صدحت الموسيقى واطلقت المدافع وهتف الجمهور بالدعاء. ثم نهض لورد كرزن وخطب في الجمهور خطبة طويلة قال فيها

"منذ خمسة اشهر تُوِّج جلالة الملك ادورد السابع في مدينة لندن ملكًا لانكلترا وامبراطورًا لبلاد الهند . ولقد كان من نصيب القليلين من نوَّاب هذه البلاد ان يشهدوا ذلك الاحتفال

"والآن اتاح جلالتهُ لكل اهاليها ان يشتركوا في ذلك الاحتفال فاجتمع الامراء والرؤساء والشرفاء الذين هم عماد عرشهِ ورجال الحكومة من الاوربيين والهنود القابضين على زمام الاحكام باستقامة وامانة لا مثيل لها والجنود البريطانيون والوطنيون الذين يحمون حمى الوطن

وجمهور السكان من كل الشعوب والامم على اختلاف احوالهم ومذاهبهم احتمعوا ليظهروا ولاءهم للعرش الامبراطوري . ولقد امرني جلالتهُ ان اقيم هذا الدربار احتفالاً بتتويجهِ في بلاد الهند وبعث اليها باخيهِ دلالةً على ما لهذا المشهد في نفسهِ من سمو المقام

"وفي مثل هذا اليوم منذ ست وعشرين سنة وفي هذه المدينة المشهورة في تاريخ الهند شهرة فائقة وفي هذه الساعة عينها جرى الاحتفال بتسمية الملكة فكتوريا امبراطورة لبلاد الهند اثباتاً لاهتمامها بامر رعاياها الهنود ولاتحاد ممالك الهند تحت العلم البريطاني. والآن لم يقلّ ذلك الاتحاد عمّا كان بل زاد تمكّناً والملك الذي اجتمعنا لنعلن خضوعنا لهُ لا تقلُّ محبة رعاياهُ الهنود لهُ عن محبتهم لامهِ لا سيما وانهم قد رأوا وجههُ وسمعوا صوتهُ . وقد رقي الى عرش لا مثيل لهُ في المسكونة في العظمة والثبات ومن اقوى دعائمهِ السلطنة الهندية وخضوع اهاليها الهنود لهُ فان بلاد الهند مشهورة بطاعة شعوبها لملوكهم كما هي مشهورة بتقاليدها القديمة وقد خطب كثيرون من الملوك ودّها فلم تلقِ قيادها الاَّ الى المملكة التي عرفت كيف تنال ولاءها

"لا يمكن ان يرى مثل هذا المشهد في مكان آخر على وجه البسيطة. ولا اقول ذلك من حيث كبر الحشد مع انهُ لا مثيل لهُ في ذلك بل من حيث ما يمثّلهُ فان فيهِ مئة متسلط يتسلطون على اكثر من ستين مليوناً من النفوس وبلادهم تمتد على ٥٥ درجة من الطول (٣٣٠٠ ميل) ونحن نقدر العواطف التي حملتهم على المجيء الى هذه المدينة قدرها لا سيما وانهم اتوا من بلدان بعيدة جداً غير مبالين بالمشاق وسانتشرف بسماع التهانيء للملك من افواههم

"والقواد والجنود الحاضرون ههنا يمثلون جنود الهند البالغ عددها ٢٣٠ الفاً والتي تفتخر بانها جنود الملك.ورؤساء الامم الهنديَّة يمثلون ٢٣٠ مليوناً من النفوس . فقد اجتمع في هذا المشهد نوَّاب قوم لا يقلون عن خمس البشر وكلهم خاضعون لملك واحد ووافقون هنا لغرض واحد وهو الاعراب عن ولائهم لهُ. وان قيل كيف يكون لهذه الامم الكثيرة المتباينة المذاهب والمشارب غرض واحد قلتُ ان ولاءهم للسدة البريطانيَّة كناية عن ثقتهم بعدل حكمها ولينهِ فليس هذا الولاء عاطفة من عواطف النفس بل هو نتيجة لازمة عن اختبارهم الطويل واعرابٌ عما هو راسخ في نفوسهم لان حكومة الملك قد نجَّت ملايين كثيرة منهم من الاعتداء الخارجي والفوضى الداخليَّة وضمنت لملايين اخرى حقوقها وامتيازاتها وفتحت امام غيرهم ابواب الكسب الحلال وشملت عامتهم بالرحمة والحنان في اوقات الضنك والضيق وهي تبذل الجهد لتشمل الجميع بالعدل وتدفع عنهم الضيم وتشركهم في نعم العلم والسلم . ان امتلاك هذه الممالك الواسعة الارجاء لامرٌ عظيم جداً لكنَّ حكمها بالعدل والانصاف اعظم منهُ والتوفيق بين امها وجعلهم امَّة واحدةً

بحسن السياسة والادارة لاعظم من الجميع وهذا من الاغراض التي نسعى اليها في هذا الدربار
"وعليَّ الآن ان اقرأ لكم رسالة الملك التي طلب مني ان ابلغها الى شعبهِ الهندي وهي
" يسرني جدًّا ان ابعث برسالة التحية الى شعبي الهندي في الوقت الذي يحتفل فيهِ بتتويجي فقد تمكّن قليلون من امراء الهند ونوّابها من حضور الاحتفال في مدينة لندن ولذلك اوصيت نائبي حاكم الهند العام باقامة دربار عظيم في مدينة دهلي لكي يشترك امراء الهند ورؤساؤها وشعوبها ورجال حكومتي في تذكار تتويجي. ومنذ زرت بلاد الهند سنة ۱۸۷٥ ارسخ حب تلك البلاد وشعبها في نفسي. وانا عالم بولائهم لبيتي وعرشي وقد رأيت ادلة كثيرة على ذلك في السنين الاخيرة وكان للجنود الهندية اليد البيضاء والبلاء الحسن في حروب سلطنتي. وارجو ان ابني المحبوب برنس اوف ويلس وزوجتهُ برنسس اوف ويلس يتمكنان قريبًا من زيارة الهند البلاد التي كنت دائمًا اود ان يرياها وهما مشتاقان ايضًا الى زيارتها. ويا حبذا لو امكنني ان ازوركم الآن واحضر هذا الاحتفال بنفسي ولكنني قد بعثت اليكم باخي العزيز دوق كنوت المعروف في بلادكم لكي يكون نائبًا عن عائلتي في حضور هذا الاحتفال. والغرض الذي اسعى اليهِ منذ خلفت والدتي السعيدة الذكر الملكة فكتوريا امبراطورة الهند الاولى هو ان احافظ على العدل والحنان اللذين اتصف بهما حكمها السعيد فرسّخا حبها واكرامها في قلوب رعاياها. واني اكرر لخلفائي ورعاياي في كل بلاد الهند اني احافظ على حريتهم واحترم حقوقهم واسرّ بتقدمهم وابذل جهدي في انجاحهم هذا هو غرضي الاقصى وغاية مرادي وما أوفق بنعمة الله القدير الى زيادة نجاح الهند وسعادة شعبها".
"فيا أمراء الهند ويا شعوبها هذه كلمات ملككم الذي اتينا نحتفل بتذكار تتويجهِ وهي تبث الغيرة في نفوس رجال الحكومة المنتظمين في خدمتهِ وتعرب للجميع عن صدر رحيب ورغبة أكيدة في فلاحهم. واما لي ولاخواني الذين يشاركونني في ادارة الحكومة فهي دليل يرشدنا الى السبيل الذي يجب ان نتبعهُ في سيرنا واعمالنا. ولم يكن وقت من الاوقات كنّا فيهِ اشد رغبةً منا الآن في ان تكون ادارتنا متصفة باللين والتؤدة. ولقد عرض علينا امراء الهند رجالهم وسيوفهم في حروبنا الحديثة وبذلوا هذه النخوة وهذه المروءة في تخفيف وطأة القيظ والقحط. ويصعب ان يعطَوا اكثر مما نالوا ويتعذر ان يُزاد على الامن الذي هم متمتعون بهِ الآن بعد ان ثبت انهُ موطَّد الاركان ومع ذلك يسرنا ان نشير على الحكومة ان تجاوز مدة ثلاث سنوات عن ربا كل القروض التي اقترضتها ممالك الهند من حكومة الهند او كفلتها الحكومة لها على اثر المجاعة الاخيرة ونرجو ان يكون ذلك مقبولاً"
وذكر كلامًا آخر من هذا القبيل واستطرد الى ما تمّ في بلاد الهند من النجاح حتى الآن وما

يمكن ان يتمَّ فيها ايضاً بحسن الادارة وقال ان هند المستقبل ستكون داراً للصناعة الواسعة والعقول المستنيرة والنجاح المتزايد والثروة الوافرة والنعيم المقيم الى ان قال "وانا عالم مقاصد بلادي وواثق بحسن نيتها وعظم مقدرتها ولكن هذا المستقبل السعيد لا يُنال الاّ اذا بقيت السيادة لها وحدها من غير منازع ورجائي الوطيد ان يبقى ذكر هذا المشهد في اذهان شعوب الهند زماناً طويلاً كمعرب لهم عن عواطف ملكهم وان لا يُذكر الاّ بالبهجة والسرور وان يحيا مُلْك الملك ادورد السابع في تاريخ الهند وقلوب شعبها. ونطلب من الله القدير المتسلط على الكون ان يديم حكم ملكنا سنين كثيرة ويزيد رفاهة شعبهِ يوماً فيوماً وان تمتاز ادارة رجالهِ بالحكمة والفضيلة ويبقى الامن موطَّد الاركان في ممالكهِ ابد الدهر . ليحيَ الملك امبراطور الهند "

وكانت الجماهير تضجُّ باصوات الابتهاج كلما سمعت عبارة تحرّك عواطفها بنوع خاص حتى اذا اتمَّ لورد كرزن خطبتهُ تقدَّم النذير ونادى بالهتاف للملك ثلاثاً فانتصب الجميع على اقدامهم وشاركوهُ في الهتاف واجابهم اربعون الفاً من الجنود باصوات الهتاف تحملها الرياح وتدوي بها الجبال والقيعان وصدحت الموسيقى بسلام الملك . ثم تقدم وزير الخارجيَّة وطلب من الحاكم العام ان يأذن لهُ في احضار امراء الهند بين يديهِ لتقديم التهنئة فقاموا من مجالسهم عن يمين العرش وعن يسارهِ وتقدموا الواحد بعد الآخر اولهم نظام حيدر اباد الذي يتصل نسبهُ الى ابي بكر الصديق وهو متسلط على اكثر من احد عشر مليوناً من النفوس ثم مهرجا بارودا الذي بلادهُ من اغنى بلاد الهند واكثرها سكاناً بالنسبة الى ضيق مساحتها ثم مهرجا ميسور الذي بلادهُ تتلو بلاد النظام في اتساع مساحتها . فمهرجا كشمير الذي في بلادهِ اجمل جبال الارض وبحيراتها وهلمَّ جرّاً الى ٩٨ اميراً او متسلطاً وهم يمثلون ٢٣١ مليوناً من النفوس التي تحت السيطرة البريطانية مباشرة ويتسلطون على ٦٣ مليوناً من الاهالي المحالفين للانكليز الداخلين في ولائهم. وبينهم اميرة بهوبال وكانت لابسة تاجاً بديع الصنعة فتقدمت وفي يدها سفط من الذهب وضعتهُ امام لورد كرزن فيهِ رسائل تهنئة للملك . وغيرهم من الامراء الموالين للدولة الانكليزيَّة مثل خان خلاط وسلطان لحيج وسلطان الشحر وسلطان المكلاّ ومهتار شترال . وحلل هؤلاء الامراء والرؤساء تفوق الوصف وحلاهم تفوق التقدير وقد حضروا بمواكبهم العظيمة ومجالي عظمتهم وابهتهم ليشتركوا في اظهار دلائل الولاء للسدَّة البريطانية وواحدة منهم وهي زوجة مهرتا جيور قدمت الى لورد كرزن مئة الف ربيَّة لتوضع في صندوق اعانة الجياع تذكاراً لهذا الدربار.

ولما تمَّ مرور الامراء طلب ناظر الخارجيَّة ان يؤذن لهُ في ختم الدربار فخرج لورد كرزن وزوجتهُ والدوق وزوجتهُ بموكبيهما وتبعهم سائر الامراء والنوَّاب بالاحتفال الذي دخلوا فيهِ

قانون القرعة العسكرية المصرية

في الاقتراع السنوي

٦٣ — تعلن نظارة الحربية بواسطة المدير اليوم الذي يبدأ فيهِ مجلس الاقتراع بعقد جلساتهِ في احد المراكز قبل الابتداء بعقدها باربعة عشر يوماً

٦٤ — يعقد المجلس جلساتهِ عادة في ديوان المركز ومع ذلك يجوز لهُ ان يعقدها بصفة وقتية في اي محل آخر في دائرة المركز لفحص كشوفات البلاد التي يسهل الوصول اليها من ذلك المحل

٦٥ — تكون جلسات المجلس علنية مع حفظ الحق لهُ في المداولة سريًّا

وتقرر المسائل كلها باغلبية الاصوات واذا تساوت الاصوات فللرئيس ان يعطي صوتًا ثانيًا قاطعًا

٦٦ — يباشر المجلس في عملهِ بلدًا بعد بلد ويعلن اليوم الذي يحددهُ لكل بلد قبل حلولهِ بزمن مناسب

ومع ذلك فالاشخاص الذين يطلبون المعافاة لكونهم من الفقهاء يجوز طلبهم لامتحانهم حسب نصوص المادة (٢٩) في الاوقات المناسبة لذلك

٦٧ — يجب على جميع الاشخاص المدرجة اسماؤُهم في كشوفات القرعة ان يحضروا امام المجلس مع عمدة بلدهم ومشايخها والصراف في اليوم المحدد للنظر في كشوفات بلدهم . فاذا كان احد الاشخاص المكتوبين في الكشوفة لا يقدر على الحضور بنفسهِ فعليهِ ان يرسل من ينوب عنهُ

٦٨ — ثم يضبط المجلس ضبطًا نهائيًّا كشف الاشخاص الذين لهم علاقة بالبلد وواجب اشتراكهم في الاقتراع لانهم مكلفون بالخدمة العسكرية

وتوصلا لهذا الغرض يجب عليهِ ان يسمع كل شكوى تختص باسقاط اسماء من كشوفات الاشخاص المكلفين بالخدمة ويضيف الى تلك الكشوف الاسماء التي يثبت لديهِ اسقاطها بدون حق

وعليهِ ان يفحص حالة كل شخص يكون اسمهُ واردًا في هذه الكشوفة ويحكم في جميع طلبات المعافاة التي يقدمها هؤلاء الاشخاص وفي جميع شكاويهم التي يقدمونها نظرًا لدرج اسمائهم في الكشوفة بدون حق

٦٩ — اذا غاب شخص مدرج اسمهُ في الكشوفة ولم ينب عنهُ احد فعلى المجلس ان

يبحث عن جهة وجوده وعمّا اذا كان في قيد الحياة . فاذا ثبتت وفاته يؤشر بذلك في الكشوفة ولو ان الوفاة غير مقيدة في دفتر وفيات البلد

٧٠ — على المجلس ان يرفض من الاقتراع كل شخص لا يليق للخدمة العسكرية لكونه اقصر من الطول الذي تعينه نظارة الحربية او بسبب فقد عين او عضو او لأن به عاهة من العاهات التي تجعلها نظارة الحربية في تعليماتها سببًا لرفض صاحبها

٧١ — يجوز لنظارة الحربية ان تصدر تعليمات بان يحذف من الاقتراع الاشخاص الذين ولدوا في بلدة او سبق لهم التوطن فيها ولكنهم ابتدأوا الاقامة فيها ولم تبق لهم علاقة بها واختفى أثرهم من مدة تحددها النظارة في تعليماتها وليس لهم أب أو أخ مقيم في البلدة او له املاك فيها وفي امكانه ان يدل على محل اقامتهم

وللعمل بهذه المادة يجوز ارسال تعليمات خصوصية للجهات المختلفة تبعا لعوائد اهاليها واحوالهم

٧٢ — كل شخص مدرج اسمهُ في كشوفة الاشخاص الملكلفين بالخدمة العسكرية اذا اثبت للمجلس ان اقتراعهُ قد حصل في جهة اخرى يحذف اسمهُ من الاقتراع

٧٣ — لا يدخل شخص في الاقتراع بعد بلوغه سن السابعة والعشرين

٧٤ — على المجلس ان يأمر بكتابة طول كل شخص وارد في كشوفة القرعة امام اسمهِ مع الاوصاف البدنية التي تساعد على معرفة شخصيتهِ وتكون على حسب التعليمات التي تصدرها نظارة الحربية

٧٥ — على المجلس ان يراجع كشف المستجدين في البلد المنصوص عنهُ في المادة (٥٨) وان يبحث عن عمر كل شخص وارد في الكشف المذكور ويدوّنهُ فيهِ

٧٦ — وعند العمل باحكام هذا الفصل يكون للمجلس سلطة عامة بطلب الشهود للحضور امامهُ واخذ اقوالهم بتحليف اليمين او بدونهِ وباكراه الشاهد على الحضور تحت الحفظ اذا لم يحضر حين الطلب

٧٧ — متى دعت الحالة عند العمل باحكام هذا الفصل لمعرفة عمر احد الاشخاص يجب الكشف عنهُ من دفتر المواليد اذا كان ذلك ممكنًا والاَّ فالمجلس يحدد عمرهُ بناء على افضل البينات التي يمكنهُ الوصول اليها

٧٨ — على المجلس ان يصدر قرارًا نهائيًا في المسائل التي تعرض لديهِ على قدر امكانهِ . اما المسائل التي لا يمكن اتمام تحقيقها قبل انتهاء المجلس من جلساتهِ فتحال على مجلس قرعة المديرية لاعطاء قرارهِ فيها واذا كان اقتراع الشخص او عدمهُ متوقفًا على المسائل التي تؤجل

على هذه الصفة فذلك الشخص يقترع بصفة وقتية

٧٩ — يجوز استئناف القرارات الصادرة من مجلس الاقتراع في المسائل القانونية الى نظارة الحربية ويجوز للمجلس نفسهُ ان يرفع الى نظارة الحربية المسائل القانونية ويطلب رأيها فيها

ويجوز ايضاً استئناف القرارات الصادرة من المجلس في مسائل السنّ الى نظارة الحربية وذلك عند ما لا يكون قرارهُ مبنيًا على دفتر المواليد وفي هذه الحالة تأمر النظارة باعادة الكشف الطبي على الشخص المخالف في عمرهِ بمعرفة حكيمباشي الجيش وضابط آخر ينتدبهُ الحكيمباشي لهذا الغرض

اما باقي المسائل المتعلقة بالوقائع الاخرى فقرار المجلس يعتبر فيها نهائيًّا الا اذا دعت الحالة الى اعادة النظر فيها لداعي الغش

٨٠ — وبعد الفراغ من ضبط الكشوفة المتضمنة اسماء الذين يدخلون في الاقتراع ضبطاً نهائيًّا فالترتيب الذي على مقتضاه يطلب هؤلاء الاشخاص للتجنيد يكون بحسب القرعة التي تعمل بحضور مجلس الاقتراع . ويجوز للشخص الذي يحضر بنفسهِ امام المجلس او لمن ينوب عنهُ في حالة غيابهِ ان يسحب نمرة بيدهِ

٨١ — ويسحب رئيس المجلس في هذا الاقتراع نمرة وهذه النمرة تكون نمرة كل شخص حذف اسمهُ من جداول الاقتراع لاستحقاقهِ المعافاة او لسبب آخر ثم يصير فيما بعد مكلفاً باداء الخدمة

واذا صار فيما بعد عدد الذين تبطل معافاتهم على هذه الصفة اكثر من شخص واحد فالترتيب الذي يطلبون فيهِ للتجنيد بالنسبة الى بعضهم يكون على حسب التواريخ التي بطلت فيها اسباب معافاتهم

٨٢ — يجوز لنظارة الحربية ان تصدر امرها بضم بلدين او اكثر للاشتراك في اقتراع واحد متى كانت البلاد متجاورة بعضها ببعض وكان من المناسب طلب شبانها المكلفين بالاقتراع ليحضروا معاً في آن واحد

ويشرع في الاقتراع الذي من هذا النوع حينما تتم كشوفة تلك البلاد نهائيًّا والاشخاص الذين يشتركون فيهِ يعاملون من حيث تجنيدهم كأنهم تابعون لبلدة واحدة

٨٣ — وعند ما ينتهي الاقتراع يأمر المجلس باعداد ثلاث نسخ من كشف الاشخاص الذين تقدّموا اليهِ بصفة انهم مكلفون بالخدمة العسكرية . وهذا الكشف ينقسم الى قسمين

اوّلها تكتب فيهِ اسماء الاشخاص الذين تم اقتراعهم مع النمر التي سحبوها لانفسهم وثانيهما تكتب فيهِ اسماء الاشخاص الذين قدّموا امام المجلس بصفة انهم مكلفون بالخدمة العسكرية ولم يقترعوا مع ايضاح الاسباب التي دعت الى معافاتهم او الى حذفهم من الاقتراع ويمضي على كل صورة من هذا الكشف رئيس المجلس وبقيَّة اعضائهِ ثم ترسل احدى الصور الى نظارة الحربيَّة وتحفظ الصورة الثانية في دفترخانة المديرية تحت طلب مجلس قرعة المديرية وتبقى الثالثة عند عمدة البلد او الصراف

٨٤ — وعلى المجلس ايضاً ان يأمر باعداد نسختين من كشف جميع الاشخاص المستجدين في البلد الذين حدد المجلس اعمارهم حسب المادة (٧٥) احداها تحفظ مع دفاتر المواليد في البلد والثانية تحفظ في دفترخانة المديرية تحت طلب مجلس قرعة المديرية

٨٥ — كل مسأَلة تنشأُ بعد الانتهاء من جلسات مجلس الاقتراع عن الزام احد الاشخاص بالخدمة العسكرية او اعفائهِ منها وكل مسأَلة تؤَجل بناءً على احكام المادة (٧٨) يحكم فيها مجلس قرعة المديرية مع حفظ الحق باستئنافها الى نظارة الحربية

في التجنيد

٨٦ — الاشخاص الذين اشتركوا في الاقتراع يطلبون للتجنيد بحسب احتياج الجيش

وعدد الانفار اللازم تجنيدهم من الذين اشتركوا في الاقتراع في احدى السنين يقسم على المراكز المختلفة بحسب نسبة عدد الذين تمَّ اقتراعهم في تلك السنة في كل مركز

٨٧ — عند ما يراد طلب انفار من احد المراكز فقبل ميعاد الطلب باربعة عشر يوماً ترسل نظارة الحربية اعلاناً بواسطة المدير الى العدد الكافي من الاشخاص الجائز طلبهم لكي يحضروا الكشف الطبي في بندر المديرية او بندر المركز

وعدد الاشخاص الذين يطلبون من كل بلد يكون على قدر الامكان بالنسبة الى عدد الذين اشتركوا في الاقتراع من اهلهِ في تلك السنة وعند تعيين هذا العدد يستنزل منهُ الانفار الذين أُخذوا من البلد عن تلك السنة. ويؤْخذ الاشخاص من كل بلد من الذين تكون اسماؤُهم واردة اولاً في الكشف المرتب على حسب الاقتراع

٨٨ — يكشف احد الضباط الطبيين المفتشين المعينين بمقتضى المادة ٩ على الاشخاص الذين يطلبون للتجنيد في اليوم المعين لحضورهم او باول فرصة بعد ذلك اليوم والذين يوجدون منهم لائقين طبيًّا وذوي بنية موافقة للخدمة العسكرية يؤْخذ العدد اللازم منهم من كل بلد على حسب ترتيبهم في الاقتراع ويرسل الى ديوان الحربية لتجنيدهِ .

والعدد الذي يؤخذ من كل بلد يكون على قدر الامكان بنسبة العدد الذي طلب فالذين يكشف عليهم ويوجدون لائقين طبيًا ولا يؤخذون للتجنيد يعادون الى بلادهم ليطلبوا منها عند الحاجة اما اذا وجد اشخاص لم يكشف عليهم فيجوز طلبهم ثانية للكشف

٨٩ — كل نفر يرسل الى ديوان الحربية يكشف عليهِ الادجوتانت جنرال والحكيمباشي او من يقوم مقام كل منهما وتبدأ خدمتهُ العسكرية من اليوم الذي يصادقان فيهِ على تجنيدهِ

٩٠ — تصدر نظارة الحربية تعليماتها الى المفتشين الطبيين عن الشروط البدنية الواجب توفرها في الانفار وعن الاسباب الصحية التي توجب رفضهم

وتحدد بنوع خاص مقياسًا لطول الانفار ولها ان تعين مقياسًا خصوصيًا لكل نوع من اسلحة الجيش

٩١ — عند ما تدعو الحالة الى طلب انفار لسلاح خصوصي لهُ مقياس معين فالاشخاص الذين يرفضون لعدم توفر المقياس المطلوب فيهم لكنهم من مقياس الجيش العمومي يجوز طلبهم ثانية عند لزوم الانفار لأسلحة الجيش الاخرى

ولنظارة الحربية في حالات التجنيد الخصوصي الذي من هذا النوع ان تطلب فقط الاشخاص الذين يظهر لها من كشوفة الاقتراع انهم يصلحون للغاية المطلوبة مع حفظ الحق بطلب الاشخاص الواردين قبلهم في كشوفة الاقتراع فيما بعد

٩٢ — الانفار الذين تحتاج اليهم البحرية يجوز تجنيدهم تجنيدًا خصوصيًا من اي مركز يصلح اهلهُ بوجه خاص لخدمة البحرية ولا حاجة وقتئذٍ لمراعاة النسبة المبينة في المادة ٨٦ بين اهل هذه المراكز وبقية البلاد

٩٣ — تحدد نظارة الحربية بصفة نهائية عدد الانفار الواجب تجنيدهم من الذين اشتركوا في اقتراع سنة ما قبل الابتداء بطلب انفار من الذين اشتركوا في الاقتراع في السنين التالية

ومتى تم تجنيد هذا العدد المحدد لا يجوز بعد ذلك تجنيد احد من الاشخاص الخاصين بتلك السنة الاَّ في حالات الضرورة الخصوصية وبتصريح من مجلس النظار

في البدل الشخصي

٩٤ — يجوز لكل شاب من شبان القرعة أن يقدم شخصًا بدلاً عنهُ وقتما يطلب للتجنيد او اي وقت في خلال اربعة عشر يومًا بعد طلبهِ للتجنيد

ويجب ان يكون هذا البدل شخصًا لم يبلغ سن الرابعة والعشرين وثبت حقهُ في المعافاة من ملزوميتهِ بالخدمة العسكريَّة وان تصادق نظارة الحربية على قبولهِ

وهذا البدل الشخصي يكون مكلفاً بالخدمة في الرديف او البوليس او خفر السواحل كما هو مكلف بالخدمة في الجيش

٩٥ — اذا فر البدل من الخدمة فعلى الشخص المستبدل ان يجد بدلاً آخر مستوفي الشروط المذكورة في المادة السابقة او يؤخذ بنفسهِ للخدمة الى ان يسلم الفار نفسهُ او يلقى القبض عليهِ

القسم الخامس في الرفت على الرديف وخدمة الرديف وغير ذلك

في الرفت

٩٦ — يتم الرفت من الجيش مرتين في السنة وتكون المدة بينهما ستة اشهر او مقاربة لذلك على قدر الامكان

٩٧ — العسكري المقترع يصير مستحقاً للرفت من الجيش في اول موعد من مواعيد الرفت يجيء بعد انقضاء خمس سنين من بدء خدمتهِ

واذا لم يمكن رفتهُ في الموعد المذكور تماماً بناء على احوال خصوصية فالواجب ان يرفت من خدمة الجيش بعد ذلك الموعد بأسرع ما في الامكان

٩٨ — كل عسكري مقترع رفت من خدمة الجيش يعطى تذكرة سفر على نفقة الحكومة الى البلد الذي اقترع فيهِ او الى اي محل آخر يختارهُ بشرط ان لا تزيد نفقة الوصول اليهِ عن نفقة الوصول الى بلدهِ الاصلي . فاذا اختار الذهاب الى محل تزيد نفقة الوصول اليهِ عن نفقة الوصول الى بلدهِ فيعطى لهُ ما يعادل اجرة السفر الى بلدهِ الاصلي

وفي اي حال كان يبقى معتبراً عسكرياً من حيث حقهِ بماهيتهِ وتعييناتهِ حتى تنقضي المدة التي تلزم في الاحوال الاعتيادية لوصولهِ الى بلدهِ لو توجه اليهِ او لوصولهِ الى المحل الذي يقصدهُ باختيار الزمن الاقصر منهما

٩٩ — كل عسكري مقترع يستغني الجيش عن خدمتهِ قبل حلول التاريخ الذي يستحق الرفت فيهِ يجوز ارسالهُ على نفقة الحكومة الى بلدهِ ويبقى فيهِ بالاجازة الحرة بلا ماهية تحت الطلب للرجوع الى الخدمة في اي وقت كان قبل ما يصير مستحقاً للرفت ويجوز ايضاً رفتهُ من الجيش حالاً عند الاستغناء عن خدمتهِ

١٠٠ — كل عسكري مقترع يكون او يصير غير لائق للخدمة يجوز رفتهُ من الجيش في اي وقت كان بأمر نظارة الحربية بناء على رأي لجنة طبية . والعسكري الذي يرفت لعدم اللياقة يجوز اعفاؤهُ من الخدمة في الرديف متى اشارت اللجنة الطبية بذلك

١٠١ — كل عسكري مقترع يرفت من الجيش رفتاً نهائياً يعطى تذكرة رفت تقرر اركانها ونصها نظارة الحربية

١٠٢ — يجوز ايقاف الرفت من الجيش في اوقات الحروب والطوارىء الاهلية بقرار من مجلس النظار وتستمر مدة الايقاف على قدر ما تقتضيه الاحوال

الخدمة في الرديف

١٠٣ — كل عسكري مقترع يرفت من الجيش يحال على الرديف حالاً الا اذا ألحق بخدمة البوليس او خفر السواحل حسب مواد الفصل السادس عشر او كان معفي من الخدمة في الرديف او مسامحاً منها

١٠٤ — على كل رجل في خدمة الرديف ان يعلن جهة الاختصاص التي تعينها نظارة الحربية كلما غير محل اقامته

١٠٥ — يجوز لنظارة الحربية ان تطلب جميع رجال الرديف او بعضهم لاجراء التمرينات العسكرية مدة لا تزيد عن ثلاثين يوماً في السنة الواحدة

وعند استعمال السلطة المخولة في هذه المادة يجب ان ينتخب وقت مناسب لطلب رجال الرديف بحيث لا تتعطل فيه اشغالهم العادية على قدر الامكان

١٠٦ — يجوز طلب جميع رجال الرديف او بعضهم في اي وقت من الاوقات بقرار من مجلس النظار للمساعدة على حفظ الامن مدة القلاقل العمومية او لاجراء الاحتياطات الصحية اللازمة وقت انتشار الوباء

١٠٧ — يجوز لنظارة الحربية ان تطلب جميع رجال الرديف او بعضهم للخدمة العسكرية في وقت الحرب او الطوارىء الاهلية وذلك باذن من مجلس النظار

ولاجل الوصول الى الغاية المقصودة من هذه المادة يعتبر رجال الرديف انهم منقسمون الى درجات تبعاً لنوع السلاح او المصلحة التي خدموا فيها مدة وجودهم في الجيش

ويجوز قانوناً طلب درجة واحدة من رجال الرديف بدون طلب رجال الدرجة الاخرى ويطلب رجال الدرجة الواحدة حسب ترتيب رفتهم من الجيش ويبدأ بالذين رفتوا آخر الكل

١٠٨ — كل رجل يطلب من الرديف لاحدى الاغراض المصرح بها في هذا الفصل يعتبر من الساعة المعينة لحضوره خاضعاً للاحكام العسكرية بكل نصوصها كأنه في خدمة الجيش فاذا تخلف عن الحضور في الوقت المعين يقع تحت طائلة العقاب كأنه فارٌّ من الجيش

١٠٩ — عندما يطلب جميع رجال الرديف او بعضهم للاغراض المصرح بها في هذا

الفصل فلا يحتم على نظارة الحربية او على مجلس النظار بحسب ما تكون الحالة ان يطلبوا الذين يكونون حينئذٍ مستخدمين في احدى مصالح الحكومة

١١٠ — كل رجل في الرديف يخرج منهُ بعد مضي عشر سنوات من بدء خدمتهِ في الجيش الآ اذا كان عند انقضاء هذه المدة قد طلب من الرديف لأحد الاغراض المصرح بها في هذا الفصل ففي هذه الحالة الاخيرة يخرج من الرديف حالما ينتهي العمل الذي طُلب لهُ

ومع ذلك يمكن ايقاف الرفت من الرديف بقرار مجلس النظار وذلك في اوقات الحرب والطوارىء الاهلية ويستمر الايقاف طول المدة التي تستلزمها الاحوال

١١١ — كل رجل من رجال الرديف عند انتهاء خدمتهِ في الرديف يأخذ تذكرة رفت مماثلة للتذكرة المذكورة في المادة ١٠١

الخدمة في البوليس وخفر السواحل

١١٢ — كل عسكري مقترع يرفت من الجيش ولا تحق لهُ المعافاة من خدمة البوليس او خفر السواحل يجوز انتقاؤهُ للخدمة في البوليس او خفر السواحل إما في وقت رفتهِ من الجيش أو في اي وقت آخر في خلال سنة بعد ذلك

١١٣ — الرجال المطلوبون للخدمة في البوليس وخفر السواحل ينتخبون حيناً بعد حين من العساكر المقترعين الذين يجوز اخذهم لها وذلك بالاتفاق بين نظارة الحربية ونظارة الداخلية او نظارة المالية بحسب ما تكون الحالة

وعند انتخاب الرجال للبوليس وخفر السواحل يفضل المتطوعون لتلك الخدمة على سواهم بقدر ما يمكن

١١٤ — كل عسكري مقترع موجود في خدمة البوليس او خفر السواحل يستحق الرفت من الخدمة في موعد الرفت الذي يلي انقضاء عشر سنوات من بدء خدمتهِ في الجيش فاذا مضت ثلاثة اشهر بعد المدة المذكورة ولم يقع فيها ميعاد للرفت يحق للعسكري ان يرفت في نهايتها على كل حال

١١٥ — كل عسكري مقترع يرفت من البوليس او خفر السواحل بسبب انتهاء خدمتهِ يجري تسفيرهُ الى بلدهِ او المحل الذي يريدهُ على حساب الحكومة او يعطى مالاً يعادل اجرة السفر حسب المبين في المادة ٩٨

ويعطى تذكرة رفت تقرّر اورنيكها ونصها نظارة الداخلية او نظارة المالية بحسب ما تكون الحالة

١١٦ — كل عسكري مقترع انتخب لخدمة البوليس او خفر السواحل ووجد بعد ذلك

غير موافق لها او رفت منها لسبب آخر قبل انقضاء زمن خدمتهِ يرسل الى الرديف للمدة الباقية من زمن خدمتهِ

في التجنيد الاختياري وتجديدهِ

١١٧ — يجوز قانونًا لكل شخص بلغ السن الذي تبدأُ فيهِ الملزومية بالخدمة العسكرية ان يتجند باختيارهِ لمدة خمس سنوات بعد تصديق نظارة الحربية

وكل شخص تجند باختيارهِ وصار بعد تجنيدهِ مستحقًا للمعافاة لسبب من الاسباب المقررة في هذا الامر العالي يحق لهُ ان يطلب الرفت من الخدمة سواء كان وقتما تجند مستحقًا للمعافاة لسبب آخر او لم يكن مستحقًا لها

ومتى انقضت خدمتهُ في الجيش يعفى من خدمة الرديف اذا وجد عندهُ وقتئذٍ سبب من اسباب المعافاة المقررة في هذا الامر العالي

ويعفى من الخدمة في البوليس او خفر السواحل اذا وجد عندهُ وقت انقضاء خدمتهِ في الجيش سبب من اسباب المعافاة او كان عندهُ ذلك وقت تجنيده

وفيما عدا ذلك فان احكام الخدمة والرفت منها هي واحدة للعسكري المتطوع والعسكري المقترع من كل الوجوه

١١٨ — يجوز قانونًا لكل شخص لم يبلغ السنّ الذي تبدأُ فيهِ ملزوميتهُ بالخدمة العسكرية ان يتجند في الجيش ويخدم فيهِ حتى يبلغ سنّ الرابعة والعشرين وذلك يحتاج الى موافقة والد الشخص المذكور او الوصي الشرعي عليهِ وتصديق نظارة الحربيَّة . وأحكام الخدمة لمثل هذا الشخص هي كاحكامها لمن تجند بالاقتراع من كل الوجوه ما خلا الموعد الذي يستحق فيهِ الرفت من الجيش

وكل شخص يتجند على مقتضى هذه المادة يكلف بالخدمة في الرديف بعد رفتهِ من الجيش الى ان تمضي عشر سنوات من يوم تجنيدهِ في الجيش ما لم يكن لهُ حق التمتع بالمعافاة من الملزومية بالخدمة العسكرية لسبب من الاسباب المبينة في هذا الامر العالي ولكنهُ لا يكلف بالخدمة في البوليس او خفر السواحل

١١٩ — وهذا الامر العالي لا يتعرض بوجه من الوجوه لحقوق تجنيد الانفار في السودان للجيش المصري وهؤلاء الانفار يكونون في مدة الخدمة التي اخذوا لاجلها خاضعين لنصوص الاحكام العسكرية من كل الوجوه كأنهم تجندوا بالاقتراع حسب مواد امرنا هذا

١٢٠ — يجوز قانونًا لكل شخص في خدمة الجيش سواء كان قد تجند بالاقتراع او

بالتطوع ان يجدّد الخدمة فيهِ لمدة اخرى لا تزيد عن خمس سنوات بعد انقضاء مدتهِ الاصلية او المجددة وذلك بمصادقة نظارة الحربيَّة

والذين يختارون تجديد الخدمة في الجيش حسب احكام هذه المادة لا يكلفون بان يخدموا في الرديف او البوليس او خفر السواحل زيادة عن المدة التي تبطل من بعدها ملزوميتهم بكل نوع من انواع الخدمة المذكورة

القسم السادس في مخالفات قانون القرعة

١٢١ — كل موظف من موظفي الحكومة لهُ شأن في تنفيذ قانون القرعة اهمل عمدًا في تأدية واجباتهِ المفروضة عليهِ في هذا الامر العالي وقصد بذلك اسقاط اسم شخص من كشوفة القرعة او من الاقتراع بدون حق او تخليص احد الاشخاص من ملزوميتهِ بالخدمة العسكرية بدون حق يعاقب بالرفت من وظيفتهِ وبالحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات ويجوز ان يضاف الى ذلك غرامة لا تزيد عن عشرين جنيهًا

١٢٢ — كل من يقدّم بلاغًا كاذبًا وهو يعلم كذبهُ او يقول عمدًا ما يغاير الحقيقة لموظف لهُ شأن في تنفيذ قانون القرعة قاصدًا بذلك اسقاط اسم شخص من كشوفة القرعة او الاقتراع بدون حق او اثبات المعافاة لشخص ليس لهُ حق فيها او تخليصهُ بطرق أُخرى من الخدمة بدون حق يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات ويجوز ان يضاف الى ذلك غرامة لا تزيد عن عشرين جنيهًا

فاذا كان الشخص الذي يبلّغ البلاغ الكاذب او يقول القول المغاير للحقيقة من موظفي الحكومة ولهُ شأن في تنفيذ قانون القرعة يعاقب فوق ذلك بالرفت

١٢٣ — كل من يتلف عضوًا لشخص آخر او يساعد على اتلافهِ بقصد ان يجعل ذلك الشخص غير لائق للخدمة العسكرية يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات ويجوز ان يضاف الى ذلك غرامة لا تزيد عن عشرين جنيهًا

١٢٤ — كل من تعمد اخفاء شخص او تستر عليهِ او ساعد عمدًا على اخفائهِ او التستر عليهِ وكان ذلك الشخص مطلوبًا للكشف الطبي لاجل التجنيد او كان تحت الطلب للتجنيد وكل من ساعدهُ عمدًا بطريقة اخرى بقصد ان يخلصهُ من التجنيد يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات ويجوز ان يضاف الي ذلك غرامة لا تزيد عن عشرين جنيهًا

ولا يسري حكم هذه المادة على المرأة التي تخفي زوجها او تتستر عليهِ او تساعدهُ بطريقة اخرى على التخلص من التجنيد

١٢٥ — كل من تسمى باسم شخص فرضت عليهِ الخدمة العسكريَّة منتحلاً لنفسهِ شخصيتهُ امام مجلس الاقتراع او امام موظف حكومة لهُ شأن في تنفيذ قانون القرعة يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات ويجوز ان يضاف الى ذلك غرامة لا تزيد عن عشرين جنيهاً

١٢٦ — كل من تخلف عن الحضور امام احد مجالس الاقتراع بدون عذر شرعي بعد اعلانهِ بالحضور بصفة شاهد وكل من حضر او أُحضر امام المجلس وامتنع عن تأدية شهادتهِ يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاثة اشهر او بغرامة لا تزيد عن خمسة جنيهات

١٢٧ — كل من كان في خدمة الرديف وقصر في ابلاغ جهة الاختصاص المعينة رسمياً عن تغيير محل اقامتهِ يعاقب بالحبس لمدة لا تزيد عن شهر او بغرامة لا تزيد عن جنيهين

١٢٨ — الجرائم المعاقب عليها في المواد (١٢١ الى ١٢٧) تفصل فيها المحاكم الاهليَّة

فاذا كان العمل الذي نشأت عنهُ احدى هذه الجرائم يشمل ايضاً جريمة اخرى لها عقاب اشدّ من هذه العقوبات بموجب القوانين المعمول بها وقت حدوث الجريمة فالمرتكب يحاكم ويعاقب على الجريمة الكبرى

١٢٩ — كل شخص فرضت عليهِ الخدمة العسكرية حاول بطرق الغش اسقاط اسمهِ من كشوفات القرعة او من الاقتراع او حاول بطرق الغش ان يحصل على معافاة ليس لهُ حق فيها او اخفى نفسهُ او غاب بقصد التخلص من استلام اعلان الطلب الصادر بحضورهِ للكشف الطبي او تخلف عن الحضور للكشف الطبي عند الطلب بدون عذر شرعي او حاول بعد الحضور للكشف الطبي ان يتخلص من التجنيد يجوز ان يقدّم امام مجلس تحقيق تعينهُ نظارة الحربيَّة تكون لهُ السلطة في طلب الشهود واخذ شهاداتهم بعد استحلافهم اليمين فاذا ثبت لدى هذا المجلس ان الشخص ارتكب احدى الجرائم السابقة وكان لائقاً للخدمة العسكرية يجوز تجنيدهُ في الحال بامر نظارة الحربيَّة ويخدم في الجيش ست سنوات بدلاً من خمسة

وتجوز معافاة هذا الشخص من الزامهِ بخدمة السنة الزائدة اذا سلك سلوكاً حسناً مستمرّاً

١٣٠ — كل شخص فرضت عليه الخدمة العسكرية اتلف احد اعضائهِ او وافق على اتلافهِ بقصد ان يجعل نفسهُ غير لائق للخدمة العسكرية وكان التلف لا يجعلهُ غير لائق كليَّةً لخدمة الجيش يجوز ان يقدّم امام مجلس تحقيق تعينهُ نظارة الحربيَّة بالكيفيَّة المذكورة في المادة السابقة فاذا ثبت لدى المجلس انهُ ارتكب هذه الجريمة يجوز تجنيدهُ في الحال بامر نظارة الحربيَّة ليخدم ست سنوات ومدة وجودهِ في الجيش يشتغل في العمل الذي يصلح لهُ

١٣١ — كل شخص فرضت عليهِ الخدمة العسكرية وارتكب احدى الجرائم المذكورة في

كل من المادتين السابقتين ولم يعامل بمقتضى احكام تلك المواد يحاكم امام المحاكم الاهليَّة ويحكم عليهِ بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات ويجوز ان يضاف الى ذلك غرامة لا تزيد عن عشرين جنيهاً

والمدة المقررة للحكومة لتنفيذ احكام هذه المادة لا تبدأُ في الانقضاء حتى يبلغ مرتكب الجريمة سنَّ الاربعين سنة

القسم السابع متنوعات

١٣٢ — كل رئيس او عضو في مجلس القرعة وكل مفتش طبي معين بمقتضى المادة التاسعة يعتبر ضابطاً قضائيًّا في كل ما يتعلق بالجرائم التي يعاقب عليها هذا الامر العالي او الجرائم التي لها علاقة باعمال القرعة المبينة فيهِ

١٣٣ — كل مأمور او عمدة او شيخ او موظف آخر لهُ شأن في تنفيذ قانون القرعة متى علم بوقوع جريمة يعاقب عليها هذا الامر العالي او لها علاقة باعمال القرعة يجب عليهِ ان يبلغ الامر في الحال الى رئيس مجلس القرعة في تلك الجهة بالطريقة المتبعة

١٣٤ — والاحكام الواردة في هذا الامر العالي الخاصة بالتجنيد في الجيش او الخدمة فيهِ او الرفت منهُ تسري على التجنيد بالبحرية والخدمة فيها والرفت منها الاَّ في النصوص التي لا يمكن تطبيقها على البحرية

١٣٥ — عند تطبيق هذا الامر العالي على محافظتي القاهرة والاسكندرية تبدل كشوفات قرعة البلد بكشوفات قرعة عن كل حارة يحررها مستخدمو نظارة الحربية وهذه الكشوفة تعلق في مخفر القسم (القره قول) وتعرض لمراجعتها وتصحيحها بمعرفة مأمور القسم بدل مأمور المركز . ويعين مجلس اقتراع في كل قسم ويدخل في عضويتهِ احد معاوني المحافظة بدل معاون المديرية واثنين من اعيان القسم يعينهما المحافظ بدل العمدتين

١٣٦ — عند تطبيق هذا الامر العالي على المحافظات الاخرى غير القاهرة والاسكندرية تبدل كشوفات قرعة البلد بكشوفات قرعة واحدة عن كل المحافظة يحررها مستخدمو نظارة الحربية وتعلق في المحافظة وتعرض على المحافظ لمراجعتها وتصحيحها بدل المأمور ويعين مجلس اقتراع واحد لكل المحافظة يؤلف على الشكل المذكور في المادة السابقة لمحافظتي القاهرة والاسكندرية

وللوصول الى الغاية المطلوبة من هذه المادة تعتبر الاسماعيلية محافظة مستقلة ويقوم فيها وكيل المحافظة مقام المحافظ

١٣٧ — بعد مراعاة احكام المادتين السابقتين يسرى مفعول هذا الامر العالي بقدر ما تسمح بهِ الحالة على المحافظات كما يسرى على المديريات من كل الوجوه

١٣٨ — وهذا الامر العالي لا يبطل بوجه من الوجوه نصًّا من نصوص قانون الاحكام العسكرية التي بمقتضاها يجوز الرفت من الجيش بسبب سوء السلوك او بسبب آخر

وهذا الامر العالي لا يبطل ايضاً بوجه من الوجوه نصًّا من نصوص قانون الاحكام العسكريَّة التي بمقتضاها يجوز ان يفقد العسكري او اي شخص آخر خدمة قضاها في الجيش او في قوّة اخرى خاضعة لقانون الاحكام العسكريَّة

ولمعرفة الوقت الذي يصير فيهِ العسكري المقترع مستحقًّا للرفت من خدمة الجيش او الرديف او البوليس او خفر السواحل فالزمن الذي يكون قد فقدهُ من خدمتهِ كما ذكر يزاد على المدة التي كانت مفروضة عليهِ قبل فقد شيء منها

١٣٩ — تلغى الاوامر العالية المذكورة في الكشف الملحق بامرنا هذا ويبطل مفعولها وتلغى ايضاً المادة الاولى من الامر العالي الصادر في ٢١ يناير سنة ١٨٩٢ عن الخدمة في خفر السواحل من يوم العمل بمواد امرنا هذا الذي حل محل الاوامر الملغاة ومع ذلك فكل جريمة سبق ارتكابها او يحصل ارتكابها مدة العمل بالامر العالي الذي يعتبرها جريمة يجوز تحقيقها والنظر والحكم فيها بموجب نصوص ذلك الأمر العالي ولو بطل العمل بهِ بعد ارتكابها

١٤٠ — مواد هذا الامر العالي المختصة بالاعمال الابتدائية لغاية الاقتراع السنوي يبدأ العمل بها بحيث تسري على اعمال قرعة سنة ١٩٠٣ والمختصة بطلب الانفار للتجنيد يبدأ العمل بها من الوقت الذي تطلب فيهِ الانفار المقترعون في سنة ١٨٩٩ وما بعدها الذين لم يسبق طلبهم للتجنيد واما فيما بقي فان العمل بهذا الامر العالي يبدأ بعد نشرهِ في الجريدة الرسمية بثلاثين يوماً

١٤١ — على نظار الداخلية والمعارف العمومية والمالية والحقانية والحربية والبحرية تنفيذ امرنا هذا كل منهم فيما يخصهُ

صدر بسراي المنتزه في ٣ شعبان سنة ١٣٢٠ (٤ نوفمبر سنة ١٩٠٢)

عباس حلمي

المغرب الاقصى ولغتهُ

اكتسح العرب لهذا المغرب في غابر الزمان فانتزعوهُ من حوزة اهلهِ بعد ان قاتلوهم عليهِ ولما قضوا وطرهم وبلغوا قصدهم استوطنوا البلاد ونزلوا فيها على الرحب والسعة . ثم شرعوا في تشييد ملكهم وبناء قواعدهِ على مقتضى الكتاب والسنة وزاحموا الاهلين ودعوهم الى الدين وتعقبوا المخالفين الى قنن الجبال. وقد كان العرب وقتئذٍ اشد الناس ولعًا بلغتهم واحرصهم على اشعارها وتقاليدها وارغبهم في تصانيفها فثابروا على حفظها وبالغوا في الاعتناء بها . ولما شيدت الحكومة دعائم ملكها جعلت العربية لغتها تباشر بها اعمالها وتخاطب بها عمّالها وجعلت للعلماء المقام الاول بين رجالها تصلهم بصلات سنيَّة وتكافئهم على اجتهادهم وتجيزهم على مصنفاتهم تنشيطًا لهم للمثابرة على اعمالهم

ودعا العرب البربر للاسلام وكلفوا المؤمنين منهم تعلم القرآن و بعثوا اليهم الدعاة والنقباء يعلمونهم قواعد الدين . فتعلم من البربر جماعة ونبغ بينهم العلماء والشعراء والرجال العظام والفوا باللغة العربية التآليف وصنفوا التصانيف

وكان للسلاطين ولوع بالعلوم وعناية بالعلماء يقربونهم اليهم وينزلونهم في مجالسهم منزلة عالية ويرفعون بعضهم على بعض في الدرجات . وكان الشعراء يتقاطرون على ابواب السلاطين وقصور الامراء ينشدونهم القصائد الرنانة ويحظون منهم بالخلع السنيَّة والمال الوافر. وكانت عندهم المواسم والاعياد تجتمع فيها الناس من جميع اطراف البلاد للبيع والشراء والمنافسة في الاشعار. قيل اناخ الدهر على سيد قوم فقصد السلطان في احد المواسم وانتظم في سلك العلماء ولما مثلوا بين يديهِ وقدموا واجب التهانئ والتبريك اخذوا مواضعهم حسب درجاتهم في العلوم ثم اخذوا في المذاكرة وانشاد الاشعار فانشد السيد . ان "الزمان الخ" بالخفض. فاعترضهُ السلطان قائلاً ولماذا خفضت الزمان مع وجوب نصبهِ قال والله لاخفضنهُ كما خفضني . فاستحسن جوابهُ ورفع مقامهُ واعطاهُ ما اصلح حالهُ . وكانت الناس تنظم الاشعار وتحفظها وترويها لاصحابها وكانت الخزائن مشحونة بالكتب النفيسة والتآليف الفريدة

ثم جاء زمن الفتن وعمَّ الاضطراب فكسدت صناعة العلم واهمل شأن العلماء وضعفت همة المتعلمين وقلت رغبة الدارسين وتلاشت الدواوين ولم يبقَ في خزائن الكتب الاَّ العث والعنكبوت. واصبح العلماء كالكبريت الاحمر وانقرضت علوم شتَّى وتلاشت فنون القدماء. وصار الطب الى الدجالين والكيمياء الى المشعوذين والرياضيات الى المنجمين والحكمة الى المتكهنين

والفلسفة الى المتفلسفين والسياسة الى النامين والادارة الى المفسدين

هذه هي حالة هذا المغرب والآن ونحن في عصر التمدن والعلم والاجتهاد ليس في مغربنا مطابع ولا جرائد ولا مدارس ولا صنائع . وما ينتحلونهُ من بعض العلوم فهو ماتقط من هنا وهناك بعد المشقة وطول العناء ولما لم تكن لهم معرفة باحوال هذا العالم وما هو عليهِ من التقدم ظنوا انهم في غنى عن كل شيء ولا تعوزهم حاجة ولا يبغون تغييرًا او تبديلاً

وصناعة الانشاء استمرت على نمطٍ واحد يتداولها الكتَّاب جيلاً بعد جيلٍ وهذه صورة كتاب مرَّ عليهِ من الزمان ما يزيد على مئة عام . الحمد لله وحده . من عبد الله المعتصم بالله المجاهد في سبيل الله امير المؤمنين عبد الملك بن امير المؤمنين ابي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسني ايد الله امرهُ واعزَّ نصرهُ واسعد زمانهُ المبارك وعصرهُ وابقى بيمنهِ فخرهُ الى اخينا الاعز الاحظى بَب احمد ابن مولانا الوالد حرس الله تعالى كريم اخائهِ سلام كريم ورحمة الله تعالى وبركاتهُ . اما بعد فانا كتبنا اليكم من محلتنا السعيدة بتأمسنا ولا زائد بحمد الله تعالى الاَّ الخير والعافية والنعم الضافية هذا وانهُ ساعة وصولهِ اليكم تخرجوا من الخدم لعمالة مكناسة وازمور واولاد جاول من تفرض عليهم عانف محلتنا المنصورة وتأمرهم بدفعهِ وابلاغهِ لمدينة سلا وقدر ذلك صحيفة شعير وعشرون مدًّا قمحًا لكل نائبة وصاع من سمن وكبش لكل اربع نوائب واشدد عليهم رعاك الله ان يعنوا بذلك وبايصالهِ للمكان المذكور من غير عطلةٍ هذا ما وجب بهِ الاعلام اليكم والله يرعاكم بمنهِ والسلام

وهذه القاعدة لم تزل تستعمل حتى يومنا هذا ويتعلمها الكتاب من "كنانيش" الحكومة والجرائد المخزنية . ولما كانت المطابع معدومة من البلاد كانت صناعة النسخ رائجة والكتب الخطيَّة هي المعول عليها حتى انهُ يسهل على المطالعين قراءتها اكثر من قراءة الكتب المطبوعة . والذين تاجروا بالكتب من المشرق خسروا بها لعدم اقبال الناس عليها ليس لغلاء اثمانها وانما لعدم معرفة الاهلين قراءتها . وليس من اختلاف بين اللغتين الشاميَّة والمغربية الاَّ ان حرف الفاء عند المغاربة ينقط من تحت والقاف نقطة واحدة . واما شكل الحروف الخطية فيختلف والمغربي اشبهُ بالكوفي . واهالي المغرب لا يستطيعون ان يقرأوا الكتابة الشامية

واعترى العلوم اللغوية ما اعترى غيرها من العلوم فاهملت اي اهمال وكسدت بضاعتها وقلَّت صناعتها واصبحت وسائط التعليم معدومة وطرقها صعبة واذا توفرت لامرء اسباب النجاح واحرز في خزانة عقلهِ قواعد اللغة لم يستطع تطبيقها والانتفاع بها ولا استفاد شيئًا من الشوارد والضوابط التي جمعها . وكثير من العلوم لا اثر لها ولا هم فيها يرغبون ولم يبقَ من

الرياضيات الاَّ بقية من علم الحساب يتداولها بعض الناس حسب القواعد القديمة وارقامهم عربية وهي المستعملة عند الافرنج

ولما حصل ما حصل من الاهمال في شأن اللغة العربية وزاحمتها لغات اخرى كالبربرية والافرنجية على اختلاف شعوبها والعبرانية على انتشار اهلها صار بعض التمازج في الكلام ووقع الاختلال في التراكيب فتغيرت المعاني عن حقيقة وضعها ودخل في لسان العامة الانتحال والنطق بالساكن والاشمام والجزم والترخيم والحقوا لفظة (شي) على آخر الافعال وادخلوا كافًا على صيغة المضارع مثل كنكتب وهو دلالة على الاستمرار . وابدلوا هاء الغائب واوًا مثل كتابو اي كتابهُ وذالهم دالاً وثاءهم تاء وفي بعض المواضع يحسنون النطق بهذين الحرفين .

وليس عندهم في احاديثهم او معاملاتهم كلام التبجيل والتعظيم فلا يقال جنابك وحضرتك وسيادتك ولا بك ولا افندي ولا خواجا الاَّ لفظة سي . والوزير عندهم الفقيه فلان والباشا سي فلان ومعلم الاولاد الفقيه فلان والخبَّاز سي فلان

ولغة العامة تختلف باختلاف الاماكن لكنها لا تخرج عن كونها عربية وجميع كلماتها عربية الاصل الاَّ الاعجمي منها . ونحن نورد بعض الكلمات الشائعة التي تظهر غريبة عند اول نظرة من ذلك. بالزاف اي كثير. ياك للاستفهام اي ليس كذلك . وخَّا فيها خير. الّي الذي والتي . ديا لي الذي لي . دابَ الآن . مزيان حسن . للّة سيدة . دغيا حالاً. غاول اسرع . زاخيت فاذًا . ايّه نعم . إيوَه زِد . باسل دنيء

وعندهم كثير من الامثال المتداولة نذكر بعضها . هدرة تجيد هدرة وكلام يجيد كلام. ايش تعيي الموت من الدار الخاوية . يا مزوّق من برّا ايش حالك من داخل . الزين على الدفلة والدفلة مرّة . المرأة بلا ولد بحال الخيمة بلا وتد . العقبة في وجه الاحباب حدورة . الّي بغى حاجتهُ يقضيها يبسط خدهُ عليها . من سبع وكلني وما تكن شي ديب وتمرمدني . ما عند القط موضع مشي جاب الجمل ضيف . الشرك في الطعام دليل على المحبة . الضيف ما يشرط شي ومولى الخيمة ما يفرط شي . الجنازة كبيرة والميت فار . عقل الحمارة براس ولدها

هذا ما رأيت ذكرهُ عن لغة هذه البلاد ويا حبذا لو بذلت حكومتها الهمَّة في استعمال الحروف المستعملة في مصر والشام حتى يسهل على اهاليها قراءة الكتب المطبوعة فيهما للاستفادة منها

اسعد كرم

خواتم الخلفاء

اخذت منذ اكثر من خمس سنوات في التنقيب عن الخواتم ونقوشها وتاريخ ذلك منذ العصور الاولى ففزت بمعرفة ما كان منقوشاً على خاتم النبي صلى الله عليهِ وسلم وعلى خواتم الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين وبعض ملوك الاندلس وسواهم وقد جمعت ذلك في رسالة حافلة ستطبع قريباً وذكرت في هذه المجالة اكثر تلك النقوش بحسب ما روي عنها. وماجاء منها على صور مختلفة فسببهُ في الغالب انهُ كان للخليفة الواحد اكثر من خاتم واحد كما ذكرهُ المؤرخون

كان خاتم النبي ثلاث كلمات وهي محمد رسول الله في ثلاثة اسطر . محمد سطر. ورسول سطر. والله سطر. تقرأُ من الاسفل الى الاعلى فمحمد آخر الاسطر ورسول الوسط والله فوق . قالهُ في السيرة الحلبية ورأيت رسم الخاتم النبوي على هذه الصورة في رسم الكتاب الذي بعثهُ النبيُّ الى المقوقس عظيم القبط في مصر وقد رسمهُ بالفوتوغراف محمد علي افندي سعودي الموظف في نيابة الاستئناف الاهليَّة بمصر سنة ١٣١٩ عن صورة اصلية للكتاب المذكور والاصل عثر عليهِ احد الفرنسيين في كتب قبطية ابتاعها من بعض رهبان القبط في دير ببلدة اخميم من صعيد مصر فتوجه بهِ الى السلطان عبد المجيد فامر بحفظهِ مع الآثار النبويَّة في القسطنطينيَّة

واستعمل الخاتم النبوي بعد النبيّ ابو بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) الى ان وقع من يد عثمان في بئر اريس وكان استعمالهم لهُ تبركاً

وكان خاتم ابي بكر (نعم القادر الله)

وخاتم عمر : (كفى بالموت واعظاً) وزادها بعضهم " ايا عمر " وقيل (آمنت بالله مخلصاً)

وخاتم عثمان : (لتصبرنَّ او لتندمنَّ) وقيل (آمنتُ بالذي خلق فسوَّى)

وخاتم علي : (الملك لله) وقيل (ربي الله مخلصاً) وقيل (نعم القادر الله) وزادها السيوطي (تعالى)

والحسن : (العزَّة لله عزَّ وجلَّ وحدهُ)

والحسين : (اللهُ بالغٌ امرهُ)

الامويون

وكان خاتم معاوية : (لكل عمل ثواب) وقيل (رب اغفر لي)

ويزيد بن معاوية : (ربنا الله)

ومعاوية الثاني ابن يزيد : (الدنيا غرور)

ومروان بن الحكم : (الله ثقتي ورجائي) وقيل (ثقتي ورجائي بالله)
وعبد الملك بن مروان : (امنتُ بالله مخلصاً)
والوليد الاول ابن عبد الملك : (يا وليد انك ميتٌ) وزادها آخرون (ومحاسب) وقيل (ربي لا اشركُ بهِ شيئًا)
وسليمان بن عبد الملك : (امنتُ بالله وحدهُ) وقيل (مخلصاً)
وعمر بن عبد العزيز : (الوفاء عزيز) وقيل (عمر يؤمن بالله مخلصاً) وقالوا (اغزُ غزوةً تجادل عنك يوم القيامة)
ويزيد الثاني ابن عبد الملك : (فني الشباب يا يزيد)
وهشام بن عبد الملك : (الحكم لله) وقيل (الحكم الحكيم)
والوليد الثاني ابن يزيد : (ياوليد احذر الموت)
ويزيد الثالث ابن الوليد : (يا يزيد قم بالحق)
وابرهيم بن الوليد الاول : (توكلتُ على الحيِّ القيوم) وقيل (ابرهيم يثق بالله)
ومروان الثاني ابن محمد : (اذكر الموت يا غافل)

العباسيون

وكان خاتم السفّاح : (الله ثقة عبدالله) وزادها بعضهم (وبهِ يؤمن)
والمنصور : (عبدالله وبهِ يؤمن) وقيل (اتقِ الله فانك ترد فتعلم) وقيل مثلما ذكر للسفّاح آنفاً
والمهدي : (العزة لله) وقيل (حسبي الله) وقيل (الله ثقة محمد وبهِ يؤمن)
والهادي : (بالله اثق) وقيل (موسى يؤمن بالله) وقالوا (الله ربي)
وهرون الرشيد : (لا اله الاّ الله) وخاتم آخر (كن من الله حذرًا) وقيل (العظمة والقدرة لله عزَّ وجلَّ)
والأمين : (حسبي القادر) وقيل (لكل عمل ثواب) وقالوا (محمد واثق بالله)
والمأمون : (عبدالله يؤمن بالله مخلصاً) وقيل (الموت حق) ويقولون (المأمون عبدالله بن عبدالله)
والمعتصم بالله : (لا اله الاّ الله محمد رسول الله) وقيل (الحمد لله الذي ليس كمثلهِ شيءٌ) وقالوا (الله ثقة ابي اسحق بن الرشيد وبهِ يؤمن) وذكروا (سلِ الله يعطكَ)
والواثق بالله : (لا اله الاّ الله محمد رسول الله) وخاتم آخر (الواثق بالله) وقالوا (الله ثقة الواثق)

والمتوكل على الله : (على الله توكلت) وقيل (المتوكل على الله ' وقالوا (على الهي اتكالي)

والمنتصر بالله : (محمد بن جعفر ' وقيل (يؤتى الحذر من مأمنهِ) وخاتم آخر (انا من آل محمد ولي ومحمد)

والمستعين بالله : (استعنت بالله) وقيل (احمد بن محمد (وقالوا (سيف الاعتبار غنًى عن الاختبار)

والمعتز بالله : (الزبير بن جعفر) وقيل (الحمد لله رب كل شيء وخالق كل شيءٍ)

والمهتدي بالله : (هداني الله) وقيل (المهتدي بالله يثق) وقالوا (من تعدّى الحق ضاقت مذاهبهُ)

والمعتمد بالله : (اعتمادي على الله وهو حسبي) وقيل (السعيد من كُفي بغيره)

والمعتضد بالله : (احمد يؤمن بالله الواحد) وقيل (توكل تكفَ) وقالوا (الاضطرار يزيل الاختيار)

والمكتفي بالله : (المكتفي بالله) وقيل (علي بن المعتضد)

والمقتدر بالله : (العظمة لله) وقيل (جعفر يثق بالله) وقالوا (الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو على كل شيء)

والقاهر بالله : (القاهر بالله) وقيل (يا أملي اختم بخير عملي)

والراضي بالله : (الراضي بالله) وقيل (محمد رسول الله) وقالوا (منّ بالرضا)

والمتقي بالله : (محمد رسول الله) وقيل (ابرهيم بن المقتدر بالله يثق) وقالوا (كفى بالله معينًا)

والمستكفي بالله : (المستكفي بالله امير المؤمنين) وقيل (عبدالله بن المكتفي) وقالوا (محمد رسول الله)

والمطيع لله : (المطيع لله) وقيل (بالله المطيع لله)

والطائع لله : (الطائع لله)

والقادر بالله : (القادر بالله)

والقائم بامر الله : (العزة لله وحده)

والمقتدي بامر الله : (من توكل عليهِ كفاه)

والمستظهر بالله : (ثقتي بالله وحده)

والمسترشد بالله : (من توكل على الله كفاهُ)

والراشد بالله : (من آمن بالانتقال عمل للمآل)
والمقتدي لامر الله : (كن من الله على حذر تسلم)
والمستنجد بالله : (من احب نفسهُ عمل لها)
والمستغني بالله : (من فكر بالمآل عمل للانتقال)
والناصر لدين الله : (رجائي من الله عفوهُ)
والظاهر بامر الله : (راقب العواقب)
والمستنصر بالله : (العفو بك اولى)
والمستعصم بالله ... لم نجد لهُ نقشاً بعد ان راجعنا كثيراً من التواريخ

ملوك الاندلس

الحكم بن هشام . (بالله يثق الحكم ويعتصم)
وعبد الرحمن بن الحكم : (عابد الرحمن بقضاء الله راضٍ) ومما نظمهُ الشعراء في هذا الخاتم

خاتمٌ للناس اضحى حكمةً في الناس ماضي
عابد الرحمن فيهِ بقضاء الله راضي

قال في (نفح الطيب) وهو اول من احدث هذا النقش وبقي وراثة لمن بعدهُ من ولدهِ

ومن النقوش التي ذكرناها يستشف القارئ الكريم خلق كل ملك ومذهبهُ في الملك كما تقرأ الطباع من الخطوط والازياء والحركات . ومن يكرم عليَّ بروايات غير هذه او يعلم شيئاً من نقش خاتم المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين في بغداد وغيرهِ من الملوك ويتحفني بهِ اسدهِ شكراً جزيلاً واهدِ اليهِ كتاب تاريخ الخواتم ونقوشها بعد طبعهِ

طرابلس الشام حكمت شريف

المال والقمار

لا الراح آفتهُ ولا الهيفاء مالٌ حداهُ الى القمار عفاءُ
ناجيتُ فكري حيث تستاء النهى لعلّي يزال وحقها تستاء
ما بال من بالامس يصعر خدهُ في ذلةٍ انفاسهُ الصعداء
وعلامَ يعلو الارض يعلوهُ الاسى بعد المطهّم أمّهُ العداء
ولِمَ التنزل عن قصور منازهٍ كانت تطاول هامها الجوزاء

اين التفصح والتشدق باللغى بعبارةٍ افصاحها ايماء
أَلعلَّهُ اطَّرح الرفاهة رغبةً في الزهد عما يقتضي الاثراء
ام كيف ساوى معدماً في حالهِ وثنت اليهِ عنانها اللأواء
وهوى رفيع المجد بعد سنائهِ وتعقبتهُ العزة القعساء
ام ثمَّ سرٌّ غامضٌ كلاَّ فقد برح الخفاء فما هناك خفاء

***

ذهب المغفَّل مرةً في رهطهِ حيث ابنةُ الزرجون والنُّدَماء
ومصارع الاهوال حيث ذهابها تنعى نهًى عبثت بها الاهواء
ومذابح الآمال حيث مشاهد رفعت بها اعلامها الارزاء
حيث النزال بلا سلاح ينتضى حيث التجارة ربحها الاكداء[1]
حيث استلاب باسم حقٍّ لازبٍ يقضي بهِ سبقٌ هو الابطاء
اذ معهدٌ يذرُ البيوت خرائباً في ساعةٍ اضحاكها ابكاء
اذ مسرح الداء الدفين يدبُّ في جسم الكرامة والبوليس وراء
غض الجفون على قذى اهمالهِ خرس بفيهِ من الرقاعة ماء

***

فاهتزَّ ذا المسكين بشرًا ان رأى غُنْماً كبيرًا ما وراهُ عناء
او انهُ يعتاض عن مفقودهِ باجلَّ منهُ اذا عرت اشياء
وانقضَّ يلعب دائبًا طورًا لهُ وعليهِ آخرُ شدةٌ ورخاء
اذ تبرق الآمال في جنح الشقا اذ تهطلُ الاموال والعلياء
حتى انثنى لا شيء يعدل عقلهُ ضألاً ككيس خف فهو هباء
نضب الحيا باع ماء بهائهِ بسراب غُنْمٍ خيلَ منهُ سراء
بادي الكآبةِ مفلساً كلاً على احبابهِ ترثي لهُ الاعداء
ويلاهُ من لعب يعقبهُ الاسى ومن الألاهي تلوُها الدهياء
عجبي وما هو للغني تبددت امواله سفهاً وناب شقاء
بل للمقل تراهُ اعوز اهلهُ ولدى القمار سجابةٌ سخاء
فموظف تودي صُبابة مالهِ او عامل ما عن كراهُ غناء

---

(١) الاكداء الفقر والشدة

ربّاهُ ان الرزء جلَّ خطورة والخطب عمَّ فما لهُ استقصاه
يا رب قد ضلت عبادك خطةً فتولَّهم بهداك فهو كفاه

دمياط حسن شاكر

منزلة الشعر من التاريخ

٩

انواع الحلى

اما انواع الحلى فمنها (الشنف) اي الحلقة التي تعلَّق في اعلى الاذن قال طرفة

أَلا يا بابي الظبي الـ ـذي يبرق شنفاهُ
ولولا الملكُ القاعـ ـدُ قد ارشفني فاهُ

والقرط قال امرؤ القيس

اتبع الولدان ارخي مئزري ابن عشر ذا قُرَيطٍ من ذَهَبْ (١)

وهذا القول مما نستدلُّ بهِ على ان الذكور ايضاً كانوا يتحلَّون بالشنوف والاقراط حتى ان احد تبابعة حمير دُعي ذا الشناتر اي الاقراط

ومن انواع الحلى (العقد) قال النابغة الذبياني

اخذ العذارى عقدها فنظمنهُ من لؤلوءٍ متتابع متسرِّدِ
والنظم في سلك تزين نحرها ذهب توقَّد كالشهاب الموقدِ

وكانوا يستحسنون العقد المختلط الالوان قال الراعي

كأَن مناط العقد حيث عقدنهُ لبان دَخيليٍّ اسيل المقلَّدِ (٢)

وكثيراً ما تكون حجارتهُ مختلفة الانواع قال النمر بن تولب

اناة عليها لؤلوءٌ وزبرجد ونظم كاجواز الجراد مفصَّلُ (٣)

ومن حليهم (الحُبلَة) وهي ضرب من الحلى يصاغ على شكل الثمرة الحبلة قال عبد الله ابن سليم من بني ثعلبة بن الدول

ولقد لهوتُ وكل شيءٍ هالكٌ بنقاة جيب الدرع غير عبوسِ

---

(١) القريط تصغير قرط وهو ما علق في اسفل الاذن
(٢) الدخلة في اللون تخليط الوان في لون · المقلد العنق والاسيل الطويل الاملس
(٣) الاناة ذات الفتور عند القيام

ويزينها في النحر حليٌ واضح وقلائد من حُبلةٍ وسُلوسِ (٤)

ومن حليهم (الخَدَمة) قال النابغة الذبياني

برز الاكف من الخدام خوارج من فرج كل وصيلة وازارِ

وقد ذكر بعض المعاجم ان الخدمة هي الخلخال والى ذلك ذهب شارح ديوان النابغة والذي يلوح لي من قول النابغة ان الخدمة غير الخلخال بدليل قولهِ برز الاكف ولعلهُ نوع من الحلي يُلبَس في اليد ولهُ جلاجل كالخلخال

ومن حليهم (السوار) قالت الخنساء

مثل الرديني لم تنفد شبيبتهُ كأنهُ تحت طيّ البرد أُسوارُ

والاسوار هو السوار . وقال شبرمة بن الطفيل

لعمري لرثم عند باب ابن محرز اغنّ عليهِ اليارقانِ عشوفُ

واليارق فارسي معرَّب اصلهُ ياره وهو السوار

ومن حليهم (الدملج والبُرَة) قال طرفة عمرو بن العبد البكري

كأن البرين والدماليج عُلِّقت على عشر او خروع لم يُخضَّدِ (٥)

وذكر عنترة العبسي الدملج فقط في قولهِ

وبتّ وفوقي ساعد فيهِ دملج مضيء وتحتي ساعد فيهِ دملجُ

ومن حليهم (الخاتم) قال عمرو بن العاص في خطاب معاوية

والبستُها فيك لما عجزتَ كلبس الخواتم في الانملِ

ومن حليهم (الخلخال) قال عامر بن جوين الطائي

وجارية من بنات الملو ك قعقعتُ بالرمح خلخالها

وكانت للخلاخيل جلاجل فاذا مشت المرأة سُمع صوت حليها قال الاعشى ميمون

تسمع للحلي وسواسًا اذا انصرفت كما استعان بريحٍ عشرقٌ زجلُ (٦)

والخلخال حلية الساق بدليل قول طرفة

املح الناس اذا ما اشتملت وبدا خلخالُ ساقٍ وقدمْ

(٤) سلوس جمع سلس خيط ينظم فيهِ الخرز

(٥) البرين جمع برَة وهي الحلقة تكون في الانف . والدماليج جمع دملج وهو حلي يلبس في العضد ويسمى المعضد ايضًا .

(٦) العشرق شجر وقيل نبت والزجل هو الذي للريح صوت في خلالهِ

١٠

الحجارة الكريمة

اما الحجارة الكريمة فقد مرَّ معنا ذكر الزبرجد واللؤلؤ . واما الدرّ والمرجان فقد ذكرها امرؤُ القيس في قولهِ

فاعزلْ مرجانها جانباً وآخذ من درّها المستجادا

وذكر النابغة الذبياني الياقوت والشذر في قولهِ

كأنَّ الشذر والياقوت منها على جيداء فاترة البغامِ

وذكر الجمان لبيد بن ربيعة العامري في قولهِ

وتضيءُ في غلس الظلام منيرة كجمانة البحريّ سُلَّ نظامُها

والمعاجم تعدّ اللؤلؤ والدرّ والمرجان والشذر حجرًا واحدًا مختلف الحجم والتعميم

١١

تطيُّب النساء

اما ان النساء كنَّ يتطيبنَ فدليلهُ قول امرىء القيس

ألم ترياني كلما جئتُ زائرًا وجدتُ بها طيبًا وان لم تطيَّبِ

وكانوا يتطيبون (بالعبير) قال ابو زبيد الطائي

اذا علقت مخالبهُ بقرنٍ فقد اودى اذا بلغ النسيسُ (٧)

كأنْ بنحرهِ وبمنكبيهِ عبيرًا باتَ تعبؤُهُ عروسُ

(وبالمسك) قال عروة بن الورد العبسي

ليالينا اذ جيبها لك ناصح واذ ريحها مسك ذكيٌّ وعنبرُ (٨)

وقال علقمة بن الفحل ايضًا

يحملن اترجةً نضحُ العبير بها كأن تطيابها في الأنف مشمومُ

كأنَّ فارة مسك في مفارقها للباسط المتعاطي وهو مزكومُ

(وبالعنبر) كما ورد معنا آنفًا لعروة . (وبالسنا) قال امرؤُ القيس

وريح سنا في حُقَّةٍ حميرية تخص بمفروك من المسك اذفرا (٩)

(وبالينجوج) قال ابو داوُد الايادي

(٧) اودى هلك . وبلغ منهُ نسيسهُ مثل اي كاد يموت والنسيس عرقان في اللحم يسقيان الخ

(٨) اراد بجيبها قلبها (٩) الحقة وعاء من عشب الطيب

يكتبين اليَنجوج في كبّة المشـ تى وبله احلامهنّ وسامُ (١٠)

(وبالخلوق) قال المهلهل عدي بن ربيعة التغلبي

ان امرأ ضرجتمُ ثوبهُ بعاتك من دمهِ كالخلوق (١)

(وبالغالية) قال الحارث بن خالد بن العاص

وكأنّ غاليةً تباشرُها تحت الثياب اذا صغا النجمُ (٢)

(وبالكباء) قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي

تراها الدهر مقترة كباءً ومقدح صحفةٍ فيها نقيعُ

وصبغ ثيابها من زعفرانٍ بجلتها كما احمرَّ النجيعُ

وربما مزجنَ نوعين من الطيب وتطيبن بهما قال ابن مقبل

أناة كأنّ المسكَ تحت ثيابها يقطبهُ بالعنبر الورد مقطبُ (٣)

وكان الرجال يشاركون النساء في التطيب قال مالك بن اسماء

لو كنت احمل خمرًا حين زرتكمُ لم ينكر الكلب اني صاحب الدارِ

لكن اتيت وريحُ المسك يفغمني وعنبر الهند اذكيهِ على النارِ (٤)

وكانت المرأة اذا تركت الطيب عيب عليها ذلك ودعوها متفالاً . قال امرؤ القيس في صفة حسناء

لطيفة طي الكشح غير مفاضة اذا انفتلت مرتجة غير متفالِ

تحسُّن النساء

وكنّ يستخدمن (المرائي) لإحكام تحسنهنّ قال ابن صخر الاسدي

فان لا تكُ المرآة ابدت وسامة فقد ابدتِ المرآة جبهة ضيغمِ (٥)

وقال امرؤ القيس الكندي

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجلِ (٦)

وكنّ (يزجّجن الحاجبين) بتطويلهما وتدقيقهما قال النابغة الجعدي

---

(١٠) يكتبين يتبخرن . واليَنجوج العود . كبة المشتى اشد البرد . وبله احلامهن اي لسنَ بفطانات الى الشر . والوسام الحسان (١) العاتك الاحمر يقال دم عاتك اذا كان في لونهِ صفرة (٢) صغا مال (٣) يقطبهُ يمزجهُ (٤) يفغمني يسدُّ خياشيمي كناية عن كثرتهِ (٥) الوسامة الحسن (٦) المفاضة المسترخية البطن مع الصدر . الترائب جمع تريبة وهي من الصدر موضع القلادة والسجنجل المرآة لغة رومية

اذا ما الغانيات برزنَ يوماً وزجَّجن الحواجب والعيونا (٧)

واما (تكحلهنَّ) بالاثمد فشواهدهُ كثيرة منها قول حسان بن ثابت (كما استشهد النحاة)

تناغي غزالاً عند باب ابن عامرٍ وكحِّل مآقيك الحسانَ باثمدِ

وقال علقمة الفحل

بعينيَّ مهاةٍ يحدر الدمع منهما بريمين شتَّى من دموع واثمدِ (٨)

اما (تسوُّكهنَّ) فدليلهُ قول جرير

اتذكرُ يوم تصقل عارضيها بفرع بشامةٍ سقي البشامُ (٩)

وقال عمر بن ابي ربيعة

اذا هي لم تستك بعودِ اراكةٍ تُنخِّل فاستاكت بهِ عود اسحلِ

اما (الوشم) فكنَّ يعرفنهُ ايضاً قال ابو ذؤَيب الهذلي

برقمٍ ووشمٍ كما زخرفت عيشمها المزدهاة الهديُّ (١٠)

وهو يكون اما في المعاصم واما في ظاهر اليد واما في الشفاه. قال زهير بن ابي سلمى في وشم المعاصم

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشمٍ في نواشر معصمِ (١)

وقال طرفة في وشم ظاهر اليد

لخولة اطلال ببرقة ثهمدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

وقال النابغة الذبياني في وشم الشفاه

تجلو بقادمتي حمامةِ ايكةٍ برداً أُسِفَّ لثاتهُ بالاثمدِ (٢)

وفي هذا البيت شاهد آخر وهو جليهن الاسنان بالسواك. ولم يكن استحسان وشم المعاصم عامًّا عند العرب بدليل قول عبيد بن الابرص

مكمورة كمهاة الجوّ ناعمة تدني النصيف بكفٍّ غير موشومه (٣)

وقد علَّق الفاضل هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي الحسني على هذا البيت شرحاً فعلَّل قولهُ بكف غير موشومه بقولهِ "انما يشم الاكف البغايا" وفي ذلك نظرٌ

---

(٧) زججت المرأة حاجبيها طوّلتهما ودققتهما (٨) البريم الدمع المخالط بالاثمد

(٩) العارضان ما بين الثنايا والاضراس. والبشام شجر عطر الرائحة (١٠) الهدي العروس

(١) المراجيع جمع مرجوع واراد بها ما كرّر وجدّد من الوشم. والنواشر عروق باطن الذراع

(٢) أُسف بصيغة المجهول ذر عليهِ (٣) مكمورة اي ذات بعل كذا في المعاجم وقال البغدادي صاحب خزانة الادب في شرح قول الاغلب العجلي جارية من قيسِ ابن ثعلبه ممكورة الاعلى رداح الحجبة المكورة المطوية الخلق ولعلّ هذا المعنى ما يريدهُ عبيد

وكنَّ (يخضبن) الايدي قال النابغة الذبياني

بمخضَّبٍ رخصٍ كأنَّ بنانهُ عنمٌ يكاد من اللطافة يعقدُ

ولا ريب ان التكحُّل والتخضُّب من اشهر ما تصنَّعت بهِ نساء العرب حتى كان ذكرها دالاً على استكمال التحسن قال عنترة العبسي

ان الرجال لهم اليكِ وسيلة ان يأخذوكِ تكحلي وتخضبي

واستعمالهنَّ الطيوب لم يكن للرغبة في طيب الرائحةِ فقط بل لتطرئة البشرة ولذلك كنَّ يدلكن بهِ وجوههنَّ بدليل شاهد النحاة

ابيت ابكي وتبيتي تدلكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي

﴿١٣﴾

الشعر

اما (تمشيط) الشعر فدليلهُ قول عمرو بن قعاس المرادي

ترجّل لمَّتي وتقمُّ بيتي واعطيها الاتاوة ان رضيتُ (٤)

وقد ورد في شعر طرفة قولهُ

وعلى المتنين منها واردٌ حسن النبت اثيث مسبطرّْ (٥)

جابة المدرى لها ذو جدَّة تنفض الضال وافنان السمرْ (٦)

وقد قالوا المدرى المشط والجأب الخشن . والمراد بهما معًا (اي بجأبة المدرى) الكناية عن الظبية اول ما طلع قرنها . اقول ان كلام طرفة ليس من هذا الباب فانهُ اراد بالبيت الاول ان شعرها مُرسَل على متنيها اثيثًا اي غزيرًا ثم اراد ان يدلَّ على انهُ جعد فقال انها جأبة المدرى اي خشنة المشط وذلك لان الشعر الجعد لا يقوم بترجيلهِ الاَّ القويُّ الخشن من الامشاط والاَّ تكسَّرت اسنانهُ . ولهذا نجد طرفة لم يكتفِ بكون مشطها خشنًا حتى جعلهُ جديدًا دلالة على سرعة استبدالها الامشاط لتكسر اسنانها . ووصف الشعر بالغزارة وبالجعودة معًا ابدع صفة يوصف بها

اما ارسالهنَّ الشعر غدائر على المتون فدليلهُ قول طرفة السابق وقول عبد الله بن العجلان النهدي

---

(٤) رجل الشعر سرَّحهُ . وقمَّ البيت كنسهُ الاتاوة المال الذي يعطى

(٥) متنا الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم . اثيث كثير ملتف مسبطر ممتد

(٦) الضال شجر والسمر شجر آخر

كأنَّ دمسقًا او فروع غمامةٍ على متنها حيث استقرَّ جديلها

وقول ذي الرمَّة

واسود كالاساود مسبكرًّا على المتنين منسدلاً جُفالا (٧)

وكان الاعتناء بالشعر وارسالهُ ذوائب غير خاصٍ بالنساء فقط فالرجال ايضاً كانوا يتركون شعر الرأس حتى يطول ويرسلونهُ جديلاً قال عمرو بن قعاس المرادي

ارجّل لمتي واجرُّ ذيلي ويحمل بزَّتي أُفقٌ كميتُ (٨)

وكانوا اذا وقع بيدهم اسيرٌ وشاءوا ان يمنّوا عليهِ بالاطلاق جزُّوا ناصيتهُ وحفظوها عندهم دليل منتهم عليهِ قال زهير بن ابي سلمى المزني

عظمت دسيعتهُ وفضَّلهُ جز النواصي من بني بدرِ (٩)

وكان بعضهم يحلق الذفرى وهي العظم الذي يلي الاذن بدليل قول حسَّان " محلق الذفرى شديد الحزام "

امين ظاهر خير الله

ابواب الخزان

بسطنا الكلام في الجزء الماضي على ما جرى من الاحتفال يوم فتح الخزان وقد رأينا ان نصف الآن بعض غرائبهِ الهندسيَّة وفوائدهِ الزراعيَّة فنقول

ان طول سد الخزان نحو الفي متر وعرضهُ من اعلاهُ سبعة امتار ومن اسفلهِ عند سطح الماء ٢٥ مترًا وارتفاعهُ مختلف لان الارض او الصخور التي بني عليها غير مستوية السطح وارتفاعهُ فوق اخفض قطعة منها اربعون مترًا ويغور اساسهُ في بعض الاماكن ١٣ مترًا ونصف متر وهو مبنيٌّ من حجارة الغرانيت وطين السمنت

ومتوسط ما يجري في النيل من الماء في اعلى الفيضان عشرة آلاف متر مكعب في الثانية من الزمان فاذا كان مقدار الماء كذلك كفت عيون السد لهُ اذا زاد ارتفاع الماء مترين فوق السد عنهُ تحت السد لان سرعة جريانهِ حينئذٍ تبلغ اربعة امتار وثلاثة ارباع المتر . ولكن مقدار الماء يزيد في بعض سني الفيضان الغزير فيبلغ ما يجري منهُ ١٤٠٠٠ متر مكعب في الثانية وحينئذٍ يزيد ارتفاع الماء فوق السد اربعة امتار وربع متر فيصير يجري من العيون بسرعة

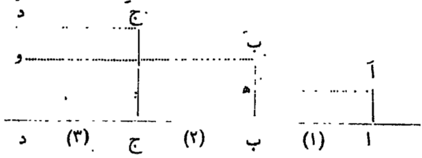
(٧) الاساود الافاعي مسبكر مسترسل. والجفال الكثير

(٨) يقال فرس افق اي رائع (٩) الدسيعة العطية والجفنة

سبعة امتار في الثانية فتكفي العيون لاخراج ماء الفيضان مهما غزر خلافاً لما ادَّعاهُ بعضهم من انها لا تكفي

وابواب العيون من الحديد وهي تُرفَع وتخفض في ميازيب مصنوعة لها في جدران العيون وضغط الماء عليها شديد جدًّا ولكن وُضع لها بكر في الميازيب لتخفيف الاحتكاك فترفع وتخفض بسهولة. وهي معلقة بحبال من اسلاك الحديد متصلة بمحالة ودوالب مسننة تدار بنوع من المخل فيلتف الحبل على المحالة ويرفع الباب او يخفضهُ

والسد يقف في طريق السفن الماخرة في النيل كما كانت الجنادل تقف فيهِ لكن المهندسين صنعوا الآن طريقاً آخر تعبرهُ السفن في الجانب الغربي من السد وهو المعروف بالهويس (١) فانهُ اذا كان مجرى الماء منحدرًا جدًّا كما هو عند الخزان ولا سيما اذا أُقفلت عيونهُ لا يعود سير السفن ممكناً فتصنع ترعة طويلة في المكان المنحدر وتُصنَع لها ابواب متدرجة في علوها وكلما وصلت السفينة الى فوق باب منها أُقفل ما تحتها وفتح ما فوقها فتصبح في حوض مرتفع من الماء فترتفع وتتقدَّم الى الامام ثم يقفل الباب الذي تحتها ويفتح الباب الذي فوقها فتصبح في حوض آخر اعلى من الاول وهلمَّ جرًّا الى ان تصل الى اعلى مجرى الماء. وايضاحاً لذلك لنفرض ان الخط بين ا و د جزءا من نهر متحدّر سطح مائهِ عند ا تحت اَ وعند دَ فوق د فاذا بلغت

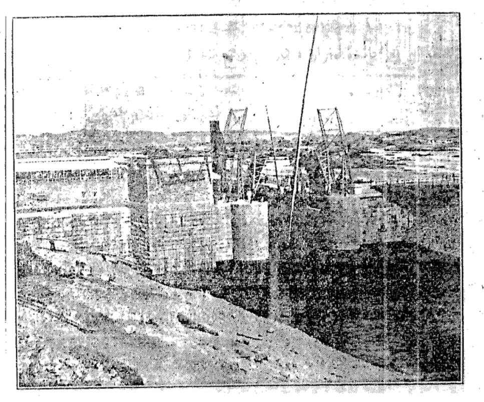


السفينة النقطة ا يسد امامها الباب ب بَ فيجري الماء الى حيث هي ويهبط سطحهُ الى موازاة ا ب فتسير وتقف في الحوض الاول بين ا و ب وحينئذٍ يقفل الباب ا اَ ويفتح الباب ب بَ رويدًا رويدًا فينبسط الماء في الحوضين الاول والثاني بين ا و ج ويصير على ارتفاعهٍ على موازاة اَ ه فتتقدم السفينة على ماء مستوي السطح الى ان تصير في الحوض الثاني بين ب و ج وحينئذٍ يقفل الباب ب بَ ويفتح الباب ج جَ فيجري الماء من فوق ج جَ ويصير في الحوضين (٢) و (٣) على ارتفاع بَ و وترتفع بهِ السفينة وتسير الى الحوض الثالث وحينئذٍ يقفل

(١) اخذ الاتراك كلمة حوض العربية وحرفوها فلفظوها هو ظ ثم نقلتها عنهم المدارس المصرية فزادت في تحريفها وجعلتها هو يس

الباب ج جَ فيرتفع الماء في الحوض الثالث حتى يصير على ارتفاع جَ دَ وهو ارتفاع اعلى المجرى

وعلى هذا النسق صُنع هويس اصوان فان الفرق بين سطح الماء تحت السد وسطح الماء فوقهُ اذا بلغ اعلاهُ عشرون مترًا فحفرت ترعة في الصخر وقسمت الى اربعة احواض طول كل حوض منها ثمانون مترًا وعرضهُ تسعة امتار ونصف متر ولكل حوض باب من الفولاذ (الصلب) يفتح بدخوله في الحائط الغربي وارتفاع الباب الاعلى منها ١٨ مترًا وفوقهُ جسر للمرور له عتبتان تفتحان ايضًا الى اليمين واليسار كما ترى في هذا الشكل فتمرُّ السفن بينهما كما ترى فيهِ



اذا كان زمن الفيضان فُتحت عيون السد كلها وتبقى مفتوحة ما دام الماء مشحونًا بالرواسب حتى اذا صفا في شهر اكتوبر او نوفمبر أُقفلت ابواب العيون رويدًا رويدًا مبتدئة من العيون السفلى ثم العيون الوسطى واخيرًا العيون العليا لانها ليست كلها على استواءٍ واحد. والغالب ان يتم اقفال العيون كلها في شهر فبراير او مارس ويترك من العيون ما يكفي الري مفتوحًا الى ان تشتدَّ الحاجة الى المياه في مايو ويونيو ويوليو فحينئذٍ تفتح العيون العليا ثم الوسطى ثم السفلى على ضد الترتيب الذي أُقفلت بهِ. واذا امتلأ الخزان وسع ١٠٦٥ مليون متر مكعب وامتدَّ الماء الراكد فيهِ مسافة ١٦٠ كيلومترًا فيكون منهُ بحيرة طويلة جدًّا

وينتظر ان تعمَّ فائدة الخزان اكثر من اربع مئة الف فدان من اراضي الحياض في

المديريات الوسطى فتصير تروى ريًّا صيفيًا ونحو مئتي الف فدان في الوجه البحري والفيوم من الاراضي البور تأتيها مياهُ الري . وتتضاعف مساحة الاطيان التي تروى الآن ريًّا صيفيًّا في الفيوم . وفي المديريات العليا فوق اسيوط يباح تركيب الآلات الرافعة لري مئتي الف فدان. ثم ان الري الصيفي في الوجه البحري والمديريات الوسطى غير مأمون الآن في زمن التحاريق الشديدة كما حدث منذ ثلاث سنوات فيصير مأمونًا في المستقبل وفائدة ذلك كلهِ تربو على ما أُنفق على الخزان . وبقليل من النفقات يتضاعف الماء الذي يخزن فيهِ فيتضاعف نفعهُ

الرتب والاوسمة

شغف القوم في مصر والشام وفارس والروم بالرتب والاوسمة في هذه الاعوام شغفًا بلغ حدّ الهزل وكثر التكالب على الاستكثار منها تكالبًا اثّر تأثيرًا سيئًا في الاخلاق ممَّا سينعيهِ التاريخ ويسجل بهِ على مباغ عبدتها وعبيدها والمتعبدين بها من العقل. وقد افاضت بعض الصحف السيارة في هذا الموضوع واوسعت المولعين بالسفاسف تنكيتًا وتبكيتًا فرأيت معاودة البحث في ذلك عقيمة الّا اذا كان من الوجهة الاجتماعية والتاريخية على ما ستراهُ

تاريخها

لم تُعهد الرتب في الغرب الّا في القرون الوسطى ايام كانت تُباع الالقاب العلية والجندية كما يباع الثور والشاة ويمنحها الملوك القدماء من عند انفسهم الى من يبعثهم الهوى على التعطف عليهم . اما في الشرق فيردّ تاريخها الى اواسط الدولة العباسية ايام دخل الفرس والتتار والديلم والترك في خدمة الخلفاء . قال ابن الحاج في المدخل عند ذكر النعوت وبدعها ان سبب الالقاب الترك فانهم لما تغلبوا على الخلافة تسمَّوا هذا شمس الدولة وهذا ناصر الدولة وهذا نجم الدولة الى غير ذلك فتشوفت نفوس بعض العوام ممن ليس لهُ علم الى تلك الاسماء لما فيها من التعظيم والفخر فلم يجدوا سبيلاً اليها لعدم دخولهم في الدولة فرجعوا الى امر الدين فكانوا اول ما حدثت عندهم هذه الاسماء اذا ولد لاحدهم مولود لا يقدر ان يكنيهُ بفلان الدين الّا بامر يخرج من السلطنة فكانوا يعطون على ذلك الاموال حتى يسمّى ولد احدهم بفلان الدين. فلما ان طال المدى وصار الامر الى الترك لم يبقَ لهم بالتسمية بالدولة معنًى اذ انها قد حصلت لهم فانتقلوا الى الدين. ثم فشا الامر وزاد حتى رجعوا يسمون اولادهم بغير ما لم يعطوهُ على ذلك ثم انتقل اليهِ بعض من لا علم عندهُ ولا عمل ثم صار الامر متعارفًا متعاهدًا حتى انس بهِ العلماء فتواطأوا عليهِ"

اما الاوسمة فقديمة العهد في الغرب اكثر من الرتب وكان الجند الروماني ينال زيادة على المكافآت المالية نقوداً وشيئاً من الغنيمة إعظاماً لقدره فيقف القائد وسط الجيش ويمتدح الباسل ويدفع اليهِ سلاح شرف واوسمة تشبه اوسمة اليوم كل الشبه كما روى بعض كتَّاب الافرنج . وكان للجندي المكافإ بمثل هذه الانعامات ان يتقلَّد ما حازهُ ويترشح بهِ في الاستعراضات وايام المواسم والانتصار والملاعب وغيرها من الاحتفالات الرسميَّة . وانواع هذه الاوسمة كثيرة منها تيجان ينالها الجنديّ في الحرب اذا كان اول الهاجمين على جيش العدو او على قلعة وحصن ومنها ما يُعطى لامير البحر اذا حطَّم اسطول العدو او باغت محبسا . ومنها اكاليل من اوراق الزيتون تعطى للجند او الضباط الذين ساعدوا على احراز الظفر لبلادهم . ومنها اكاليل من اغصان البلوط وطلعها توهب لمن ينقذ جيشاً رومانيًا ويهلك احد خصوم امتهِ . ومنها غير ذلك من اسورة وقلائد من الذهب والفضة تعلَّق في الصدور او في قرون صغيرة تناط باطراف الخوذ . وقد شُدِّدَ الخناق على عهد الامبراطوريَّة الفرنسويَّة في اعطاء هذه الاوسمة اما اليوم فيكافأ بالاوسمة في اوربا مَنْ قام بخدمات لمملكتهِ من ترقية العلوم والآداب والصنائع ولكل من يخدم الارتقاء ويعين على توطيد دعائم العمران . اما الاوسمة في الشرق فليست قديمة العهد اخترعها سلاطين آل عثمان في القرن الماضي وما زالوا يبتدعون منها انواعا بحسب الاحوال

عزَّتها

لئن كان شرف الرتب والاوسمة وهميًّا فقد احتفظت قديمًا بعزتها فكان الناس يتبارون في اخذها مباراة حقيقية ليتأهلوا لها بالقول والفعل وكانت في المشرق بعيدة المنال حتى على أعاظم القوَّاد والفاتحين . ورد في منشآت فريدون التركية ان احد مشاهير قوَّاد الاتراك واسمهُ بالي بك بعث يومًا الى السلطان سليمان القانوني يستمنحهُ " رتبة امير الامراء " وقضاء بعض مصالح شخصية مقدّمًا بين يدي نجواهُ ما قام بهِ من الفتوحات وتمَّ على يديهِ من المغانم للدولة . فأجابهُ السلطان الى قضاء مصلحتهِ ولم يجبهُ الى ترقية رتبتهِ وزاد بأن عنَّفهُ على ما تبجح بهِ في كتابهِ ووصفهُ بالغرور لانهُ زعم ان فتح البلاد والحصون كان بدربتهِ ودهائهِ وصدق عزيمتهِ ومضائهِ قائلاً بان الرتبة لم يستحقها بعد ومتى آن اوان اعطائها يمنحهُ اياها بلا طلب منهُ ولا الحاح

ويروى انهُ اقتُرح مرة تعيين ابن شهاب واظنهُ الامير بشير حاكمًا على جبل لبنان فابت المراجع العليا بادئ بدء الاقرار على ذلك مدعية ان منزلة رتبتهِ التي كان يتقلدها وهي " امير الامراء " تسقط بتقلدهِ منصبًا لا يليق بدرجتهِ ورتبتهِ . ومثل ذلك ما كان من السلطان سليمان القانوني من إنكارهِ على ياله باشا ترفيع رتبتهِ الى الوزارة عقيب فتح جزيرة جربا الواقعة

على مائتي ميل من طرابلس الغرب واستخلاصهِ لها من الاسبان وقفوله الى الاستانة في اربعة آلاف اسير وثلاثة من اشهر امراء البحر عند العدو قائلاً مضى سنتان على رتبة "بكلربك" الموجهة عليهِ فمن العجلة ان تُعطى لهُ الوزارة هذه المرة لئلا يتنازل قدرها وهي من اعظم المراتب الدنيوية . ولاكرامهِ لذاك القائد زوّجهُ من ابنة السلطان سليم واغدق عليهِ الهبات المالية .

قال كاتب جلبي بعد ايراد هذه القصة : على هذا المنوال كانت عزة المناصب واعتبارها في تلك العصور فابتُذلت في عصرنا حتى فقدت كل اعتبار ولم يبقَ للوزارة القدر الذي كان لامير اللواء . وعقَّب عليهِ جودت باشا مؤرخ الدولة العليَّة وعالمها بقولهِ ماذا كان كاتب جلبي يقول لو جاء في عصرنا هذا وكيف كان يبيّن سقوط اعتبار المراتب . اما الكاتب اليوم فليس لهُ ما يقول الآن الَّا السكوت عما هو جارٍ في القرب والبعد من التفاني في الرتب والاوسمة ومنحها عفوًا صفوًا حتى حقَّ لمن تعقَّل ورأى تهوُّس الناس في نيلها ان يتمثل لدى كل شارقة وبارقة بما قالهُ الشاعر الاندلسي في القرون الوسطى ايَّام تدرُّج الملوك والامراء في الاغراق في النفاق بحيث لم يعودوا يجدون لالقابهم الَّا الفاظ الربوبية مثل الملك الرحيم وملك الملوك مما انكرهُ عقلاء العلماء اشدَّ الانكار اما البيتان الاندلسيان فهما

مما يزهدني في ارض اندلسٍ   القاب معتضد فيها ومعتمدِ
القاب مملكة في غير موضعها   كالهر يحكي انتفاخًا صورة الاسدِ

وما الطف ما وصف بهِ الراغب الاصفهاني اولئك المولعين بالقاب لا يليقون بها فقال : "ما هذه الالقاب العريضة والرقاب الغليظة ما للفاجر دُعي بالعفيف وما اسمجها ولمِ كُني الموت بابي يحيى. وكيف سُميت المهلكة مفازة ولو انصفوا لسموها جنازة. يلقب هذا صدرًا وما اضيقهُ. وذلك بدرًا وما اغسقهُ. ونقيًا وما افسقهُ . ورشيدًا وما اخرقهُ . واميناً وما اسرقهُ . وشجاعًا وما افرقهُ . ويمينًا وما اشأمهُ . وكريمًا وما ألأمهُ . وسراجًا وما اظلمهُ . وعزيزًا وما اذلَّهُ . وصارمًا وما اكلَّهُ لئام تسمَّوا باحاسن الاسماء واشتهروا بالقاب لم تنزل من السماء . اشباح بلا احلام كتماثيل حمام. واسماء بلا اجسام كالحرث بن همام" . . . . . ويقرب في الظرف ما قالهُ ابو بكر الخوارزمي مخاطبًا بهِ العباسيين وكان من الحانقين على ترفهم وسرفهم كسائر العلويين

مالي رأيتُ بني العباس قد فتحوا   من الكُنى ومن الالقاب ابوابا
ولقّبوا رجلاً لو عاش اولهم   ما كان يرضى بهِ للحُش بوابا
قلَّ الدراهم في كفَّي خليفتنا   هذا فانفق في الاقوام القابا

هذا وقد ابتُذلت الالقاب والاوسمة في الشرق كلهِ واكثر بلاد الغرب حتى غدا المنوَّر

المتعقل يتجافى عن قبولها لو وُهبت له من الملوك رأساً كما فعل سبنسر وباستور وغلادستون وغيرهم بان ردُّوا الاوسمة التي هادتهم بها الملوك اعترافاً بعظيم خدمتهم للمدنية والانسانية . على انهُ مهما بلغ من تفاني بعض الشعوب الاوربيَّة باخذ الاوسمة لا يشقُّون غبار سكان هذه الديار وقد اشبهوا اعيان الروم في القسطنطينيَّة غداة افتتحها السلطان محمد الفاتح العثماني وارادوا المثول بين يديهِ واخذوا يتزاحمون ببابهِ ولا تزاحم الكلاب على عقيرة ليستأثر كل منهم بالتقدم على رفاقهِ في الدخول على الفاتح وفاتهم ان ليس الوقت وقت ترَّهات يحرصون عليها وان كل شيء يهون بعد فقد الاستقلال وفساد الحال والمآل

ومن رأي صاحب تاريخ اشهر مشاهير الاسلام ان توفُّر تلك الالقاب والنعوت في الدول من نتائج التطلع الى المجد الباطل والاعراض عن المجد الحقيقي والشرف الذاتي ومنشأ هذا امران " فقد التربية وانحلال الدول " اما فقد التربية فلانهُ يضعف قوة الارادة ويذهب بآثار العلم ويقضي على حب الفضيلة فيميل بالناس الى الخمول وتتنكَّب بهم طرق الفضائل فيصابون بفتور الهمم وانحلال العزائم فيقعد بهم ذلك عن تناول الشرف الذاتي من طرق الجد والعمل ويدعوهم الى طلب المجد الباطل من طرق الرياء والمداهنة والتحيُّل والكسل وغير ذلك من الامور التي تدلُّ على فقد الشمم وموت العواطف وانحطاط ملكات العمل والعلم وقصاراها ضعف الامم وتدرُّجها في مدارج التدني والانحطاط حتى آخر درجة من الهبوط الى هوَّة الدمار والفناء حيث يبدأُ غيرها بالصعود ممن كان ينازعها البقاء. وهكذا كان الشأن مع الفرس والعرب لما نازعهم هؤلاء البقاء وغلبوهم عليهِ مع حداثة ظهورهم في الدولة والملك .

واما انحلال الدول فلانهُ يحل عرى الالفة وتتناكر بهِ القلوب وينفضُّ الناس من حول الامير لضعف امرهِ فيهم او تعسُّفهِ بالحكم عليهم فيحتال لاجتذاب قلوب افرادهم ويتألَّفهم تارةً بالرشى وطوراً بمنح الالقاب وفخامة التشريف بشارات الدولة فتفسد بذلك اخلاقهم وتغترُّ بمظاهر الفخفخة الكاذبة نفوسهم فيتطلعون الى رتب الدولة والقاب التشريف الباطلة . وهكذا كان الشأن لما انحلَّ امر الخلافة العباسيَّة في بغداد والفاطمية في مصر وابتدع الخلفاء من القاب التشريف الكثيرة ما يتألَّفون بهِ قلوب الناس ويجتذبون اليهم افئدة الامراء المتوثبين على الملك الغالبين على امر الخلافة ولكن لم يغنِ ذلك عن سقوط خلافتهم وانحلال دولتهم

الغرض منها

جاء في دائرة المعارف الفرنسوية فصل في علاقة علائم الشرف بالاخلاق والعمران هذا تعريبهُ :

يحب المرءُ ان يعترف باستحقاق المستحق اذا لم تنبعث في قلبهِ نار الحسد ولم يستحكم من جوارحهِ مرض الغرض وتميل الحكومات الى مكافأة من احسن خدمة تنتج عنها فوائد عامة ليتميز عن الجمهور كل اهلٍ للخير من اهل البلاد وتكون افعالهُ مهما كانت قيمتها وجنسها من دواعي الشرف بين الملإِ . وفي ذلك من الفوائد الظاهرة ما لا ينكر لبيبٌ محلهُ . فهو من حيث الاخلاق عبارة عن اجراء العدل مجراهُ ومن حيث الاجتماع داعية لاستلفات الرأي العام اذ يصبح المكافأ مثالاً يحتذى وتُستحث بهِ الهمم وتُبعَث الكفاءات من مرقدها ويتبارى الناس ليحسنوا القيام على عمل ينيلهم الحظوة والرضى . ولذا شاع استعمال علائم الشرف منذ ازمان متطاولة وقُيِّد منحها بشروط تختلف باختلاف البلاد

لم يُعهَد قديمًا ما يُشبه الرتب والاوسمة المعروفة اليوم عندنا وعند الممالك السائرة مما يمنح بصفة دائمية ويتوشح بهِ المنعم عليهم في الاحايين اثناء الحفلات الرسميَّة ويمتازون بهِ كل وقت في حياتهم . كانت الجوائز التي تمنح في الالعاب الاولمبيَّة تورث الظافرين شرفًا عامًّا يشاركهم فيهِ وطنهم . ولم يكن لتلك الجوائز علامة تدل عليها يظهرون بها امام الناس على الدوام . وكذلك كان حال من يتشرَّف في رومة لظفرهِ بالاعداء . فلم تكن لتنقضي ايام نصرتهِ حتى تذهب آثار ذلك عنهُ ذهاب امسِ الدابر

وكان للوظائف العامة وحدها علائم محدودة معروفة يتقلَّدها صاحبها عند ممارستهِ عملهُ ويطرَحها عنهُ في آونة فراغهِ وتنحيهِ عن اعمالهِ مما ترى عكس صورتهِ اليوم فيما هو شائع لهذا العهد في فرنسا مثلاً من الدلالة على علائم الشرف بصليب اوعقدة او نوط اوغصن غار ونحوها اشارةً لوسام جوقة الشرف ووسام الجنديَّة وجوائز المجامع العلميَّة والجمعيَّات الزراعيَّة . ويفهم من تاريخ المظاهر الرسميَّة والالقاب والرتب ان علائم الشرف دامت شائعة بعض الشيوع تنتقل خلفًا عن سلف خلال القرون الوسطى والحديثة . على ان القاب الشرف لم تكن بجملتها وراثية على عهد الملكية بفرنسا اذ كاد ينعم بها انعامًا خاصًّا على من يتقلدون بعض الوظائف وينحصر استمتاعهم بها ما داموا احياء

اتت الثورة الفرنسوية فأتت على الالقاب وشاراتها جملة . غير ان نابوليون ارتأى ان يعتاض عنها باختراع ما يقوم مقامها على طريقة دستورية لا اجحاف فيها ولا هضم . فأحدثت من ثم القاب شرف وراثية يتمتع بها خواص ملكهِ المتفانون في خدمتهِ . القابٌ خصت بتشريف صاحب الكفاءة الشخصية فغدت اعزَّ من الغراب الاعصم لان نيلها كان متعذرًا الَّا على من عمل عملاً قدرهُ الناس حق قدرهُ . ثم عاد نخطر بالبال اختراع اوسمة اخرى خاصة بمكافأة

اعمال تستحق الاعتبار دون غيرها

وهنا تعرض مسألة طبيعية فان الحكومات قد تنتفع بمباراة الاهلين بعضهم مع بعض خدمة للخير العام فتستعمل علائم الشرف ذرائع لاحياء ميت الهمم الوطنية . ومن العدل ان يكون لتلك السلطة العامة التي يرجع اليها معاقبة المسيء حق في عمل ما يقابلها من مكافأة المحسن مما هو ولا جرم من حقوقها الجوهرية . الاّ اذا ارادت الامم ان تعتبر الحكومات محافظة على الضبط والربط فقط

تقضي الحال بان ينظر في التنديدات التي انتجتها حقوق هذه السلطة لان ليس كلها عارياً عن نصائح ينتفع بها واقل فوائد هذا التنديد انهُ ينبه الافكار الى سوء الاستعمال في منحها وان كان لا يقدم على النقد في الغالب الاّ من خاب املهُ في الحصول عليها . على انهُ صعبٌ رفع اسباب الشكوى بالمرة لان رضا الناس غاية لا تدرك ولا مندوحة مع هذا عن استعمال ما يتأتى بهِ ارضاء الاشخاص ارضاء عادلاً دون ان يحدث فتور في همم السواد الاعظم من القوم وتحامياً من ان تؤثر فيهم تأثيراً سيئاً فيربو الضر على النفع كأن يترفع المنعم عليهم بعلائم الشرف من اصحاب الاقتدار الادبي فيزهدون في قبولها ولا يلبث اعتبارها ان يسقط . ومن اللازم اللازب ان يخص بهذه النعمة المستحق الفاضل دون النظر الى ما لا بد ان يقال من نسبة تشيُّع المنعِم للمنعَم عليهِ وذلك بان يستند معطيها الى قواعد راهنة تدفع ما يرميهِ الناس بهِ والى عدل يشفع لهُ في انعامهِ

ومن الواجب الاقتصاد في منح هذه الاوسمة والالقاب وان يتوخّى المنعِم بها ان لا يهبها الاّ لمن يستحقّها ممن لا يُنكِر عليهم استئهالهم لها ابعد الناس عن معرفة الحقيقة . ومن الخطإ الفاضح ان يذهب بعضهم الى ان عدد الراضين يزيد بمضاعفة علائم الشرف اذ الامر بخلاف ذلك وكلما خفضت المطالب والقيود درجة زادت الدعاوي الطويلة العريضة وما انت بصاحبها في هذا الطلب الاّ كأنهُ يتقاضى حقًّا او امراً مشروعاً . وكلما زاد اعطاء الاوسمة وقعت الحكومات في شر اعمالها وهي في ذلك بين امرين اما ان تعطيها لاناس لا خلاق لهم او لمن لهم علم واقتدار ولكنهم معروفون بالاخلاق السافلة . وكلا الحالين قبيح واقبح . وما حال الشعب اذ ذاك الاّ حال الاطفال في المدرسة يطمحون الى المكافآت المدرسيَّة ويحرصون عليها اكثر من طموحهم الى التقدم الحقيقي مما ليست المكافآت الاّ اشارات دالة عليهِ فيرغبون في نيلها دون ان يستحقوها اكثر من رغبتهم في استحقاقها دون ان ينالوها

يقال ان بعض النساء يحرّضن رجالهنّ على اخذ الاوسمة (ومن شنشنة المرأة ان تميل

لان ترى زوجها فائقاً اقرانهُ ولا لوم عليهن في هذا الهوى كما يلام الرجال فالزينة من خصائصهن") فمن ثم ينشط الرجال و يتسلقون كل عقبة كؤود لنيل علائم الشرف دع عنك ما يأتونهُ من طرق غير شريفة مما لا يمكن اجراء العقاب عليهِ . ولا يخفى ما في طلب المرء بنفسهِ علامة الشرف من الغرابة ومخالفة المعقول

سأل سائل عظيم : " يا هذا اي الطرق سلكت لاحراز الوسام — فاجابهُ انني عمدت الى الوسائط اللازمة فقمت بها حق القيام " وليت شعري اليس من الغريب ان تُعتبر تلك الطرق التي لجأ اليها في عرف الكثيرين من الامور الطبيعية في العالم . نعم ليس ثمت من الطرق ولله الحمد ما ينبغي الجري فيهِ ولكنهُ كبرت اليوم كلمة ظنٍ تجول في الخواطر لنيل ذاك الشرف ولا يحتمل في الحقيقة ان يطمع انسان على هذا النحو في علائم شرف يستحقها من كل الوجوه . وان اول امر ينبغي العمل بهِ ان يسدّ باب الاحسان بهذه التشريفات في وجه كل من يطلب الدخول اليهِ اه

هذا كلام العالم الفرنسوي وهو كما تراهُ حق ولو جروا في منح الرتب والاوسمة على الخطة التي رسمها لاحتفظت بشرفها لا محالة وحصلت الفائدة منها وما احرى مانحيها ان يمشوا على القاعدة المألوفة من ان طالب التولية لا يولَّى . وهنا اختم المقال بما هو مأثور عن عمر بن الخطاب من انهُ اراد يوماً ان يستعمل رجلاً فبدر الرجل يطلب منهُ العمل فقال عمر " والله لقد اردتك لذلك ولكن من طلب هذا الامر لم يُعَنْ عليهِ "

بحّاث دمشقي

العام الماضي

مضت السنة الثانية من القرن العشرين بعد ان اذاقت الناس الحلو والمرّ . اطفأت نار الحروب في الترنسفال وحجبت دماء العباد واوقدت نار الارض في جزائر الانتيل فاذابت السكن والسكان . اقيم فيها اثر للصناعة نرجو ان يرسخ في وادي النيل رسوخ اهرامهِ وسقط اثر آخر في البندقية بعد ان قاوى الدهر مئات من الاعوام . واشعلت شعلتين في شرقي افريقية وغربيها شعلة الصومال وشعلة الغرب الاقصى ولا ندري ما يكون من امرها في عامنا الجديد . وفي ما سوى ذلك مرّ العام الماضي والسلم موطد الاركان نعني بهِ السلم المناقض للحرب بالسيوف والرماح والبنادق والمدافع . واما الحرب الاجتماعية بين العمال وارباب الاموال فاتقد سعيرها في اميركا واسبانيا وانكلترا وفرنسا . العمال واكثرهم من مستخرجي الفحم الحجري يطلبون ان تزاد اجورهم

وتقلّل ساعات عملهم وارباب الاعمال يرفضون الامرين مدَّعين قلَّة الربح . ولما تفاقم الخطب في اميركا دعا رئيسها رؤساء اصحاب المناجم وزعماء العمال اليهِ وبذل جهده في التوفيق بينهم وكاد يفلح في جعلهم يفضُّون الخلاف بواسطة المحكمين ولكن الاخبار الاخيرة تدل على ان الخلاف لم يزل مستحكمًا وقد اشتدَّت الحاجة الى الفحم وارتفعت اسعاره وجعل الفقراء يموتون بردًا

لكن ما عجزت عنهُ الحكومة الاميركيَّة قدرت عليهِ الحكومة الفرنسويَّة فوفَّق وزير فرنسا الاول بين العمال وارباب الاعمال بعد ان اضرب العمال عن العمل زمنًا طويلاً . وعسى ان يشيع مبدأُ التحكيم فيلجأ العمال اليهِ كلما رأوا غبنًا او خافوا ضيمًا

ومَّما يجب ذكرهُ هنا ان شكوى العمال لا تدلُّ على ان حالهم اسوأ مما كانت في العصور الغابرة بل هم يشكون لانهم صاروا يطلبون ان يشاركوا اصحاب الاعمال في شيءٍ من اطايب الحياة فاذا عرف هؤلاء كيف يدارونهم وانصفوا فزادوا اجورهم بزيادة الارباح دام الاتفاق بين الفريقين

وهناك حرب اخرى يثيرها كبار الماليين على صغارهم وتثيرها اميركا على انكلترا وانكلترا على اميركا وهي حرب الشركات الكبيرة التي تبتلع الشركات الصغيرة او تميتها وقد كان الفوز في هذا المضمار للاميركيين فاخذوا الانكليز على غرة لكن الانكليز تحفزوا للاخذ بالثار او لحماية الذمار على الاقل . وقد اهتمَّ رئيس الحكومة الاميركيَّة بسنّ قانون يمنع الشركات الكبيرة من الاجحاف بحقوق غيرها ومن الاستبداد بمصالح العباد وسنرى ما يوفَّق اليهِ في عامنا الجديد

واحتُفل في العام الماضي بتتويج ملك اسبانيا وملك الانكليز . مظاهر تدلُّ على ان عقل الانسان لا يزال مقيدًا بالزخارف والاعراض وان عصر الفلسفة لا يزال بعيدًا

وحدث في الشرق الاقصى والشرق الادنى حادثان كبيران دليلا قوة وضعف وعزة وذلّ . الاول المعاهدة التي ابرمتها اليابان مع انكلترا ووقفت فيها موقف المثيل لاعظم دولة من دول اوربا فدلَّت على ما حازتهُ من القوة والعزة في عشرين سنة اخذت فيها مأخذ الاوربيين واقتفت خطواتهم في العلم والعمل والبر بالرعيَّة . والثاني تخويل شركة المانيَّة مد سكة حديديَّة في بلاد الدولة فوق الشركات التي للاوربيين فيها حتى تزيد مصالحهم وتقوى حجتهم في المطالبة بها ولا يبقى للعثمانيين مورد رزق يردونهُ اذا هبُّوا من سباتهم

ولم يكتشف العلماء في العام الماضي اكتشافًا ذا شأن كبير لكن مركوني تمكن من ايصال الامواج الكهربائية بتلغرافهِ من اوربا الى اميركا فصارت الرسائل تنقل بهِ من غير سلك . ومما

يعدُّ مع الآثار العلمية ان المستر كارنجي المحسن الاميركي الشهير وهب مليوني جنيه لاجل البحث العلمي والسر ارنست كاسل وهب مئتي الف جنيه ليبني بها مستشفى يعالج فيهِ المسلولون واربعين الف جنيه لتستعمل في القطر المصري لمعالجة امراض العيون . اما الهبات العلمية الاميركية فكثيرة وهي جزية الاغنياء للجمهور الذي كان سبب غناهم يكتسبون الالوف من عرق الناس ويجودون عليهم بالمئات لكن ذلك خير من الكسب من غير جود . وسننشر تاريخ العام في الجزء الاخير من هذا المجلد كما فعلنا في العام الماضي



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

اقتراح
لعقد مؤتمر المستشرقين في مصر

حضرة العالمين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

ان نجاح المؤتمر الطبي المصري ذلك العمل المجيد الذي قام بهِ اطباؤنا في الشهر الماضي وما لقيهُ اعضاؤهُ ومندوبوهُ من الرعاية والحفاوة من سمو الخديوي المعظم ورجال حكومتهِ السنية لما ينعش نفس كل مصري بل وكل شرقي يرغب في نجاح ديارهِ طالباً لها مزيد الارتقاء في معارج الفلاح والاكثار من امثال هذه الاعمال العلمية الجليلة العائدة بأعظم النتائج واجل الفوائد على الامة والموجبة اجزل الشكر واكبر الفخار لكل ساعٍ اليها وعامل على تعضيدها من كبار رجالنا ذوي الهمم العلية والافكار الصائبة

هذا ولما كان مؤتمر علماء المستشرقين الذي يعقد في البلاد الاوربواية من حين الى حين باحثاً في لغات الشرق ومعارفهِ مستقصياً لاحوال اهلهِ وشؤُونهم الادبية قديمها وحديثها من المؤتمرات المهمة في بابها والاجتماعات المفيدة لطلابها عموماً ولاهل الشرق منهم خصوصاً فلا

جرم اذا كان عقدهُ بين اهلهِ وفي بلد كمصر حافلاً بالكثير من علمائهِ وفضلائهِ من الامور الواجبة التي يلزم الالتفات اليها والاهتمام بها

لهذا كتبت هذه السطور — وانا واثق من تعضيد المقتطف الاغر وجمهور فضلاء قرّائهِ لي — مقترحاً على اجلاء علمائنا الشرقيين وجهابذة عصرنا اللغويين السعي في هذا المسعى الجليل والعمل العظيم العائد بالفوائد الجلّى على امم هذا الشرق

على ان دخول مثل هذه الديار في مصاف البلاد التي يعقد فيها هذا المؤتمر لمَّا يصادف ارتياح جمهور علماء المستشرقين انفسهم اذ يرون فيهِ اثمن الفرص لزيادة البحث والدرس والاستفادة في ربوع الشرق

ولا ريب ان ما صادفهُ المؤتمر الطبي من التعضيد والتنشيط من قبَل الجناب الخديوي ورجال حكومتهِ لاعظم برهان واكبر دليل على ما سيصادفهُ هذا المؤتمر من ارتياح الحكومة وعظيم ما تبذل من العناية بشأنهِ والاخذ بيد الساعين فيهِ حبًّا باعلاء شأن البلاد والله الموفق الى الرشاد مصر صالح حمدي حماد

استدراك غلط تاريخي

نبهني فاضل محقق الى ما وقع لي من السهو في الاستشهاد الذي اوردتهُ في صدر مقالة "التواريخ العربية" التي نشرت في الجزء الحادي عشر من المجلد السابع والعشرين بشأن الرسم الذي اظهرهُ يهود خيبر تخلُّصاً من الجزية ونقضهُ ابن الخطيب البغدادي استناداً على بعض شهود ذُكرت اسماؤُهم زورًا وذلك أن خيبر فُتحت سنة سبع ومعاوية بن ابي سفيان احد الشهود اسلم بعد ذلك وكذلك سعد بن ابي وقَّاص وهو مات يوم قُرَيظة قبل خيبر . قال ذاك المحقق ليس هذا سعد بن ابي وقاص وانما هو سعد آخر من الصحابة لان ابن ابي وقاص شهد وقعة القادسية على عهد الخليفة الثاني . فعمدت الى كتاب "اسد الغابة في معرفة الصحابة" لابن الاثير الجزري فتبين ان سعدًا الذي ذُكرت شهادتهُ هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس الذي حكم في قُرَيظة ومقاماتهُ في الاسلام مشهورة كبيرة فثبت بهذا غلط من رويت عنهم تلك القصةُ ومن جملتهم القرماني في مقدمة كتابهِ "اخبار الدول وآثار الأُول" اما سعد بن ابي وقاص ويقال لهُ سعد بن مالك فقد اسلم بعد ستة وقيل بعد اربعة وهو احد سادات الصحابة ومن الستة اصحاب الشورى استعملهُ عمر بن الخطاب اميرًا على الجيوش الذين سيرَّهم لقتال الفرس فهزمهم بالقادسية وبجلولا وهو الذي فتح المدائن مدائن كسرى بالعراق

وبنى الكوفة وولي العراق وتوفي سنة خمس وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين وقيل اربع وخمسين للهجرة

هذا هو الغلط الساري والله اعلم بمصدرهِ أمِنَ المؤرخ ام من الناسخ ام من الطابع والى ايّ عصر يُرَد منشأهُ وعلى كم من الناس انطلى من قبل . وقد بادرت الى تصحيحهِ لا لاهميتهِ في نظر القوم بل بياناً للحقيقة واثباتاً لما ورد من نقد التاريخ العربي وتساهل اكثر كتابهِ

وبعد فقد ذكرتُ ما وقع لي لاحد كبار رجال العلم فلم يعجب بهِ عجبي منهُ وقال ان غالب من ادَّعوا العلم تقليداً او تمويهاً منذ نحو اربعمائة سنة جروا على قاعدة التغرير في العلم والتجوُّز في صحة الحكم وقضوا افتئاتاً وجهلاً بان التاريخ علم كذب ملفق لا ينبغي لطالب علم ان يشغل فيهِ وقتهُ ولا ان يبحث في مسألة في مسائلهِ . وان العلم محصور بين دفات الكتب التي تواطأوا عليها ولا يقولون الاَّ بالاخذ منها ومعظمها محشو باضاليل شائنة لو لم تتأصل في النفوس لم نصبح اليوم ودرجتنا من العلوم النافعة درجة اهل اوربا في القرون الوسطى مهما ارتقينا لا نتعدي حدود المباحث في المذاهب والمشاعب ومهما اشتغلنا لا نهتم بغير علوم اللسان وما هي الاَّ سلَّم الى غيرها

دمشق الشام محمد كردعلي

الكلمات المعرَّبة

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

لما اطلعتُ على الكلمات العربية التي جمعها حضرة اقلاديوس افندي لبيب منشىء مجلة عين شمس وقال ان اصلها قبطي على ما ورد في الجزء الثاني عشر من المجلد السابع والعشرين من المقتطف اعظمت بحثهُ لانهُ فتح امامنا باباً ولجهُ علماؤُنا الاولون ثم اقفل مع اقفال باب الاجتهاد . ثم لما رأيت الرد عليهِ في الجزء الاول من هذه السنة بقلم حضرة محمد افندي فاضل خفت ان يكون داعياً لاقفال هذا الباب ثانية لانهُ لا شيء يخيف الباحثين مثل قولك لهم ان هذا الامر او ذاك على خلاف الشرع او هو مناقض للعقائد بوجه من الوجوه مثل قولهِ ان هذه الكلمة او تلك عربيَّة لا قبطيَّة لانها واردة في قولهِ تعالى وقولهُ هو القديم. هذا واني انقل لقراء المقتطف الكرام فصلاً اثبتهُ علاَّمة الاسلام خاتمة المحققين الامام جلال الدين السيوطي في كتاب الاتقان ذكر فيهِ الالفاظ المعربة الواردة في القرآن وهو بنصهِ

" وهذا سرد الالفاظ الواردة في القرآن من ذلك مرتبة على حروف المعجم (اباريق) حكي الثعالبي في فقهِ اللغة انها فارسية وقال الجواليقي الابريق فارسي معرب ومعناهُ طريق

الماء او صب الماء على هينة . (ابّ) قال بعضهم هو الحشيش بلغة اهل الغرب حكاهُ شيدلة. (ابلعي) اخرج ابن ابي حاتم عن وهب بن منبه في قولهِ تعالى ابلعي ماءك قال بالحبشية ازدرديهِ واخرج ابو الشيخ من طريق جعفر بن محمد عن ابيهِ قال اشربي بلغة الهند . (اخلَد) قال الواسطي في الارشاد اخلد الى الارض ركن بالعبرية . (الارائك) حكي ابن الجوزي في فنون الافنان انها السرر بالحبشية. (آزر) عد في المعرب على قول من قال انهُ ليس بعلم لابي ابراهيم ولا للصنم وقال ابن ابي حاتم ذكر عن معتمر بن سليمان قال سمعت ابي يقرأ واذ قال ابراهيم لابيهِ آزرُ يعني بالرفع قال بلغني انها اعوج وانها اشد كلمة قالها ابراهيم لابيهِ وقال بعضهم هي بلغتهم يا مخطئ. (اسباط) حكى ابو الليث في تفسيرهِ انها بلغتهم كالقبائل بلغة العرب. (استبرَق) أخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك انهُ الديباج الغليظ بلغة العجم . (اسفار) قال الواسطي في الارشاد هي الكتب بالسريانية واخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك قال هي الكتب بالنبطية. (إصْري) قال ابو القاسم في لغات القرآن معناهُ عهدي بالنبطية. (اكواب) حكى ابن الجوزي انها الاكواز بالنبطية واخرج ابن جرير عن الضحاك انها بالنبطية وانها جرار ليست لها عرى. (إل) قال ابن جني ذكروا انهُ اسم الله تعالى بالنبطية. (اليم) حكى ابن الجوزي انهُ الموجع بالزنجية وقال شيدلة بالعبرانية. (اناه) نضجهُ بلسان اهل المغرب ذكرهُ شيدلة وقال ابو القاسم بلغة البربر وقال في قولهِ تعالى حميم آن هو الذي انتهى حرهُ بهاء وفي قولهِ تعالى من عين آنية اي حارة بهاء. (اواه) اخرج ابو الشيخ ابن حبان من طريق عكرمة عن ابن عباس قال الاواه الموقن بلسان الحبشة واخرج ابن ابي حاتم مثلهُ عن مجاهد وعكرمة واخرج عن عمرو بن شرحبيل قال الرحيم بلسان الحبشة وقال الواسطي الاواه الدعاء بالعبرية. (اوّاب) اخرج ابن ابي حاتم عن عمرو بن شرحبيل قال الاواب المسبح بلسان الحبشة واخرج ابن جرير عنهُ في قولهِ تعالى اوّبي معهُ قال سبحي بلسان الحبشة . (الاولى) والآخرة قال شيدلة الجاهلية الاولى اي الآخرة في الملة الآخرة اي الاولى بالقبطية والقبط يسمون الآخرة الاولى والاولى الآخرة وحكاهُ الزركشي في البرهان. (بطائنها) قال شيدلة في قولهِ تعالى بطائنها من استبرق اي ظواهرها بالقبطية وحكاهُ الزركشي . (بعير) اخرج الفريابي عن مجاهد في قولهِ تعالى كيل بعير اي كيل حمار وعن مقاتل ان البعير كل ما يحمل عليهِ بالعبرانية . (بيع) قال الجواليقي في كتاب المغرب البيعة والكنيسة جعلهما بعض العلماء فارسيين معربين. (تنور) ذكر الجواليقي والثعالبي انهُ فارسي معرب. (تتبيرًا) اخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير في قولهِ تعالى وليتبروا ما علوا تتبيرا قال تبرة بالنبطية. (تحت) قال ابو القاسم في لغات القرآن في قولهِ تعالى فناداها

من تحتها اي بطنها بالنبطية ونقل الكرماني في العجائب مثلهُ عن مؤرخ. (الجبت) اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال الجبت اسم الشيطان بالحبشية واخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال الجبت بلسان الحبشة الشيطان واخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال الجبت الساحر بلسان الحبشة. (جهنم) قيل عجمية وقيل فارسية وقيل عبرانية اصلها كهنام. (حرم) اخرج ابن ابي حاتم عن عكرمة قال وحرم وجب بالحبشية .(حصب) اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس في قولهِ تعالى حصب جهنم قال حطب جهنم بالزنجية. (حطة) قيل معناهُ قولوا صوابًا بلغتهم. (حواريون) اخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك قال الحواريون الغسالون بالنبطية واصلهُ هواري. (حوب) تقدم في مسائل نافع ابن الازرق عن ابن عباس انهُ قال حوبًا اثمًا بلغة الحبشة. (دارست) معناهُ قارأت بلغة اليهود. (درى) معناهُ المضيء بالحبشيّة حكاهُ شيدلة وابو القاسم. (دينار) ذكر الجواليقي وغيرهُ انهُ فارسي. (راعنا) اخرج ابو نعيم في دلائل النبوّة عن ابن عباس قال راعنا سب بلسان اليهود. (ربانيون) قال الجواليقي قال ابو عبيدة العرب لا تعرف الربانيين وانما عرفها الفقهاء واهل العلم قال واحسب الكلمة ليست بعربيّة وانما هي عبرانيّة او سريانيّة وجزم القاسم بانها سريانية (ربيون) ذكر ابو حاتم احمد بن حمدان اللغوي في كتاب الزينة انها سريانية. (الرحمن) ذهب المبرد وثعلب الى انهُ عبراني واصلهُ بالخاء المعجمة. (الرس) في العجائب للكرماني انهُ عجمي ومعناهُ البئر. (الرقيم) قيل انهُ اللوح بالرومية حكاهُ شيدلة وقال ابو القاسم هو الكتاب بها وقال الواسطي هو الدواة بها. (رمزا) عدهُ ابن الجوزي في فنون الافنان من المعرب وقال الواسطي هو تحريك الشفتين بالعبرية. (رهوا) قال ابو القاسم في قولهِ تعالى واترك البحر رهوًا اي سهلاً دمثًا بلغة النبط وقال الواسطي اي ساكنًا بالسريانية. (الروم) قال الجواليقي هو اعجمي اسم لهذا الجيل من الناس. (زنجبيل) ذكر الجواليقي والثعالبي انهُ فارسي. (السجل) اخرج ابن مردويه من طريق ابي الجوزاء عن ابن عباس قال السجل بلغة الحبشة الرجل وفي المحتسب لابن جنى السجل الكتاب قال قوم هو فارسي معرب. (سجيل) اخرج الفريابي عن مجاهد قال سجيل بالفارسية اولها حجارة وآخرها طين. (سجين) ذكر ابو حاتم في كتاب الزينة انهُ غير عربي. (سرادق) قال الجواليقي فارسي معرب واصلهُ سرادر وهو الدهليز وقال غيرهُ الصواب انهُ بالفارسية سرابرده اي ستر الدار. (سري) اخرج بن ابي حاتم عن مجاهد في قولهِ تعالى سريا قال نهرا بالسريانية وعن سعيد بن جبير بالنبطية وحكي شيدلة انهُ باليونانية . سفرة) اخرج بن ابي حاتم من طريق بن جريج عن ابن عباس في قولهِ تعالى بايدي سفرة قال بالنبطيّة القراء. (سقر) ذكر الجواليقي انها عجميّة (سجدًا) قال الواسطي في

قولهِ تعالى وادخلوا الباب سجدًا اي مقنعي الرؤوس بالسريانية. (سكرًا) اخرج بن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس قال السكر بلسان الحبشة الخل. (سلسبيل) حكى الجواليقي انهُ عجمي. (سنا) عدهُ الحافظ بن حجر في نظمهِ ولم اقف عليهِ لغيرهِ. (سندس) قال الجواليقي هو رقيق الديباج بالفارسية وقال الليث لم يختلف اهل اللغة والمفسرون في انهُ معرب وقال شيدلة هو بالهندية. (سيدها) قال الواسطي في قولهِ تعالى والفيا سيدها لدى الباب اي زوجها بلسان القبط قال ابو عمرو لا اعرفها في لغة العرب. (سينين) اخرج ابن ابي حاتم وابن جرير عن عكرمة قال سينين الحسن بلغة الحبشة. (سيناء) اخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك قال سيناء بالنبطية الحسن. (شطرا) اخرج ابن ابي حاتم عن رفيع في قولهِ تعالى شطر المسجد قال تلقاءهُ بلسان الحبش. (شهر) قال الجواليقي ذكر بعض اهل اللغة انهُ بالسريانية. (الصراط) حكى النقاش وابن الجوزي انهُ الطريق بلغة الروم ثم رأيتهُ في كتاب الزينة لابي حاتم. (صرهن) اخرج ابن جرير عن ابن عباس في قولهِ تعالى فصرهن قال هي نبطية فشققهن واخرج مثلهُ عن الضحاك واخرج ابن المنذر عن وهب بن منبه قال ما من اللغة شيءٌ الّا منها في القرآن شيءٌ قيل وما فيهِ من الرومية قال فصرهنّ يقول قطعهنّ. (صلوات) قال الجواليقي هي بالعبرانية كنائس اليهود واصلها صلوتا واخرج ابن ابي حاتم نحوهُ عن الضحاك. (طه) اخرج الحاكم في المستدرك من طريق عكرمة عن ابن عباس في قولهِ تعالى طه قال هو كقولك يا محمد بلسان الحبش واخرج ابن ابي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال طه بالنبطية واخرج عن سعيد بن جبير قال طه يا رجل بالنبطية واخرج عن عكرمة قال طه يا رجل بلسان الحبشة. (الطاغوت) هو الكاهن بالحبشية. (طفقا) قال بعضهم معناهُ قصدا بالرومية حكاهُ شيدلة. (طوبى) اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال طوبى اسم الجنة بالحبشية واخرج ابو الشيخ عن سعيد بن جبير قال بالهندية. (طور) اخرج الفريابي عن مجاهد قال الطور الجبل بالسريانية واخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك انهُ بالنبطية. (طوى) في العجائب للكرماني قيل هو معرب معناهُ ليلاً وقيل هو رجل بالعبرانية. (عبدت) قال ابو القاسم في قولهِ تعالى عبدت بني اسرائيل معناهُ قتلت بلغة النبط. (عدن) اخرج ابن جرير عن ابن عباس انهُ سأل كعبًا عن قولهِ تعالى جنات عدن قال جنات الكروم واعناب بالسريانية ومن تفسير جويبر انهُ بالرومية. (العرم) اخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد قال العرم بالحبشية هي المسنات التي تجمع فيها الماء ثم ينبثق. (غساق) قال الجواليقي والواسطي هو البارد المنتن بلسان الترك واخرج ابن جرير عن عبدالله بن بريدة قال الغساق المنتن وهو بالطخارية. (غيض) قال ابو القاسم

غيض نقص بلغة الحبشة. (فردوس) اخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد قال الفردوس بستان بالرومية واخرج عن السدى قال الكرم بالنبطية واصله فرداسا. (فوم) قال الواسطى هو الحنطة بالعبرية. (قراطيس) قال الجواليقي يقال ان القرطاس اصلهُ غير عربي. (قسط) اخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد قال القسط العدل بالرومية. (قسطاس) اخرج الفريابي عن مجاهد قال القسطاس العدل بالرومية واخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال القسطاس بلغة الروم الميزان (قسورة) اخرج ابن جرير عن ابن عباس قال الاسد يقال لهُ بالحبشية قسورة. (قطنا) قال ابو القاسم معناهُ كتابنا بالنبطية. (قفل) حكى الجواليقي عن بعضهم انهُ فارسيٌ معرب. (قمل) قال الواسطى هو الدبا بلسان العبرية والسريانية قال ابو عمرو لا اعرفهُ في لغة احد من العرب انهُ فارسي معرب. (قنطار) ذكر الثعالبي في فقه اللغة انهُ بالرومية اثنا عشر الف اوقية وقال الخليل زعموا انهُ بالسريانية ملء جلد ثور ذهباً او فضة (وقال) بعضهم انهُ بلغة بربر الف مثقال وقال ابن قتيبة قيل انهُ ثمانية آلاف مثقال بلسان اهل افريقية. (القيوم) قال الواسطي هو الذي لا ينام بالسريانية. (كافور) ذكر الجواليقي وغيرهُ انهُ فارسي معرب. (كفر) قال ابن الجوزي كفر عنا معناهُ امحُ عنا بالنبطية واخرج ابن ابي حاتم عن ابي عمران الجوني في قولهِ تعالى كفر عنهم سيآتهم قال بالعبرانية محا عنهم. (كفلين) اخرج ابن ابي حاتم عن ابي موسى الاشعري قال كفلين ضعفين بالحبشية (كنز) ذكر الجواليقي انهُ فارسي معرب. (كورت) اخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال كورت غورت وهي بالفارسية. (لينة) في الارشاد للواسطي هي النخلة قال الكلبي لا اعلمها الا بلسان يهود يثرب. (متكأ) اخرج ابن ابي حاتم عن سلمة بن تمام الشقري قال متكا بلسان الحبش يسمون الترنج متكا. (مجوس) ذكر الجواليقي انهُ اعجمي. (مرجان) حكى الجواليقي عن بعض اهل اللغة انهُ اعجمي. (مسك) ذكر الثعالبي انهُ فارسي. (مشكاة) اخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد قال المشكاة الكوة بلغة الحبشة. (مقاليد) اخرج الفريابي عن مجاهد قال مقاليد مفاتيح بالفارسية وقال ابن دريد والجواليقي الاقليد والمقليد المفتاح فارسي معرب. (مرقوم) قال الواسطي في قولهِ تعالى كتاب مرقوم اي مكتوب بلسان العبرية. (مزجاة) قال الواسطي مزجاة قليلة بلسان العجم وقيل بلسان القبط. (ملكوت) اخرج ابن ابي حاتم عن عكرمة في قولهِ تعالى ملكوت قال هو الملك ولكنهُ بكلام النبطية ملكوتا واخرجهُ ابو الشيخ عن ابن عباس وقال الواسطي في الارشاد هو الملك بلسان النبط. (مناص) قال ابو القاسم معناهُ فرار بالنبطية. (منسأة) اخرج ابن جرير عن السدي قال المنسأة العصا بلسان الحبشة. (منفطر) اخرج ابن جرير عن ابن عباس في قولهِ تعالى السماء

منفطر بهِ قال بمتائة بهِ بلسان الحبشة . (مهل) قيل هو عكر الزيت بلسان اهل المغرب حكاهُ شيدلة وقال ابو القاسم بلغة البربر . (ناشئة) اخرج الحاكم في مستدركهِ عن ابن مسعود قال ناشئة الليل قيام الليل بالحبشية واخرج البيهقي عن ابن عباس مثلهُ (ن) حكى الكرماني في العجائب عن الضحاك انهُ فارسي اصلهُ أنون ومعناهُ اصنع ما شئت . (هدنا) قيل معناهُ تبنا بالعبرانية حكاهُ شيدلة وغيرهُ . (هود) قال الجواليقي الهود اليهود اعجمي . (هون) اخرج ابن ابي حاتم عن ميمون بن مهران في قولهِ تعالى يمشون على الارض هونا قال حكماء بالسريانية واخرج عن الضحاك مثلهُ واخرج عن ابي عمران الجوني انهُ بالعبرانية . (هيت لك) اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال هيت لك هلم لك بالقبطية وقال الحسن هي بالسريانية كذلك اخرجه ابن جرير وقال عكرمة هي بالحورانية كذلك اخرجه ابو الشيخ وقال ابو زيد الانصاري هي بالعبرانية واصلهُ هيتلج . (وراء) قيل معناه امام بالنبطية حكاه شيدلة وابو القاسم وذكر الجواليقي انها غير عربية . (وردة) ذكر الجواليقي انها غير عربية . (وزر) قال ابو القاسم هو الحبل والملجأ بالنبطية. (ياقوت) ذكر الجواليقي والثعالبي وآخرون انهُ فارسي. (يحور) اخرج ابن ابي حاتم عن داود بن هند في قولهِ تعالى انهُ ظن ان لن يحور قال بلغة الحبشة يرجع واخرج مثلهُ عن عكرمة وتقدّم في اسئلة نافع بن الازرق عن ابن عباس . (يس) اخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قولهِ تعالى يس قال يا انسان بالحبشية واخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال يس يا رجل بلفظة الحبشة . (يصدون) قال ابن الجوزي معناهُ يضجون بالحبشية . (يصهر) قيل معناهُ ينضج بلسان اهل المغرب حكاهُ شيدلة . (اليم) قال ابن قتيبة اليم البحر بالسريانية وقال ابن الجوزي بالعبرانية وقال شيدلة بالقبطية . (اليهود) قال الجواليقي اعجمي معرب منسوبون الى يهوذ بن يعقوب فعرب باهمال الدال

فهذا ما وقفت عليهِ من الالفاظ المعربة في القرآن بعد الفحص الشديد سنين ولم تجتمع قبل في كتاب قبل هذا . وقد نظم القاضي تاج الدين ابن السبكي منها سبعة وعشرين لفظاً في ابيات وذيل عليها الحافظ ابو الفضل ابن حجر بابيات فيها اربعة وعشرون لفظاً وذيلت عليهما بالباقي وهو بضع وستون فتمت اكثر من مائة لفظة فقال ابن السبكي

السلسبيلُ وطَهَ كُوِّرَتْ بِيَعٌ   رومٌ وطُوبَى وسجِّيلٌ وكافورُ
والزنجبيلُ ومشكاةٌ سُرادقُ مع   استبرقٍ صلوات سندُسٌ طورُ
كذا قراطيسُ ربَّانيهم وغسَّا   قٍ ثم دينار القسطاس مشهورُ
كذاك قسورة واليمُّ ناشئة   ويؤْتِ كِفْلَيْنِ مذكور ومسطورُ

لهُ مقاليد فردوس يعدُّ كذا فيما حكى ابن دُرَيْدٍ منهُ تنُّورُ

وقال ابن حجر

وزدت حرم ومُهل والسجلُّ كذا السريُّ والابُّ ثم الجبتُ مذكورُ
وقِطنا وإناه ثم متكئاً دارست يصهر منهُ فهو مصهورُ
وهيتَ والسكرُ الاوَّاهُ مع حصَب وأوّبي معهُ والطاغوتُ مسطورُ
صرهنَّ إصري وغيضَ الماءِ مع وزرٍ ثم الرقيمُ مناص والسنا النورُ

وقلت ايضاً

وزدت يس والرحمن مع ملكو ت ثم سينينَ شطر البيت مشهورُ
ثم الصراط ودريٌّ يحور ومر جان أليمٌ مع القنطار مذكورُ
وراعنا طفقا اهدنا ابلعي ووراء والارائك والاكواب مأثورُ
هود وقسط وكفر زمرة سقر هون يصدُّون والمنساة مسطورُ
شهر مجوس واقفال يهود حوا ريون كنز وسجين وتتبيرُ
بعير ازرُ حوبٌ وردة عرم إلٌ ومن تحتها عبّدتَ والصورُ
ولينة فومها رهو واخلد مز جاة وسيدها القيُّوم موفورُ
وقُمَّل ثم اسفار عنى كتباً وسجّدًا ثم ربّيون تكثيرُ
وحطة وطوًى والرسُّ نون كذا عدن ومنفطرُ الاسباط مذكورُ
مسك اباريق ياقوت رووا فهنا ما فات من عدد الالفاظ محصورُ
وبعضهم عد الاولى مع بطائنها والآخره لمعاني الضد مقصورُ

هذا واذا زاد العلماء بحثاً في اليونانية والسريانية والقبطيَّة والحبشيَّة واللاتينية فلا يبعد ان يجدوا كلمات اخرى كثيرة اصلها غير عربي ولا يحط ذلك من شأن العربيَّة ولا من شأن ما أُنزل بها

باحث مصري

لئلاَّ ننسى

نظم حضرة الكاتب المجيد نجيب افندي شاهين الرثاء الآتي اثر وفاة شقيقهِ ووالدتهِ فنشرناهُ هنا لاننا رأيناهُ قد خالف فيهِ المألوف عندنا وأخذ مأخذ الشعراء الاوربيين

ويحَ قلبي فكم يعاني البؤسا ويلاقي في حومة العمر نُكسا
اعظم الحادثات هولاً وبأسا أن يورَّى خير الاحبَّةِ رمسا
فأعد ذكرهم لئلاَّ ننسى

اوحشوني وآنسوا الماويات ظلمات كم فوقها ظلمات
ساكن النور يابهيَّ الذات نظرة يستنر دجى امواتي

كلَّ ليلٍ اراهمُ في المنام خلت لي بقربهم احلامي
وتمنيتُ أن يدومَ ظلامي فأرى طيفهم يمرُّ امامي

علميني النواح يا ورقاء ورثاء الشقيق يا خنساء
فتراني الأصباحُ والامساء في بكاء ان كان يجدي البكاء

ايهذا الفؤادُ كم انت تتعب والورى في نعيمهِ يتقلَّب
قد ركبتَ الهوى وياشرَّ مركب فكسبت الهوان بئس المكسب

اتقِ الله يا فؤاديَ وارحم مهجةً خانها العزاء وسلّم
واطلب الصبرَ موئلاً لك تسلم انما الصبرُ جنةٌ لو تعلم

هاتِ لي ايها الحديدُ فؤادا ففؤادي قد كادُ يفنى اتقادا
لو اصابت نيرانهُ الاطوادا لأصارتها شعلةً فرمادا

يالعيشٍ مضى وكان لقلبي كليالي الوصالِ عند الصبِّ
جمعتنا فيهِ أخايا الحبِّ حبِّ أمٍ يفوق وصف اللبِّ

اي حبٍ ترى كحبِّ الامِ متعالٍ عن كلِّ كيفٍ وكمِّ
طافحِ الحوضِ مثل بحرٍ خضمِّ دافق النورِ مثل بدرِ التمِّ

ذلك العيشُ ياحنيني الطويلا طول عمري لهُ وصبري الجميلا
يا خليليَّ لي اذكراهُ وقولا أيرجى عودُ العهودِ الأولى

يوم كنَّا في فرحةٍ وسلامِ نرشف الأنس رشفهم للمدامِ
فدهانا مشيِّبُ الأيامِ ومبيدُ القرونِ والاعوامِ

كم حبيبٍ يفدى بأكرم غالِ من مقام ممجّدٍ او مالِ
ضمن اللحد بعد عيش الدلالِ مثل اصدافٍ ضمنتها اللآلي

غير أن الاصداف تحوي جواهر ذاتَ قدرٍ غالٍ وحسنٍ باهر
وجسوم الورى غلاف ظاهر للذي الفيلسوفُ فيهِ حائر

يا زمانَ الاهلين والاحبابِ ليتما يجدي فيك طولُ عتابي
قد أطلت الجفا وعهد الغيابِ جُدْ لنا بعدهُ اذاً بأيابِ

ذكر احبابنا عزيز لدينا وهو فرض اسمى الفروض علينا
وحبيبٌ حتى المماتِ الينا ذكرُ من ناحوا واشتكوا اذ بكينا
فاذكروهم يا مربعٌ يا أهل يا ازاهيرُ يا ندى يا طلُّ
يا شذا الصبحِ يا ربى يا سهلُ اذكروهم لنا لئلاَّ نسلُو
نسيتني اليمينُ ان كنت أنسى ذكر قومٍ ابكاهمُ ان نأسى
طربوا العمر يوم طبنا نفسا أفننسى حبًّا لهم او أُنسا
لا ومحيي الرميمِ لسنا ننسى

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

غرفة المائدة وغرفة الجلوس

كتبت احدى السيدات تقول : اعتاد كثيرات من النساء ان يجعلنَ غرفة المائدة للجلوس ويضعنَ افخر اثاثهنَّ في غرفة اخرى يبقينها لاستقبال الزوار الذين يندر تردُّدهم على بيوتهنَّ واما الزوار الذين يتردَّدون كثيرًا كالاقارب والجيران ونحوهم ممَّن يُرفَع معهم التكليف فيستقبلنهم في غرفة المائدة . وهذه العادة غير حسنة . واذا كان في البيت غرفتان واحدة للمائدة وواحدة للاستقبال وجب ان تخصَّص اصغرهما للمائدة ولا يوضع فيها الاَّ ما يلزم لتناول الطعام. واكبرهما للجلوس والاستقبال ويوضع فيها كثير من المقاعد والكراسي التي يستريح الجالس عليها والكتب اللازمة للمطالعة والتسلية وطاولة للكتابة وبيانو وخزانة لوضع كتب الانغام . في هذه الغرفة يستقبل الاصدقاء والزوار على اختلاف طبقاتهم فيجدون فيها راحةً وبهجةً

واذا كان البيت كبيرًا وصاحبهُ قادرًا على الانفاق فليجعل فيهِ غرفةً للمائدة وغرفة للاستقبال وغرفة للتدخين وغرفة تجلس فيها ربَّةُ البيت وتستقبل زائراتها وغرفة منامة لكل واحد من العائلة وغرفة كبيرة يلعب فيها الاولادُ عدا دار الخدم والاَّ فاذا كان لا بدَّ من الاقتصاد في عدد الغرف فليبقَ اكثرها للمنامة واقلها للجلوس والاستقبال

ساعة العشاء

العشاء من المغرب الى العتمة حينما يقلّ النور فلا يعود الاولاد قادرين على الدرس ولا تكون الظلمة قد اشتدَّت حتى تدعو الى اشعال المصابيح . في هذه الساعة يقلق الاولاد ويتضجَّرون فيجب على امهم ان تفعل حينئذٍ ما يسليهم ويفيدهم فتجمعهم حولها وتقصُّ عليهم قصصاً ادبيَّة مفيدة او فكاهيَّة مسلية او تذكر لهم بعض ما رأتهُ فيهم من العيوب في اثناء النهار وترشدهم الى اصلاحها بكلمات المحبة واللين . او تعلمهم الشجاعة ونزع الاوهام فاذا كانوا يخافون من الظلمة او من الليل حتى لا يجسروا ان يدخلوا غرفهم اذا لم يكن فيها نور او ان يناموا وحدهم فيها ولو كان فيها نور فلتعلّمهم انهُ لا يوجد في الظلمة شيء يخشى منهُ لا غيلان ولا عفاريت ولا شيء من ذلك على الاطلاق ولترسّخ ذلك في عقولهم وتنفِ كل ما يقولهُ لهم الخدَم من هذا القبيل . ولا بدَّ لها من ان تكرر ذلك مرارًا حتى يرسخ في عقولهم جيدًا . وعليها ان لا تخبرهم بشيء الاَّ وهي تعتقد صحتهُ تمام الاعتقاد ولا تقص عليهم قصة فيها اقل ذكر للجن والعفاريت والغيلان لان كل ما يروى من هذا القبيل يبقى اثرهُ في ذهن الصغير الى ان يكبر ويضعف عزيمتهُ ويجعلهُ كثير الاوهام

واذا كان الاطفال صغارًا لا يرسلون الى المدرسة فيمكن تعليمهم اشياء كثيرة في ساعة العشاء هذه . يمكن تعليمهم تلاوة حروف الهجاء غيباً والعد والجمع والطرح وضرب بعض الاعداد . كل ذلك يمكن ان يتعلمهُ الطفل قبلما يتعلَّم القراءة

واذا كان الاطفال يذهبون الى المدرسة لاق بامهم ان تجمعهم في هذه الساعة وتسألهم عمَّا تعلموا في يومهم وعمَّا سمعوا وعمَّا يسرُّهم وعمَّا يتعبهم ولكن يجب عليها ان تمنعهم عن النميمة بكل انواعها وعن تعديد عيوب غيرهم وعن الكلام على الغير مهما كان اذا كانت تشمُّ منهُ رائحة التنديد او اللوم

تحضير الشاي

كتبت مس استابروك في مجلتها "عالم باريس" انها زارت بيت السفير الصيني ذات يوم ورأت زوجتهُ تصنع الشاي على الطريقة الصينية وضعت قليلاً منهُ في ابريق الشاي وسكبت عليهِ قدر فنجان من الماء الغالي وهزتهُ قليلاً ثم اراقت هذا الماء عنهُ والمراد بذلك ان يغسل الشاي ممَّا يضاف اليهِ من الاصباغ ومن المواد العفصية التي فيهِ. ثم يسكب ماء غالٍ على اوراق الشاي حسب المعتاد فيكون الشاي لذيذ الطعم خالياً من العفوصة والاصباغ التي تفسد طعمهُ

مدام فلامريون والحرب

المسيو كميل فلامريون من اشهر علماء الفلك في هذا العصر وزوجتهُ مدام فلامريون اختارت لنفسها طريقًا اخرى للشهرة انفع من طريق زوجها وهي انها حرَّكت نساء فرنسا واميركا لانشاء جمعيَّة عامَّة اعضاؤُها من النساء وغرضها منع الحروب من الدنيا . وهي تعتقد ان الرجال لا يستطيعون ان يبطلوا الحروب من تلقاء انفسهم ولكنَّ النساء يجبرنهم على ذلك وكأنها جرت على الاسلوب الذي اشار بهِ زوجها في احدى رواياتهِ المشهورة . ومن ادلتها على ان النساء يستطعنَ ذلك ان النساء يربّين الاولاد ويستطعنَ ان يغرسنَ فيهنَّ الاخلاق التي يردنها فاذا حاولنَ غرس الاخلاق التي تناد الحرب وتجنح الى السلم وثابرنَ على التنديد برجال الحرب واحتقارهم واقنعنَ ازواجهنَّ واخوتهنَّ بالابتعاد عنها فلا بدَّ من انهنَّ ينجحنَ في ذلك لا سيما وان مضار الحروب واقعة اكثرها عليهنَّ . وقد انشأت جمعيتها سنة ١٩٠٠ فانتشرت الآن في كل فرنسا واقتدت بها مس روسلوت في اميركا فانشأت فيها جمعيَّة لمنع الحرب وهي آخذة الآن في الانتشار . ومن رأي مدام فلامريون انهُ لا ينقضي هذا القرن حتى تبطل الحرب من الدنيا كما بطل منها الرقّ في القرن الماضي . قالت اذا فكَّر المرء في ان فرنسا انفقت في القرن الماضي وحدهُ سبع مئة الف مليون فرنك على قتل الناس وان اكثر ديون الممالك ناتج عن الحرب والاستعداد لها سهل عليهِ ان يقدر النجاح لجمعيات النساء الساعيات في إبطال الحروب . ولو قامت كل النساء ذوات العقول الثاقبة والاموال الوافرة وساعدننا في هذه العمل المبرور لبلغنا النتيجة المطلوبة في وقت قصير ونشرنا لواء السلام والسعادة والحرية في الدنيا ولا بدَّ من ان تنجح المرأة في نشر السلم وابطال التجنيد وتأييد التحكيم انتهى

ولكنَّ الناظر في الاسباب التي دعت الى حرب اميركا مع اسبانيا وحرب انكلترا مع الترنسفال لا يسعهُ الَّا الحكم بانهُ ما دام الصول والطول للدينار وما دام كبار الاغنياء متعبدين لهُ يستحلون كل شيء في سبيلهِ كما كان اهل السيادة يستحلون كل شيء لتعزيز سيادتهم وازدياد صولتهم فالحروب لا تبطل

مداواة الاطفال

يرى الطبيب الطفل ويصف لهُ دواء ولا يشير على والدتهِ كيف تسقيهِ اياهُ . وكثيرًا ما تجبرهُ على شربهِ بكل واسطة ممكنة لديها . قال احد الاطباء انهُ شاهد اطفالاً مصابين بالتهاب الرئة يكادون يختنقون من سد امهاتهم لانوفهم وقت سقيهم الدواء ورأى غيرهم جُرحت

شفاههم او لثتهم او كُسرت سن من اسنانهم وقت تجريعهم الدواء . والامُّ تُعذَر اذا فعلت ذلك لانها تعتقد ان دواء الطبيب حياة ابنها ولا بدَّ من سقيهِ اياهُ باية واسطة كانت واما الطبيب فلا يعذر اذا لم يصف لها الدواء الذي يسهل اعطاؤُهُ للاطفال ولا سيما بعد ان صُنعت الادوية كلها اقراصًا او حبوبًا حلوة الطعم لا يكرهُ طفل ابتلاعها

ساعات النوم

ما دام الولد طفلاً يباح لهُ ان ينام قدر ما يشاء ولكنهُ اذا ترعرع وبلغ الثامنة او التاسعة وصار يرسل الى المدرسة فالغالب ان تضطرهُ امهُ الى القيام باكرًا لدرس دروسهِ ولا تدعهُ ينام اكثر من ثماني ساعات . وهذا خطأٌ فان الولد الذي عمرهُ عشر سنوات او احدى عشرة سنة يجب ان ينام عشر ساعات او احدى عشرة ساعة ويبقى محتاجًا الى تسع ساعات من النوم حتى يصير عمرهُ عشرين سنة وبعد ذلك يصير يكتفي بثماني ساعات . وقلة النوم من معايب العصر الحاضر لانها تضعف الناس جسدًا وعقلاً وتقلل مقدار ما يستطيعونهُ من العمل العضلي والشغل العقلي

الماء وقت الاكل

ظهر من المباحث الحديثة ان شرب القليل من الماء وقت الاكل لا يضرُّ بل يفيد بشرط ان لا يكون شديد البرودة واما الماء الكثير فيخفف عصارة المعدة ويضعف فعلها عن الهضم والماء الكثير الشديد البرودة يخفض حرارة المعدة عن حدها الطبيعي ويضعف فعلها . اما فائدة الماء القليل فتأتي من انهُ يذيب الجزء المهضوم من الطعام فيتعرَّض ما تحتهُ لفعل العصارة المعدية فيهضم وهذا يذيبهُ الماء فيتعرَّض ما تحتهُ لفعل العصارة المعديَّة وهلمَّ جرًّا . والشرب في بداءة الاكل يغسل جدران المعدة مما يلصق بها من المواد المخاطيَّة او البلغميَّة فيسهل افراز العصارة المعديَّة منها ويبتدئ الهضم حالما يصل الطعام الى المعدة

كتابة المكاتيب

حالما يتعلَّم الاولاد القراءة ومبادئ الكتابة يجب ان يرغبوا في كتابة المكاتيب (الجوابات) الى والديهم واصدقائهم ويحسن ان يطلع والدوهم او معلموهم عليها او يعطوا الجوائز الحسنة لكل من يكتب مكتوبًا حسن الخط والانشاء فان كتابة المكاتيب والتوسُّع فيها من خير الوسائل للتعليم والتهذيب واعتياد الافصاح عن المراد .

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى

قال ناشر هذا الكتاب الاب لويس شيخو اليسوعي انهُ وجد نسخة منهُ في مكتبة باريس فريدة في جنسها لم يعرف لما شبيه في مكتبة غيرها وقد جمع فيها المؤلف كل ما امكنهُ من الحوادث الحرية بالذكر عن بيروت وقدمها وآثارها وفتوحاتها ثم انتقل الى صفة الاحوال الطارئة عليها منذ القرن السادس للهجرة الى التاسع (او الخامس عشر للميلاد) . واهتمَّ بتنقيحها ونشرها وعلّق عليها حواشي مسهبة ولا سيما في صدر الكتاب وقد لخص في حاشية منها تاريخ بيروت في العصور الغابرة فرأينا ان ننقلها برمتها افادة لقراء المقتطف وهي

"كانت بيروت في اوَّل امرها كبقيَّة مدن فينيقية خاضعة لملوك اشور ونينوى الاوَّلين . والدليل على ذلك انَّ اهلها وحكامها كانوا يتكلَّمون باللغة الاشورية ويكاتبون بها ملوك مصر بعد ان فقد البابليُّون ولايتها . وبقي اللسان الاشوري شائعاً في ظهراني الامة الفينيقيَّة وعنهُ تفرَّعت اللغة الكنعانيَّة ثم الفينيقيَّة . ولما قويت شوكة الفراعنة تولوا على سواحل فينيقية نحو القرن الثامن عشر او التاسع عشر قبل المسيح وكانت بيروت من جملة ما ملكت ايديهم وجعل ملوك مصر لكل بلدة « خزاني » اي ولاة كانوا يختارونهم بين الاهلين تحت مراقبة حكام مصريين يدعونهم « ربصي » . ولوالي بيروت في ذلك العهد عدَّة رسالات وُجدت بين كتابات تل امرنا يتضح منها جليًّا ان بيروت (وهم يدعونها بِيروتا او بيرُوتو) كانت على جانب من الحضارة والعمران في القرن الخامس عشر قبل المسيح فيعدُّونها بين المدن المنيعة الحريزة كصور وصيدا وجبيل ويذكرون كثرة سفنها العامرة بالملاحة

هذا ولمَّا اخذ حبلُ دولة الفراعنة بالانتكاث في القرن التاسع او الثامن قبل المسيح تقلَّبت الاحوال على بيروت فحلَّ بها ما حلَّ بأخواتها من المدن الفينيقيَّة . وتملكها تباعاً بعدهم ملوك بابل ثم ملوك فارس ومادي ثم الاسكندر وخلفاؤهُ من السلوقيين . واستقلَّت مرارًا عند استقلال غيرها من مدن فينيقيَّة تشهد بذلك الآثار والنقود التي وجدت بها . وفي سنة ١٤٠ ق م اخربها تريفون لثبات اهلها على طاعتهم للملك انتيوخس السادس . لكنها لم تلبث ان تعود الى

ما كانت عليهِ من رفعة المقام . ودخلها بومبيوس القائد الروماني فرمم آثارها واعاد لها رونقها . ولم تزل مذ ذاك ترتقي في معارج الفلاح الى ان جعلها اوغسطس قيصر مدينةً اوَّلية تخوّل اهلها حقوق الرومانيين وافاض عليهم نعماً عديدة خصهم بها دون سواهم وولى امرها القائد مرقس فسبسيانس اغريبا بعد ان زوَّجهُ ابنتهُ جوليا فدعا بيروت باسمها جُوليا فيليكس (اي السعيدة) . فاخذ اغريبا يباري قيصر في رفع شأن المدينة ساعدهُ على ذلك هيرودس الكبير. ولم يدَّخر كلاهما شيئاً من الوسع ليجعلاها من ابهى مدن الشرق . فشيَّدا فيها الابنية الجليلة الآئلة لمنفعة الجمهور كالهياكل والأروقة والمشاهد والحمَّامات ومخازن التجارة. فتقاطر الى بيروت كثير من الرومانيين والغرباء فاستوطنوها وزادت بهم حسناً وعمراناً. وسكنها طابوران من الجنود الرومانيين المتقاعدين. وبها حكم هيرودس الكبير بالموت على ابنيهِ اسكندر وارسطابولس فقتلهما ظلماً كما قتل امهما مريمنة وهي من سلالة المكابيين (يوسيفوس الكتاب الاول الفصل ١٦ و١٧)

وبقيت بيروت على ذلك مدَّة الى ان تولَّى امرها بعد المسيح هيرودس اغريبا الاول ثم هيرودس اغريبا الثاني فبلغاها من الحسن ما لم يسعهُ قول. فشيَّدا فيها الملاعب والمراسح وزيناها بالتماثيل الى غير ذلك . وفي بيروت بويع بالملك لفسبسيانوس بعد وفاة نيرون فاستقبل بها الولاة والملوك الذين اتوا ليهنئوهُ . وفيها احتفل ابنهُ تيتوس قيصر بانتصارهِ على اليهود يوم مولد ابيهِ بما لا مزيد لهُ من الفخر والابهة

اما العلوم فكانت بيروت قد سبقت غيرها من المدن الفينيقية في الانكباب عليها فراجت فيها اسواق الآداب . وفيها كتب كما زعم اوسابيوس القيصري سنكنيتن الكاهن القديم تاريخاً ابقى لنا منهُ فيلون الجبيلي فقرات مهمة . وفي ايام اوغسطس قيصر اخذ البيروتيون يدرسون الفقه . وتوسع نطاق هذا الفن بينهم حتى صارت مدرستها الفقهية في ايام الملك اسكندر سيفيروس غرة في جبهة المشرق يتسابق اليها الدارسون من كلّ أوب . فدُعيت بيروت لذلك «محطّ العدل وصوان المشترعين». وقد اشتهر في بيروت عدَّة من العلماء الاقدمين منهم اولبيان الفقيه صاحب كتب الشرائع الذي ازهر في القرن الثالث . ومنهم فاليربوس بروبوس اللغوي البارع عاش في القرن الرابع . ومنهم ننُّوس المؤرخ الذي كتب في القرن الخامس للمسيح

ولم تبرح بيروت رائعةً في منازل السعد الى ان هوى نجمها وطُمست محاسنها وذلك في القرن السادس للمسيح فهدمتها زلزلة هائلة خرَّبت قسماً كبيراً من مدن الشرق . وبقيت على هذه الحالة الى اوائل القرن السابع فاستولى عليها المسلمون دون عائق "

والحق بهِ فصولاً وجيزة من تاريخ ابن سباط وخلاصة تاريخ بيروت من القرن السادس عشر الى الآن وهي جزيلة الفائدة الاّ ان استعمال اللغة الاشورية في المكاتبات السياسية والتجارية لا يكفي دليلاً على ان اهالي بيروت كانوا يتكلمون اللغة الاشورية ولا على ان اللسان الاشوري كان شائعاً في ظهراني الامة الفينيقية كما جاء في اول هذه الحاشية

الاسلام في عصر العلم

تأليف محمد فريد وجدي

لا شبهة عندنا ان للدين يدًا في تكوين اخلاق الامة وتكييف حالتها من العمران وهو ليس الفاعل الوحيد في ذلك ولكنهُ من اقوى الفواعل فاذا اختلف حال امة واحدة في عصرين مختلفين فارتقت بعد الانحطاط او انحطت بعد الارتقاء فمن المحتمل او المرجح انهُ يكون قد طرأ على عقائدها الدينية شيء اصلحها او افسدها. الاَّ ان كثيرين يظنون ان العقائد الدينية فوق الفواعل العمرانية الطبيعية مصدرها الهي لا يؤثر فيها مؤثر طبيعي ويحسبون انهُ يمكن اصلاح حال الامم بارجاعهم الى عقائد دينهم فقط. ويظهر لنا ان الذين جرَّبوا ذلك لم ينجحوا كما نجح الذين اخذوا باسباب الاصلاح كلها والاصلاح الديني في جملتها فسعى بعضهم في اصلاح التعليم ووضعهِ على اسس علمية مبنية على ما عُرف من نمو القوى العقلية وسعى غيرهم في اصلاح الزراعة وتعزيزها بكل ما عرف من طبائع الارض والمزروعات وسعى آخرون في اصلاح الصناعة والتجارة وسائر مقوّمات العمران المادي وسعى غيرهم في تهذيب الاخلاق وتربيتها على الفضائل ونزع الصور القديمة من العقائد الدينية وابقاء ما يطابق العقل السليم منها

ومن الكتَّاب النابغين في هذا القطر الساعين في اصلاح حال الامة بارجاعها الى عقائدها الدينية وتقويتها في نفوسها بنشر الكتب والمقالات حضرة الباحث المحقق محمد افندي فريد وجدي وقد وضع الآن تأليفًا جديدًا سماهُ الاسلام في عصر العلم قال ان غايتهُ فيهِ اقامة اقوى الادلة العلمية لتقرير " ان الدين عند الله الاسلام " واسلوبهُ في البحث مثل اسلوب علماء الدين المسيحي الذين كتبوا من اول القرن الماضي الى الربع الاخير منهُ كما ترى في الفقرات التالية

" قال الاولون بان للوجود الهًا لا نهاية لحولهِ وقوتهِ وللانسان روحًا خالدة بعد موتهِ ولهُ فضائل مستمدة من دينهِ وعقيدتهِ ولاعمالهِ في هذه الدار صورًا تنتظرهُ في آخرتهِ وان الوجود وما فيهِ مسخر لسيطرتهِ يجول في ضمائرهِ بما تقتضيهِ امور مصلحتهِ وتستدعيهِ مطالب

سعادتهِ . جعلوا هذه العقائد تسلية للانسان في دار محنتهِ وروحاً ينسمها في كربتهِ واملاً يدفع بهِ البأس في شدتهِ

" اما الآخرون فانغضوا رؤُوسهم سخرية وهزؤاً . وهزُّوا اعطافهم زهوًا وعجبًا ثم رفعوا عقيرتهم كبرًا وصلفًا وقالوا هذه آثار الماضين وبقيَّة من بقايا الاقدمين فقد حكم العلم (معاذ الله) بان نواميس الكون كافية في تعليل كل ظواهرهِ وقوانينهُ قد فسَّرت اكثر غوامضهِ فلا داعي لفرض قوى وراء الطبيعة ولا مُوجب لتوهُّم عالم علوي وراء هذه المرائي المحسوسة .....

"كل هذه الشبه المتعاصية قد نشأَت في وسط هذا العلم الاوربي ونبع سمُّها من بين ذرات دسم هذه المدنية العجيبة فالتاثت اكثر العقول باقذارها وتسمَّمت بسمومها "

هذا ومتى رأَيت القاضي يسمع احتجاج خصمين فيصف احدهما بالزهو والعجب والكبر والصلف وكلامهُ بالشبه المتعاصية والسم بين ذرات الدسم عسر عليك ان تنتظر منهُ الانصاف في حكمهِ . ولله درُّ من قال ان الشك اول مراتب اليقين فاذا اقدم كاتب على موضوعهِ اقدام مرتاب في صحَّة كل ما قيل وبحث بنفسهِ عن صحتهِ او فسادهِ ما تعذَّر عليهِ ان يهتدي الى الصواب ويرشد غيرهُ الى الهدى اما اذا دخل باب البحث وذهنهُ منعم بمسلمات ومعتقدات يتعذَّر عليهِ الريب فيها فقلما يرجى من بحثهِ نفع لنفسهِ او لغيرهِ

وقد وعد حضرة المؤلف بان يجعل هذا الكتاب اربعة آلاف صفحة تصدر اجزاء شهريَّة وجعل قيمة الاشتراك في السنة ثلاثين غرشاً ثمن كل ٧٦٨ صفحة وهي ثمن زهيد جداً فعسى ان يقبل القراء عليهِ

الحال بين العامة

تأليف عبد العزيز فتحي الجورجستاني

رسالة تهذيبيَّة فيها فصول كثيرة في مكارم الاخلاق كالصدق والامانة والاقتصاد والصلاح والمعاونة وحسن المعاملة وطاعة اولي الامر اثبت فيها وجوب اتباع الفضائل واجتناب الرذائل بالآيات الكتابيَّة والاحاديث النبويَّة واقوال الائمة. ولا شبهة في فائدة ذلك ولكن الفائدة من العلم بالشيء لا توازي الفائدة من العمل بهِ والتمرُّن عليهِ فاذا وعظ الوعاظ مئة عام في ان الكذب يلقي في النار لا يفيدون امَّةً بقلع الكذب من نفوسها قدر ما يفيدها تعويد الصغار على الصدق وتربيتهم على احتقار الكذب والكذاب بقصص بسيطة وامثلة حسيَّة

الاسلام والنصرانيّة

مع العلم والمدنيّة لامام من ائمة الاسلام وحكيم من حكمائهم الاعلام

وهو مقالات نشرت في مجلة المنار الاسلامي ثم جمعت على حدة في كتاب. قال حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في تمهيد وضعهُ لها ما نصهُ

"ينبوع تفجَّر في ارض وفاض ماؤُهُ على غيرها فاحيا الارض بعد موتها ولكن القائمين على حراستهِ وتعاهدهِ وضعوا فوقهُ انقاضاً من خرائب جيرانهم فغيض الماء وما بقي منهُ صار مستنقعات تجتوى . ولم يلبث بعد ما غاض ان فاض منهُ شيء في مواضع اخرى فانتفع اهلها بهِ وحافظوا عليهِ ولكن الاكثرين منهم لا يعرفون من اين جاءهم كما ان اكثر اهل الينبوع المنتسبين اليهِ بالاسم لا يعرفون ان ذلك الماء الذي تفجَّر في تلك المواضع فانشأ اهلها بهِ حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم وانهم لو ازالوا عنهُ تلك الانقاض لفاض ورجع اليهم بهِ خصبهم ونماؤُهم كاحسن ما كان لانهم تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للاحياء . ذلك مثل المسلمين اليوم مع الامم الغربيَّة الحيَّة الراقية اخذ الغربيون من الاسلام كل اصول الاصلاح الذي هم فيهِ"

وحبذا لو بيَّن لنا حضرة الاستاذ الفاضل من اين اتى الماء الذي احيا مدنية اليونان والرومان فانشأوا بهِ الحدائق والجنات والماء الذي احيا مدنية المصريين الاقدمين فبقيت آثارهم الصناعية الى الآن لم يقوَ ملوك العرب على محوها مع ما بذلوهُ في ذلك من العناء وآثارهم الادبية مرسومة في صفائح الصخور تعلّم اسمى الفضائل وافضل الآداب

ولا شبهة عندنا ان للدين يداً في عمران الامم كما قلنا في تقريظ كتاب آخر وقد اصاب حضرة الاستاذ المؤلف في ما اقامهُ من البينات على ان الاسلام لا يناقض المدنية الاوربية الصحيحة بوجه من الوجوه بل يرغّب فيها ويحث على اتباعها و يوجب الاخذ بكثير من مقوّماتها ولاسيما العلم قال "المسلمون مسوقون بنابل من دينهم الى طلب ما يكسبهم الرفعة والسودد والعزَّة والمجد ولا يرضيهم من ذلك بما دون الغاية ولا يتوفَّر شيء من وسائل ذلك الَّا بالعلم فهم محفوزون اشد الحفز الى طلب العلم وتلمسهِ في كل مكان وتلقيهِ من اية شفة واي لسان فاذا لاقاهم العالم في اي سبيل او عثروا بهِ في اي جيل او ظهر لهم من اي قبيل حشوا لهُ و بشوا وشدوا بهِ اواصرهم وعقدوا عليهِ خناصرهم ولا يبالون ما تكون عقيدتهُ اذا نفعتهم حكمتهُ والحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو احق بها . ألم يأتهم من ربهم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتَ الحكمةَ فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكَّر الَّا اولو الالباب الم يسمعوا في وصفهم قولهُ الذين يستمعون القول فيتَّبعون احسنهُ ذلك شأن المسلم مع العلم اذا كان مسلماً حقًّا ...

الى ان قال "خالط المسلمون اهل فارس وسوريا وسواد العراق وادخلوهم في اعمالهم ولم يمنعهم الدين من استعمالهم حتى كانت دفاترهم بالرومية في سورية ولم تغيَّر بالعربية الّا بعد عشرات من السنين فاحتكت الافكار بالافكار وافضت سماحة الدين ان اخذ المسلمون في دراسة العلوم والفنون والصنائع"

ثم وصف المؤلف اشتغال المسلمين وملوكهم بالعلم وانشاءهم المدارس والمكاتب وبيَّن سبب جمودهم الحالي وقال انهُ السياسة ... "اخطأ خليفة في السياسة فاتخذ من سعة الاسلام سبيلاً الى ما كان يظنهُ خيرًا لهُ . ظنَّ ان الجيش العربي قد يكون عونًا لخليفة علوي فاراد ان يتخذ لهُ جيشًا اجنبيًّا من الترك والديلم وغيرهم من الامم التي ظنَّ انهُ يستعبدها بسلطانهِ ... هناك استعجم الاسلام وانقلب اعجميًّا .. — خليفة عباسي اراد ان يصنع لنفسهِ ولخلفهِ وبئس ما صنع بامتهِ ودينهِ اكثر من ذلك الجند الاجنبي واقام عليهِ الرؤساء منهم فلم تكن الّا عشية او ضحاها حتى تغلَّب رؤساء الجند على الخلفاء واستبدُّوا بالسلطان دونهم وصارت الدولة في قبضتهم ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضهُ الاسلام والقلب الذي هذَّبهُ الدين بل جاءوا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون الوية الظلم لبسوا الاسلام على ابدانهم ولم ينفذ منهُ شيءٌ الى وجدانهم ثم عدا على الاسلام آخرون كالتتار وغيرهم ومنهم من تولَّى امرهُ . اي عدوّ لهؤلاء اشد من العلم الذي يعرّف الناس منزلتهم ويكشف لهم قبيح سيرهم"

وعلى هذا النسق من الايضاح والاستدلال بيَّن الاستاذ المؤلف اسباب ما اصاب المسلمين من الجمود ثم بيَّن نتائجهُ وقال اخيرًا ان الجمود علة تزول بتآخي العلم والدين

جغرافية مصر والسودان الحديثة

Modern Geography of Egypt and Sudan

انشأ هذا الكتاب حضرة الاديبين ابو زيد افندي فايد ومحمود افندي عطا الله وضعاهُ باللغة الانكليزية التي اصبحت الآن لغة تعلُّم العلوم في المدارس الاميرية وقالا في مقدمتهِ ان اسم مصر باليونانية اجبتوس من الاصل جب بالسنسكريت ومعناهُ حَرَس وتسمَّى بالهيروغليف كمي اي التراب الاسود من لون تربتها وسماها العبرانيون مصرايم اي المحصَّنة والاشوريون مصر وانتقل هذا الاسم الى العربية ويطلق الآن على البلاد كلها وعلى عاصمتها القاهرة . وجمعا فيهِ كل ما تهمُّ معرفتهُ طالب علم الجغرافية من احوال القطر المصري وفيهِ ايضًا كلام وجيز عن السودان وهو مطبوع طبعًا متقنًا جدًّا في بلاد الانكليز وحبذا لو اضافا اليهِ بعض الخرائط والرسوم اتمامًا للفائدة

مطبوعات جديدة

❖ رواية عمر بن عدي ❖ تاريخية غرامية للمرحوم الشيخ نجيب الحداد. طبعت بالمطبعة التجارية في الاسكندرية

❖ المجلة المدرسية ❖ علمية ادبية مصورة تصدر في اول كل شهر لحضرة مديرها ومحررها سيد افندي محمد قيمة الاشتراك فيها خمسة عشر غرشاً مصرياً

❖ مرض التوشة ❖ تأليف سعادة الدكتور حسن باشا محمود عرضها للمؤتمر الطبي المصري

❖ حديث ليلة ❖ رواية ادبية فكاهية غرامية تأليف اسكندر ديماس الكبير معربة بقلم المرحوم الشيخ نجيب الحداد

❖ رواية اسرار القصور ❖ تبحث عن ماهية الروح ومحلها من الجسد وعن التنويم المغنطيسي وعن الزار والمندل من قلم محمد افندي حسين محرر جريدة البوسطة

❖ متاعب الهوى ❖ الرواية الثانية عشرة من مسامرات الشعب تأليف حضرة صالح افندي جودت

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) صعوبة النطق

القدس . عيد افندي سالم . اصاب الناسور عظم فخذي بقرب الركبة منذ ١٥ سنة وشفيت بعد عمليات جراحية كثيرة ولكنني لا ازال اتضرر في ذلك الموضع من الهواء الرطب ولا يزال جسمي ضعيفاً ولست اتذكر اني تكلمت خمس دقائق او اكثر الاَّ بلغت النشوفة من حلقي ما يكاد يقيد لساني عن النطق ولاسيما في موقف الخطابة حيث يشتد التهيج ويكون الكلام متتابعاً بلا مهلة فهل لكم في هذه النشوفة وعلاجها رأي تتكرمون به علينا :

ج يظهر لنا ان ما تشعرون به من النشوفة سببهُ عصبي لا علاقة لهُ بما كنتم

مصابين بهِ من الناسور ويمكن ان تتغلبوا عليهِ بتكرير الخطابة في احوال مختلفة وعقد نيتكم على مقاومة هذه العلّة والتغلُّب على الوهم فاذا جريتم على ذلك مدةً فلا يبعد ان يقوى المركز العصبي المتسلط على النطق اذا كان ضعيفاً او يعتدل في فعلهِ اذا كان ما يصيبكم ناتجاً عن ازدياد في قوتهِ حتى لا يستطيع ان يتصرَّف بها كلها بالاعتدال. فان الناس يصابون بمثل ذلك اذا ضعفت اعصابهم او اذا زاد تهيجها فلم تعد قادرة على التصرُّف بهِ

(٢) كتب الحساب والجبر

ومنهُ. ما هي احسن كتب الحساب التي عرفتموها في الانكليزية وفي العربية غير الروضة للدكتور فان ديك وكشف الحجاب للبستاني

ج لم نقابل قط بين كتب الحساب التي رأيناها حتى نرى التفضيل بينها ولكننا نظن ان كتاب ظاهر افندي خير الله وكتاب شديد افندي يافت من الكتب الوافية في علم الحساب ولم نرَ في العربية حتى الآن كتاباً في الجبر اوسع من كتاب الروضة واما في اللغة الانكليزية فكتب الحساب والجبر عديدة وقد استعملنا منها كتب لومس وكتب روبنصن فوجدناها حسنة جدًّا. ولما زار امبراطور برازيل بلاد الشام كنا ندرّس الرياضيات في كتب روبنصن فقال لنا انهُ وجدها من احسن الكتب الموضوعة في بابها

(٣) الرياضيات في المقتطف

ومنهُ. كان للرياضيات في مقتطفكم باب مخصوص فلماذا اقفلتموهُ

ج رأينا ان درس الرياضيات العالية قد أُهمل في القطر المصري واكثر مشتركينا فيهِ فلم نرَ من الصواب ان ننشر فصولاً لا يقرأُها الاَّ آحاد يعدون على الاصابع. وقد انشئت فيهِ مجلاَّت مدرسية كثيرة وللمسائل الحسابية والرياضية البسيطة حظٌّ كبير منها فرأينا ان نترك لها هذا الباب

(٤) حياة الجنين

ومنهُ. قيل ان الجنين قد يبقى في بطن امهِ الى ما فوق اربع سنوات وقد يولد كامل الخلقة ويعيش خمسة اشهر من ابتداء الحبل بهِ فهل اثبت العلم العصري ذلك

ج كلاَّ وغاية ما اثبتهُ ان الجنين قد يبقى في بطن امهِ ٣٠٠ يوم وقد يعيش اذا ولد بعد ستة اشهر ونصف شهر من ابتداء الحبل بهِ وتبدو فيهِ علامات الحياة اذا ولد بعد اربعة اشهر ونصف شهر من ابتداء الحبل بهِ ولكنهُ لا يعيش حينئذٍ

---

(٥) شجر التوت

النبطيَّة. سعيد افندي صباح. عندنا بستان توت بعلي في ارض سوداء قوية يبست فيهِ شجرة وتبعتها اخرى ثم ثالثة ورابعة فقصدت التفتيش عن سبب ذلك وعمدت الى شجرة

ذبلت اوراقها وكادت تلحق باخواتها وحفرت حول جذورها فوجدت قشرة الشجرة مما يلي جذورها قد ذهبت عن مساواة سطح الارض ولم يبقَ منها الَّا شيء قليل على بعض الجذور فما هذا الداء وما دواؤهُ

ج يظهر انهُ تولَّد في الارض نوع من الميكروب او الفطر اكل القشرة او ابلاها ولا يعرف ما هو الَّا برؤيتهِ بالميكرسكوب او بالبحث عنهُ بالاستنبات. اما العلاج فاذا كان ماء المطر يبقى في الارض مدة طويلة ولو كانت بعليَّة فلا بدَّ من تجفيفها بنزع الماء منها واذا كان السماد كثيرًا فيها وجب ان يقلَّل منها لانهُ قد تتولَّد منهُ مواد تتلف قشور الاشجار اذا كان كثيرًا . واذا كان قليلاً او لم يكن موجودًا وجب ان تسمد بالزبل او نحوهِ حتى تقوى وتتغلَّب على هذا الميكروب او الفطر ولا بدَّ من حرثها جيدًا حتى يمر الهواء بين دقائق التراب و يصل الى الجذور

(٦) حفظ العنب

ومنهُ . ما احسن طريقة لحفظ العنب الى ايام الربيع

ج اذا قطفت العناقيد ومعها كثير من الزراجين وعُلقت بزراجينها في مكان بارد جافّ وكانت كل حبو بها سليمة وقت قطفها واعتُني بها حتى لا يتلف شيء منها وقت نقلها وتعليقها بقيت زمانًا طويلاً ولا يبعد ان تبقى الى الربيع . واهالي لبنان يضعون عناقيد العنب في الدبس الى الربيع ثم يخرجونها منهُ ويغسلونها فيجدونها سليمة لذيذة الطعم على ما قالهُ لنا بعضهم

---

(٧) تعيين السفراء

بيتنوارى بالبرازيل . الخواجه نقولا ابي عبسي . متى ابتدأ تعيين السفراء في عواصم اوربا وما هو الغرض منهم

ج ارسال السفراء من بلاد الى اخرى لغرض خاص قديم جدًّا كان متبعًا في عهد الاشوريين والمصريين واليونان والرومان ولكن ارسال السفراء المقيمين كما هو جارٍ الآن حديث ابتدأ في القرن الخامس عشر . وكل سفير يسعى في مصلحة بلادهِ ويخبر حكومتها عن كل ما يحدث في البلاد التي هو سفير فيها. وهو واهل بيتهِ والمتصلون بها محترمون لا تجري عليهم احكام البلاد التي هم فيها الَّا برضاهُ . وقد جرى الملوك من عهد قديم على حسبان سفرائهم نوَّابًا عنهم والاقتصاص ممَّن يعتدي عليهم كأنهُ اعتدى على الملوك الذين ارسلوهم من ذلك ان الاسكندر المكدوني خرَّب مدينة صور لان اهاليها اهانوا سفيرهُ

(٨) امتحان اللبن والماء

ومنهُ . بماذا نمتحن اللبن (الحليب) حتى نعرف هل هو خالٍ من المواد الضارة . وكذلك بماذا يمتحن الماء العذب المستخرج من عمق عشرين مترًا

ج يمتحن اللبن بالميكروسكوب والطرق الكيماوية هذا في المسائل الجنائية اذا اشتبه في كونهِ حاوياً مادَّة سامَّة واما اللبن الذي يستعمل عادةً للاكل فلا يحتمل ان يكون ممزوجاً بغير الماء ولا بدَّ من اغلائهِ سواء كان ممزوجاً بالماء او غير ممزوج بهِ وسواء كان الماء نقياً او مشوباً بميكروبات مرضية . والاغلاء يميت ما يمكن ان يكون فيهِ من الميكروبات المرضية . اما الماء الخارج من عمق عشرين متراً فلا يكون فيهِ شيءٌ من المواد الضارَّة الاَّ اذا رميت فيهِ قصداً او اذا كان الدلو الذي يستقى بهِ ملوَّثاً بها . ولامتحان الماء اساليب كيماوية ومكروسكوبية يطول شرحها

(٩) بولبوس الانف

ومنهُ . شاب في الثامنة عشرة من عمرهِ يشكو تعباً في انفهِ وذلك انهُ يتولَّد فيهِ احياناً درنة من المخاط فيتضايق منها جداً وبعد تعب كثير تخرج منهُ ويشكو ضيقاً في صدرهِ وتعباً في التنفُّس اذا عمل عملاً يدوياً فما هو داؤُهُ وما دواؤُهُ

ج نظن من وصفكم ان في اعلى انفهِ ناميًا من نوع البولبوس فليعرض نفسهُ على طبيب فان وجدهُ فيهِ واستخرجهُ فلا يبعد ان يزول منهُ ضيق النفس الذي تشيرون اليهِ

---

(١٠) اغماض العينين وقت النوم

مصر . ح . ح . لماذا لا ينام الانسان ما لم تكن عيناهُ مغمضتين

ج ان فتح الاجفان فعل عضلي يقتضي جهداً ما فاذا نام الانسان ضُعف الفعل العضلي فيهِ فارتخى كثير من عضلاتهِ التي كانت منقبضة ولذلك تنطبق اجفانهُ واذا انفتحت فالغالب انهُ يقع في عينيهِ ما يوقظهُ فلا يعود يستطيع النوم ما لم يطبقها فيصير اطباق الاجفان عادة ملازمة للنوم ولا يعود يستطيعهُ ما لم يطبقها كما يعتاد البعض النوم والقناديل مطفأة فيصير يتعذَّر عليهم النوم وهي مشتعلة

(١١) البرد وقت النوم

ومنهُ . يشعر الانسان عادة في ايام الشتاء عند توسُّدهِ الفراش قبل النوم ببرودة شديدة فما سبب ذلك

ج لا نرى لهُ سبباً غير ملامسة جسمهِ للفراش والدثار الباردين فاذا سخنا قبل ذلك لم يشعر بالبرد

(١٢) خارطة المريخ

ومنهُ . رأيت في خارطة المريخ التي صدَّرتم بها العدد الحادي عشر من مقتطف السنة الماضية اسماء انكليزية يظهر منها انها اسماء بحور وجبال فعلى ماذا اعتمد صانع هذه الخارطة في تخطيطها ولاي سبب سمَّى هذه البحور والجبال بالاسماء المشار اليها

ج . اعتمد على ما يرى بالتلسكوب والاسماء توضع للدلالة على المسمَّيات وتخصيصها فعوضاً عن ان نقول الارض التي في الجانب الشرقي

الاوسط في قسم المريخ الشرقي نقول قارَّة سكي وعوضاً عن ان نقول الارض الواقعة في منتصف المنطقة المعتدلة الشمالية من القسم الشرقي المحدودة بكذا وكذا نقول ارض كبلر اما الاسماء المختارة فاسماء بعض علماء الفلك المشهورين مثل سكي وكبلر ولا بلاس ودلمبر ولكير وكاسيني إمَّا تنويهاً باسمائهم او لانهم اول من راقب ما سمي باسمهم

(١٣) اتصال الارض بالشمس

ومنهُ . يرى من المقالة التي نشرتموها عن المريخ في العدد المشار اليهِ ان الارض كانت متصلة بالشمس ثم انفصلت عنها فهل تصدقون هذا القول واذا كان كذلك فكيف توفقون بينهُ وبين المنصوص بالكتاب المقدَّس الذي يعلم صريحاً ان الارض وجدت قبل الشمس

ج قد فسَّر المفسرون ذلك بان الارض كانت مغطاة بضباب كثيف يحجب الشمس عن الابصار فلما ارتفع عنها بانت الشمس والقمر . وسواءٌ صحَّ هذا التفسير او لم يصحَّ فاذا قامت ادلة قاطعة على صحة شيء وجب تأويل ما يناقضهُ وعند علماء الفلك ادلة كثيرة على ان الشمس اقدم من الارض جداً وان الارض وكل السيَّارات مشتقة من الشمس في عصور متناهية في القدم

(١٤) تلغراف مركوني

مصر . الخواجه ميخائيل بساراتي . نرجو ان تفيدونا عن كيفية اتصال اشارات مركوني التلغرافية وهل اذا كان الطقس مخالفاً لسير الاشارات يتأخر وصولها واذا كان في البحر نوءٌ عظيم وكانت البواخر قاصدة ان تخاطب بعضها بعضاً فهل يؤثر النوء في الاشارات الكهربائية

ج ان اشارات مركوني تنتقل من مكان الى آخر كما ينتقل النور . فان امواج النور التي تاتينا من الشمس على بعد ٩٣ مليون ميل يأتينا معها امواج كهربائية عن هذا البعد الشاسع . وامواج النور لا تخرق الاجسام المظلمة كالخشب والحجر والغيم الكثيف ولكنها تخرق الاجسام الشفافة كالزجاج والهواء واما امواج الكهربائية فتخرق بعض الاجسام المظلمة التي لا تخرقها اشعة النور . لكن ليس كل الامواج الكهربائية قادراً على قطع الابعاد الشاسعة كذلك وخرق الاجسام الكثيفة بل بعضها فقط ومنهُ الامواج التي يستعملها مركوني وهذه الامواج لا تؤثر فيها الرياح ولا العواصف . فتنتقل من مكان الى آخر في الصحو والمطر والرهو والنوء على حدٍ سوى

(١٥) جفاف الارض

ومنهُ . قلتم ان مياه البحار والانهار آخذة في التناقص وستجفُّ الارض يوماً ما كما جفَّ القمر . فيا ترى ما يحدث للناس الذين يكونون في ذلك الوقت

ج ان الزمن الذي يجف فيهِ ماء الارض بعيد جداً وسينقرض نوع الانسان

عن وجه البسيطة قبل الوصول اليهِ

(١٦) سرعة تلغراف مركوني

ومنهُ . هل تصل الاشارات بتلغراف مركوني بسرعة ولو كانت المسافة ستة آلاف ميل

ج نعم تصل بسرعة البرق

(١٧) سكان لندن

مصر . عبد الحميد افندي فهيم . كم عدد سكان لندن حسب الاحصاء الاخير

ج كان عدد سكان لندن وحدها ٤٥٤٣٧٥٧ وعدد سكان الضواحي المتصلة بها ٢٠٦٠٥٣٠ والجملة ٦٦٠٤٢٨٧ هذا كان عدد سكان لندن الكبرى في اواسط سنة ١٩٠١ وهو آخر احصاء وقفنا عليهِ

(١٨) اصل كلمتين

ومنهُ . هل كلمة Cable وكلمة Collège من كلمتين حبل وكلية العربيتين

ج كلا بل هما لاتينيتا الاصل الاولى من معنى امسك والثانية من معنى جمع

(١٩) مرض النوم

ومنهُ . تقول المجلات الفرنسية انهُ يوجد الآن في افريقية الغربية مرض يسمَّى مرض النوم وهو كثير في مدينة سان لوي في بلاد السنغال فما اسباب هذا المرض وما هي اعراضهُ

ج اشرنا الى هذا المرض منذ نحو خمس سنوات في جزء يوليو سنة ١٨٩٨ وقلنا هناك "ان الاطباء الفرنسويين في بلاد الجزائر اكتشفوا مرضاً انتشر حديثاً في تلك الانحاء وفتك بالزنوج فتكاً ذريعاً وهو خمول يتولَّى الانسان فينام ويبقى نائماً الى ان يموت فسموهُ مرض النوم . ويقال انهم استخرجوا مصلاً من دم شاب مات بهِ وحقنوا بهِ الارانب فتولاَّها السبات وماتت كأن المرض من الامرض الميكروبية " ثم انتشر هذا المرض في بلاد اوغندا كما ترون في التلغرافات اليومية وبعثت اليها انكلترا جماعة من الاطباء فبحثوا عنهُ وقرروا انهُ مرض فتاك انتشر في اوغندا منذ اربع سنوات وقد اودى بحياة سبعين الفاً من سكانها واكثرهم ماتوا في السنتين الاخيرتين ويظن انهُ جاءها من املاك البرتغال في غربي افريقية حيث يكثر انتشارهُ . والمصابون بهِ الآن من الوطنيين لا يقلون عن ١٠ الفاً وكل يوم يزداد انتشاراً ويخاف منهُ الاهلون فيهربون من مكان الى آخر ويغادرون بيوتهم وحقولهم قفاراً بلاقع . واول اعراضهِ تغير خفيف في حالة المصاب العقلية والوطنيون اقدر من الاطباء الاوروبيين على ملاحظة هذا التغير الطفيف . وهو يصيب الذكور والاناث على حدٍّ سوى في كل درجة من درجات العمر . وبعد ما يعتري المصاب تغير عقلي يأخذهُ شيء من البلادة وفتور العزم فيبدو الخمول على وجههِ والورم في شفتيهِ ثم يقل نشاطهُ الى العمل ويأخذ ميلهُ الى الطعام يقل شيئاً فشيئاً ثم تأخذهُ غيبوبة وتغشى اعضاءهُ قشعريرة ويعتريهِ سبات ينتهي بالموت



تلغراف مركوني

نشرنا في الجزء الماضي الرسائل التي ارسلت بتلغراف مركوني بين بلاد الانكليز وكندا في اميركا في الحادي والعشرين من شهر دسمبر الماضي . وقبل ان يمضي عليها شهر تراسل رئيس الولايات المتحدة وملك الانكليز من كاب كود باميركا الى كورنول ببلاد الانكليز والمسافة بينهما نحو ثلاثة آلاف ميل اي اطول من المسافة بين كاب برتون في كندا وبين بلاد الانكليز وهذه ترجمة الرسالة التي ارسلها رئيس الولايات المتحدة

جلالة الملك ادورد السابع بلندن

اني اغتنم فرصة الفوز العجيب الذي فازهُ البحث العلمي والمهارة العلمية في اتقان التلغراف الذي لاسلك لهُ واقدم لكم ولكل شعب الامبراطورية البريطانية التحيات القلبيَّة والدعوات الصالحات بالنيابة عن الشعب الاميركي الامضاء ثيودور روزفلت

فاجابهُ الملك في اليوم نفسهِ تلغرافيًّا

الى الرئيس في البيت الابيض بوشنطون

اني اشكركم بالاخلاص التام على رسالتكم الكريمة التي وصلتني الآن منكم بواسطة تلغراف السنيور مركوني القاطع الاتلنتيكي من غير سلك واردُّ لكم باخلاص باسم الامبراطورية البريطانية التحيات القلبيَّة ودلائل الصداقة التي اعربتم عنها باسم الامة الاميركية واتمنَّى لكم ولبلادكم كل نجاح الامضا ادورد

وكان الجواب بالتلغراف العادي لان تلغراف مركوني لم يكن متصلاً الى حيث كان الملك حينئذٍ

لعب الشطرنج بتلغراف مركوني

لعب الشطرنج بالتلغراف شائع عند الاوربيين والاميركيين فيلعبون بين اوربا واميركا باشارات برقيَّة ترسل من المكان الواحد الى الآخر. وحالما تحقق ارسال الرسائل البرقيَّة بتلغراف مركوني اخذوا يستعملونهُ للعب الشطرنج وبالامس كانت سفينة اميركيَّة وسفينة انكليزية تمخران الاوقيانوس والبعد بينهما خمسون ميلاً فلعب من فيهما بالشطرنج على هذا البعد ودام "الدق" ثلاث ساعات الى ان تمَّ الفوز للسفينة الاميركيَّة

تلغراف مركوني في السودان

ان بين اقصى ما وصل اليهِ التلغراف المصري في السودان جنوبًا وبين اقصى ما وصل اليهِ التلغراف الممدود من رأس الرجاء الصالح بلادًا شاسعة يعسر مد التلغراف فيها . ويراد الآن

نصب تلغراف مركوني هناك ليعمل بين التلغرافين

اطول المدافع مدًى

صنع الانكليز مدفعاً كبيرًا قطر فوهتهِ ١٦ عقدة وثقل قنبلتهِ ٢٤٠٠ ليبرة والمدى الذي تصل اليهِ عشرون ميلاً

البول الدموي وفقر الدم

ذكرنا غير مرة ان مرض البول الدموي ومرض فقر الدم المنتشرين في القطر المصري مسببان عن نوعين من الميكروبات او الديدان الصغيرة موجودين في ماء النيل وكان المظنون انهما يدخلان الجسم بشرب ماء النيل ولكن اتضح الآن انهما يدخلانهِ ايضاً عن طريق الجلد فان الدكتور لوس كان يمتحن ديدان فقر الدم فوقعت نقطة من الماء الذي هي فيهِ على يدهِ فلم تمضِ دقائق كثيرة حتى اخذتهُ حكَّة في يدهِ فبحث عن الديدان التي كانت فيها فلم يجدها لانها كانت قد غارت في جلدهِ ثم وجد بيوضها في امعائهِ. وقد جرَّب تجارب كثيرة اثبتت لهُ ان هذه الديدان تدخل الجسم من الجلد ولذلك فالذين يغتسلون بماء النيل وترعهِ يكونون في خطر دائم من ان يصابوا بفقر الدم وبالبول الدموي

مصل التيفويد

ان المصل الذي اكتشفهُ الدكتور شنتمس لمعالجة التيفويد ووصفهُ في المؤتمر الطبي المصري حاصل من استنبات ميكروب التيفويد في الطحال ونقي العظام . وقد عولج بهِ ١٧٩ فمات منهم سبعة فقط اي ان متوسط الوفيات صار اقل من اربعة في المئة مع انهُ في المعالجة العادية يزيد على ١٩ في المئة

الدكتور شاركو والقطب الشمالي

عزم الدكتور جان شاركو الفرنسوي على السفر الى القطب الشمالي في اواسط شهر مايو المقبل للبحث العلمي في سفينة من الفولاذ بُنيت لهذه الغاية وسيأخذ معهُ جمهوراً من العلماء وزاداً يكفيهم ثمانية عشر شهرًا

كوخ ووباء المواشي

أُرسل الدكتور كوخ واثنان من مساعديهِ الى روديسيا للبحث عن وباء المواشي الذي انتشر فيها الآن ويخشى ان لا يبقي على شيء منها . وقد قابلهُ مكاتب الدايلي مايل فقال لهُ ان هذا البحث لا يمنعهُ من الاستمرار على جمع الادلَّة التي تؤيد مذهبهُ وهو ان سل البقر لا ينتقل الى البشر

الريحان والبعوض

كتب بعضهم في جريدة ناتشر الانكليزية رسالة مسهبة بيَّن فيها ان الريحان (الحبق) اذا وضع في غرفة منع البعوض من دخولها وكتب غيرهُ ان في بلاد الصين نوعاً من الشجر اذا زرع حول البيوت منع البعوض من دخولها

ارخص الاضواء

استنبط المستر كتسون الانكليزي اسلوبًا جديدًا لقناديل زيت البترول الكبيرة الساطعة النور اذا كانت نفقات القنديل الكهربائي خمسين غرشًا ونفقات قنديل الغاز العادي ١٥ غرشًا فنفقات هذا القنديل ثلاثة غروش فقط

دولاب الهواء والكهربائية

ترى في ايدي الاولاد دولابًا من الورق كالمروحة الكهربائية يسيرون بهِ في الشوارع فيديرهُ الهواء سواء كان متحركًا او ساكنًا . وقد صنع بعضهم الآن دولابًا كبيرًا مثل هذا من معدن يوضع في اعلى قاطرة القطار البخاري فيديرهُ الهواء وقتما يكون القطار سائرًا وتحوَّل حركة دورانهِ الى كهربائية تخزن في مخازن الكهربائية وتستعمل ليلاً لانارة القطار بالنور الكهربائي . فينار القطار من غير نفقة . وقد جُرب هذا الدولاب في قطار سرعتهُ ٤٥ ميلاً في الساعة فتولدت منهُ كل ساعة كهربائية كافية لانارة خمس مركبات سبع ساعات متوالية

زرقة السماء

اختلف العلماء في سبب زرقة السماء والرأي الشائع انهُ من انكسار النور عن دقائق صغيرة منتشرة في الهواء الا ان المسيو سبرنج السويسري بيَّن الآن بالامتحان ان الكهربائية اذا مرَّت في الهواء النقي صار لونهُ ازرق فالكهربائية سبب زرقة السماء

اللاك الصناعي

اللاك صمغ معروف يصنع منهُ الورنيش وهو غالي الثمن لانهُ يرد من اقصى المشرق . وقد صنع الالمانيون الآن مادةً مثلهُ تماما وتقوم مقامهُ في كل ما يستعمل لهُ وثمنها نصف ثمنهِ

هامورابي ملك البرّ

جاء في النشرة الاسبوعية الصادرة في ٢٩ يناير تحت هذا العنوان ما نصهُ "لم يبقَ ادنى ريب في ان هامورابي امرافل ملك شنعار المذكور في سفر التكوين وانهُ كان ساميًا دخل على الترجيح ارض شنعار الخصبة (او سومر وهي بلاد الكلدان المعروفة بكلدية الواطئة) من بلاد العرب . وكان قد غلب الكلدانيين واستولى على بلادهم . وكان قد مرَّ على العيلاميين قرونٌ وهم مستولون على بابل . فحارب العيلاميين وطردهم من الارض الكلدانية وملك كل العالم المتمدن في عصرهِ ما عدا مصر . فكان ملكهُ من بلاد الفرس الى البحر المتوسط . واما الحروب المتوالية التي مكَّنتهُ من ذلك الملك فلا نعلم تفصيلها لكن ما في الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين يدل على انهُ كان في قديم الازمنة وكان يملك حينئذٍ في عصر فيهِ ملك عيلام السائد

وكان لنا قبل اكتشاف شرائع هامورابي العجيبة ما هو كافٍ من اخباره لمعرفتنا انهُ الظافر والباني هياكل الآلهة وانهُ كان من السياسيين المجتهدين في نفع رعاياه . قال ناقل هذا النبإ " وقد شاهدت مئات من الاميال المربعة من ارض وادي الفرات العجيبة الخصب فلاةً وعراء يابساً وعلَّة ذلك انسداد القنوات التي كانت تسقيها . وكان هامورابي بنى سدًّا حيال نهر دجلة دفعاً لاضرار طوفانهِ وانشأ قنوات يجري فيها الماءُ الى أمدٍ بعيد فيسقي الارضين ويحييها " . قال ذلك الملك في ما تركهُ من مكتوباتهِ " لما اعطاني الاله انو والاله بعل الملك على ارض سومر واكاد (وهي الجنوب والشمال من بلاد بابل) ووضع مقودها في يدي حفرت قناة هومارابي فحملت كثيرًا من المياه الى اراضي سومر واكاد فجعلت الارض على جانبي النهر صالحة للفلاحة والزراعة وجمعت غلة الحنطة واعددت المياه في سومر واكاد للاعقاب وجعلت الارض التي قسمها السكان واحدة واعددت طعاماً وشراباً وسقيتهم بنعم وافرة واسكنتهم في الامن والسلام "

فكان هامورابي سياسيًّا مدرّبًا كما كان بطل حرب ووقف نفسهُ لنفع رعاياهُ . وتبين من الكتابة على العمود الذي اكتشفهُ دي مرغان حديثاً انهُ كان ممن يؤلهون الشمس وادعى انها هي التي اعطتهُ الشريعة . فعلى ذلك العمود ما مترجمهُ " بامر الشمس حاكم السموات والارض الاعظم ليكن العدل في الارض وباسم ربي ميروداخ انهى عن هدم ما اقمتهُ تذكارًا في هيكل ايساغيل الذي احبهُ فليُردَّد اسمي (على الالسنة) ابدًا . وليقف كل مظلوم لهُ دعوى شرعية امام صورتي هذه باعتبار اني " ملك البرّ " . وليقرإ المكتوب وليفهم كلماتي الثمينة . وهذا المكتوب يبين لهُ دعواهُ فيرى ما هو الحقّ ويبتهج قلبهُ ابتهاجاً يحملهُ على ان يقول هامورابي ملكٌ كأبٍ لرعاياهُ تمسَّك بكلام ميروداخ بالهيبة والاكرام وانتصر بمساعدة ميروداخ على الشمال والجنوب وابهج قلب ميروداخ ربهِ فوهب منافع دائمة لشعبهِ ووطَّد شريعتهُ في الارض . ومتى قرأ النبأ فليصلِّ بكل قلبهِ امام ميروداخ سيدي وزربانيت سيدتي . وحينئذٍ الارباب الواقية والآلهة الذين كثيرًا ما يترددون في حضرة ايساغيل لا بدَّ من ان يهبوا لهُ بوفور النعمة المشتهيات اليومية امام ميروداخ مولاي وزربانيت مولاتي "

ولقب " ملك البرّ " من احب الالقاب وقد ذكرهُ مؤلف الرسالة الى العبرانيين في شرحهِ حال الكاهن الملكي فقال " ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العليّ الذي استقبل ابرهيم راجعاً من كسرة الملوك وباركهُ الذي قسم لهُ ابرهيم عشرًا من كل شيء

المترجم اولاً ملك البرّ ثم ايضاً ملك ساليم اي ملك السلام ". ولنا من ان معنى ملكي صادق ملك البرّ وان معنى ساليم السلام أن هامورابي كان وهو ملك سومر اي شنعار اخذ معهُ حليفهُ كدر لعومر ملك عيلام الى فلسطين وتقدم ثم رجع بضعة اميال عن اورشليم حيث كان ملكي صادق اي ملك البرّ ملك مدينة السلام . ولا يمكن ان لقب " ملك البرّ " كان علماً ملكيًّا او لقباً عامًّا يلقَّب بهِ كل ملك متسلط على تاك الارض كما كان فرعون لقباً لكل ملك من ملوك مصر . ولم يكن علماً شخصيًّا بل لقب يعطى من يستحقهُ من الملوك وقد ادعاهُ هامورابي لاعتقادهِ انهُ استحقهُ لبرّهِ برعيتهِ كما يظهر من قولهِ على ذلك الاثر "هامورابي ملك البرّ . الذي منحتهُ الشمس حقًّا (او شريعةً) انا هو . كلماتي تُراعى . اعمالي لا نظير لها لأُوطئ الأعلينَ وأُضع المتكبرين وانفي العتاة فاذا راعى خَلَفٌ متسلط كلماتي التي كتبتها في رسمي هذا ولم يبطل شريعتي ولا يفسد كلماتي ولا يغيّر ما اقمتهُ تذكارًا قوَّت الشمس ملك ذلك الملك كما قوَّت ملكي . فملك البرّ هو الذي يملك بالبرّ رعاياهُ "

ومما كتبهُ هذا الملك " ملك البرّ " و " السلام " يتبين ان بعضهُ كأَنهُ كُتب بقلم موسى او سليمان ومن ذلك قولهُ " في مستقبل الزمان في كل الأعقاب الآتية ليراعِ الملك الذي يكون في الارض كلمات البر التي انا كتبتها على حجري التذكاري هذا شريعة مملكتي التي قد وضعتها والسنن التي سننتها لا يغيرها . ولا يشوه ما اقمتهُ تذكارًا . وان كان المتسلط حكيماً وقادرًا ان يسوس الارض بمقتضى الشرع فليراعِ كلماتي التي كتبتها في مرسومي القانون والفرائض والشرائع التي اعطيتها والاحكام التي وضعتها . فهذه كلها تظهرها لهُ هذه الكتابة . فليحكم على رعاياهُ بمقتضاها ويخاطبهم بالعدل وليستقم بالاحكام . ولينفِ الاشرار والمجرمين من ارضهِ وليعد المنافع لرعاياهُ " .

وما كتبهُ هامورابي للملوك الذين يخلفونهُ ككتاب وشؤون ارداعي الى خلفائهِ . ولا ريب عندنا ان سيرتهُ واعمالهُ النافعة في الزمن الطويل كانت مما اكرمهُ واحترمهُ خلفاؤهُ . ثم كان بعد ذلك خمسة قرون سلام وراحة ونجاح ثم جاء الغزاة من جبال عيلام وعاثوا في بابل وسورية .

ونعلم من قانون هامورابي انهُ اشتمل على شرائع انتشرت في كل الشرق نحو ٢٣٠٠ سنة قبل الميلاد . وقد اتفقت شريعة موسى وشريعة هامورابي في امور كثيرة . وهي تدل على قدم التمدن والعدل والشرائع النافعة . انتهى

سبب قصر البصر

كتب بعضهم الى السينتفك اميركان

يقول ان السبب الاكبر لقصر البصر هو وضع الكتب وادوات الكتابة على سطح افقي امام التلامذة فلو وضعت على سطح مائل حتى تنتصب امام العينين ما كان البصر يتعب ويقصر. فاذا صحَّ قولهُ كان اسلوب الكتَّاب بالعربيَّة الذين كانوا يمسكون الورق بايديهم امام وجوههم اصلح لحفظ البصر من اساليب الافرنج

طيران الحيوان

ان اكبر الطيور التي تطير الآن طائر الكندر ثقلهُ ١٧ رطلاً والبعد بين طرفي جناحيهِ اذا انبسطا عشر اقدام ومساحة سطحهما اقل من عشر اقدام واما الخفاش القديم الذي كان عائشاً في العصور الجيولوجيَّة فالبعد بين جناحيهِ اذا انبسطا ٢٥ قدماً ومساحة سطحهما ٢٥ قدماً مربعاً وثقلهُ ٣٠ رطلاً

جلد الجلد

يظهر من البحث في طبقات الجو ان درجة الحرارة تهبط بالصعود في الهواء الى ما ارتفاعهُ ٣٦ الف قدم عن سطح الارض. وبعد ذلك تبقى درجة الحرارة على حال واحدة مسافة عشرين الف قدم او تزيد قليلاً ومتى صار الارتفاع ٥٦ الف قدم تعود الحرارة فتهبط ثانية ولذلك فعلى ٣٦ الف قدم فوق سطح الارض تبتدئ طبقة من الهواء سمكها عشرون الف قدم حرارتها شديدة بالنسبة الى ما تحتها والى ما فوقها فأُطلق عليها اسم جلد الجلد

التجارة في العام الماضي

بلغت تجارة القطر المصري في العام الماضي مبلغاً لم تبلغهُ في سنة من السنوات السابقة فكانت قيمة الصادر بتقدير الجمارك المصرية ١٧٦١٧٠٠٣ جنيهات وقيمة الوارد ١٤٨١٤٦٨٨ جنيهاً والجملة ٣٢٤٣١٦٩١ اي نحو ٣٢ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات المصرية فزادت عمَّا كانت عليهِ في العام السابق نحو مليون ونصف . واذا اعتبرنا الصادر وحدهُ فالزيادة نحو مليونين لان الوارد نقص نحو نصف مليون . ونقص الوارد سببهُ الاكبر رخص الفحم الحجري وقلة الحاجة الى الحنطة والحبوب الاخرى التي اشتدَّت الحاجة اليها في العام السابق بسبب انخفاض النيل فبلغ النقص في ثمن الفحم الحجري نحو مئتي الف جنيه وفي ثمن الحبوب نحو ثلثمئة الف جنيه :

اما زيادة الصادر فكلها تقريباً من القطن فقد بلغت الزيادة في ثمن الصادر منهُ مليوني جنيه وبلغ ثمن القطن كلهِ ١٣٩٤٩٩١٢ جنيهاً وثمن بزرتهِ ١٩٠٩٤١٩ جنيهاً والمجموع نحو ١٦ مليوناً من الجنيهات فتكون قيمة كل الصادرات الاخرى نحو مليون وثمانمئة الف جنيه لا غير .وقد قل ثمن السكَّر الصادر من القطر لرخص ثمنهِ ولان جانباً كبيرًا منهُ صار يستعمل في القطر

وزادت النقود التي وردت الى القطر

المصري مليوناً وسبع مئة الف جنيه فقد كانت قيمتها ٣٠٨٥٦٧٨ جنيهاً سنة ١٩٠١ فبلغت ٢٦٦ ٤٧٧٩ جنيهاً سنة ١٩٠٢ وبلغت النقود الصادرة من القطر المصري في العام الماضي ١٨٣٤٤٥٧ جنيهاً اي زاد الوارد على الصادر ٢٩٤٤٨٠٩ او اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات الانكليزية . واكثر النقود التي ترد الى القطر المصري ترد من انكلترا فقد بلغ الوارد منها في العام الماضي نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات الانكليزية ولم يُرَدَّ اليها الا نحو مليون من الجنيهات . فاذا كانت النقود لا تخرج من القطر المصري الَّا بطريق الجمرك والبريد فقد زادت فيهِ زيادة بالغة في العام الماضي

وبقيت علاقتنا التجارية مع البلدان الاوربية على ما كانت اليهِ في الاعوام السالفة فانكلترا اشترت منا ما ثمنهُ اكثر من تسعة ملايين من الجنيهات وباعتنا ما ثمنهُ نحو خمسة ملايين ونصف. والمانيا اشترت منا ما ثمنهُ نحو مليون جنيه وباعتنا ما ثمنهُ نحو ستمئة الف جنيه. واميركا اشترت منا ما ثمنهُ اكثر من مليون جنيه وباعتنا ما ثمنهُ اقل من مئتي الف جنيه. وبلجيكا اشترت منا ما ثمنهُ نحو مئة الف جنيه وباعتنا ما ثمنهُ نحو خمس مئة الف جنيه. وفرنسا حسابنا معها على السواء اشترت منا ما ثمنهُ مليون وثلث من الجنيهات و باعتنا ما ثمنهُ مليون وثلث. والنمسا اشترت منا ما ثمنهُ سبع مئة الف جنيه وباعتنا ما ثمنهُ مليون جنيه . وايطاليا اشترت منا ما ثمنهُ ستمئة الف جنيه وباعتنا ما ثمنهُ ثمانمئة الف جنيه. وروسيا اشترت منا ما ثمنهُ مليون ونصف من الجنيهات وباعتنا ما ثمنهُ نصف مليون. وتركيا اشترت منا ما ثمنهُ ثلثمئة الف جنيه وباعتنا ما ثمنهُ مليون وستمئة الف جنيه. وسويسرا اشترت منا ما ثمنهُ ستمئة الف جنيه و باعتنا ما ثمنهُ خمسون الف جنيه فنحن الرابحون في تجارتنا مع انكلترا والمانيا واميركا وروسيا وسويسرا والخاسرون في تجارتنا مع النمسا وبلجكا وتركيا. ولكن هذا الربح وهذه الخسارة نسبيان لا مطلقان لان البلدان لا تشتري منا الَّا ما تحتاج اليهِ ولا نشتري منها الَّا ما نحتاج اليهِ ونجدهُ فيها ارخص مما هو في غيرها غير انهُ يهمنا جدًّا تقوية علاقاتنا التجارية مع البلدان التي تشتري بضائعنا والاهتمام بنشرها فيها حتى يزيد طلبها لها ولا شبهة ان تجارنا ولاسيما الاوربيون منهم يفعلون ذلك ويجب على الحكومة ان تساعدهم وتبذل اقصى جهدها في ترويج البضائع المصرية

غرائب الخلق

جاءنا من لبنان انهُ أُتي الى مستشفى الفرنسيس في بيروت بطفلة ولدت بغير عينين لكنها ماتت بعد ان عاشت اسبوعين وبطفل ولد من غير مخرج ففتح لهُ حضرة الدكتور طانيوس منسى مخرجاً جديدًا فنجحت العملية وعاش الطفل

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٢ ذي الحجة سنة ١٣٢٠

السر جورج ستوكس



فقدت البلاد الانكليزية اكبر علمائها الرياضيين الذي لهُ الفضل الاكبر في اكتشاف الحقائق الرياضية وما بُني عليها من المعارف الطبيعيَّة خليفة الفيلسوف اسحق نيوتن وقرينهُ في

العلم والتعليم وهو السر جورج غبرائيل ستوكس شيخ علماء الرياضيات توفي في غرة فبراير الماضي في الثالثة والثمانين من عمرهِ

كانت ولادتهُ في الثالث عشر من اغسطس سنة ١٨١٩ وتلقى العلوم العالية في مدرسة كمبردج الجامعة وكان الاول بين الذين احرزوا قصب السبق في العلوم الرياضية فجُعل استاذاً للرياضيات فيها في المنصب الذي كان فيهِ الفيلسوف اسحق نيوتن وذلك سنة ١٨٤٩ وانتخب رئيساً للجمعيَّة الملكية وعضواً في البارلمنت عن مدرسة كمبردج ورئيساً لجمعية ڤكتوريا الفلسفية. واحتفلت مدرسة كمبردج سنة ١٨٩٩ بمضي خمسين سنة منذ جعل استاذاً فيها فحضر الاحتفال جمهور من نخبة علماء اوربا ونواب المدارس الجامعة والجمعيات العلمية من كل اقطار المسكونة وخطب فيهِ الاستاذ كورني الفرنسوي خطبة ريد التي نشرناها في صدر الجزء التاسع من المجلد الثالث والعشرين من المقتطف وقال في ختامها

"قلت في اول خطبتي ان علم البصريات هو المدير للعلوم الطبيعية وان كان قد خامركم ريب في ذلك فقد أُبدل هذا الريب الآن باستعظام النتائج التي نجمت عنهُ ولا تزال تنتج عن درس خواص التموُّجات التي تنتقل بها القوى الطبيعيَّة . هذا هو الدرس الذي امتاز بهِ السر جورج ستوكس موضوع اكرامنا في هذا الاحتفال . ويحق لمدرسة كمبردج ان تفتخر بتدريس الطبيعيات الرياضيَّة لان الاساتذة الذين تولوهُ من السر اسحق نيوتن الى السر جورج ستوكس قد كان لهم النصيب الاوفر في ترقية العلوم الطبيعية وتوسيع نطاقها"

اما اشغالهُ العلميَّة فهاك بعض ما قالهُ فيها لورد كلڤن ونشر في الجزء الاخير من جريدة ناتشر مبنيًّا على ما جمع ونشر حتى الآن من مقالاتهِ

"اشتغل ستوكس بكل ما تدور عليهِ الفلسفة الطبيعيَّة ما عدا الكهربائية وغاص في العلوم الرياضية المحضة فانارها بقريحتهِ الوقَّادة مثال ذلك ان الاستاذ ملر رأى ثلاثين حزمة من الخطوط المظلمة في الاقواس الاضافيَّة التي تظهر مع قوس قزح فعلَّل الاستاذ اري هذه الحزم بمعادلة رياضية عويصة جدًّا استعمل فيها اللوغارثم الى عشر منازل ولم يعلل الاَّ حزمتين منها . فاخذ ستوكس هذه المسأَلة ووضع لها قاعدة رياضية بسيطة تعلل بها الحزم المظلمة كلها مهما بلغ عددها على اسهل سبيل اي انهُ وضع النظرية التي يعرَف بها كل ما يتعلَّق بقوس قزح (وكان ذلك في بداءة سنة ١٨٥٠)

"كانت الرياضيات في يدهِ وسيلة لغاية والغاية التي كان يقصدها الفلسفة الطبيعية فكان اشتغالهُ بالصوت والنور والحرارة والكيمياء فوسَّع هذه الفروع الطبيعية بدرس خواص المادة

مستعيناً على ذلك بالامتحانات والرياضيات

" كانت مقالاته الاولى المطبوعة في حركة السوائل وقد ضمنها حلاً رياضياً بديعاً للحركة في سائل لا ينضغط داخل صندوق قائم الزوايا . وهذا الحل يصدق على معرفة مقاومة موشور من المعدن او الزجاج للقوات التي تدعو الى فتله او تغيير شكله وقد نشر هذه المقالات سنة ١٨٤١ و١٨٤٢

"ونشر سنة ١٨٤٣ مقالة في لزوجة السوائل ضمنها نظريته التي صارت اساساً لعلم حركة السوائل الداخلية ونظرية اخرى صارت اساسا لما يعلم الآن من امر الاجسام المرنة في حالتي الحركة والسكون

"وبعد سبع سنوات قدم مقالة الى جمعية كمبردج الفلسفية موضوعها فرك السائلات الداخلي وتأثيره في حركة الرقاص فحل اربعاً من اعوص المسائل الرياضية التي عجز عن حلها الرياضيون قبله وهي (١) ارتجاج كرة صلبة في سائل لزج موضوع في وعاء كروي مركزه متوسط مركز الكرة (٢) ارتجاج اسطوانة مستديرة غير محدودة في سائل لزج غير محدود (٣) معرفة حركة سائل لزج حول كرة متحركة فيه بسرعة قليلة (٤) تأثير فرك السائل في تسكين التموجات وعود البحر الى السكون بعد ان تسكن الزوبعة التي اثارت امواجه

" ومن اهم المقالات التي كتبها في النور مقالته عن تشرُّفه نشرت سنة ١٨٤٩ بيّن فيها النظرية التي يعلّل بها تشرُّف النور وضمنها نظرية انتقال الحركة في موصل مرن متساوي الكثافة وضمنها ايضاً تجارب كثيرة بيّن فيها ان سطح الاستقطاب هو السطح العمودي لاتجاه التموجات في سطح النور المستقطب

"واعظم مقالات ستوكس في النور مقالة قدمها الى الجمعية الملكية سنة ١٨٥٢ موضوعها تغيُّر انكسار النور فانهُ وصف فيها اكتشافهُ للنور الفصفوري"

. هذا مثال مما كتبهُ لورد كلفن عن اشغال ستوكس العلمية ذكرناهُ ونحن نعلم انهُ غير مألوف عند جمهور القراء . ولا شبهة في ان الحقائق العلمية التي اكتشفها او اوضحها هي اساس لكثير من المعارف الطبيعية التي نتج عنها جانب كبير من الارتقاء العلمي والصناعي في اوربا واميركا وكانت فائدتهُ في التعليم عظيمة كفائدته في البحث العلمي وكثيرون من كبار العلماء والمكتشفين من تلامذته الذين استناروا بنور علمهِ

وقد كان مع علو مقامهِ العلمي من اودع الناس واشدهم اتضاعاً واكثرهم نفعاً لغيره وابعدهم عن الدعوى وحب الاشتهار بالمكتشفات العلمية او الاستفادة المالية منها . رأى ولدنا نجيب

صرفوف في مجمع ترقية العلوم البريطاني فعطف عليهِ كما يعطف الاب على بنيهِ ودعاهُ الى بيتهِ واهدى اليهِ صورتهُ وامضى اسمهُ عليها بيدهِ وكانت ترتجف لشيخوختهِ وعنها نُقلت الصورة التي في صدر هذه المقالة

ودفن باحتفال عظيم جدًّا حضرهُ نواب المدارس والجمعيَّات العلميَّة من كل البلاد الانكليزيَّة وقد اعترضت جريدة ناتشر لانهُ لم يدفن في وستمنستر مدفن عظماء الانكليز قائلة انهُ كان عظيمًا بنفسهِ وعظيمًا باعمالهِ والامة كلها تحبُّ ان يكون لهُ اعظم تذكار عندها فان هو لم يدفن في وستمنستر فمن يستحق ان يدفن فيهِ

السنيور مركوني

ومستقبل تلغرافهِ

لا يذكر الآن اسم السر جورج ستوكس مرةً حتى يذكر اسم السنيور مركوني الف مرة مع ان مركوني تلميذ تلامذة ستوكس ولم يكتشف حقيقة علميَّة واحدة تقابل بالحقائق التي اكتشفها ستوكس لكنهُ اهتدى الى استخدام بعض الحقائق التي اكتشفها غيرهُ على اسلوب بديع نافع تناولتهُ الشركات التجاريَّة فعضدتهُ بالمال واذاعتهُ في الخافقين حتى يتَّسع نطاقهُ ويجني منهُ الربح الوافر .

والسنيور مركوني شاب ايطالي ولد سنة ١٨٧٥ من اب ايطالي وام انكليزية ودرس في مدرستي لجهورن وبولونا الجامعتين ووصف كيفيَّة اتصالهِ الى هذا الاكتشاف بقولهِ

" خطر لي نقل الاخبار بواسطة امواج الاثير في ربيع سنة ١٨٩٤ وانا اقرأُ عن اعمال الاستاذ هرتس في جريدة ايطاليَّة تبحث في المواضيع الكهربائيَّة . وكان هرتس قد استعمل حلقة معدنيَّة لاكتشاف الامواج الكهربائية الخارجة من آلتهِ وهذه الحلقة غير متصلة بل لها طرفان يكادان يتماسَّان فاذا وصلت اليها الامواج الكهربائية بانت فيها شرارة بين هذين الطرفين . اي انهُ اثبت بالامتحان ان الامواج الكهربائية تنتشر في الفضاء ويستدلُّ على وجودها بحلقة معدنية . فخطر لي انهُ اذا امكنني ان اغير انبعاث الامواج الكهربائية واجعل بينها فترات طويلة وقصيرة دلَّت الشرارة الكهربائية عليها ايضًا فيكون ذلك بمثابة نقل الاشارات في الفضاء بامواج هرتس الكهربائية من غير موصل معدني فتقوم الفترة القصيرة مقام النقطة في تلغراف مورس والفترة الطويلة مقام الخط وبذلك تنقل اشارات تدلُّ على الكلمات من مكان الى آخر

" ورأيتُ هذا الامر بسيطًا واضحًا جدًّا حتى لم يخطر ببالي اولاً ان احاول اثباتهُ بالامتحان لانني كنت اعلم ان كثيرين من العلماء يبحثون في هذا الموضوع وهم امهر مني جدًّا ولا بدَّ من ان يمتحنوهُ ويثبتوهُ . وانتظرت نحو سنة فلم اسمع ان احدًا استعمل امواج هرتس لنقل الاشارات فشرعتُ في الامتحان وكان ذلك في شهر دسمبر سنة ١٨٩٤ فرأيتُ من النتائج ما ادهشني

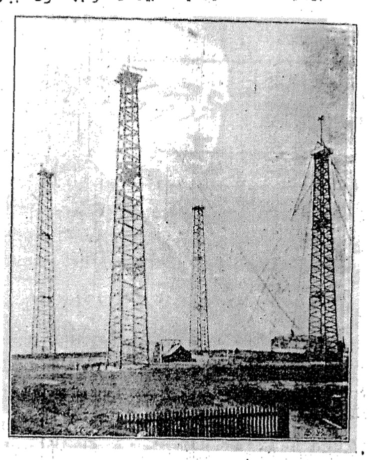


" وكنت قد أُولعت بدرس الكهربائية منذ بضع سنين كاحد الغواة واقمت معملاً كهربائيًّا صغيرًا في بيت ابي قرب بولونا وضعت فيهِ بطريات ونحوها مما يستعمل في درس المواضيع الكهربائية وكنت احاول البحث في قضية اشكل حلها على العلماء وهي تحويل الحرارة الى كهربائية مباشرةً وفي استعمال البخار في الآلات البخارية

" ولا اظن ان احدًا من الباحثين اشار باستعمال امواج هرتس الكهربائية لنقل الاخبار من مكان الى آخر قبلما اشرت بهِ انا فانا اول من اشار باستعمال هذه الامواج وانا اول من استعملها فنقلتُ الاشارات بها في الفضاء وكان ذلك سنة ١٨٩٤ . والحقائق العلميَّة التي بنيت

عليها التي كانت معروفة وغاية ما فعلتهُ فيها انني اصلحتها ونوَّعتها حتى صارت تناسب مرادي .
وغاية العلم الوصول الى النتائج المطلوبة باقل ما يكون من التعب والوقت والعبرة بالنتائج لا بالوسائل "

ولما ارسل الاشارات الكهربائية مسافة عشرة اميال ظنَّ كثيرون انهُ بلغ الحدَّ الذي يمكن ان ترسل اليهِ لان القوة الكهربائية لا تكفي لنقل الامواج الكهربائية الى ابعد من ذلك ولان الجبال والتلال وتحدُّب الارض كل ذلك يضعف قوتها ويمنع انتقالها لكنهُ خيَّب ظنهم وارسل الاشارات الكهربائية مسافة ثلاثين ميلاً وبيَّن ان امواجها تخرق الجبال والتلال



وتسير موازية لسطح الارض في تحدُّبهِ لا في خطوط مستقيمة وقال حينئذٍ انهُ يستطيع نقل الاشارات الكهربائية من اوربا الى اميركا. ولو كانت هذه الاشارات تسير في خطوط مستقيمة من اوربا الى اميركا لوجب ان تخرق الارض وتغور فيها مئة وثلاثين ميلاً في منتصف المسافة بين اوربا واميركا بداعي كروية الارض ولكن يظهر انها تسير في اقواس موازية لسطحها

وقد تمَّ ما قالهُ ونقل الاشارات الكهربائية من اوربا الى اميركا فاطار اولاً طيارات اوصل بها الاسلاك الكهربائية ونقل بها حرفًا واحدًا من اوربا الى اميركا ولما ثبت لهُ ذلك نصب اعمدة

طويلة طول كل عمود منها ٢١٠ اقدام ووصل رؤوسها باسلاك معدنية حتى تكون شركاً لصيد الامواج الكهربائية واقام بعضها في طرف اوربا الغربي عند ارلندا وبعضها في طرف اميركا الشرقي امام كندا لكن العواصف عبثت بها وقلبتها فبنى ابراجاً كبيرة من الخشب بدلاً منها كما ترى في الشكل الثاني وهو صورة الابراج الاربعة المنصوبة في كورنول باوربا ارتفاع كل برج منها ٢١٥ قدماً ووصل رؤوسها باسلاك معدنية كما ترى في الشكل

وقد اقام هذه الابراج الآن في ثلاثة اماكن في كورنول ببلاد الانكليز كما تقدم وفي راس برتن بنوفاسكوتيا شرقي كندا وفي راس كُد قرب بوستن بالولايات المتحدة الاميركية وكلها متشابهة . ونفقة اقامتها غير قليلة ولكنها ليست شيئاً مذكوراً تجاه النفقات الكثيرة التي تقتضيها اسلاك التلغراف الممدود في البحر

هذا من حيث تلغراف مركوني وكيفية اكتشافهِ اما مستقبلهُ فالناس مختلفون فيهِ يظن فريق انهُ لا يمكن ان يتغلّب على المصاعب الكثيرة التي تحول دون نجاحهِ فيهمل او يبقى استعمالهُ ضيّق النطاق جدًّا فيستعمل لنقل الاخبار بين البوارج في عرض البحار وبين فرق الجيش الواحد حيث لا اسلاك تلغرافية او حيث العدو نازل بينها . اي يكون استعمالهُ خاصًّا بالدول لا يقوم مقام التلغراف ولا يستفيد منهُ الناس في معاملاتهم . ويظن فريق آخر ان مركوني وغيرهُ من المكتشفين سيزيدون هذا التلغراف اتقاناً حتى يسهل استعمالهُ كما يستعمل التلغراف الكهربائي الآن

اما الفريق الاول فيقول ان تلغراف مركوني لا يشيع استعمالهُ ما لم يستوفِ اربعة شروط الاول ان يثق مرسل الخبر بان خبرهُ أُرسل ووصل المكان الذي ارسلهُ اليهِ . والثاني انهُ يصل كما يرسلهُ بالدقة التامة . والثالث انهُ يصل بالسرعة الكافية . والرابع انهُ يبقى سرًّا لا يطلّع عليهِ كل احد . ويظن المعتقدون نجاح هذا التلغراف انهُ يمكن ان تصنع آلات ترسل امواجاً مخصوصة ويعطى الامتياز باستعمالها لاصحابها فينحصر استعمالها فيهم ولا يبقى خوف من ان اشاراتهم تسرق في الطريق . وتستعمل حروف اصطلاحية خاصةٌ كالحروف التي يستعملها التجار الآن في اخبارهم التجارية التي يريدون ان تبقى مكتومة وبذلك يتم الشرط الاول والثاني والرابع . اما الشرط الثالث وهو ان ترسل الاشارات بالسرعة الكافية او بسرعة تماثل سرعة التلغراف فامرهُ صعب على ما يظهر بادئ بدء لان اسلاك التلغراف التي بين اوربا واميركا يرسل بها الآن مئة كلمة في الدقيقة ويسهل ان ترسل رسالة برقية من لندن الى نيويورك في دقيقة من الزمان وترسل رسالة برقية ويأتي جوابها في عشر دقائق وهذا امر

عادي واما تلغراف مركوني فسرعة ارسال الرسائل بهِ بطيئة جدًّا ولو كان سير الامواج الكهربائية من جهة الى اخرى على غاية السرعة . ويرد على ذلك بان سرعة التلغراف العادي بين اوربا واميركا كانت عند اول مدهِ اقل من سرعة تلغراف مركوني الآن

هذا ومعلوم ان الشركات التلغرافية اوجست خيفة من تلغراف مركوني وستبذل جهدها في مقاومتهِ ان لم يكن بوضع العراقيل في طريقهِ فبزيادة العناية في اتقان اعمالها وترخيص اسعارها كما فعلت شركات الغاز لمَّا ظهر النور الكهربائي . وقد استولى الخوف على حاملي اسهم شركات التلغراف فتهافتوا على بيعها والحكماء الذين يقدّرون العواقب يشترونها عالمين ان الدنيا تسع التلغرافين كما انها لا تزال تسع نور الغاز والنور الكهربائي. واذا زاد تلغراف مركوني اتقانًا فلا بدَّ من ان يزيد انتشارهُ واستعمالهُ رويدًا رويدًا ولكن ذلك لا يمنع استعمال التلغراف العادي ولو قلل مد خطوط جديدة منهُ

هذا ولم يجمع الكتَّاب الاوربيون والاميركيون حتى الآن على كلمة واحدة للدلالة على تلغراف مركوني فبعضهم يسميهِ التلغراف الذي لا سلك لهُ وبعضهم يسميهِ التلغراف الاثيري وبعضهم يسميهِ تلغراف امواج هرتس وبعضهم يسميهِ تلغراف مركوني. وحبذا لو اتفقوا على كلمة واحدة يسهل تعريبها ولو كان الامر مفوَّضًا الينا لاشتققنا من اسم مركوني اسم المَرْكَن للدلالة على تلغرافهِ وفعل مَرْكَن للدلالة على ارسال الاشارات البرقيَّة بهِ وفي ذلك اختصار كثير ودلالة على المراد واضحة

غرض علم الميكروبات

ان وجهة علم الطب قد تغيَّرت في العشرين السنة الاخيرة لان علم الميكروبات غيَّر آراء الاطباء في حقيقة الامراض . وقد لقي هذا العلم اشد المقاومة من جمهور الاطباء بعد ان بيَّن باستور في فرنسا وتندل في انكلترا ان الاحياء الصغيرة لا تتولَّد من نفسها بل تولد ولادة من بزور او جراثيم من نوعها . ولم يقبل الاطباء حقائق علم الميكروبات الاَّ منذ عشرين سنة الى الآن وكان للدكتور كوخ اليد الطولى في ذلك حينما بيَّن بادلَّة الامتحان علاقة ميكروب السل بداء السل

ومن اكبر الفوائد التي نجمت عن علم الميكروبات اثبات حقيقة الامراض المشتبه فيها كما يرى في اثبات حوادث الكوليرا والطاعون والدفثيريا والكلب فان ظواهر هذه الامراض قد

لا تكون واضحة وضوحاً ينفي الريب او قلما تكون واضحة ولاسيما اذا كانت مفردة فيأتي البحث الميكروبي ويثبتها او ينفيها بالدقة التامة ويصير اهل المريض ورجال الصحة على بيّنة من امرهم في استعمال الطرق العلاجية ووسائل الوقاية والتطهير والفرز. وكذلك في السل فانهُ اذا كان في بداءتهِ وثبت وجود ميكروبهِ في النفث سهل علاجهُ وشفاؤهُ . وقس على ذلك كثيرًا من الامراض التي اذا عُرفت في اول ظهورها سهل علاجها وشفاؤها .

ثم ان لهذا العلم فائدة اخرى في البحث عن اسباب الوقاية من الامراض . وقد وجد العلماء الباحثون ان الجسم الذي يوقى من مرض بالوقاية الطبيعية او بالتطعيم او نحوهِ تتكون في دمهِ اجسام صغيرة تقاوم ميكروبات ذلك المرض . لكنهم اختلفوا في حقيقة هذه الاجسام فقال الاستاذ متشنيكوف والذين ذهبوا مذهبهُ انها خلايا الدم البيضاء فهي تأكل ميكروبات الامراض وتحمي الجسم منها فسمُّوها آكلة الخلايا وقال الاستاذ اهرلخ وانصارهُ ان في الخلايا التي يتألّف منها الجسم مواد تقيها من فعل السموم التي تتولّد فيهِ عادةً فاذا دخلهُ سمّ مرض من الامراض هيّج الخلايا التي يتألّف الجسم منها فافرزت مادةً تقاوم بها فعل ذلك السم فتتكثّر تلك المادة في الدم وتقاوم سم المرض وتمنعهُ من البلوغ الى الخلايا وتبطل فعلهُ . وعند الاستاذ اهرلخ ان فعل هذه المادة بالسموم المرضية مماثل لفعل الحوامض بالقلويات او القلويات بالحوامض فكما ان الحامض يتحد بالقلوي ويكوّن ملحًا متعادلاً لا حامضاً ولا قلويًّا كذلك تُفرَز من خلايا الجسم مادة تتحد بسم الميكروبات المرضيَّة وتزيل فعلها الضار. فاذا سمّينا ما تفرزهُ الميكروبات المرضيَّة سمًّا فما تفرزهُ خلايا الجسم ترياقٌ لها واذا تغلب السم على الترياق تغلّب المرض على الصحَّة واذا تغلّب الترياق على السم تغلبت الصحة على المرض والاَّ فالحرب سجال .

وخلايا الميكروبات المرضية مثل خلايا الجسم اي فيها مادة سامَّة ومادة اخرى تعدِّل فعل ذلك السم فالجسم الحي تتولّد فيهِ مواد سامَّة وتتولّد فيهِ ايضاً مواد مقاومة لفعل السم وعلى هذا المبدإِ بني استخراج المصل المضاد للدفثيريا والمصل المضاد للتتانوس فانهُ اذا دخل ميكروب الدفثيريا بدن حيوان افرزت خلاياهُ المادة التي تضاد سم ذلك الميكروب وكثرت هذه المادة في مصل دمهِ فيصير ترياقًا لسم الدفثيريا .

وكان المظنون انهُ يمكن اكتشاف مصل يشفي من السل وغيرهِ من الامراض المعدية كما كُشف مصل يشفي من الدفثيريا ولكن خاب الظن كما هو معلوم وسبب ذلك في ما يقال ان المادة التي تشفي من الدفثيريا سائلة فيسهل افرازها من خلايا الجسم وبقاؤُها في مصل الدم واما المادة التي تشفي من السل او تكون في خلايا الجسم لمقاومة السل فليست سائلة او لا تحفظ في

حالة سائلة . فكأنها مثل مادة الاختمار التي ثبت الآن انها مادة خلايا الخميرة نفسها لا مادة حيَّة موجودة فيها . واستخراج هذه المادة من الميكروبات المرضية نفسها اسهل من استخراجها من خلايا الجسم ويؤيد ذلك ان المادة التي يستعملها هفكن لقاحاً واقياً من الطاعون هي نفس ميكروب الطاعون المعقم . والصعوبة قائمة في كيفيَّة سحق الميكروبات المرضية ليصنع اللقاح منها لانها دقيقة جدًّا ادق من ان تؤثر فيها طرق السحق العادية . لكن ثبت الآن للاستاذ مكفادن انهُ اذا بُردت الميكروبات في الهواء السائل صارت قصفة سهلة الكسر والسحق . وقد عولجت ميكروبات التيفويد كذلك فوُجد ضمن خلاياها مادة تقاوم فعلها ويُظَن انهُ يمكن استعمالها لقاحا واقيا من التيفويد او مصلاً شافياً منهُ

تنقية الهواء

اكتشاف جديد

يعلم خاصَّة القراء وعامتهم ان الهواء يدخل الرئتين نقيًّا ويخرج منهما وفيهِ مواد سامَّة حتى اذا اقام انسان في مكان ضيق لا يتجدَّد هواؤُهُ فسد الهواء الذي حولهُ حالاً ولم يعد صالحاً للتنفس فيموت اختناقاً . ويحدث شيء مثل ذلك في الهواء المحصور اذا أُحرق فيهِ الفحم او طال انحلال المواد النباتية فيهِ كما يحدث في الغرف المسدودة النوافذ التي يشعل فيها الفحم وكما يحدث في الآبار التي تطرح فيها الزبالة فان كثيرين يموتون كل سنة من استنشاق الهواء في غرف أُشعل الفحم فيها او من النزول في آبار فاسدة الهواء . وقد ثبت الآن ان المادة الكيماويَّة المسماة براكسيد الصوديوم التي لم يكن يُعرَف لها اقل نفع تصلح الهواء الذي افسدهُ التنفُّس او اشتعال الفحم او انحلال المواد النباتية لانها تتحد بأكسيد الكربون الثاني فيتكون منها كربونات الصودا ويفلت الاكسجين النقي الذي يصلح للتنفس ويصلح الهواء ويكون مقدار الاكسجين كمقدار اكسيد الكربون

ومن المقرر ان مقدار اكسيد الكربون في الهواء الخارج من الرئتين نحو اربعة وثلث في المئة . والهواء الذي يدخل الرئتين او يخرج منهما في الساعة من الزمان يبلغ عشرين قدماً مكعبة فيكون فيهِ نحو قدم مكعبة من اكسيد الكربون . وقد ثبت ان الرطل من براكسيد الصوديوم يمتص قدمين مكعبتين وثلث قدم من اكسيد الكربون الثاني ويطلق قدمين مكعبتين وثلث قدم من الاكسجين النقي ولذلك فعشرة ارطال من براكسيد الصوديوم تكفي الانسان اربعاً

وعشرين ساعة لنزع الغاز السام من الهواء الذي يتنفسهُ فيستطيع ان يقيم في قنينة كبيرة من الزجاج ومعهُ عشرة ارطال من براكسيد الصوديوم ويبقى حيًّا ولو سُدَّت القنينة عليهِ سدًّا محكمًا ولذلك فهذه المادة تفيد في الاحوال التالية

(١) في تنقية هواء المساكن والمعامل والمعابد والمستشفيات ونحو ذلك من الاماكن التي يكثر ازدحام الناس فيها فيخشى من فساد هوائها ولو كان مطلقًا بعض الاطلاق .

(٢) في معالجة بعض الامراض التي تستلزم كثرة الهواء النقي من غير تعرُّض للبرد او لمجاري الهواء كما في داء السل

(٣) في المناجم العميقة التي يفسد هواؤها لقلَّة تجدُّدهِ

(٤) في الحرائق الكبيرة التي يخشى فيها من اختناق رجال المطافئ فانهم اذا وضعوا في الخوذ التي حول وجوههم قليلاً من هذه المادَّة استطاعوا ان يدخلوا بين النيران وكثيف الدخان من غير ان يختنقوا

(٥) في الغوص في البحر فان الغوَّاص يستطيع ان يضع في الخوذة قرب انفهِ قليلاً من هذه المادة فيستغني بها عن الانابيب التي توصل الهواء النقي اليهِ .

(٦) في السفن الغوَّاصة حيث يصعب ايجاد الهواء النقي الكافي للذين فيها

اما الغوَّاصون ونحوهم من الذين يعملون اعمالاً شاقَّة ويستعملون مقدارًا كبيرًا من الاكسجين فلا بدَّ من ان يزاد لهم مقدار براكسيد الصوديوم ولعلهم لا يكتفون باقل من رطل كل ساعة والذين لا يعملون عملاً يكتفون باقل من نصف رطل في الساعة

والهواء قلَّما يفسد في غرف السكن فسادًا يدعو الى استعمال المواد الكيماوية لتنقيتهِ ولو كانت نوافذها كلها مغلقة لان الخروق الصغيرة التي في خشب الابواب والشبابيك وفي مسام الجدران تكفي لتجديد الهواء وتنقيتهِ غالبًا ولاسيما اذا اختلفت درجة الحرارة بين داخل الغرف وخارجها ولكن اذا خيف من فسادهِ فهذه المادة تصلحهُ اذا سحقت ووُضعت في صحاف واسعة . وهي بيضاء مائلة الى الصفرة فاذا اتصل بها الهواء غير النقي صار لونها احمر برتقاليًّا اولاً ثم اذا طال تعرُّضها للهواء صارت بيضاء اللون فيعلم من ذلك انها امتصت كل ما تستطيع امتصاصهُ من اكسيد الكربون .

وثمن الرطل من هذه المادة الآن نحو ثمانية غروش ولا بدَّ من ان يرخص ثمنها اذا كثر استعمالها وهي تتولَّد باحماء عنصر الصوديوم في الهواء وتذوب في الماء بسهولة وينحلُّ مذوبها سريعًا فيتولَّد منهُ اكسجين وصودا كاوية .

وقد كان اكتشاف فعلها في تطهير الهواء عرضاً والفضل في ذلك للفيران فانها هي التي هدت اليها كما سيجيء

كان رجلان فرنسويَّان وهما الدكتور دسغره والدكتور بلتيار الكيماويان يجربان بعض التجارب الكيماوية فنسيا بعض الفيران في اناء من الزجاج بعد ان سدَّاه سدًّا محكماً. وفتحا ذلك الاناء بعد ايام فوجدا الفيران لا تزال حية فيهِ مع انها كان يجب ان تموت اختناقاً بعد تنفسها كل ما في هوائهِ من الاكسجين . وكانت نحيفة جدًّا لانها قضت هذه الايام بغير طعام ولكنها كانت حيَّةً تتنفس جيدًا. وكان في الاناء قطعة كبيرة من براكسيد الصوديوم فاستنتجا ان البراكسيد هو الذي حفظها من الاختناق ووقاها من الموت. واخذا يجرِّبان التجارب ليتحققا صدق هذا الاستنتاج فوضعا الارانب والكلاب في آنية زجاجية كبيرة وسدَّاها سدًّا محكماً ووضعا معها قطعاً من براكسيد الصوديوم ولم يكن هواء هذه الآنية يكفي الحيوانات التي وضعاها فيها اكثر من نصف ساعة ولكنها بقيت اكثر من خمس ساعات ولم تصب بضرر كأنها كانت في الهواء المطلق

حينئذٍ قرَّ قرارهما على امتحان ذلك في الانسان فصنعا خوذة من الخوذ التي يلبسها الغوَّاصون عادة تسع من الهواء ما يملأ خمس اكواب وطلياها من الداخل ببراكسيد الصوديوم ولبسها غواص وغاص بها في الماء فاقام زماناً طويلاً ولم ينلهُ ضرر . وثبت لهما حينئذٍ انهما اكتشفا اكتشافاً جزيل النفع على بساطتهِ وان براكسيد الصوديوم اقدر المواد الكيماويَّة كلها على اخذ الحامض الكربونيك من الهواء وردهِ الى الهواء اكسجيناً صرفاً

وقد راجعنا ما عندنا من كتب الكيمياء والمعجمات قبل كتابة هذه السطور لنرى ما نقولهُ عن فائدة براكسيد الصوديوم فلم نجد انها تعزو اليهِ فائدة من الفوائد ووجدنا سكلوبيذيا تشمبرس تقول انهُ خالٍ من كل فائدة . هذا ما كان يقال عنهُ منذ بضع سنوات اما الآن فكشفت لهُ فائدة من اكبر الفوائد . وظاهر الامر ان اكتشافها حدث عرَضاً ولولا الفيران ما كُشفت وشأن الفيران في ذلك شأن التفاحة التي يقال انها نبَّهت الفيلسوف إسحق نيوتن الى اكتشاف ناموس الجاذبيَّة فقد رأى الناس كلهم سقوط الاثمار من الاشجار في كل الاماكن والازمنة ولكن لم يستنتج احد من سقوطها تلك النتيجة الجلَّى الأعقل ذلك الفيلسوف العظيم وكذا هذان الكيماويان اكتشفا ما اكتشفا لان عقلهما كان مدرَّباً على البحث العلمي ورد المسببات الى اسبابها .

حلُّ مسألة الاسيتيلين

لما كُشف غاز الاسيتيلين وثبت انهُ رخيص الثمن ساطع النور امَّل كل احد انهُ يقوم مقام غاز الضوء ومقام الكهربائية لانهُ ارخص منهما واسطع نورًا . ولكن كثرت حوادث الانفجار على اثر استعمالهِ حتى ابتعد الناس عنهُ بعد اقبالهم عليهِ . واهتمَّ كثيرون باكتشاف طريقة تمنع انفجارهُ منعًا تامًّا فاهتدى رجل انكليزي اسمهُ اتكنبس اخيرًا الى اكتشاف طريقة لاستحضارهِ من غير ماء وتسمَّى طريقتهُ بالطريقة الجافَّة . واستحضارهُ هذا من غير ماء بهذه الطريقة الجافَّة يمنع الانفجار حتمًا ولهُ مزايا أُخرى كثيرة اهمها ان المواد التي تتخلَّف بعد استخراجهِ يساوي ثمنها ثمن المواد التي استُخرج منها كأنَّ مستخرجهُ يضيء بهِ بيتهُ ولا يكاد يخسر شيئًا .

لكن مستنبط هذه الطريقة باعها لشركة مالية ولا بدَّ من انها تفرض ثمنًا كبيرًا للآلة التي يستحضر الغاز بها فيصير لنور الاسيتيلين ثمن يقابَل بثمن نور الغاز والنور الكهربائي لكنهُ يبقى ارخص منهما جدًّا فان الرطل الذي ثمنهُ غرش واحد من الكربيد يستخرج منهُ خمس اقدام مكعبة من غاز الاسيتيلين . والآلة التي يستحضر بها رخيصة الثمن صغيرة الحجم وهي اسطوانة كبيرة كالبرميل تدار على محورها بعد ان يوضع الكربيد ومادَّة اخرى فيها فيتولَّد منها غاز الاسيتيلين وكل قدم مكعبة منهُ تنير مثل خمس اقدام مكعبة من غاز الضوء العادي

والطريقة القديمة لاستخراج غاز الاسيتيلين كان فيها نقص من وجوه كثيرة عدا ضرر الانفجار فكان الغاز يتولَّد بسرعة في اول الامر ثم يقلُّ تولُّدهُ بسبب اكتساء الكربيد بالجير . ولا يتولَّد من رطل الكربيد سوى اربع اقدام مكعبة من الغاز . وكانت المصابيح التي يشعل الغاز فيها تنسدُّ احيانًا كثيرة من تكاثف الابخرة الهيدروكربونية فيها . ويخرج من النور ضباب خفيف بسبب ما فيهِ من الهيدروجين المفصفر وهو غاز سام . ولم يكن في الامكان مزج غاز الاسيتيلين بغاز الضوء العادي ليزيد بهِ نورهُ . ولا كان في الامكان استعمالهُ لادارة الآلات ولا ضغطهُ وحفظهُ في آنية ضيقة . وكان لهُ رائحة خبيثة ولا بدَّ من تنقيتهِ وتطهيرهِ قبل استعمالهِ على ما في ذلك من زيادة النفقة . ويبقى في الاناء الذي يستحضر منهُ فضلات لا فائدة منها . اما سبب انفجارهِ وهو المانع الاكبر لاستعمالهِ فكان من وجود الهيدروجين المفصفر فيهِ وهو يشتعل من نفسهِ في بعض الاحوال ومن اشتداد الحرارة من فعل الماء بالجير (الكلس)

اما الاسلوب الجديد فخالٍ من هذه العيوب كلها لانهُ حالما تمتزج المواد بعضها ببعض يتولَّد غاز الاسيتيلين منها بانتظام تامٍّ حتى لا يبقى منهُ شيء في الكربيد ولا يتولَّد معهُ

هيدروجين مفصفر ولذلك لا داعي لغسل الاسيتيلين حتى يتنقَّى منهُ . والحرارة التي تتولَّد حينئذٍ ضعيفة جدًّا فلا تدعو الى تولُّد البنزين ونحوهِ من المواد التي تتولد بالطريقة العادية . والمواد التي تبقى بعد تولدهِ خالية من كل ضررٍ ولها ثمن يختلف باختلاف المادة التي تضاف الى الكربيد لتوليدهِ . والمواد التي استعملها المكتشف حتى الآن مختلفة واحدة منها يساوي طنها جنيهين والمادة التي تبقى منها في الاناء يساوي طنها ثلاثين جنيهًا على ما قالهُ المكتشف

وتفوح من غاز الاسيتيلين عادةً رائحة خبيثة اذا استُحضر بالطريقة العادية اما اذا استُحضر بهذه الطريقة فتتولد منهُ رائحة طيبة ونورهُ ثابت خالٍ من كل دخان

ويقال ان هذه الطريقة صالحة بنوع خاص لانارة مركبات سكك الحديد والمنائر البحرية والاطواف التي توضع في المرافئ وفي مداخلها لهداية السفن . ويسهل على رجلين ان يحملا آلة يتولد منها نور يساوي نور عشرين الف شمعة . ونور هذا الغاز مثل نور الشمس في سطعانهِ وتركيبهِ فيصلح للتصوير الشمسي . والغاز المستحضر بهذه الطريقة يمتزج بغاز الضوء بسهولة فيزيد بهِ نورهُ

هذا ما ثبت حتى الآن من مزايا هذا الغاز . ويرجح انهُ مما يسهل استعمالهُ لادارة الآلات ولاسيما آلات الاتوموبيل فاذا ثبتت لهُ هذه المزية ايضا زاد نفعهُ اضعافًا مضاعفة .

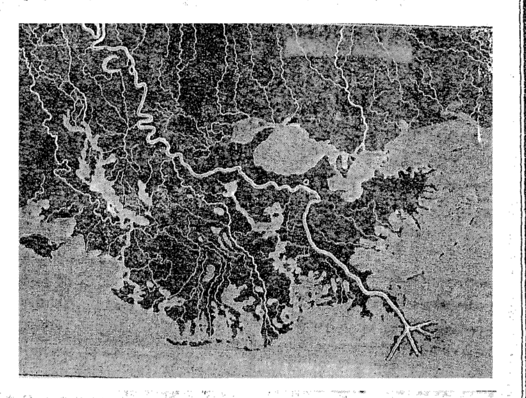
وقد امتحن المجلس البلدي في مدينة لندن الآلة التي يتولد بها وقرَّر ان استعمالها خالٍ من الضرر

سدود النيل

ان الناظر في الآكام والاراضي المرتفعة على جانبي وادي النيل يرى فيها اصداف الحيوانات البحريَّة واسنان الاسماك دلالة على ان بحر الروم كان يغمر وادي النيل كلهُ وجانبا من الاراضي المرتفعة على جانبيهِ . والادلة على ذلك كثيرة جدًّا وان لم يوجد الا الدليل المتقدم ذكرهُ وهو وجود الاصداف وبقايا الحيوانات البحرية فكفى بهِ دليلاً

ولا بدَّ من ان يقول قائل كيف انحسر ماء البحر من واديهِ ولمَّا انخفض بعد ارتفاعهِ او ارتفع وادي النيل بعد انخفاضهِ . والجواب ان البحر لم ينخفض لان انخفاضهُ امام القطر المصري يقتضي انخفاضهُ حول الكرة الارضيَّة كلها وهذا لم يحدث ولكن وادي النيل ارتفع عن قاع البحر وعن مساواة سطحهِ بفعلين مختلفين الاول فعل الحرارة الارضيَّة والثاني فعل المياه الجارية في النيل . اما الحرارة فانها رفعت الارض في اعالي وادي النيل وحولهُ في العصور الغابرة كما ترفع الآن بعض الجزائر والجبال والسهول في اماكن مختلفة فارتفعت وعلت فوق ماء البحر

بعد ان كانت تحتهُ وبقيت فيها آثار الحيوانات والنباتات البحرية دالَّةً على ان البحر كان غامرًا لها مدة عصور طويلة. وبقيت مياهُ البحر غامرةً وادي النيل نفسهُ والنيل يلقي فيهِ الاتربة التي يجرفها من مجاريهِ الى ان ملأَهُ بالرمل والطمي فانحسر البحر عنهُ ولا يزال النيل يجرف هذه الاتربة ويحمل بعضها الى البحر ويلقي البعض الآخر في واديهِ الى هذا اليوم. ويقدَّر ما يحملهُ الآن من الطمي ويلقيهِ في البحر بمئة وخمسين مليون طن او ثمانين مليون متر مكعب كل سنة وكان يحمل اكثر من ذلك كثيرًا في العصور الغابرة. وهو غير منفرد في هذا



الفعل بل ان من الانهار ما يحمل اكثر منهُ فان نهر الكنج ببلاد الهند يحمل كل سنة ٣٧٨ مليون طن ونهر المسسبي باميركا يحمل كل سنة اربعة ملايين مليون طن وهو آخذ الآن في تكوين دلتا مثل دلتا النيل كما ترى في هذا الشكل فان الخط الابيض الغليظ فيهِ هو مجرى نهر المسسبي وهو يتفرَّع عند مصبهِ في البحر الى ثلاثة فروع كبيرة وسيمتلئ ما بين هذه الفروع يومًا ما وما فوقها ايضًا فتصير منها دلتا مثل دلتا النيل

ويظهر لنا مما قرأناهُ عن سدود النيل التي ترى الآن في اعاليهِ في الفرع المسمَّى بحر الجبل ان سدودًا مثل هذه كان لها اليد الطولى في جمع الرواسب في وادي النيل وتكوين ارض مصر كلها وانهُ اذا تركت هذه السدود الآن في اعالي النيل فلا يبعد ان تسدَّ اكثر فروعهِ الباقية

هناك فيسيح الماء على السهول الفسيحة التي حولها فتمسي بحيرات ومستنقعات يتبخر ماؤها من شدة الحر فيقل الماء الوارد الى مصر ويتغير اقليم بلاد السودان ولذلك فلا بدَّ من ان تتعاون حكومة مصر وحكومة السودان على نزع هذه السدود ومنع تكوُّنها قبلما يعمل عمل آخر في وادي النيل لانها حاجز في الطريق الملاحة ولانهُ يخشى من ان تضرَّ بالري وببلاد الجزيرة كلها

وتبتدئ السدود الآن في بحر الجبل على ٤٣٥ ميلاً من الخرطوم وتمتد جنوبًا ٢٥٠ ميلاً فتكون على ٧٥٠ ميلاً من البحيرات الاستوائيَّة التي تجتمع فيها مياهُ الامطار وتغذي نيل مصر بواسطة بحر الجبل المشار اليهِ . وكان هذا البحر خاليًا من السدود قبل سنة ١٨٦٣ فكانت السفن تسير فيهِ من غير عائق ولكن تلك السنة جرف الماء كثيرًا من النباتات فانسدَّ بها مجراهُ ولم يفتح الاَّ بعد عناء شديد . ثم عاد في السنوات التالية وبقي خطبهُ يتفاقم الى سنة ١٨٧٨ فكان ماء الفيضان غزيرًا جدًّا تلك السنة فدفع السدود امامهُ ووسَّع نطاقها فاقتضى نزعها عمل سنتين وقد تكوَّن منها عشرون سدًّا بين كير وبحر العرب . وظلَّت السدود تتكوَّن سنة بعد أُخرى بين زيادة ونقصان الى غرَّة هذا القرن فاهتمت الحكومة المصريَّة بازالتها عملاً بقول السر وليم ولكوكس وذهب السر وليم غارستن وكيل نظارة الاشغال العموميَّة الى هناك سنة ١٩٠٠ لينظر في امرها فانحصرت سفينتهُ بينها ثلاثة ايام متوالية في بحر الجبل

وسبب السد ثلاثة انواع من النبات اهمها نبات البردي الذي كان المصريون الاقدمون يصنعون قرطاسهم منهُ فانهُ يطول هناك ويغلظ حتى يبلغ ارتفاعهُ نحو عشر اقدام وغلظ ساقهِ غلظ الساعد ويكون كثيفًا جدًّا في نموهِ حتى يتعذَّر على الانسان ان يمرَّ بين سوقهِ القائمة . ويتلوهُ نوع من القصب يسمى ام صوف وهو غليظ السوق صلبها. والنبات الثالث تتشعب اغصانهُ بين سوقهما فتكون وإياها كالسدى واللحمة في الثوب الصفيق لاسيما وان في هذا النبات شوكًا يمسك سوق البردي وام صوف ويزيدها التحامًا

ويحدث السد في بلاد الهند ويبلغ طولهُ احيانًا مئة ميل في مثلها عرضًا ولكنهُ لا ينمو الاَّ حيث يكون الماء راكدًا او بطيء الجري جدًّا فاذا اندفع الى اماكن مياهها سريعة السير تمزَّق وضاع فيها بسبب اتساعها العظيم. اما سدود النيل فتدخل مجراهُ قطعًا ولكن الرياح التي ترافق الفيضان تدفعها وتجمعها بعضها مع بعض فتكوّن منها سدًّا كبيرًا

وكأن الاحتلال الانكليزي لهذا القطر وزوال حكم الدراويش من السودان جاءا في وقتهما من حيث الاهتمام بامر النيل لازالة السدود منهُ والاَّ فلو تركت تتراكم سنة بعد أُخرى لتفاقم شرُّها ووقع بالقطر المصري منها ضرر لا يقدَّر

منزلة الشعر من التاريخ

١٣

اسباب المعاش عند العرب

١ً الغزو

اما اسباب المعاش عند العرب فمنها الغزو وشن الغارات فلا يزالون ينهبون ويُنهبون . قال عروة بن الورد العبسي

خاطرْ بنفسك كي تصيب غنيمةً ان القعود مع العيال قبيحُ

المال فيهِ مهابة وتجلّة والفقر فيهِ ذلّة وفضوحُ

يريد بالمال الابل والشاء والخيل والحبوب فان العرب كانت تعتبرها مالاً بدليل قول سالم ابن قحطان العنبري

فلم أرَ مثل الابل مالاً لمقتنٍ ولا مثل ايام الحقوق لها سُبلا

وقول لقيط بن يعمر الايادي في خطاب لقومهِ

لا تثمروا المال للاعداء انهمُ ان يظهروا يحتووكم والتلاد معا

هيهات لا مال من زرع ولا ابل يُرجَى لغابركم ان أُنفكم جُدِعا

ولنعد الى الكلام عن الغزو فمما يستشهد بهِ على اتخاذهِ ذريعة للاعتياش قول عروة ايضاً

ذريني اطوِّف في البلاد لعلّني اخلّيك او اغنيك عن سوء محضري

وقول قيس بن حصين بن يزيد الحارثي

أَكلَّ عام نَعَم تحوونهُ يلقحهُ قوم وتنتجونهُ

وكانت الغزاة لا يلازمون للغزو جهة واحدة بدليل قول عروة

فيوماً على نجد وغارات اهلها ويوماً بارض ذات شث وعرعرِ (١)

٢ً الاتجار

ومن اسباب المعاش عندهم الاتجار قال الاسود بن يعفر

حتى تناولها صهباء صافية يرشو التجار عليها والتراجما

وهذا دليل ان العرب كانوا يخالطون سواهم من الامم ويقصدونهم الى بلادهم فيبيعونهم

(١) الشث شجر والعرعر شجر آخر هو السرو

ويبتاعون منهم ويحتاجون الى التراجم للتفاهم بين الفريقين . وقد جاء النصُّ بالتجارة صريحاً في قول لبيد بن ربيعة العامري

حسبت التقى والجود خير تجارة رباحاً اذا ما المرء اصبح ثاقلا[٢]

وكانت تجارتهم في الماشية والملابس والخمر والسلاح والحبوب والرقيق. وقد سبق لنا ايراد الشواهد المحققة انهم كانوا يستجلبون بعض ملابسهم من انطاكية ومصر وفارس فضلاً عمّا كان ينسج في اليمن والعراق من الوصائل والبرود

واما الخمر فنها ما كانوا يجتلبونهُ من اندرين . قال عمرو بن كلثوم التغلبي

ألاَ هبي بصحنكِ فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا

واندرين لم تزل آهلة حتى الآن وموقعها في لواء مرعش من ولاية حلب وهي الآن قصبة قضاء يُعرَف باسمها . ومنها ما كان يجتلب من بصرى وهي قرية من حوران قال النابغة الذبياني

كأن مشعشعاً من خمر بصرى نمتهُ البخت مشدود الختام

نمين قلالهُ من بيت راسٍ الى لقمانَ في سوق مقامِ

وهذا القول يدل على انهُ كان للخمرة سوق مخصصة بها

ومنها ما يستجلب من بيسان قال حسان بن ثابت

من خمر بيسان تخيَّرتها درياقة توشك فتر العظامْ

ومنها ما يستجلب من بابل قال الاعشى

وسبيئة مما تعتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها[٣]

وقال عبيد بن الابرص

ظلتُ بها كأنني شارب صهباء مما عتقت بابلُ

ومنها ما كان يجتلب من خص وهي بلد في الشام قال امرؤُ القيس

كأن التجار اصعدوا بسبيئة من الخص حتى انزلوها على يسر[٤]

ومنها ما كان يجتلب من شبام وهو موضع بالشام ومنهُ ما كان يجتلب من عانة وهي قرية على الفرات فوق هيت التي ذكرها المعري في قولهِ "هات الحديث عن الزوراء او هيتا" قال امرؤُ القيس

انف كلون دم الغزال معتق من خمر عانة او كروم شبامِ

ومن اذرعات وهي قرية في حوران ووادي جدَر وهي موضع بالشام قال ابو ذوئب .

(٢) ثقل المريض اذا اشتد مرضهُ (٣) السبيئة الخمرة (٤) بلد في اليمن قطنه امرؤُ القيس

فما ان رحيق سبتها التجا رُ من اذرعات فوادي جدر

اما للبيع فكانوا يقصدون مكة واسواقاً يقيمونها لهذه الغاية . ومن الادلة على ذلك قول مخاب الهلالي

وجدتُ لها وجد الذي ضل نصه بمكة يوماً والرفاق نزولُ(٥)

الى ان يقول

فبيناه يشري رحله قال قائل لمن جمل رخو الملاط ذلول(٦)

وقال قيس بن زهير ملك بني عبس

ألم يأتيك والانباء تنمي بما لاقت قلوص بني زياد(٧)

ومحبسها على القرشي تشرى بادراع واسياف حداد

وفي قوله دليل اشتراء السلاح بالابل في مكة لأن بني قريش هم سكان مكة .

وقال النابغة الذبياني

كادت تساقطني رحلي وميثرتي بذي المجاز ولم تحسس به نغما(٨)

من صوت حرمية قال وقد ظعنوا هل في مخفكم من يشتري أدما(٩)

قلتُ لها وهي تسعى تحت لبتها لاتحطمنك ان البين قد رزما(١٠)

باتت ثلاث ليالٍ ثم واحدة بذي المجاز تراعي منزلاً زيما(١) .

فدلَّ قوله على ان ذا المجاز موضع للبيع بقرب مكة وان العرب كانوا يقيمون سوقهُ اربعة ايام متواصلة

وكانوا يأتون بالبضائع ضمن نطع من جلد ذي سيور تحزَم به قال النابغة الذبياني

على ظهر مبناة جديد سيورها يطيف بها وسط اللطيمة بائع(٢)

واللطيمة سوق على ما ذهب اليه ابو عمرو كذا في شرح ديوان النابغة . واما لسان العرب فينسب هذا القول الى الليث . وقال ثعلب انهُ انشد ابن الاعرابي لماهان بن كعب بن عمرو ابن سعد قولهُ

اذا اصطكت بضيق حُجْرتاها تلاقى العسجديةُ واللطيمُ

---

(٥) المهزول من الابل (٦) الملاط جانبا السنام و يشري يبيع (٧) القلوص من الابل الشامية

(٨) الميثرة السرج وذو المجاز احد مواسم العرب الخمسة وهي ذو المجاز والمجنة ومنى وعكاظ وحنين

(٩) حرمية منسوبة الى الحرم والادم الجلد (١٠) اللبة الصدر (١) زيما اي ذا فرق

(٢) المبناة النطع وهو بساط من جلد

فقال : المسجدية ابل منسوبة الى سوقٍ يكون فيها المسجد . فاذن كان للذهب سوقٌ يباع بها على رؤوس الاشهاد وكذلك كان للطيمة

ويمكننا الاستدلال على شأن التجارة عند العرب من ماجرياتهم التجارية فمن ذلك

(الاستبضاع) من ارضٍ الى اخرى قال خارجة بن ضرار المري

وانك واستبضاعك الشعر نحونا كمستبضع تمرًا الى ارض خيبرا

(والمداينة) قال عنترة العبسي

اذا خصمي تقاضاني بدَينٍ وفيتُ الدينَ بالرمح الرديني

واوضح من ذلك ما جاء في شعر ابي ذؤيب الهذلي وهو قولهُ

ادان وأنبأَهُ الأَوَّلون بأَنَّ المدين مليٌّ وفيٌّ .

وقال معن بن أوس

اخذتُ بعين المال حتى نهكتهُ وبالدين حتى ما اكاد أُدانُ

وحتى سأَلتُ القرضَ عند ذوي الغنى وردَّ فلانٌ حاجتي وفلانُ

وقالت امرأَة ابن مية وهو جار للزبرقان قتل في جوارهِ

اجيران ابن ميَّة اخبروني أَعَينٌ لابن مية ام ضمارُ

والعين النقد والضمار الدين الذي لا يرجى وفاؤُهُ . وقال الراعي

وأَنضاء أَنخنَ الى سعيد طروقًا ثم عجَّلن ابتكارا

حمدنَ مزارهُ فأَصبنَ منهُ عطاءً لم يكن عدةً ضمارا

(والاستقالة) وهي الرجوع في المبيع قال بعض عوف بن سعد "بيع امرىءٍ ليس بمستقيل"

(والدلالة) قال عنترة العبسي

حصاني كان دلاَّل المنايا فخاض غبارها وشرى وباعا

(والتقسيط) وهو دفع الاثمان قسوطًا في اوقات معينة ويسمَّى التنجيم ايضًا قال زهير بن ابي سلمى المزني

تعفَّى الكلام بالمئين فاصبحت ينجِّمها من ليس فيها بمجرمِ

ينجمها قوم لقوم غرامةً ولم يهرقوا ما بينهم ملء محجمِ

(والرهن) قال زهير بن ابي سلمى

وفارقتك برهنٍ لا فكاك لهُ يوم الوداعِ فامسى رهنُها غلقا

وقال قعنب بن ام صاحب

بانت سليمى فالنسي دونها عدنُ ... وغلقت عندها من قبلك الرُّهُنُ

واستعمالهم (الوزن والمكايلة) دليل اتجارهم بالحبوب وسواها قال زهير بن ابي سلمى

لو يعدلون بوزن او مكايلة ... مالوا برضوى ولم يعدل بهم أحدُ

وقال الاخطل التغلبي

واذا وضعت اباك في ميزانهم ... رجحوا وشال ابوك في الميزانِ

ولا يخفى ان بعض لجان البلديات في عصرنا الحاضر تضع مكساً على ما يؤتى به الى الاسواق ليباع والحكومات ايضاً تضع مكساً على ما يرد اليها من الخارج او ما تنشئهُ معاملها وكأني بملوك العراق قد ادركوا ذلك فضربوا على الاسواق اتاوة كانوا يتقاضونها من المتبايعين بواسطة اتباع لهم قال جابر بن حني التغلبي

افي كل اسواق العراق اتاوة ... وفي كلّ ما باع امروءٌ مكسُ درهمِ

الا ينتهي عنا ملوك وتتقي ... محارمنا لا يبوءِ الدمُ بالدمِ

تعاطى الملوك السلم ما قصدوا بنا ... وليس علينا قتلهم بمحرَّمِ (٣)

ولم تكتفِ الملوك بوضع الاتاوة على الاسواق فقد وضعوها على المراعي قال خراش ابن زهير

فاني دليل غير معطٍ اتاوة ... على نعم ترعى حوالاً وأجربا (٤)

٣. القيام على الماشية

ومن معايش العرب القيام على الماشية كالابل والشاء والماعز قال امرؤ القيس في المعزى

ألا إلاَّ تكن ابلاً فمعزى ... كأنَّ قرون جلّتها عصيُّ

فتملاُ بيتنا اقطاً وسمناً ... وحسبك من غنى شبعٌ وريُّ

والاقط مثلث الاول الجبن المتخذ من اللبن الحامض . وقال عمرو بن كلثوم التغلبي في الابل

فما ابقت الايام ملمال عندنا ... سوى جذم اذواد محذقة النسلِ (٥)

ثلاثة اثلاث فاثمان خيلنا ... واقواتنا وما نسوق الى القتلِ

---

(٣) ما قصدوا ما عدلوا . وفي البيت إخلال بحذف ما يجب اثباته لتمام المعنى اي وليس علينا قتلهم بجرم اذا لم يقصدوا بنا خير من هذا الباب كقول الحارث بن حلزة اليشكري

والعيش خير في ظلا ... ل الجهل ممن عاش كدّاً

اي عاش كدّاً في ظلال العقل

(٤) حوال واجرب محلان

(٥) ملمال اي من المال وجذم الشيء اصله والاذواد جمع ذود من ثلاث الى الثلاثين

وفي البيت الثاني شاهد على بحث آخر وهو ان قبائل البدو كانوا يستجلبون الحبوب من الحضريين . قال المتلمس

آليتَ حبَّ العراق الدهرَ اطعمهُ والحبُّ يأكلهُ في القرية السوسُ (٦)

لم تدرِ بصرى بما آليت من قسمٍ ولا دمشق اذا ديس الكراديس (٧)

والبيتان في خطاب عمرو بن هند احد ملوك اللخميين (المناذرة) وكان عمرو قد اقسم انهُ لا يدع المتلمس يذوق حبَّ العراق اي قمح العراق . فاخبرهُ الشاعر عن قمح حوران وقمح دمشق . ومن هنا نستنتج ان البدو كانوا يجتلبون القمح من القطرين العراقي والشامي

ولنعد الى بحثنا الاول فنقول : لم يكن كل العرب في غنى وسعة فيقتنوا الاماء والعبيد لخدمة البيوت والماشية فكان بعضهم يخدمون انفسهم وبعضهم يستخدمون وبعضهم يخدمون سواهم من ذوي السعة . قال الفرزدق يذكر جريرًا باستخدام انسبائهِ عند ابائهِ (اي اباء الفرزدق)

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت عليَّ عشاري

وقال سليك بن سلكه

اشاب الرأس مني كل يوم ارى لي خالة وسط الرحالِ

يشقُّ عليَّ ان يلقين ضيمًا ويقصر عن تخلُّصهنَّ مالي

وقال الاخطل يذكر جريرًا برعيهِ الشاء

فانعقْ بضأنك يا جرير فانما منَّتك نفسك في الخلاء ضُلالا

٤ً الصنائع

ومن اسباب المعاش عندهم احتراف الصنائع ولم يكن ذلك مما يمدحونهُ فان اشرافهم كانوا لا يرون مهنة الاَّ الغزو والسلب والنكاية بالعدو او الاقتصاص منهُ كما صرَّح دريد بن الصمَّة في قولهِ

يُغار علينا واترين فيشتفى بنا ان أُصبنا او نغير على وترِ

بذاك قسمنا الدهر شطرين بيننا فما ينقضي الاَّ ونحن على شطرِ

اي انهم تارة يغيرون وطورًا يغار عليهم فما يتفرَّغون من الغزو الاَّ لدفع العدو

ولكن قد ورد في الشعر ما دلَّ على ان بعضهم كانوا يمتهنون الحرف فمن حرفهم (النساجة) ودليلنا ما ذكرهُ ذو الاصبع العدواني

(٦) اطعمهُ اي لا اطعمهُ والمراد بالحب هنا البرُّ اي القمح

(٧) الكراديس جمع كردوس وهي القطعة العظيمة

يرى برفل في بردين من ابراد نجرانا

وكان العراقيون معروفين بالنساجة كما اوردنا لربيعة بن مقروم

على الاحداج واستشعرن ريطا عراقيًّا وقسيًّا مصونا

وكما قال عمرو بن كلثوم التغلبي " من باخورنق من قين ونسّاج "

واشار دريد بن الصمة الى صناعة الحياكة بقوله

فجئت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدد [٨]

وكانت النساء ايضاً يشتغلن بالنساجة وقد ورد في شواهد لسان العرب

وعليه الحمي نسجة من نسج هورم
غزلته ام حتى كل يوم وزن درهم

وقال سحيم عبد بني الحسحاس

فاصبحت الثيران غرقى واصبحت نساء تميم يلتقطن الصياصيا

فقد ذهب الى ان رجال تميم نسّاجون فنساؤهم يلتقطن لهم الصياصي ليحفزوا بها الغزل . ولم تكن الحياكة مقتصرة على الملابس فقد اشتهرت الحيرة بحياكة الطنافس وطنافسها تسمى رحالاً قال الاعشى

ومصاب غادية كأن تجارها نشرت عليه برودها ورحالها [٩]

وقد سفّوا [١٠] خوص بعض الاشجار كالدوم قال تميم بن مقبل

اذا الامعز المحزوّ آض كأنه من الحرّ في حد الظهيرة مسطح [١]

اما نساؤهم فكنّ ينسجن البرود كما تقدم الشاهد . والنمارق والبسط قال ذو الرمة

وبالروض مكنان كأن حديقة زرابيّ وشّتها اكفّ الصوانع [٢]

والحصر . قال النابغة الذبياني

كأنّ مجرّ الرامسات ذيولها عليه حصير نمّقته الصوانع

وكنّ يغزلن الصوف . قال النابغة ايضاً

وعرّيت من مال وخير جمعته كما عرّيت مما تمرّ المغازل

(٨) الصياصي جمع صيصة وهي شوكة الحائك التي يسوي بها السدى
(٩) الرحل الطنافس الحيرية (١٠) سفوا نسجوا . الخوص ورق بعض الاشجار
(١) المحزو المزحور آض آب والمسطح حصير يسف من خوص الدوم
(٢) المكنان من بقول الربيع الزرابي جمع زربية وهي الطنفسة المخملة او البساط الفاخر والبساط قد يكون من ورق السمر

ومن حرفهم (الصياغة) قال الاعشى

بكأس وابريق كأنَّ شرابها اذا صبَّ في انسجاة خالط بقَّا (٣)

والبقَّم صباغ معروف وهو العندم . وقال العجاج

بطعنة نجلاء فيها أُلمه يجيش ما بين تراقيه دمة كرجل الصبَّاغ جاش بقمة

ومن حرفهم (الدباغة) قال ذو الرمَّة

ما بال عينيك منها الدمع ينسكبُ كأنهُ من كلى مغرية سربُ

وفراء غرفية اثأى خوارزها مشلشل ضيَّعتهُ بينها الكتبُ

والمغربة المزادة والوفراء الضخمة والغرفية المدبوغة بالغرف . قال ابو عمرو هو الارطى مع التمر والملح يُدبَغ بهِ. وكان لهم بالجلود عناية واشتغال فضلاً عن الدباغة قال القطامي

ولكنَّ الاديم اذا تفرى بلى وتعيُّبًا غلب الصناعا (٤)

ومن حرفهم (النجارة) وقد ذكر الراعي عمل الهوادج بقولهِ

يخيَّلن من أُثل الوريعة واتحى لها القين يعقوب بفأسٍ ومبرَدِ (٥)

وقد نسب امرؤُ القيس الى حمير عمل الحقاق (وهي اوعية من خشب) حيث قال

وريح سنا في حُقة حميرية تخص بمفروك من المسك اذفرا

وكانوا يتخذون التروس من الخشب قال النابغة الجعدي

لُطِمنَ بترس شديد الصفا ق من خشب الجوز لم يثقبِ

وهذا دليل اشتغالهم بالنجارة. وجاء ذكر بعض ادوات النجارة في شعرهم قال خداش بن زهير

يجدون اقرانهم في كل معترك طعنًا وضربا كشق بالمناشير

ومن حرفهم (الحدادة) قال عمرو بن كلثوم التغلبي

اذ لا ترجي سليمى ان يكون لها من بالخورنق من قين ونساجِ

وقال النابغة الذبياني في صفة ثور وحشي

مولي الريح رَوقيهِ وجبهتهُ كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما (٦)

والهبرقي الحداد وادلُّ من ذلك قولهُ

وكل صموت نثلة تبعية ونسج سليم كل قمصاء ذائل (٧)

(٣) كذا رواية البيت في معجم لسان العرب مادة بقم وقد فسر انسجاة الجرنة من خشب (؟)

(٤) تفرى انشق. الصناع الحاذق في الصنعة (٥) الوريعة محل . القين الحداد ويطلق ايضًا على كل صانع وهو هنا من ذلك (٦) روقيه قرنيه (٧) النثلة الدرع

والقمصاء الدرع والذائل ذو الذيل (وقمصاء ذائل على الاضافة) فنسبة نسج الدرع الى سليم دلالة على انهم يعرفون الحدادة . ولنا من هنا ان نستخلص ان الثلة الصموت وهي الدرع المسبوكة وان القمصاء ذات الحلق كما يقرر ذلك المعجم. واحتراف عمل الاولى كان معروفًا في اليمن واحتراف عمل الثانية كان في بني سليم. واشار امية بن خلف الى معرفة اليمنيين بالحدادة في قوله

يمانيًا يظل يشد كيرًا — وينفخ دائمًا لهب الشواظ

وذكر لسان العرب ان ابن الكلبي قال . " اول من عمل الحديد من العرب الهالك بن عمرو بن اسد بن خزيمة وكان حدادًا نُسب اليهِ الحداد فقيل الهالكيّ ولذلك قيل لبني اسد القيون وقال لبيد

جُنوحَ الهالكي على يديهِ — مكبًّا يجتلي نُقَب النصالِ "

والسيوف المشرفية منسوبة الى مشارف قرى من ارض اليمن تعمل اهلها السيوف

ومن صنائعهم (استخراج المعادن) وقد جاء في تفسير قول عمرو بن قعّاس المرادي

الا رجلاً جزاهُ الله خيرًا — يدلُّ على محصّلة تبيتُ (٨)

ان المحصلة هي التي تحصل تراب المعادن . والتحصيل هو استخراج الذهب من حجر المعدن . وقال ربيعة بن مقروم

هجان الحيّ كالذهب المصفّى — صبيحة ديمةٍ يجنيهِ جانِ

قال شارح ديوان الحماسة عند تفسيرهِ هذا البيت : ان معدن الذهب بناحية اليمن اذا اشتد المطر عليهِ جلاهُ فصار لهُ بريق يُرى من بعيد وينزل على ما تمسهِ لقطهُ

ومن صنائعهم (الغياصة) وقد وصف الاعشى الغوص بقصيدة طويلة تعدُّ من بدائع نظامهِ منها

كجُمانة البحريّ جاء بها — غوّاصها من لجة البحرِ

نصف النهار الماءُ غامرهُ — ورفيقهُ بالغيب لا يدري

وهذه الحرفة لا تكون الاَّ لأمة تركب البحار ولامة العربيَّة قد استعملت السفن بدليل قول عمرو بن كلثوم التغلبي

ملأنا البرّ حتى ضاق عنا — كذاك البحر نملاهُ سفينا

امين ظاهر خير الله

---

(٨) من شك في البيت فليراجع الصفحة ٤٦٠ من الجزء الاول من كتاب خزانة الادب للبغدادي وصفحة ٦٦ من حاشية الامير على الجزء الاول من مغني اللبيب

ناموس النشوء في تقدم العمران

قد انتهى بنا الكلام الى النظر العام في ناموس التقدم الاجتماعي على ما استخرجناهُ من مجرى الوقائع التاريخية وايدتهُ حقائق علم الحياة . وقد ظهر لنا في خلال البحث صحة القضية السابقة وهي ان التقدم في كلا الدائرتين الاجتماعية والحيوية جارٍ على طريقة التلاؤم والتوازن بين الحالة الداخلية وبين المحيط . فتعيَّن علينا بعد ذلك النظر الخاص في مسألتين الاولى وجوه المطابقة والمشابهة بين النشوئين الاجتماعي والحيوي والثانية الوجوه التي يختلفان فيها

اولاً ان النشوئين كليهما يتفقان في ناموس النشوء الكوني الشامل الذي استخرجهُ الفيلسوف سبنسر وهو ان التقدم يقوم بادئ ذي بدء بامرين وهما اجتماع طوائف قليلة بسيطة التركيب وانضمامها قبائل اوسع حدوداً واكثر تركيباً في وظائفها وعلائقها ثم التدرج في زوال المبادئ الاخلاقية المائلة الى التفرق والانفصال مع تغلب المبادئ الآيلة الى الانضمام والتلاحم

ثانياً ان النشوئين كليهما يشتركان في ان ارتقاء البسيط الى المركب يقوم بالتقدم من الصور المتماثلة المطلقة الحدود الى الصور المختلفة المحددة البناء والوظيفة

وقد اوضح ذلك العلاَّمة السر هنري ماين في بحثهِ الاجتماعي بقولهِ ان العائلة في ازمان التاريخ الاولى كانت هي مركز العقد الاجتماعي لا الفرد كما هي اليوم . وكان رئيس كل عائلة في منزلة ملك مستقل على وجه بسيط يجمع في شخصهِ وظائف الملك والكاهن والقاضي ومجلس القضاء . ومع ذلك لم يكن ممتازاً عن اولادهِ وزوجاتهِ وامثالهِ من رعيتهِ في القيام باعمال المعاش كالحفر والنجارة والحياكة وما شاكل ذلك . كذلك كان حال الصناعة في امر البساطة والتماثل . ففي القبيلة المتوحشة كانت دوائر الاعمال ضيقة الحدود بحيث كان الفرد يقوم بنفسهِ بكثير من الصنائع . فكان كل رجل قصاباً وخبازاً وخياطاً ونجاراً وحداداً . ثم في صعود العشيرة في سلَّم التقدم اخذت الاعمال بالتوزُّع فالتنوُّع فالاستقلال فالاستكمال . فانهُ يظهر لكل ذي المام من طلبة التاريخ انهُ مع تقدم التمدُّن لم يكن اختلاف الاعمال مقصوراً على امر توزُّعها بين العمَّال الكثيرين بل كان شاملاً لطرق العمل واساليبهِ وادواتهِ ويتضح من المقابلة بين ادوات القرون الوسطى وآلات العصور الحديثة ان الفارق العام بين الفريقين انما هو التقدم باختلاف الانواع والاشكال والصور وتعيُّن الحدود الفاصلة بين المتماثلات . فكل من عارض الآلة البخارية العصرية بالبكرات والبراغي والاثقال وما شاكلها على ما كانت عليهِ لالف عام تبيَّن لهُ ان تجدُّد الاغراض والحاجات الى مصنوعات جديدة انشأ الاختلافات في اسلوب الصناعة

وادواتها. ولا تبرح هذه الاختلافات وتلك الحاجات المتعاقبة رهينة الظهور والتجدُّد يوماً بعد يوم الى ان تبلغ الحضارة اوجها الاعلى ان قُدِّر لها هذا البلوغ

واسلوب هذا التقدم يتجلى ايضاً في تفرُّع دوائر الاحكام والقضاء وتنوُّعها . فلنا من لسان التاريخ اصرح بيان انهُ حين حصول تنوُّع في حكم القبيل كانت بعض العيال ترتقي منفردةً بالسلطة والسيادة وغيرها ينحطُّ الى طبقة السوقة والرعيَّة. ثم كان الترقي السياسي يصعد متدرجاً من انضمام العيال قبائل الى تكوُّن القبائل المتجاورة شعباً الى اتحاد الشعوب المتناسبة وانضوائها تحت لواء واحد سياسي على ما يشاهد في الايام المتأخرة . ويتلو هذا التقدُّم السياسي التقدم القضائي فقد انقسمت الهيئة الحاكمة اولاً الى سلطة زمنيَّة وسلطة روحيَّة وبجانب كل من هذين القسمين كان ينشأ على وجهٍ غير محسوسٍ سلطة ثالثة تتولى النظر في الامور الاهلية والاجتماعيَّة مما لا تقلُّ اهميتهُ عن تلك وان قلَّت عنها في احكام النظام واجراء القضاء

ثم نرى التقدم واضحاً ايضاً في تنوع الاحكام الدينية والمدنيَّة من المقابلة بين الكهنوت التاريخي القديم وبين الكهنوت في القرون الوسطى بما حدث في هذا الاخير من وفرة تفرُّع الوظائف وتوزعها . وكذا قُلْ في ما نشأ من انقسام الاحكام الزمنيَّة الى دوائر تشريعية وتنفيذيَّة وقضائية . وانقسام كل من هذه الاقسام الاصلية الى اقسام فرعية يطول بيانها . وحاصل القول ان التقدم الاجتماعي في امور الاحكام لم يحِدْ عن حدّ الناموس العامّ اي تفرُّع فتنوُّع فاستقلال فاستكمال. او نشوء من بسيطٍ متماثل الصور متداخل الحدود الى مركَّب مختلف الاشكال متميز الحدود

ثم ان اسلوب الارتقاء الاجتماعيّ لا ينحصر في ما ذكر من امر التفرُّع والتنوُّع وتكامل الانواع بل انهُ بينما هو يسير على هذا السبيل يزداد معهُ استعداد الامة لمطابقة الحاجات الطارئة القاضية عليها بدوام التقدم والارتقاء . وهذه المطابقة تشاهد في ارتقاء الامة العلمي والفكري. والادبي كما يرى في دوائر الزراعة والصناعة والتجارة . فان عقليات الامة ومدركاتها تلاحق مقتضيات احوالها الخارجية خطوةً خطوةً وكذلك التقدم الادبي في اسمى درجاتهِ فانهُ ليس الاَّ مطابقة رغائب الفرد للمطالب الصادرة من رغائب افراد جيرتهِ وقبيلتهِ الناشئة مع رغائبهِ المشاركة لها في زمان الوجود

من هذه الوجوه رأينا تمام الوفاق بين تقدم الاجتماع وارتقاء الاحياء الى حدّ كان خافياً على قدماء الباحثين في المقابلة بين القبيلين من زمن افلاطون الى عهدٍ غيرِ بعيد فنتقدم الآن الى مزيد البيان في العلاقة بين الامة والمحيط مما يلذُّ دارس التاريخ لذةً لم ينلها في سرد

الوقائع ويلقي في نفسه بها اثراً لم تكتحل عينا بمرآه في اسفار الاخبار .

قد رأينا ان اسلوب التقدم ذو وجهين وهما اشتقاق الانواع من الاجناس البسيطة واستعدادها لمطابقة المحيط المرتقي . ويعبَّر عنهما بقولنا ان تنوُّع احوال الشدائد هو علة التقدم الاجتماعي ومقياسهُ . ومن ذلك يستدلُّ على زيادة السرعة في تقدُّم التمدن الحديث عليها في القديم . قال السر تشارلس ليل "انَّا نرى في ايامنا ان معدَّل التقدُّم في الصنائع والفنون يزيد بزيادة المعارف على نسبة هندسية . وكذلك اذا رجعنا القهقرى تاريخيًّا نرى معدَّل التأخر على تلك النسبة ايضاً . فالتقدم في اثناء الف سنة في الازمنة السالفة يقابل تقدم قرنٍ واحد من القرون الحديثة . . . ."

وبيانهُ انهُ كلما ارتقى الحيّ في كثرة انواعهِ وتفرُّع ونتائجها قوي استعدادهُ لموازنة المحيط المرتقي وازداد معدَّل سرعتهِ فيها . وتاريخ التقدُّم الاجتماعي ينطبق على هذه القاعدة تمام الانطباق . ففي اوائل التاريخ البشري كان محيطهُ على شدة البساطة لبساطة الاحوال البدائية . ولما كان تمازج الشعب على قلتهِ في هاتيك الازمان لم يكن اقتباس العوائد والافكار المتبادل الَّا قليلاً . فكان توسط التقدم لذلك على اشدّ البساطة . ولكنهُ لما كان التمازج في محيط الامم الحديثة اسرع معدَّل لحاقها لهذا المحيط حفظاً للنواميس السابق ذكرها . فاليوناني القديم مثلاً لم يكن مديونا في تقدمهِ لاختراع في بلاد الصين ولا استفادت فلسفتهُ شيئاً من افكار اهل الهند واما في هذه الازمنة المتأخرة فلا يكاد حادث ما يحدث في طرفٍ من اطراف المعمور حتى يذيع امرهُ ويلحق صداهُ سائر الاطراف ويؤثر في محيطاتها الاجتماعية . واذا ترى الآن ان محيط اوربا المادّي الحديث ممتد التأثير الى قسم عظيم من الارض . واما محيطها الاخلاقي فاوسع انتشاراً وامتداداً حتى يوشك ان لا يعرف له حدٌّ يوقف عندهُ . وكذلك ارتقاء محيطها هي (اي اوربا) لا يخلو من كونهِ مديونًا لمحدثات محيط اميركا المتعددة الجهات بل ان كثيرًا من المقاصد والتدابير التي يعزم الاوربي على اتخاذها للاعوام المستقبلة مبنيَّة على تأثير المحيط السابق لقرون عديدة . وعلى هذا الوجه يوضح التأثير العجيب الناشىء عن الحوادث التاريخيَّة السالفة في ارتقاء التمدُّن بواسطة تمازج الأمم المتباعدة البقاع المتباينة الاخلاق والطباع . وحسبنُا شاهدًا على ذلك حروب الاسكندر وامتداد المملكة الرومانيَّة والفتح الاسلامي والحروب الصليبيَّة وسفرات كولمبس ومجلاَّن ودي غاما . ومما يلحق بذلك اختراع الطباعة وسرعة تواصل الافكار والآراء بازدياد سرعة المواصلات وما نشأ عن ذلك من ارتقاء المدنيَّة والحضارة بفضل الكهربائيَّة والبخار

قد ثبت لنا من تطبيق ما مرَّ من المبادىء المستخرجة على مجرى الحوادث التاريخيَّة العام امران الاول ان تنوُّع المحيط الاجتماعي هو الباعث على ملاحقة الامة لهُ في الاخلاقيات والعقليات . والثاني ان علة تنوع هذا المحيط هي ازدياد الاختلاط والامتزاج بين الأُمم التي كان شأنها الافتراق والانفراد . وذلك يمهّد لنا السبيل لشيءٍ من التفصيل في اسلوب الازدياد في هذا الاختلاط المتبادل مبنيٌّ على المشابهة بين حياة الاحياء وحياة الاجتماع. وهذه المشابهة بين الحياتين هي الضالَّة المنشودة والغرض الاقصى الذي نرمي اليهِ في هذا البحث

اول امرٍ تنبغي ملاحظتهُ في هذا الشأن هو ان الأحياء الدنيا او ما يليها ليست الاَّ حُوَيصلات بسيطة فقد اوضح اهل العلم من تشريح المقابلة ان التقدم التشريحي في مملكتي الحيوان والنّبات يقوم اولاً بانضمام هذه الحويصلات البسيطة الى مجتمعات اعلى بناءً وتركيباً

وهذه القاعدة هي نفس ما يثبت تاريخ التقدُّم الاجتماعي بلا تخلف ولا شذوذ . واوضح دليل عليهِ ما ثبت للسر هنري ماين في ابحاثهِ عن آراء القدماء في المُلْك وصكوك المبايعات وحجج الوصيَّة المتوارثة وشرائع العقاب قال

"لم تكن الامة في قديم العصور كما هي اليوم اي عبارةً عن آحاد مستقلَّة الحقوق الشخصية انما كانت في حقيقة الامر مجموعاتٍ من العيال . واذا رمنا التحقيق في ايضاح الفرق عبَّرنا عنهُ بقولنا ان فرد ذلك المجموع كان عند الامم القديمة العائلة وهو اليوم الشخص الواحد . وفوق ذلك فان حكومة العائلة لم تكن تحظر استقلال الفرد فقط بحقوقهِ الشخصية بل كانت تمنع ايضاً سيادة الجمهور . فالحكم الوحيد كان رئيس العائلة وسيّدها . وبعد ان خطا العمران بعض الخطوات جعلت العيال المتجانسة نسباً تتحد فتصير قبائل اوعشائر اذ لم تكن الجامعة لذلك العهد سوى القرابة الدمويَّة . ثم لما تجاوز العمران هذه المرحلة اتَّسع نطاق هذه الرابطة فاخذ أدعياء هذه القربى ينضمُّون الى العشيرة بما كانوا يدَّعون من اتصال النسب بسالف الاجداد . وان المطالع ليجد أمثلةً لهذه الحال الاجتماعيَّة في انحاء مختلفةٍ من الارض ولا يزال يشاهدها في القبائل المتوحشة الباقية الى هذا العهد"

فمن هذا يظهر ان اساليب النموّ والتكامل واحد جوهريًّا في ارتقاء الاحياء وتقدُّم العمران . فالدرجة الاولى الواضحة في تكوُّن الامم هي انضمام العشيرة او القبيل ويقابلهُ انضمام افراد الحيوانات الدنيا في مجموعات تزيد عنها بخصائص قليلة في البناء والوظيفة . ففي هذه الدرجة لا يبعد التركيب الاجتماعي الاَّ خطوةً واحدةً عن حال الاستبداد والتشويش الذي كان صفةً عامَّةً في حياة المتوحشين. فالتخوُّف والضغائن والاحقاد والمكايد والانتقام كانت خصائص

العلائق المتبادلة بين الناس في الدور الاول لاجتماعهم اي ان روح الوداد كانت القاعدة المطردة والسلام شذوذاً عنها وفقاً لما سبق بيانهُ في بعض اقسام هذه المقالة من ان محبة الذات كانت العنصر المتفوّق الغالب على المبدإ المقرّب الجامع

واما الدور الثاني في تقدم هذا الاجتماع فكان انضمام القبائل الى شعوب مدنيّة اوسياسيّة وقد طال أمد هذا الدور الاجتماعي ولم تزل آثارهُ في امتي اليونان والرومان حتى محاها التنوُّع والعلائق الداخلية وتكاثر الوظائف وتوزعها على ما علمت مما نشأ من تكامل تلك الفروع كما يعهد في شركات الاجيال المتوسطة ويشاهد على اتمهِ في شركات هذا العصر الصناعيَّة التي هي من اشهر مميزاتهِ

ثم ارتقت هذه الحال الاجتماعية الى درجة ثالثة وهي اتحاد الشعوب المتقاربة اتحاداً سياسيَّاً ومثالهُ اتحاد الامة الفرنساوية بعد ان كانت مجموع مقاطعات مستقلة . وهذه الخطوة الثالثة ضرورية في شوط التقدم الاجتماعي المستمرّ . فقد اشرنا في خلال كلامنا السابق الى ان التعجُّل في اطراح مبدإ الاستقلال النوعي واتخاذ مبدإ الحكومة الشعبيَّة العامة قبل اتمام التهيؤ لهُ كان يقضي على الامم باضطراب الحال . ونزيد هنا شاهداً على ذلك من تاريخ اليونان فانهُ لما حاولت المدن البحرية ذلك الاتحاد العام تحت رئاسة اثينا لم يتسنَّ لها إبرامهُ بما اعترضهُ من الحروب البيلوبونيسيَّة دلالةً على ان مبدأ الحكم الذاتي كان لا يزال الى ذلك العهد مستحكماً في نفوس القبائل وان روح التمدن الجامع للامة لم يكن بعد بالغاً طور القوة والنماء وكان اول ما ظهر من آثار هذا الطور في امة الرومان ذلك ان رومية جمعت جميع القبائل المتفرقة على حدود بحر الروم تحت لواء الوطنيَّة الجامعة وبمنحها الامتيازات الرومانية تمت لها الغلبة الاخيرة على روح الاستقلال النوعي حتى اخمدت انفاسهُ ولم يستطع بعد ذلك حراكاً

ثم اخذ عنصر الوطنية الجامعة يتدرَّج في معارج القوَّة والاستعداد بما رافقهُ من تنوُّع النمو الداخلي المار الذكر حتى بلغ من النماء طوراً كان من اعظم الممهدات في سبيل انتشار الديانة المسيحيَّة على ما مرَّ بك فما لا مشاحة فيهِ ان العقل البشري لم يكن يحلم بامكان انتشار ديانة عامَّة بين الامم فضلاً عن الاقدام عليهِ لو لم تكن حال الاجتماع السياسية حينئذٍ قد اذنت بانقضاء مبدإ التفرُّق واعدَّت السبيل لدخول مبدإ الانضمام والاتحاد العام تحت لواء الامبراطورية . ولو ان المسيحية ظهرت لاربعة قرون قبل ايامها لكانت بمثابة طريقة اصلاحية منحصرة المكان كديانة البوذيين وكان طموحها الى ما وراء ذلك من ضروب العبث والمحال لوقوع دعوتها حينئذٍ على آذان غير مستعدَّة وقلوب غير معدَّة . ولو ان بولس قام قبل عصرهِ

وزار اثينا في ايام افلاطون وديوجنس لما أغنت بلاغةُ اليونانية ولا قريحةُ الشرقية فتيلاً . ولكن مبدأ الوطنية الجامعة الذي خلَّفهُ التمدن الروماني لعهد المسيحية هو الذي اعدَّتهُ العناية الفائقة سبيلاً لانتشار كلمتها وقدَّمتهُ رائداً امام دعوتها . فعلى اساس ذاك المبدإِ الشريف أقامت مبدأ الاشتراك العام في الحقوق والواجبات بدلاً من مبدإِ الاختصاص والاستئثار والامتياز الشعبي. وبفضل هذا المبدإِ قام على خرائب الوثنية ذاك النظام الديني الباهر الذي خوَّل الكنيسة المسيحية ان تلقَّب بلقب الكنيسة الجامعة . هذا هو النظام الانساني الذي نشأ ودرج وترعرع وترقى في مراقي النموّ والكمال حتى بلغ ما هو عليهِ اليوم. فبعد ان كانت مصالح الخلق في هاتيك العصور الغابرة تجتمع في دائرة ضيقة الحدود هي القبيلة جعلت تمتد الى ممالك فسيحة الارجاء متباعدة الاطراف واصبحت طرق الحديد وسفن البخار واسلاك البرق تقرب المواصلات وتشدُّ اواخي الوفاق والاخاء "وتجعل المصلحة الذاتية عقدة عصبية للمواساة والاشتراك بالشعور" على ما قالتهُ جورج اليوت. هذا هو النظام الادبي الاعلى منية النفوس وكعبة الآمال وجنَّة الكمال . فبعد ان كانت الواجبات الادبية مجهولةً فيما سوى الطفيف ولم تكن تتعدَّى حدود العائلة او القبيلة كما سبق البيان اخذت في الظهور واتساع النطاق حتى صار كل فرد من اتباع هذا النظام يعترف بحقها عليهِ ازاء بني نوعهِ البشري واخوتهِ في نظر خالقهِ جل وعلا. افلم يعد متمدن هذا العصر الصالح يحصر دائرة الاخاء في المذهب والمحتد والجنس واللغة وغيرها من روابط الاجتماع بل يعدُّ اخاً لهُ كل من شاركهُ في الانسانية على الاطلاق فيوجب على نفسهِ اسعادهُ والعطف عليهِ فرض عين ويعدُّ وقف الذات على اصلاحهِ والاحسان اليهِ وفاء دين . ذلك هو دستور العمل عند المرتقين في الانسانية اليوم على ما في بعض اهلهِ من بعض الغفلة عنهُ والتقصير فيهِ لضعف في البشرية وبعدها عن الكمال. هذه هي المحجة العليا والطريقة المثلى لم تعرفها القرون الاولى ولا اعتمدتها الوسطى وانما هي من مفاخر التمدن الحديث

كذا قل عن مآل الصورة الادبية في الانسان اليوم فمثال الكمال الانساني في عصرك هذا غير ما كان عليهِ في العهد الاول للاجتماع . فبعد ان كان كمال الانسان القديم قائماً بشدة بأسهِ وحصر الرفق في شخصهِ وقصر الفخر على نفسهِ كبراً وعتياً يغضب لاقل بادرة ولا يصبر على خلاف لا يرعى حرمةً ولا يعرف رحمة فيغتصب كل ماطمحت اليهِ شهواتهُ وطالت اليهِ يداهُ اصبح مثال الكمال الحديث وديعاً حليماً شفيقاً كريماً يتحاشى اقل مظهر للمباهاة والازدهاء بطيء السخط صبَّاراً على مضض المناقشة والخلاف يحفظ حقوق الناس ويشاركهم في العواطف ويسوءهُ ازعاج اقل مخلوق حتى امست هذه الكمالات شرعة الانسانية من يجتذبها عُدَّ ملكاً

كريمًا ومن لا يقتنيها بقي حيوانًا بهيمًا مهما يكن شعار طريقته وايًا كان نثار حقيقته

وخلاصة القول ان الامور التي يشترك فيها ارتقاء الاحياء وتقدم العمران ثلاثة . الاول تقدم من صور قليلة مشتركة غير معينة الحدود الى صور كثيرة معينتها . الثاني استعداد مستمر في الحي وجسم الاجتماع للمحيط المرتقي . الثالث تكامل متواصل في ارتقاء يتقدم به من مبدإ التفرُّق والانفراد الى الانضمام والاتحاد بين اجزاء المركَّب حتى يبلغ بناء واحدًا متلائم الاجزاء

هنري قندلفت

وصية فؤاد باشا

ازدان تاريخ الدولة العثمانية في القرن الماضي بذكر اربعة رجال عظام كان كلٌّ منهم نبراس الفضل ومصباح الهدى يؤتم به ويقتدى عند نزول النوائب واشتداد الاخطار "كأنه علم في رأسه نار" وهم رشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا ومدحت باشا . هم بناة الاصلاح وحماة الدولة وسياج السلطنة واركان عزها ومجدها . صرفوا اعمارهم في خدمة الدولة والامة والوطن . وكانوا خير مثال يقتدى به في الدفاع المجيد والسعي الحميد والجهاد الحسن

اما احدهم فؤاد باشا فقد قضى سنين طويلة في منصبي الصدارة ونظارة الخارجية على التعاقب واليه ينسب الفضل في صدور الامر المسمى "خط همايون" سنة ١٨٥٦ القاضي بوجوب مساواة رعايا الدولة العلية على اختلاف اجناسهم ومذاهبهم في الحقوق والامتيازات . وله الوصية المشهورة التي رفعها قبل موته بيوم واحد الى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٩ وقد اطلعنا على ترجمة لها في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية معربناها في ما يلي فتسمع منها القراء صوتًا صادرًا من القبر يرنّ في المسامع والآذان [illegible] الرحمة والرضوان من كل شفة ولسان

قال المرحوم فؤاد باشا : — "مولاي . لم يبقَ لي من عمر الحياة سوى بضعة ايام وربما بضع ساعات فاردت ان اقضي هذه الدقائق الاخيرة في اتمام فرض مقدس واعرض على جلالتكم افكاري الاخيرة المفعمة غمًّا واسفًا على سوء المصير الذي انتهت اليه الدولة بعد التمادي في سياسة الخرق والطيش . وعند ما تبلغ كلماتي مسامع جلالتكم اكون قد فارقت هذا العالم فتصغون اليَّ من غير ان يداخلكم ارتياب في حسن قصدي لان الصوت الذي يتكلم من القبر يتكلم بصدق واخلاص

ان الله قد استودعكم عملاً فيهِ من الخطر بقدر ما فيهِ من المجد والشرف فلكي تقوموا بهِ حق القيام ينبغي ان تدركوا هذه الحقيقة المؤلمة وهي ان السلطنة العثمانية في خطر. فان التقدم السريع الذي احرزهُ جيراننا والغلطات العظيمة التي ارتكبها اسلافنا اوصلتنا اليوم الى موقف حرج الى الغاية فيلزم جلالتكم والحالة هذه ان تخلعوا العتيق وتنهجوا بالدولة منهجاً جديداً تأمن بهِ المعاثر والمزالق وتنجو من المخاطر والبوائق

يحاول بعض الجهلاء ان يقنعوا جلالتكم بان وسائطنا الحاضرة تكفينا لاسترداد مجدنا الغابر وعزنا الدابر فيالهُ من خطاءٍ فاضح وغرور فادح! فلو كان جيراننا باقين في الوقت الحاضر على ما كانوا عليهِ في عهد آبائنا لما تعذر على جلالتكم ان تبلغوا شأو اجدادكم وتخضعوا ملوك اوربا لسلطانكم ولكن جيراننا تقدموا كثيراً عما كانوا عليهِ منذ قرنين . وقد سبقونا بمراحل وتركونا وراءهم ولم يكن تقدمنا اليسير في جنب تقدمهم الكثير شيئاً مذكوراً

لا أُنكر ان الدولة ارقى في عهد جلالتكم كثيراً منها في عهد اسلافكم لكن هذا التقدم النسبي اقلُّ من ان يفي بحاجات الزمن الحاضر . قد تكونون يا مولاي من حيث القوة والعظمة كاسلافكم وربما استطعتم ان تفوقوهم في ذلك لكن هذا لا يكفيكم في طلب المحافظة على مركزكم في اوربا بل يجب ان تكونوا عند الحاجة قادرين على مضاهاة جيرانكم والاستخفاف بهم . وبعبارة اخرى ينبغي ان تكون سلطنتكم كانكلترا في الغنى وفرنسا في المعرفة وروسيا في الجيش والاَّ فهي في خطر السقوط العاجل والخراب القريب

وليست مسألتنا الآن محصورة في الحصول على التقدم السريع بل في جعل تقدمنا مساوياً لتقدم الامم الاوربية . ولكم يا مولاي في سلطنتكم جميع الاسباب والوسائط التي تمكنكم من جعل الدولة في مقدمة دول اوربا كلها ولكن الحصول على هذه النتيجة يقضي بتغيير كل قوانيننا السياسية والمدنية . لان كثيراً منها كان مفيداً جداً في الماضي واصبح مضراً في الوقت الحاضر

ولما كان الانسان قادراً على التقدم الى الكمال وجبت عليهِ مداومة السعي في تحسين شؤونهِ وترقية احوالهِ. وهذه السنَّة الطبيعيَّة تطابق لحسن الحظ كنه ديانتنا الاسلامية. فالاسلام يتضمن كل التعاليم الصادقة التي من اسمى مقاصدها تقدم العالم وارتفاع منار الانسانية . واما الذين يدعون ان ديننا يعارض تقدم دولتنا فهم ليسوا مسلمين صادقين. ولكل دينٍ قواعد وعقائد تحول دون تثقيف العقول وانارة الاذهان ما عدا الاسلام فانهُ مطلقٌ من هذه القيود ومما يفرضهُ على تابعيهِ ان يجاروا العالم في التقدم ويبذلوا جهدهم في ترقية القوى العقليَّة ويطلبوا العلم والمعرفة ليس في بلاد العرب وبين المسلمين فقط بل في البلدان الاجنبية

حتى في الصين وفي اقاصي الارض ايضاً

لا يتوهم احد ان العلم الاسلامي يختلف عن علوم بقية الامم فالعلم واحد في كل مكان. وشمسهُ التي تنير العالم العقلي هي واحدة . والاسلام هو حسب اعتقادنا مُجلي كل حقيقة ومظهر كل علمٍ . فكل اكتشافٍ مفيدٍ وتقدم جديد في كل مكانٍ وبين اية امةٍ كانت انما هو للمسلمين . وبناءً عليهِ لا شيءَ يحول دون اقتباسنا ما جدَّ عند الاوربيين من القواعد والقوانين. ولقد تضلعتُ من ديانتنا تضلعاً قدَّرني على فهم كنهها وادراك حقائقها ولستُ بجاهلٍ اهمية الغرض الذي ارمي اليهِ وابني كلامي عليهِ . وما كانت نفسي لتسوّل لي أن أخون سلطاني ووطني ومذهبي في الدقيقة الاخيرة من حياتي عند استعدادي لمفارقة العالم والوقوف في حضرة الديان العادل

فبملء الثقة والاقتناع اقول انهُ ليس بين جميع القوانين الجديدة التي تعرضها اوربا علينا قانون واحدٌ ينافي روح ديانتنا على الاطلاق . وبكل إخلاص اصرّح بأن خلاص الاسلام يقتضي المبادرة الى قبول هذه القوانين التي لا مندوحة عنها لامةٍ تروم حفظ كيانها وسلامتها من التلاشي . واصرّح ايضاً بان جلالتكم اذا اقدمتم على هذا التغيير الضروري الذي لا يخالف شيئاً من مبادئ ديانتنا المقدسة خدمتم المسلمين اعظم خدمة مشروعة ونفعتموهم نفعاً لم يخطر قط ببال احد من اسلافكم العظام . وهذا العمل العظيم يستغرق عدة مسائل ولم يبقَ لي في هذا العالم من القوة والوقت ما يمكنني من التأمل فيها . ولكنكم قادرون يا مولاي اذا شئتم ان تنتفعوا بخدمة ذلك الرجل العظيم الذي أُتيح لي ان اكون صديقهُ ومشيرهُ . واني اسأل الله ان يطيل بقاءهُ لجلالتكم لانهُ أعرف من غيرهِ بوسائط خلاص السلطنة . ولم أُشر قطُّ بشيءٍ على جلالتكم الاَّ بعد الوقوف على رأيهِ فيهِ واستحسانهِ لهُ . فكنوهُ من ثقتكم التامة لان ثقة السلطان تشدّد ساعد الوزير . والتمس من جلالتكم فوق كل شيءٍ ان تؤيدوا هذا الخادم الامين الذي لا غنى لكم عن حذقهِ وذكائهِ وفطنتهِ ودرايتهِ ولا تدعوا جهل زملائهِ يثبط عزيمتهُ ويضعف همتهُ . ولا شيءَ يوهن عزمهُ اكثر من اضطرارهِ الى العمل مع من لا يستطيعون ان يدركوا افكارهُ ويفهموا مقاصدهُ

اما من جهة علاقاتنا الخارجية فلما كنا غير قادرين على محاربة اعدائنا وجب علينا ان نستعين بمصادقة الاجانب ومحالفتهم . ولاجل حماية حقوقنا يترتب علينا ان نبدي من القوة والحذق والشجاعة اكثر جداً مما ابدى اسلافنا في اخضاع الشعوب وتدويخ الممالك واذا بحثتم عن حلفائنا الاجانب وجدتم انكلترا على الدوام في مقدمتهم . وسياستها وصداقتها متينتان

كقوانينها . وقد خدمتنا في الماضي خدمات جليلة ولا يسعنا الاستغناء عن مساعدتها لنا في المستقبل . ومهما تقلبت الاحوال فالشعب الانكليزي الذي هو اعجب شعوب العالم واجدرهم بالثقة والاعتماد يكون اول حلفائنا وآخرهم ولو خُيّرتُ لاخترتُ خسارة الباب العالي عدة مقاطعات على خسارته صداقة انكلترا

اما فرنسا فخليفة لنا يجب ان نعاملها دائماً بما نستطيعهُ من التجلة والاحترام ليس لانها قادرة ان تمدنا باعظم مساعدة فقط بل لانها تستطيع ايضاً ان توقع بنا اكبر ضرر. ولها شغف بالعظمة ولو رأتها في اعدائها . فاحسن وسيلة لحفظ صداقة هذا الشعب الكريم ان نجاريهُ على افكاره وتصوراته ونبدي ما يوافقهُ من هذا القبيل. واذا اعرضت فرنسا عنا يوماً ما وجاهرت بعاداتنا كانت من الاسباب المتممة لخرابنا

اما النمسا فقد شغلتها مصالحها الاوربية عن المداخلة في المسألة الشرقية . وارتكبت غلطة كبيرة في حرب القرم وسترى في المستقبل الخطر الذي ينقضُّ عليها من الشمال ويكون شديداً عليها كما يكون علينا نحن ايضاً . وستبقى حكومة فينّا حليفة طبيعية للباب العالي ما دامت ناهجة في سياستها منهج الحكمة والسداد ولا يمكن صد تيار الشر العظيم الذي انهال على الشرق منذ اكثر من قرن الاّ بمعونة النمسا ومضافرة حلفائنا في الشرق

اما بروسيا فقد ظلت الى هذا الوقت غير مكترثة للمسألة الشرقية ومن الممكن ان سياستها تقضي عليها بتضحيتنا في سبيل مشروع الاتحاد الالماني وبعد حصول هذا الاتحاد لا تلبث المانيا ان ترى لها في المسألة الشرقية ما لبقية الدول من المصالح وعسى ان لا تكون نتيجة سياستها في النمسا الزام اعدائنا امتلاك بلادنا الاوربيّة

اما روسيا فهي عدوة دولتنا الطبيعية وامتدادها في الشرق من جملة مبادئها الاساسية . ولو كنت وزيراً روسيّاً لما تركت شيئاً يحول دون تدويخ الاستانة . فلا نعجب اذاً ولا نشكو من جفائها وعدائها وهي تعاملنا الآن كما كنا نحن سابقاً نعامل اليونان. ومن اسخف الامور ان نعتمد في صد غاراتها عنا على مجرد حقوقنا اذاً نحتاج الى القوة ولكن ليس القوة التي استخدمناها قديماً وانقضى امرها ولا فائدة من محاولة احيائها بل القوة الجديدة التي تسلّح بها شعوب اوربا بواسطة العلوم والمبادىء الحديثة . ان روسيا لم تعد كما كانت في عهد بطرس الاكبر بل خطت خطوات مهمة في سبيل التقدم وعما قليل تزداد قوتها عشرة اضعاف بواسطة سككها الحديديّة . ومما يخيفني على الخصوص ان اكثر امم اوربا راضٍ من الآن بما تقصدهُ روسيا من الاعتداء على غيرها

ومما يدهشني ايضاً ويخيفني عدم اهتمام انكلترا باحوال اواسط اسيا ويزيد خوفي ودهشتي حينما ارى التغيير العظيم الذي حدث في موقف روسيا على اثر زوال القلاقل من ولايات القوقاس. وعندي ان روسيا ستحوّل غاراتها في المستقبل على املاكنا في اسيا الصغرى فمن الضروري ان لا نكفّ عن التأهب والاستعداد لاننا لا ندري هل يكون حلفاؤنا مستعدين على الدوام للمبادرة الى مساعدتنا عند ما تمس الحاجة. فقد يحدث شيء في اوربا يغل ايديهم ويشغلهم عنا

وعندما اراجع في ذهني الغلطات التي ترتكبها حكومات اوربا لا ارى اعظم من غلطتها في سماحها لاعظم دولة مستبدة في العالم ان تتألف من مئة مليون وتتسلح بكل معدات التمدن وتنتهج فاها لابتلاع الممالك والبلدان. وهي تغشى اسيا بالجيوش وتزعزع اركان اوربا بالنهضة السلافية وتقدم على الفتح والتدويخ بحجة محبتها للسلام وعدم رغبتها في تغيير الحالة الحاضرة

ولقد حدا بي ذكر روسيا الى الكلام على ايران ولو بالايجاز. فحكومة هذه البلاد كانت على الدوام منقادة بعامل التعصب الشيعيّ الى محالفة اعدائنا. وقد سوّلت لها نفسها في حرب القرم ان تظاهر روسيا علينا ولكنّ رياح السياسة الشرقية هبت على خلاف مشتهاها وحالت دون تحقيق مناها. وعرش الشاه معتمد في الوقت الحاضر على الوزارة الروسية على ان حكومته بالغة غاية الضعف والجهل والفقر فلا تستطيع مبادأتنا بالشر والعداء ما دمنا مطلقي الايدي من المشاكل والعراقيل. ولكن متى نشبت الحرب بيننا وبين روسيا تمدّ الينا ايران في مقدمة اعدائنا بالرغم عن شدّة حذرنا منها مدفوعة بعامل استقلالها السياسي وغيرتها العمياء لكن الباب العالي لحسن حظهِ يأمن جانبها بما لديهِ من القوة المادية وهو قادرٌ ايضاً ان يستعين بالوسائط الادبية على ارهاب حكومة زعزع اركانها الاستبداد وكثرة الطامحين اليها وهي محاطة باهل السنَّة من كل جانب

ولا يجوز ان ننسى اليونان فهي لا شأن لها في ذاتها ولكنها آلة في يد دولة معادية لنا تستخدمها لتعكير مائنا وتكدير صفائنا. وكأن الشعراء الاوربيين انشأوا هذه المملكة في عالم الخيال لينشروا بها امة طواها الدهر منذ اكثر من الفي سنة. حاولوا احياء بلاد هوميرس وارسطوطاليس فانشأوا مستقر الدسائس والفوضى وقد بقي اليونان زمناً طويلاً متعززين بما كان لهم من المجد السالف ولو كانوا قد ابتعدوا عنهُ منذ قرون كثيرة ساد فيها الفساد والجهل ويحاولون اعادة مملكتهم الشرقية لكن اغترارهم بانفسهم وانفصالهم عن غيرهم يكرّهان الامم الشرقية بهم. وقد يسهل على الباب العالي ان يجد بعض الخدام الاذكياء بين اليونان ولكن روح الجنس اليوناني سيبقى على الدوام مضادًّا لمصلحتنا. فمصلحتنا السياسية تقضي علينا بيذل

الجهد في ابعاد اليونان عن باقي المسيحيين الذين في سلطنتنا وفصل البلغار عن سلطة الكنيسة اليونانية ومنع اتصالهم بالكنيسة الروسية او البابوية

وعلى الباب العالي ان يمنع كل دسيسة يراد بها ضم الارمن الى الكنيسة الارثوذكسية . وليكن سعينا لخير المسيحيين مقصورًا على محاولة تحريرهم من سلطة الاكليرس . وافضل سياسة يجب علينا اتباعها هي ان تجعل الحكومة فوق كل مداخلة في المسائل الدينية

اما من جهة امورنا الداخلية فعلينا ان نوجه اهتمامنا الى ادراك غرض واحد وهو مزج شعوبنا بعضهم ببعض ولا سبيل الى وحدة سلطنتنا بغير هذه الواسطة . لا ينبغي ان تكون هذه السلطنة العظيمة يونانية اوسلافية ولا لهذه الطائفة او ذلك الجنس لانها انما تقوم باتحاد شعوبها وامتزاج اجناسهم

والبقاء مضمون لدولةٍ مثل المانيا او لامةٍ مثل فرنسا عددها ٤٠ مليون نفس او لبلاد مثل انكلترا عززتها الطبيعة بامنع الحصون اما الجبل الاسود والسرب وارمينية وغيرها من الولايات التي ليس لها شيء من الامتياز الخاص او النفع العام فاذا وجدت كانت عبارة عن حكومات خيالية او بقايا دولٍ من سالف الامد وقد اخنى عليها الذي اخنى على لبدٍ وغادرها فرائس لكل فاتحٍ جديدٍ او حجر عثرة في تقدم الانسان وخطرًا على السلم العام

وأصوب رأي يعوَّل عليهِ الآن في تنظيم الحكومات الحاضرة هو جمع القوَّة بواسطة المزج والتأليف بين العناصر المختلفة . فافضل وسيلة لدرء الخراب عن حكومتنا تجديد نظامها على اساسٍ متين يجمع العناصر المتفرقة بلا تمييز في الجنس او المذهب . ويربطها كلها برباط المساواة . ومعلوم ان هذا المبدأ يقضي بترشيح رعايانا المسيحيين للوظائف العمومية وفي هذا ما فيهِ من الصعوبة لانهم اذا فتح لهم هذا الباب الذي كان مغلقًا في وجوههم اندفعوا منهُ بملء العزم والحمية وحاولوا سبق الذين تقدموهم من قبل . وهذا الطموح ابداهُ الارمن على الخصوص فمن الحكمة ان نتداركهُ بما يجعل الباب مفتوحًا فقط للرجال الامناء الذين يقبلون مبدأ وحدة السلطنة ويعملون بموجبهِ

ان ديانة رعايانا المسيحيين مؤسسة في الغالب على مبدأين احدهما ادبي والآخر سياسي . وعلى حكومتنا ان تغض النظر عن مبدإهم الادبي وتتجاهلهُ على الاطلاق وتوجه عنايتها الى مراقبة مبدإهم السياسي بعين الحذر والانتباه فلا تبالِ بكيفية عبادة احد رجال حكومتنا لله سواء عبدهُ حسب ناموس موسى او بموجب شريعة عيسى اذ ليس في ذلك ما يقضي بحرماننا الانتفاع بخدمتهِ . ولكننا اذا وجدناهُ لا يسعى لوحدة السلطنة وعلمنا انهُ يعلل نفسهُ بانشاء

امبراطورية بيزنطية ثانية او يخدم مصلحة دولة اجنبية وجب علينا عزله حالاً لانهُ خائن للدولة والامة

ووحدة الحكومة والبلاد قائمة على اساس المساواة . والمساواة هي القاعدة الوحيدة التي اطلب من كل موظف عمومي ان يجري عليها. وعلى جلالتكم ان تسعوا اولاً في توطيد اركان العدل حتى تظهروا عظم اهمية هذه القاعدة المفيدة . ولا اجهل ان هذا السعي وعث المسالك صعب المراس ولكن لا بد منهُ ولا غنى عنهُ. وبعد ما تضمنون لرعايانا سلامة حياتهم واموالهم يجب عليكم ان تهتموا بانشاء السكك . وحينما يصير عندنا من سكك الحديد قدر ما عند الدول الاوربية تكون دولتنا اول دولة في العالم. وهنا مسألة لا يجوز الاغضاء عنها لانها شديدة الاهمية اعني مسألة المعارف العمومية التي هي اساس كل ترقٍ عمومي وبغيرها لا يرجى الحصول على عظمة ادبية او مادية . وهي تشمل الجيش والبحرية والادارة والا فلا قوة لنا ولا استقلال ولا حكومة ولا مستقبل . ان التعليم في بلادنا لم يزل منحطاً لاسباب مختلفة مع ان روح ديانتنا يأمر بترقيتهِ وتعميمهِ ومدارسنا الكثيرة التي استغرقت نفقات باهظة اعدت لنا مع قلة فائدتها اهم مبادئ التعليم العمومي ولم اتمكن من انفاذ هذا المشروع لاني كنت على الدوام مشغولاً عنهُ بالمشاكل الخارجية . فاتركهُ لخلفائي واؤكد لهم انهُ اعظم المشروعات اهمية وفائدة . وليس يخافى عليَّ ان بعض المسلمين سيكفرونني ويعدونني عدو الدين ولكنني اعذرهم لعلمي انهم لا يفهمون كلامي ولا يدركون افكاري . وسيأتي يوم يتحققون فيهِ اني انا المصلح الكافر كنت اصدق عقيدة واصح اسلاماً من كل اولئك الاغرار الذين صبوا عليَّ جام اللعنات وصوَّبوا اليَّ سهام الاهانات . سيعلمون ولكن بعد فوات الوقت اني جاهدت اكثر من كل شهيد آخر في سبيل حكومتهم وديانتهم اللتين عرضوهما للسقوط والانحطاط . ان الناموس الاول لكل نظام الهيًّا كان او انسانيًّا هو ناموس الحفظ الذاتي افلم يكن حفظ الاسلام غرضي الوحيد من كل اصلاح ابتغيتهُ . ولم اتذرع الى ذلك بالتعصب الاعمى والتحزب الباطل بل بالطرق التي وضعها الله الاسلام امامنا كما وضعها امام كل امةٍ اخرى في العالم

ان يدي الضعيفة المضطربة لم تعد قادرة على الكتابة فاقف عند هذا الحدّ والتمس في الختام من جلالتكم ان توجهوا التفاتكم الى الكلمات الاخيرة التي فاه بها هذا الخادم المنكود الحظ الذي كان بالرغم عن كل ضعفٍ بشريّ محبًّا لبني جنسهِ وباذلاً اقصى جهدهِ في ما يعود عليهم بالنفع والآن يفارق العالم غير آسفٍ عليهِ ويموت مسلمًا عانيًا لاحكام القدر ومسلمًا نفسهُ للديان العظيم الرحمن الرحيم

فؤاد

من هو المُقَوْقِس

لمَّا نشرنا رواية عروسة النيل في العام الماضي علَّقنا على الفصل الاول منها حاشية قلنا فيها "اختلف الكتَّاب في مَن هو المقوقس الذي ذكر مؤرخو العرب انهُ كان والياً على مصر وقت الفتح وقبلهُ . والمرجَّح الآن انهُ والٍ صغير من ولاة الاقاليم ساعد عمرو بن العاص على دخول مصر وان المقوقس لقب لهُ وهو باليونانية μεγαυχής اي الفخور او المجيد واسمهُ جُرَيج بن مينا على ما قالهُ المؤرخ الشيخ ابو صالح الارمني"

ولم نكن نعلم حينما كتبنا هذه السطور ان عالمًا انكليزيًّا[1] من الباحثين في التاريخ المصري باذلٌ همتهُ في تحقيق امر المقوقس . وقد اطلَّعنا الآن على كتاب كبير نشرهُ في آخر العام الماضي موضوعهُ "فتح مصر والاسكندريَّة" الحق بهِ فصلاً مسهبًا اقام فيهِ الادلَّة الكثيرة على ان المقوقس هو البطريرك قيرُس الملكي الذي نُصِّب على كرسي البطريركيَّة الاسكندريَّة قبل الفتح بعشر سنوات فاضطهد القبط شديد الاضطهاد حتى لم يكبر عليهم ان يعاونوا العرب عليهِ حينما اضطروا الى ذلك . وقد رأينا ان نترجم هذا الفصل ببعض تصرُّف ونعلق عليهِ من الحواشي ما تزيد بهِ الفائدة ونرد ما اقتبسهُ من التواريخ العربية الى اصلهِ العربي حينما يتيسَّر لنا ذلك . قال المؤلف ما خلاصتهُ

اتَّفق كتَّاب التاريخ على ان المقوقس لقبٌ لرجل كان لهُ شأن كبير عند الروم وقت فتح مصر وانهُ هو الذي سلَّمها للعرب او صالح العرب عليها ولكنهم اختلفوا في اسمهِ وجنسهِ ووظيفتهِ والعمل الذي عملهُ ومعنى هذا اللقب . وقد كثر الجدال في هذه المسائل الآن ولا غرابة في ذلك لان كتَّاب العرب خبطوا في هذا الموضوع خبط عشواء من قديم الزمان

ثم ذكر كلام كثيرين من المؤرخين الاوربيين المحدثين مثل فون رنكي الذي قال ان المقوقس كان والي مصر وانهُ من القبط . وده غوجه الذي قال ان بعض مؤرخي العرب خلطوا احيانًا بين المقوقس والبطرك قيرس بطرك الاسكندرية مع انهما شخصان مختلفان. والمستر ملن الذي قال ان المقوقس هو جريج الذي ذكرهُ يوحنا النيقوسي وقال انهُ كان واليًا على الريف. ومال الاستاذ ستانلي لاين بول الى هذا الرأي وحسب انهُ من القبط . وقال الاستاذ بري انهُ كان والي مصر كلها وكان من القبط . اي ان جمهور الكتاب الاوربيين المحدثين على ان المقوقس لقب لوالي مصر كلها من قبل الروم او لوالي عمل من اعمالها وانهُ كان من القبط لا من

(1) هو الدكتور الفرد بطلر Alfred Butler D. Litt., F. S. A. واسم كتابهِ The Arab Conquest of Egypt

الروم . ثم انتقل المؤلف الى اقوال مؤرخي العرب في هذا الصدد فذكرهم حسب ازمنتهم قال

قال البلاذري [١] " ان المقوقس صالح عمرو بن العاص فبلغ ذلك ملك الروم فتسخَّطهُ وبعث بجمع من الروم فاغلقوا باب الاسكندريَّة واذنوا عمرًا بالحرب فخرج اليهِ المقوقس فقال لهُ اسألك ثلاثًا ان لا تبذل للروم مثل الذي بذلت لي وان لا تنقض بالقبط فان النقض لم يأتِ من قبلهم " الخ

وقال الطبري [٢] " فلقيهم هنالك (امام حصن بابل) ابو مريم جاثليق مصر ومعهُ الاسقف بعثهُ المقوقس " وقال عن المقوقس في مكان آخر انهُ صاحب الاسكندرية

وقال ابن البطريق [٣] " وكان العامل على الخراج بمصر المقوقس من قبل هرقل وكان يعقوبيًّا مبغضًا للروم الَّا انهُ لم يكن يتهيأ لهُ ان يظهر مقالة اليعقوبية لئلّا يقتلوهُ وكان ايضا قد اقطع اموال مصر من وقت حصار كسرى للقسطنطينية فكان يخاف ان يقع في يد هرقل الملك فيقتله "

وقال ساويرس بن المقفع اسقف الاشمونين [٤] في كتابهِ سير البطاركة " ولما ملك (هرقل)

---

(١) البلاذري من اقدم المؤرخين ولد سنة ٨٠٦ للميلاد وتوفي سنة ٨٩٢ او ٢٧٦ للهجرة وكتب كتابهُ فتوح البلدان سنة ٨٦٨ للميلاد اي بعد فتح مصر بنحو ٢٢٠ سنة وهو من اقدم التواريخ واوسعها واصحها ويظهر منهُ ان المؤرخين كانوا مختلفين حينئذٍ في امور كثيرة من حيث زمن الفتح وطريقته

(٢) الطبري قال في وفيات الاعيان انهُ محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير كان اماما في فنون كثيرة وتاريخهُ اصح التواريخ العربية واثبتها • وكانت ولادتهُ سنة ٢٢٤ بآمل طبرستان وتوفي سنة ٣١٠ ببغداد

وكتب ده غوجه مقالة مسهبة عنهُ في الانسكلوبيديا البريطانية قال فيها ان تفسيرهُ دعامة كتب التفسير كما ان تاريخهُ دعامة كتب التاريخ . وبين انهُ كان عمدة كل المؤرخين الذين تلوهُ فاختصرهُ بعضهم او انماهُ اليهِ حتى يتدالى عهدهم كالفرغاني والهمذاني والقرطبي وابن مسكويه وابن الاثير

وقال الدكتور بطلر ان تاريخ الطبري على اتساعهِ اوجز الكلام جدًّا على فتح مصر وخلط بين الاماكن واخطأ في تنسيق الحوادث فذكر فتح الاسكندرية قبل فتح مصر ولعلَّ السبب من النساخ لا من المؤلف

(٣) هو سعيد بن البطريق بطريرك الاسكندرية قال في عيون الانباء انهُ من اهل فسطاط مصر وكان طبيبًا نصرانيًا مشهورًا عارفًا بعلم صناعة الطب وعملها ولد سنة ٢٦٣ للهجرة وجعل بطريركًا على الاسكندرية وسمي اوتوشيوس وعمرهُ نحو ستين سنة وبقي في الكرسي والرئاسة نحو سبع سنين وستة اشهر ومات سنة ٣٢٨ للهجرة ولهُ كتب كثيرة في الطب والتاريخ المشهور بنظم الجوهر

(٤) قال الدكتور بطلر انهُ اسقف قبطي كتب تاريخ البطاركة ويوجد من كتابهِ ثلاث نسخ معروفة واحدة في المتحف البريطاني وهي من القرن الخامس عشر وواحدة في مكتبة باريس من القرن الرابع عشر والثالثة اقدم منها وهي عند مرقس بك سميكه في القاهرة . وكان في القرن العاشر للميلاد • وفي نسخة باريس مقدمة لمحبوب بن منصور احد شمامسة الاسكندرية كتبها في النصف الاخير من القرن الحادي عشر

الارض اقام الولاة في كل موضع وانفذ واليًا الى ارض مصر يدعى قيرس ليكون بطركًا وواليًا فلما وصل الى الاسكندريَّة اعلم الابا بنيامين ملاكُ الرب بهِ وامرهُ ان يهرب هو ومن معهُ ههنا لان شدائد عظيمة تنزل عليهم "

ثم قال عن سني الاطهاد " وهي السنين التي كان فيها هرقل والمقوقس مسلَّطَيْنِ على ديار مصر ". وقال ايضاً " فلما تمت عشر سنين من مملكة هرقل والمقوقس". وايضاً "خاف الكافر والي الاسكندريَّة وهو كان واليها وبطركها من قبَل الروم"

ثم جاء ابن الاثير[١] فقال " اخذ المسلمون باب اليون وساروا الى مصر فلقيهم هناك ابو مريم جاثليق مصر ومعهُ الاسقف بعثهُ المقوقس لمنع بلادهم " .... الى ان قال " فلما التقى المسلمون والمقوقس بعين الشمس واقتتلوا ..... ثم سار عمرو حتى بلغ الاسكندرية فوجد اهلها معدين لقتالهِ فارسل المقوقس الى عمرو يسألهُ المدنة الى مدة فلم يجبهُ الى ذلك وقال لقد لقينا ملككم الاكبر هرقل فكان منهُ ما بلغكم فقال المقوقس لاصحابهِ صدق فنحن اولى بالاذعان ... وصالح عمرًا على اثني عشر الف دينار " الى غير ذلك من الخبط الكثير ولاسيما في ما رواهُ عن اوائل الفتح

وكتب ابو صالح الارمني[٢] في اواسط القرن الثاني عشر للميلاد فقال " وكان محمد قد سير حاطب ابن ابي بلتعة ابن لخم الى المقوقس صاحب الاسكندريَّة ".وقال في الكلام على دير في الصعيد " كان يأوي فيهِ بنيامين البطرك مختفياً في مملكة هرقل ملك الروم الخلقيدوني وجريج ابن مينا المقوقس بمصر الى انقضاء مدة عشر سنين خوفًا منهما كما وعدهُ الملاك وهي مدة تسلُّطهِ على الارثذكسيين وطلبهِ منهم الاعتراف لهُ بالامانة المخالفة للحق الصحيح ونال النصارى منهم صعوبة شديدة ولم يجحدوا امانتهم " . وقال قبل ذلك انهُ وجد في كتاب الجناح " وكان الاسقف من الروم بمصر والاسكندريَّة يسمَّى قيرس "

وقال ياقوت الحموي[٣] ان امير الحصن كان وقت الفتح " المنذفور الذي يقال لهُ الاعرج من قبل المقوقس بن قرقب اليوناني وكان المقوقس ينزل الاسكندرية "

---

(١) ابن الاثير من اشهر مؤرخي العرب ولد بالجزيرة وسكن الموصل ثم رحل الى الشام والقدس وتاريخهُ الكامل يبتدئ من اول الزمان الى آخر سنة ٦٢٨ للهجرة وكانت وفاتهُ سنة ٦٣٠ هـ الموافقة سنة ١٢٣٣ للمسيح

(٢) ابو صالح الارمني كان معاصرًا لابن الاثير او سابقًا له فقد قال في اول كتابهِ " نبتدئ بعون الله وارشادهِ ان في عصرنا هذا في ابتداء سنة اربع وستين وخمس مابة كان بناء الكنيسة التي على اسم ماري يعقوب بناحية البساتين "

(٣) ياقوت الرومي الحموي أُسر من بلادهِ صغيرًا وابتاعهُ تاجر ببغداد وعلمهُ وشغلهُ بالاسفار في

وقال المكين[٤] ان المقوقس كان والي مصر من قبل هرقل وانهُ صالح عمرًا هو وكبار القبط

وجاء ابن خلدون بعده[٥] فتابع ابن الاثير في خبطهِ وجعل المقوقس من القبط

وابن دقماق[٦] جعل المقوقس رومانيًّا وقال انهُ نائب هرقل. ونقل المقريزي[٧] عن يزيد بن ابي حبيب ان المقوقس كان رومانيًّا وتابع ابن عبد الحكم في ابقاء المقوقس الى زمن فتنة مانوئيل وتابع ياقوت في وصفهِ المقوقس بانهُ ابن قرقب اليوناني . وقال انهُ كان للقبط بطرك في الاسكندرية اسمهُ ابو ميامن وان المقوقس صالح العرب لكن هرقل لامهُ على تمثُّلهِ بالقبط وقال انهُ اقام قيرش بطرك الاسكندريَّة

وقال الواقدي[٨] ان ملك القبط كان يومئذٍ المقوقس بن راعيل

وذكر ابو المحاسن[٩] ان بنيامين كان بطرك القبط في الاسكندريَّة وانهُ كان على قصر الشمع رجل من الروم يقال لهُ الاعرج اميرًا عليهِ من قبل المقوقس وسمي المقوقس في نسختين بجريج ابن مينا وقال في مكان آخر ان الاعرج هو المندفور وكان من قبل المقوقس بن قرقب اليوناني ونقل عن ابن كثير انهُ لما دخل العرب مصر لاقاهم ابو مريم جاثليق مصر وابو مرتام الاسقف

وقال السيوطي[١٠] انهُ كان على الحصن المندفول المسمَّى بالاعرج من قبل المقوقس بن قرقب اليوناني الذي كان مقيمًا في الاسكندريَّة وان اسم الاسقف اليوناني ابوميامن

متاجره ثم عتقهُ فاشتغل بالنسخ بالاجرة ثم صار يتجر بالكتب ثم الف كتبًا جمة اشهرها معجم البلدان وكانت وفاتهُ سنة ٦٢٦ للهجرة الموافقة سنة ١٢٢٩ للميلاد

(٤) هو جرجس المكين ابن العميد النصراني بن ابي المكارم اختصر تاريخ الطبري ثم كملهُ وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢ للهجرة الموافقة سنة ١٢٧٣ للمسيح

(٥) ابن خلدون أشهر من ان يذكر وكانت وفاتهُ بالقاهرة سنة ٨٠٨ للهجرة الموافقة سنة ١٤٠٥ للميلاد

(٦) كاتب مصري توفي سنة ١٤٠٦ للميلاد وكشف كتابهُ سنة ١٨٩١ وطبع على نفقة الكتبخانة الخديوية

(٧) هو تقي الدين المقريزي البعلبكي الاصل المصري الدار والوفاة ولهُ كتب كثيرة اشهرها كتاب الخطط والآثار توفي سنة ٨٤٥ هجرية الموافقة سنة ١٤٤١ للميلاد

(٨) الواقدي من اشهر المؤرخين وأقدمهم فانهُ توفي سنة ٢٠٧ للهجرة الموافقة سنة ٨٢٣ للميلاد والكتاب المشهور بفتوح الشام منقولة رواياتهُ عنهُ ومحشاة بكثير من الاخبار الموضوعة وقد ظهر من بحث الباحثين ان اكثر ما نقل عنهُ من الاخبار التاريخية صحيح ولا سيما في تاريخ وقوع الحوادث

(٩) هو الامير جمال الدين ابو المحاسن ولد في القاهرة في اوائل القرن التاسع للهجرة وصنف كتبًا كثيرة منها المنهل الصافي وتكملة تاريخ السلوك للمقريزي وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة وغيرها وكانت وفاتهُ سنة ٨١٤ للهجرة الموافقة سنة ١٤٦٩ للميلاد

(١٠) هو الامام جلال الدين السيوطي صاحب المصنفات الكثيرة ومنها حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة كانت وفاتهُ سنة ٩١٦ للهجرة الموافقة سنة ١٥٠٥ للميلاد

ويستخلص من التواريخ العربيَّة على ما فيها من قلة التدقيق ان هناك ثلاثة رجال يهمنا البحث عنهم وهم المقوقس وابو مريم والاعرج . وهاك ما يقال عنهم مبتدءًا من الاخير

(١) الاعرج او الأُعْرج او الأُعَيْرج — ذكر هذا الاسم اولاً على ما يظهر ياقوت الحموي في اوائل القرن الثالث عشر للميلاد وقال انهُ كان امير الحصن ولقبهُ بالمندفور ولعلها المندتور والتحريف من النسَّاخ والمندتور كلمة يونانيَّة معناها الامير . وتابعهُ ابو المحاسن والسيوطي وزاد السيوطي في تحريف هذه الكلمة فجعلها المندفول . وقال الاستاذ لاين بول ان الاعرج محرف من كلمة ارتاين وهو اسم احد القواد الرومانيين وانهُ كان يكنى بابن قرقب وعندي ان الاعرج تحريف كلمة جريج وان اسم امير الحصن كان جريج او جورج والمرجح انهُ غير جورج الوالي الذي ذكرهُ يوحنا اسقف نيقوس

(٢) ابو مريم — قال الاستاذ لاين بول انهُ جاثليق مصر . ومعنى جاثليق بطرك وقد ذكرهُ اولاً بهذا اللقب الطبري لانهُ لقب لبطاركة الكنائس النسطوريَّة والارمنية وكان مألوفاً عندهُ لاتصاله ببلاد الفرس . وقال الطبري انهُ كبير اساقفة النصارى لكنهُ كناهُ بابي مريم ومعلوم انهُ كان في مصر في زمن الفتح بطركان قيرس وبنيامين . فابن مريم لا يصح ان يكون محرفاً من قيرس ولكن يصح ان يكون محرَّفاً من بنيامين وزاد تحريف الاسم في زمن ابن الاثير فصار ابو مريم وسماهُ السيوطي ابا ميامين . وواضح ان ابا بنيامين حرِّف فصار ابامياميين ثم ابا مريم وعليهِ فابو ميامين هو البطرك بنيامين بطرك القبط اليعاقبة

لكن الطبري وابن الاثير جعلا بنيامين اميرًا على الحصن من قبل المقوقس الذي كان في سلطان هرقل وهذا خطأٌ ولا يركن الى ما قالاهُ لانهُ ثابت من اقوال غيرهما ان البطرك بنيامين اختبأ في الصعيد مدة سني الاضطهاد العشر ومدة سنوات الفتح الثلاث والظاهر ان مؤرخي العرب رأوا لبطرك الاسكندرية شأناً في زمن الفتح وانهُ هو الذي سلَّم الاسكندريَّة لما عصى مانوئيل فخلطوا بين ما فعلهُ قيرس البطرك اليوناني وما فعلهُ بنيامين البطرك القبطي

(٣) المقوقس — ان المؤرخين الاقدمين الذين اشرنا اليهم كالبلاذري والطبري وابن البطريق وساويرس اسقف الاشمونين وابن الاثير لم يُكنُّوا المقوقس واول من قال انهُ ابن مينا الشيخ ابو صالح الارمني سنة ١١٦٨ للميلاد وقال ياقوت الحموي انهُ ابن قرقب اليوناني كأنهما نقلا هاتين الكنيتين عن مصدرين مختلفين ويؤيد ذلك ذكرهما معاً بعدئذٍ في مؤلف واحد كما في كتاب ابي المحاسن

ثم خطأ الطبري وفسَّر ما قالهُ سعيد ابن البطريق من ان المقوقس كان يعقوبيًّا مبغضاً للروم

بان "ابن البطريق كان ملكيًّا فجعل المقوقس يعتربيًّا لكي لا يقع على الملكيين تبعة ما فعله"
ثم قال ولا يكشف امر المقوقس الاَّ ساويرس ابن المقفع القبطي وقد الَّف كتابهُ من كتب كثيرة كانت محفوظة في دير مقاريوس وقد تقدَّم انهُ قال عن قيرس ان هرقل اقامهُ واليًا وبطركًا على ارض مصر وانهُ اضطهد اليعاقبة عشر سنين ثم لقبهُ بالمقوقس قائلاً السنين التي كان فيها هرقل والمقوقس مسلطين على ديار مصر وقال عن لسان بنيامين ان المقوقس طردني

ويظهر من مجمل هذه العبارات ان ساويرس اسقف الاشمونين كان يحسب قيرس بطركًا وواليًا على ديار مصر من قبل الروم وانهُ هو المقوقس الذي اضطهد البطرك بنيامين عشر سنين

واقام الدكتور بطلر الادلَّة على ان الاسقف ساويرس مصيب في ذلك واستشهد بما نقلهُ المسيو اميلينو العالم الفرنسوي من السنكسار القبطي وهو "كان المقوقس رئيس الامانة الخلقيدونيَّة واقيم واليًا وبطركًا على مصر". وما نقلهُ السنيور بريرا العالم البرتغالي من السنكسار الحبشي وهو "المقوقس الذي كان واليًا وبطركًا على الاسكندريَّة وكل ارض مصر". فثبت من ذلك ان المقوقس كان واليًا وبطركًا على ارض مصر في زمن الفتح وانهُ هو البطرك قيرس الاسكندري

اما تلقيب صاحب مصر بالمقوقس قبل الفتح بزمن فحسبهُ الدكتور بطلر خطا من كتَّاب العرب الذين رأوا صاحب مصر وقت الفتح يلقَّب بالمقوقس فظنوا ان هذا كان لقب صاحبها في زمن النبي ايضًا

واما كلمة المقوقس فقال اميلينو وبريرا انها مشتقة من كوكيون باليونانيَّة اسم نوع من النقود لان المقوقس كان على جباية الخراج كما تقدَّم لكن الدكتور بطلر لم يصوِّب هذا الرأي بل قال ان اللفظ الحبشي لهذه الكلمة هو المُقَوْقَس بفتح القاف الثانية وان هرقل نقل قيرس الى مصر من بلاد القوقاس فلا يبعد ان يكون لُقِّب في مصر بالقوقاسي وهي او قوقاسيوس باليونانيَّة وبكوخيُس بالقبطية ولا يبعد ان تكون الكلمة القبطية حُرِّفت في نقلها الى العربية فصارت مقوقس او قُدِّمت عليها الميم للنسبة (كالممصَّر لمن اقام في مصر) ولكلمة كوكس اليونانية معنى قبيح فلا يبعد ان يكون القبط لقبوهُ بهِ كراهةً لهُ او رأوا في نسبتهِ الى القوقاس تورية عن هذا المعنى فلقبوهُ بهِ كما لقبوهُ بالكافر والدجال وابن الشيطان

هذه خلاصة ما اوردهُ الدكتور بطلر ويظهر لنا انهُ حلَّ عقدة غامضة من عقد التاريخ وابان ان البحث الدقيق يجلو اغمض المسائل

مشاهير الزمان

مدَّ البحث العلمي رواقهُ على كل ما نراهُ في الارض والسماء جمادًا كان او نباتًا او حيوانًا من ذرَّات الهباء المتطاير في الهواء الى الشموس السابحة في جلد السماء. ومن الزوفا النابت على الحائط الى ارز لبنان المتوشح بالعظمة والبهاء . ومن اصغر الميكروبات التي لا ترى الاَّ باعظم المكبرات الى الانسان رب النهى وسيد المخلوقات . ولم يقتصر على ذلك بل تناول كلَّ ما عُرف من نواميس الكون وشرائع العقل وملابسات الانسان حتى تاريخهُ وارتقاؤهُ في مراقي العمران خضعا للبحث العلمي كما يرى القارئ من مقالة اخرى في هذا الجزء . وآخر ما وقفنا عليهِ من ذلك بحث مستفيض عن شهرة الناس بيَّن فيهِ واضعهُ انهُ يمكن الاستدلال على شهرة المشاهير ونسبة بعضهم الى بعض بما تشغلهُ ترجماتهم في المعجمات الكبيرة. الاَّ ان الباحث (وهو الاستاذ مَّ بين كاتل من اساتذة مدرسة كولمبيا الجامعة) اقتصر على بعض المعجمات الاوربية والاميركيَّة اثنان منها انكليزيَّان واثنان فرنسويان وواحد الماني وواحد اميركي وهي اشهر المعجمات واوسعها وقد فتش في كلٍّ منها عن الالف الذين شغلت سيرهم اوسع مكان فيهِ فاجتمع معهُ ستة آلاف اسم ثم اختار منها الاسماء التي وردت في ثلاثة من هذه المعجمات على الاقل فبلغ عددها ١٦٠٠ فانتقى منها الالف الذين ترجماتهم اطول من ترجمات غيرهم ورتَّبهم حسب طول ترجماتهم في المعجمات الستة وقال انهُ اكتشف بذلك اشهر المشاهير حسبما قرَّ عليهِ قرار مؤلفي تلك المعجمات. ومعلوم انهُ لو اضاف اليها المعجمات العربية والهنديَّة والصينيَّة لاضطرَّ ان يحذف بعض الاسماء التي ذكرها ويضيف اليها غيرها ويغيّر وضع بعض الاسماء الشرقية . وقد قال انهُ ليس في سائر اللغات الاوربيَّة معجمات يعتمد عليها ومن رأيهِ انهُ لم يقم في اوربا واميركا رجل مشهور الاَّ وسيرتهُ مذكورة في المعجمات التي اعتمد عليها ولذلك فهي تمثل كل المشهورين عند الاوربيين والاميركيين ونسبة بعضهم الى بعض

وقسم هؤلاء الالف الى عشرة اقسام كل قسم منها يشمل مئة من المشاهير رجالاً ونساء ولولا ضيق المقام لذكرناهم كلهم ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ فنقتصر على ذكر اشهرهم في ظننا حسب الترتيب الذي اوردهم فيهِ اما المئة الاولى فنذكر كل من ذكر فيها ليرى القراء كم يعلمون من اسماء المشاهير

المئة الاولى — نبوليون بونابرت . شكسبير. ڤولتير. باكون . ارسطوطاليس . غاتي . يوليوس قيصر . لوثيروس . افلاطون . نبوليون الثالث . برُك . هوميروس . اسحق نيوتن .

شبشرون . ملتون . الاسكندر المكدوني . بت . وشنطون . اغسطس قيصر . ولنتون . رفائيل . ده كارت . كولمبوس . كنفوشيوس . بن . ولتر سكوت . ميخائيل انجلو . سقراط . لورد بيرن . كرومول . غوتاما . كنت . ليبنتز . لوك . ديموستنس . ماري ستورت . كلفينوس موليير . لنكلن . لويس فيلب . دانتي . روسو . نيرون . فرنكلين . غاليليو . جنصن . روبسبير . فردرك الكبير . اوريليوس . هجل . بترك . هوراس . كارلس الخامس الالماني . ميرابو . اراسموس . فرجيل . هيوم . غيزو . جبون . باسكال . بوسيه . هُس . سوِفت . تيرس . لويس الرابع عشر . وردسورث . لويس السادس عشر . نلسن . هنري الثامن . اديصن . ثيسيديدس . فوكس . راسين . شلّر . هنري الرابع (فرنسا) . هرشل . تاسُّو . جفرصن . بطليموس كلوديوس . اوغسطينوس . بوب . مكياڤلي . سويدنبرج . فيلبس الثاني . ليوناردو ده ڤنسي . جورج الثالث . جوليان . فيثاغورس . ماكولي . روبنس . برنس . موزار . همبلت . كونت . كوزن . كيڤيه . يوستنيانُس . يوربيدس . كامونس

من المئة الثانية — فنلون . كارلَيْل . بيوس التاسع . پت . هنيبال . سبينوزا . شاتوبريان . ابيلارد . دارون . مازارين . اليصابات ملكة الانكليز . اوڤيد . جان دارك . ليڤي . تورنيل . دالمبر . بطرس الأكبر . ماركو بولو . لينيوس . بالمرستون . لامرتين . تنيصن . فلوطرخس . شارلمان . ارستوفانيس . رشليه . فكتور هيغو . دزرائلي . يوجنّس . تيشيان . البيروني . دكنس . كبلر . تراجنس . قسطنطين الكبير . لافونتين . فان ديك المصور . مدام ده ستايل . ابقراط . ديدرو . نبير . جورج سند . طيباريوس قيصر . بيل . القيصر نقولا الاول . جون ستورت مِل . صوفقليس . وبستر . دوق ملبرو . سنيكا . كاڤور . بفون غُلْدسمث . القيصر اسكندر الاول . لويس الخامس عشر . رجرس باكن . بركليس . هيرودوتس

ومن الثالثة — داڤي . فردرك الثاني (المانيا) . كاترين الثانية (روسيا) . مرقص انطونيوس . لقريتيوس . بيباي . لافايت . كورتز . بيتوفن . مدام ده سڤنيه . زنيفون . هارڤي . جوڤنل . الفردوسي . غوتنبرج . غاريبلدي . اريوس . ابيقورس . متردات . ايرونيموس . كانوڤا . غاي لوساك . نيبهر . جمس وط . اراغو . لاغرانج . بنصن . ده فو . ركاردس الاول . بلينيوس الاكبر . طاشيتوس . باسيليوس

ومن الرابعة — لونغفلو . منتسكيو . زروستر . فكتور عمانوئيل . بندار . فراداي . القيصر اسكندر الثاني . ماريا تريزا . وغنر . بريستلي . جوزفين . ثكري . كوبرنيكس . كارنو .

فيلو . ابن رشد . لوبلا . ماري انطوانت . وسلي . هملتن . ابن سينا . وشنطون ارفنغ . تيمورلنك . بكستر . همبلت . جنّر . ليبغ . اغاسز . محمد علي . ولسي . صولون . لافوازيه

ومن الخامسة — فيدياس ارخميدس . ارمينيوس . ليكرغس . فرنكلين . جالينوس . السكندر ديماس . بلزاك . رشليو . رنان . ثيودوسيوس . ستروس . باخ . كاتو الاكبر . بنيان . انطونيوس بيوس . سترابو

ومن السادسة — اقليدس . محمد الفاتح . غمبتا . السلطان محمود . ا كملندس . هيرودس . تمسطكليس . ومفرد . طيطس . مدام رولان

ومن السابعة — صلاح الدين . جنكيزخان . مجلان . يوسيفوس . الامام علي . كرومول . بلينيوس الاصغر . لامارك . فولطا . كبريان . ديوكلتيان . جون هرشل

ومن الثامنة — صافو . ابامنداس . جورج اليوت . نيومن . كليوباطرة . زينون . اسبسيانوس . اغريبا . كلبر . ليل . كاسيني . لالند . هبرخس . فولنه

ومن التاسعة — نادرشاه . لفنستون . ابكتتس . ملتس . كاود لورين . ثيوقريطس . امبدقليس

ومن العاشرة — السلطان سليمان . ايسوب . البرنس البرت . فردرك وليم (بروسيا) . سمونيدس

وقد اغفل الكاتب ذكر الانبياء والرسل حتى لا يعترض عليهِ رجال الدين بأن شهرتهم ليست من قبيل شهرة البشر

والناظر في سيَر هؤلاء المشاهير وغيرهم من الذين لم نذكر اسماءهم يرى انهم قلَّما يتفقون كلهم في امر من الامور فان بعضهم ورثوا العظمة والشهرة من اسلافهم وبرَّزوا فيهما ولسان حالهم يقول كما قال الشاعر العربي

وانّي من القوم الذين هُمُ هُمُ ... اذا مات منهم سيد قام صاحبُهْ
نجوم سماءٍ كلما غاب كوكب ... بدا كوكب تأوي اليهِ كواكبُهْ
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظَّم الجزع ثاقبُهْ

او كما قال الآخر

انَّا لنبني على ما شيدتهُ لنا ... آباؤُنا الغرُّ من مجد ومن كرَمِ
اني اذا كان قومي في الورى علَماً ... فانني علَمٌ في ذلك العلَمِ

او كما قال الابيوردي

ورثنا العلى وهي التي خُلقت لنا ... ونحن خُلقنا للعلى والمحامدِ

ابًا فابًا من عبد شمس وهكذا الى آدم لم يَنمنا غير ماجدِ

ومنهم العصامي الذي يتغنَّى بقول الطغرائي القائل

وان كرُمت قبلي اوائل اسرتي فاني بحمد الله مبدأُ سؤددي

ومنهم من تُسنَد اليهِ العظمة وتلصق بهِ الصاقًا فيضفو عليهِ كالثوب الطويل على الرجل القصير. وقد يكون العظيم ذكيَّ الفؤاد وقد لا يكون ذكيَّ الفؤاد عظيمًا. وقد يعمل المرء اعظم الاعمال ولا تبلغ شهرتهُ شهرة من يأتي بعدهُ ويبني على اساسهِ كما ترى في السيرتين المنشورتين في هذا الجزء فان صاحب السيرة الاولى شيخ من نوابغ العلماء واذكاهم عقلاً قضى العمر في كشف الغوامض الطبيعيَّة والرياضيَّة ووضع الاساس لكثير من اعظم المباحث العلميَّة والمكتشفات العصريَّة . والثاني شاب استتبَّ لهُ ان يستفيد من اكتشاف عالم آخر ويستخدمهُ لنقل الاخبار والآن لا يذكر اسم الاول مرةً حتى يذكر اسم الثاني الف مرة

وهذه الشهرة التي حازها الثاني وفاق بها الاول لم تنتج عن كدهِ وجدهِ ولا عن استعدادهِ الاكتسابي والوراثي بل عن توفيق غريب الى ما منهُ نفع كبير ويمكن ان يكون استعمالهُ واسع النطاق جدًّا . وقس على ذلك كثيرين من الذين اشتهروا فاسروا الالسنة والاقلام حتى تغنَّت بمدحهم وسطّرت اعمالهم في بطون الاسفار

ومزية الاسلوب الذي اختارهُ الاستاذ كاتل لترتيب المشاهير وتبويبهم انهُ خالٍ من الغرض من حيث اعتبار اصحاب هذه السير في عيون الاوربيين والاميركيين كأن جامع هذه الاسماء قاس شهرة اصحابها بالمتر والشبر ولم يتعرَّض لابناء جلدتهِ ولا تعصَّب على غيرهم ويا حبذا لو استتبَّ لهُ ان يراجع بعض المعجمات العربيَّة كوفيات الاعيان او لو لم يكتفِ بالمعجمات بل تناول كتب السير العموميَّة والخصوصيَّة حتى يكون البحث اتم واقرب الى الصواب . لكنهُ اول مَن شرع في هذا البحث على هذا الاسلوب وعسى ان يقوم بعدهُ مَن يجبر نقصهُ

غير انهُ قال ان جمع هذه الاسماء جاء على سبيل العرض وانهُ لا يعلّق عليهِ شأنًا كبيرًا ولكنهُ رآهُ مفيدًا في البحث عن الازمنة التي يظهر فيها المشاهير فوجد ما يراهُ كل مَن ينظر في تاريخ المشاهير وهو انهم ظهروا في ادوار متوالية ظهروا اولاً في دور اليونان فقام هوميروس وهسيود وليكرغس وتبعهم العمران اليوناني بفلاسفتهِ وعلمائهِ وشعرائهِ وصنّاعهِ وابطالهِ ثم انحط بغتةً في القرن الثاني قبل المسيح وقام الرومان وبلغوا اوج عظمتهم في القرن الاخير قبل المسيح والقرن الاول بعدهُ وانحطُّوا رويدًا رويدًا الى ان دالت دولتهم في القرن الخامس والسادس ثم مضت ستة قرون او سبعة لم يرَ الكاتب في معجماتهِ ما يدلُّ على شيءٍ من الارتقاء في اوربا

وهو مصيب في ذلك ولكنهُ لو فتَّش المعجات العربيَّة لوجد ان هذه المدة التي حسبها انحطاطاً تامًّا في ربوع اوربا كانت زاهية زاهرة في كل الممالك العربية فقام منهم الشعراء والفقهاء والعلماء والفلاسفة والقواد وارباب السياسة والتجارة ثم دالت دولتهم منذ نحو خمس مئة سنة وعادت شمس العلم والشهرة الى ربوع اوربا في اوائل القرن الرابع عشر ولم تختص بامَّة واحدة من امها بل شملتها كلها تقريباً ومن ثم اخذ عدد المشاهير فيها وفي اميركا يتزايد على نسبة هندسيَّة ولكن ليس على معدل واحد فيها كلها ولا كان هذا التزايد مستمرًّا بل وقعت فيهِ فترات كثيرة كما حدث في اواخر القرن السابع عشر ثم عاد حتى بلغ اشدَّهُ في زمن الثورة الفرنسويَّة لانها مهدت السبيل لاشتهار القواد العظام ولولاها ما بلغوا الشهرة التي بلغوها

ويظهر من النظر في جنسيَّة هؤُلاء الالف من المشاهير ان ٢٦٣ منهم من الفرنسويين . ٢٤٤ من الانكليز و ١٠٤ من الالمانيين و ٧٧ من الايطاليين و ٧٤ من الرومانيين و ٦٨ من اليونان و ٣٢ من الاميركيين ويأتي بعد الاميركيين الاسبانيون فاهالي سويسرا فهولندا فاسوج فروسيا فبقية الامم واذا قصرنا النظر على الخمس مئة الاولين او على المئة الاولى منهم فقط فاق الانكليز الفرنسويين وفاق اليونان الالمانيين

ثم ان الطرق التي اشتهر بها هؤُلاء المشاهير مختلفة فبعضهم اشتهر بالعقليات كالعلماء والفلاسفة وهؤُلاء كانوا على اقلهم في اواسط القرن الرابع عشر ثم زادوا زيادة بالغة في آخرهِ ووقفوا او انحطوا قليلاً الى آخر القرن الخامس عشر وزادوا بعد ذلك الى اواسط القرن السادس عشر ثم وقفوا الى اواخرهِ واخذوا بعد ذلك يزيدون زيادة سريعة جدًّا

وبعضهم بالادبيات كالشعراء والمغنين وهؤُلاء لم يكونوا شيئًا مذكورًا في اواسط القرن الرابع عشر ثم زادوا زيادة مستمرة الى اواسط القرن السادس عشر وانحطوا كثيرًا الى اواخرهِ ثم زادوا زيادة سريعة مستمرة

وبعضهم بالحرب والسياسة ونحو ذلك من الاعمال وهؤُلاء زادوا في اواخر القرن الرابع عشر ثم نقصوا قليلاً من اواسط الخامس عشر الى اواخرهِ وزادوا بعد ذلك في اواسط القرن السادس عشر وانحطوا في اواخرهِ ثم عادوا الى الزيادة السريعة المستمرَّة حتى بلغوا اعظمهم في اواخر القرن الثامن عشر

وتختلف الامم الاوربيَّة ايضاً في نوع الشهرة التي يشتهر بها رجالها فاكثر مشاهير الانكليز من رجال السياسة واكثر مشاهير الفرنسويين من قواد الجيوش واكثر مشاهير الايطاليين من المصورين ويقال جملة ان انكلترا فاقت غيرها في السياسة والشعر والفلسفة وفرنسا في قيادة الجيوش

والعلم والانشاء وإيطاليا في التصوير والمانيا في الموسيقى . والموسيقيون العظام ١٨ عشرة منهم المانيون وستة ايطاليون. ومكتشفو البلدان العظام اربعة عشر خمسة منهم انكليز واربعة اسبانيون

وبلغ عدد الشهيرات في الالف الذين ذكرهم ٣٢ فقط احدى عشرة منهن ملكات شهرتهنَّ وراثيَّة على نوع ما و٨ اشتهرنَ بجمالهنَّ او بما حلَّ بهنَّ من الرزايا او بنحو ذلك و١٠ اشتهرن بالانشاء ثلاث منهنَّ في الخمس مئة الاولى والمشهورون من الرجال فيها بالانشاء ٧٢

وواضح مما تقدَّم ان الكاتب اقتصر على المشاهير الذين لم يكونوا احياء حينما نُشرت الانسكلوبيذيا البريطانية منذ نحو عشرين سنة

هذا ومن المقرَّر ان نوع الانسان مديون لهؤلاء المشاهير بما حازهُ من الارتقاء علماً وعملاً فاذا كان ظهورهم بين الامم خاضعاً لناموس من النواميس الطبيعيَّة فالبحث عنهُ واجب حتى اذا عُرف استطاعت الامم ان تكثّر مشاهيرها فيزيد بهم تقدمها وارتقاؤُها . وقد استطاع الانسان ان يجري على مثل هذا الناموس في تربية النباتات والحيوانات فولّد منها اصنافاً فائقة في جودتها ولعلَّهُ لا يستطيع ان يتصرف في نسلهِ تصرُّفهُ في النبات والحيوان ولكنهُ يستطيع امراً لا يلام عليهِ بل يلام اذا لم يعتدَّ بهِ وهو ان يبسط موائد العلم والعرفان لدى ابناء نوعهِ على حدٍ سوى اغنياء كانوا او فقراء . ثم يختار النجباء منهم ويمهّد لهم كل سبل العلم والارتقاء حتى يفوز ذوو العقول الثاقبة والاستعداد الفطري للارتقاء كلٌّ في ما اهّلتهُ الفطرة لهُ فتنتفع بلادهم منهم النفع الاكبر

ثم ان الشرقي الناظر في السطور المتقدمة يرى فيها ما يخيفهُ . يرى ادلَّة واضحة على ان للامم اعماراً كما للافراد يرى ان اليونان الذين دوَّخوا المسكونة في القرن الرابع قبل المسيح ونشروا فيها لسانهم وفلسفتهم وقام منهم اكبر الشعراء والفلاسفة الذين لا نزال نستقي من معين فلسفتهم الى الآن واعظم القواد الفاتحين والساسة المحنَّكين الذين يقتدى بهم في كل زمان ومكان عاشوا كامَّة عظيمة بضع مئات من السنين ثم لم تقم لهم قائمة بعد ذلك . والرومان الذين اقتفوا خطواتهم وملكوا المسكونة ونشروا فيها شرائعهم وقوانينهم وبلغوا من العمران حدًّا قلَّما تعدَّاهُ من تبعهم عمَّروا ايضاً بضع مئات من السنين ثم دالت دولتهم . وقام بعدهم العرب فملكوا الخافقين واحيوا علوم اليونان ونشروا لواء العدل وقام منهم نوابغ الرجال ولكن دولهم عمرت بضع مئات من الاعوام ثم دالت وقامت بعدها الدول الاوربيَّة التي نراها لهذا العهد بين شيخ وكهل وشاب . فهل قضي على الامم القديمة والامَّة العربيَّة في جملتها حتى لا تقوم لها قائمة بعد الآن ذلك بحث كبير نرجئهُ الى فرصة أُخرى

طبائع الغربان



وقفنا في مجلة القرن التاسع عشر على مقالة لاحد كتّاب الانكليز وصف فيها الغربان احسن وصف فاعتمدنا عليها وعلى ما كتبهُ علماءُ الطيور في جمع هذه السطور والحقناها بما قالهُ الجاحظ وغيرهُ من الذين كتبوا في طبائع الحيوان من العرب فنقول

الغربان طائفة كبيرة صوّرنا خمسة من انواعها في صدر هذه المقالة . والغراب الحقيقي منها الذي يُضرَب بهِ المثل في السواد الفاحم كقول عنترة العبسي

فيها اثنتان واربعونَ حلوبةً سوداً كخافية الغراب الاسحم

مرسوم في اسفلها في الطرف الايمن وقد افترس ارنباً وهو يمزق لحمها بمنقارهِ

هذا اكبر انواع الغربان واقواها واجرأها واحذرها وامهرها واشرهها واعقلها اذا صحَّت نسبة العقل الى الحيوان الاعجم بل هو اعقل انواع الطيور كلها كما يقول كثيرون من علماء الحيوان

نظر اليهِ اهالي الجنوب نظر الشؤم من قديم الزمان من قبل ان عُرف شيءٌ عن العرب وشعرهم من عهد اليونان والرومان فكانوا يتطيرون بهِ ويستدلون بطيرانهِ على ما خُبّئ لهم في زوايا المستقبل من البلايا . وعلى ضدهم اهالي الشمال فانهم حسبوهُ طائر معبودهم الاكبر ورفيقهم في حلهم وترحالهم . وروى عنهُ الحكماء روايات شتّى اودعوها اسرار الحكمة كما ترى في كتب

بيدنا (كليلة ودمنة) واسوب الحكيم اليوناني و ببريوس ناظم قصصهِ وفدرس مترجمها الى اللاتينية

وهو منتشر في اكثر القسم الشمالي من الكرة الارضية في اربعة اخماس اسيا وفي كل اوربا واميركا الشمالية وفي الجانب الشمالي من افريقية كانهُ حليف العمران فلا يوجد في اميركا الجنوبية ولا في الطرف الجنوبي من اسيا ولا في اكثر افريقية ولا في استراليا والجزائر المجاورة لها . وواضح من ذلك انهُ يحبُّ البرد ويكره الحر فيكثر في اقاصي الشمال حتى الدائرة المتجمدة الشمالية . ونحن نكتب هذه السطور وعش غراب مصري (وهو نوع من الزاغ) امامنا في شجرة تعصف بها الرياح لكن عيدانهُ محكمة الوضع لا تقع ولا تتقاقل وقد مضى عليهِ خمس عشرة سنة يربي فراخهُ فيهِ ويقلقنا بنعيبهِ صيفاً شتاء فيذكرنا غربان لبنان وهي تجتمع عصائب وتخالف الفلاح الى زرعهِ ثم تحلق في الجو فتدوي بنعيبها القيعان ووقاها من رصاص البنادق حذرها الشديد وكراهة لحمها فانهُ لا يؤكل ولا ينتفع بهِ حتى قال الشاعر العربي

فما لحم الغراب لنا بزاد ولا سرطان انهار البريص .

اما حذرها فيروي عنهُ اهالي الجبل قصة يقولون فيها قال الغراب لابنهِ اذا رأيت ابن آدم انحنى الى الارض ليلتقط حجرًا فاهرب منهُ حالاً فقال ابنهُ انني اهرب حالما آراهُ لانهُ قد يكون الحجر في جيبهِ

والناظر الى الغراب بلونهِ السائم ومنقارهِ الغليظ يظنهُ من ابلد الطيور وابعدها عن الظرف والفكاهة والفطنة والذكاء وهو ليس كذلك . يحجل حجلاً كأنهُ يرقص رقصاً ويقول العامة انهُ اراد ان يتعلم مشية الحجل فعجز عنها ونسي مشيتهُ الاولى فصار يثب وثباً يضربون ذلك مثلاً لمن يتطاول الى ما فوق طولهِ فيعود بالخسران . ويقول العرب ان مشيهُ كذلك من قبيل الزهو قال بعضهم

اجمعتُ انك انتَ الأمُ من مشى في فحش مومسة وزهو غرابِ

والحقيقة ان رائدهُ في مشيهِ التفتيش عن القوت . قال فرجيل الشاعر الروماني ما ترجمتهُ

ويحجل في رمال البحر يسعى فريدًا شأنهُ عِظَم وكِبْرُ

وعين الغراب صافية على صغرها حتى قالوا اصفى من عين الغراب وفي ذلك يقول الشاعر

اذا شاء راعيها استقى من وقيعةٍ كعين الغراب صفوها لم يكدَّرِ

والوقيعة المكان الصلب الذي يمسك الماء فيبقى صافياً فيهِ

ومنخراهُ صغيران لكنهما يكفيانهِ لاسترواح الفرائس من بعيد تعاونهما عيناهُ في ذلك . وهو اسود كلهُ ما خلا عينيهِ اما الغراب المصري المعروف بالزاغ فبطنهُ وجانب من ظهرهِ رماديان

الى الزرقة . وقد بلغ السواد من الغراب الاسود ان منقاره اسود ايضاً ظاهرهُ وباطنهُ كانهُ لم يشأ ان يرتدي غير السواد حلةً . لكن الغراب الذي كان شائعاً في بلاد العرب كان اكثرهُ من نوع الزاغ على ما يظهر وهو الغراب الابقع الوارد في قول عنترة العبسي

ظعن الذين فراقهم اتوقَّعُ وجرى ببينهم الغراب الابقعُ

ولذلك اذا ارادوا التشبيه بالسواد شبهوا بخافيتي الغراب وقلَّما شبهوا بهِ كلهِ . لكن الغراب الاسود كان معروفاً ايضاً عندهم بدليل قول النابغة

زعم العواذل ان رحلتنا غداً وبذاك خبَّرنا الغرابُ الاسود

ولعلَّ لونهُ الاسود هو الجاني عليهِ حتى عُدَّ من طيور الشؤم عند فريق كبير من الناس او عند اهل الجنوب بنوع خاص اما اهالي الشمال فنظروا الى لمعان ريشهِ واتخذوهُ مثال الجمال وشبهوا بهِ غدائر الحسان

من خرافات الرومان ما رواهُ اوفيد عن سبب اسوداد الغراب قال كان المعبود ابلون يعشق كورونس وكان الغراب صديقهُ وسميرهُ وهو ابيض كالثلج فاكتشف الغراب ذات يوم ان كورونس تهوى غير عشيقها فنمَّ بها اليهِ فاتَّقدت الغيرة في قلب ابلو ورشقها بسهم اصاب فؤادها ثم ندم على ما فعل وحاول علاجها فلم يغنِ العلاج شيئاً فدار الى الغراب النمام وحوَّلهُ من البياض الى السواد . فقالوا لسان المرء يسوّدُ عرضهُ

وروى اوفيد عنهُ قصةً اخرى تدلُّ على سوء الظن بهِ قال بعث بهِ ابلون ذات يوم يستقي لهُ ماء يسكبهُ في عيد المشتري فطار الى عين ماء فرأى فوقها تينة والتين غير ناضج فيها فانتظر الى ان نضج وملأ بطنهُ منهُ ثم رأى حية كبيرة فقتلها وعاد الى مولاهُ بقصعة الماء والحية واخذ يعتذر عن سبب غيبتهِ بقولهِ رأيت هذا العدو يمنعني عن الاستقاء فقتلتهُ وأتيتك بهِ . فزجرهُ ابلون قائلاً اخسأ يا خبيث ألا تخجل ان تضيف الكذب الى ذنبك من الآن فصاعداً لا تذوق الماء ما دام التين في اشجارهِ . قال اوفيد ومن ثم وُضعت الحيَّة والقصعة والغراب بين كواكب السماء . اساطير وضعوها كناية عن حكمة ارادوها

وظن القدماء ان الغراب الابيض من المستحيلات كالغول والعنقاء والخلّ الوفي ورووا ان فلنتوس لما كان محصوراً في مدينة رودس قال لهُ الوحي ستبقى المدينة لك الى ان يشيب الغراب وبلغ خصمهُ ذلك فامسك غراباً وطلاهُ بالجبس واطارهُ نحو المدينة فلما رآهُ فلنتس خارت عزائمهُ وسلَّم المدينة الى عدوهِ . وقال بعض السيَّاح انهم شاهدوا غرباناً بيضاء في جزائر الهند الغربية وقال الكاتب انهُ رأى غراباً ابيض في دار التحف البريطانية

وطعام الغراب الحشرات والهوام التي يشكو منها ارباب الزراعة فمنهُ نفع كبير من هذا القبيل لكنهُ يعدو احياناً على الحبوب والاثمار وهناك معظم ضرره . واحبُّ طعام اليهِ الجرذان لكنهُ لا يعفو عن الارنب وقد يسطو على صغار الحملان. قال بعضهم انهُ رأى غراباً جاء صغارهُ بخمسة خرانق في ساعة من الزمان (والخرانق صغار الارانب) واذا لم يجد صغار الحيوان سطا على عشاش الطيور وسلب بيضها ولكن يقال انهُ لا يسطو على عشاش جيرانهِ بل على عشاش الغرباء. وقد يعفو عن الهوام القريبة من وكرهِ ويقصد ما كان بعيداً عنهُ . واذا قصد حيواناً كبيراً كالارنب او الحمل بادرهُ بضربة تفقأ عينيهِ ثم كسر رأسهُ وافترسهُ خلافاً لما قالهُ الجاحظ من " انهُ لا يتعاطى الصيد واذا اصاب جيفة نال منها والا مات جوعاً "

والظاهر انهُ مغرم بالجيف فاذا استروح جيفة او رأى جثة حيوان وقع على بعد منها ونعب والتفت يمنةً ويسرةً فاذا لم يزجرهُ احد دنا منها رويداً رويداً وهو ناظر اليها بملء عينيهِ لئلاَّ تكون حيَّة او تكون طعماً وراءهُ فخ او شرك ثم ينعب ويتقدم الى ان يقع على الجثة فيفقأ عينيها وينزع لسانها او قطعةً اخرى من لحمها ويبتلعها وحينئذٍ يكون غراب آخر قد سمع نعيبهُ واتى يشاركهُ في وليمتهِ وتبعهما غيرهما فتقبل كلها على الجيفة تبقر بطنها وتمزق احشاءها وتتردد عليها يوماً بعد يوم وساعة بعد اخرى حتى لا تبقى منها الاَّ العظام وقد يأتي الكلب والثعلب ويشاركانها في وليمتها فلا تستاء منهما

وليس الغراب من الطيور التي تجتمع عصائب كالوز واللقلق ولا يسمح لاولادهِ ان تساكنهُ بل يطردها حالما تصير قادرة على السعي لنفسها ولكنهُ اذا وقع على جيفة نسي الاثرة وصار اشتراكيًّا حتى لقد يجتمع مئة غراب على جيفة واحدة الى ان لا يبقى منها غير عظامها

قيل رأى اهل جزيرة صغيرة ان الغربان كثرت في جزيرتهم فامسكوا بعضها ونتفوا ريش ابدانها وتركوا ريش اجنحتها واذنابها واطاروها فلما رأت اخواتها ما حلَّ بها غادرت الجزيرة لا تلوي على شيء كأنها اتعظت بذلك واعتبرت

وقال الكاتب انهُ رأى الغربان تجتمع معاً في اثينا ورأى نحو سبعين غراباً منها مرة واحدة ولا جيفة امامها وفي ظنهِ انها فراخ اجتمعت لتتزاوج حتى يختار كل زوج زوجتهُ وكل زوجة زوجها ورفيق عمرها لان الغربان لا تعرف الطلاق ولا الهجران بل يعيش الزوج مع زوجتهِ مدى العمر

وقد رأينا مثل هذا المنظر مراراً في سفوح لبنان وفي حديقة الازبكية في هذه العاصمة حتى يظن من يراها انها اجتمعت لتتشاور في مهامها او تحاكم احد الجناة من ابنائها على ما يُروى عنها . وسيأتي تتمة الكلام في الجزء التالي

الربو وعلاجهُ

كتب هذه المقالة طبيب انكليزي مشهور في مجلّة انكليزيّة عمومية حتى يستفيد من مطالعتها جمهور القراء فلخصنا منها ما يلي

الربو ويقال لهُ الازما ايضاً (من كلمة يونانية معناها الشهيق) مرض معروف يكثر حدوثهُ بين المتعلمين والمترفهين وهو نوعان اصلي او عصبي وثانوي او عرضي

وكان الدكتور ترسّو الفرنسوي الشهير مصاباً بهِ فوصف كيفية نوبتهِ وصفاً بديعاً قال فيهِ . يذهب المصاب الى فراشهِ على جاري عادتهِ غير شاعر بشيء وينام سريعاً وبعد ساعة او ساعتين يستيقظ مقطوع النفَس كأنَّ شيئاً ضغط على صدرهِ وطبقهُ يشهق شهيقاً فيهِ صفير وازيز يُسمع عن بُعد. ثم تزيد الحالة شدةً فيجلس ويلقي رأسهُ على كتفيهِ ويسند مرفقيهِ على فخذيهِ ويحمر وجههُ ويزرق وينتفخ وتجحظ عيناهُ وتتوتر عضلات عنقهِ التي لا يظهر فعلها في التنفس العادي ويندى جلدهُ بالعرق . وقد يريحهُ الهواء النقي ولكن النوبة قد تطول بضع ساعات وحينما تنتهي يعود اليهِ سبات النوم . وتتكرَّر النوبة ليلة بعد ليلة ولا يشعر بشيء في غضون النهار

﴿ سبب الربو ﴾ الميل اليهِ وراثي في الغالب بين الخامسة عشرة والثلاثين والنساء اميل اليهِ من الرجال وبعد الثلاثين يصير الرجال اميل اليهِ من النساء . والاصلي او العصبي يكثر قبل السنة العاشرة والخطر منهُ نادر . والثانوي او العرضي لا يرى الاَّ في البالغين ويزيد بهِ خطر الداء الذي يسببهُ فهو اشد خطراً من الاول

وقد يكون سبب العصبي في الانف او في الحلق ويعلم ذلك بنوم الصغار وافواههم مفتوحة وهم يتنفسون من افواههم او بوجود الخلل في سمعهم

وقد يصاب البعض بالربو من شمهم رائحة بعض الحيوانات كالقطط والفيران والارانب والخيل بل من شمهم رائحة الناس المجتمعين في اماكن مزدحمة . ويصاب بعضهم من شمهم بعض الطيوب كرائحة البنفسج والاقحوان والمسك ومن شربهم بعض الادوية كعرق الذهب والحامض السليسيليك

ويصاب بهِ البعض من اشتغالهم ببعض الحرف التي تستدعي لمس المعادن كالرصاص والزيبق والزرنيخ والقصدير . وتحدث نوبهُ احياناً من الانفعال الشديد . والامراض التي تحدث

الربو كثيرة ومنها البول السكري والنقرس والروماتزم وامراض القلب والرئة والكبد والكليتين والدماغ وسوء الهضم والديدان

وقد تحدث نوبة الربو من اكل بعض الاطعمة كالكبد المقلو والخبز الجديد والبيض ولحم الاصداف البحرية واللحم الذي ابتدأ فيهِ الفساد

ووُجدت ميكروبات مرضيَّة في نفث المصابين بالربو ولكن لا يعلم هل كان وجودها عرضاً او كانت من المهيجات لنوب الربو

وعُلم الآن ان السبب المباشر للنوبة هو تشنج العضلات المبطنة للشعب الرئويَّة الدقيقة فيوجَّه العلاج الى منع هذا التشنج او الى بسط تلك العضلات بعد تشنجها

وقد تلتبس نوبة الربو في الصغار بضيق التنفُّس الناتج عن تضيق الحنجرة او القصبة بمادة دفثيرية فيجب الفرق بينهما فان كان ضيق النفس ناتجاً عن الدفثيريا رأيت الراس مدفوعاً الى الوراء والضيق حادثاً في الشهيق وان كان ناتجاً عن الربو انحنى الرأس الى الامام ويكون ضيق التنفُّس في الزفير اي في اخراج الهواء من الصدر

ويخشى من الربو لانهُ يتعب الرئتين والقلب والكليتين ونحوها من الاعضاء ولذلك تخشى عواقبهُ ولو كان غير قتَّال بنفسهِ هذا اذا كان اصليًّا . واذا كان ثانويًّا زادت شدَّة المرض الذي يسببهُ فزاد خطرهُ

واذا طالت النوبة كثر الحامض الكربونيك في الدم فسمَّت بهِ مراكز الدماغ المتسلطة على التنفُّس فتنبسط عضلات الجسم بعض انقباضها وفي جملتها عضلات الشعب المار ذكرها فيزول انقباضها و يسهل التنفُّس . اي ان اشتداد النوبة يزيلها . ومن ثم تعلم الطريقة التي يمكن ان تُعالج بها هذه النوَب حتى تزول

﴿ علاج الربو ﴾ لقد تعدَّدت الادوية التي يعالج بها الربو لتعدد اسبابهِ ولذلك لا يصحُّ الاعتماد على علاج واحد في جميع الاحوال . ونقسم طرق العلاج الى قسمين قسم يستعمل وقت الفترات لمنع النوَب وقسم يستعمل وقت النوب لازالتها سريعاً

ومن الاول ازالة الاسباب اذا امكن ومن هذه الاسباب بقاء الطعام في المعدة غير مهضوم فيزال منها بمقيءٍ او بمسهل . ومنها وجود الدود القرعي في الامعاء فيزال بطارداتهِ . ومنها تضخم اللوزتين او غيرهما من الغدد او وجود نام في الانف ولا بدَّ من ازالة هذا السبب . واذا لم يظهر السبب وكان في الجسم مرض آخر وجب ان يعالج بسرعة حتى يزول او حتى يخف . ومنها نوع الهواء بين ان يكون جافًّا او رطباً حارًّا او بارداً نقيًّا او غير نقي

فان المصاب بالربو في مكان هواؤهُ رطب قد يستفيد من مكان هواؤهُ جاف والضد بالضد. والمصاب في مكان هواؤهُ كثير الدخان قد يستفيد في مكان لا دخان في هوائهِ والضد بالضد. وكذلك صناعة الانسان قد تؤثر فيهِ فاذا ثبت ذلك وجب تغييرها.

اما من حيث الطعام المناسب للمصابين بالربو فالآراء مختلفة كثيرًا لان الباحثين لم يهتدوا حتى الآن الى ما يثبت افضلية نوع على آخر ولذلك يترك الامر الى اختبار المصاب

﴿ علاج النوب ﴾ اذا خابت الوسائل التي تمنع حدوث النوبة فالوسائل التي تخففها او تقصر مدتها لا تخيب غالبًا وهي على ثلاثة انواع الاول وسائل عمومية والثاني وسائل تمنع التشنج مباشرة والثالث وسائل تأول الى منع التشنج. فمن الوسائل العمومية فك الثياب ولزق بزر الكتان. واذا طالت النوبة فيستعمل للصغار دهان مركب من جزء من زيت العمبر وثلاثة اجزاء من الزيت المكوفر وللبالغين ثلاثة اجزاء من التربنتينا و ٦ اجزاء من مذوب الامونيا و ١٠ اجزاء من زيت الزيتون يدهن بها الصدر والظهر مرارًا

وقد يفيد فنجان من القهوة. ويفيد ايضًا رش باطن الانف بمذوب الكوكايين. وتوجد علاجات اخرى مثل المورفيا والكلورال ويوديد البوتاسيوم وبروميدهِ والفاليريانا. اما المورفيا والكلورال فيترك وصفهما وكيفية استعمالها للطبيب واما يوديد البوتاسيوم فيستعمل من نصف قمحة الى قمحة ونصف والبروميد من قمحتين الى خمس قمحات وصبغة الفاليريانا النشادرية من خمس نقط الى ١٥ نقطة تمزج هذه الادوية معًا وتستعمل مع الماء المحلى بالسكر حتى تصير الجرعة نحو ستة دراهم والجرعة الصغيرة للاولاد من ابن ست سنين فنازلاً والكبيرة لاولاد ١٤ سنة وما بينهما لمن سنهُ بين بين. والذين سنهم اكبر من ذلك الى ٥٥ سنة يمكنهم ان يأخذوا خمس قمحات من يوديد البوتاسيوم وعشر قمحات من بروميدهِ وعشرين الى ستين نقطة من الفاليريانا في ما يكفي من الماء حتى تصير ٨ دراهم مرةً كل اربع ساعات

ويوضع نيترات الاميل في كبسول زجاجي في الكبسولة ٣ نقط الى ٥ وتكسر الكبسولة في منديل ويستنشق بخارها. والصداع الشديد الذي ينتج عنهُ لا يطول بل يزول حالاً باستنشاق الهواء النقي

اما الوسائل التي تأول الى منع التشنج فقاعدتها ملح البارود يستنشق بخارهُ في سكاكير او يحرق بالنار ويستنشق بخارهُ رأسًا. او يبل قرطاس نشاش بمذوبهِ ويجفف ويحرق ويطفأ ويترك حتى يشتعل بدخان كثيف ويستنشق دخانهُ. واحسن مزيج منهُ جزءان من مسحوق السترامونيوم وجزء من مسحوق اليانسون وجزء من مسحوق ملح البارود. يجفف كل

نوع منها على حدته ثم تخلط معاً . واذا كان المصاب لا يدخن التبغ فقليل منهُ مع هذه المواد يفيدهُ جداً بوضع نحو درهم من المخلوط في صحفة ويحرق ويستنشق دخانهُ

وتدخين التبغ يفيد الذين لا يدخنون ولكن اذا كان التبغ ممزوجاً بالمواد المتقدم ذكرها كانت فائدتهُ اتم

والزرنيخ من الادوية المفيدة جداً ولكن لا يجوز استعمالهُ الاَّ بامر الطبيب وحسب ما يشير بهِ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

اتحفتنا حضرة السيدة الكريمة ادلا وتبات كريمة استاذنا الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات بمقالات كبيرة الفائدة في هذا الموضوع فعربناها لننشرها في باب تدبير المنزل تباعاً لان تمريض المرضى منوط اكثرهُ بربَّة المنزل فهي التي تسهر على زوجها وولدها اذا مرضا وهي التي تعاون الطبيب في استعمال الدواء الذي يصفهُ لهما وعلى درايتها وعنايتها يتوقف نجاح العلاج

تمهيد

التمريض صناعة رائدها الحب لكن الحب لا يفيد بلا علم ولاسيما اذا كانت حياة المريض وموتهُ وراحتهُ وتعبهُ في يد الممرّضة

ولم تتعلَّم النساء في هذه البلاد كيفيَّة تمريض المرضى حتى الآن ولكن جاءتها بعض الممرضات من البلدان الاجنبيَّة وعسى ان يجبّر هذا النقص مع الزمان فتكثر الممرضات اللواتي تعلمنَ صناعة التمريض ومارسنها كما هنَّ في انكلترا واميركا حيث ترى الممرضات الماهرات في المستشفيات وفي بيوت الاغنياء والفقراء يمرّضنَ المرضى ويطيّبنَ النفوس

ولم اكتب هذه الفصول للمرّضة التي تعلمت صناعة التمريض ومارستها بل لربَّة المنزل التي يدخل المرض بيتها وتجد نفسها مغلولة اليدين لا تعلم ماذا تفعل لراحة الذين تحبهم وتخفيف آلامهم . فقد تكون من الاغنياء تستدعي لمريضها امهر الاطباء فيعودهُ مرةً او اكثر في

اليوم لكنها لا تتعلَّم منهُ كيف تسوس المريض في غيبتهِ ولا كيف تخفف آلامهُ ولا يطمئن بالها لحظة ما دامت تجهل سير المرض وكيفيَّة استعمال العلاج . كم من امٍ واخت وزوجة تقف امام سرير مريضها تودُّ لو تفتديهِ بنفسها لتخفيف آلامهِ لكنها لا تستطيع ان تفعل شيئًا لانها تجهل ما تريد فعلهُ فلهذا اكتب هذه الفصول راجيةً ان يكون منها النفع المراد

سمعت بالامس امرأة تتحسَّر على جارتها وتقول واحسرتاه عليها فقد مات ابنها وهو شاب ويقول الاطباء انهُ لو أُرسل الى المستشفى لشفي من مرضهِ ولكن ماذا كان يمكن ان يُفعَل لهُ في المستشفى اكثر مما فعلتهُ امهُ . جلست عند رأسهِ شهرًا كاملاً نهارًا وليلاً لم تأكل ولم تشرب ولم تنم ولم تفارقهُ لحظةً . فهل كان في امكانها ان تفعل لهُ اكثر من ذلك

فلم اقل لها شيئًا بل اخذت افكّر في حال تلك الامّ وكيف كانت تجهل وصايا الطبيب وتغفل اعطاء الدواء والغذاء لابنها في الاوقات المعينة وكأَني كنت ارى ذلك الشاب ويكاد جوفهُ يلتهب من العطش وامهُ واقفة فوق سريرهِ لا تعطيهِ شربة ماء لان امرأَةً من جاراتها قالت لها ان الماء البارد يضرُّهُ. ونساء الحي كلهنَّ جالسات معها ولكلّ منهنَّ كلام تقولهُ ورأي تبديهِ وقد افسدنَ هواء غرفتهِ بتنفسهنَّ وصممن اذنيهِ باصواتهنَّ . افيعجب احد بعد ذلك من تغلُّب المرض عليهِ . أفلم ارَ امهات يطعمنَ اطفالهنَّ المرضى من طعامهنَّ بل يطعمنهم اطعمةً اغلظ من ذلك حمصًا ولوزًا ومسكَّرات ثم يقلنَ للطبيب ان دواءهُ لم يفدهم . وكيف يفيد الدواء والطفل يُطعَم هذه الاطعمة الغليظة ولا يعبأُ بقول الطبيب ونصحهِ

قواعد عامَّة

اذا دخل المرض بيتًا فلا بدَّ من حفظ هذه الامور الثلاثة وهي

اولاً الهدوء التام

ثانيًا الترتيب التام

ثالثًا النظافة التامة والهواء النقي . وفي كل من ذلك كلام لا بدَّ من بسطهِ

﴿ الهدوء التام ﴾ لا يسمح لاحد من الاصدقاء والجيران في دخول غرفة المريض ولا يسمح لاحد في دخول البيت للعيادة اذا امكن لان كل صوت وكل لغط يضرُّ بالمريض. واذا تكلَّم الذين في غرفتهِ فليكن كلامهم همسًا بصوت منخفض ولكن لا يجوز لاحد منهم ان يتكلم في اذن الآخر لئلاَّ يوجس المريض خيفةً فيظن انهم يقولون شيئًا يريدون ان لا يسمعهُ. فاذا كنتَ تريد ان تقول شيئًا لا تحب ان يسمعهُ المريض فلا تقلهُ في غرفتهِ بل اخرج منها وقلهُ خارجًا

﴿ الترتيب التام ﴾ اذا دخل البيت مرض من الامراض التي تطول مدتها كالتيفويد فعلى ربة البيت ان تقابلهُ بالحزم والسكينة وتستعد لهُ حالاً الاستعداد اللازم حسب مقتضى الحال واذا كان عندها اولاد صغار واستطاعت ان ترسلهم ليقيموا مع بعض الاقارب او الجيران فلتفعل ذلك من غير ابطاء

ولا بدَّ من اثنتين لتمريض كل مريض اذا كان مرضهُ شديداً واحدة للنهار وواحدة لليل ولكن لا يجوز لها ان تمرّضاهُ معاً نهاراً وليلاً ولا بدَّ للمرضتين من اناس يقومون مقامهما حينما تأكلان وتخرجان للنزهة وعلى الممرضة (او الممرض) ان تراعي شروط النظافة التامة لان النظافة لازمة لها وللمريض ايضاً وان تعتني بنفسها الاعتناء التام حتى يبقى فكرها رائقاً يعي ما يقولهُ الطبيب لتعمل بهِ . وحينما يأتي الطبيب فلتقابلهُ ممرضة واحدة وتخبرهُ عن المريض واما العادة الجارية وهي ان يقابلهُ كل اهل البيت ويخبرهُ كلٌّ منهم خبراً مخالفاً للآخر فليست من الحكمة في شيء . وعلى كل ممرضة ان تخبر الاخرى بما حدث مدة قيامها على خدمة المريض وما فعلتهُ لهُ حتى تكون كلٌّ منهما عارفة بسير المرض وفعل العلاج

ويحسن بالطبيب ان يعلّم الممرضة كيف تستعلم درجة حرارة المريض في اوقات معينة وتكتبها لهُ فان ذلك يساعدهُ في معالجتهِ

﴿ النظافة التامة ﴾ ان القوانين الصحيَّة تمنع المرض واذا عجزت عن ذلك فانها تردُّ الصحة بعد حدوث المرض . ان بعض النساء يكثرن من الغسل والمسح ولكنهنَّ يضعن فضلات الطعام والثياب الوسخة في الخزائن وتحت المقاعد والسرائر ولا يسألنَ عنها . وكثيراً ما تكون مرافق بيوتهنَّ غير محكمة فتجدها مملوءة بالغازات الفاسدة . وما عسى ان اقول عن الناس الذين لا يغتسلون ولا يعرفون ما هي النظافة فتجد ابدانهم قذرة وغرفهم وسخة ومرضاهم في حالة يرثى لها من القذارة والوساخة . قابلْ بينهم وبين مرضى المستشفيات فانهُ حالما يؤتى بالمريض الى المستشفى تنزع عنهُ ثيابهُ ويغسل بدنهُ اذا كان مرضهُ لا يمنع ذلك والاَّ أُلقي على مقعد فوق ملاءة نظيفة ومسح بدنهُ جيداً كما سيجيء في الكلام على غسل المصابين بالتيفويد ثم ينشف بمناشف نظيفة ويُلبس ثياباً نقيَّة ويوضع على فراش نظيف في غرفة هواؤها نقي ويسقى كاساً من اللبن او المرق فتنتعش قواهُ ويحمد مولاهُ وينام ملء عينيهِ وينسى ما لقيهُ في بيتهِ

ولا بدَّ من ان تخبر الممرضة الطبيب بكل ما جرى للمريض في غيبتهِ او قبل حضورهِ فتخبرهُ عن الامور الآتية

النوم — يخبر كم ساعة نام المريض وهل كان نومهُ متواصلاً او متقطعًا

الطعام — وماذا اكل وماذا شرب ومقدار ما اكلهُ ومقدار ما شربهُ وهل اكل بقابليَّة او بغير قابليَّة

الامعاء — تلاحظ مبرزاتهُ ليُرى لونها وكم مرةً خرج واذا كان مصابًا بالامساك فمنذ كم يوم لم يخرج واذا كان مصابًا بالاسهال فكم مرةً خرج في اربع وعشرين ساعة

الدواء — يلاحظ ما اذا كان المريض يعرق او ينام او يدوخ بعد اخذهِ الدواء

البول — يلاحظ لونهُ ومقدارهُ

والممرضة رقيبة على المريض من قبَل الطبيب وكثيرًا ما يتوقف علاجهُ على ما يسمعهُ منها. ويجب عليها ان تدقق في اعطاء الطعام والدواء للمريض ولكن لا يجوز لها ان توقظهُ لتطعمهُ او لتسقيهُ الدواء ما لم يأمر الطبيب بذلك صريحًا لان النوم انفع للمريض من الطعام والدواء

ولا بدَّ من اجراء اوامر الطبيب حرفيًا فاذا كان اهل المريض لا يثقون بهِ فلهم ان يبدلوهُ بآخر ولكن ما دام هو القائم على معالجة المريض وجب التسليم التام لهُ

اذا جئت المريض بالطعام فجئهُ بكميات قليلة منهُ واذا امكن فضع الصحفة او الفنجان على طبق نظيف عليهِ فوطة بيضاء نظيفة . وكلما سقي الدواء في فنجان او ملعقة وجب غسل الفنجان او الملعقة جيدًا وكذلك يغسل الفنجان الذي يشرب منهُ اللبن او المرق . ولا يجوز هز سرير المريض ولا الجلوس عند رأسهِ بل امامهُ حتى لا يضطر ان يرفع رأسهُ كلما اراد ان يرى الجالس معهُ

وعلى الممرضة ان تمشي في غرفة المريض بالهدوء التام لابسةً خفًّا ناعمًا لا يسمع لهُ صوت

الفراش والغطاء

ان اعداد الفراش والغطاء والوسائد حتى تكون كلها مناسبة لحال المريض ليس بالامر السهل فاذا كان المريض مصابًا بالتيفويد مثلاً توضع لهُ وسادة واحدة ويغطى بملاءة واحدة واذا كان مصابًا بالاستسقاء يجب ان يغطَّى جيدًا وتوضع تحتهُ الوسائد الكثيرة وتوضع وسادة تحت ركبتيهِ . وفراش المصاب بالفالج يجب ان يكون لينًا جدًّا واما فراش من كسرت ساقهُ فيجب ان يكون غير لين وسيأتي الكلام على ذلك بالاسهاب . ولا بدَّ هنا من تنبيه القرَّاء الى ان الغطاء الذي يدفئ لا يلزم ان يكون ثقيلاً وغطاء المريض بنوعٍ خاص يلزم ان يكون خفيفًا ولو دعت الحال ان يكون مدفئًا ايضًا لان جسمهُ ضعيف لا يحتمل الغطاء الثقيل . والملاءة (الشرشف) والاحرمة تكفي لذلك

ولا بدَّ من ان يكون السرير بعيدًا من الحائط فان ذلك انفع للصحة واسهل على المريض والممرضة اذ يسهل عليها الوصول اليهِ من كل جهة . واذا كان المريض كبيرًا وسريرهُ ملاصقًا للحائط تعذَّر عليها تمريضهُ كما يجب

ويجب ان لا يكون في غرفة المريض كثير من الاثاث . واذا كان المرض معديًا وجب ان تنزع منها السجادات والستائر وكل ما يمكن الاستغناء عنهُ

العوارض البيتية

كان شابٌ جالسًا على كرسي هزَّاز يقرأُ ويهزُّ الكرسي والى جانبهِ مائدة عليها قنديل كبير من قناديل البترول . واشتد هزُّهُ للكرسي فمال الى الوقوع بهِ فامسك بالمائدة من غير انتباهٍ فوقعت ووقع القنديل فانكسر وانصبَّ الزيت منهُ واشتعل وكانت ارض الدار التي هو فيها من الخشب وحولها غرف النوم وليس فيها الَّا ابنة عمرها نحو تسع سنوات وكان ابوها وامها واخوتها قد خرجوا من البيت للسهرة . وحاول الشاب اطفاء النار برجليهِ فسمعت الابنة صوتهُ ونهضت من سريرها وفتحت الباب ورأَت الزيت مبسوطًا في الدار ومشتعلاً فيها فاسرعت الى سجَّادة كبيرة القتها عليهِ فانطفأَ حالاً ونجت البيت وما فيهِ من الاشتعال

هذا عارض من العوارض الكثيرة التي اذا قوبلت بالتعقُّل والوسائط المناسبة دُفع شرُّها والَّا فنها ضرر لا يقدَّر . وقد يستطيع الولد الصغير ان يدفع شرًّا كبيرًا اذا عرف السبيل لدفعهِ فان تلك الابنة سمعتنا نقول ان القاء السجَّادة او البساط على النار يطفئها فبقي ذلك في ذهنها وانقذت بيتنا وادارتنا كلها من النار . وسنذكر في الفصول التالية الوسائل التي يمكن الالتجاء اليها للنجاة من هذه العوارض

﴿ النجاة من النار ﴾ اذا نهض الانسان من سريرهِ ورأَى بيتهُ يحترق فليلبس ثيابهُ اولاً اذا استطاع ذلك والَّا فليلتف بحرام من الصوف او سجادة او بساط ويحاول الخروج من اقرب باب يمكن الخروج منهُ من البيت . ويجب ان لا يفتح ما لا داعي لفتحهِ من الابواب وان يقفل كل باب فتحهُ لان كثرة الابواب المفتوحة تسهل احتراق البيت فكلما فتح باب اندفع الدخان في جهتهِ واندفعت النار وراءهُ

ويبقى الهواء نقيًّا قرب ارض الغرف فاذا خفتَ من الاختناق بالدخان فازحف على يديك ورجليك لكي تتنفَّس الهواء الذي عند الارض او اربط وجهك بمنديل من الحرير او قطعة من الفلانلا بعد ان تبلهما بالماء فيمتنع وصول الدخان الى فمك وانفك . ولا تحاول الهرب من الشباك

بالوثب منهُ ما لم يكن رجال المطافىء تحتهُ ومعهم شبكة يستلقونك بها . واذا لم تجد واسطة للنجاة ادخل غرفة نوم واقفل بابها وراءك جيدًا واربط الملاءات بعضها ببعض واربطها بشيءٍ ثقيل من الاثاث وتدلَّ بها من الشباك . والمروءة تقضي ان ينجي الانسان اولادهُ قبلما يهتم بنجاة نفسهِ

❊ احتراق الثياب ❊ قلما يمضي شهر الاَّ ونسمع عن امرأة او ابنة احترقت ثيابها فماتت . ويحدث ذلك للنساء والبنات اكثر مما يحدث للرجال والصبيان لان ثيابهنَّ كثيرة تشتعل بسهولة . فاذا اشتعلت ثياب امرأة او ابنة فلتعلم ان اشتعالها يشتدُّ ما دامت واقفة فلتلقِ نفسها على الارض حالاً ولتتمرَّغ عليها تمرُّغًا كما تتمرَّغ الدابَّة واذا وجدت قربها بساطًا او سجَّادةً او حرامًا من الصوف فلتلتف بهِ . واذا اشتعلت ثياب ولد فلا تدعهُ يركض لان الركض يزيد اشتعال ثيابهِ بل القهِ على الارض حالاً ولفهُ بما تجدهُ امامك من المواد الصوفية ثيابًا كانت او احرمةً او بسطًا او سجادات والاَّ فبما تجدهُ من الثياب والملاءات بشرط ان تسكب عليها ماء حتى تبتل . واهم ما يجب الانتباه لهُ ان الوقوف يزيد اشتعال النار ويوصل اللهب الى الراس فيزيد الخطر ولا بد لمن تشتعل النار في ثيابهِ من ان ينطرح على الارض حالاً

❊ الاغماء ❊ اذا اغمي على شخص فالقهِ على ظهرهِ في مكان مطلق الهواء وفك ثيابهُ وافرك يديهِ ورجليهِ وشممهُ روح الكافور او الامونيا

❊ لسع النحل والزنابير والعقارب ❊ انزع الحمة اذا امكن وصب على اللسع من روح الامونيا واذا لم توجد فضع عليهِ لبخة من زيت الزيتون او من العجين . واذا امكن مصُّ الجرح بالفم خفَّ الالتهاب والالم

آداب المائدة

اجلس على مائدة الطعام منتصبًا لا تنحنِ عليها ولا تنحنِ الى الوراء

ابسط الفوطة على حضنك . وقد أُهملت الآن العادة القديمة وهي تعليق الفوطة بالعنق حتى تغطي الصدر ولم تعد تستعمل الاَّ للاطفال

شارك الذين تؤاكلهم في الحديث ولا تبدِ اقلَّ ضجر اذا لم يُقدَّم لك الطعام قبل غيرك

خُذْ من كل الالوان التي تقدَّم لك ولو لم تأكل منها الاَّ قليلاً اذ ليس من الظرف ان يأكل غيرك وان تتفرج عليهِ

كُلْ متمهلاً من غير صوت اذا امكن ولا تملأ فمك ولا تفقع شفتيك

لا تتناول الطعام بالسكين بل بالملعقة والشوكة لا غير ولا تنحنِ على الصحفة حينما تأكل

اشرب الشوربا من جانب الملعقة لا من رأسها

السرور يساعد على الهضم فلا تتعرَّض لموضوع يكدر احدًا وانت تأكل معهُ

لا تضع على غطاء المائدة شيئًا من فضلات الطعام كالعظام و بزر الزيتون وقشور الفاكهة بل ضعها على جانب صحفتك او في صحفة خاصَّة بها

اكسر الخبز كسرًا بيدك ولا تقطعهُ بالسكين

لا تضع اصابعك في فمك ولا تتخلَّل وانت تأكل

لا تقم عن المائدة والطعام في فمك او في يدك

لا تأكل فوق الشبع واذا اعتدتَ ذلك سمنتَ وساءت صحتك او قلَّت راحتك

لا تنتهر الخدَم الذين يخدمونك على المائدة ولكن ليس من اللياقة ان تشكرهم على شيءٍ لان خدمتك واجبة عليهم



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُختار على المطوَّلة

قراءة الصحف

قد اولعت بقراءة الصحف والمجلات وحصلت لي بذلك لذة زادتني رغبة وولوعًا حتى اذا مرَّ عليَّ اسبوع ولم اطالع بعض ما ظهر فيهِ من اعداد الصحف الاسبوعية شعرت بالاستيحاش ومسَّت قلبي حرارة الشوق الى المطالعة واذا انقضى شهر ولم اطالع ما ألفتُ مطالعتهُ من المجلاَّت العلمية انقبض قلبي واصابني ما يصيب المدخّن اذا اعوزهُ الدخان . ولقد رأيت هذه المطالعة من افيد المطالعات لمن يدخل في الاعمال ويخالط الانام ويجالسهم اذ تقفهُ على احوال البلاد وترية ما بين الدول من الوفاق او الشقاق واذا اعرض عن مطالعتها رأى نفسهُ عند مجالسة الاصحاب غريبًا عن الدنيا ليس عندهُ شيءٌ من اخبارها ومنحطًّا معرفة عن طبقة من يحسنون مطالعتها

كيفية مطالعة الصحف

ان من اراد ان يستفيد من مطالعة الصحف ولا يلحقهُ اذى من بعض منشوراتها فلا بدَّ لهُ من اربعة امور الاوَّل ان يقرأ كل ما كُتب فيها لا يدع مطلبًا من مطالبها ولا خبرًا من اخبارها ولو من اخبار قدوم رجل من العوام او سفرهِ ممن لا يتوقف على معرفة قدومهِ او سفرهِ امر من الامور جريًا على القول المشهور "العلم بالشيء ولا الجهل بهِ" وهذا الامر قلَّ من يوفيهِ حقهُ ممن نراهم يطالعون الجرائد بل كثيرًا ما ترى الشخص يأخذ الجريدة فاذا لم يجد فيها خبرًا يلذ لهُ القاها من يدهِ او نبذها نبذ شيءٍ يعلوهُ قذرٌ حالة كونهِ لا شاغل يشغلهُ عن استتمام القراءة بل قد يعرض عنها الى ما يتلهى بهِ من ضروب اللعب ويستقرئ الحوادث واسبابها وسيرها ونهاياتها

الثاني ان يتتبع المطالب عددًا فعددًا حتى يكون عارفًا في كل مسئلة كمن يسير من منبع النهر الى منصبهِ بحيث لو اراد ان يكتب تاريخ حادثة جرت او مسئلة وقعت لصوَّر لك دواعي وجودها واراك طرق سيرها وبيَّن لك المصاير وعِللَها . وقد عرفت بعض من يلتزمون ذلك ويراعونهُ وكانت احاديثهم في أُذني الذَّ من الصهباء في ذوق الاخطل

الثالث ان يستدعي انتباههُ ويستنجد عقلهُ حتى لا يذهب عليهِ شيءٌ مما لا صحة لهُ وكي لا يستحسن ما لا وجه لاستحسانهِ فان اكثر اصحاب الجرائد العربية انما يأثرون ما عدا الاخبار المحلية عن جرائد اوربا وهذه قد تذكر اموراً يحسن هناك ذكرها ويفيد ويقبح نشرها هنا ويضرّ وما يتصدى لها اصحاب صحفنا ارادة الاذى لكنَّ كثرة الشواغل وتراكم المهامّ عليهم قد يغفلانهم عن رعاية ما تقتضيهِ حال المطالعين وحالة البلاد التي تجوبها جرائدهم . ومن احبَّ الالتفات الى ما اقول فلينظر جرائد كل مملكة كيف تخبر عن جيوشها في الحرب برّها تكتم اخبار الانكسار او تفرغها في اضيق قوالب الايجاز وبرّها تبادر الى نشر اخبار الانتصار على غاية ما تصل اليهِ الاقلام من الاطناب فعند الانكسار تكاد المحابر تجفّ وعند الانتصار تمد المحابر اليراع كأنها برك تدفق بالمداد وهل يلامون على ذلك كلاَّ بل انما هو تلقين الحكمة وارشاد الفطنة وهو السنَّة المتَّبعة عند البشر مذ كانوا

الرابع ان يعذر الجرائد اذا نوَّهت ببعض الناس تنويهاً عاليًا وغالت في مدحهم. واني لكثرة ما قرأت وسمعت من الانتقاد من هذه الجهة اعملت الفكر في ذلك فتبين لي وجه للعذر وجيه وهو ان هذه الجرائد انما تحيا بمال المشتركين وهؤلاء شأنهم في ان يكونوا معروفين بالصفات العالية والمناقب الشريفة شأن سائر البشر فهم يؤاخذون اصحاب الجرائد التي يشتركون

فيها ان عرض ذكرهم ولم يتبعوا اسماءهم بالنعوت النبيهة وربما ادى ذلك الى مصارمة الجريدة وقطع رزقها. ولو نزّل المنتقد نفسهُ منزلة من يخسر مالهُ وعناءهُ ان لم يراعِ خواطر القراء لعدل عن الانتقاد على ان اصحاب الجرائد الذين يؤاخذون في ذلك لا يصفون المرء بصفة لا اثر لها فيهِ وغاية ما هنالك انهم يكبرون تلك الصفة وهذه سنة الناس في المدح وانهم يشمئزون من بعض ما يكتبون من هذا القبيل فوق ما يشمئز غيرهم منهُ ولكن الضرورات تبيح المحظورات

مما يضرُّ نشرهُ

مما يضر نشرهُ اندفاع الجرائد بالطعن على ذي منصب غير مستوجب الطعن واطراؤُها من هو جدير بان يُتظلَّم منهُ لمخالفتهِ ما يوجب عليهِ منصبهُ فان كانت ذات غيرة على مصلحة العباد ومحبةٍ لعمران البلاد فسبيلها ان تنتقد اعمال من يشذّ عن مقتضيات منصبهِ وتذكر ذلك بعبارة خالية مما يحقرهُ ويشوّهُ اسمهُ والاَّ عرَّضت نفسها للاستخفاف والامتهان لا اقول ذلك لكنّ لا يعتقد ان الجرائد تقدر ان تخدم الآداب والشعوب افضل خدمة وتستطيع ان تكون اقرب وسيلة لجرّ المنافع ودفع المضارّ ولا سيما اذا كانت حرّةً يديرها الحكماء ويدوّنها الفضلاء. ومن تتبع مطالعة الصحف يرَ ان بعض الجرائد والمجلاَّت قد صارت ذات مكانة في النفوس وأحرزت اقوالها التكريم عند الخواصّ والعوامّ وذلك لترفعها عن مجاراة الاهواء والتزامها الانقياد للبرهان وتعمد المنفعة العامة والمحافظة على كرامة الصيت فعلى الجريدة اذا رأت أن من وراء الانتقاد على بعض الاعمال فائدة ان تفعل ولكن على وجه يليق بقدرها وقدر الحق الذي تودّ المحافظة عليهِ واما الذمّ الأليم والطعن الموجع فأَحرِ بها أن تتكارم عنهما وتقيم نفسها مقام المهذب او مقام الجرّاح المداوي فليس تونيب المهذِّب كذم العدوّ ولا مدية الجرّاح كسيف القاتل فهما وان جمعهما الايلام يفرقهما الباعث فتونيب المهذب يبعثهُ صفاء الود وجرح الجرّاح يدعو اليهِ طلب الشفاء واما ذمُّ الذامّ وجرح العدو فلا باعث لهما الاَّ الضغينة

بيروت عفيفة سعيد الشرتوني

منزلة الشعر من التاريخ

حضرة منشئي المقتطف المحترمين

اراكم تنوهون بالفصول التي جمعها حضرة الكاتب المجتهد المجيد امين افندي ظاهر خيرالله فتنشرونها على ما فيها من التطويل كأنها من المكتشفات العصرية والمبتدعات المفيدة. ولا

انكر على حضرة جامعها اجتهاده المفرط وانهُ تصفح مئات من الدواوين حتى جمعها ولكن يُرى لدى امعان النظر انهُ لم يكد يعثر على شيء لا ينتظر وجوده عند العرب في الزمن الذي نظموا فيهِ الاشعار التي استشهد بها

ولديَّ الآن الجزء الاول من اجزاء هذه السنة من سني المقتطف وفيهِ كلام على ان العرب استعملوا الدنانير في زمن عنترة العبسي وربيعة بن المكدّم والاعشى ونحوهم من الشعراء الذين كانوا في آخر زمن الجاهلية او قُبَيل ظهور الاسلام اي في القرن السادس والسابع بعد الميلاد . ومعلوم ان استعمال النقود قديم جدًّا من قبل عهد الاسكندر وكان اهالي سورية ومصر وفارس المتاخمون للعرب يستعملون النقود قبل الاسلام بمئات من السنين وكان العرب يخالطونهم تجارًا او اصحاب قوافل لنقل البضائع التجارية من عهد يعقوب ابي الاسباط فلا يعقل الّا انهم كانوا يستعملون النقود الشائعة عند الامم المتاخمة لهم والّا فليسوا بشرًا . واثباتنا انهم كانوا يستعملون النقود المستعملة عند الامم المتاخمة لهم كاثباتنا انهم كانوا يطبخون الطعام ويلبسون الثياب . نعم لو اثبت حضرة جامع هذه الفصول ان العرب الجاهلية كانوا يصكون النقود لكان في ذلك دليل على عمرانهم اما اثبات تعاملهم بالنقود فغاية ما فيهِ ان العرب كانوا يدخلون البلاد المجاورة لهم تجارًا او كانوا يؤجرون جمالهم لتجار البلاد المجاورة او كان تجار البلاد المجاورة يدخلون بلادهم للاتجار وليس في شيء من ذلك دليل على العمران الباذخ

اما استعمال الوزن للنقود وللفضة والذهب فان قام دليلاً فهو دليل على ضعف العمران لان العمران يكثر النقود الصحيحة ويغني الناس عن استعمال الميزان لها او للفضة والذهب

وقد اوردتم في المجلد الرابع من المقتطف الذي صدر منذ ثلاث وعشرين سنة فصلاً طويلاً في تاريخ النقود قلتم فيهِ " ان اول من ضرب النقود في مصر المرزبان اريندس الذي ولي مصر من قبل كمبيس وقد ضربها اقتداءً بداريوس ". وكان ذلك قبل زمن الشعراء الذين ذكرهم امين افندي باكثر من الف سنة . وقلتم ايضًا ان اليهود ضربوا النقود اما في زمن عزرا او في زمن سمعان المكابي ومعلوم ان نقود الاسكندر المكدوني الباقية الى الآن والتي وجد منها مبالغ وافرة في صيداء منذ ثلاثين او اربعين سنة كانت اجمل من النقود التي تصك الآن في اوربا واميركا فقولنا ان العرب كانوا يستعملون النقود بعد الاسكندر باكثر من ثمانمئة سنة لا يعود بكبير فخر عليهم

ولقد احسن في ما جمعهُ من الابيات التي توصف بها ملابس العرب رجالاً ونساءً ولكن

كل ما ذكرهُ من هذا القبيل لا يدلُّ على ان العرب كانوا في عصر الجاهلية ارقى عمرانًا من الاحباش او من اهالي السودان اليوم ولا ان عمرانهم كان يقابل بعمران مصر واشور وفينيقية قبل العهد الذي اشار اليهِ باكثر من الفي سنة فان المنسوجات المصرية التي توجد الآن لفائف للمومياء القديمة قد نسج بعضها منذ اكثر من خمسة آلاف سنة او قبل العهد الذي ذكرهُ بنحو اربعة آلاف سنة. والمنسوجات التي ذكرت في اسفار موسى لتغطية خيمة الشهادة نسجت قبل العصر الذي ذكرهُ باكثر من الفي سنة . وكان ملوك الامم يلبسون تيجان الذهب من قبل ايام سليمان وداود بل من قبل ايام ابرهيم الخليل من ايام ملوك اشور وبابل وملوك مصر الاولين فاذا لبسها ملوك العرب بعد المسيح بقرون فليس كثيرة لذلك شأن يذكر

هذا ويعلم الله ان ليس من قصدي الحط من قيمة ما جمعهُ صاحب هذه الفصول ولا بخسهُ حقهُ من الشكر على اجتهادهِ فانهُ والحق يقال حريٌّ بكل مدح لانهُ بيَّن لنا ان شعراء العرب كانوا يصفون احوال زمانهم ولا يكتفون بوصف الازمنة الغابرة كاكثر شعراء عصرنا ولكن الاستدلال على عمران العرب بابيات يقال فيها انهم كانوا يأكلون ويشربون ويلبسون ويبيعون ويشترون مثل سائر الناس ليس فيهِ شيء من التنويه بقدرهم وغاية ما فيهِ ان البدو ليسوا في هذا العصر بارقى من اسلافهم الذين كانوا منذ نحو الف واربع مئة سنة . وهو استنتاج موجب للخجل لانهُ ان كان سكان بلاد العرب لم يرتقوا عما كان عليهِ اسلافهم منذ الف واربع مئة سنة ولم يرتقِ من العرب الا الذين استوطنوا البلدان الاخرى كمصر وسورية وفارس التي كان عمرانها رائعًا قبل عهدهم فهناك مجال للظن او للترجيح ان الارتقاء الذي اتصفوا بهِ مقتبس من غيرهم لا ناشيء منهم وهو بالنسبة اليهم ثوب عارية .

بيروت باحث مستفيد

مؤتمر المستشرقين

حضرة منشئي المقتطف الاغر

طالعت ما كتبهُ حضرة الفاضل صالح بك حمدي حماد عن اجتماع مؤتمر المستشرقين في هذا القطر . ولعمر الحق انهُ اقتراح حلَّ محلهُ لان هذا القطر اصبح في مقدمة البلدان العربيَّة ولا يجد العلماء شيخ غيره ترحيبًا . لكن عهدنا ان هذه المؤتمرات تلتئم بدعوة من حكومات البلدان التي تلتئم فيها بنقلها اليهم المندوبون الذين ينوبون عنها فكان الواجب على الحكومة المصريَّة ان تظهر رغبتها في ذلك وان هذه الرغبة يعرب عنها النوَّاب الذين ترسلهم

الحكومة المصرية الى مؤتمرات المستشرقين . الاَّ اننا قد الفنا في هذا القطر ان لا نعمل عملاً نحن ولا حكومتنا ما لم يدفعنا اليهِ رجل اجنبي . والمؤتمر الطبي لم يكن ليجتمع في بلادنا لو لم يقم الاطباء الاجانب ويطلبوا اجتماعهُ . ولو كان من الاجانب نزلاء هذا القطر رجل وجيه لهُ اهتمام شديد باللغة العربيَّة او باللغات الشرقيَّة وحث الحكومة المصريَّة على دعوة المستشرقين لرأيناها تلبي طلبهُ حالاً . اما وقد جاءنا مؤتمر الاطباء باربعين الف جنيه التي وهبها السر ارنست كاسل على اثر ما سمعهُ في ذلك المؤتمر فلا يبعد ان نقوى العزيمة على عقد مؤتمر للمستشرقين عسى ان يأتينا بكريم آخر يهبنا مبلغاً طائلاً من المال نطبع بهِ ما يجب نشرهُ من الكتب العربيَّة القديمة على اسلوب يسهّل مراجعتها كما تطبع في مطابع اوربا . وعسى ان تتناول الجرائد اليومية هذا الموضوع وتكثر من الكتابة فيهِ الى ان تنال الغرض المطلوب

محمد حمدي

باب الزراعة

المعرض الزراعي

فتح دولة البرنس حسين باشا كامل رئيس الجمعية الزراعية الخديويَّة المعرض الزراعي في ١١ فبراير بحضور جمهور غفير من امراء العائلة الخديويَّة وصاحبي الدولة الغازي مختار باشا ورياض باشا وحضرات النظار واكابر موظفي الحكومة ووكلاء الدول وحضرات المحافظين والمديرين واعيان الوطنيين والاجانب واكابر المزارعين في القطر كلهِ . وقد سرُّوا جميعهم بما رأوا من اتساع هذا المعرض وانتظامهِ ولاسيما انتظام عرض المواشي في الحظائر الجديدة التي بنيت لها من الحديد والآجر فان الناظر يراها في لمحة ويستسهل مقابلتها بعضها ببعض احسن مقابلة . وقد زاد كل عارض اعتاد العرض في الاعوام السالفة اتساع دائرة معروضاتهِ وعدد انواعها . وزاد عدد العارضين في اصناف وقل في اخرى

وقد عرض في سراي المعرض ما اعتيد عرضهُ من الحاصلات الزراعية المختلفة من قطن وحبوب وقصب وغيرها والطيور الداجنة كالدجاج والحمام والبط وما اشبه.

ومما استوقف الابصار خصوصاً بين هذه المعروضات القطن السوداني وقطن المستعمرة الايطالية على البحر الاحمر اما القطن السوداني فمن معروضات حكومة السودان وهو اربعة

اصناف العفيفي والعباسي واليانوفتشي و الاميركاني وقد جرَّبت الحكومة السودانية زرع هذه الاصناف في مديرية الخرطوم وهي وان تكن ادنى من اصناف الاقطان التي تزرع في القطر المصري فقد ثبت منها ان السودان تصلح لزرع القطن . واما قطن المستعمرة الايطالية فقد ظهر لنا ان شعرتهُ اطول من شعرة القطن السوداني ونوعهُ اجود

وقد عرضت الخاصَّة الخديوية كثيرًا من مواشيها وحاصلاتها وهي مثل معروضات الحكومة السودانيَّة خارجة عن دائرة الجائزة ولكنا علمنا ان الجمعيَّة الزراعيَّة ستضع مدالية ذهبية خاصة بمعروضات الحضرة الخديويَّة

وقد عرض معظم الآلات البخارية والزراعيَّة غربي سراي المعرض هذه السنة وعرض معظم المعروضات الصناعية شرقيها

واول معروضات الآلات معروضات المسيو ماروني ومعروضاتهُ من صنع ايطاليا وهناك آلة لحلج القطن عرضها حضرة حنا بك باخوم وهي من صنع الانكليز ومن طرز جديد ونتلوها معروضات حضرة الخواجه انطون قلاده وهي تشبه معروضاتهِ في السنة الماضية . وبعدها معروضات محل الخواجات الن والدرسن وهي كثيرة الاشكال عديدة الانواع على جاري العادة ولكن بينها طرزًا جديدًا من رستن بروكتور الشائعة في هذا القطر وهي تمتاز على كل ما تقدمها من نوعها بشدة اقتصادها في الفحم

ويتلو هذه المعروضات معروضات المستر كنجسفورد وهي درابزونات مختلفة الاشكال والانواع وبيوت وعنابر حديديَّة وامثلة آلات بخاريَّة تسير بها السفن في الماء وغير ذلك

وبعد هذه معروضات محل اورنستين وكوبل — ووراءها بقليل معروضات ارثر كوبل وكلا المحلين مشهور بسككهِ الحديديَّة الزراعية ولا تختلف معروضاتهُ هذه السنة عما كانت عليهِ في السنة السابقة

وبينهما معروضات محل كوك من عدد وطلمبات وآلات زراعية . ومعروضات محل ستينيان ومباردي وهي مثل معروضات الاعوام السالفة ولكن بينها عدة من طرز جديد قيل لنا ان قوتها ٦ احصانًا ولا يوقد فيها من الفحم غير قنطار في الساعة . وتدار باحراق الشرارة الكهربائيَّة للغاز الذي يتكوَّن في العدة

ونتلوها معروضات حضرة حسبو بك محمد وبينها الآلات الزراعية التي يصنعها اهل هذا القطر . ومقابل هذه المعروضات معروضات عدد سنجر للخياطة والتطريز وكل اشغال الابرة وقد عرض هذا العام عدة عدد جديدة للتطريز والخياطة منها عدة لطيفة تدار بالكهربائية

والى شمال السراي معروضات الزبدة الالمانية التي يديرها حضرة فؤاد افندي في سراي الجزيرة . ومعروضات بيرا الاهرام وكان الناس يتقاطرون اليها لشرب بيراها . ومعروضات السباخ الكفري والى شرق السراي زحافة عظيمة اخترعتها شركة البحيرة وهي تدار بالبخار ومعروضات الفصفات ويرى الانسان هناك حجارة الفصفات ومسحوقها وتتلوها معروضات شركة السمنت حيث يفهم الانسان كيف يصنع السمنت المصري في لحظة من الزمان . وبعد هذه معروضات الصابون الكاربوليكي والعلاج المهلك للحشرات عن الغنم والمواشي ثم معروضات شركة الملح والصودا وهي ابدع معروضات هذا العام يجد فيها الانسان ما يشاء معرفتهُ عن ملح الطعام وكيفية عمل الصابون الذي تصنعهُ هذه الشركة ومحلاً لطيفاً مصنوعاً كلهُ من الكسب. وبعد هذه معروضات شركة تكرير السكر وهي تشبه معروضاتها في السنة الماضية ويجد الانسان غير ذلك معروضات شركة السباخ ومعروضات مصلحة السجون من سروج ونحوها . ومعروضات محمد عمر الحصري المشهور في الزقازيق وقد اعجب الناس بحسن منظرها واتقان صنعها كما اعجبوا بابداع المصنوعات الدمشقية من الخزائن والموائد وغيرها الموصوفة بدقة صنعها ومحكم تنزيلها وعجيب فسيفسائها

وقد اثنى الناس عموماً على ما بذل جناب المستر فودن سكرتير الجمعية الزراعية من الهمة والعناية في تنظيم هذا المعرض كما اثنوا على جناب المستر كاري الذي لهُ اليد الطولى في انجاح هذه المعارض النافعة برئاسة دولة البرنس حسين باشا كامل وحسن رغبة القائمين بامر الجمعية الزراعية

موسم القطن هذا العام

بلغ الوارد من القطن المصري الى الاسكندرية حتى ٢٧ فبراير ٥٤٤٢٠٨٦ قنطاراً يقابلها في العام الماضي ٥٩١٤٦٠٣ قناطير فالنقص في الوارد هذا العام نحو نصف مليون قنطار والمظنون ان الموسم كلهُ ينقص كذلك عن موسم العام الماضي لكن الاسعار الحاضرة جبرت نقص الموسم. وهذا النقص ليس السبب الوحيد لارتفاع الاسعار الآ انهُ ساعد كثيراً على ارتفاعها حتى لو بقي الموسم ستة ملايين قنطار فقط لبقي سعرهُ ثلاثة جنيهات اوحواليها ولو بلغ الموسم الاميركي اثني عشر مليون بالة . واذا ثبت ذلك بالبحث المدقق فمن مصلحة هذا القطر ان تسعى حكومتهُ ومجلس شوراهُ لوضع قانون يحصر زرع القطن في ثلث الاطيان التي تروى الآن ريًّا صيفيًّا فان هذا الحصر يعود حينئذٍ بالفائدة الكبيرة على المزارعين

انفسهم لانهُ يغلي ثمن القطن ثم ان الاطيان التي لا تزرع قطناً بهذا الحصر تزرع زراعة أُخرى فتكون فائدتهُ مزدوجة

مستقبل ثمن الاطيان

لم نرَ اقبالاً مثل اقبال الناس الآن على مشترى اطيان الدائرة السنيَّة مهما غالت بها حتى ارتفعت اسهم الشركة التي تبيعها من خمسة جنيهات الى اكثر من خمسة عشر جنيهاً بعد ان بقيت مدة طويلة تتراوح بين سبعة جنيهات وثمانية. ولم تزد هذه الزيادة الاَّ لان الاسعار التي بيعت بها اطيان الدائرة فيها ربح كبير للشركة يعادل هذه الزيادة

لكن المشترين لم يُغبَنوا اذا اعتُبِرَ امرٌ لا يلتفت اليهِ الاَّ قليلون وهو ان ثلثي الثمن او ثلاثة ارباعهِ تقسَّط على خمس عشرة سنة بفائدة خمسة في المئة ومعلوم ان الذهب سيكثر كثيرًا بين ايدي الناس في السنوات التالية حتى ان الارض التي تساوي الان مئة جنيه تصير تساوي مئة وخمسين جنيهاً اذا كثر الذهب ورخص بالنسبة الى ما يُشترى بهِ ولذلك فالذي يشتري الآن شيئاً بمئة جنيه ويدفع ثمنهُ بعد عشر سنوات حينما تصير المئة الجنيه بمقام ستين جنيهاً الآن يكون كأنهُ دفع ثمنهُ ستين جنيهاً لا مئة جنيه

ومن المحتمل ان تهبط اسعار الحاصلات كثيرًا فتهبط اسعار الاطيان ايضاً او يضطر كثيرون من الذين استدانوا واشتروا طيناً ان يبيعوا الطين الذي اشتروهُ لانهم يعجزون عن ايفاء الدين لكن الاحتمال الاول بعيد فلا يؤْخذ بهِ والاحتمال الثاني لا يهبط بهِ سعر الاطيان زمناً طويلاً لو صحَّ لانها تؤُول اخيرًا الى اناس من اهل الثروة يكتفون بالربح القليل منها فيعود سعرها الى الارتفاع

وهناك احتمال ثالث وهو ان ينتشر اتقان الزراعة في القطر فيزيد غلَّة الفدان ثلاثين او اربعين في المئة يسدُّ بها ما يمكن ان يحصل من النقص في اسعار الحاصلات

الجمعية الزراعية

اجتمعت الجمعية الزراعية في ١٢ فبراير برئاسة دولتلو البرنس حسين باشا كامل وقررت ان تتوسع في توزيع بزرة القطن على صغار المزارعين وان توزع اربعة عشر الف اردب منها هذا العام على تسعة آلاف مزارع وكانت لا توزع قبلاً سوى خمسة آلاف اردب . وقررت ايضاً ان ترجع الى اقامة المعارض الزراعية وان تشرع في اقامة معارض صغيرة لصغار الفلاحين

في جميع المديريات . وقررت ايضاً ان تخاطب الحكومة في منع ذبح العجول الصغيرة وان توضع ثيران قوية في المراكز لتحسين نتاج البقر وان تسعى في تقصير مدة المناوبات الى زمن التحاريق. وكل ما اقرّت عليهِ غاية في الاجادة الاّ ذبح العجول كما سيجيء

ذبح العجول

لا ندري كيف يطمع اعضاء الجمعية الزراعية في ان يحملوا الحكومة تمنع الاهالي من ذبح العجول . وهَبْ ان الحكومة سنّت قانوناً لذلك فمن يكفل ان الاجانب يخضعون لهُ . ثم ان الاهالي الذين يذبحون العجول يظنون ان ذبحها اربح لهم من تربيتها ولولا ذلك ما اقدموا على بيعها للذبح فلا يكون من العدل ان تمنعهم الحكومة عما يظنون ان لهم منهُ نفعاً خاصًّا ولو كان من هذا المنع نفع عام للبلاد . وهم يقولون كما قال لنا كثيرون منهم انهم يبيعون العجل الذي عمرهُ من اربعين يوماً الى ستين بجنيهين الى ثلاثة ويكسبون زيادة اللبن الذي كان يرضعهُ لو بقي عندهم . واذا صار عمرهُ سنة وارادوا بيعهُ لم يبع باكثر من جنيهين الى ثلاثة وقد لا يبلغ ثمنهُ الاّ جنيهين ونصفاً على الاكثر فيكون الاربح لهم بيعهُ وعمرهُ اربعون يوماً الى ستين. وكذلك اذا صار عمرهُ سنتين لا يباع باكثر من ستة جنيهات مع انهم يكونون قد انفقوا على علفهِ نحو اربعة جنيهات نعم انهُ اذا صار عمرهُ خمس سنوات يصير يساوي اربعة عشر جنيهاً او اكثر ولكنَّ الفلاَّح لا يستطيع ان يربي ما يزيد على حاجتهِ من المواشي وينفق عليها على امل ان يبيعها بعد ذلك بثمن غالٍ لا سيما وانهُ يضطر كل سنة ان يستدين الجنيه بجنيه وربع لكي يدفع بعض اقساط المال. فاذا كان لا بدَّ من تربية المواشي في هذا القطر فهي تجارة رابحة اذا اقتصرت على تربية العجول فقط فيرخص ثمنها قليلاً ولا يعود الفلاَّح يرغب في بيعها كما يرغب الآن . اما تربيتها حتى تكبر فلا يكون منهُ ربح في هذا القطر الآ حيث يمكن تشغيلها لغلاء العلف فيهِ حتى يكون من تشغيلها ربح يقابل نفقة علفها

لكن ما لا يتيسَّر في هذا القطر يتيسَّر في الاقطار السودانية لكثرة المراعي فيها فاذا تسهَّلت وسائل النقل من السودان ورخصت فلا يبعد ان يأتينا منهُ اللحم والمواشي بعد سنين قليلة

وقد اشار البعض بابتياع المراعي الواسعة في جنوبي سورية حيث تكثر المياه وتربية المواشي فيها وجلبها الى القطر المصري وهو رأي حسن ولكن العمل بهِ صعب ما دام الامن غير مستتب في تلك الجهات . ومن المحتمل ان يكثر استعمال الآلات البخارية في الزراعات الواسعة فتقل حاجة القطر الى المواشي

باب الصناعة

تذهيب الزجاج

طريقة اولى . نظف الزجاج جيدًا واذب غراء السمك في الماء حتى يكون المذوب خفيفًا جدًا وسخنهُ قليلاً وادهن بهِ الزجاج حيث تريد ان يلصق الذهب بهِ ثم ارفع ورقة من ورق الذهب بقلم المذهّب وضعها فوق الغراء ودعهُ حتى يجف واذا لم يظهر الذهب جيدًا ضع ورقة اخرى فوق الورقة الاولى

طريقة ثانية . اذب كلوريد الذهب ورسّبهُ بالبوتاسا او الزاج الاخضر فيرسب مسحوقًا بنيًّا ناعمًا فاغسلهُ وجففهُ وامزجهُ بالبورق بعد شيءٍ حتى يطير الماء منهُ واضف الى المزيج روح التربنتينا او ماء الصمغ العربي وضعهُ على الزجاج بفرشاة واشوهِ في فرن خاص بذلك فيطير روح التربنتينا ويحترق الصمغ . والبورق يذيب الذهب ويلصقهُ بالزجاج الذي تحتهُ

طريقة ثالثة . ضع قليلاً من غراء السمك في الماء على نار خفيفة قدر ساعة من الزمان حتى يذوب ثم ارفعهُ عن النار واضف اليهِ قليلاً من الروم واتركهُ حتى يبرد . ونظف لوح الزجاج وصب عليهِ من هذا السائل ثم الصق بهِ ورق الذهب واوقفهُ على حرفهِ حتى ينضح عنهُ ما زاد من السائل وحينما يجف امسحهُ بقطنة . ثم ارسم الكتابة التي تريدها على ورقة وخرّمها بدبوس وضع الورقة فوق الذهب ورش عليها غبار الطباشير الناعم فيدخل من الخروم ويلصق بالذهب ويرسم عليهِ صورة الكتابة فان شئت ان تكون ذهبيّة وما حولها اسود فانزع الذهب عن غير الكتابة وادهن قفاها بدهان اصفر وما حولهُ بدهان اسود . وان شئتَ ان تكون الكتابة سوداء وما حولها ذهبيًا فانزع الذهب من محل الكتابة وادهن قفا اللوح بدهان اصفر على ظهر الذهب وبدهان اسود فوق محل الكتابة

الطريقة الرابعة . اذب كلوريد الذهب النقي في الماء ورشّح المذوب حتى يكون في كل اوقيتين من الماء قمحة من الذهب واضف الى المذوب قليلاً من الصودا حتى يصير قلويًا ثم نظف لوح الزجاج الذي تريد تذهيبهُ وصب عليهِ من مذوب الذهب بعد ان تضيف اليهِ قليلاً من الالكحول المشبع بغاز الضوء فيرسب الذهب من السائل على اللوح ويلصق بهِ في نحو ثلاث ساعات

تذهيب الحديد .

اصنع ملغماً من الزيبق والصودا وافرك بهِ سطح الحديد ثم اكتب عليهِ او ادهنهُ بمذوب كلوريد الذهب الثقيل واحمهِ قليلاً فيطير الزيبق ويبقى الذهب لاصقاً بالحديد

تذهيب العاج

ضع العاج في مذوب كبريتات الحديد (الزاج الاخضر) ثم في مذوب نيترو مريات الذهب فتلصق بهِ قشرة ذهبيَّة جميلة

تذهيب الصلب (الفولاذ)

اذب قليلاً من الذهب في ماء الذهب وبخّر المذوب حتى يجف اي حتى تزول منهُ زيادة الحامض ثم اذبهُ في الماء واضف اليهِ ثلاثة اضعاف جرمهِ من الايثر الكبريتيك واتركهُ اربعاً وعشرين ساعة في زجاجة مسدودة سداً محكماً فيطفو مذوب الذهب الايثري على سطح السائل واذا غطس فيهِ الصلب الصقيل اكتسى قشرة ذهبيَّة حالاً ويمكن ان ترسم عليهِ رسوم بمادة غروية فيلصق الذهب بما بقي مكشوفاً من سطحهِ

حفظ الازهار

ان المشتغلين بجمع النباتات للنابت لم يكونوا يعرفون طريقة لحفظ الازهار غير كبسها بين صفيحتين من الورق فيتغير شكلها ويزول لونها او يتغيَّر . وقد انتبه بعضهم الآن الى الطريقة التي استعملتها الطبيعة وقت خراب بمباي وهركولانيوم وهي طمر النبات بالرمل الناعم جداً فانهُ يجف وهو مطمور كذلك ويبقى على شكلهِ ولونهِ . وكيفيَّة ذلك ان يوضع الرمل الناعم في اناء لهُ ثقوب دقيقة كالاناء الذي يرش منهُ البهار على الطعام ويوضع النبات في صندوق ويذرّ عليهِ من هذا الرمل الناعم رويداً رويداً حتى يغطيهُ كلهُ ويعلو عليهِ نحو شبر ويترك كذلك من ستة ايام الى ثمانية حتى يجف جيداً ثم ينزع الرمل عنهُ بلطف فيوجد تحتهُ جافاً بشكلهِ ولونهِ الطبيعيين . ويحسن ان يدهن حينئذٍ بفرنيش خفيف مصنوع من اللك المذاب في مذوب كربونات الصودا او الامونيا يغطس النبات فيهِ بعد تجفيفهِ وينفض فيكتسي قشرة لامعة من الفرنيش

العاج الصناعي من البطاطس

لما خيف من نفاد العاج صُنع السلولوس فقام مقامهُ في كل ما يستعمل لهُ. والآن صنعت مادة تقوم مقام السلولوس وتفضلهُ في كونها تقبل النشر والخرط والثقب وتستعمل في كل ما يستعمل لهُ العاج او العظم . وهي تصنع بمعالجة دقيق البطاطس او فضلات دقيقهِ بمذوب فيهِ حامض وغليسرين فيكون من ذلك مادة غروية تجف حالاً ثم تطحن وتمزج بالماء وتفرغ في قوالب كما يمزج الجبس بالماء ويفرغ في القوالب

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف • ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) تاريخ الصحافة

بيتنكرباس بالبرازيل . الخواجه نقولا عبسي . نرجو ان تذكروا لنا شيئاً من تاريخ الصحافة وفي اي وقت كان ظهورها

ج أنشئت الجرائد اليومية في عهد الرومانيين وكانت تكتب فيها اخبار الجيش وترسل الى قوَّادهِ وتكتب اوامر القوَّاد وترسل الى الضباط الذين تحت امرهم . اما الجرائد العمومية فانشئت اولاً في المانيا في القرن الخامس عشر وكانت اوراقاً صغيرة تكتب فيها الاخبار العمومية وتنشر . وسنة ١٥٦٦ انشئت اول جريدة في البندقية بامر حكومتها مستوفية شروط الجرائد المعروفة اليوم وكانت تنسخ نسخاً وتعلَّق في الاماكن العمومية ويباح لكل احد ان يقرأها اذا دفع قطعة صغيرة من النقود اسمها غازطة ومن ثمَّ سميت تلك الجريدة غازطة وأُطلق هذا الاسم على الجرائد . ثم كثر نشر الجرائد وصارت تطبع طبعاً وتنشر في الاقطار . ونشرت اول جريدة في بلجكا سنة ١٦٠٥ وفي المانيا سنة ١٦١٥ وفي انكلترا سنة ١٦٢٢ وفي فرنسا سنة ١٦٣١ وفي اسوج ونروج سنة ١٦٤٢ وفي اميركا سنة ١٦٩٠

(٢) اصل الكلاب والحمام

ومنهُ . قرأنا في بعض المجلات ان الكلاب والحمام من اصل واحد فهل ذلك صحيح وكيف تفرعت الكلاب والحمام من اصل واحد

ج يقول اصحاب مذهب النشوء ان الحيوانات كلها مشتقة من اصل واحد او من بضعة اصول وانها تنوَّعت وصارت كما هي الآن لاسباب طبيعيَّة كما صار الورد البريُّ الذي ليس في الزهرة من زهرهِ الاَّ خمس ورقات بستانياً في الزهرة منهُ اوراق كثيرة او كما يصير الجنين طفلاً ورجلاً . ومن هذه الاسباب الطبيعيَّة الانتخاب الطبيعي والانتخاب الجنسي وبقاء الانسب وتغيُّر الاحوال الذي يدعو الى ظهور تغيُّر في الفرد يحفظ بالوراثة . راجعوا ما كتبناهُ عن مذهب دارون في المجلدات السابقة تجدوا فيهِ كثيرًا من التفصيل . اما كون الكلاب والحمام مشتقة من اصل واحد فيصح اذا نظرنا الى اصلهما البعيد الذي يقال ان الوحوش والطيور مشتقة منهُ

(٣) سر النجاح

مصر . عبد الحميد افندي فهيم . ما هي اهم النصائح التي يجب ان يُنصَح بها شاب قادم على صناعة او تجارة يريد النجاح

ج لا ينجح احد في عمل ما لم يصر فيهِ ولوع بذلك الامر او هوَس . ومتى تمكَّن منهُ الولوع حتى صار يحلم بعملهِ ويسهر عليهِ وينهض لهُ عند الفجر يكتشف الطرق التي تنجحهُ فيهِ ويجد السبل التي تكفل لهُ النجاح . فاذا كانت الصناعة او التجارة من الاعمال المحلَّلة الشريفة فاهمُّ ما يُنصَح بهِ طالبها ان يعكف عليها حتى يصير لهُ ولوع بها فانهُ يفلح حتماً ولكن يخشى ان هذا الولوع يسهّل عليهِ ارتكاب ما لا يحلُّ او السير في سبل يأباها الذوق السليم او ينكرها جمهور الفضلاء او يقيدهُ بعملهِ فيمسي اسيرًا لهُ ولا يبقى لهُ شأن الاَّ كآلة ميكانيكية تقضي العمل الذي اديرت لاجلهِ كما امسى كثيرون من جامعي الثروة . قال لنا واحد منهم بالامس لقد اصبح دخلي السنوي الآن ثمانين الف جنيه في السنة وانا يكفيني منها مئة جنيه ولا انفق على نفسي اكثر من مئة جنيه ومع ذلك اذا سمعت عن باب يزيد بهِ ربحي ارى نفسي مدفوعاً اليهِ بقوة لا استطيع ردها فانا مسيَّر لا مخيَّر . هذا هو الرجل الذي تملكهُ الولوع حتى صار فيهِ هوَساً او نوعاً من الجنون . ويجب ان يساعَد من خيف عليهِ الوقوع في مثل ذلك حتى لا يعطي نفسهُ هواها . واذا لم تكن التجارة او الصناعة من الاعمال المحللة او الشريفة فاهم ما ينصح بهِ العدول عنها الى غيرها

(٤) اعظم اكتشاف

ومنهُ . ما اعظم اكتشاف افاد العالم اكثر من غيرهِ

ج نظن ان اكتشاف الطباعة افاد الناس اكثر من اي اكتشاف آخر ويدانيهِ في ذلك اكتشاف الكتابة بالحروف الهجائية ثم استنباط الآلات البخاريَّة ثم استنباط الآلات

الكهربائيَّة ومن هذا القبيل اكتشاف باستور وكوخ لميكروبات الامراض

(٥) احسن مجلة فرنسوية

ومنهُ . ما هي احسن مجلة ادبيَّة فرنسويَّة

ج ان مجلة العالمين اوسع المجلات الادبيَّة وكتَّابها من اشهر كتاب العصر

(٦) اشهر موَّلفي الروايات

ومنهُ . من هو اشهر موَّلفي الروايات في هذا العصر

ج من المرجح ان تولستوي وكبلنغ اشهر موَّلفي الروايات في هذا العصر وقد كان زولا في طبقتهما

(٧) مروان الحمار

ومنهُ . ما السبب في تلقيب مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية بالحمار

ج قال الامام السيوطي في تاريخ الخلفاء انهُ "لُقب بالحمار لانهُ كان لا يجف لهُ لبدٌ في محاربة الخارجين عليهِ كان يصل السير بالسير ويصبر على مكاره الحرب ويقال في المثل فلان اصبر من حمار في الحرب فلذلك لُقّب بهِ . وقيل لان العرب تسمي كل مئة سنة حمارًا فلما قارب مُلْك بني امية مئة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك" . فترون من هذا ان تلقيبهُ بالحمار يفيد الرفعة لا الضعة

---

(٨) ابن تيمية

مصر . احمد افندي الاصبحاني . طالعت ما نشرتموهُ في الجزء العاشر عن ترجمة لوثيروس وابن تيميَّة فوجدت ارقام تاريخ مولدهِ ووفاتهِ تخالف ما كنت احفظهُ فراجعت تاريخ ابن خلكان فرأيت فيهِ ما يلي "ومولدهُ في اواخر شعبان سنة اثنتين واربعين وخمسماية بمدينة حرَّان وتوفي بها في حادي عشر صفر سنة احدى وعشرين وستماية" فكيف اتت تلك الارقام التي في المقتطف عن ميلاد شيخ الاسلام ومتوفاهُ

ج ان ابن تيميَّة الذي ذكرتم تاريخ ولادتهِ ووفاتهِ هو محمد بن تيميَّة الملقب بفخر الدين الخطيب وقد كانت ولادتهُ ووفاتهُ كما ذكرتم . واما المذكور في المقتطف فهو تقي الدين احمد ابن تيمية وهو ولد بحران ايضًا وكانت ولادتهُ في ربيع الاول سنة ٦٦١ وتوفي في ذي القعدة سنة ٧٢٨ كما ذكر في المقتطف

---

(٩) قص الشعر والهلة

المنيا . فضول افندي زرعوني . حينما تقصُّ المرأة شعر ابنتها تجعل ذلك في ايام معلومة من هلَّة القمر لينمو شعر الابنة سريعًا . وامثال ذلك عند العامَّة كثيرة فيزرعون النباتات ويصنعون المخللات في ايام معلومة من الشهر القمري لكي تجود فهل لذلك صحَّة او هو من الخرافات المنقولة عن الاقدمين

ج لم يبحث احد حتى الآن عن

صحة ذلك بالامتحان كأن يصنع المحللات مثلاً في كل يوم من ايام الشهر القمري على اسلوب واحد تماماً ثم يقابل بعضها ببعض ويكرر ذلك مراراً حتى يقف على نتيجة قاطعة بالاستقراء. فان ثبت ان للقمر تأثيراً فلا يتعذر تعليل تأثيره فان جذبهُ يؤثر في ما على الارض كما يؤثر في المد والجزر ولا بدَّ من ان يكون لنوره شيء من التأثير في حياة الاحياء الارضية. واذا لم يثبت لهُ تأثير فيكون المنقول من جملة الخرافات القديمة

(١٠) علاج الحصة

ومنهُ . ما هو احسن علاج لمنع الحصَّة من شعر النساء

ج اذا ابتدأت الحصَّة اي التشقق في رؤوس الشعر فلا بدَّ من قص تلك الرؤوس ويدهن الشعر بدهان يقويهِ لان التشقق المذكور علامة ضعفهِ . والادهان التي تقوي الشعر كثيرة والغالب ان تكون فيها صبغة الزرَّاح لتهييج الاوعية الدموية حتى يرد بها دم كثير يغذي الشعر

باب الاخبار العلمية

كرم ركفلر وداء السل

بينما كان الاطباء يتجادلون ويتشاحنون في ما قالهُ كوخ عن عدوى السل ويبحثون عن اساليب منعهِ وشفائهِ قام السر ارنست كاسل وجاد بمئتي الف جنيه لتنفق على انشاء مصاحّ يعالج بها المسلولون فظننا ان ذلك منتهى الكرم ولكن جاءتنا الجرائد العلمية الآن تعلن ان ركفلر المثري الاميركي الشهير جاد بمليون واربع مئة وخمسين الف جنيه لاجل البحث عن دواء يشفي من داء السل وادوية تشفي من غيرهِ من الامراض العقيمة وناط البحث عنها بالمدرسة الطبيَّة في شيكاغو

هبات كارنجي

بلغ ما وهبهُ كارنجي لانكلترا ٣٧٦١٠٠٠ جنيه ولارلندا ١٠٠٦٠٠ جنيه ولسكتلندا ٢٤٧٩٢٥٠ جنيهاً ولكندا ٩٥٤٠٠٠ ريال اما هباتهُ للولايات المتحدة الاميركية فكثيرة جدًّا اكبرها عشرة ملايين ريال لمدرسة وشنطون الجامعة وسبعة ملايين ريال لمدرسة بتسبرج الجامعة ومليونا ريال لمدرستها الصناعية

مصل ذات الرئة

اكتشف الاستاذ تزوني الايطالي مصلاً يشفي من ذات الرئة وقد جرَّبهُ اولاً في الحيوانات فوجدهُ وافياً بالمراد فجرَّبهُ في

المصابين بذات الرئة في مستشفى رومية فافاد فائدة كبيرة

بقعة المشتري

يظهر على وجه المشتري بقعة حمراء كبيرة نظرت اولاً منذ اربع وعشرين سنة وبلغ طولها سبعة آلاف ميل وزادت وضوحاً ثم اخذ وضوحها يقلّ رويدًا رويدًا حتى كادت تختفي تماماً سنة ١٨٩٢ وعادت بعد ذلك الى الظهور والوضوح . وكانت حركتها على وجه المشتري قد اخذت تقل منذ سنة ١٩٠١ والآن عادت الى الزيادة . ومن اغرب ما شوهد ان بقعة سوداء ظهرت على سطح المشتري سنة ١٨٩٠ وكانت تسير على سطحهِ في الجهة التي تسير فيها البقعة الحمراء ولكن سرعتها اشد من سرعة البقعة الحمراء فادركتها ولما وصلت اليها لم تمتزج بها بل حادت عنها وسارت عند حاشيتها الجنوبية . ولا نعلم حقيقة هاتين البقعتين حتى الآن

ضربة الارانب

مُنيت بلاد اوستراليا بالارانب الكثيرة حتى ضاقت بها ذرعاً وعجزت عن التخلص منها بكل طرق العلاج وهي تمرُّ فيها الآن كالسيل الجارف فلا تبقي على عشبة خضراء . واشتدَّ القيظ فيها منذ ست سنوات الى الآن فاهلك الزرع والضرع لكنهُ لم يهلك الارانب ولا خفَّف وطأتها . وقد اشار بعضهم الآن باسلوب طبيعي لاهلاكها وهو ان تقتل الاناث مما يصاد منها وتطلق الذكور فمتى زادت الذكور على الاناث قلَّ نسلها حتى ينقرض . وقال ان الذكور كانت تصاد دون الاناث وتقتل وهذا النسيء زاد عدد الارانب لانهُ اذا نقصت الذكور عن الاناث زاد النسل واذا نقصت الاناث عن الذكور قلَّ النسل كثيراً الى ان ينقرض

الاوتوموبيل في الزراعة والنقل

يظهر ان الاوتوموبيل سيحل مشكلة الآلات الزراعية فيستعمل لحرث الارض وحصدها و يغني عن المواشي . وقد بلغنا ان بعض كبار المزارعين ساع الآن في جلب محاريث بخارية يجرها الاتوموبيل فاذا وفت بالمراد تخلَّص كبار المزارعين من المواشي وخدمتها وعلفها

ثم ان مركبات الاتوموبيل استعملت الآن في اوربا للنقل بدل العربات العادية التي تجرها الخيل والبغال . ونحن نكتب هذه السطور وامامنا صورة مركبة اوتوموبيل كبيرة فيها اكثر من مئة برميل يسوقها رجل واحد. ولا بدَّ من ان سرعتها تفوق سرعة الخيل وليس لها صوت يصمُّ الآذان ولا تتلف الطرق من سيرها عليها لان أُطر عجلها من الكاوتشوك وتبقى الطرق نظيفة من روث البهائم والهواء نقيًّا من نفسها

مدرسة البنات الاميركية

احتفلت مدرسة البنات الانجيلية الاميركية الداخلية في السابع والعشرين من فبراير بمنح الشهادات للمنتهيات من تلميذاتها وعددهنَّ اثنتا عشرة تلميذة فغصت القاعة بجماهير المدعوين من الوطنيين والاجانب يتقدمهم جناب المكرم جدج لنج وكيل اميركا السياسي وقنصلها الجنرال وجناب اللادي كروم وكانت القاعة مزينة بالرايات والاعلام والرياحين والازهار زينة تأخذ بمجامع القلوب وتبهر الابصار فرنم التلميذات الترنيمات الشجيَّة وانشدن الاشعار وخطبن الخطب العربية وتلون المقالات الانكليزيَّة والعربية اما الخطب العربيَّة فاحداها في الآثار التي لا تمحى للتلميذة المنتهية حنونه سعد. واخرى في حياة هلن كار للمنتهية هانم فهمي . واخرى في الموسيقى للمنتهية ليزه شنوده . واخرى في كيف نرتقي للمنتهية مريم سليمان. واخرى في الشمعة للمنتهية زكية حنا . واخرى في الميكروب . للمنتهية روز فرازلي . واخرى ارجوزة طبية للمنتهية فريدة نخله واخرى وهي الوداعية في المرساة للمنتهية مرثا اسرافيل

ومن ابدع ما جرى في هذا الاحتفال باللغة الانكليزية ان المنتهيات مثَّلن شهيرات النساء في كل العصور فأقامت واحدة منهنَّ في بيت لاستقبالهنَّ فدخلت اولاً فتاة تمثل المرحومة الملكة فكتوريا وتلتها اخرى تمثل جان دراك وهي لابسة مثل لباسها وبيدها رمح وشعرها مسدول على ظهرها فقصت مختصر سيرتها ودخلت بعدها ملكة اليابان لابسة لباس اليابانيات وبيدها مظلة . ثم ملكة سبا وعلى رأسها اكليل من الازهار ووراءها جارية تحمل لها مروحة فقالت انها اتت من اقاصي الارض لتسمع حكمة سليمان . وتلتها المصلحة الاميركية مسز ستانتون واخبرت بما فعلت لانالة النساء حقوقهنَّ فوضعت الملكة فكتوريا اكليلاً من الآس على رأسها واتت بعدها استير الملكة وقالت مهما كانت حياة الانسان قصيرة فهي طويلة بالنظر الى الاعمال التي يعملها وان انقاذها لشعبها كان بعون الله وارشاده . وافتقد الحضور كليوباطرة فقيل لعلها مشغولة بتزيين نفسها ولكن لم يطل انتظارها حتى حضرت بعظمتها وقصت مختصر سيرتها . ثم غنى هؤُلاء الشهيرات أُغنية مطربة وانصرفنَ

ومن محاسن هذه الحفلة ايضاً ترتيل المنتهيات بالايماء فكانت حضرة مسز كوبر تغني بالانكليزية والمنتهيات يرافقنها بالاشارات حسب معنى الغناء فأطرب ذلك السامعين جدًّا

وبعد الخطبة الوداعية وزع جناب جدج لونج وكيل اميركا السياسي وقنصلها الجنرال الشهادات على المنتهيات وخاطبهنَّ احدنا بما يناسب المقام وتلاه آخرون في الختام

ثم دخل المدعوون الى الغرفة التي عرضت فيها اشغال التلميذات بالابرة وخطوطهنَّ فاعجبوا بجودتها واتقانها كثيرًا واثنوا على حضرة مس كابل رئيسة المدرسة وحضرات معلّمات المدرسة كثيرًا على ما رأوا من دلائل تقدم التلميذات في هذه السنة تقدمًا عظيمًا جدًّا وانصرفوا وهم يتحدثون بفضل حضرات المرسلين الاميركيين على ما يبذلون من الجهد في تثقيف العقول وتقويم الاخلاق وخدمة هذا القطر خدمة جليلة يذكرها لهم اهلهُ دومًا بالدعاء والشكر

زورق زبلن

لما حبطت مساعي الكونت زبلن في عمل بالونهِ المشهور استنبط ما هو انفع منهُ زورقًا بخاريًّا رقّاصةً في الهواء لا في الماء فهو يصلح لانهار البلدان الحارة وبحيراتها حيث تكثر النباتات المائية وتعلق برقاص السفن وتمنع سيرها ويصلح ايضًا لركوب النيل في ايام التحاريق لانهُ لا يغوص الاَّ ٢٥ سنتيمترًا وهو يقطع من ١٤ الى ١٦ ميلاً في الساعة

زوبعة تهيتي

ثارت زوبعة شديدة في جزائر تهيتي او جزائر الشركاء بين الرابع عشر والسادس عشر من يناير الماضي فشملت ثمانين جزيرة وقتلت الف نفس من سكانها . ويقال ان امواج البحر علت حتى بلغ ارتفاعها نحو اربعين قدمًا وهجمت على الجزائر فغرّقت المنخفض منها .

زلزلة اندجان

من اخبار بطرسبرج ان زلزلة اندجان التي حدثت في ١٦ دسمبر قتلت عشرة آلاف نفس لا ٢٥٠٠ فقط كما قيل قبلاً وقد تكررت الهزات في التاسع عشر والعشرين من يناير الماضي

قنابل الرصاص

صنعت قنابل جديدة تحشى بالرصاص ومادة اخرى تشتعل بسرعة وتذيب الرصاص فاذا أُطلقت هذه القنابل ذاب الرصاص في جوفها وانفجرت فيتطاير الرصاص الذائب منها ويصيب الناس فيحرق ثيابهم وابدانهم ويجرحهم جراحًا مبرّحة تمنعهم عن مداومة القتال فهو شرٌّ من القنابل الرشاشة ومن كل وسائل الهلاك والتدمير وعسى ان يخاف الجنود شر هذه القنابل فيعصوا حكامهم ويمتنعوا عن النزول الى ميادين القتال

المنغاليوم افيد المعادن

ذكرنا في الجزء الاول من هذه السنة فوائد الالومنيوم وامزجتهِ وأبنَّا انهُ يعترض عليهِ بعدم متانتهِ وقد كشفت طريقة جديدة لجعلهِ صلبًا متينًا ويبقى ابيض كالفضة ويصقل مثلها ولا يتكدَّر سطحهُ من تعريضهِ للهواء وهي ان يمزج بقليل من المغنيسيوم . ويبقى بعد مزجهِ بهِ خفيفًا بل يصير اخف مما كان فيصير ثقلهُ النوعي ٢,٤٠ مع ان ثقل

الاليومنوم الصرف ٦ر٢ لان ثقل المغنيسيوم النوعي ٧ر١ . وكلما زاد المغنيسيوم زاد المزيج خفَّةً وصلابة . وهو موصل جيد للحرارة والكهربائيَّة ومتانتهُ مثل متانة الحديد الصاج اي ١٦ طنًّا لكل عقدة مربعة وهو يُبرد مثل الحديد ويخرط مثلهُ ويصهر ايضًا مثلهُ ويلحم بعضهُ ببعض ويمكن افراغهُ في القوالب وسحبهُ اسلاكًا دقيقة وتُعمل منهُ البراغي والاانابيب وما اشبه فيصلح لعمل النظارات بنوعٍ خاص ولا بدَّ من ان يفيد في عمل الآلات الطيارة لخفتهِ ومتانتهِ وفي بناء المراكب لان ماء البحر لا يؤثر فيهِ . ولكنهُ لا يزال غالي الثمن فان ثمن الاقة منهُ تساوي اربعين غرشًا الى خمسين ولكنهُ ارخص مما كان ثمن الاليومنوم منذ عشر سنوات فاذا رخص من الآن الى عشر سنوات كما رخص الاليومنوم قام مقامهُ ومقام النحاس والفضة ايضًا وقد أُطلق عليهِ اسم المنغاليوم

آلة لغسل الثياب

اخترع رجل مجريٌّ آلة كهربائية تغسل الثياب من غير صابون فان كهربائيتها تزيل ما على الثياب من وسخ وقذر وتنظفها جيدًا من غير ان يلمسها انسان

اللغم المائي

وهبت جمعيَّة الفنون في بلاد الانكليز المستر جمس تونغ وسامها الذهبي لانهُ استنبط لغمًا مائيًّا تلغم بهِ مناجم الفحم الحجري بدل البارود فيفعل فعلهُ من غير صوت ولا دخان وليس منهُ اقل خطر كما من انفجار البارود وكيفية استعمالهِ ان يثقب الحجر او الفحم الحجري كما يثقب لوضع البارود تمامًا ويدخل فيهِ اللغم دخولاً محكمًا وهو انبوب من الحديد طولهُ ١٨ عقدة وقطرهُ ٣ عقد وفيهِ ثمانية ثقوب جانبيَّة يخرج منها ثمانية مسامير مزدوجة وفيهِ ثقب على طولهِ قطرهُ ثمن عقدة ويوصل بهذا اللغم انبوب متصل بطلمبات مائية صغيرة فيها نحو رطل من الماء . ويسند الحجر او الفحم الذي يراد اقتلاعهُ باللغم ثم يدفع الماء بالطلمبا في الانبوب فيدفع المسامير الجانبية ويفعل فعل البارود ويمزّق الحجر ويقتلعهُ من موضعهِ ويعلم ذلك من اصوات الانكسار التي تخرج منهُ ثم ترفع الدعامة من تحتهِ فيقع من مكانهِ

خزَّان الكهربائية

يقال ان المستر اديصن يصنع الآن خمسة اتوموبيلات كهربائية يستطيع كلٌّ منها ان يسير خمسة آلاف ميل بالخزان الجديد الذي استنبطهُ لخزن الكهربائية . وعندهُ انهُ كلما ملئ هذا الخزَّان مرَّةً امكن تسيير الاتوموبيل بهِ مئة ميل

الكهربائية ونمو النبات

امتحن الدكتور لمسترُم فعل الكهربائيَّة

بنمو النبات فزرع نباتات مختلفة ووصل ترابها بالمجرى الكهربائي خمس ساعات كل يوم وزرع نباتات اخرى من نوعها ولم يوصل ترابها بالمجرى الكهربائي فوجد بعد تكرار الامتحان ان الكهربائية تزيد نمو اللفت ١٠٧ في المئة ونمو البطاطس ٧٦ في المئة ونمو الفجل ٥٩ في المئة ونمو الكرفس ٥٤ في المئة ونمو الكراث ٤٢ في المئة ونمو الكرنب ٤٣ في المئة وتسرع نضج الشايج فينضج في ٢٦ الى ٣٣ يوما حيث لا ينضج عادة الا في ٤٥ يوما بعد زرعه

حركة سطح الارض

الراسخ في الاذهان ان سطح الارض ثابت لا يتحرك ولو كانت الارض كلها تدور على محورها وتدور حول الشمس . لكن ظهر الآن من آلة دقيقة صنعها الاستاذ ملن الانكليزي ان سطح الارض يتحرك دواماً فيرتفع في بعض شهور السنة وينخفض في البعض الآخر كأن صدرها يخفق خفقان صدر الانسان . ويتحرك ايضاً ذات اليمين وذات اليسار حتى ان الابنية العالية تميل الى جهة الغرب خمسة اشهر من شهور السنة ثم تعود الى وضعها العمودي وتميل بعده الى جهة الشرق وهلمَّ جرّاً وتتحرك غير ذلك حركات تابعة لثقل الهواء وخفته عليها حتى لقد يعرف بهذه الآلة ما اذا حدث زلزلة على سطح الارض في مكان بعيد عنها . وفي نيته ان يستعمل آلة للدلالة على حدوث الانواء والانباء بها قبل وصولها

قناديل الأُسميوم

الأُسميوم معدن كالبلاتين لكنهُ لا ينصهر الاّ اذا زادت الحرارة عن الحرارة اللازمة لصهر البلاتين وقد وجد اور صاحب الشبكة التي توضع في القناديل وتسمّى باسمهِ انهُ يمكن استعمال هذا المعدن بدل اسلاك الكربون في القناديل الكهربائية فيصير نورها اضعاف ما هو الآن فانهُ جرَّب قناديل اسلاكها من الأُسميوم وقناديل عادية اسلاكها من الكربون فوجد انهُ اذا كان نور القنديل الثاني قدر نور ست شمعات فنور القنديل الاول قدر نور عشرين شمعة مع ان الكهربائية واحدة في الاثنين . ويمكن عمل قناديل الأُسميوم حتى تكون قوتها من شمعتين الى مئتي شمعة واذا اسودَّ القنديل منها امكن تجديدهُ بدون تغييرهِ . لكن معدن الاسميوم غالي الثمن جداً فعسى ان تكشف طريقة لاستخراجهِ بكثرة وترخيص ثمنهِ

سبب تلف الاسنان

بيَّن احد الباحثين ان الذي يتلف اسنان اهالي اوربا واميركا هو مادة حامضة موجودة في نخالة القمح فتتحد بمينا الاسنان وتتلفها وقد كان الناس قبلاً يطحنون قمحهم بالارحية المبسوطة فصاروا يطحنونهُ الآن بارحية اسطوانية

لان دقيقها اشد بياضاً لكنهُ يبقي في الدقيق جانبًا من هذه المادة الحامضة التي تنخر الاسنان وتتلفها

عدو بعوض الملاريا

ذهب الدكتور دمبولف الى بلاد غينيا الجديدة التابعة لالمانيا للبحث عن الحمَّى الملارية بدلاً من الدكتور كوخ فاكتشف في مياهها حشرة مائية تأكل دود البعوض الذي ينقل ميكروب الملاريا وهو يظن انهُ يمكن ان تربى هذه الحشرة في المياه التي يتولد فيها بعوض الملاريا فيستأصل بهِ منها . ولا يفلُّ الحديد الاَّ الحديد

تلغراف مركوني

احتفل نادٍ من اندية لندن بمركوني احتفالاً حضرهُ كثيرون من عظماء الانكليز فتكلَّم فيهِ وعدَّد المصاعب التي لقيها في سبيل تلغرافهِ وقال انهُ لا صحَّة لما قيل من ان ملك الانكليز لم يساعدهُ فقد استدعاهُ الى يختهِ وابقاهُ عندهُ ثلاثة اسابيع يجرب تلغرافهُ فيهِ وان حكومة كندا عضدتهُ بالمال وحكومة ايطاليا اقرَّت على انشاء اكبر مركز في الدنيا لتلغرافهِ حتى تخاطب بهِ اميركا وانهُ اتَّفق الآن مع جريدة يومية من جرائد لندن على موافاتها بالاخبار اليومة من بلاد كندا باميركا وذلك بتلغرافهِ

مقدرة المال

قال بعضهم ان المستر ركفلر والمستر مورغان يدير كلٌّ منهما مئتي مليون من الجنيهات او الف مليون من الريالات فيستطيع ان يفعل بها الامور التالية في الولايات المتحدة وهي .

(١) يتسلط على بنوك البلاد كلها بمئتي مليون من الريالات فتصير طوع امرهِ

(٢) يتسلط على سكك الحديد كلها بمئتي مليون من الريالات

(٣) يتسلط على كل المناجم ودور الصناعة الكبيرة بمئتين وسبعين مليونًا من الريالات

(٤) يتسلط على كل الجرائد الكبيرة في البلاد بمئة مليون من الريالات

(٥) يتسلط على كل الوكالات التجاريَّة بخمسة ملايين من الريالات

(٦) يتسلَّط على الكنائس والملاجيء بعشرين مليونًا من الريالات

(٧) يتسلط على الخطباء والمحامين بخمسة ملايين من الريالات

(٨) ويبقى معهُ مئتا مليون ريال يودعها خزائن الحديد

فتصير لهُ السلطة التامة على البنوك وسكك الحديد ودور الصناعة والجرائد والخطباء والمحامين ورجال الدين ويبقى معهُ مئتا مليون ريال او اربعون مليون جنيه

يفعل بها ما يشاء فيرفع الاسعار ويخفضها ويغني التجار ويفقرهم وتمسي الحكومة كلها طوع بنانهِ

البالون وحرارة الجو

تناظر ركَّاب البالون من الفرنسويين والالمانيين والنمسويين والايطاليين والروسيين والاميركيين فكان اعظم ارتفاع بلغوهُ في اتفل قرب باريس ١٤٨٢٣ مترًا وكانت حرارة الجو على هذا الارتفاع ٥٢٫٩ تحت الصفر وكانت على سطح الارض هنالك ٤٫٨ تحت الصفر وفي ستراسبرج ١٦٥٠٠ متر وكانت حرارة الجو هناك ٦٢٫٢ تحت الصفر وعلى الارض ٦٫٨ تحت الصفر. وفي برلين ١٤٤٦٥ مترًا وكانت حرارة الجو هناك ٣٥ تحت الصفر وعلى الارض ١١٫٥ تحت الصفر. وفي باڤلوفسك ١٧٧٠٠ متر وبلغت الحرارة اخفضها حين كان الارتفاع ١٢٢٠ مترًا فقط وكانت هناك ٦٣٫٥ تحت الصفر وكانت على الارض ٢٠٫٧ تحت الصفر

الفلك عند الاقدمين

ان قطع الآجر التي اكتشفها الاستاذ هلبرخت في خرائب نبور وعددها نحو مئة وخمسين الف قطعة على كثير منها كتابات فلكية والمظنون انها ستكشف اموراً كثيرة مما كان يعلمهُ الكلدانيون عن علم الفلك قبل المسيح بالفين وثلثمئة سنة

قوة النمل

رأى بعضهم نملة صغيرة تجرُّ جندبًا ميتًا فرفعها ووزنها ووزن الجندب فوجد وزنها ثلاثة مليغرامات وخمس المليغرام ووزن الجندب ١٦٠ مليغرامًا وظاهر الامر انهُ لو كانت قوة الانسان مثل قوتها لاستطاع ان يجرَّ جسمًا ثقلهُ نحو مئة قنطار مصري

كيف مات اهالي سان بير

اختلفت آراءُ العلماء في كيف مات اهالي سان بير لما ثار بركان بيلي في الصيف الماضي وقتل خمسة وثلاثين الفًا في دقيقتين من الزمان قال الاستاذ فسيل ان السبب الاكبر لموتهم انفجار الغازات المدفوعة من البركان فان الحرارة كانت كافية لحل الماء الى عنصريهِ الاكسجين والهيدروجين ولحل غاز الكلور من الملح الذي في ماء البحر فاندفعت هذه الغازات الثلاثة بغتةً بقوة شديدة وانفجرت في الهواء فوق قمة الجبل فمات اكثر الناس من هذا الانفجار الحادث من اتحاد الاكسجين بالهيدروجين وبذلك يعلَّل احتراق لحمهم وثيابهم واحتراق المباني والسفن واتحد الكلور ببعض الهيدروجين فتكوَّن من ذلك غاز سام قتل الذين لم يقتلهم الانفجار

وقال الدكتور نيكولس انهُ انشق جانب البركان بغتة فوق سان بير وانفجرت منهُ الحمم والبخار والغازات الشديدة الحرارة وانهالت

على المدينة ومزّق البخار الحمم فصيَّرها رمالاً ورماداً فوصلت الى المدينة وحرارتها الف درجة فعصف من امامها عاصف شديد الحمو يقتل الانسان والحيوان في لحظة من الزمان ويحرق كل ما يقبل الاحتراق . هذا الذي اظن انهُ حدث ولم يقتل الناس بالكهربائية ولا بالغازات السامة

وقال المسيو لاكروى والمسيو جيرو امام اكادمية باريس انهُ كان بين الغازات البركانية كثير من اكسيد الكبريت الثاني وهو كافٍ لاماتة الناس وقالا ان اناساً كانوا في زورق لما ثار بركان السوفرير فرموا بانفسهم الى البحر لينجوا من الحمم التي انهالت عليهم ولما عادوا الى وجه الماء وجدوا الهواء مشحوناً بغازات كريهة لا تطاق فغاصوا في الماء ثانية وظلوا يترددون بين الهواء والماء الى ان صار يسهل عليهم تنفُّس الهواء وكانوا قد صاروا على آخر رمق

ويقال انهُ وجدت بعض الجثث في سان بير في حالة تدلُّ على ان اصحابها ماتوا فجأة من ذلك جثة واقفة تدل على ان الموت ادرك صاحبها وهو راكض

اللون الخفي

تحاول النظارات الحربيَّة الباس الجنود ثياباً لا يظهرون بها عن بعدٍ وقد اختار الانكليز في حرب الترنسفال لوناً رمادياً ضارباً الى الصفرة ظنّاً منهم ان الجنود اللابسة كذلك لا تبينُ للاعداء وهذا خطأ لانها تبين كخط له لون واحد مخالف للون ما حوله . ولو اختلف لبسها فلبس واحد منها ثياباً حمراء وواحد ثياباً زرقاء وواحد ثياباً صفراء وهلمَّ جرًّا لامتزجت هذه الالوان بعضها ببعض وخير من ذلك ان يلبس كلُّ جندي الواناً مختلفة فلا يعود يُرَى عن بعد . وقد امتحن الانكليز تلوين المدافع ومركباتها بخطوط حمراء وزرقاء وصفراء فلم تعد تظهر عن بعد ويقال انهُ اذا لونت كما تلوَّن الحيوانات كان ذلك اصلح لها فيجعل اسفلها ابيض كما يكون بطن الغزال والوعل حتى اذا وقع الظل عليهِ لم يبن بهِ :

قنابل الذهب

وجد رجل هندي قنبلة سوداء في أجمة من آجام الهند فظنها حديداً ولكنهُ وزنها فوجدها اثقل من الحديد جداً فحملها الى بيتهِ وخدشها بسكين فاذا هي ذهب صرف ووزنها نحو ثمانية ارطال . وثبت من التحري انها من القنابل التي اطلقتها الملكة كندى لمحاصرها السلطان جلال الدين محمد اكبر فانها يئست من النجاة ولم تشأْ ان تقع كنوزها في يدهِ فامرت بسبكها قنابل واطلقتها الى الآجام المجاورة وكان ذلك في اواخر القرن السادس عشر

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثامن والعشرين

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثامن والعشرين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٣ محرم سنة ١٣٢١

حروف الطبع العربية

في الكون ناموسان او اسلوبان يجري الارتقاء على حسبهما الاول التغيُّر الجزئي التدريجي من البسيط الى المركَّب ومن الساذج الى المتقن ومن الصعب الى السهل . والثاني التغيُّر الكلي الفجائي الذي يقلب الاشياء قلبًا ويحوّلها من حال الى حال ولكلٍّ منهما شأن كبير في ارتقاء الموجودات جماداً كانت او نباتًا او حيوانا ومادية كانت او ادبيّة . وعليهما جرى الناس في فلاحتهم وصناعتهم وتجارتهم وامارتهم وسائر اعمالهم

والغالب ان الارتقاء الجزئي التدريجي يسير سيره ُ زمانًا طويلاً ثم يأتي الارتقاء الكلي الفجائي فيقلب الاشياء قلبًا ويبدل حالها بحال اخرى لم تكن في الحسبان . مثال ذلك ان المركبات التي تجرها الخيل والبغال لنقل الناس والبضائع جرت في سبيل الارتقاء التدريجي حتى كادت تبلغ اقصاه ُ وحينئذ ظهرت الآلات البخارية والسكك الحديدية فأبدلت اساليب النقل القديمة باساليب جديدة كما هو معلوم . والسفن الشراعية تدرَّجت في سبُل الارتقاء والاتقان حتى كادت تبلغ حدها وحينئذٍ ظهرت السفن البخارية فانقلبت بها الحال فجأةً وصارت اكثر السفن بخارية الكبيرة منها والصغيرة . واساليب نقل الاخبار تنوَّعت وارتقت حتى كُشف التلغراف الكهربائي ففاقها كلها وقام مقام اكثرها . والآن قد بلغ حدًّا يفوق التصديق من السرعة والدقة ولكن ظهر التلغراف الذي لا سالك لهُ ولا يبعد ان يتغلَّب عليهِ ويقوم مقامهُ . وقس على ذلك امثلة كثيرة من هذا القبيل

ومعلوم ان اهمال الشيء المتقن وابدالهُ بغيرهِ اصعب من اهمال الشيء غير المتقن وابدالهِ

بغيرهِ . اي ان الاشباه التي تكون غير متقنة يسهل تركها وابدالها بغيرها واما الاشباه التي يفلح الصناع في اتقانها يكثر استعمالها فيصعب تركها على مستعمليها

وقد جرت الطباعة مجرى غيرها من الاعمال . وكان من نصيب العربيَّة ان صُنعت لها حروف الطباعة قبلما صُنعت لاكثر اللغات لا لان اهلها اهتموا بذلك بل لان اهالي اوربا كانوا يهتمون بكتب العرب وعلوم العرب فلم يكادوا يستنبطون الطباعة ويشيعونها في بلادهم حتى صنعوا حروفًا للغة العربية وطبعوا بعض كتبها العلمية الكبيرة . ونحن نكتب هذه السطور الآن وامامنا بعض هذه الكتب منها قانون ابن سينا طُبع في مدينة رومية سنة ١٥٩٣ في دار الطباعة الطبيَّة وطبعهُ واضح جدًّا ولو لم يُعدَّ جميلاً وحروفهُ متصلة بعضها ببعض احسن اتصال وهي على استواء واحد في سبكها فلا يظهر بعضها غائرًا في الورق وبعضها غير غائر فيهِ كما ترى في الكتب المطبوعة بمطبعة بولاق . والحروف المستعملة في طبعهِ على ثلاثة اقدار كبير ومتوسط وصغير . والكتاب ضخم فيهِ نحو الف صفحة بقطع كبير في الصفحة منها ٥٤ سطرًا ونسق طبعهِ واحد من اولهِ الى آخرهِ . وامامنا ايضًا كتاب تحرير الاصول الهندسية لاقليدس الذي حرَّرهُ نصير الدين الطوسي وقد طبع في رومية سنة ١٥٩٤ وحروفهُ مثل حروف كتاب القانون تمامًا وقد صوَّرنا قطعةً منهُ في الشكل الاول المقابل للدلالة عليهِ

وكان الطبع العربي معروفًا في اوربا قبل ذلك فطُبع كتاب المزامير في مدينة جنوى سنة ١٥١٦ وطبع الانجيل العربي في رومية سنة ١٥٩١ وانتشرت الطباعة العربية في كثير من المدن الاوربيَّة فطبع الانجيل العربي في هولندا سنة ١٦١٦ والتوراة العربية في باريس سنة ١٦٤٥ وفي لندن سنة ١٦٥٧ ووصلت المطبعة وحروف الطباعة العربيَّة الى جبل لبنان فطبع المزامير في مطبعة الشوير سنة ١٦١٠

ثمَّ اهتمَّ الاوربيون بتجميل الحروف العربيَّة فبلغت اولاً ما تراهُ في اشكال مطبعة مالطة التي انشأها المرسلون الاميركيون منذ نحو سبعين سنة كما ترى في الشكل الثاني وهو قطعة منقولة عن تاريخ الكنيسة المطبوع في مدينة فالته سنة ١٨٤١ وبلغت اعلى درجات الاتقان الصناعي في حروف مطبعة باريس كما ترى في الشكل الثالث فان كل حرف منها مرسوم رسمًا جميلاً من حيث الجزء الغليظ منهُ والدقيق والطبع بهِ على غاية الوضوح يبين بهِ الفراغ في رأس الفاء والميم وهو في الاصل على ورق صقيل يصعب الطبع عليهِ عادةً ومع ذلك لا ترى حرفًا ناتئًا ولا حرفًا غير واضح ولا نظنُّ انهُ استتبَّ لاحدٍ حتى الآن ان صنع حروفًا عربيَّة ادق صناعة من حروف مطبعة باريس هذه ولو كان بعضها غير جميل

الّا ان الذين صنعوا حروف المطابع العربية حاولوا تقليد الخط تماما وكان الخط قد ارتقى كثيرًا وعُلِّقت حروفهُ بعضها ببعض ولم يخطر لهم انهُ يمكن فصلها وتبقى مقروءة ولو فعلوا وصنعوا حروفًا منفصلة خالية من الزوائد لكانت الفائدة اتم

وقد رأى اصحاب المطابع العربية من قديم الزمان انهُ يجب ابدال بعض الاشكال التي تستعمل في الخط ويبقى الطبع العربي واضحا فاهملوا كثيرًا منها وبدلوا بعضها حتى صار الطبع على ما تراهُ في الحروف التي نطبع بها المقتطف الآن . الّا ان مطبعة بولاق الاميرية بقيت محتفظة باشكالها الاولى لا تحيد عنها حتى دعت الحال ان انتدبت الحكومة المصرية لجنة تنظر في امرها وفي كيفية اصلاحها رئاسة صاحب السعادة ابرهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية وعضوية حضرات تيلوبك مدير المطبعة الاهلية والخريدتين الرسميتين والشيخ حمزة فتح الله المفتش الاول للغة العربية في نظارة المعارف العمومية وامين سامي بك ناظر المدرسة الابتدائية ومدرسة المعلمين الناصرية واحمد زكي بك سكرتير ثاني مجلس النظار . وليس منهم من اشتغل بالطبع العربي او بعمل الحروف العربية ولكنهم بحثوا بحثا دقيقا فاحلى بحثهم عن فائدة كبيرة كما سيجيء وقد نشروا نتيجة بحثهم في رسالة وجيزة قال رئيسهم في مقدمتها ما نصهُ

"كان استنباط الطباعة العربية بمدينة البندقية فيما بين سنتي ١٥١٠ و١٥١٤ ميلادية . فقد ثبت ان اهل هذه الجمهورية هم اول من حفر الحروف اللازمة لطبع الكتب العربية ثم استخدموها في طبع كتب الادعية والصلوات ولا تزال نسخ قليلة جدًا من هذه الكتب محفوظة الى الآن باشهر المكاتب العمومية بديار أوروبا

"في ذلك العصر كثرت العلائق والمخالطات بين اوروبا واقطار المشرق فمست الحاجة الى تعميم المعارف الشرقية بين الافرنج واضطرتهم الاحوال الى استخدام المطبعة لنشر آثار العرب في العلوم والآداب . فنهضت رومية العظمى واقتفت الخطة التي سلكتها البندقية في هذا الموضوع . وفي تلك المدينة الجليلة التي كانت عاصمة للحضارة الغربية في قديم الزمان تمَّ حفر الحروف العربية على قاعدة النسخ في سنة ١٥٩٦ وهي المعروفة الى اليوم بحروف عائلة ميدسيس

"وقد استعارت باريس من رومية هذه الحروف النسخية ولا تزال بأكملها محفوظة فيها وفي مدرسة نشر الديانة برومة الى الآن . وفي سنة ١٥٩١ اهتم الموسيو سفاري ده برغب سفير فرنسا لدى الباب العالي بحفر حملة أقلام (آباء) في الاستانة العلية على قاعدة النسخ وهي محفوظة ايضا في باريس احسب الحروف واستخدامها في مطبوعاتها العربية

"ثم ازداد اشتغال العلماء المعروفين بالمستشرقين باللغات والعلوم الشرقية فاستعارت المدارس الجامعة في انجلترة والمانيا حروف الطباعة العربية بعد تحسينها واتقانها في رومية

"وكان تقدم الطباعة العربية بطيئاً في بلاد اوروبا لأن اشغالها كانت بالطبع قاصرة على اعمال معينة قليلة . فلذلك لم يكن لها نصيب كبير من حركة الارتقاء التي نالتها الطباعة الافرنجية إذ ما برحت من عهد ظهورها سائرة الى يومنا هذا نحو الارتقاء والكمال

"ومع ذلك فقد بقيت الطباعة مجهولة في بلاد المشرق ما عدا الاستانة العلية وبعض الاديرة ببلاد الشام حتى اذا اغار بونابرت على مصر اضطر في اول الامر للاستعانة بمطابع الحجر على نشر منشوراته واوامره باللغة العربية ، ثم انشأ مطابع الحروف فيما بعد بالقاهرة والجيزة والاسكندرية . ولكن ادوات هذه المطابع تلاشت مع الاحتلال الفرنساوي "

واستطرد حضرة الرئيس بعد هذا المختصر التاريخي الى ذكر مطبعة بولاق التي انشأها محمد علي باشا سنة ١٨٢٠ فقال

"قامت هذه المطبعة باكبر خدمة للغة العربية والآداب الشرقية فانها اصبحت في مصر وفي بلاد المشرق كله واسطة لتعميم ثمرات التقدم الحديث ونشر لواء الحضارة العصرية . اذ تيسر لنا بسببها ان نشترك في الحركة العظيمة التي ارتقت بها الافكار والمعارف في ديار اوروبا . وما زال المرحوم محمد علي الخالد الآثار في هذه الديار يبالغ في العناية بشأن هذه المطبعة ويواليها باهتمامه الفائق حتى انها منذ انشائها ضارعت اعظم المطابع في عصرها بل فاقت عليها كلها بجمال مطبوعاتها وكثرة اعمالها . ولكنها بعد هذه النشأة المجيدة وبعد توالي نجاحها الظاهر الباهر وقفت في طريقها بل انحطت عن المكانة السامية التي بلغتها في ايام محمد علي :

"بقيت مطبعة بولاق منذ تأسيسها الى سنة ١٨٨٠ قاصرة على الطباعة الشرقية فصارت في تلك السنة مختلطة بانضمام المطبوعات الافرنجية الى اعمالها وفي هذه الايام الاخيرة تم تجديد بنيانها على نظام جميل واستوفت كافة المعدات الجديدة البالغة اعلى درجة من الاتقان والكمال . ولكن حروفها العربية التي اخنى عليها الزمان بقيت على حالتها العتيقة مع ما فيها من التعقيد والسقامة

" لا مشاحة في ان الطريقة التي روعيت في ابتكار الطباعة العربية تدعو الى صعوبات كثيرة منشأها تعدد اشكال كل حرف من حروف الهجاء بحسب موقعه من الكلمة وضرورة تراكب بعض الحروف وتداخلها في بعضها

"وهذه الصعوبات تستوجب حتماً ان يكون عمل المطابع جسيماً لا تعادله النتيجة التي

يؤدي اليها . وفي ذلك، مالا يخفى من مخالفة قواعد الاقتصاد التي يجب التعويل عليها في ايامنا هذه في كل مشروع صناعي . فلهذه الاعتبارات اضطرت اكبر المطابع في اوروبا للبحث عن الدواء الوحيد المعقول الذي ينبغي استعماله في مثل هذه الحالة ألا وهو تسهيل الطباعة العربية . فما زال اصحابها يواصلون السعي وراء هذه الغاية حتى لقد توصل بعضهم الى تخفيض عدد الحروف لدرجة يغبطون عليها . وكانت السابقة في هذا المضمار الى الآن مطبعة المدرسة الجامعة باكسفورد من بلاد الانكليز فانها تمكنت من اختصار الحروف الى ٢٨٢ فقط . اما مطبعة باريس الاهلية (وعدد حروفها لا يقل عن ٨٠٠ حرف)ومطبعة بولاق (بحروفها التي اوجدها محمد علي وعددها ٩٠٠ حرف) فقد بقيت كلتاهما الى اليوم في معزل عن هذا التيار محرومتين من ثمرات ذلك التقدم والاختصار "

ثم قال ان اللجنة انتدبت اثنين من اعضائها وهما حضرة شيلو بك وحضرة احمد زكي بك ليدرسا في اشهر مطابع اوربا التقدم الذي وصلت اليه الى ان قال

" وكانت مأمورية حضرة احمد زكي بك متعلقة على الاخص بالنظر في اختصار صندوق الطباعة وتسهيل جمع الحروف . وقد توصل بعد البحث والتدقيق الى تقليل عدد الحروف اللازمة للطباعة الى ١١٢ بدلا من ٢٨٢ المستعملة الآن في اكسفورد . ولزيادة الوثوق كلفته اللجنة بعمل تجارب واختبارات يومية في مطبعة بولاق استمرت مدة ثلاثة شهور وكانت نتيجتها ناطقة بافصح بيان على ان الطريقة التي اختارها تكفي من كل وجه لجمع اي عبارة عربية او تركية او فارسية مهما كانت صعوباتها الخطية او المطبعية

" ثم قررت اللجنة ان تعهد عما قليل الى جماعة من مشاهير الخطاطين البارعين بكتابة الحروف تحت مراقبتها بحيث تجيء مطابقة من كل الوجوه لما تستدعيه صناعة الخط ومقتضيات الطباعة . وسيقع اختيارها على من يلزم من الخطاطين ليتعاونوا على هذا المشروع ويكملوه طبق المرام . واذا دعت الضرورة فان اللجنة لا تتأخر عن الاستعانة بمهارة النابغين من اهل الفنون في الديار الاجنبية لتتميم مقاصدها "

ويتلو ذلك مذكرة تفصيلية لحضرة زكي بك اشار فيها بالاقتصار على ١٣٢ حرفًا و٤٦ علامة بدل الحروف التسع مئة التي تستعمل في مطبعة بولاق . ولو عاني حضرته الطباعة العربية لرأى انها لا تستغني عن بعض الحروف الممدودة مثل ـــن وـــك وـــي حتى تكمل بها السطور الناقصة والأ اضطررنا احيانًا ان نقسم الكلمة الواحدة قسمين في آخر السطر كما يفعل الاوربيون . ولا بدَّ ايضًا من جمع الشدة مع الضمة وتنوين الضم ومع الفتحة وتنوين الفتح

ومن سبك الحروف والارقام العددية على درجات مختلفة من الارتفاع حتى يمكن ترتيب الصور الحسابيَّة والكميات الجبرية اذا اريد ابقاله علم الحساب والجبر في العربية . ولا بدَّ من تجويف كل الحروف التي ذكرها من طرفين او من الاطراف الاربعة حتى يمكن وضع الحركات فيها ولا بدَّ ايضاً من انواع مختلفة من الفروق فاذا تمَّ ذلك كلهُ زاد عدد الاشكال مئة او مئتين عما قدَّر لها عدا العلامات المستعملة في التعاليم

وقال " ان اعتماد الطريقة الجديدة في مطبعة بولاق سيعود بفوائد كثيرة اقلها حصول وفر في المصنعيَّة نقول من الآن انهُ لا يقل عن ٢٥ في المئة " . وفسر المصنعيَّة قبيل ذلك بانها " اجرة الجمع والتوضيب والطباعة ونحو ذلك" " وانهُ يترتب عليها تعميم المعارف وترقية الافكار بسبب رخص اثمان الكتب "

والحقيقة ان اجرة ترتيب الحروف وتفريقها لا تزيد على ٢٠ في المئة من نفقات طبع الكتب اذا كان المطبوع منها من الف الى الفي نسخة كما هي الحال الآن واذا زاد المطبوع حتى بلغ خمسة آلاف نسخة الى عشرة آلاف كما ننتظر اذا انتشرت المعارف نقصت نسبة اجرة ترتيب الحروف وتفريقها الى نفقات الطبع كلها وصارت عشرة في المئة او خمسة في المئة فاذا كان الوفر ٢٥ في المئة في ترتيب الحروف وتفريقها (ولا يكون في غيرها) لم يزد هذا الوفر على اثنين في المئة من نفقات طبع الكتب

وحبذا الوقت الذي يصير فيهِ للاثنين في المئة من نفقات طبع الكتب شأن يذكر حتى تعم بهِ المعارف وتترقى الافكار . اما الآن فان اكثر الكتب التي تطبع تأكلها الجرذان ومع ذلك فان الاصلاح الذي اشارت بهِ اللجنة يصلح مطبعة بولاق حتماً ولو لم تنق بهِ بعض مطابع العاصمة ولا بلغت بهِ مطابع بيروت

وقد قدَّمنا في فاتحة هذه المقالة ان الارتقاء الجزئي التدريجي لا يغني عن الارتقاء الكلي الفجائي بل ان الاول قد يؤخر الثاني او يحول دونهُ سنَّة طبيعيَّة لا مردَّ لها وهي تتمشَّى على حروف الطباعة كما تتمشَّى على غيرها . ولا يخفى ان الغاية التي يرمي اليها طالبو الاصلاح والارتقاء هي ابعد من ان يُجعَل حرف الجيم وحرف الميم امام اللام لا تحتها . هي ان نجعل حروف الطباعة منفصلة بعضها عن بعض كحروف الطباعة في اللغات الاوربية او ان نترك الحروف العربية ونقتبس الحروف الاوربية دفعةً واحدة كما ترك اسلافنا الحرف الكوفي وكتبوا بالحرف النسخي . فان كانت الحكومة المصرية تنوي حقيقة ان تُصلح اصلاحاً كبيراً وتنفق عليهِ النفقات التي لا يستطيعها الفرد من افراد الامة فلتفعل ذلك دفعةً واحدة والاَّ فهذا الترقيع لا يغني ولا يشبع

بل يؤخر الاصلاح الحقيقي او يحول دونهُ. وقد فعلت الحكومة المصرية مثل ذلك لما ادخلت سكك الحديد والتلغراف والمحاكم الاهلية الى بلادها لانها لو حاولت اصلاح ما كان عندها حتى يصير مثل ما ادخلتهُ لقضت الاعوام الكثيرة من غير ان تدرك الغرض المقصود

هذا ونكرر الشكر لحضرات اعضاء اللجنة الكرام على الهمة التي بذلوها والمشقة التي كابدوها حتى قرَّروا على ما قرَّروا عليهِ من الاصلاح وحبذا لو كان رأيهم مثل رأينا وهو الاصلاح الكلي دفعةً واحدة فاننا نرجح انهم لو اشاروا على الحكومة بذلك لتبعت مشورتهم وعملت بها فافادت بلادها فائدةً لا تقدَّر

السكة الهوائية

قلنا في المقالة السابقة ان الارتقاء الجزئي قد يحول دون الارتقاء الكلي ولم يخطر لنا حين كتابة تلك الكلمات ان نعود الى موضوعها في هذه النبذة فان الترامواي الكهربائي الذي شاع في هذه العاصمة وفي الاسكندريَّة فاتلف شوارعهما وقتل كثيرين من عابري السبيل كان يمكن ان ينشأ ما هو اصلح منهُ كثيرًا لو تأخر انشاؤُهُ الى الآن فقد رأينا صورة ترامواي كهربائي ينشأ في المانيا بين مدينة بارمن ومدينة البرفلد خطوطهُ ممدودة في الهواء قائمة على دعائم من الحديد كقوائم القناديل التي تكون في الشوارع والمركبات تجري على هذه الخطوط مدلاَّة منها فلا تزدحم بها الشوارع ولا تدوس احدًا في سيرها ولا يقع منها نار ورماد كما يقع من المركبات البخاريَّة المعلقة في اميركا لانها لا تسير بالبخار بل بالكهربائية. ولا خطر من انقطاع اسلاكها ووقوعها على الناس والبهائم لانها لا تعلَّق بالاسلاك بل بقضبان من الحديد متصلة بعوارض متينة جدًّا. وتعلو المركبات عن ارض الشارع خمسة امتار نقط فيسهل الصعود اليها من المحطات بسلَّم قصيرة ولا تعيق المارَّة في سيرها ولو كانت جمالاً محمَّلة

وطول المركبة من هذه المركبات ١٢ مترًا وعرضها متران وتسع خمسين نفسًا وفيها محرّك كهربائي قوتهُ ٣٦ حصانًا يأخذ الكهربائية من قضبان الحديد المتصلة بهِ. والمسافة من مدينة بارمن الى مدينة البرفلد ثمانية اميال وربع وسير المركبات المعلقة بينهما على غاية السهولة فقد وُضعت فيها آنية مملوءة ماءً وهي سائرة فلم ينصبَّ شيء من مائها

فاذا ارادت مدن هذا القطر ان تستعمل الترامواي الكهربائي او غيرهُ من وسائل النقل فلتنظر اولاً في هذا النوع من الترامواي لانهُ اصلح ما صُنع حتى الآن

طبائع الغربان

يقول الذين ربّوا الغراب وعلّموهُ النطق ان جعبة حيلهِ لا تنفد ومهارتهُ في تقليد اصوات الناس تفوق مهارة الببغاء . وهو يتعلَّم دوامًا ممَّا يراهُ ويسمعهُ ويمرّن نفسهُ على ما يتعلمهُ حتى يتقنهُ ولا ينساهُ. وصوتهُ مثل صوت الناس حتى لقد يلتبس بهِ . روى بعضهم ان غرابًا تعلَّم الجمل التي تقال في التعليم العسكري وكان يمشي مع الضابط صاحبهِ ويشاركهُ في تعليم الجنود او يكرر ما يقولهُ حرفًا حرفًا حتى كان الجنود يحسبون صوتهُ صوت ضابطهم ويأتمرون بهِ

والغراب ودود الوف يقيم الزوج مع زوجهِ مدى العمر لا طلاق ولا ضرار بخلاف اكثر الطيور. وقد يتودَّد الى غير نوعهِ تودُّدًا غير مفصوم العرى . روى بعضهم ان غرابًا انثى عمّرت ستين عامًا وعاشت اكثر هذا العمر مع قنفذة عمياء ثم أُعطيت لرجل من المعتنين بدرس طبائع الطير فافتقدت القنفذة ولم تتعزَّ عن فقدها الى ان أُتيت بطائر اليف من طيور البحر فانست بهِ وكانت اذا قُدّم اليها طعامها من اللحم تطعم بعضهُ في الارض حتى تأكلهُ اذا جاعت فلما انست بطائر البحر صارت تضيفهُ على هذا اللحم ولو كان منتنًا وهو يتقزَّز منهُ ثم يضطر الى اكلهِ بسبب لحاجتهِ حتى فسد هضمهُ وساءت صحتهُ واعتراهُ المرض. فحسبت ان واجب الصداقة يقضي عليها بان تحرم نفسها من لحمها المنتن وتطعمهُ اياهُ فزاد مرضهُ مرضًا ولا غرابة في ذلك لانهُ لم يعتد اكل الجيف مثل الغربان فامتنع عن الاكل بتاتًا ولما رأت منهُ ذلك يئست من سلامتهِ ولم تشأ ان تطول ايام بلواهُ فعجلت عليهِ قتلتهُ ومزقت لحمهُ واكلت نصفهُ وطمرت النصف الثاني كأنها حسبت غاية الحب ان تمزج جسمهُ بجسمها كما ان بعض الحيوانات تأكل صغارها اذا خافت عليها من الاعداء ولم تجد سبيلاً لنجاتها. وظلت هذه الغراب حيَّة حتى صار عمرها سبعين سنة وبنت حينئذٍ عشًّا على الارض وباضت فيهِ ثم اكلت بيضها

والشائع ان الغربان تسرق الحلي وهذا صحيح لانها تخطف كل شيء لامع وتذهب بهِ الى عشها او مخبإها. روي ان طباخًا كان يرى ملاعقهُ تقل يومًا بعد يوم وهي من الفضة الثقيلة فراقبها يومًا واذا بغراب اتى خلسةً وخطف ملعقةً منها ومضى بها الى وكر فتبعهُ اليهِ فوجد فيهِ الملاعق المفقودة وغيرها مما خطفهُ الغراب من بيوت الجيران

وقال المستر بوزورث سمث الذي اعتمدنا عليهِ في نقل كثير مما تقدَّم انهُ كان عندهُ غراب اليف كثير الاذى لا ينجو حيوان من شرهِ لقي منهُ الحمام والدجاج والبط الامرّين وكان يهاب الديوك الا اذا وقفت تتهارش فانهُ يأمن شرها حينئذٍ ويهجم عليها ويعمل منقارهُ في اذنابها

ثم ينعق نعيق الظافر المسرور وكان لهُ مخابئ كثيرة في اماكن مختلفة يخبئ فيها العيدان والازرار والمسامير والكشاتبين والنقود . وبعض هذه المخابئ لم يُكشف الّا بعد موتهِ وجدها غراب آخر قام مقامهُ فاستولى على تركتهِ كأنهُ الوريث الشرعي لهُ . وكان الغراب الاول لصًّا من الطبقة الاولى اذا رأى بستانيًا يزرع بزرة ويهتم بطمرها واخفائها رصد لهُ الى ان يبعد عنها ثم اتى واحتفرها او كلها او اخذها الى وكرهِ . واذا رأى فلاحًا اعتنى بزرع بعض الحبوب غافلهُ واستخرجها وجمعها في حفرة واحدة . واذا رأى واحدًا من المتأنقين وقع كفهُ من يدهِ خطفهُ وهرب بهِ ومزقهُ تمزيقًا كأنهُ يؤنب الرجال على لبس الكفوف كالنساء

لا يخلو بلد من رجل ظريف او مهرّج يُضحِك الناس او يضحكون عليهِ وكان في البلد الذي فيهِ هذا الغراب رجل من هذا القبيل فكان الغراب يعرفهُ ويتبعهُ وينقر ساقيهِ كأنهُ يداعبهُ . وكان هذا شأنهُ كلما وجد ولدًا او رجلاً سخيف العقل فانهُ كان يتبعهُ ويحتال عليهِ كأنهُ من اترابهِ او ممن تجوز عليهم حيَل الغربان . ولم يكن يعبأُ بالبرد ولا بالمطر والثلج بل كثيرًا ما كان يتمرّغ في الثلج كما تتمرّغ الدواب في التراب . وقضى نحبهُ غرقًا فانهُ وقع في برميل فيهِ من العقار الذي تدهن بهِ الخنازير فتعذَّرت عليهِ النجاة

وقال المستر سمث ايضًا انهُ اقتنى غرابًا آخر ولم يكن حيث يستطيع ان يطلق سبيلهُ فوضعهُ في قفص كبير فمُنع عن الاذى ولكن اتسع لهُ مجال النطق فتعلَّم كثيرًا من الكلمات والجمل التي كان يسمعها وصار يتلوها على اساليب شتى بين ترخيم الصوت وتخشينهِ وكان يقلّد الناس في ضحكهم . قال المستر سمث وأُصبت بسعال شديد فصار يسعل مثلي حتى كان الزائرون يظنون انهُ سعال البستاني ويلومونني لانني اتركهُ مصابًا بهذا السعال ولا اداويهِ . وكان ماهرًا في تلقي ما يرمى اليهِ فاذا رماهُ الاولاد بالاثمار الصغيرة امسكها كلها من الهواء من غير ان تقع واحدة منها . واذا اطعمتهُ اشياء كثيرة دفعةً واحدة اخذها كلها منك غير متمهل واخفاها في فكهِ الاسفل حتى يبرز كالجراب ثم ينظر اليك مستفهمًا كأنهُ يقول احزر اين وضعتها ثم يخرجها من جرابهِ ويخفيها في اماكن اخرى في قفصهِ تحت الرمل او تحت الحجارة ويستخرجها ويخفيها مرة اخرى كما يفعل الاولاد وهم يلعبون . واذا تُرك مفتاح قفصهِ في الباب سهوًا خطفهُ واخفاهُ ووقف ينظر الى حيرتك وانت تفتش عنهُ

والناس على طرفي نقيض من حيث آرائهم في الغراب فبعضهم يكرمهُ اكرامًا دينيًا ويفضلهُ على الطيور اجمع وبعضهم يقول انهُ اشأم الطيور واقبحها . فكان الرومانيون يقولون انهُ اذا طار عن يسار انسان انبأ بالشر وجلبهُ عليهِ واذا طار فوق بيت فلا بدَّ من ان يموت واحد

فيهِ . وانهُ يسبق المقاتلين الى دار الحرب ينتظر وقوع القتلى واذا وقع بهِ اذى انتقم ممَّن اذاهُ ولو بعد موتهِ . ويقول اهالي اسوج ان الغربان التي تنعق في المستنقعات ليلاً هي ارواح القتلى الذين قُتلوا غيلة ولذلك حمي الغراب من الاذى في كثير من البلدان الشمالية . لكن بعض الذين لا يستحلون قتلهُ رمياً بالرصاص يطرحون لهُ البيض المسموم بالاستركنين حتى يأكلهُ ويموت ميتاً زاعمين انهم لم يقتلوهُ بل هو قتل نفسهُ . وكثيرون من الانكليز يعتقدون ان نجاحهم في الدنيا نتج عن حمايتهم لغراب عشش في بستانهم وانهُ اذا قتل قصداً فلا بدَّ من ان يموت واحد من العائلة على اثر ذلك

ويقال ان الغراب يعمّر مئة سنة الى ثلثمئة . هذا كان رأي الاقدمين مثل بلينيوس وشيشرون وارستوفانيس وهوراشيوس واوفيد واوسونيوس . والظاهر انهُ لا يخلو من الصحة فقد تقدَّم ان غراباً اهليَّا عمَّر سبعين عاماً

هذه خلاصة ما قالهُ المتكلمون في طبائع الحيوان من الاوربيين اما العرب فقال الجاحظ شيخهم انهم يسمون الغراب ابن داية لانهُ اذا وجد دبرة اي قرحة في ظهر البعير سقط عليها ونقرهُ وعقرهُ حتى يبلغ الدايات ومنهُ قول عنترة

فلو كنت معذوراً بنصرك طيَّرت صقوري غربان البعير المقيَّدِ

ضرب ذلك مثلاً للبعير ذي الدبر اذا وقعت عليهِ الغربان . واذا كان في ظهر البعير دبرة غرزوا في سنامهِ اما قوادم نسر اسود واما خرقة سوداء لتفزع الغربان منهُ ولا تسقط عليهِ . قال الشاعر

كأنها ريشة في غارب جرب في حيثما صرفتها الريح ينصرفُ

ويقال ارض لا يطير غرابها اي خصيبة حتى بلغ من خصبها انهُ اذا دخلها الغراب لم يخرج منها لان كل شيء يريدهُ فيها قال النابغة

ولرهط صوات وقرّ سورة في المجد ليس غرابها بمطار

ويقال وجد فلان تمرة الغراب كأنهُ يتبع اطيب التمر . وقالوا ان الغراب ينقر العيون وفي ذلك يقول الشاعر

اتوعد اسرتي وتركت حجراً يريغ سواد عينيهِ الغراب

وان كل غراب يقال لهُ غراب البين اذا ارادوا بهِ الشؤم لسقوطهِ في مواضع منازلهم اذا بانوا (اي بعدوا) عنها

ويقال نعق الغراب نعيقاً ونعب نعيباً فاذا مرَّت عليهِ السنون الكثيرة وغلظ صوتهُ قيل شحج شحيجاً وقال ذو الرمة

ومُستَشحِجات بالفراق كأنها مثاكيل من صيابة النوب نوَّحُ

والنوب اهل النوبة

وقال الجاحظ تطيُّر العرب من الغراب بقولهِ " واصل التطيُّر انما كان من الطير اذا مرَّ بارحًا او سانحًا (اي عن اليمين او عن اليسار) او رآهُ المتطير يتنلَّى او ينتتف ثم صاروا اذا عاينوا الاعور من الناس او البهائم او الاعضب او الابتر زجروا عند ذلك وتطيروا كما تطيروا من الطير فكان زجر الطير هو الاصل منهُ اشتقوا التطيُّر ثم استعملوا ذلك في كل شيء . والغراب لسوادهِ ان كان اسود ولاختلاف لونهِ ان كان ابقع ولانهُ غريب يقطع اليهم ولانهُ لا يوجد في موضع خيامهم يتقمم الَّا عند مباينتهم لمساكنهم ومزايلتهم لدورهم ولانهُ ليس شيءٌ من الطير اشد على ذوات الدبَر من ابلهم من الغربان ولانهُ حديد البصر قالوا عند خوفهم من عينيهِ الاعور كما قالوا غرابًا لاغترابهِ وغراب ابي لانهُ عند بينونتهم يوجد في دورهم .

قال ولايمان العرب بباب الطيرة عقدوا الرتائم وعشَّروا (اي نهقوا عشر مرات) اذا دخلوا القرى تعشير الحمار . والغراب اكثر من جميع ما يتطيَّر بهِ في باب الشؤم . لكنهم لم يكونوا في ذلك سواءٌ بل نفى بعضهم التطيُّر قال سلامة بن جندل

ومن تعرَّض للغربان يزجرها على سلامتهِ لا بدَّ مشؤُومُ

وقال غيرهُ

يا ايها المزمع ثمَّ انثنى لا يثنك الحادي ولا الشاحجُ
بين الفتى يسعى ويُسعَى لهُ تاحٍ لهُ من امرهِ ذائجُ

وزعم الاصمعي ان النابغة خرج مع زبان بن يسار يريدان الغزو فبينما هما يريدان الرحلة اذ نظر النابغة واذا على ثوبهِ جرادة فتطيَّر فلما رجع زبان من تلك الغزوة سالمًا غانمًا قال

تخبر طيرةً فيها زيادٌ لتخبرهُ وما فيها خبيرُ
اقام كأن لقمان بن عاد اشار لهُ بحكمتهِ مشيرُ
تعلَّم انهُ لا طير الَّا على متطير وهو الثبورُ
بلى شيءٌ يوافق بعض شيء واحيانًا وباطلهُ كثيرُ

وكان زبان هذا من دهاة العرب وساداتهم فقال ان الذي يجدونهُ انما هو شيءٌ من طريق الاتفاق

وقال الجاحظ اخبرني ابو اسحق ابرهيم بن سيَّار النظام قال جعتُ حتى أكلت الطين وما صرت كذلك حتى قلبت قلبي اتذكر هل من رجل اصيب عندهُ غداءٌ او عشاءٌ فما قدرت

عليهِ وكان عليَّ جبة وقميصان فنزعت القميص الاسفل فبعتهُ بدريهمات وقصدت الى فرضة الاهواز اريد قصبة الاهواز وما اعرف بها احدًا وما كان ذلك الاَّ شيئًا اخرجهُ الضجر وبعض التعرُّض . فوافيت الفرضة فلم أُصِب فيها سفينة فتطيَّرتُ من ذلك ثم رأيت سفينة في صدرها خرق وهشم فتطيرت من ذلك ايضًا واذا فيها حمولة فقلت للملاح تحملني قال نعم قلت ما اسمك قال داود وهو بالفارسيَّة الشيطان فتطيَّرت من ذلك . ثم ركبت معهُ تضنك الشمال وجهي وينشر الليل الصقيع على رأسي فلما قربنا من الفرضة صحت يا حمَّال ومعي لحاف بسمل ومضربة خلَق وبعض ما لا بُدَّ لمثلي منهُ فكان اول حمال اجابني اعور فقلت لبقار كان واقفا بكم تكري ثورك هذا الى الخان فلما ادناهُ من متاعي اذا الثور اعضب (مكسور القرن) فازددتُ طيرةً الى طيرة فقلت في نفسي الرجوع اسلم لي ثم ذكرت حاجتي الى اكل الطين فقلت ومن لي بالموت فلما صرت بالخان وانا جالس فيهِ ومتاعي بين يديَّ وانا اقول ان انا خلَّفتهُ في الخان وليس عندهُ من يحفظهُ فُشَّ الباب وسُرِق وان جلستُ احفظهُ لم يكن لمجيئي الى الاهواز وجه. فبينما انا جالس اذ سمعت قرع الباب قلتُ من هذا عافاك الله . قال رجل يريدك قلت ومن انا. قال انت ابرهيم . فقلت ومن ابرهيم . قال النظام. قلت هذا خنَّاق او عدو او رسول سلطان . ثم اني تحاملت وفتحت الباب فقال " ارسلني اليك ابرهيم بن عبد العزيز يقول نحن وان كنا اختلفنا في بعض المقالة فانَّا قد نرجع بعد ذلك الى حقوق الاخلاق الحرية وقد رأيتك حين مررت على حال كرهتها منك وما خبَّرني عنك الاَّ بعض من كان معي وقال ينبغي ان يكون قد نزعتهُ حاجة فان شئتَ فاقمْ بمكانك شهرًا او شهرين فعسى ان نبعث اليك ببعض ما يكفيك زمنًا من دهرك وان اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون مثقالاً فخذها وانصرف وانت احقُّ من عذر ". فهجم والله عليَّ امرٌ كاد ينقضني اما واحدة فاني لم اكن ملكت قبل ذلك ثلاثين دينارًا في جميع دهري والثانية انهُ لم يطل مقامي ولا غيبتي عن وطني وعن اصحابي الذين هم على حالٍ اشكل بي. والثالثة ما تبيَّن لي من ان الطيرة باطلة وذلك انهُ قد تتابع عليَّ منها ضروب والواحدة منها كانت عندهم معطبة

الاَّ ان جمهور العرب كان يعتقد الطيرة مثل اليونان والرومان قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى قال ابو الفرج المعافي بن زكريا في كتاب الجليس والانيس كنا نجلس في حضرة القاضي ابي الحسن فجئنا على العادة فجلسنا عند بابهِ واذا اعرابي جالس كانت لهُ حاجة اذ وقع غراب على نخلة في الدار فصرخ ثم طار فقال الاعرابي ان هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة ايام . قال فزجرناهُ فقام وانصرف . ثم خرج الاذن من القاضي

الينا فدخلنا فوجدناهُ متغير اللون مغتمًّا فقلنا لهُ ما الخبر قال رأيت البارحة في النوم شخصًا يقول

منازل آل عبَّاد بن زيدٍ على اهليكِ والنعمِ السلامُ

وقد ضاق صدري لذلك . فدعونا لهُ وانصرفنا فلما كان في اليوم السابع من ذلك اليوم دُفن . قال القاضي ابو الطيب الطبري سمعتُ هذه الحكاية من لفظ شيخنا ابي الفرج المذكور

وقال يعقوب بن السكيت كان امية بن ابي الصلت في بعض الايام يشرب فجاء غراب فنعب نعبةً فقال لهُ امية بفيك التراب ثم نعب اخرى فقال لهُ امية بفيك التراب ثم اقبل على اصحابهِ فقال اتدرون ما يقول هذا الغراب زعم اني اشرب هذه الكاس فاموت وامارة ذلك انهُ يذهب الى هذا الكوم فيبتلع عظمًا فيموت . قال فذهب الغراب الى الكوم فابتلع عظمًا فمات ثم شرب امية الكاس فمات من حينهِ

والحكايتان من اقاصيص العرب وامية بن ابي الصلت شاعر مسيحي مشهور من فحول شعراء الجاهلية ويقال انهُ مرض قبل موتهِ وسُمع يقول

ان تغفر اللهمَّ فاغفر جمًّا واي عبدٍ لك لا المَّا

ثم قال

كل عيش وان تطاول دهرا منتهى امرهِ الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في رؤوس الجبال ارعى الوعولا
إجعلِ الموت نصب عينيك واحذرْ غَولة الدهر ان للدهر غُولا

وقال الجاحظ وبالبصرة من شان الغربان ضروب من العجب لو كان ذلك بمصر او ببعض الشامات لكان عندهم من اجود الطلسم وذلك ان الغربان تقطع الينا في الخريف فترى النخل ونصفها مصرومة (اي مقطوعة عناقيدها) وعلى كل نخلة عدد كثير من الغربان وليس منها شيء يقرب نخلة واحدة من النخل الذي لم يُصرَم ولو لم يبقَ عليها الاَّ عذق (عنقود) واحد . وترى على كل نخلة مصرومة الغربان الكثيرة ولا ترى على التي تليها غرابًا واحدًا حتى اذا صرموا ما عليها تسابقت الغربان الى ما سقط من التمر في جوف الليف واصول الكرب تستخرجهُ كما يستخرج الشاك الشوكة

ومنقار الغراب معول وهو شديد النقر يصل الى الكمأة المدفونة في الارض بنقرة واحدة وهو ابصر بمواضع الكمأة من اعرابي يطلبها . والاعرابي يحتاج الى ان يرى ما فوقها من الارض فيهِ بعض الانتفاخ والانصداع وما يحتاج الغراب الى دليل

والغربان تسقط في الصحاري تلتمس الطعم ولا تزال كذلك فاذا غابت الشمس نهضت الى

اوكارها معاً وقلما تختلط البقع بالسود . ومنها اجناس كثيرة عظام كأمثال الحداء السود ومنها صغار وفي مناقيرها اختلاف في الالوان والصور . ومنها غربان تحكي كل شيء سمعتهُ حتى انها في ذلك اعجب من الببغاء . وما اكثرما يختلف (يتردد) منها عندنا في البصرة في الصيف فاذا جاء القيظ قلّت جدًّا واكثر المختلفات من البُقع فاذا جاء الخريف رجعت الى البساتين لتنال مما يسقط من التمر في كرب النخل وفي الارض ولا تقرب النخلة اذا كان عليها عذق واحد . واكثر هذه الغربان سود ولا تكاد ترى فيهنَّ البُقع . انتهى كلام الجاحظ . ولم نحقق ما ذكرهُ من امر الغربان والنخل فان كان احد من القراء يعلم ما يثبتهُ او ينفيهِ فليتحفنا بهِ

وقال القزويني في كتابهِ عجائب المخلوقات " الغراب طائر كثير الاسفار بعيد التطواف اول ما يطير يسرع الطيران بعد ابتلاج الفجر يحبُّ الجوز يجمع منهُ كثيرا فيدفن للذخيرة ويجتمع على كل الحيوانات الكبار بالبادية كالجمل والفرس وكذا الآدمي ويقصد قلع عينيها ولا يمتنع بالدفع والضرب لشدة جوعهِ . وينقر ظهر السلحفاة فيأكلها . والبعير اذا عُقر وحدث في ظهرهِ لحم ميت فلا بدَّ من اخذ اللحم الميت من ظهرهِ فيرسلونهُ الى الصحراء لتجتمع عليهِ الغربان وتقلع اللحم الميت من ظهرهِ . وقال خلف الاحمر رأيت فرخ الغراب فلم ارَ صورة اقبح منهُ ولا اقذر ولا انتن رأيتُ رأساً كبيرًا ومنقارًا طويلاً وذلك مع صغر البدن وقصر الجناح وهو امرط منتن الريح . ومن الغربان ما يأتي بالفاظ فصيحة افصح من الببغاء"

وزاد الدميري في حياة الحيوان الكبرى في مشي الغراب قول الشاعر

" ان الغراب وكان يمشي مشية فيما مضى من سالف الاجيالِ
حسد القطاة ورام يمشي مشيها فاصابهُ ضرب من العُقّالِ
فاضلَّ مشيتهُ واخطأَ مشيها فلذاك سموهُ ابا المرقالِ

" وهو اصناف الغداف والزاغ والاكحل وغراب الزرع والاورق (اي الرمادي) وهذا الصنف يحكي جميع ما يسمعهُ . والغراب الاعصم عزيز الوجود قالت العرب اعزّ من الغراب الاعصم اي الاحمر المنقار والرجلين وغراب الليل وهو غراب ترك اخلاق الغربان وتشبَّه باخلاق البوم وقال ارسطوطاليس في النعوت الغربان اربعة اجناس اسود حالك وابلق ومطرف ببياض لطيف الجرم يأكل الحب واسود طاووسي برّاق الريش ورجلاهُ كلون المرجان يعرف بالزاغ . وفيهِ حذر شديد وتنافر . والغداف يقاتل البوم ويخطف بيضها ويأكلهُ " . ويلي ذلك كلام كثير منقول اكثرهُ عن الجاحظ .

هذا ما عنَّ لنا جمعهُ من اوصاف هذا الطائر وقد اقتصرنا على ما تلذ مطالعتهُ

خرائب الشام

مدينة بيسان

نستغفر الله ليست مدينة بل قرية حقيرة ولو كانت في سالف عهدها عاصمة المدائن العشر (ديكابوليس) يسكنها الآن جالية مصرية اتى بها اليها ابرهيم باشا سنة ١٨٤٠ . وهي مدينة بيت شان التي حمل اليها الفلسطينيون اجساد الملك شاول وبنيهِ بعد ان قتلوهم في واقعة جلبوع على ما هو مذكور في التوراة وارسلوا رأسهُ الى هيكل داجون وسلاحهُ الى هيكل عشتاروث

وسميت هذه المدينة سكيثوبوليس اي مدينة السكيثيين لان قبائلهم سكنتها لما نزلت على بلاد الشام ومصر في اواخر القرن السابع قبل المسيح. والاسم يوناني كما لا يخفى اطلقهُ عليها اليونان بعد ان تغلَّب الاسكندر على بلاد المشرق اما لانهم وجدوا السكيثيين فيها او لانهم وجدوا حولها اقواماً رحَّلاً كالسكيثيين فسموها بما معناهُ مدينة الاقوام الرحَّل . ولم تكن من مدن اليهود في عهد يهوذا المقابي مع ان اليهود كانوا كثاراً فيها

وتغلَّب القائد بمبايوس الروماني عليها وهو ذاهب من دمشق الى اورشليم ثم اعاد اهاليها اليها بعد فتحهِ اورشليم وجعلها من المدن الحرَّة . ولما اوقع الرومانيون بيهود قيصارية وذبحوهم قام اليهود وهجموا على بيسان لينتقموا من اليونانيين سكانها فانضم اليهود الذين فيها الى اليونانيين وغيرهم من السكان وحاربوا اليهود الهاجمين عليها وابدوا من الحماسة والشجاعة في محاربة اخوانهم ما جعل باقي السكان يسيئون الظن بهم على ما رواهُ يوسيفوس فطلبوا منهم ان يتنحَّوا عن المدينة الى غاب خارجها فخرجوا اليهِ هم وعيالهم الاَّ ان اهل المدينة غدروا بهم وبيَّتوهم وقتلوا منهم ثلاثة عشر الف نفس . فما قولك بمدينة يقتل من فريق صغير من اهلها ثلاثة عشر الف نفس وكان ذلك سنة ٦٥ للمسيح

واطلق عليها الرومانيون اسم مدينة القصور لكثرة قصورها ومبانيها الفخيمة وكانت لا تزال في عزها في اوائل القرن الرابع بعد المسيح وقد ذكرها يوسيبيوس وايرونيموس وقالا انها كانت مدينة عظيمة . وحضر مطرانها المجمع الذي عقد في فلسطين سنة ٣١٨ والمجمع النيقاوي الاول الذي عقد سنة ٣٢٥ . وناب نائب عن رهبانها في المجمع القسطنطيني الذي عقد سنة ٥٣٦ وفيها ولد باسيليدس زعيم طائفة الفلسطيين المصرية وكيرلس بطريرك الاسكندرية الذي قُتلت في عهدهِ هباشيا العالمة الوثنية

ولما فتح العرب دمشق ارسل ابو عبيدة شرحبيل وجنوده الى بيسان فقاتلوا اهلها وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ثم صالحهم من بقي على صلح دمشق. ولا يذكر اسم هذه المدينة بعد ذلك الاَّ نادراً فانها انحطت عن عظمتها الاولى بعد فتوح الشام ولم تزل تنحط حتى الآن . ويمر فيها جدولان يقسمان خرائبها الى ثلاثة اقسام القسم الجنوبي حيث قرية بيسان الحالية والميدان والملعب واثار اسوار قديمة والقسم المتوسط وفيهِ اكمة كان فيها الحصن الذي عُلق عليهِ رأس شاول ورؤُوس ابنائهِ والقسم الشمالي وفيهِ آثار كنيسة فخيمة وحمامات وحصون وحول الاقسام الثلاثة آثار السور القديم

والميدان او المشهد مطمور كلهُ تقريباً الآن وقد كان طولهُ من الشرق الى الغرب ٢٨٠ قدماً وعرضهُ من الشمال الى الجنوب ١٥٢ وهو بناء مستطيل مستدير الطرفين جدرانهُ من الحجارة السود الصلبة ومقاعدهُ من الرخام الابيض

والملعب شمالي الميدان وهو يزيد على نصف دائرة قطرها ١٨٠ قدماً وهناك استشهد كثيرون من المسيحيين في عهد يوليان المرتد . ولا تزال العرُن التي كانت توضع فيها الضواري حتى الآن. وكان فيهِ نقر بيضيَّة الشكل توضع فيها انابيب من النحاس لتقوية الصوت . وبناءُ الملعب مثل بناء المشهد من الحجارة السود ومقاعدهُ من الرخام الابيض وتحتها عقود من الحجارة السوداء ولذلك يسمَّى بالعقد

وجنوبي الملعب جامع الاربعين فوق محرابهِ كتابة يقال فيها انهُ بني سنة ٨٠٦ للهجرة وقد كان كنيسة قديمة فحوّلت جامعاً

وفي المدينة اكمة طبيعيَّة يقال لها تل الحصن تطلُّ على البلاد المجاورة هناك بنى الصليبيون القلعة المسماة بقلعة الربوض وتحتها آثار سور كبير كان يحيط بالتل

وكان بعض البستانيين يحفرون في ما يسمَّى ببستان السلطان فعثروا على آثار كنيسة فيها سبعة وعشرون عموداً بتيجانها وقواعدها وهي من الشكل الكورنثي وكلها من الرخام الابيض

وفتح الصليبيون بيسان وقالوا انها كانت كثيرة الخرائب في خرائبها كثير من الرخام وقاوم اهلها صلاح الدين سنة ١١٨٢ لكنهم هربوا منها في السنة التالية فنهبت وحرقت . وذكرها ابو الفداء فقال هي مدينة صغيرة بلا سور ذات بساتين وانهار وهي على الجانب الغربي من الغور وهي كثيرة الخصب . ولها من جملة انهرها نهر صغير من عين تشق المدينة وبينها و بين طبرية ثمانية عشر ميلاً وهي في الجنوب عن طبرية

هذا ما بقي من عاصمة المدن العشر ومن مدينة من اكبر مدائن الشام

منزلة الشعر من التاريخ

٥ الزراعة

ومن اسباب المعاش عندهم الزراعة قال زهير بن ابي سلمى

فتغلل لكم ما لم تغلّ لاهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهمِ

ومنهُ نستدلّ ان عرب العراق كانوا يتعاطون امور الزراعة على مثال ما ورد في شعر المتلمس "آليت حب العراق الدهر اطعمهُ" وقول امرىء القيس "كجرمة نخل او كجنّة يثربِ" وقول خارجة بن ضرار المري "كمستبضع تمرًا الى ارض خيبرا". واوضح من هذا قول جرير بن عطية في هجاء الصلتان

اقول لعيني قد تحدّر ماؤها متى كان حكم الله في كرب النخلِ

وقد اجابهُ الصلتان بقولهِ

تعيّرنا بالنخل والنخل مالنا وودّ ابوك الكلب لو كان ذا نخلِ

وقد ذُكرت اوائل الزراعة فمن ذلك المعول قال الحطيئة

ما كان ذنبي ان فلّت معاولكم من آل لاي صفاة اصلها راسِ

والمنجل قال عنترة العبسي "واظافر يشبهن حد المنجلِ" وقال الاخطل

يخطر بالمنجل وسط الحقلِ يوم الحصاد خطران الفحلِ

والمنجنون وهي آلة تديرها البقرة . قال المتلمس

هلمّ اليهِ قد ابيشت زروعهُ وعادت اليهِ المنجنون تكدّسُ

وابيشت نبتت وتأصلت وقد ذكر الزرع الاعشى بقولهِ

ألم ترَ ان العرض اصبح بطنهُ نخيلاً وزرعا نابتًا وفصافصا (١)

وكانت اياد ذات اهتمام بالزرع وذلك يستنتج من قصيدة للقيط بن يعمر الايادي وكان كاتبًا في ديوان كسرى ارسلها الى قومهِ لما رأى صاحبهُ مجمعًا على غزو قومهِ منها

ابلغ ايادًا وغلّل في سراتهم اني ارى الرأي ان لم أُعصَ قد نصعا

ابي اراكم وارضًا تعجبون بها مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا (٢)

(١) الفصافص جمع فصفصة وهي نبات تعلفهُ الدواب تسمى بذلك ما دامت طيبة

(٢) الوعث ارض مسترخية رطبة والطبع صدأ يكثر على السيف والطبع ايضًا تدنس العرض وتلطخهُ استعارةً للفناء

ألا تخافون قوماً لا اباً لكمُ أمسوا اليكم كامثال الدَّبى سرعا[3]
لا الحرث يشغلهم بل لا يرون لهم من دون يغنيكم ريًّا ولا شبعا
وانتمُ تحرثون الارض عن سفه في كل معتمرٍ تبغون مزدرعا

ومما يدلُّ على اشتغالهم بالزراعة قول عروة بن الورد

لست لمرَّة ان لم اوف مرقبة يبدو لي الحرث منها والمقاضيب[4]

وقول لبيد

اذا أُروَوا بها زرعاً وقَضباً اداروها على خورٍ طوالِ[5]

وقول عوف بن مالك النضري

تعرَّض ضيطارو خزاعة دوننا وما خير ضيطارٍ يقلِّب مسطحا[6]

وقول جندل بن المثني "يفرك حبَّ السنبل الكُنَافج"[7] وقول ابي ذؤيب

وما حمَّل البختيُّ عام غيارهِ عليهِ الوسوقُ بُرُّها وشعيرها[8]

وكان بعضهم يعلفون ركائبهم من الشعير قال الاعشى في صفة ناقتهِ

بناها الفوادي الرضيخ مع الخلا وسقيي واطعامي الشعير بمحفدِ

وهذا مما يدلُّ على غزارة وجودهِ غزارة لا يفي بها اجتلابهُ
وكانوا يتداولون الحبوب مكايلة قال الاخطل

والخبز كالعنبر الهندي عندهمُ والقمح سبعون اردبًّا بدينارِ

وقال ابو جندب الهذلي

فلهف ابنة المجنون ان لا تصيبهُ فتوفيهُ بالصاع كيلاً غُذارِما[9]

وقال مزرِّد

خلطتُ بصاع الأَقط صاعين عجوة الى صاع سمنٍ وسطهُ يتربَّعُ

ومما يستدلُّ على اشتغالهم بالزراعة عصرهم الزيت وبيعهُ . اما عصر الزيت فدليلهُ قول الفرزدق

ولكن ديافيٌّ ابوهُ وامهُ بحوران يعصرن السليط اقاربه[10]

---

(٣) الدبى صغار الجراد. (٤) المقاضيب جمع مقضبة وهي منبت القضب
(٥) القضب الرطبة . والخور جمع خوارة وهي النخلة الكثيرة الحمل
(٦) الضيطار الضخم الذي لا غناء عنده والمسطح الخشبة المعرضة على دعامي الكرم بالأطر
(٧) الكنافج المكتنز من السنابل (٨) البخت الابل الخراسانية واحدها بختي
(٩) غذارم جزاف (١٠) ديافي نسبة الى دياف من قرى الشام · والسليط الزيت

اما بيعهُ فدليلهُ قول ابن احمر الباهلي

لها رطل تكيل الزيت فيهِ وفلاَّح يسوق بها الحمارا

ونعود الى بيت الفرزدق فقد قال صاحب خزانة الادب الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي اراد يعصرن الاشارة الى ان عصر الزيت عمل النساء خاصة لا عمل الرجال

واذا نظرنا بامعان وجدنا ان الطبابة والصياغة وتحصيل الذهب ونسج الثياب والبسط والحصير وعصر الزيت والبيع وغزل الصوف ورعاية الماشية والغناء مما احترفتهُ نساءُ العرب وكفى بذلك دليلاً على انهنَّ كنَّ عضوًا عاملاً في الهيئة المدنية عند العرب

٦ً الصيد

والصيد عند العرب ضربان ضرب لتحصيل المعاش وهو من ابحاثنا هنا وضرب من انواع اللهو عند الامراء . اما الاول وهو الصيد للتعيش فدليلهُ قول امرىء القيس

ربَّ رامٍ من بني ثعلٍ مُتلج كفَّيه من قترهْ (١)

عارض زوراءَ من نشمٍ غير بانات على وترهْ (٢)

قد اتتهُ الوحش واردة فتنحى النزع في يسرهْ (٣)

فرماها في فرائصها بازاء الحوض او عقرهْ (٤)

برهيش من كنانتهِ كتلظّي الجمر في شررهْ (٥)

راشهُ من ريش ناهضة ثم امهاهُ على حجرهْ (٦)

فهو لا تنمي رميَّتهُ مالهُ لاعدَّ من نفرهْ (٧)

مطعم للصيد ليس لهُ غيرها كسب على كبرهْ

وهذه الابيات في بابها غاية فقد ذكر مواقع الصيد وصفة الصياد الحاذق وكيفية الصيد ومن اي شيء تؤخذ القسي والسهام . وصرَّح باتخاذ الرماية مهنة للمعاش كل ذلك بايجاز غريب

واما الصيد للهو بالكلاب فقد ذكر ذلك كثار من الشعراء كالنابغة في قصيدتهِ "يا دار مية بالعلياء فالسند" وكامرىء القيس في قصائدهِ "خليليَّ مرَّا بي على ام جندبِ" والا

(١) متلج مدخل والقتر جمع قترة بيت الصائد الذي يكمن فيهِ للوحش

(٢) الزوراء قوس فيها اعوجاج والنشم شجر يعمل منهُ القسي والبانات هو الذي ينحني اذا رمى فيذهب سهمهُ على وجه الارض وذلك عيب (٣) تنحى تحرف . يسر جمع يسرى

(٤) العقر مقام الشاربة (٥) الرهيش سهم ضامر

(٦) الناهضة التي وفر جناحها وامهاه ارقه

(٧) انميت الصيد فنمى ينمي وذلك أن ترميهُ فتصيبهُ ويذهب عنك فيموت بعد ما يغيب

انعم صباحاً ايها الربع فانطق " و " أمن ذكر سلمى ان نأتك تنوص " و " اعني على برق اراه وميض " . وهو اكثر الشعراء وصفاً للصيد والتصيد وكذلك قد المّ زهير بن ابي سلمى بالصيد في قصيدته " صحا القلب عن سلمى واقصر باطله " . وذكر علقمة الفحل الصيد في قصيدته " ذهبت من الهجران في كل مذهب " . ونكتفي بالاشارة الى هذه القصائد خوفاً من ملل القارئ الكريم

وممن اشتهر بالصيد رجلان يقال للاول ابن مرّ والثاني ابن سنبس وكانا بارعين في تربية كلاب الصيد قال امرؤ القيس

فصبّحه عند الشروق غديةً كلاب ابن مرّ او كلاب ابن سنبس

وكذلك كانوا يعرفون القنص بالطيور الجوارح . قال طرفة وهو عمرو بن العبد البكري في وصف القنص بالطيور في خلال ابيات هجا بها عمرو ابن هند اللخمي واخاه قابوساً

لعمرك ان قابوس ابن هند ليخلط ملكهُ "حمق" كثيرُ
قسمت الدهر في زمن رخي كذاك الحكم يقصد او يجورُ
لنا يوم وللكروان يوم تطير البائسات ولا تطيرُ (٨)
فاما يومهنَّ فيوم سوء تطاردهنَّ بالحدب الصقورُ (٩)

وكانوا يتصيدون (بالفخ) ايضاً كما قال طرفة

يا لكِ من قبرة بمعمر خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري
ونقّري ما شئت ان تنقّري قد رُفع الفخّ فماذا تحذري
لا بدَّ من صيدك يوماً فاصبري

٧ً تربية النحل

وكان البعض يعنون بتربية النحل لاشتيار عسله قال تميم ابن مقبل يصف نحلاً

كأنَّ اصواتها من حيث تسمعها صوت المحابض ينزعن المحارينا (١٠)

وقال الشنفرى

او الخشرم المبثوث حثحث دبرهُ محابيض ارساهنَّ شارٍ معسِّلُ (١)

---

(٨) الكروان طائر معروف وهو طويل العنق والرجلين احمر له صوت حسن
(٩) الحدب حدود في صبب والغلظ المرتفع من الارض
(١٠) المحابض هي عيدان يُشار بها العسل والمحارين ما تساقط من الدبر في العسل فمات فيه
(١) الدبر جماعة النحل

﴿ ١٤ ﴾

اعزاز الخيل

ولما كانت غارات العرب متواصلة كان للخيل عندهم معزة كما نستدل من قول لحيف العجلي

ابيت اللعن ان سكاب علق   نفيس لا يعار ولا يباع
مفداة مكرمة علينا   تجاع لها العيال ولا تجاع
سليلة سابقين تناجلاها   اذا نسبا يضمهما الكراع
فلا تطمع ابيت اللعن فيها   ومنعكها بشيء يستطاع

وفي البيت الثالث اشارة الى ان العرب كانوا يحافظون على انساب الخيل وهو امر حقيقي. قال النابغة الذبياني في صفة خيل قومه

فيهم بنات العسجدي ولاحق   ورقا مراكلها من المضمار

وقال ايضاً

قعوداً على آل الوجيه ولاحق   يقيمون حولياتها بالمقارع

﴿ ١٥ ﴾

العقل والقود

ومن سنن العرب اذا قتل قتيل اما ان يقبل اهله بعقله اي باخذ ديته او انهم يصرّون على القود وهو قتل القاتل . اما اخذ الدية فواضح من قول عمرو بن كلثوم التغلبي

ثلاثة اثلاث فاثمان خيلنا   واقواتنا وما نقود الى القتل

وكان بعضهم قبل الاسلام يجنف عن اخذ ثار القتيل الواحد من قومه بالقتيل الواحد من اعدائه كما يعرف ذلك من حكاية المهلهل التغلبي وقتله ابن اخته بجير ابن ام الاعز وهو بجير بن الحارث بن عباد اليشكري وقوله اذهب بشسع كليب . وعلى التفضيل بين القتلى قال جميل بن معمر العذري

يقولون لي اهلاً وسهلاً ومرحبًا   ولو ظفروا بي ساعة قتلوني
وكيف ولا توفي دماؤهم دمي   ولا مالهم ذو ندهة فيدوني (١)

وقال عبد الله بن الزبير

قضى الله ان النفس بالنفس بيننا   ولم نك نرضى ان نباوئكم قبل (٢)

وقالت ليلى الاخيلية في رثاء توبة بن الحمير

(١) ندهه سعة   (٢) باوأه الشيء بإثره جعلها سواء

فان تكن القتلى بواءٌ فانكم فتى ما قتلتم آل عوف بن عامرِ

وكان العَقل غير محمود عندهم بدليل قول كبشة اخت عمرو بن معدي كرب تحرّض قومها على اخذ ثار شقيقها عبد الله وكان اخوها عمرو يتظاهر بقبول الاتداء

وارسل عبدالله اذ حان يومهُ الى قومهِ لا تعقلوا لهمْ دمي
ولا تأخذوا منهم افالاً وابكرًا واترك في بيت بصعدة مظلمِ (٤)
فان انتمُ لم تقتلوا واتديتمُ فمشّوا بآذان النعام المصلَّمِ

والمشهور في الدية ان كانت دية ملك فألف بعير كما احتملت بنو فزاره دية ابن الاسود ابن المنذر قال قراد بن حنش الصاردي

ونحن رهنّا القوس ثمّت اوديت بالف على ظهر الفزاري اقرعا
بعشر مئين للملوك سعى بها ليوفيَ سيّار بن عمرو فاسرعا

واما ان كانت دية احد العامة فمئة قال سالم بن دارة

ابلغ ابا سالم عني مغلغلة فلا تكوننّ ادنى القوم للعارِ
لا تأخذنّ مئة منهم مجلّلة واضرب بسيفك منظور بن سيّارِ

وكانوا يختارون الدية من الابل الصغار الموسومة بزغة . قال زهير بن ابي سلمى

فاصبح يُحدَى فيهم من تلادكم مغانم شتى من افالٍ مزنّمِ

وكان المزنّم من كرام الابل . ودليل ذلك افتخار المتلمس باقتناء قومهِ لما قال

وان نصابي ان سألت وأُسرتي من الناس حيٌّ يقتنون المزنّما

وبيتا سالم بن دارة الموردان سابقًا يؤكدان انفة العرب من الاتداء حتى تراهُ قد عدَّ قبولهُ عارًا وهكذا قال الاخوص اليربوعي وقولهُ

وليس بيربوع الى العقل حاجة سوى دنس يسودُّ منهُ ثيابها

وربما كانت الدية من غير الابل . قال زهير بن ابي سلمى

فكلاً اراهم اصبحوا يعقلونهُ غلالة الف بعد الف مُتمَّمِ
تُساقُ الى قوم لقوم غرامة صحيحات مال طالعات بمخرمِ

يريد بالالف الف درهم . وقال الحريث بن زيد الخيل

قتلنا بقتلانا من القوم عصبة كرامًا ولم نأكل بهم حشَفَ النخلِ (٥)

---

(٤) الافال جمع افيل وهو الصغير من الابل

(٥) الحشف اردأ التمر اي انهم لم يقبلوا الدية التي قد تكون من التمر او من امثال ذلك مما يؤكل

وكان اخذ الثار عزيزاً عندهم يتطلّبونهُ بكل قواهم حتى كانوا يستحبون الموت في سبيل الحصول عليهِ قال الفرزدق يحرّض قومهُ

فاستشعروا بثياب اللؤم واعترفوا ان لم تروعوا بني افعى بغارات
وتقتلوا بفتى الفتيان قاتلهُ او تُقتلون جميعاً غير اشتات

وكان العزيز المنيع الجانب هو الذي ان قتل احداً لا يطالب بدية ولا بقود قال حسان ابن ثابت مفتخراً

ما للقتيل الذي اسمو فاقتلهُ من ديةٍ فيهِ يعطاها ولا قوَدِ

وكان اذا قُتِل رجل من قبيلة يُطالَب القاتل بدمهِ فتجتمع جماعة من الرؤساء الى اولياء القتيل ويعرضون عليهم الدية ويسألون العفو عن الدم فان كان وليهُ قويّاً حميّاً ابى اخذ الدية وان كان ضعيفاً شاور اهل قبيلتهِ فيقول للطالبين ان بيننا وبين خالقنا علامة للامر والنهي فيقول لهم الآخرون ما علامتكم فيقولون نأخذ سهماً فنركبهُ على قوس ثم نرمي بهِ نحو السماء فان رجع الينا ملطخاً بالدم فقد نُهينا عن اخذ الدية ولم يرضوا الّا بالقوَد وان رجع نقيّاً كما صعد فقد أُمرنا باخذ الدية وصالحوا . فما رجع هذا السهم قطُّ الّا نقيّاً ولكن لهم بهذا عذر عند جهالهم قال الاشعر الجعفي

عقّوا بسهمٍ ثم قالوا صالحوا يا ليتني في القوم اذ مسحوا اللحى[6]

وقال المتنخل الهذلي

عقّوا بسهم ولم يشعر بهِ احدٌ ثم استفاقوا وقالوا حبذا الوضح[7]

وكان يسمى السهم الذي يرمى العقيقة ولهذا قال الشاعران عقوا بسهم

امين ظاهر خير الله

---

(٦) مسح اللحى علامة الصلح (٧) الوضح اللبن كناية عن الابل اي قبول الدية

رأي ابن خاتمة في الوباء

جرت عادة اهل كل علم في الغرب ان يرجعوا الى اصل العلوم التي يشتغلون بها للاحاطة بتدرجها ودرس تاريخ رقيتها والوقوف على ابحاث من قبلهم من الرجال . وقد ظفرت خلال الوباء الذي انتقل في العام الماضي من مصر الى الشام بكتاب اسمهُ "تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد" تأليف العلامة ابي جعفر احمد بن خاتمة الاندلسي فاحببت ان احدث القراء ببعض ما قرأتهُ فيهِ لعلي بما في مقابلة الطب الحديث بالطب القديم من الفوائد الجمة التي لا ينكرها باحث في العلم منها معرفة ما انتهت اليهِ حالة الطب في ذلك الزمن وما يوافق منها القديمُ الحديثَ مثل مسألة ثياب الموبوئين وعدوى لابسيها ومسألة الفصد الذي ذكر المقتطف فائدتهُ في تخفيف الضغط عن القلب وبرء المصاب احيانًا على ما سيجيء ومنها الاطلاع على ما لعلماء الاندلس من العناية بكل شيء حتى ان مثل هذا الفاضل وكان معدودًا من الطبقة العالية في بلادهِ لم يستنكف من الانتساب للطب وكان يعنى بتمريض المرضى ومداواتهم ويعد هذه الصناعة شريفة مثل ما كان يدرس في الجامع الاعظم ببلدهِ ولا عجب فالطب كالفقهِ في الاعتبار كما صرح بذلك الغزالي واحزابهُ

اما المؤلف فقد ترجمهُ لسان الدين بن الخطيب في كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة فقال : هذا الرجل صدر يشار اليهِ طالب متفنن مشارك قويّ الادراك سديد النظر قويّ الذهن موفَّر الادوات كثير الاجتهاد معين الطبع جيد القريحة بارع الخط ممتع المجالسة حسن الخُلق جميل المعاشرة حسنة من حسنات الاندلس وطبقة في النظم والنثر بعد المرقى في درجة الاجتهاد واخذه بطرق الاحسان عقد الشروط وكتب عن الولاة ببلدهِ وقعد للاقراء ببلدهِ مشكور السيرة محمود الطريقة في ذلك كلهِ

وقال وهو الآن بقيد الحياة وذلك ثاني عشر شعبان سنة سبعين وسبعمائة . وقد ذكر المقري في نفح الطيب طرفًا صالحًا من كلام ابن خاتمة وترجمتهِ

سئل المصنف وضع مؤلَّفهِ سنة سبع واربعين وسبعمائة في خلال وباء ظهر في المرية احدى بلاد الاندلس قال وكان ظهورهُ في اول شهر ربيع الاول بموافقة اول شهر يونيه "فاستمرّ تمامهُ فصل الربيع وجمع فصلي الصيف والخريف وطائفة من فصل الشتاء الى تاريخ كتب هذا وهو منتصف شهر ذي العقدة بموافقة شهر فبراير"

وقسم كتابهُ على عشر مسائل وجزّأها على بضعة فصول ففي المسألة الاولى كلام على سبب

تسمية هذا المرض بالوافد قال "فظاهر كلام الاطباء انها (اي الامراض) وان كان عنها موت فانها لا تعد وباء لان اسبابها متفرقة والامراض الكائنة عنها مختلفة بالنوع وكونها في موضع واحد مما هو بالاتفاق وان اطلق عليها وباء فبحكم الشبه الظاهر وعلى جهة التوسع والمجاز وهذا النوع من المرض هو احد نوعي الامراض التي سمّاها بقراط بالامراض الوافدة قال جالينوس وهي الامراض التي تعم كثيرًا من الناس في وقت واحد فمتى كانت مهلكة سميت موتانا ومتى كانت مهلة خصت باسم المرض الوافد ومتى كانت خاصة ببلد دون بلد سميت بالامراض البادية وقد قلنا ان الموتان في اصل وضعهِ خاص بالبهائم لكن على ذلك جرت الترجمة

وفي المسألة الثانية قال ان للوباء اسبابًا خاصة واسبابًا عامة وسببهُ العام ينقسم الى قسمين قريب وبعيد فالقريب تغير الهواء المحيط بالانسان الذي فيهِ تنفسهُ وهذا التغير يكون في الكيف ويكون في الجوهر وشرح ذلك ثم قال ان هذا البخار لا يتقد فيهِ مصباح بل ينطفئ اذا هو أُسرج وأُدخل فيهِ من ساعتهِ واشد ما يستحيل الهواء الى التعفن والفساد اذا بلغ هذه الدرجة

ونسب السبب البعيد الى تغير الهواء من جهة اتصال الاشعة الفلكية والانوار السماوية والنُصُب العلوية وعلى التحقيق من قبل الامر الالهي الذي لم يحصل اسبابهُ للبشر تحصيلاً يركن اليهِ اذ الوقوف على حدود الاحكام النجومية لم يتحصل بعد ونسبهُ الى تغير الهواء في جهة الزمان والوقت بان يتغير الفصل من فصول السنة عن كيفيتهِ الطبيعية الى ضدهِ وذلك كأن يكون الربيع باردًا يابسًا على طبيعة الخريف لعدم الامطار في الشتاء قبلهُ وهبوب الرياح الشمالية او يكون الصيف مستويًا لغزارة الامطار فيهِ وهبوب الرياح الجنوبية او يكون الخريف على طبيعة الربيع او الشتاء على طبيعة الصيف لعكس تلك الاسباب. ونسبهُ الى تغير الهواء في جهة المكان والموضع وما يتصل بهِ منهُ وذلك بان ترتفع ابخرة فاسدة متعفنة من السباخ والبطائح المتغيرة المياه والخنادق والاحافير السربة الراكدة الهواء والنبات والبقول المتعفنة واقذار الناس وفضلاتهم وجيف القتلى في الملاحم والدواب التي اصابها الموتان ونحو ذلك مما يحدث البخارات المتعفنة

وهنا ذكر كيف تدرج الوباء وانتقل الى المرية وانهُ حلَّ اولاً في منازل الضعفاء والمساكين وذكر ان عدد وفياتهِ اذ ذاك كان دون وفيات تونس وتلمسان وبلنسية وانهُ هلك في جزيرة ميورقة في يوم واحد ١٠٠٢٥٢ . وخُمّن من بقي من ناسها بعد الوباء بربع الجميع وكذلك كان الامر بسائر بلاد المسلمين والنصارى ثم قال ما لفظهُ :

"وقد اختلف في مبدإِ هذا الحادث من اين ابتدأ ظهورهُ فذكر لي الثقة عن بعض تجار

النصارى القادمين علينا بالمرية ان ابتداءهُ كان ببلاد الخاد وبلاد الخاد بلسان العجم هي بلاد الصين على ما تلقيتهُ عن بعض الواردين من اهل سمرقند وكان ثقة صدوقًا . وبلاد الصين هي من اول المعمور من الارض في جهة المشرق وانهُ ما زال ينتشر من بلاد الخاد ويتصل بما والاها الى ان اتصل بعراق العجم وببر التركية . وذكر لي ايضا عن آخرين من النصارى القادمين علينا انهُ بلغهم ان ابتداءهُ كان بارض الحبشة وانهُ انتشر من هنالك فيما يليهم من الاقطار حتى انتهى الى ديار مصر واتصل بالشام . واختلاف هذا النقل يدل على ان هذا الحادث عام لجميع الاقاليم وكافة الاقطار

"وسبب اختلاف النقل والله اعلم انهُ لما ظهر بجهة في الجهات التي هي اوائل المعمور ظن ناسها ان مبدأ هذا الحادث منها وانتشر الخبر بذلك ثم ترادفت الاخبار بنزوله بحصن قفا من معاقل الجنوبين وهو الذي كان محاصرًا في التاريخ القريب قرطبة (كذا) بجند المسلمين من الترك والروم ثم بارض بيره وبالقسطنطينية العظمى وجزر الرمانية من سواحل البحر الرومي وبلاد جنوه وارض افرنسه آخر ريف الاندلس فسهل بلاد ارغون وبرطونه وبلنسية وغيرها وعمَّ اكثر مملكة قشتالة حتى انتهى الى اشبيلية من اقصى المغرب واتصل مع ذلك بجزر البحر الرومي بجزيرة صقلية وسردانية وميورقة وبلنسية وانعطف على سواحل العدوة وبلادها من ارض افريقية الى ما يلي المغرب "

وتكلم في المسألة الثالثة على اختصاص الوباء قومًا دون آخرين على قرب الجوار فاجاب عن ذلك بانهُ يتفق من وجه وهو كالاستعداد ويختلف من وجه آخر وهو الخصوصيَّة وان البلاد ليست احوالها متفقة من كل الجهات فتختلف من جهة قربها وبعدها من البحر ومن جهة اوضاعها ومن قبل اماكنها في السهولة والحزونة ومن قبل مآكلها ومشاربها . وشرح ذلك شرحًا مستوفى يصح ان يتخذ دستورًا في حفظ الصحة في كل زمان ومكان وقال ان المرية من المدن الساحلية التي تستعد للوباء اكثر من غيرها ووصف مركز تلك المدينة ومآكلها ومشاربها وصفًا لم يبق مجالاً لواصف

ثم قال " اعلم ان الناس ليسوا على طبيعة واحدة ولا مزاج واحد ولا احوالهم في مطاعمهم ومشاربهم وتحفظهم وتفريطهم على وتيرة واحدة بل امورهم في ذلك كلهِ مختلفة جدًّا فمن كانت الحرارة والرطوبة غالبتين على مزاجهِ وهو في سن الشبيبة وكان بطبعهِ نهمًا مسترسلاً في شهواتهِ كثير التملي من الطعام والنوم عليهِ لا يبالي باختيار مأكول ولا مشروب ولا بادخال طعام على طعام واكثر من استعمال المطاعم الرديئة السريعة الاستحالة ولم يُعْنَ بحفظ صحتهِ ولا النظر

لنفسهِ فان استعداده لنزول هذا المرض بهِ يكون اعظم لهُ وانفعالهُ عن هذا الحادث الحالّ اتم ولم يلبث ان يحل بهِ ويشمل ضررهُ اهل بيتهِ ومساكنهُ لسيرهم بسيرتهِ وذهابهم على مهيعتهِ. فقلما اجتمع اهل بيت وتخالفت طباعهم وسيرهم . ولو فرضنا لعلةٍ انها تختلف فان من نزل بهِ منهم هذا المرض لتمام استعدادهِ يؤذي غيرهُ ويسري اليهِ ضررهُ "

وافاض المصنف في المسألة الرابعة المتعلقة بعدواهُ فقال " الظاهر الذي لا خفاء بهِ ولا غطاء عليهِ ان هذا الداء يسري شرهُ ويتعدى ضررهُ شهدت بذلك العادة واحكمته التجربة فما من صحيح يلابس مريضاً ويطيل ملابستهُ في الحادث الأ ويتطرق اليهِ اذايتهُ ويصيبهُ مثل مرضهِ عادة غالبة احراها الله تعالى " ثم قال " ولقد شهدت اهل سوق الخلق بالمرية الذين يبتاعون بها ملابس الموتى وفرشهم مات اكثرهم ولم يسلم منهم ولا من الذين خلفوهم الى الآن الّا الاقل وغيرهم من ارباب الاسواق حالهم كحال سائر الناس. واطلعت في حال البلدان التي حرص اهلها على ان لا يدخل اليهم احد من اهل بلاد الوباء وحافظوا على ذلك ان استصحبوا السلامة زماناً حتى غُلبوا على ذلك . وان اكثر اهل الجدون التي تلي المرية ونزل بها هذا الحادث ليؤرخون زمن نزولهِ بهم بقدوم فلان او فلانة عليهم من بلاد الوباء وموتهِ بين اظاهرهم ولهم في التحفظ من ذلك والتورط فيهِ حكايات تواترت بانتشارها فلا معنى لانكارها "

وانكفأ المؤلف في المسالة الخامسة يبين كيفية التحفظ والاحتراز من الوباء فحصر الامور التي تدعو اليها حاجة الانسان في بقاء حياتهِ في ستة اقسام اولها الهواء المحيط بالانسان وما يرجع اليهِ وثانيها الحركة والسكون وثالثها الاطعمة والاشربة ورابعها النوم واليقظة وخامسها الاستفراغ والاحتقان وسادسها الاعراض النفسانية وفسر كلاً من هذه الانواع بما معناهُ : فاصلاح الهواء يكون باتخاذ البيوت الشمالية وفرشها بالرياحين الباردة ومسح الوجه والاطراف بذلك والمواظبة على شمهِ وشم الاترج والليم والازهار الباردة كالورد والبنفسج والترنجبين بالصندل مع يسير من العود الرطب ويحذر التعرض للشمس والسموم وموقد النيران وما يشعل حرارة الابدان . وينبغي ان يمال الى السكون ما ساعد الامكان . واصلح الاطعمة والشراب ما نشأ الانسان عليهِ من البر والشعير اذا حسن اختيارها وان كان يتناول الذرة فالاصلح الانتقال الى الشعير ومن الاطعمة حسو من فتيت خبز البر وطبيخ الارز الرقيق واصلح اللحوم ان استعملت ودعت الحاجة اليها لحوم الفتيان من الدجاج والحجل ولحوم الحملان ورضيع البقر يعصر عليها خل الليمون او خل الحصرم ويستعمل بيض الدجاج النيمبرشت وتستعمل البقول المزوّرات واصلح الفواكه الكمثرى والرمان الحامض والموز والاجاص على خلاء المعدة واصلح المياه ما عذب طعمهُ

وصفا وخف وزنهُ وانحدرت جريتهُ من ماء العيون وما قرب من ذلك فصلاحيتهُ بحسب قربهِ ولا بأس باستعمال ماء الشعير المحكم وتناول شيء من شراب السكنجبين وشراب التفاح ممزوجين بالماء كل صباح على الريق وكذلك شراب الرمان والسفرجل والحصرم وربوبها وشراب الليم وحماض الاترج ونحو ذلك لما يكسر سورة الدم . واصلح النوم ما كان ليلاً على المعتاد ولا بأس بهِ نهارًا في الصيف وليعدل بهِ في الصيف الى الاماكن الشمالية الندية التي تخترقها الرياح . وان تصرف العناية الى تسهيل الطبع دائمًا ووصف لها كثيرًا من الاشربة المباحة ووصف القيء لمن اعتادهُ ورأى ان الحجامة هي النكتة في حفظ الصحة عند حلول هذا الحادث. ورأى النفع في الفصادة قال وكلما توفرت الموجبات في المتطببين عندهُ واحتاجت حالتهم للدم اطاقة لهم ولما الف الناس الانتفاع بهِ صاروا يفتصدون من تلقاء انفسهم . واصلح الاستحمام ما كان في ديماس معتدل الهواء بماء عذب فاتر بحيث يستلذ صبهُ على الجسد ولا تطال مدتهُ. واصلح الاعراض النفسانية التعرض للمسرات والافراح ويستدعى ذلك بما امكن في الامور المباحة ومجالسة من تبتهج النفس بحديثهِ ومطالعة الكتب وليحذر التعرض للغم واتعب الناس في هذه النازلة ارباب العقول واروحهم البُله واصحاب الفراغ ويجتنب ما يعود على النفس بروع او فزع او انزعاج . وختم هذا الباب بقولهِ انهُ لا ينبغي للعبد ان ينخرط فيما انعم الله بهِ عليهِ من العلم والعمل الكفيلين بمصالح الدنيا والآخرة ولا ينبغي للعبد ان يخلّ يدهُ من التوكل طرفة عين فلا يكون توكلهُ على الله تعالى سبحانهُ الا بعد استفراغ جهدهِ في التحفظ والاحتراز وهذه حقيقة العبودية

وبسط في المسألة السادسة علاج الوباء الذي عرف الى عصرهِ " بحسب ما اعطاهُ العلم وشهدت لهُ التجربة ومحصتهُ المعاناة والممارسة " ووصف علاجهُ قبل تمكنهِ وعلاجهُ بعد ذلك واتى على مشاهداتهِ في اناس لا يأخذهم الحصر اثر فيهم إطلاق الدم . قال واما اذا استحكم المرض فالمداواة في الغالب قليلة الجدوى . وقسم الطواعين الى ثلاثة انواع وذكر اعراضها وتشخيصها وعلاجها . وهنا انتهى القسم الطبي من الكتاب وبدأ القسم الديني

بعد ان ذكر ابن خاتمة ما تقدمت الاشارة اليهِ من القوانين الطبيَّة بادب بادٍ للعيان اثرهُ ودين لا حشو فيهِ ولا شوب عليهِ انشأ يبرهن على الاخذ بذلك من وجهة دينيَّة فقال ما محصلهُ : لاجدال بين الائمة في جواز التداوي عند نزول الداء ويدل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع ثم فصَّل ذلك تفصيلاً واستند في النقل الى ثقات المؤرخين مثل مروان بن حيَّان وابي الفرج الجوزي

وعاد في المسألة الثامنة يتوسع في شرح النهي عن القدوم الى ارض الوباء او الخروج عنها فرارًا منهُ وذكر قصة عمر بن الخطاب لما رجع بجيشهِ من سُرَغ احدى بلاد الشام وقد بلغهُ وقوع الوباء فيها وبعد ان اورد نصوص العلماء في هذا المعنى من "الاخذ بالحذر والحزم الذي امرنا الله تعالى بهِ وطلب الاسباب التي هي سوابق القدر واسرار القضاء كما امرنا باتخاذ الحصن من العدو وتجنب المخاوف والمهالك" انتهى الى المسألة التاسعة وهي كالمسألتين السالفتين في لزوم الوقاية وتدبير الصحة عملاً بما رسمتهُ الشريعة فذكر ما ورد في الحديث (لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة) وحديث (لا يوردنَّ ممرضٌ على مُصحٍ) وصرح ان لا تعارض بينهما[1]

وخلص في خاتمة الكتاب اي في المسألة العاشرة الى الاجابة عن كيفية الجمع بين حديث لا عدوى وحديث النهي عن القدوم على ارض الطاعون او الخروج عنها فرارًا منهُ وغيرها من الاحاديث مثل حديث المرأة التي اتت الشارع الاعظم فقالت يا رسول الله دارٌ سكناها والعدد كثير والمال وافر فقلَّ العدد وذهب المال فقال دعوها ذميمة . وحديث العرنيين الذين استوخموا المدينة اذ قالوا يا نبيَّ الله انَّا كنا اهل ضَرع وشكوا اليهِ بانهم استوخموا المدينة فامر لهم بذَوْد وراعٍ واذن لهم في الخروج عنها . كل ذلك على وجه يرتضيهِ علماء العقل والنقل

هذا ما ساعدت المكنة على اقتباسهِ من هذا التأليف النفيس ولم ارَ لمؤلفهِ ما ينتقد عليهِ في الفاظهِ ومعانيهِ بحسب ذوق اهل العصر الحاضر ولم اشبههُ الَّا بعالم عامل عاقل يكتب الآن في صميم قارة اوربا . والنسخة التي امامي تقع في مائة وخمسين صحيفة متصفة القطع فيها شيء من التحريف ربما يهتدى الى حقيقتهِ وقد كتب في آخرها (قابلها وصححها بقدر الامكان وتم ذلك في ليلة الخميس رابع رجب سنة ٩٩٥ عليُّ بن غانم المقدسي) وهو عالم معروف . وبلغني ان بالقدس نسخة اخرى من هذا الكتاب ورأيت بعد تحرير هذه الرسالة مقالة لبعض علماء تونس من اهل عصرنا ينقل فيها عن هذا الكتاب مما يظهر ان نسخهُ كثيرة . وحبذا لو تصدت احدى المطابع لنشرهِ تعميمًا لفائدتهِ

دمشق محمد كرد علي

(١) قال الامام النووي جامعًا بين حديث لا عدوى وحديث لا يورد ممرض على مصح قال جمهور العلماء يجب الجمع بين هذين الحديثين وهما صحيحان قالوا وطريق الجمع ان حديث لا عدوى المراد بهِ نفي ما كانت الجاهلية تزعمهُ وتعتقدهُ ان المرض والعاهة تعدي بطبعها لا بفعل الله تعالى واما حديث لا يورد ممرض على مصح فارشد فيهِ الى مجانبة ما يحصل الضرر عندهُ في العادة بفعل الله تعالى وقدرهِ فنفى في الحديث الاول العدوى بطبعها ولم ينفِ حصول الضرر عند ذلك بقدر الله تعالى وفعلهِ وارشد في الثاني الى الاحتراز مما يحصل عندهُ الضرر بفعل الله وارادتهِ وقدرتهِ فهذا الذي ذكرناهُ من تصحيح الحديثين والجمع بينهما هو الصواب الذي عليهِ جمهور العلماء ويتعين المصير اليهِ

رجال المال والاعمال

هنري فرك الفحّام

لا نرى مثل تحريك الهمم لنيل المعالي ممهدًا لارتقاء الامم ولا مثل سير العظماء ولاسيما العصاميون منهم مكبرًا للنفوس ومشددًا للعزائم ولذلك نجد قرَّاء المقتطف يطالبوننا بالمزيد من هذا الباب ونجد من انفسنا ارتياحًا الى اجابة طلبهم

والرجل الاول الذي اخترنا ترجمتهُ لهذا الجزء المستر هنري كلاي فرك الفحّام مدير معامل كارنجي .

كان هذا الرجل فقيرًا جدًّا في صباهُ مثل اكثر العصاميين الذين اغتنوا بجدّهم فكان يعمل في الحقول وعمرهُ عشر سنوات يجمع اغمار الحنطة في ايام الحصاد ويشتري ثيابًا باجرتهِ وذلك في ولايات اميركا بلاد الحرية والاجتهاد حيث ولد سنة ١٨٤٩ . ولما صار عمرهُ اربع عشرة سنة كان قد تعلَّم القراءة والكتابة والحساب فجُعل كاتبا في احد المخازن الصغيرة وبقي فيهِ خمس سنوات ثم سلَّم اليهِ جدهُ دفتر حساباتهِ وكان عندهُ مطحنة ومعمل لاستقطار الخمور

وبعد قليل اشركهُ رجل في منجم فحم حجري وفوَّض اليهِ مسك حسابهِ وكان عمل فحم الكوك من الفحم الحجري في بداءة شيوعهِ فاهتمَّ ببناء افران كثيرة لعمل الكوك ولما اضطربت الاحوال المالية سنة ١٨٧٣ وباع اصحاب الاسهم اسهمهم باثمان بخسة فاشترى كثيرًا منها وبعد اربع سنوات اشترى حصص شركائهِ في المنجم واستقلَّ بهِ وبما يصنع منهُ من فحم الكوك . وبعد ست سنوات صار اكبر صانعي الكوك في ولاية بنسلفانيا وصار كارنجي المثري الشهير يحسب حسابهُ لان سبك الحديد والفولاذ يتوقف على فحم الكوك فضمَّهُ اليهِ . ولما اتحدت الشركات التي الّفها كارنجي في شركة واحدة جُعل صاحب الترجمة رئيسًا لها ولهُ اليد الطولى في انجاح معامل كارنجي وتوسيع نطاقها حتى صارت اوسع المعامل كلها واغناها . وكان رأس مالها خمسة ملايين ريال سنة ١٨٨٦ فصار خمسة وعشرين مليون ريال سنة ١٨٩٢ . ومئة وستين مليون ريال سنة ١٨٩٩ . وصار جامع حزم الحنطة رئيسًا لمناجم يخرج منها في السنة ستة ملايين طن عدا السفن والمرافئ اللازمة لنقل الحجارة المعدنية منها وعدا سبعين الف فدان من الاراضي التي يخرج الغاز الطبيعي منها وعدا تسعة عشر اتونًا لسبك الحديد لا مثيل لها في المسكونة وخمسة مسابك كبيرة يخرج منها كل سنة ثلاثة ملايين طن من الصلب . هذا ومعاملهُ التي يصنع فيها فحم الكوك كانت تصنع خمس مئة طن في السنة فصارت تصنع مليون

طن وصار عنده اثنا عشر الف فرن لشي الكوك واربعون الف فدان من الارض لاستخراج الفحم الحجري واحد عشر الف رجل لاستخراجهِ منها وصار اسمهُ يكتب على الوف من مركبات النقل في سكك بنسلفانيا

ولما اعتصب العمَّال اعتصابهم الكبير سنة ١٨٩٢ دنا منهُ واحد من الفوضويين واطلق عليهِ الرصاص مرتين فاصابهُ في عنقهِ وطعنهُ بخنجر ست طعنات وحاول نسف المعمل الذي كان فيهِ بالديناميت حاسبًا انهُ اذا قتلهُ خرب عمل كارنجي كلهُ. واسرع اصدقاؤُهُ اليهِ وقبضوا على الفوضوي وسدَّد واحد منهم مسدسهُ الى رأسهِ وقال للمستر فرك هل اقتلهُ فقال لهُ كلاَّ بل دعني انظر وجههُ

وكان سبب الاعتصاب على معامل كارنجي انها استخدمت آلات جديدة ووسائل جديدة واشركت العمال في بعض الربح فزاد المسبوك من الحديد والصلب فيها زيادة بالغة فضاعفت اجور صناعها ورخَّصت مصنوعاتها . وغاظ ذلك بقيَّة المعامل المناظرة لهُ لان رجالهم ثاروا عليهم طالبين زيادة الاجرة فدسُّوا الى بعض الفوضويين ليقتلوا رئيس معامل كارنجي زاعمين ان ذلك يخربها فتزول شكوى العمال . وحاول كثيرون من رجال السياسة حمل المستر فرك على موافقة غيرهِ من ارباب المعامل بمنع اشراك العمال في الربح فلم يقبل بل اصرَّ على عزمهِ . والناس اجمع يعترفون الآن انهُ كان مصيبًا وقد اقتدى بهِ غيرهُ من اصحاب المعامل اي انهم جعلوا الاجور على نسبة العمل فزاد العمل وزادت الاجور

ثم لما صارت معامل كارنجي اسهمًا بلغ نصيب فرك ستة عشر مليونًا من الريالات اخذ بها اسهمًا صار ثمنها الآن ثمانية وعشرين مليونًا اي نحو ستة ملايين من الجنيهات

وهو مع هذه الثروة الوافرة التي نالها بجدهِ واجتهادهِ وانال غيرهُ اكثر منها بعيد عن الدعوى والظهور بسيط في اطوارهِ واعمالهِ يفضّل ان يقيم في الارياف على الاجتماع مع العظماء في الحفلات والولائم . يخفي مبرَّاتهِ حتى لا يدري بها احد فيشكرهُ عليها . وبلادهُ مديونة له بجانب كبير من نجاحها الصناعي في هذه السنين الاخيرة . وقد لقَّبناهُ بالفحَّام لان الفحم كان عماد ثروتهِ

السر هنري دُلتُن الخزَّاف

اذا اراد الشرقيون ضرب المثل بالصنَّاع الذين لا يكتسبون من صناعتهم قالوا "مثل الفواخره لا دنيا ولا آخره". وقد عرفنا كثيرين من صانعي الفخار في هذه البلاد وفي بلاد الشام وبعضهم على جانب كبير من ذكاء العقل حتى لما قرأوا ما كتبناهُ في سر النجاح عن

الخزافين الثلاثة العظام الفدت غيرتهم وحاولوا اكتشاف دهان شفاف للخزف السوري والمصري واكتشاف تراب يصنع منهُ الخزف الابيض وجرَّبوا تجارب كثيرة في هذا الباب ولكننا لم نرَ انهم نجحوا حتى الان

وهمنا سيرة رجل كان خزَّافًا فقيرًا في صباهُ ولكنهُ لم يمت حتى صار يملك اكثر من مليون من الجنيهات من صناعة الخزف

شرع في عمل الخزف وعمرهُ خمس عشرة سنة فتعلَّم حالاً كيف يدير الدولاب برجلهِ ورأى مشقَّة هذا العمل وان البخار قد قام مقام العمَّال في كثير من الاعمال فاستخدمهُ في ادارة دواليب الخزف . وكان قد قرأ مبادئ العلوم والعمل لابيهِ فسهل عليهِ ادخال الاصلاح فيهِ

وانفصل عن ابيهِ سنة ١٨٤٦ وانشأ معملاً خاصًّا ليصنع فيهِ برابخ المصارف من الخزف فانهُ رأى ببصيرتهِ انهُ لا بدَّ من ان يشيع انشاء المصارف في كل المدن لان قوانين الصحَّة تقتضي ذلك فاذا اعدَّ لها برابخ متينة راجت رواجًا عظيمًا. وكان المهندسون وجمهور الاهالي لا يستنسبون استعمال برابخ الخزف فلجأ الى كبار رجال الصحَّة فامتحنوها وقالوا انها صالحة للاستعمال فشاعت برابخهُ وكثر استعمالها في مدينة باريس فربح منها ربحًا وافرًا واخذ ينفق ما ربحهُ على اتقان عمل الخزف واستنباط الاشكال البديعة منهُ فاستنبط النوع المعروف باسمهِ وعرضهُ في معرض باريس سنة ١٨٦٧ فاعجب بهِ الفرنسويون واشتروا كل ما عرضهُ منهُ . ثم استنبط الخزف الذي يدهن بواسطة الملح فشاع استعمالهُ كثيرًا ونال ٢٢٠ نيشانا من المعارض التي عرض فيها مصنوعاتهِ حتى جُعل فوق المناظرة في معرض باريس الاخير

وكان معملهُ صغيرًا جدًّا حينما انشأهُ اولاً فوسعهُ رويدًا رويدًا حتى صارت مساحتهُ ستة افدنة وانشأ معامل اخرى في اماكن مختلفة ومنها معمل يصنع في الاسبوع من البرابخ ما طولهُ ثلاثون ميلاً يقتضي صنعها الفي طن من طين الخزف كل يوم وبعض هذه المعامل في برسلم وبازلي وباريس ومعاملهُ تصنع كل انواع الخزف المختلفة من البرابخ البسيطة الى ادق المصنوعات الخزفية . وعندهُ في معامل برسلم وحدها ١٥٠٠ عامل وهي تصنع من صحاف الطعام وحدها ٩٠٢٠٠٠ صحفة كل اسبوع ونحو خمسة ملايين صحفة كل سنة

ولما شرع في عمل الخزف كان الخزافون لا يعبأون بفن النقش حتى تكون مصنوعاتهم جميلة في شكلها ونقشها والوانها فاستعان بمهرة النقاشين واتقن هذه الصناعة وانفق مبالغ طائلة على اتقانها حتى قيل انهُ كان ينفق كل ما يربحهُ من عمل البرابخ على نقش الخزف لكن نفقاتهِ الكثيرة جاءتهُ اخيرًا بربح وافر جدًّا ولا سيما لما تمكَّن من عمل الاجر المدهون الذي تبنى بهِ

البيوت او تبطّن بهِ جدرانها من الداخل وتصنع منهُ الفساقي الجميلة فانهُ ناب مناب الحجر الصلب ومناب الرخام ايضاً

واستخدم كثيرين من المصورين والنقاشين لزخرفة الآنية التي صنعها وكان ينشط هؤلاء الصنّاع بكل واسطة ممكنة وانشأ لهم داراً علمية ومكتبة واسعة فيها نفائس الكتب وجمع لهم مجموعة كبيرة من تحف الصناعة زيّن بها غرف المائدة

ولما توفي حُوّل عملهُ الى شركة مساهمة رأس مالها مليون ومئة الف جنيه وظهر من دفاترهِ ان ربحهُ السنوي كان ٦٧ الف جنيه

السر فيليب مانفيلد السكاف

السكّاف كالخزّاف من احقر الصنّاع عند المشارقة لكن من يولد سكّافاً لا تمنعهُ حرفتهُ عن ان يصير رئيس السكافين ويعلو فوقهم فيصير من وجوه بلادهِ اذا كان عالي الهمّة صادق العزيمة

تعلّم صاحب الترجمة القراءة والكتابة وعمرهُ سبع سنوات علمتهُ امهُ في البيت وكانت من الموحدين فلم تشأ ان يتعلّم في مدارس الكنيسة فينشأ على عقائد لا تسلّم بها وكان ابواهُ فقيرين جدّاً حتى كانا يضطران ان يرهنا ثيابهُ فلم يكد يحسن القراءة حتى خرج يطلب الخدمة فدخل صانعاً عند حلاّق ثم عند غيرهِ من اصحاب الحرف الصغيرة الى ان صار عمرهُ اثنتي عشرة سنة وجمع حينئذٍ جنيهاً واحداً من اجرتهِ وهذا كل ما كان يملكهُ في الدنيا فدخل صانعاً عند سكّاف وبقي عندهُ اربع سنوات الى ان صار عمرهُ ست عشرة سنة وكان قد مهر في صناعة السكافة فانتقل الى مدينة برستول ودخل في خدمة رجل صاحب معمل لعمل الاحذية وبيعها ولم يمضِ عليهِ وقت طويل حتى صار مديراً لذلك المعمل وتزوج حينئذٍ وكان يعتني بلباسهِ وترتيب بيتهِ فظهر كأنهُ من الخاصة فاستأجر " شقة " في حي يسكنهُ اواسط الناس مثل الكتّاب وصغار التجار وقبل ان يمضي عليهِ بضعة اسابيع جاءهُ صاحب البيت وقال لهُ ان سكان بيتي اعترضوا عليَّ لانني اسكنتك فيهِ وانت من الصنّاع فإما ان تخرج منهُ او يخرج منهُ كل السكان . فشعر كأنَّ الارض ابتلعتهُ ولكنهُ كظم الغيظ وخرج من البيت لئلاَّ تقع الخسارة على صاحبهِ بخروج السكان كلهم منهُ . وهي غطرسة عند الانكليز لا يعهد لها مثيل عندنا ولقد سمعنا مرة زوجة احد المستخدمين تقول " كيف اجتمع مع فلانة في مكان واحد وزوجها صاحب دكان " . وصاحب الدكان هذا تاجر كبير من تجار هذه العاصمة والعائلة مديونة لهُ بمبلغ كبير من المال

هذا ولنعُد الى السكاف او صانع السكاف فنقول انهُ خرج من مدينة برستول كاما وذهب الى مدينة لندن ومنها الى نورثمتن وهناك معمل صغير لعمل الاحذية فجُعل مديرًا لهُ وكان عمرهُ حينئذٍ ٢٤ سنة وكان يملك ١٥٠ جنيهًا جمعها بجده واقتصادهِ ولم يقم طويلاً حتى بلغهُ ان صاحب المعمل عازم على اقفالهِ فعزم على السفر منها الى غيرها واتتهُ زوجة صاحب المعمل وجعلت تحثهُ على اخذ المعمل والاشتراك مع اخيها فيهِ فابى ذلك لانهُ كان يريد ادخال الاساليب الجديدة في الصناعة واخوها لا يميل الى ذلك ولما رأت انهُ لم يجبها الى طلبها ودعتهُ وخرجت ثم التفتت اليهِ قبل ان سارت وقالت لهُ ان كنت لا تريد ان تشترك مع اخي فلماذا لا تأخذ المعمل وحدك : وذهب تلك الليلة الى فراشهِ وهو يفكر في كلامها ولم ينم الليل كلهُ وقام في الصباح وقد صمم على ان يعمل حسب اشارتها ويدير المعمل بنفسهِ وكان يقول بعدئذٍ ان اشارتها كانت سبب نجاحهِ . فشرع في العمل ورأس مالهِ مئة وخمسون جنيها وكان ذلك سنة ١٨٤٤ ولم تأتِ سنة ١٨٥٩ حتى انشأ اول معمل حديث في تلك المدينة ومن ثمَّ اخذ نجاحهُ يزيد زيادة بالغة جدًّا سنة فسنة الى سنة ١٨٩٠ فتنحَّى عن ادارة العمل بعد ان سلمها لابنهِ وصار على جانب كبير من الثروة ثم بني معمل جديد لاعمالهِ سنة ١٨٩٢ شغل من الارض ما مساحتهُ اربعة افدنة

وتوفيت امرأتهُ الاولى فتزوج لغيرها سنة ١٨٥٣ امرأة من فضليات النساء ذكية الفؤاد كريمة الاخلاق تكره الابهة والظهور وتميل الى المنافع العمومية وبسعيها واعتنائها انتظم في سلك الطبقة العليا من اهالي بلادهِ ورغب في المعارف فجمع مكتبة كبيرة فيها خمسة آلاف مجلد من نخبة الكتب فحصَّل ما لم يحصلهُ في صغرهِ من مبادىء العلوم والمعارف وتعلم اللغة الفرنسوية ايضاً حتى صار يتعذر على من يراهُ ويسمعهُ ان يحسب انهُ شبَّ سكافا يطرّق النعال بيديهِ . واتقن الكتابة والانشاء وكان غاية في الظرف وحسن البزة وطلاقة الوجه وعذوبة المنطق كأنهُ ربي بين اهل الوجاهة فسهل عليهِ الدخول في مصافهم . وهو الذي انشأ جمعيَّة السكافين او صانعي الاحذية فانتُخب رئيساً لها واكرمهُ اصحاب معامل الاحذية اكرامًا عظيمًا واهدوا اليهِ هدية نفيسة علامة اكرامهم

وكان من حزب الاحرار ومن زعمائهم في بلدهِ فتقلَّب في مناصب كثيرة استشارية وقضائية وسنة ١٨٩١ انتخب عضوًا في مجلس النوَّاب باكثرية لم ينلها غيرهُ قبلهُ ونظمت جريدة بنتش لهُ ابياتًا ذكرت فيها انتخابهُ لمجلس النواب وقالت انهُ يستحق صوتين فيهِ لنكتة في اسمهِ فانهُ يبتدئ بالحرفين الذين يضافان الى اسماء اعضاء مجلس النواب فيصير M.P. Manfield M.P.

واعيد انتخابهُ سنة ١٨٩٢ وأعطي لقب سر سنة ١٨٩٤ ثم استعفى من مجلس النواب في السنة التالية بسبب الشيخوخة وتوفي سنة ١٩٠٠ وعمرهُ احدى وثمانون سنة وخرج في جنازتهِ خمسة عشر الف نفس. ولم نقف على مقدار ثروتهِ ولكنها كانت طائلة لان هبة واحدة من هباتهِ بلغت سبعة آلاف جنيه غير انهُ لا يذكر بثروتهِ بل بنجاحهِ في تنظيم عمل كان يعدّ حقيرًا وايصالهِ اياه الى درجة عالية من المكانة وبانهُ كان مثالا في الرقة وبعد النظر وسرعة الخاطر وهو معدود عند قومهِ من نخبة ارباب الاعمال الذين يشار اليهم بالبنان حتى لما جمعت سيَر نحو خمسين منهم مثل روشيلد وكارنجي وركفلر وروتصن وسسل رودس ذكر صاحب الترجمة بينهم

داود موفات الصرّاف

كان هذا الرجل خادمًا في بنك من بنوك نيويورك وذلك منذ خمسين سنة وهو الآن صاحب اكبر بنك في كلورادو باميركا ومدير لبنكين كبيرين من بنوك نيويورك ولشركة من اغنى شركات ضمانة الحياة في الولايات المتحدة الاميركية . ولهُ كثير من المناجم الغنية وتقدَّر ثروتهُ بخمسة وعشرين مليونًا من الريالات او خمسة ملايين من الجنيهات

والذين نجحوا في جمع الثروة الطائلة جمعوا ثروتهم اما بسلب غيرهم ولو بالوسائل التي يقال انها محلَّلة او بايجاد وسائل جديدة للكسب فربحوا منها وربح غيرهم معهم وصاحب الترجمة من هذا الفريق الاخير فانهُ جمع ثروتهُ من مشروعات استفاد منها ابناء وطنهِ كما استفاد منها هو فانتفع ونفع واهالي كلورادو يقولون انهُ هو الذي عمَّر ولايتهم لانهُ ما من احد استثمر خيراتها الطبيعيَّة مثله فلهُ الفضل الاول في انشاء كل السكك الحديديَّة فيها ولهُ اليد الطولى في تدبير امورها الماليَّة ولولاهُ لأغفي عن مد سكك الحديد في تلك البلاد القاصية الى ماشاء الله

ويظهر مقدار الرجل وعلو همتهِ من الحادثة التالية . زار مدينة نيويورك في الشتاء الماضي طالبًا ان ينشئ سكة جديدة من مدينة دنفر الى سلت ليك تقطع الجبال الصخرية بين خطين من خطوط سكك الحديد فلقي اشد المقاومة لان الخط الذي يريد انشاءهُ يغير مجرى التجارة في وسط اميركا ويضاد مصالح اصحاب ذينك الخطين. وكان مقتنعًا بفائدة مشروعهِ لانهُ درسهُ درسًا مدققًا فثبت لهُ امكانهُ ونفعهُ لكنهُ يقتضي نفقات طائلة جدًا لان الخط الذي يريد انشاءهُ يجب ان يصعد فوق اعلى جبال اميركا ويمر في قفار قاحلة ولما رأى الاعراض من اغنياء نيويورك قال لهم لا بأس فانا انشئ الخط وحدي ونحن في كلورادو لم تبلُ علينا الثعالب عندنا قليل من المال نجمعهُ وتعاون وعاد من ساعتهِ الى مدينة دنفر والَّف شركة لانشاء هذا الخط وشرع فيهِ حالاً ولم تمضِ بضعة اشهر حتى اتمَّ منهُ عشرين ميلاً وسيكون اعظم

سكك الحديد التي انشأها واكثرها نفقةً ويحصل منهُ ربح وافر لهُ ولشركائهِ

وغرضهُ الاكبر من مشروعاتهِ تعمير الولاية التي اتخذها وطناً لهُ منذ بلغ اشدَّهُ وحمل الاغنياء على استثمار اموالهم في سبُل تنفعهم وتنفع غيرهم لان الاموال المجموعة في الصناديق لا ينتفع بها احد فهي كالمعادن المطمورة في الارض واما اذا أُخرجت وعُملت بها الاعمال العمومية كالسكك الحديدية والترع والمصارف والمعامل انتفع بها جمهور الناس وقلّت متاعبهم وسهلت مواصلاتهم وزاد انتفاعهم من خيرات الارض. واذا تمَّ مشروعهُ الاخير الذي يحسبهُ غرض حياتهِ وغاية ما يرمي اليهِ اتصلت مدينة دنفر بالاوقيانوسين الاتلنتيكي والباسيفيكي توًّا وقصرت بهِ المسافة من شيكاغو الى سان فرنسسكو عشر ساعات على الاقل وفتحت الجهات الشمالية الغربية من ولاية كولورادو للاستعمار وهي اغنى اقسام كولورادو كلها ولا تزال على حال الفطرة حتى الآن لصعوبة الوصول اليها. وهو يعتقد ان خيرات تلك البلاد الواسعة ستصب في مدينة دنفر فلا يمر ثلاث سنوات حتى يصير عدد سكانها ثلثمئة الف نفس اي مضاعف عدد سكانها الآن. والله يعلم كم يترتَّب على ذلك من وفور الخيرات واتساع الثروة

وقد ولد هذا الرجل سنة ١٨٣٩ وكان خادماً في بنك في مدينة نيويورك رسولاً يتردَّد على زبائن البنك يقدم لهم الحوالات ونحوها ثم جُعل مساعدًا لصراف البنك وبعد اربع سنوات نقل الى بنك في ولاية ايوى وجُعل صرَّافًا فيهِ واقتصد في ما ينفقهُ من اجرتهِ حتى جمع قليلاً من المال فاشترى بهِ كتباً ودفاتر وسار الى مدينة دنفر فوصلها في ١٦ مارس سنة ١٨٦٠ واقام فيها يبيع الكتب والدفاتر وادوات الكتابة سبع سنوات فنجح في ذلك ولما انشئ فيها اول بنك سنة ١٨٦٧ جُعل صرَّافًا لهُ ثم صار مديرًا لذلك البنك سنة ١٨٨٠ ولا يزال مديرًا لهُ حتى الآن. ولهُ الجانب الاكبر من اسهم شركة المياه في دنفر ومن اسهم شركة الترامواي وادارة هاتين الشركتين في يدهِ. وفي يدهِ ايضاً ادارة شركة ضمانة الحياة المعروفة بالاكويتابل وادارة البنك الوطني الرابع والبنك الوطني الغربي

وهو ساكن في مدينة دنفر في بيت قديم لا دليل عليهِ من دلائل الثروة التي يمتلكها الآن. ولما حدثت الضيقة المالية سنة ١٨٩٣ واوقفت بنوك دنفر الدفع اخذ بنكهُ يمدّ التجار بنقود الورق ويمهلهم في الدفع ويقال ان مئات من اغنياء دنفر نجوا من الافلاس بسببهِ ثم لما اشتدَّت الازمة كثيرًا كان عندهُ مليونا ريال من سندات الحكومة فصرفها نقودًا ومدَّ البنك بها فتمكَّن من انقاذ كثيرين من الافلاس

ومن مزاياهُ الغريبة انهُ يشتغل لاصدقائهِ ولا يخبرهم الاَّ حينما يتحقق الربح لهم مثال ذلك

انهُ لما انفرجت الازمة بعد سنة ١٨٩٣ اشترى اسهماً من اسهم بعض المتاجر باسم صديق لهُ في نيويورك ولم يخبرهُ بذلك ثم ارتفعت قيمة تلك الاسهم حتى بلغ الربح منها خمسة وسبعين الف ريال فاخبرهُ بذلك وقال لهُ ان الدراهم تحت امرك فحوَّل صديقهُ عليهِ بخمسين الف ريال وجاء الصراف الى المستر موفات وقال لهُ ان فلانًا حوَّل علينا بخمسين الف ريال وليس لهُ درهم عندنا فقال موفات لا بأس ادفع المال الذي طلبهُ فقد يكون مضطرًا اليهِ ليساعد بهِ احدًا ويعلم اني لا اطالبهُ بمال يُنفَق في هذا السبيل

وقد يظهر باديَ بدءٍ ان الفُرَص اعانت هذا الرجل ولها اليد الطولى في جمع ثروتهِ الطائلة ولكن الذين يعرفونهُ حق المعرفة يقولون انهُ هو سبب نجاحهِ فانهُ من اقدر الماليين واقواهم فراسة يعرف اخلاق الناس وينظر في الامور فيحكم فيها حكمًا صائبًا ولذلك افلح في اختيار مساعديهِ والذين يعتمد عليهم في ادارة اعمالهِ وافلح ايضًا في اختيار المشروعات الناجحة اضفْ الى ذلك شجاعة ادبيَّة ولطفًا وحنانًا فلا يحجم عن عمل يتحقَّق نفعهُ مهما لقي فيهِ من المصاعب ولا يمنع خيرهُ عن مستحق ولو لم يطلب ذلك منهُ

ظاهر العمَر

رجل من نوابغ القرن الثامن عشر نشأ في فلسطين من اسرة يُقال ان جدَّها ابا زيدان كان من اهل المدينة وقد هاجر بقومهِ الى ناحية الشام واقام على ضفاف الاردن وبحيرة طبريَّة حتى انقرضت الاسرة المعنية في اواخر القرن السابع عشر وانعمت الدولة العلية بولاية لبنان على الامير بشير الشهابي فنهض سنة ١٧٠٠ لنجدة والي صيداء ارسلان باشا على مشرف ابن علي الصغير صاحب بلاد بشارة فلما ظفر الباشا بهِ ولَّى الامير على بلاد صفد وما اليها فعهد الامير بحكومتها لنسيبهِ الامير منصور وجعل تحت يدهِ الشيخ عمَر ابن ابي زيدان فشرعا يسددان الامور حتى توفي الامير منصور سنة ١٧٠٢ فاقرَّ الامير بشيرٌ الشيخ عمَر واليًا بدلاً من نسيبهِ

وليس في ما لدينا من التواريخ نبأٌ آخر عن الشيخ عمر الاَّ ما كتبهُ المرادي في سلك الدرر في ترجمة عمر الظاهر وهو يريد بهِ الكلام عن ظاهر العمر لا عن ابيهِ

وقد اختلف الرواة في تاريخ مولد ظاهر فقال المرادي انهُ ولد سنة ١١٠٦ هـ (١٦٩٥) وان اسمهُ ظاهر اذا حُسب بالجمَّل وافق ذلك التاريخ وقال ڤولناي ان مولدهُ كان سنة

١٦٨٦ وذلك انهُ روي ان في سنة ١٧٤٩ كان عمرهُ ٦٣ سنة وفي سنة ١٧٧٦ بلغ التسعين. وقول فولناي هذا اقرب الى الحقيقة لما عرفنا من ان ظاهرًا تولّى مكان ابيهِ حوالي سنة ١٧٠٦ وهو في السنة العشرين من عمرهِ

قيل ان اعداء ظاهر كانوا يعيرونهُ برعي الجمال وسوقها ايام حداثتهِ مع ان الرجل من بيتٍ عريق في الوجاهة والحكم في تلك الديار وكانت لآبائهِ من قبلهِ الصولة والمكانة في طول فلسطين وعرضها ولكن هب صدق القائلون بضعة منشإِهِ فليس من العار بل من الفخر ان ينهض العصامي بنفسهِ الى ذروة السؤدد . وان صحَّ ما رموهُ بهِ من سوق الجمال فتلك احدى خصال العرب الاَّ تشغلهم الامارة ببهارجها عن النظر في شؤُونهم الخاصة وليس غريبًا ان يكون ظاهر قد اخشوشن في صباهُ ولم يسترسل الى نعيم الحضارة والترف الا تراهُ كيف ظلَّ متمتعًا بالقوة والحنكة حتى قُتل في التسعين من عمرهِ .

والمستفاد من رواية الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ المخطوط ان ظاهرًا تولى عكاء في حياة ابيهِ عمر ومما يؤيد ذلك عبارة للمرحوم نوفل في تاريخهِ المخطوط ايضًا حتى انهُ اذا صحَّ القول بذلك كان بدء استعمالهِ منذ حداثتهِ بحيث كان قد قضى ايام الصبا متأهبًا للظاهر الفخيم الذي برز بهِ ايام ولايتهِ

ولسنا في موقف نستطيع الجزم بهِ في تاريخ بدء استعمالهِ ولكنا نخمن ذلك تخمينًا ربما يقرب الى الواقع فقد علمنا ان الامير بشيرًا اقرَّ عمر على عمالة صفد سنة ١٣٠٢ (او سنة ١١١٤ على ما قال المرحوم نوفل) فلا غرابة ان يكون الشيخ عمر قد استعمل ابنهُ ظاهرًا على عكاء وهي يومئذٍ من تابعات صفد فاقرَّهُ الامير بشير عليها لانها من عمالة ابيهِ وبما ان الامير بشيرًا توفي سنة ١٧٠٦ فابتداء استعمال ظاهر واقع بين سنة ١٧٠٢ وسنة ١٧٠٦ فلما مات ابوهُ في خلال تلك السنين بقي ظاهر ناهضًا بشؤُون العمالة يشاركهُ في ذلك عمهُ واخواهُ مشاركةً قال بها فولناي صراحةً ونوَّه بها المرادي تنويهًا لأنها ليست على الارجح من قبيل الاشتراك على العمل الواحد بل ربما هي اشتراكهم جميعًا على اقتسام الحكم في البلاد التي كانت لعمر بل لا يبعد ان يكونوا قائلين بذلك الاقتسام والحكم في زمن عمر ذاتهِ بدليل وجود الظاهر يومئذٍ في عكاء

غير ان صفد كانت ام البلاد والحكم فيها لكبير الاسرة ولذلك افضت حكومتها بعد موت عمر لابنهِ ظاهر فاقام ثمة يديرها وقضى حينًا من الدهر في تسديد شؤُونها الاَّ انا لم نعثر على شيءٍ من اخبارهِ فيها منذ تولاَّها ولا عرفنا شأن اخويهِ وعمهِ في عمالاتهم ولا موضع تلك

العالات وانما عرفنا ان احد ولاة الشام قبض على الشيخ مصطفى الزيداني اخي ظاهر وشنقهُ في دمشق وان الباشا تجهّز للزحف على ظاهر العمر ولذلك اهتمّ هذا بتحصين طبرية وقد رآهُ الرحالة بوكوك Pococke يحصّنها سنة ١٧٣٧

فكأن آل زيدان كانوا قد بدأوا في استعداء عمّال الدولة واستحقوا بنشوزهم التنكيل بهم والاَّ لما اقدم الوالي على قتل احدهم واتخذ الآخر يريد اننا لم نعثر على شيء نستكشف منهُ حقيقة الحال فان المرادي يقول في سلك الدرر ان الوالي سليمان باشا العظم جهز عليهِ عسكرا وركب عليهِ بعد ان قبض على اخيهِ مصطفى الزيداني وشنقهُ بدمشق فلما وصل الوزير المرقوم الى قرب عكاء بقصد حصارهِ رشا عليهِ بعض اتباعهِ فادخل عليهِ السم في طعامهِ فمات وجيء بهِ الى دمشق ميتاً شهيداً . اما فولناي فيذهب الى ان والي الشام (ولم يسمّهِ) قتل الشيخ مصطفى وتجهَّز على ظاهر العمر فحصّن هذا مدينة طبرية قال وفي سنة ١٧٤٢ حاصرهُ فيها سليمان باشا العظم واطلق على المدينة القنابل فاندهش السور بون وانهم حتى اليوم لا يعرفون القنابل الاَّ قليلاً اما ظاهر فلم تجدهِ شجاعتهُ نفعاً ولكن فاجأ الباشا قولنج شديد افضى الى موتهِ بعد يومين وقيل ان ذلك كان باسباب مدبرة فنجا ظاهر منهُ اه . قلت ان الروايتين تختلفان في اسم الوالي والموضع والذي نعرفهُ ان سليمان باشا العظم تولى دمشق مرتين الاولى سنة ١١٤٦هـ الى سنة ١١٥١ والثانية من سنة ١١٥٤ الى سنة ١١٥٦ اما سنة ١٧٤٢ التي ذكر فولناي وقوع الحرب فيها فتعادل سنة ١١٥٥ وهي آخر سني ولايتهِ فروايتهُ اصح والله اعلم

ورأى ظاهر بعد نجاتهِ من مخالب القوة ان الجوّ قد خلا لهُ بوفاة سليمان باشا العظم لاسيما وان اسعد باشا الذي خلف اخاهُ على ولاية الشام لم يقدم على عدائهِ ولا تمحّل سبباً لقتالهِ برأي ظاهر فعزم على ترسيخ قدمهِ في حكومتهِ

وكان يشاركهُ في السيادة والامر اخواهُ وعمهُ كما قلنا ولم يكن اتفاقهم محكماً ولا حالت القربى القريبة دون اختلافهم ونهوضهم المرة بعد الاخرى لامتشاق الحسام ولذلك عزم ظاهر بعد مقتل اخيهِ مصطفى ان يتخلّص من عمهِ واخيهِ الآخر بحيث يخلو لهُ جوّ الامارة فقتلهما واصبح الآمر الناهي في طول بلادهِ وعرضها وكان ذلك مدعاةً لطموح نظرهِ الى البعيد

ولقد كان من عادة الكثيرين من الامراء والحكام في الشرق ان يتخذوا امارتهم سبيلاً لحصر التجارة بين ايديهم وحظر مواردها عن محكوميهم فجرى ظاهر العمر على نهجهم واتسعت لذلك موارد ثروتهِ الاَّ انهُ رأى ان مقامهُ في داخلية فلسطين مقلّ من استثمار تجارتهِ فرغب في احد الثغور مركزاً يستطيع منهُ الاتجار بحراً وبرًّا حيث يزدحم تجار الوطن والافرنج وتروج سوق بضائعهِ

وعكاء واقعة في جوارهِ وقد كانت في بدء حكومتهِ من عمالتهِ وهي ذات سوق تجارية كبيرة وقد كان فيها جماعة من التجار الفرنسويين ولهُ معهم صلة تجاريَّة فاختارها مركزًا

ولرب معترض يقول عهدنا عكاء من قبل في ولاية ظاهر العمر فما بالهُ الآن يتطلبها وكيف خرجت من حكمهِ اقول ان ليس في ما لدينا من التواريخ من نبإ صريح عن ذلك انما علمنا ان والي صيداء كان قد انعم بحكم تلك البلاد على الامير بشير الشهابي وهو الذي اقرَّ ظاهرًا واباهُ من قبلهِ على حكمها فلما عُزل ارسلان باشا عن صيداء وتولاَّها اخوهُ بشير باشا عزل الامير الشهابي عن المقاطعات المضافة اليهِ بامر اخيهِ فخرج بذلك حكم عكاء من يد ظاهر العمر ولكن عينهُ بقيت طامحةً اليها كما مرَّ .

وكان والي صيداء قد اقام في عكاء حامية ضعيفة تحت امرة احد رجالهِ والمدينة يومئذٍ ليست بذات منعةٍ ولا هي غير قريةٍ حقيرة لا يسكنها الاَّ قليل من الناس اما جوارها فكان كالبادية القفراء مسرحًا لقبائل البدو ولم يكن حولها شيءٌ من الحدائق الغناء التي تزدهي بها لهذا الحين لان الاهلين لم يكونوا يجسرون على الخروج منها ولا كانت حاميتهم ذات قوة لتذود عنهم ولذلك كانت المياه التي حواليها تذهب ضياعًا وتتسرب في جوارها منسدةً هواءها اما ميناؤُها فكان معطلاً بتراكم التراب فيهِ انما ظل ميناء جارتها حيفا اللاحقة بها صالحًا للبحارة

وكان ظاهر يتحيَّن الفرص للاستيلاء على عكاء لا بالوسائل المشروعة من استمالة والي صيداء والتزامها بل اغتصابًا حتى ارادت الحكومة الزحف عليهِ لكبتهِ وانزلت الذخائر والمؤَن الى البر من ميناء حيفا فرأى ان الوقت قد حان لامتلاك عكاء وما اليها فسار نحوها وكتب الى حاكمها يتهددهُ فلما علم الحاكم بزحفهِ ولم يكن مقتدرًا على الثبات تلقاء حملتهِ خرج من المدينة بسريتهِ ولم يلوِ على شيء فدخلها ظاهر ظافرًا بها من غير قتال سنة ١٧٤٩ .

الاَّ انهُ لم يفتهُ العلم بعجزهِ عن مناوأة الوالي فرأى ان يسترضيهُ بالهبات الوافرة وان يثبت لديهِ ان عملهُ لم يكن خروجًا وانما هو من قبيل العداء الشخصي للاغا الذي كان على حامية عكاء واسترحم في خلال ذلك ان يقرَّهُ الوالي على عكاء وهو يؤَدي مالها اليهِ فارتضى الوالي منهُ بذلك وانهى لباب الدولة وما عتم ان وردت الاوامر السلطانية بتقريرهِ

الاَّ ان ظاهرًا لم يستنم للايام بل احتسب للدهر واذ رأى ان عكاء لا تصلح للحصار اراد تحصينها ولكنهُ خاف من ظهور فعلتهِ فعدل الى الحيلة والتمويه اذ بدأ سنة ١٧٥٠ في بناء عظيم سماهُ قصرًا لسكنهِ ولكنهُ جعلهُ حصنًا منيعًا عند البحر الى شمالي المدينة ثم ملأَهُ بالمدافع والذخائر ولما لم يجد في سبيلهِ عثرةً بدأَ ببناء الابراج على شاطيء البحر وعززها بالسلاح ثم

احاط المدينة بسورٍ ولم يترك لها الاَّ بابين فيهِ

ولما استوثق من مناعة مركزهِ رأى ان يصلح شؤُون بلادهِ فبدأَ في ابعاد العربان من جوار عكاء ولقي في ذلك اشد العناء الاَّ انهُ كان يسعى لغرضهِ تارة بالهبات والصلات وطورًا بالغارات والغزوات حتى فاز بما اراد وانقذ الحضر من اعتدائهم وأمَّن البلاد فاصبح الفلاَّح يزرع ويحصد من غير ان يلحق بهِ حيف وما مضى على هذا الامن الزمن الطويل حتى ذاق القوم طعم الخصب والنماء فتكاثر الاهلون وازدحموا مهاجرين الى تلك الارجاء من اقصى بلاد الشام وفيهم المسلم والمسيحي فاقاموا ثمة يعملون آمنين لانهم لقوا منهُ اهتمامًا بشؤُونهم وتساهلاً في مراعاة عقائدهم ما لم يكن مألوفًا في ذلك الحين

وكانت قبرص في تلك الآونة تشكو الاضطراب والخلل وجور الحاكم القاسي فبرحها جمهور من ابنائها واخص منهم اليونان وقصدوا عكاء وما اليها واقاموا ثمة على الرحب والسعة فشرعوا يغرسون حوالي عكاء الحدائق الغناء وما عتَّم ان توافد الى البلد بعض تجار الفرنجة فاقاموا فيها وبهذه الوسائل الفعَّالة تحسنت البلدة وجوارها ونفضت عنها غبار الاهمال الذي لحق بها عقيب زهوها القديم

ورأى الشيخ ظاهر ان يسعى في زيادة قوتهِ فازوج بنيهِ من بنات امراء العربان الذين في جوارهِ فاشتدَّ ازرهُ بهم حاسبًا ان ولاة الشام يهابونهُ لما يرون من اشتداد ساعدهِ بمحالفة البدو وانهُ اذا حارب وانكسر لقي بين اولئك الابطال ملجأً امينًا

وليس هذا فقط بل رأى ان قوتهُ تزداد كثيرًا بانضمام المتاولة اليهِ وكانوا يومئذٍ في سمت عزهم يبلغ جيشهم زهاء العشرة آلاف فارس من الابطال المجربين ولهم حكم بلاد بشارة ومدينة صور وقد ارتفعت عنهم طاعة ولاة لبنان فتمادوا في سلطتهم حتى كانوا يغيرون على اطراف ولاية الشام ويمسكون المال السلطاني عن والي صيداء فوقع بينهم وبين الواليين منافرة كادت تفضي الى القتال لو لم يتدارك الشيخ ظاهر ذلك ويضمن اداء المال مما ارضى الوزيرين وكان سببًا لمصادقة المتاولة وحلفتهم

الاَّ ان هذه المحالفات وتوثيق عرى المودة والوئام بين ظاهر ومجاوريهِ لم تكن لتأتيهُ بما يريد من الراحة ورغد العيش لانهُ لما انس من بنيهِ الاقتدار على الحكم شرع يعهد اليهم بالعمالات في داخلية البلاد وكأني بالابناء رأوا عزة ابيهم وكثرة مواردهِ فاسرفوا في البذل حتى عجزت مواردهم عن وفاء نفقاتهم فعدلوا الى الجنف على الاهلين لابتزاز اموالهم واذا شكى هؤُلاء الى ظاهر ونبَّ اولادهُ على اسرافهم وجورهم

ولا يعدم اهل الامارة قوماً من المقربين اليهم يسعون بالزلفى فلا يجدون سبيلاً اسهل عليهم من ايغار صدورهم ذلك ما وقع لابناء ظاهر فانهم اصاخوا سمعاً لمن زيَّن لهم عداء ابيهم والنشوز عليهِ فناهضوهُ وناهضهم ولكن ما لبثت الفتنة ان خمد اوارها لاشتغالهم عن مناوأة ابيهم بالتحاسد في ما بينهم ولانهم كانوا يتوقعون وفاتهُ واقتسام ميراثهِ ولكن اباهم رأي الحكمة في التمويه عليهم بعزمهِ على العهد بالولاية بعدهُ لمن يرضيهِ منهم فشرعوا يتقربون اليهِ بالطاعة والاستكانة وكأنهُ خاف مغبة اجتماعهم عليهِ فلم يسع لرفع الضغائن من بينهم بل تركهم في تحاسدهم

ومما قرأنا عن عقوق هؤلاء الابناء ان احدهم الشيخ عثمان لما عصى اباهُ غلبهُ هذا واعتقلهُ حيناً من الدهر حتى رأى لهُ مهرباً ففرَّ الى حمى الامير منصور الشهابي حاكم لبنان (سنة ١١٨٠ هـ الموافقة سنة ١٧٦٦ م) وكان عثمان هذا شاعراً لبيباً فانشأ قصيدةً عامرة الابيات يعارض فيها معلقة عنترة العبسي ومطلعها

كم غادر الشعراء من متردمِ   وعرفتَ ربع الدار قبل توهمِ

ومنها

فسيعلمون اذا اصطلى لهب الوغى   يوماً واحجم عنهُ كل مقدَّمِ

وسيفقدونني ان تعاظم حادثٌ   فقد الهلال بصدر ليلٍ مظلمِ

الاَّ ان ظاهراً لم يكتفِ بما نال من العظمة والسؤدد بل حدثتهُ نفسهُ ان يضرب صفحاً عن الالتزام الذي يحتاج الى تجديدهِ في كل سنةٍ من ولاة الدولة بان ينال من الباب السلطاني لقب شيخ عكاء وامير الامراء والحاكم في الناصرة وطبرية وصفد وكل الجليل فالتمس ذلك سنة ١٧٦٨ واستعمل لنيل بغيتهِ كل الذرائع الممكنة في ذلك الحين ففاز بما اراد

غير ان الدولة العلية لم تنعم عليهِ باجابة سؤْلهِ الاَّ وهي تقصد امهالهُ ريثما يتسنى لها التفرغ لمعاقبتهِ على غرورهِ لا سيما وانها كانت واجدةً عليهِ اشياء كثيرة منها ان انصارهُ عرب بني صخر كانوا قد اغاروا على الجردة وسلبوها وقتلوا كثيرين من الحجاج وهم راجعون الى الشام ايام ولاية حسين باشا ابن مكي وحملوا اسلابهم فباعوها في عكاء حيث لم يجدوا من ظاهر مانعاً ومنها ان بعض قرصان مالطة كانوا يأتون بسفنهم الى البحر المتوسط فينهبون ويسلبون ويجيئون بغنائمهم الى عكاء فيبيعونها وهم آمنون فلما اتصل ذلك بعلم الدولة العليَّة سألت ظاهراً فتنصَّل من الامر ثم اعرض ان ميناء حيفا عاطل من السلاح فلو بني بها حصن لامنت الدولة جانب البحر هنالك وامتنع المالطيون عن النزول الى البر منهُ فصدر امر الدولة ببناء الحصن على نفقتها وتعزيزهِ بالمدافع والذخيرة فلما تمَّ بناؤُهُ عاد ظاهر فهدمهُ وحمل المدافع التي كانت فيهِ الى عكاء

وحان عند الدولة وقت الاقتصاص من ظاهر ورأت برجلها الباسل صادق عثمان باشا

مناظرًا عنيدًا للشيخ الشجاع فولهُ دمشق سنة ۱۷٦۰ (۱۱۷٤ هـ) وزادتهُ حولا باستعمال ولديهِ في طرابلس وصيداء وضم القدس وفلسطين الى عمالتهِ فلما قبض على ازمة الولاية حتى شرع يناوئ ظاهرًا اذ امر ان تكون بعض المقاطعات من ملحقات ولايتهِ فلما عارضهُ ظاهر توعدهُ هذا بالقتال ولبث الامر بينهما مستورًا كالنار تحت الرماد

وكان ظاهرًا لم يدرِ بما خبأ لهُ القدر فانشغل بمحاصرة اثنين من بنيهِ في احد المعاقل وفي ما هو باذل قصاراهُ لكبتهما وردهُ كتاب من احد جواسيسه بدار السعادة ينذرهُ بقرب الحرب لان الدولة انما انعمت عليهِ بما طلب تغريرًا وان عثمان باشا يخرج من دمشق متظاهرًا بطوافهِ في عمالتهِ (الدورة السنوية) لتحصيل المال من بلاد نابلس وهو انما يقصد اخذهُ على غرةٍ وكان ظاهر قد علم بخروج الباشا من دمشق فعلم ساعتئذٍ ما وراء الاكمة وكف عن الحصار وبعث برسولٍ الى ولديهِ المحصورين يأمرهما بالاهبة لمجيئهِ للعشاء معهما فلما اجتمعوا اطلعهما على ما كان فائتمروا مليًا واقروا على السير جميعًا للقاء الباشا الا ان ابنهُ الاكبر الشيخ عليًا اعترض على ذلك بتعذر كتمان مسيرهم جيشًا واحدًا وان اخبارهم اذا اتصلت بالوالي سعى للحال في التهيؤ لهم ففاتهم ما يريدون من مفاجأتهِ ولذلك فهو يرى ان يسير عليهِ في خمسمائة فارس يأتونهُ على غرةٍ فيفتكون بهِ ويكون سائر الجيش من وراء ظهرهِ فصدَّق ظاهر على ذلك وافرز لهُ السرية التي طلبها فركب بها من ساعتهِ ومشى طول ذلك الليل حتى اذا لاح النهار اختبأ بمن معهُ ولما جنَّ الليل نهض بهم مجدًا حتى ادركوا عسكر الباشا عند الفجر فاغار علي عليهم وهم نيام لا حراس عليهم وشرع يفتك بهم ذريعًا حتى وقع المرج في العسكر فولى الادبار وخرج الباشا من مضربهِ بلباس النوم فدخل القوم ونهبوا ما فيهِ من المتاع ومن جملة ذلك الفرمان الصادر لظاهر العمر واولادهِ

هذه كانت بدء شعلة الحرب الهائلة التي طالت وامتدت وكانت نتائجها على الاكثر ظفر ظاهر العمر وقومهِ حتى دبت عقارب سعايتهِ الى بعض المدائن المجاورة او كان بنجاحهِ بمحاربة الوالي محرضًا لغيرهِ على الثورة فصادفت تلك البواعث موجدةً في نفوس الاهلين على الوالي لانهُ احرجهم باستنزاف اموالهم فاخرجهم عن الطاعة جملةً فكانت الرملة اول بلدةٍ خرجت عن طاعتهِ وتلتها بعد سنتين مدينة غزة ثم يافا وما لبث روح الثورة ان امتدَّ في كل انحاء فلسطين

ورأى ظاهر ذلك فعزم ان يغتنم الفرصة السانحة ليس بالاعتماد على قوة الاهلين لانهم لم يكونوا اكفاء للوالي سيما بعد ان حشد جيشًا جرارًا من العربان والعشائر واتفق مع امراء الشوف بل بمخابرة امراء مصر ورأسهم لذلك العهد الامير علي بك كبير (تتمة) جرجي يني

نوادر التزوير

ينمو الشر حيث ينمو الخير وينبع الطلاح حيث ينبع الصلاح كالاعشاب البريَّة اذا تُركت بين الاعشاب البستانيَّة . لكن العمران متجه الى استئصال الشرور كما ان الفلاحة متجهة الى استئصال الاعشاب الضارَّة . وقد اطَّلعنا الآن على نوادر في التزوير جرت في فرنسا وانكلترا وفي عاصمتيهما على غفلة من العيون والارصاد مع ما هو مشهور من مهارة البصَّاصين في تينك المدينتين وعن ارتقاء المدنيَّة فيهما فعرَّبناها عن مجلة لندن التي قرأناها فيها عسى ان يزيد من يطالعها حذرًا فلا يقع في اشراك المزورين

(١)

اعلنت صحيفة الماتن وصحيفة البتي جورنال منذ بضع سنوات ان جلالة ماري الاول ملك سدانج عزم على زيارة باريس وان سدانج جزيرة شرقي بلاد الصين حفظ ملكها استقلالهُ رغمًا عن جشع الشعب الانكليزي ولذلك سيلقى مزيد الحفاوة في عاصمة الامة الفرنسويَّة

ثم اقبل جلالتهُ الى مدينة باريس ومعهُ حاشية كبيرة من الوزراء والخدم والحشم ونزل في احد فنادقها الشهيرة

وبعد ايام اخذت الرسائل ترد اليهِ من بلادهِ وعليها طوابع غريبة الشكل والنقش فاهتمَّ بها جامعو طوابع البريد ورشوا خدَّام الفندق ليجمعوها لهم فارتفع ثمنها حالاً بانتقالها من واحد الى آخر حتى صار الطابع منها يباع بالف فرنك . وذُكر ذلك في جرائد باريس وانتشر امرهُ في البلاد فجعل جامعو الطوابع في كل انحاء فرنسا يطلبونها بكل مرتخص وغالٍ . وطلب رجل من كبار الجامعين مقابلة الملك فقابلهُ بالاحتفاء ولما خرج من لدنهُ قابلهُ احد وزرائهِ وقال لهُ انهُ يمكننا ان نحصر بيع طوابعنا بك اذا دفعت الينا مبلغًا كافيًا من المال فرضي الرجل بذلك وتمَّ الاتفاق بينهما على المبلغ المطلوب فدفعهُ . ثم اسرَّ الوزير في اذنهِ قائلاً ان عندي مجموعًا كاملاً فيهِ من كل طوابع بلادي احضرتهُ معي سرًّا وانا ارضى ببيعهِ على شرط ان لا يدري مولاي بذلك والاَّ ضرب عنقي . فابتاعهُ الرجل ايضًا بمبلغ طائل من المال . وكثرت طوابع سدانج بين ايدي الناس وتدفَّقت منها الاموال الى خزينة ملكها . ثم كتب ولد من اولاد المدارس الى احدى الجرائد يسألها اين موقع سدانج فانهُ لم يجدها في الخرائط ولا في كتب الجغرافية واتَّضح حينئذٍ ان البلاد غير موجودة وان المملكة كلها تزوير في تزوير من

اولها الى آخرها اقتعلها بعض المزورين واشركوا الجرائد فيها. ووقف الناس حيارى يضحك بعضهم على بعض وامثال ذلك كثيرة في بلادهم

(٢)

قام جماعة من المزورين من اميركا سنة ١٨٧١ قاصدين مدينة لندن ليسلبوا بنكها بتزوير اوراقهِ او بتزوير التحاويل عليهِ فطافوا اولاً في مدن اوربا ومعهم مكاتيب تواصي (كردت) مزورة وسلبوا منها مبالغ طائلة واتوا الى لندن وفتح رئيسهم واسمهُ بدول محلاً تجاريًّا وجعل رفاقهُ يرسلون التحاويل عليهِ ويقطعونها من فرع من فروع بنك لندن وهو يدفع قيمتها ثم تمكن من اخذ تحويل بمبلغ ٤٥٠٠ جنيه بامضاء رتشيلد وصرفهُ من البنك زاعمًا انهُ جاء انكلترا ليصنع فيها كثيرًا من مركبات سكك الحديد المعروفة بمركبات بلن. وتلا ذلك تقديم التحاويل المزورة الى البنك والبنك يصرفها حتى بلغت قيمتها ١٠٢٢١٧ جنيهًا وكانت الاموال تسحب اوراقًا وتصرف ذهبًا ثم تبدل اوراقًا حتى يتعذَّر اقتفاؤُها

واتفق ان هذا الرجل نسي ان يضع التاريخ على تحويلين من تلك التحاويل المزورة باسم رشيلد فأُرسل التحويلان الى بنك رشيلد ليوضع التاريخ عليهما فعلِم انهما مزوران وأُخبر رجال البوليس بذلك حالاً فاهتدوا الى واحد من اولئك المزورين واستدلوا منهُ على بقيَّة رفاقهِ فحكم عليهم كلهم بالاشغال الشاقة مدى العمر

(٣)

أُشيع في اواخر سنة ١٩٠٠ ان بلاد فنلندا الخاضعة لروسيا انفت من زوال استقلالها وعزمت ان تظهر اول علامة من علامات الاستقلال وذلك بعمل طوابع بريد خاصَّة بها. وانتشرت هذه الاشاعة اولا في جرائد طوابع البريد ثم انتقلت منها الى غيرها من الصحف فصدقها الجامعون وانتظروا انتشار الطوابع بذاهب الصبر فانتشرت وتداولتها الايدي وكانت سوداء اللون وعليها شعار فنلندا وفي اعلاها كلمة سومي وفي اسفلها كلمة فنلند بحروف بيضاء . ولكن لم يمضِ الاَّ قليل حتى ظهر ان تلك الطوابع مزورة كلها وان فنلندا لم تصدر شيئًا منها ولا كانت تدري بها لان روسيا منعتها من اصدار طوابع البريد منذ عهد طويل

(٤)

ان اوراق البنك الانكليزي تصنع على اسلوب خاصّ بها لا يزال سرًّا غامضًا وهي ارق من احد طرفيها منها من الطرف الآخر وعليها علامات شفَّافة يتعذَّر تقليدها . وحبرُها الاسود

يصنع على اسلوب سري فيعسر تقليدهُ ايضاً وتطبع عليها علامات تتغير من وقت الى آخر لا يعلمها الاَّ صرَّاف البنك . ورأَى احد الجناة في اواسط القرن الماضي واسمهُ برنت انهُ اذا استطاع ان يختلس الورق من معمل البنك سهل عليهِ تزويرها فمضى وسكن قرب المعمل وجعل يتودَّد الى العمال واستمال واحدًا منهم وتسلَّط عليهِ كانهُ بالاستهواء حتى مكَّنهُ من نقل صورة مفتاح الرئيس فصنع مفتاحاً مثلهُ ودخل الغرفة التي تكون فيها الاوراق قبل طبعها ونهب جانباً كبيرًا منها ولكنها لم تكن قد صُقلت

وافتُقدت هذه الاوراق حالاً وأُخبر البصَّاصون وأُلقيت العيون على بُرنت فظهر انهُ كان يتردَّد على جزَّار اسمهُ بنتشر والاثنان يترددان على بيت رجل ثالث . فأغرى البصاصون هذا الرجل الثالث ليخفيهم في بيتهِ حينما يدخلهُ برنت والجزار فاخفاهم فيهِ واتى برنت والجزار ووقع الخلاف بينهما وكثر الحجاج واللجاج فقال الجزار لبرنت انك لا تقدر على شيء بدوني لان الورق كلهُ عندي . فخرج البصاصون معهُ حينما خرج من البيت واقتفوا اثرهُ فوجدوهُ يتردَّد على رجل مشهور بالنقش فدخلوا بيتهُ ووجدوا فيهِ مطبعة وقوالبها واوراقًا مطبوعة مثل اوراق البنك تماماً وكان قد زوَّر بعض الاوراق وتداولتها ايدي الناس وعُرفت العصابة التي اقدمت على هذا التزوير وعوقب رؤَساؤُها بالاشغال الشاقة

(٥)

قد يفلح المزورون في التزوير والتقليد حتى تروج مصنوعاتهم اكثر مما تروج المصنوعات الصحيحة مثال ذلك ان بعض المزورين صنعوا طوابع بوسطة سنة ١٨٥٨ مثل الطوابع التي كانت تستعمل في نابلي حينئذٍ فلم تفطن لها الحكومة بل كانت تمر في مكاتب البريد كما تمر الطوابع الصحيحة وظلت كذلك سنين كثيرة الى ان مرَّ منها الوف والوف الوف ثم كُشف امرها وهي الآن اغلى من طوابع نابلي الصحيحة لانها اقل عددًا منها

ومن قبيل ذلك طابع البريد الانكليزي الذي قيمتهُ شلن الصادر سنة ١٨٧٠ فان بعض الصنَّاع تمكنوا من تقليدهِ وانتشرت الطوابع المزورة من ذلك الحين الى الآن ولم يكشف انها مزورة الاَّ منذ عهد حديث فوقع الجامعون في حيرة ولا حيرة الضب

هذا وفي مجلة لندن المذكورة آنفاً نوادر كثيرة من هذا القبيل تدلُّ على ان جانبًا كبيرًا من الطوابع التي يتجر بها تجار طوابع البريد مزور فليحذر الجامعون لئلاَّ تضيع اموالهم في ابتياع الطوابع المزورة

المدارس الجامعة

اخبرنا احد الكبراء في هذا القطر ان الهمة متجهة الآن الى انشاء مدرسة جامعة في القطر المصري تعلّم العلوم والفنون على انواعها وان رجلاً من كبار الاغنياء سيتبرع باكثر نفقاتها . وقد قابلنا ذلك الرجل وقلنا لهُ في ذلك فتبيَّن لنا منهُ انهُ عدل عن عزمهِ فسألناهُ عن سبب عدولهِ فقال اني رأيت المتعلمين شرًّا من غير المتعلمين . لكنهُ قد يعود الى عزمهِ الاول او قد يفعل غيرهُ ما كان ناويا فعلهُ . وقد طلب الينا ذلك الكبير ان نصف حال المدارس الجامعة وما يُعلَّم فيها من العلوم وما ينفق عليها من الاموال فجمعنا السطور التالية اجابةً لطلبهِ

التعليم في المدارس الجامعة يقتضي نفقات طائلة جدًّا ولكن لا بد منهُ بعد ان صار للعقل المقام الاول في مناظرة الامم بعضها لبعض ولذلك صارت درجة الامم في السيادة والعمران بحسب ما تنفق على التعليم العالي في مدارسها . ففي الولايات المتحدة الاميركية ٤٨٠ مدرسة جامعة يبلغ ما ينفق فيها سنويًّا من ميزانية الحكومة ومرتبات التلامذة واوقاف المدارس نحو ٢١ مليون ريال او نحو اربعة ملايين وربع من الجنيهات . وينفق في تلك البلاد على المدارس الابتدائية والثانويَّة ٢١٣ مليون ريال في السنة اي نحو ٤٣ مليون جنيه ومجموع ذلك ٤٧ مليون جنيه . ولو انفق اهالي القطر المصري على تعليم اولادهم على نسبة ما ينفقهُ اهالي الولايات المتحدة على تعليم اولادهم لوجب ان تبلغ نفقات التعليم في هذا القطر ستة ملايين من الجنيهات كل سنة اي اضعاف اضعاف ما ينفق عليهِ الآن

وينفق الانكليز على تعليم اولادهم في المدارس الابتدائية والثانويَّة والجامعة اكثر من ستة عشر مليونًا من الجنيهات ويبلغ ما تنفقهُ الحكومة وحدها على التعليم الابتدائي نحو اثني عشر مليونًا من الجنيهات

وتنفق المانيا على التعليم الابتدائي اثني عشر مليونًا من الجنيهات وعلى مدارسها الجامعة نحو مليون جنيه فنفقات مدرسة برلين نحو ١٢٤ الف جنيه في السنة ومدرسة هال ٦٣ الف جنيه ومدرسة غوتنجن ٥٧ الف جنيه ومدرسة بون ٥٦ الف جنيه ومدرسة برسلو ٤٨ الف جنيه . واكثر هذه النفقات اجرة اساتذة فاجور الاساتذة في مدرسة برلين ٤٤ الف جنيه وفي مدرسة غوتنجن ٢٤ الف جنيه وكذا في مدرسة بون وهلمَّ جرًّا

وتنفق حكومة فرنسا على التعليم العمومي ٢٠٩ ملايين فرنك كل سنة او نحو ثمانية ملايين ونصف من الجنيهات عدا ما ينفقهُ الاهالي على تعليم اولادهم

ونفقات نظارة المعارف في ايطاليا وهي افقر ممالك اوربا الكبيرة مليونان وسبع مئة واربعون الف جنيه ولو انفق القطر المصري على نسبتها لوجب ان تكون ميزانية نظارة المعارف نحو مئة الف جنيه في السنة

اما العلوم التي تعلَّم في المدارس الجامعة فهي في الغالب عشرون علماً اصليَّة عدا العلوم الفرعية وهاك بيانها مرتبة على حروف المعجم

(١) الاركيولوجيا وهو علم الازمنة الغابرة كما يستدلُّ عليها من آثار الانسان الباقية الى الآن في اطلال مدنهِ واشكال مبانيهِ

(٢) الاقتصاد السياسي وهو البحث عن حقيقة المال وشرائع تحصيلهِ وتوزيعهِ واستثمارهِ وكيفيَّة نجاح الامم

(٣) والتاريخ وهو معرفة اهم الحوادث الماضية وما يستفاد منها من الاخبار

(٤) والتشريح وهو علم بناء اعضاء الجسد وما تتألَّف منهُ كما يعلم من تشريحها

(٥) وعلم التعليم وهو علم الاساليب والوسائل الذي يجري عليها المعلمون لتثقيف عقول التلامذة ومساعدتها على ادراك الحقائق العلميَّة

(٦) والجيولوجيا وهو علم طبقات الارض اي تاريخ الحوادث التي حدثت فيها بالنسبة الى حالها الحاضرة واسباب تلك الحوادث ونتائجها

(٧) وعلم الحيوان وهو درس طبائع الحيوان من ادنى انواع الاميبا الى اعلى انواع ذوات الثدي

(٨) وعلم الرياضيات وهو يشمل علم الجبر والهندسة وحساب المثلثات ومبادئ المساحة والقطوع المخروطية وحساب التفاضل والتكامل

(٩) وعلم الطبيعيات وهو يبحث عن خواص الاجسام الطبيعيَّة من حيث البناء والثقل والمرونة وعن القوى الطبيعيَّة اي النور والحرارة والكهربائيَّة وعن كل شيء طبيعي ما عدا الحياة والعقل

(١٠) والفسيولوجيا وهي علم وظائف اعضاء الجسد

(١١) والفلسفة الادبيَّة والسياسية وهي تبحث عن اخلاق الانسان الادبيَّة ونسبتهِ اي غيرهِ من ابناء نوعهِ من حيث ما يطلب منهُ لهم وما يطلب لهُ منهم

(١٢) الفلسفة العقلية وهي اسمى فرع من فروع البيولوجيا اي علم الحياة تبحث عن العقل وقواهُ وافعالهِ . وعليها يتوقف نجاح علم التعليم

(١٣) الفلك وهو يبحث عن نسبة الارض الى الاجرام السموية ونسبة هذه الاجرام بعضها الى بعض

(١٤) والفيلولوجيا او علم اللغات وهو يبحث عن كيفية اشتقاق اللغات بعضها من بعض ويتطرَّق الى حل رموز اللغات القديمة كالمصرية والاشورية

(١٥) والكيمياء وهي تبحث عن عناصر الاجسام وتراكيبها وخواصها وفعلها بعضها ببعض

(١٦) وعلم المعادن وهو يبحث عن معادن الارض واماكن وجودها وكيفية اكتشافها واستخراجها

(١٧) المتيورولوجيا وهي تبحث عن اسباب الاحداث الجويَّة كعصف الرياح ووقوع المطر وحدوث البرق والرعد وما اشبه

(١٨) والمنطق وهو علم الاستدلال او صناعة الاستدلال بالمقدمات على النتائج

(١٩) والنبات وهو علم بناء النباتات وطبائعها ووظائف اعضائها

(٢٠) والميجين وهو علم حفظ الصحة وما يلزم لهُ

هذا عدا اللغات والعلوم اللغويَّة وعدا التمرُّن على الانشاء والخطابة والمذاكرة والرياضة البدنية وما اشبه

هذه علوم القسم العلمي ولكن المدارس الجامعة لا تقتصر عليهِ بل تضيف اليهِ الاقسام التكميلية العملية كالطب والحقوق والهندسة والزراعة والتجارة ولكلٍّ منها فروع شتى وعلوم مختلفة لا بدَّ منها . فاذا اريد انشاء مدرسة جامعة في هذا القطر وجب ان تعدَّ لها نفقات سنويَّة لا تقلُّ عن عشرين الف جنيه لكي تكون مثل اقل المدارس الالمانية الجامعة

واذا وجد المال اللازم بقيَ ما لا يقلُّ عنهُ لزوماً وهو وجود الاساتذة الاكفاء وفي اي لغة يعلمون . اما الاساتذة فلا بدَّ من ان يكونوا مختلطين في اول الامر من الاجانب والوطنيين واما لغة التعليم فلا بدَّ من ان تكون العربيَّة اذا اريد ان تبقى حيَّة وان تجاري لغات الاوربيين لان العلم من اقوى دعائم اللغة . وهذا لا ينفي تعلُّم اللغات الاوربيَّة وتعلُّم بعض العلوم بها اذا كان اساتذتها لا يستطيعون القاءها بالعربيَّة

التصوُّف

قال افلاطون الحكيم " عالَم الكون والفساد شبيه بمغارة مظلمة بعيدة المهوى وفي اعلاها طاق يدخل اليها منهُ شيء من الضياء فما قرب من الطاق اضوأ مما بعُد عنهُ . وفيها جماعة يبيعون و يشترون و يتعاشرون قد انسوا بظلمتها واستعملوا مقاييس لنقودهم اكثرها فاسد فتطلعت نفس واحد من تلك المغارة الى الصعود الى موضع الضوء والتماس ما يبعثهُ فصعدحتى قرب من الطاق وكانت معهُ دنانير ودراهم مما يستجيدونهُ في المغارة ويجري عندهم مجرى ما ارتفع الريب فيهِ فتأملها حيث انتهى بهِ الصعود فوجد بعضها جيداً وبعضها رديئاً فميز رديئها من جيدها ونزل الى المغارة فعرض الجياد على نُقّاد المغارة فاعترفوا بجودتها فاخرج اليهم الرديئة وسألهم عنها فاستجهلوهُ وقالوا ما بين الاولى والثانية فرق" . فضحك منهم وقال لهم ما اشك في انها رديئة فقالوا كيف هذا وما دليلك عليهِ فقال رأيتها في هذا الضياء واومأ بيدهِ اليهِ. فاستثقل المستوطن للمغارة مقالهُ واخذ في الرد عليهِ وكذّبهُ ونازعهُ قوم فشرعوا يصعدون الى الضياء فمنهم من شقّ عليهِ الصعود فرجع ومنهم من صار معهُ الى موضعهِ وصدّقهُ فصاروا فيما يتعاملون بهِ ثلاثة اصناف رجل لم يُفكر فيما جاء بهِ الصاعد واقام على ما جرى عليهِ سلفهُ غير مرتاب بشيء من تلك النقود وهم اصحاب التقليد الساكنون الى ما أُمروا بهِ وآخرون ينازعون الصاعد وهم اصحاب الجدَل الذين ضعفوا عن الرياضة وقووا على المنازعة وآخرون قد وافقوا الصاعد بما شاهدوهُ معهُ وهم خدم العقل الذين رقوا اليهِ بالمقدمات والنتائج وهاجروا في طلب المعقولات ولم يستثقلوا البحث عن الحقائق "

هذه الحكمة تنطبق على كثير من حقائق العلم والعالَم وما اقلّ اهل الفئة الثالثة من خدمة العقل الذين ركبوا كل صعب وذلول للوقوف على الحقائق اما الفئتان الاوليان فهما كالانعام السائمة وما حظهم من إمتاع النظر بنور الحق الأ حظ اتباع ابيقورس اليوناني القاضي بان لا عمل للانسان في هذه الحياة الا الاكل والشرب والنوم والملاذ اما العقل فلغو لا فائدة فيهِ

ومن العجيب انك قلما ترى فئة من الخلق الا راضية بما أُتيح لها من اقتباس قبَس من هذا النور واهل التصوُّف لم يخرجوا في ادعاء الوصول اليهِ عن الحد الذي جرى عليهِ جميع اهل الملل والنحل قديماً وحديثاً . ولقد اختلفت الآراء في الحكم على اهل هذه النحلة لما رأوا ان معظم كتبهم ضرب من المعميات والطلسمات مبنية على ما يخالف الحسّ ويناقض القواعد المألوفة حتى سماهُ بعض الافرنج " العلم الخفي " لان اقوالهم تفسر بالاذواق وهي مما لا جدال

في اختلافها وهاءنذا آتي على طرف من تاريخ التصوُّف واهلهِ استمدها من اسفار الثقات

قال السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ ﻫ ” ان سبب تسميتهم بالصوفية لبسهم الصوف او لأنهم لما آثروا من الانكسار كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية او لانهم في الصف الاول بين يدي الله عزَّ وجل او ان الاصل في اسمهم صفوي او نسبة الى الصُّفة — وهو موضع مقتطع من مسجد النبي مظلل عليهِ كان الاوفاض والاخلاط من الفقراء يأوون اليهِ — قال ولم يعرف هذا الاسم الى المائتين من الهجرة العربية ..... ثمَّ لما تقادم زمان الرسالة ونأى عهد النبوة وكدر شرب العلوم شوب الاهواء وتزعزعت ابنية اليقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت الجهالات وكشف حجابها وكثرت العادات وتملكت اربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها تفردت طائفة بأعمال صالحة واحوال سنية وصدق في العزيمة وقوة في الدين وزهدوا في الدنيا ومحبتها واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون اخرى اسوة بأهل الصفة تاركين للاسباب متبتلين الى رب الارباب “

وقال السيد عبد الحميد الزهراوي من المتأخرين ” التصوف لفظ ينتحلهُ اسمًا لمعارفهم ناس خلطوا اذ بحثوا في الفلسفة الالهية بين ايراد كلام الفلاسفة الالهيين من القدماء وبين الشواهد القرآنية وامثالها من الكلم النبوية . واخترعوا اصطلاحات صرفوا بها الالفاظ اللغوية عما وضعت لهُ صرفًا لم يراعوا فيهِ العلاقة العربية والقرائن الدالة . ولا نقدر ان نعين اول من كتب بهذه اللغة على هذا النحو ولكنا نعلم انهُ بعد ان دونت فيهِ الكتب غلا فيها اهلهُ واغرقوا في التأويل وصرف الالفاظ فعبثوا بالفلسفة والدين معًا . وكذلك ينتحلهُ اسمًا لعاداتهم وعباداتهم المخصوصة ناس آخرون اقتبسوا شيئًا من كلام الذين سلف ذكرهم وشيئًا من كتب السير والمناقب واخترعوا اشياء أُخر وأطلقوا هذا اللفظ على الملفق من الجميع وربما أحب هؤُلاء ان يُطلقوا على انفسهم اسم الفقراء ثم ابدلوا هذا الاسم باسم دراويش لغلبة العجمة على القوم “.

وانت ترى بين كلام المتقدم وكلام المتأخر فرقًا طفيفًا في التعبير عن حال المتصوفة وان كان الاول معتقدًا والثاني منتقدًا على ما يظهر . ويمكن ان يقال على الجملة ان التصوف نشأ عقيب ما ثار ثائرهُ من الفتن بين اهل الاسلام في القرن الاول والثاني وغلبت المطامع على رجال سياستهِ وعندها تجافت فئة من اهل التقوى عن الدخول في غمار هذه المطامع والاشتراك في اذكاء نار الشرور فآثروا العزلة وانقطعوا الى العبادة والزهادة مثل ابي القاسم الجنيد والحسن البصري وابرهيم بن ادهم وابي يزيد البسطامي وسهل بن عبد الله التستري

وبشر الحافي واضرابهم ممن صدقوا في نسكهم وكانوا على جانب من علم السنة فلم يتعدوا مراسيم الشريعة وكانوا احسن قدوة اهتدى بها كثيرون . وما برحت الاعوام تنقضي الى ان أُلحق بهذه الفئة كل مهوّس كسلان ويظهر ان اجزاء التصوف تكاملت في القرن الخامس

ولما رجعت الامة الاسلامية القهقرى وفسدت آدابها وعلومها بتوالي الحكومات التي حكمتها بسلطان الجهل أُخذ بعض الحكام خصوصاً ملوك الطوائف يتذرعون بالمتصوفة تمويهاً على الناس واستعانة بالعامة على الخاصة بدعوى الاحتفاظ بالدين وعندها اخذ القوم يضعون التآليف في هذا الفن وتوسعت دائرتهُ بعد ضيقها والعلم كما قال ابن سينا نقطة كثَّرها الجاهلون . ثم تعددت المناجي والمنازع وان لم ينكر بعضهم على بعض شيئاً وتقاسموا بينهم المقامات السنية وادَّعوا الوصول الى العلوم اللدنية والكسبية

واختلفت الآراء في منشإِ التصوف او الفلسفة الالهية قبل الاسلام فقال قوم انهُ نشأَ في الصين واقتبسهُ مجوسُ الهند وعنهم اخذهُ الفرس فادخلوهُ في الاسلام لمَّا اعتنقوهُ وصبغوهُ بصبغة دينية كما دسوا كثيرًا من البدع التي لم تقرّها الشريعة . على ان التصوف لا تخلو منهُ أُمة مهما كانت نحلتها وملتها وان لم تسم نفسها بهذا الاسم واليك ما قالهُ الزهراوي في هذا المعنى مخاطباً :

" يا هؤُلاء اقرأوا شيئاً من تاريخ الامم عامة ثم تاريخ هذه الامة المحمدية خاصة يظهر لكم ان كل امة قام منها افراد قليلون صادقون بالتنسك على ما تعلموا في دينهم وتعظمهم العامة لتخليهم عن دنياهم ثم قلدهم جماعات كثيرة في الزي والاصطلاح ابتغاء رضوان العامة ورجاء ثوابهم لديهم . واقرب شاهد لديكم رهبان النصارى المتبتلون في الصوامع ففيهم الصادق في نسكهِ النظيف قلبهُ وفيهم المائن المحتال الملوَّث قلبهُ وكذلك رهبان مجوس الهند والصين ويظهر لكم ان هذه الحال لا يخلو عنها زمن من الازمنة ولا امة من الامم وان هذه الامَّة المحمدية طرأَ عليها ما طرأَ على غيرها من كل شيء "

وجاء في مجلة المنار الاسلامي " ان بعض المؤرخين عدوا الصوفية من الفرق المشتقة من الاسلام المخالفة لسائر الفرق في الاصول كالمعتزلة والشيعة واهل السنة . وكيف لا وقد عاملهم فقهاء اهل السنة وحكامهم بأشد ما عاملوا بهِ سائر الفرق فحكموا ببدعة بعضهم وكفَّروا كثيرًا من اكابر شيوخهم وقتلوا منهم خلقاً كثيرًا ثم غلوا بعد ذلك في تعظيمهم والتسليم الاعمى لهم غلوًّا كبيرًا . قال ولهم علوم كثيرة جدًّا تعلم اسماؤُها من كتاب الفتوحات المكية وانما جاءهم ذلك من الرياضات والمجاهدات النفسية والعناية بمعرفة ما انطوى عليهِ الروح الانساني من الخواص

والمزايا والقوى الادراكية والتأثيرية ومن ذلك ما يسمونهُ الكشف والامداد والتصرف بالهمة. وكل هذا من علم اسرار الكون وطبائع الخلق كالعلم بنواميس النور الكهربائي وخواصهما ولكنهُ لما جاء بصبغة دينية من رجال الدين حدث عنهُ من حط الفقهاء والحكام على اهله وتكفيرهم وسفك دمائهم كما فعلوا مع الفلاسفة الذين بحثوا في بقية اسرار الخلق وصبغوا علمهم بصبغة الدين وخلطوهُ بعلم العقائد الذي سموهُ علم الكلام وكان اضطهادهم للصوفية اشد من اضطهادهم للفلاسفة كما يعلمهُ من قرأ التاريخ وما ذلك الاَّ لان علم الصوفية الغريب عن فهم الفقهاء امسُّ بالدين بل هو ثمرة التمسك بفضائل الدين وآدابهِ كما يقول عامة اصحابهِ ولذلك مزجوهُ بالقرآن والسنة مزجاً ولكن جاء بعضهُ مخالفاً لظاهر الشرع " اه

اما الدين المحمدي فلا يقرُّ شيئاً مما يقوم بهِ المدّعون للتصوُّف من الاذكار والاوراد المصطلح عليها والتبتل والسماع والرقص ورفع الاعلام وضرب الطبول واظهار الكرامات التي يزعمون مثل مسك الثعابين والحيَّات ودخول النار واكلها وبلع قطع الحديد والزجاج والآنية واستعمال السلاح لضرب البطون وإدخال المُدَى والادوات الجارحة في الافواه والحلوق اضف الى هذا ما يأخذون انفسهم بهِ من التوكل وترك السعي والعمل للمعاش والتساهل بالفروض والواجبات والوقوع في الاباحة والقول بالحلول او إجهاد النفس في التريُّض والتقشف الى غير ذلك من الحالات التي انكرها حجة الاسلام الغزالي في كتابهِ احياء علوم الدين وسماها الطامَّات وانكرها انكار كثير من علماء الاسلام وقوع الكرامات من الاولياء

ومن درس تاريخ الصدر الاول يتضح لهُ جليًّا ان هذه الاعمال التي يأتيها اكثر المتصوفة لم تعهد زمن الرسول ولا زمن اصحابهِ وتابعيهم الى ما بعد القرن الثالث وقد رأينا خاصة المسلمين في ذينك القرنين عالمين عاملين بعيدين عن الخيالات متدينين بما رسمتهُ الشريعة بقلب سليم. عهدنا ابا ذرّ الغفاري من كبار الصحابة منفيًّا زمن الخلفاء الراشدين الى الرَّبذة من اعمال المدينة لانهُ كان يميل الى قلة العمل والانصباب جملة واحدة على التعبد وترك الدنيا ولما شرع يدعو الى مذهبهِ أُبعد مخافة ان تسري دعوتهُ الى غيرهِ من عامة المسلمين فيصبحوا آفة على العمران والانسان

وغير نكير ان علم التصوُّف لو وقف فيهِ اهلهُ عند حدّ ادب النفس ولم يخلطوا فيهِ الفلسفة الالهية وطرفاً مما وراء الطبيعة لكان فيهِ فائدة تنجع في تهذيب الاخلاق. وقد ذهب الناس من عقلاء المسلمين والباحثين في ادوائهم ان التصوُّف على هذا الطرز المعهود اليوم هو من جملة عوامل التخريب في جسم الامة الاسلامية وان رؤَساء هذه الطائفة يقدرون ان ينفعوا بما بين ايديهم

الاسلام كثيرًا وقد سمعت واحدًا منهم يتلهف على إدخال الاصلاح الى هذه الطبقة من الناس ويعلق عليها آمالاً كبيرة وشواهده من التاريخ انهُ لم يعهد في المسلمين جمعيات منظمة بعمل مرؤوسها باوامر رؤَوسها الاَّ هذه الطرق وان بعض الملوك قديمًا تذرعوا بمشيخة الطرق على عهدهم فاستخدموهم ومريديهم في اقامة حكومات كبيرة وتوفقوا الى ذلك كل التوفيق . هذا ما سمعتهُ مرارًا من فم ذاك العلامة اثبتهُ للقراء غير جارح ولا معدّل . ولعلَّ فئة من الكتّاب تتفضل بنقد ما سطرتهُ والله حسبي بحّاث دمشقي

الحياة كلها جهاد

تعب كلها الحياة وما اعجب الامن راغب في ازديادِ

ليس هذا معنى مخترعًا انشأَهُ التخيل والتجهُ الغوص في تطلاب المعاني وانما هو معنى لا تغيب عن العين شهاداتهُ ولا تتوارى عن الحس حالاتهُ ولكنها نفثة اختلجت في صدر ناظمهِ حين رأى الحياة ظلاً زائلاً وسنادًا مائلاً راحتها عناء ونعيمها شقاء شغلت بجهادها ابناءها فسعوا دائبين وسروا جاهدين يتطلبون الراحة من التعب والنعيم في النصب . وهذه سنة الكون جهاد قائم ونزاع دائم لم يقم لولاهُ هذا الكون العظيم ولم ينتظم هذا السمط البديع بل لولاهُ لم ترتقِ الكائنات ولم تسمُ المخلوقات ولا عُرِفَ الحقير من العظيم ولا الفضيلة من الرذيلة

تصوَّرِ الانسان في فلاة القدم وصحراء الازل عاري الجسد منبوذًا في العراء خاوي الوفاض بادي الذلة لا سلاح يقيهِ ولا ناصر يحميهِ يتطلب مسكنا يسكنهُ وملبسًا يسترهُ ومطعما ومشربا حواليهِ حيوانات سبقتهُ بوجودها وباهتهُ بعديدها . هي مستورة وهو عارٍ وهي شاكية انيابًا واظفارًا ومناسر وهو اعزل يراها بين فاتك يحدد نابهُ ويدلُّ بمخالبهِ وفاتن يمرح بظرفهِ ويتباهى بحسنهِ ويدلُّ بجمالهِ وسادر في خيلائهِ يسادل ثوب كبريائهِ وسانح وبارح ومقيم وسارح . وطائر يطير بين مستعظم كبير ومتضائل صغير وهو بينها ضعيف القوى بادي الضنى . الاَّ ان ارتقاء عقلهِ بطرق تخيلهِ وتحيلهِ وقاهُ منها وسوَّدهُ عليها

ثم اعد اليهِ نظرًا وهو يسمو كبرًا ويختال عجبًا يشيد القصور ويبني الصروح ويقيم البروج تضاءل لهُ كل متجبر وذل لديهِ كل عاتٍ وملك اقطار الارض وآفاق السماء فسخر الحيوان ووطئ ظهر الماء وركب متن الهواء حتى اذعن التيار لسلطتهِ وذل البخار لقوتهِ وخضعت الكهربائية لسطوتهِ سخرها لطاعتهِ واقامها لخدمتهِ وطئ اكتافها فانقاد ابيُّها واطاع عصيُّها . فهل هذا

الطائر في الهواء الممتطي غارب الماء المالك ناصية الكهرباء الباني الصروح العالية والقصور الشامخة هو ذلك البائس العابس الضارب في حيرتهِ التائه في هواجسهِ المستكن الاعشاش والكهوف — هو هو — لمَّا اعوزتهُ الحاجة واضطر بحكم الفاقة جاهد قدر الطاقة بالتعقل وطرق التحيل فبلغ ما بلغ مع الدهر الطويل والزمن المديد . ولو لم يقف سدًّا لارتقائهِ ما هو غير صالح من طرق الجهاد ومقاوم النزاع لكان لهُ شان يفوق التصور وتهوى دونهُ العقول

تكامل الموجود الى هذا الوصف المشهود وارتقى هذا الاوج بعد ان كان هائمًا سائحًا الليالي تجاذبهُ والساعات تتناهبهُ تعتورهُ الحوادث والكوارث يغالبها وتغالبهُ في نزاع بين ابناء جلدتهِ وحيوانات مستقرهِ يصطرع معها وكل يجر النار الى قرصهِ وصل الى ما وصل بعد جهاد طويل غالب فيهِ الطبيعة وسلب ما حولهُ مما تضطرهُ اليهِ حاجتهُ لتقوية ركنهِ وحفظ كيانهِ واستمرار بقائهِ

لا بدع اذا قام بالجهاد وثبت في مجال التنازع اذ كان الجهاد ركنهُ وقوامهُ . فالجهاد سنةُ العالم وناموس الكون الاعظم . اعتبرهُ في الجاذبيَّة ام النواميس الكونيَّة بل اهمّها تجد انها جهاد عنيف وشوق بين الجاذب والمجذوب وهي تقوى على قدر ما فيها من المادة . يعني ان قوة الجذب تزيد بازدياد المادة الموجودة ونقصانها وان كليهما متجاذبان مهما عظم احدهما وصغر الآخر . فالارض كما تجذب الحصاة الواقعة عليها تجذبها الحصاة اليها والفرق بين الجذبين كالفرق بين المتجاذبين

علَّمنا ان هذا الفضاء الشاسع كان ولم يزل مملوءا بالجواهر السابحة والاثير المنتشر وان ذلك مادة العالم بتسلط الجذب والدفع عليهِ يتنازعان على قوتهِ ويتغالبان على استرقاقهِ . ومن ذلك تكوَّنت العوالم الارضيَّة وتألفت الكواكب العلويَّة والاجرام السمويَّة . وبجهاد حركتي الجذب والاستمرار سارت السوائر ودارت الدوائر ووجد الليل والنهار والعشي والابكار وفصلت الفصول وارتقت الحياة والعقول ونبت النبات وعاشت الحيوانات وقامت الارضون والسموات

نرى النبات يجاهد غيرهُ لتقويم حياتهِ وينازع جارهُ لبقاء ذاتهِ فاذا نظرت مزروعًا بسق او خصب تجد بين نباتهِ نبتًا ضئيلاً ضعيفًا بطيء النمو مجاورًا للباسق الخصب وهما من صنف واحد في مزدرع واحد يسقيان من ماء واحد وما ذاك الاَّ ان العالي علا بنوزو على الضعيف في معترك الجهاد وغلبة على القوت فنقع غلتهُ وذلك اضناهُ الجوع يتبلغ بالتافه من غنيمتهِ ان كان فيهِ بقية والاَّ هلك

ا عُد نظرًا الى الانتخاب الطبيعي تجدهُ قائمًا على اركان اهمها بقاء الانسب والوراثة الطبيعيَّة

وكلتاها قائمتان بالجهاد الحيوي فان الاصلح الذي ناسب زمانهُ ومكانهُ انما ثبت لوجود الاستعداد فيهِ للبقاء من صلاحية اثبتها فيهِ جهادهُ بعد فناء ما اختلت فيهِ من افرادهِ مناسبات حالتهِ فلم تصلح لجهادهِ. فالزرافة انما طال عنقها لمَّا الجأها جهاد الحياة الى التطالِّ الى باسق الاشجار . فما كملت فيهِ هذه الصفة قوي على عدوهِ الجوع وما لم توجد فيهِ صرعهُ عدوهُ في جهادهِ وفشا فيهِ الفناء . وكذلك قل في افلائها ما ولد طويل العنق عاش عيش ابيهِ والذي قصر عنقهُ قصر عمرهُ الى ان ثبتت هذه الصفة بالوراثة وتأصلت واصبحت من الصفات اللازمة المقومة . وجهاد الحياة اساس ذلك فهو اساس وجودها على تلك الحال وامتياز هذه الصفة دون غيرها لمكان اعوازها

هذه اسراب الحيوان في مغاديها ومراوحها متهارشة متحاربة متنازعة جهادها بينها على ساق . هذه تغالب تلك وتلك تطرد هاتيك اذا انست مرعى خصيبًا وروضًا معشوشبًا . وبعضها يفترس بعضًا والبعض ينهش الآخر وهي في حرب عوان . فالجهاد سنَّة بين الاحياء قامت عليها الاكوان ونشأت بها المنشآت وتكملت بها الطباع وارتقت بها المخلوقات

كلما اتسعت مدارك المرء وزاد ترفهُ عيشهِ كثرت حاجياتهُ فيكثر جهادهُ وذلك لانهُ في حالتهِ الحيويَّة يحتاج الى ما يحفظ بهِ كيانهُ ويستجلب بهِ الفوز في جهادهِ فاذا ارتقى في سلم العيش وصافح الارتقاء انفت نفسهُ بما الفتهُ من النعيم خسائس الحالات فعانق ما هو ارقى من حالتهِ الاولى حتى اذا تأصلت فيهِ صار لا غنى لهُ عنها فاصبحت حاجة بعد ان كانت كمالاً . وكلما زاد نعيمهُ انفسحت امامهُ باحة الكماليات يعانقها عناق مشتاق ويألفها الف من يخشى الفراق حتى تلزمهُ وتصبح من حاجياتهِ الهامَّة وخصائصهِ اللازمة . ولنفرض ذلك والانسان في اول امرهِ قد دفع عنهُ صبارة الشتاء وحمارة القيظ بتفيئهِ ظلال الاشجار والتحافهِ اوراقها او اكتنانهِ مغاور الجبال مرتديًا اهابات صيودهِ من الحيوانات التي تغلَّب عليها طلبًا لقوتهِ . ثم ترقى وانتقل من ظلال الشجر الى افياء الاعشاش . ولا شك ان اول استعمالهِ الاعشاش ليس كآخرهِ اتقانًا ووفاء بالغرض فلو كلفتهُ والحال هذه لم تجدهُ مطيعًا تركَ كنّه راجعًا الى حالتهِ الاولى لما الفتهُ نفسهُ من هذا النعيم . ثم ارتقى في ملبسهِ من اوراق الشجر الى اليافها ومن الجلود الى اوبارها يحوكها برودًا ومآزر واصبحت من لوازم عيشهِ ومن اهم حاجياتهِ بعد كونها كماليات وهكذا كلما سما في سلم النعيم كثرت حاجياتهُ فيعظم جهادهُ وعلى قدر الغاية يكون العمل

قلنا فيما سبق ان المرء مفطورٌ على الجهاد في حياتهِ فهو في ذلك يتوخى ما بوسعهِ للفوز في هذا الجهاد وكأنهُ كان لا يقف عند حدٍ في الجهاد يتتبع كل طريق ويطرق كل باب

وراء الغاية حتى عرف النافع والضار وادرك اللذة والالم ولا يبعد انهُ ادرك ان كثيرًا من التعب يعقبهُ الراحة فتوخاهُ تبعًا لغايتهِ وعلم ان الاخلاد الى السكون والاستسلام للراحة والهوى والبطالة مطلقًا للشهوات العنان غير مقيدة بقيود الاختبار والتعقل يرمي المرء في مهاوي المهالك حيث تهمل آلات الجهاد الصالحة ويقف نموُّ ما حصل بالتوارث من اعصاب قويَّة وهمة عليَّة واخيرًا ينتهي بضعفها وعدم مناسباتها للجهاد فيقف صاحبها في معترك الاسنة وسلاحهُ مخرب ويهوي في هوة الردى

بقاء الانسب هو في الصفات كما هو في الماديَّات بل اظهر اثرًا فما كان من الصفات انسب للنجاح واصلح للبقاء ثبتت اصولهُ ونمت فروعهُ وطاب وزكا ولو كانت حلاوتهُ مبدوءة بالحنظل وراحتهُ مسبوقة بالتعب وما كان غير صالح للنجاح ذوت فروعهُ وخبثت ثمرتهُ ولو كان في اولهِ شهيًّا جنيًّا . ولا شك ان هوى النفس يتطلب اللذة العاجلة ولو كانت العاقبة مردية لكن العقل الصحيح والاختبار الصادق يمنعان من هذا التهور .فاذًا اعمال الانسان اما مسوقة بسايق الهوى او سارية تحت قيادة العقل او هما يتعاقبان عليها ويتنازعان زمامها والنفوس منطبعة بطبع قائدها سالكة منهاج تعليمهِ سائرة تحت ارادة سائقها . فان ولي العقل زمامها قادها الى الاصلح والانسب فيما يؤهلها للمناضلة والمدافعة في معترك الحياة فتفوز فوزًا مبينًا ويرتفع شأن صاحبها ويحسن امرهُ ويعلو ذكرهُ لان النهج الذي سرى عليهِ نهج سهلهُ الاختبار وحسَّن عاقبتهُ التأمل مما يستجاب ثقة قومهِ ومحبتهم يحفظ بذلك نفسهُ وقومهُ وجنسهُ باتباعهِ الاخلاق الصالحة المناسبة لحفظ كيان المجتمع

ثبت الجنرال ده ويت البويري امام صدمات الانكليز القوية بفئتهِ القليلة العدد والمدد بثبات جيشهِ . ومن اهم اسباب الثبات حب الجيش لقائدهم حبًّا يفدونهُ معهُ بالأرواح وليس ذلك الاَّ لاتصافهِ بالصفات التي تليق بالمجاهد في معترك الحياة من حب القريب والوطن والشفقة على الضعيف وغيرها من مقومات الهيئة الاجتماعية فهو كان بينهم غير متميز عن واحد منهم طعامًا ولبسًا واذا رأى جنديًّا رث لباسهُ قاوضهُ ثيابهُ

ونابليون الاول ما ثبتت معهُ جنودهُ في اقتحام سعير الحروب وخوض غمرات الردى في برد روسيا وحر مصر ومحاصرة عكا الاَّ لاخلاصهم في حبهِ لما رأوهُ فيهِ من الاقدام والحب لوطنهِ وقومهِ

هذا اذا قاد الارادة العقلُ واما اذا سارت تحت لواء الجهل والهوى قيدت الى العسف والخبط على غير هدى وآبت بالفشل كما نرى في جهاد كثير عموا عن اكتناه العالم واستجلاء غوامضهِ وصمُّوا عن داعية الهدى والرشاد

واما اذا تعاقبت عليها سلطتا العقل والجهل وغلبت احدى السلطتين الاخرى سارت الارادة مع الغالبة وان تساوت قوتاهما سارت طريقاً وسطاً شأن المنفعل بحركتين متساويتين في جهتين فانهُ يكون بين بين. فالمساعي مختلفة واسباب الجهاد متفاوتة عرف ذوو العقول الثاقبة الذين تأملوا العالم فاحسنوا فيهِ التأمل نافعها وضارها وانشأوا الحكمة الاخلاقية فلاحسن الاَّ ما يحسن للجهاد في حياة لا تقوم الاَّ بهِ ولا قبيح الاَّ غير الصالح لهُ ولا شبهة في نجاح سالك النهج القويم واهتدائهِ وشطط السائر في غير قويم وضلالهِ

اربعة سائرون في مضمار واحد مختلفو الصفات احدهم مخلد الى الراحة لا يرفع يداً لعمل ولا يبعث عزماً للجهاد تناهبهُ الضرورات وهو متبلد امامها والثاني مجاهد بطرق ليست مشروعة يتتبع طرق التحيل والمكر ويعتنق الكذب والرياء والثالث جاهل رأى الناشئة في مهد العلم والعقل فاجب اتباعهم عن غير ما يكفيهِ فتطلع الى الغاية ولم يحسن المقدمات ولم يخمد نار جهلهِ بالعلم ولم يرجع في سيرهِ الى اختبار صادق وسار الرابع في النهج الاقوم فمهد لديهِ الصعوبات بعلم علمهُ واختبار الفهُ وحكمة استضاء بمشكاتها . فاذا نظرنا النتيجة رأينا الاول عليهِ لبوس الذلة وضرع الاستسلام والاهمال قد انحطت رتبتهُ الى ما دونهُ من العجماوات كلٌّ على عاتق الحياة ورأينا الثاني قد كرهتهُ القلوب ونبذتهُ العيون ونبت عن ذكرهِ الاسماع لا يثق باحد لسوء ظنهِ ولا يثق بهِ احد لسوء فعلهِ ورأينا الثالث بعيداً عن النجاح تكلف مشاق شاقة دون بلوغهِ ما يريد وما ظنك بمن طلب شيئاً وسار بغير طريقهِ واما الرابع فهو الذي يصافح النجاح بملك غايتهُ ويحصل على بغيتهِ يسير في طريق ممهد لا عوج فيهِ

وقفت الصين واليابان موقف الحرب وشبت بينهما نارها والصين اكثر ناصراً ونفيراً فلما التقى الجمعان وكانت اليابان قد اعدت معدات الجهاد التي اتقنها لها التمدن والتعقل وسلكت سبيل الاختبار غير مرتبطة بتقاليد قومية او جهل قديم حيث كانت الصين تجر اذيال التيه .وتفخر بعادي مجدها وقديم عزها مستمسكة بالتقاليد القومية والجهالات التعصبية ذلك اخلدها الى السكون فاهملت آلات جهادها فزلت بها القدم ولم ينفعها ما حولت اليهِ نظرها من المجد الفارغ والزخرف الباطل ولا بطوءها عما اسرعت اليهِ جارتها فكانت جنود اليابان اكثر دربة واحسن سلاحاً والصين اكثر عديداً ونفراً فحطمتها اليابان وهي لا تبلغ عشرها وفازت عليها وهتكت سترها

ونرى الامة العربية حين كانت دائبة في جهادها قائمة بدعوتها امتدت في آن قصير وتغلبت في وقت قريب على الدولتين العظيمتين اللتين اقتسمتا العالم وتنازعتا قوتهُ الرومان والفرس حيث كانت آلات الجهاد عندها من الدربة والانتظام ومحبة القريب وحفظ كبار

الامة والدين كاملة ثابتة وكانوا لا يعرفون الراحة فالتقشف ومجانبة الترفه في اكابرهم كاصاغرهم كان ذلك والفرس والرومان يتقلبون في الراحة حتى ساقتهم الى التباغض والتحاسد فهدم ذلك مع مهاجمة عدوهم صروح مجدهم وثل عروش عزهم . فالجهاد الصادق ما نظر فيهِ مجاهدهُ الى الى مستقبلهِ وتأمل في عاقبة امرهِ ولم يغرهِ عليهِ ظاهر الحال فالسم في الدسم. والجهاد الكاذب الفاشل ما قنع ناظرهُ بما هو فيهِ ولم ينظر في عواقبهِ فما هو الاَّ حبالة الشرك قد اخذت بمخنقهِ واوردتهُ حتفهُ . فليتأمل العاقل وليختبر الحكيم فالتاريخ مرآة الحوادث وهو المدرسة الكبرى والمختبر العظيم احمد رضا

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المدارس السورية الانكليزيَّة

لئن تعددت المدارس السورية على اختلاف اجناسها وطبقاتها فانها لم تدرك شأو المدارس السوريَّة الانكليزيَّة فائدة وفضلاً ولذلك رأيت ان اثبت على صفحات المقتطف الاغر لمحة من تاريخ هذه المعالم وفضل القائمين بها فاقول .

اتت السيدة المبرورة مسز بوين طمسن الى بيروت عام ١٨٦٠ فرأت وقتئذٍ من سوء حال الارامل واليتامى النازحات من الشام وحاصبيا وغيرها ما هاج في قلبها عاطفة الحنان والشفقة فاخذت تمدهنَّ بما يسدُّ رمقهنَّ ويصلح حالهنَّ ولما لم يكن في الالف منهنَّ من تحسن القراءة وكانت ترى في تثقيف عقولهنَّ وتهذيب اخلاقهنَّ وعوائدهنَّ خدمة للبشريَّة عمدت الى تعليمهنَّ مبادئ العلوم والآداب فالتمست من الدولة العليَّة فرمانًا يخوّلها حق انشاء مدارس للاناث في بيروت والشام ووادي التيم وبقاع العزيز وجبل لبنان

وبعد ان ظفرت تبينغاها سافرت الى انكلترا حيث حضَّت ذوي الايادي البيضاء والمولعين بعمل البرّ على معاضدة مشروعها فالفت لجنة لجمع المال اللازم لنفقة المدارس حتى اذا ضمنت لها الثبات على خطة التقدم عادت الى بيروت وابتاعت قطعة ارض في ناحية منها حسنة

الموقع جيدة الهواء بنت فيها المدرسة الداخليَّة وهي الاولى في سوريَّة ومتوسط الطالبات المقيمات فيها بين ٦٠ و٧٠ وقد تدرَّب وتهذَّب فيها عدد من الفتيات ليس بقليل منهنَّ اليوم ربَّات منازل ومعلمات وممرّضات وطبيبات ومهذبات في انحاء شتى من المعمور يحسن الاقتداء بهنَّ والتأسي بفضائلهنَّ

وبعد أن اكملت معدَّات هذه المدرسة ووفرت فيها كل اسباب التقدم والنجاح انشأت فروعاً خارجيَّة في احياء المدينة وفي دمشق ووادي التيم ولبنان حتى بلغ عدد الطالبات في وقت قصير ثلاثة آلاف او يزيد

فكان هذا النجاح السريع محرّكاً لغيرة سائر الطوائف على تثقيف البنات وتهذيب اخلاقهنَّ ففتحت لهنَّ المدارس في اكثر مدن سوريَّة واتسع بذلك نطاق التمدن في البلاد

ولم تكفَّ تلك الفاضلة عن الكد والسعي في الخير الذي ذكرناهُ ولم يقطعها عن ادارة المدارس التي انشأتها بكل همة ونشاط الاَّ انصرام الاجل فتوفاها الله عام ١٨٦٩ ونابت عنها في ادارة تلك المهمة شقيقتاها مسز سمث ومسز موط فاخذتا تزيدان المدارس اتقاناً وتوسعان حلقة العلوم التي تُدرَّس فيها وتمكنتا بمعاونة مستر موط السخي من ابتياع الابنية اللازمة للمدارس المذكورة ومكثتا ثابتتين في موقف الكد والاجتهاد الى ان توفيت احداها مسز موط عام ١٨٩١ فانتدبت اللجنة مس جيمس لتقوم مقامها فلم يكن من ولايتها ادارة المدارس نحو سنتين حتى اضطرّت الى الاستقالة لاسباب صحية

ولما كانت السيدة كرولين طمسن قد قامت مدة برئاسة المدرسة الداخلية لعهد ادارة مسز موط ووقفت على احوال المدارس كلها فضلاً عما كانت عليهِ من الاختبار في تنظيم شؤون المدارس واسلوب التدريس وما استفادتهُ من هذه المزايا في مزاولتها المدارس الالمانية دعتها اللجنة الى ادارة تلك المدارس فحسرت عن ساعد الجد في خدمتها بهمة لا يدركها كلل ولا تعرف الملل حتى بلغ عدد المدارس الانكليزية في ايامها ٥٩ ما بين داخلية وخارجية وبلغ عدد المعلمات الوطنيات ١٣٦ والاجنبيات ١٨ والطالبات ٤٦٨٠

ومما يخلق بنا ذكرهُ هو ان السيدة المذكورة سمعت بطريق الاشاعة ان النساء السوريات مع فرط ذكائهنَّ وتوقُّد ذهنهنَّ وقابليتهنَّ للعلم والآداب في اسرع مدة لا تستطيع الواحدة منهنَّ كتابة صفحة واحدة في اللغة العربية خلوًّا من الغلط مع ان اكثر من واحدة منهنَّ قادرة على تحبير عدة صفحات بلغة اجنبيَّة وان هذا التقصير لم يدرك الطالبات في اثناء الطلب بل اللواتي احرزنَ الشهادةَ المدرسية سواءٌ كان من مدارسها او من سواها فدعت الاستاذين

سليم افندي كسَّاب وابرهيم افندي عطية اللذين زاولا صناعة التدريس نحوًا من اربعين سنة لتدريس الفنون العالية في المدرسة الداخلية وتدريب الطالبات فيها على اصول اللغة العربيَّة والوقوف بهنَّ على آدابها بحيث يتوصلان الى ازالة ما تبادر من الوهم الى افكار كتَّاب العصر في تقدير المرأة عن ادراك شأوهم في الكتابة ويؤيدن رأي القائل ان المرأة الشرقية اذا تلقت العلم على اصوله بارت الرجل في مضمار العمل المفيد شأن المرأة الغربيَّة وكل آتٍ قريب

ولما رأت العصر يطالب المرأة بالقيام ببعض الامور الضروريَّة ولاسيما بفن تدبير المنزل قضت باهمال الكماليَّات في مدارسها كالبيانو واللغة الفرنسويَّة وصرفت الهمة الى اتقان القراءة والكتابة والحساب والجغرافية والخياطة واعمال اليد فاقترحت على الاستاذ سليم افندي كسَّاب وضع كتاب في الاقتصاد المنزلي فلبَّى الطلب وجمع كتبًا عديدة في هذا الباب من اميركا وانكلترا ولخص منها ما يلائم البلاد الشرقية واضاف اليهِ ما استفادهُ بالاختبار في اثناء تدريسهِ الاعوام الطوال فجاء كتابًا وافيًا بالمقصود والكتاب ممثَّل للطبع وقريبًا تتناولهُ ايدي الطلبة

وممَّا يجدر بنا الاشارة اليهِ اقرارًا بالفضل هو ان السيدات اللواتي اخذنَ على انفسهنَّ ادارة المدارس السورية الانكليزيَّة لم يبذلنَ ما بذلنَ من العناية والاهتمام في شؤُون الفتيات الَّا ابتغاء وجه الله الكريم وحبًّا بالقريب ولا نجازف اذا قلنا انهنَّ لم يقتصرنَ على الكد والتعب في هذا السبيل بل هانَ عليهنَّ دون خدمة بنات الوطن بذل النشب فلا غروَ اذا خطَّ اليراع على صفحات الصحف من مجلاَّت وغيرها كلمة في شكرهنَّ وتخليد ذكر افضالهنَّ لان لمثلهنَّ وجب الاقرار بالفضل والاعتراف بالجميل

بيروت س . خ

تمريض المرضى

الفصل الاول في الولادة

الموت في الدرجة الاولى من الرهبة والولادة في الدرجة الثانية فتكاد رهبتها توازي رهبتهُ. وهي اذا جرت مجراها الطبيعي ولم يعقها عائق فلا شيء ابسط منها ولكن اذا لم تجرِ مجراها الطبيعي وعاقتها العوائق فلا شيء اصعب منها . ومع ذلك يقدم بعض القوابل على التوليد غير موجسات شرًّا ولا مباليات بما قد يحدث من سوء العواقب

وليس من غرضي الكلام على التوليد بالاسهاب فاكتفي بذكر بعض الامور التي تفيد الوالدة واللواتي يردن ان يساعدنها وقت النفاس

وقبل الدخول في الموضوع احبُّ ان اوجه نظر القرّاء الى امر كثير الوقوع في بلاد المشرق فقد رأيت بالامس رجلاً يحمل كرسي التوليد ووراءهُ كثير من الاولاد يتبعونهُ . وحمل هذا الكرسي من مكان الى آخر امر شائع فيحمل معهُ جراثيم الامراض . ومن الغريب ان النفاس لا يصبن بالامراض القتّالة اكثر مما يصبن الآن وهذا الكرسي ينتقل من بيت الى بيت ولكن اذا سبّب كل كرسي من هذه الكراسي موت امرأتين فقط فذلك كافٍ للعدول عن استعماله مطلقاً

ويجب ان تولّد المرأة على فراشها وتبقى عليهِ ثلاثة ايام على الاقل بعد ما تلد . واذا كانت لا تستطيع ان تشتري مشمعاً من الكاوتشوك فلتضع تحتها ورقاً اسمر فوقه ملاءة عتيقة نظيفة وينزع ذلك كلهُ من تحتها حينما يولد الطفل

والولادة ليست مرضاً ولكن لا بد من تمريض الوالدة اي من الاعتناء بها كما يُعتنى بالمريض لانهُ اذا لم يعتنَ بها الاعتناء الواجب فقد تفقد صحتها وتقضي بقيَّة عمرها في حالة الضعف والمرض . وما من احدٍ يعلم كما يعلم الاطباء والممرضات عدد النساء المصابات بآلام مستمرَّة لانهنَّ لم يُعتنَ بهنَّ الاعتناء الواجب في نفاسهنَّ . والولادة لا تأتي فجأة فعلى المرأة مهما كانت فقيرة ان تستعد لها على قدر طاقتها

اذا لم تستطع ان تهيئ الملابس الفاخرة والامتعة المزركشة فهي تستطيع على الاقل ان تعدَّ لنفسها بقجة فيها ثياب الطفل والملاءات النظيفة لطفلها ولنفسها مع القمصان النظيفة لنفسها. ولا داعي لان تكون هذه الثياب والامتعة جديدة بل يجب ان تكون نظيفة جدًا ولو كانت عتيقة وان توضع كلها معاً في بقجة واحدة او مكان واحد حتى يسهل الوصول اليها . وهذا يصدق على الاغنياء كما يصدق على الفقراء اي ان الثياب والامتعة المختصة بالنفاس يجب ان توضع معاً في مكان يسهل الوصول اليهِ

ولتلبس الحامل حينما يأتيها الطلق قميصاً تحتانيًا وقميص نوم وتنورة. ولا بدَّ من ان يكون كل لبسها نظيفًا جدًّا ويشمر القميص وقميص النوم الى الوسط ويقطبان هناك او يمكَّنان بدبوسين من الدبابيس الموقاة اي التي حول رأسها شيءٌ يقي منهُ . حتى اذا ولد الطفل لا يتّسخ من الولادة الَّا التنورة فتنزع ثم يحل رباط القميص وقميص النوم وينزلان لتغطية البدن.

والفراش الذي تولّد عليهِ النفساء لا يحسن ان يكون تحتهُ سلك . ولا بدَّ من ان يغطى بملاءة نظيفة وتوضع المخدة في كيس نظيف ايضًا ويوضع مشمع فوق النصف الاسفل من الفراش يطفُّ على جانبيهِ ويوضع ملاءتان قديمتان نظيفتان فوق المشمع تطوى كلٌّ منهما

اربع طيات وتوطأ المخدة وتغطى الحامل بحرام الى ان ينتهي الطلق

ويجب ان لا يوضع شيء تحت السرير وان تكون غرفة الولادة نظيفة جدًا مطلقة الهواء

واذا حضر طبيب لتوليد المرأة طلب ان توضع لهُ طاولة ليضع ادواته عليها فيجب ان تغطى بملاءة نظيفة وتستحضر لهُ مناشف كثيرة نظيفة ايضًاوفرشاة للاظافر وماء سخن وصابون وجردل وقليل من الفاسلين وبودرة نقية وكاس ماء

وحينما يولد الطفل يغسل ما بين ساقي النفساء بقطعة نظيفة جدًا من الفلانلا وتنشف بمناشف نظيفة جافة . واذا شعرت بقشعريرة وارتفعت حرارتها فهي مصابة بتسمم الدم اتاها بالعدوى من احد من الذين لمسوها او زاروها او من امتصاص مواد قذرة فاستدعِ لها الطبيب حالاً واذا كان مكانهُ بعيدًا او تعذر حضوره فاعطها حالاً شربة من زيت الخروع .
ولا بدّ لكل حامل من ان تتناول مسهلاً لطيفًا قبل الولادة وتسخم

ومتى ولدت واخذت ترضع طفلها يجب عليها ان تغسل ثديها بالماء الحار مرتين في النهار في الصباح والمساء فان ذلك يمنع تولد الخراريج في الثدي ويمنع القلاع الذي يصيب الاطفال . واذا ظهر اقل تصلب او احمرار في الثدي وجب ان يعالج حالاً بالمطولات الحارَّة هكذا : توضع منشفة في طست حتى يتدلى طرفاها عن جانبيهِ وتوضع فوقها قطعة فلانلا ويصب عليها ماء غالٍ ثم ترفع المنشفة بطرفيها وتعصر الفلانلا وتنفض وتوضع على الثدي وتغطى بمنشفة ناشفة ويكرر ذلك مرارًا . واذا لم تحصل النتيجة المطلوبة فاستدعِ لها الطبيب والَّا ظهر خرَّاج في الثدي

يجب على النفساء ان تتناول مسهلاً لطيفًا في اليوم الثالث بعد الولادة وبعد ذلك يصير يمكنها ان تأكل الاطعمة الجامدة مثل السمك والفراخ والكستلاته واما قبل ذلك فيجب ان تكتفي باخف الاطعمة مثل اللبن والمرق والشوربا والشاي والقهوة والبيض والرز باللبن وقليل من الخبز المحمص او البسكوت

ويجب ان تبقى في سريرها اسبوعًا او عشرة ايام . ويمكن اصلاح الفراش وتغيير الملاءات بسهولة وهي نائمة فيهِ باصلاح النصف الواحد ثم النصف الآخر فتنزع الملاءات الوسخة وتوضع غيرها . ولا بدَّ من الاعتماد على رأي الطبيب في اليوم الذي تقوم فيهِ النفساء من سريرها .
ومهما كانت قوية وصحيحة الجسم لا تسترجع قوتها قبل اسبوعين او ثلاثة

اذا دعت الحال الى ابطال الرضاع فاستحضر مقادير متساوية من الغليسرين والبلادونا وخذ خرقة تغطي الثدي وقصها من دائرها حتى تصير مستديرة واجعل فيها خرقًا صغيرًا في

وسطها لتبرز منهُ الحلمة وغطها بمزيج الغليسرين والبلادونا وضعها على الثدي وضع فوقها قطناً مندوفاً واربط الثدي جيداً

وهذا الدهان اي دهان الغليسرين والبلادونا يصلح لدهن الفخذين اذا التهبتا او اصابهما شيء من التسميط وحينئذٍ لا يشد الرباط عليهما بل توضعان على شيء ليّن وترفع القدمان قليلاً .

ويجب ان يكون الحزام (الزنار) عريضاً يمتد من البطن الى العجز حتى لا يبرز الحقوان ويتسعا

هذا واكرر القول ان النظافة الزم الامور. وهي سهلة جدًّا ما دام الماء والصابون موجودين ويجب ان يكون الماء سخناً ويغسل ما بين فخذي النفساء كل يوم صباحاً ومساءً وتوضع لها فوط جافّة دافئة

ويجب ان لا يدخل غرفتها احد من الزوار في الايام الاولى ومهما اهتمَّ الذين يخدمونها بتنظيف اياديهم وثيابهم لا يبالغون (ستأتي البقية)

تنظيف الفرو

خذ ملء صحفة كبيرة من الرضّة (النخالة) وابسط ورقة كبيرة على مائدة وابسط الفرو عليها وافركهُ بنصف الرضّة جيداً وضع النصف الثاني في فرن حتى يسخن ثم افرك الفرو بهِ وامسحهُ بفرشاة ناعمة وانفضهُ فتجدهُ قد نظف

واذا كان الفرو على بطانة من الاطلس واتّسخت فبلّ اسفنجة بالماء واعصرها جيدا وامسح الاطلس بها ثم امسحهُ بخرقة ناعمة جافّة وعلقهُ في مكان حار

واذا كان الفرو من فرو استرخان فامسحهُ باسفنجة كما تقدم ثم صب قليلاً من الكولونيا على خرقة بيضاء ناعمة وامسحهُ بها فتنتبج حالاً فارمها وامسحهُ بخرقة اخرى بعد ان تصب عليها من ماء الكولونيا وهلمَّ جرًّا الى ان ينظف جيداً فانفضهُ وعلقهُ حتى ينشف ثم امسحهُ بفرشاة ناعمة

واذا لم يكن الفرو مبطّناً امكن تنظيفهُ على اسلوب آخر وهو ان تضع فنجاناً كبيراً من الرضّة في خرقة رقيقة وتصب عليها قليلاً من الماء الغالي وتتركها فيهِ نصف ساعة . ثم تقص قطعةً من الصابون قطعاً صغيرة جداً وتصب عليها ماء غالياً ستين درهماً من الماء لكل ملعقة من الصابون وتحركهُ حتى يذوب ثم تصب الماء الذي نقعت فيهِ النخالة في اناءٍ واسع وتصب فوقهُ ماء حتى تقل حرارتهُ. وتذيب فيهِ من الصابون حتى تكثر الرغوة عليهِ وتنفض الفرو وتمسحهُ برغوة الصابون وتضغطهُ بين راحتيك ضغطاً ولا تعصرهُ عصراً بنتالهِ وتكرر ذلك حتى ينظف

ثم تغسلهُ بماء فاتر وتعلقهُ في مكان جافٍ ولا بدَّ من نفضهِ مرارًا كثيرة حتى يبقى ناعمًا ولا يلتصق شعرهُ بعضهُ ببعض

ولا بدَّ من تنظيف الفراء دائمًا قبل حفظها في زمن الصيف . واذا اردت حفظها من العث فرش عليها من الفلفل الحار واصنع كيسًا من الجرائد المطبوعة والصق جوانبهُ لصقًا بالغراء وضع الفرو فيهِ والصق الجانب المفتوح فان العث يبعد عن حبر المطابع والصاق جوانب الكيس يمنع دخولهُ الى الفرو حتمًا

آداب المعاشرة

لا يحيّي الرجل المرأة عند الانكليز اذا التقى بها في السوق برفع برنيطتهِ الآ اذا حيتهُ هي اولاً باحناء رأسها لهُ واما عند الفرنسويين والالمانيين فالرجل يحيي المرأة اولاً برفع برنيطتهِ لها

اذا انتهى الطعام فالنساء يخرجنَ من غرفة المائدة اولاً عند الانكليز ويتركنَ الرجال فيها. وفي سائر اوربا يخرج الرجال والنساء معا

في غرف الاستقبال عند الالمانيين مقعد يجلس عليهِ اهم الزوار واعلاهم قدرًا . واذا دخل زائر عند الالمانيين احنى رأسهُ لكل الذين يراهم في غرفة الاستقبال حالما يدخل واما عند الانكليز فيسلم على صاحبة البيت ويحني رأسهُ للذين يعرفهم فقط

النساء لا يخلعن برانيطهنَّ في الزيارات الآ اذا طُلب منهنَّ ان يشاركنَ ربة البيت في استقبال الزوار . وقت الزيارات عند الانكليز من العصر فصاعدًا الى السهرة وعند الاميركان في السهرة لان الرجال هناك مشغولون في النهار عادة فلا يزورون الآ ليلاً

عض الاظافر

يعتاد بعض الاولاد عض اظافرهم ولا يقلعون عن هذه العادة مهما لمتهم ووبختهم ولا بدهن اناملهم بالمواد المرَّة والحريفة . وخير اسلوب لجعلهم يقلعون عنها ان نتركهم حتى يكبروا ويصيروا يهتمون بحسن منظرهم وتبيّن لهم قبح الاصابع المأكولة اظافرها اذا قوبلت بالاصابع التي لم تؤكل اظافرها فيهتمون بابطالها من تلقاء انفسهم ويبطلونها

انحناء القامة

هذا الداء يعجز الكلام عن مداواتهِ قبلما يبلغ الفتى او الفتاة سن الرشد فاذا بلغاهُ فأبن لهما بُعد انحناء القامة عن الجمال وانصحهما برفع الراس ومحاولة توسيع الصدر بالرياضة التي توسعهُ وتحط الكتفين وتدفعهما. الى الوراء فتجد ان قامتهما تستقيم بعد مدة قصيرة



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

رد على ردين

الى المحترمين صاحبي المقتطف الاغر

كان لما كتبتهُ في الجزء الاول من المقتطف الاغر هذه السنة عن العربيَّة والقبطيَّة حديث يذكر بين حضرات قراء المقتطف ولكن ما عتمت ان اتهمني حضرة صديقي الفاضل صاحب مجلة عين شمس باني اظهرت للعالم اجمع ان ما ذكرهُ من الكلمات والجمل المستعملة في العربية والتي اصلها قبطي خبر مشكوك في صحتهِ ثم طالبني بان ابرهن على دعواي هذه ببرهان تاريخي يدل ان هذه الالفاظ استعملتها العرب قبل العائلة الثانية عشرة المصريَّة سنة ٢١٦٠ قبل التاريخ الهجري. وهو طلب عادل لا يستغرق الأ القليل من الزمن للبحث في ذلك العصر الجاهلي ومعرفة دقائقهِ ومقارنتهِ بتاريخ العرب القديم لاستخراج المجهول المطلوب. على اني ارجو ان اذكر لحضرتهِ بياناً بسيطاً غير محتاج الى بحث كثير وهو

ورد في التاريخ ان لغة مصر القديمة كانت هيروغليفية تثبت ذلك كتاباتهم وان العائلات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة كانت عائلات عربية او عمالقة او هكسوس او رعاة نزح رجالها الى مصر تحت قيادة الوليد بن دومع قادمين من اسيا من جهة الشمال الشرقي واستولوا على الوجه البحري ثم على الوجهين اذ خضعت لسلطانهم دولة الفراعنة وفي عهد احد ملوكهم الريان جاءت السيارة بيوسف الصديق عليهِ السلام الى آخر ما هو معلوم . وقد حكمت هذه العائلات الثلاث على مصر نيفاً وخمسماية سنة وشهدت لهم ثقات المؤرخين بالاعمال الحسنة في عمارة البلاد المصريَّة وزيادة ثروتها

وورد في التاريخ ما كان من استيلاء الامم والشعوب الاجنبية على مصر كاليونان والفرس الخ

اذا عرفنا ذلك نقول ان اللغة الهيروغليفيه ليست هي اللغة القبطية كما هو مشاهد من رسم حروف الاثنتين . وان هذه الامم الاجنبية التي فتحت مصر ومنهم العرب واخضعت اهلها ابتدأت تبث فيها لغتها اذ لا شيء يخطر على فكر الفاتح الظافر قبل اي عمل الاَّ بث لغته في البلاد المفتتحة ولا شيء يخطر على فكر المغلوبين الا معرفة لغة الغالبين للتقرب منهم والحظوة فكانت مصر كلما حكمتها عائلة وطنية انقلبت الى لغتها الاصلية وكلما فتحتها اخرى اجنبية انقلبت الى الرطانة الغريبة تمزج من الاولى وابناء مصر تخرج كل ناشئة منهم بلغة جديدة حتى تكونت اللغة القبطية او المصرية الحديثة فجمعت من كل هذه اللغات لغة شابهت في بعض اصواتها الهيروغليفيه والعربية والحبشية والفارسية وفي بعض شكلها اليونانية الخ. فاذا اثبت لي حضرتهُ ان هذه الكلمات المستعملة الآن بالعربية وواردة في اللغة القبطية لم تكن اصولها من لغة من لغات اولئك الفاتحين كما قدمنا اثباتا يقنع السائل المستفيد مثلي رضخت لبرهانهِ واعظمت امر كتابهِ كما اعظمهُ حضرة الفاضل الباحث المصري الذي اتهمني ايضاً انني انما هاجمت صاحب الكتاب بالدين وانهُ يخشى ان اكون السبب في اقفال هذا الباب ثانية كما أُقفل باب الاجتهاد سابقا على انهُ لو انصفني لاكتفى بايضاح ما يعلمهُ دون ان يحمل ما كتبتهُ على ذلك المحمل الخشن على ان ما اوردهُ حضرتهُ برسالتهِ هو قول بعض الناس لا كلهم وقد خالفهم في رأيهم هذا كثيرون كما يظهر لمن يطلع على كتاب الاتقان في علوم القرآن للعلامة جلال الدين السيوطي الذي منهُ اورد حضرة الباحث المصري ما اورده'

ويرى من ذلك انهُ اذا قال قوم بدخول كلمات اجنبية على القرآن فقد نفت ذلك اقوام شأن افراد كل لغة ولا بأس بذلك اذ الحقيقة بنت البحث . وقد اورد كل ذلك العلامة جلال الدين في كتابهِ حتى يرى العالم الحديث كيف كان يتباحث السلف الصالح لكي يهتدي الى الحقيقة. فمن الظلم ان نبتر الكتاب فنذكر ما يوافق مصلحتنا ونتجاهل ما يناقضها فنخبط في ديجور ظلمات النقص والبتر فتضيع الضالة المنشودة — والحاصل انهُ لا يمكن اثبات دعوى حضرة المناظر الاَّ باثبات امور (١) ان يثبت لنا ان العرب ما تكلمت بهذه الالفاظ قبل ظهور اللغة القبطية ولا في عهد الظهور بل تكلمت بها بعده' (٢) بعد اثبات ذلك يثبت لنا ان المصريين ما اخذوا هذه الالفاظ من الامم المتغلبة على مصر كالفرس واليونان والعرب العمالقة فاذا اثبت ذلك ثبتت صحتهُ وسلمنا لهُ والاَّ فالحكم على بعض الفاظ من لغة بانها مستعارة من لغة اخرى بلا دليل لا تطمئن اليهِ النفس ولا يسلم بهِ عاقل

حاصبيا محمد فاضل

باب التقريظ والانتقاد

حريق مكتبة الاسكندرية

رسالة وضعها حضرة الخوري بولس عويس شرح فيها تاريخ مكتبة الاسكندرية او مكتبتيها واقام الادلَّة على ان البطريرك تيوفيل لم يحرق المكتبة التي كانت في السيرابيوم خلافًا لما زعمهُ البعض وعاد الى ما رواهُ عبد اللطيف وابو الفرج من ان مكتبة الاسكندرية حرقها عمرو بن العاص باذن الخليفة عمر بن الخطاب واستدلَّ على صحة ذلك بما رواهُ صاحب كتاب كشف الظنون وهو ان العرب كانوا في صدر الاسلام يحرقون ما يجدونهُ من الكتب في فتوحات البلاد وبما قالهُ ابن خلدون في مقدمتهِ وهو

"ولما فتحت ارض فارس ووجدوا فيها كتبًا كثيرة كتب سعد بن ابي وقاص الى عمر ابن الخطاب يستأذنهُ في شأنها وتنقيلها للمسلمين فكتب اليهِ عمر اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هدًى فقد هدانا الله باهدى منهُ وان يكن ضلالاً فقد كفانا الله فطرحوها في الماء او في النار وذهبت علوم الفرس فيها عن ان تصل الينا"

وخطأً من استدلَّ على حرق ثيوفيل لمكتبة السيرابيوم بما اوردهُ اوروسيوس الاسباني لان اوروسيوس انما قصد مكتبة المتحف التي حرقها الرومانيون. وقد ايَّد الدكتور بطلر ذلك في كتابهِ الحديث عن فتح مصر والاسكندرية فقال ان اوروسيوس لم يذكر السيرابيوم وانما كان يتكلم عن المكتبة الاصلية التي كانت في الميوزيوم واورد نص عبارتهِ اللاتيني . لكن الدكتور بطلر يعتقد ان مكتبة السيرابيوم تلفت او تفرَّقت او أُخرجت من الاسكندرية قبل زمن الفتح واقام ادلة كثيرة على ذلك ربما اتينا على ذكرها في فرصة اخرى . والمسأَلة تستحق البحث من وجهتها التاريخية اما الاستدلال بها على اخلاق الناس في الحروب والثورات فسقيم واسقم منهُ الاستدلال بها على صحة معتقدهم او فسادهِ لان الذين يرون موجبًا لامتشاق الحسام وقتل اخوتهم وحرقهم لا يكبر عليهم حرق ما يتملكون لاقلّ موجب وحبذا لو خلت هذه الرسالة من قوارص الكلم لانها لا تزيد حجة كاتبها تاييدًا ولا تنقض حجج خصمهِ

مجلة السيدات والبنات

وهي مجلَّة نسائية للعائلات تصدر في اول كل شهر لصاحبتها السيدة روزة انطون ناظرة

مدرسة البنات الاميركية بالاسكندرية . غرضها نشر كل ما يفيد نشره السيدات والبنات وهي لا تبحث في غير مباحثهن ولا تنشر رسائل لغيرهن . وقد استعانت حضرة صاحبة هذه المجلة بشقيقها الكاتب البليغ فرج افندي انطون منشئ مجلة الجامعة الغراء

وفي الجزء الاول الذي صدر من هذه المجلة ترجمة امرأة من شهيرات النساء وكلام عن التربية الادبية والتربية الجسدية وواجبات ربة البيت . ومراسلات بين بنات وسيدات شرقيات واخبار عن نساء الغرب ونساء الشرق وقصة شهرية وجيزة وكلام عن موضة الشهر مع رسوم وتفاصيل لها . فنثني على حضرة السيدة صاحبة المجلة ونتمنى لمجلتها النجاح

المباحث العصرية

هو مجموع مباحث ادبية اجتماعية قضائية الفهُ حضرة الباحث المجتهد ناشد افندي حنا احد طلبة مدرسة الحقوق الخديوية واهداهُ الى حضرة عمهِ القاضي الفاضل عزتلو يسى بك عبد الشهيد وقد اعرب المؤلف عن سعة اطلاع كما يظهر من استشهادهِ بكثير من الكتب والمجلات الاوربية الحديثة . اما المواضيع التي طرقها فمنها حقوق المجرمين والتنويم المغنطيسي والسكر واضرارهُ والاحسان وحقوق الانسان الطبيعية . ومن يقرأ الفصول كمن يقرأ مجلة من المجلات الاوربية الشهيرة كمجلة العالمين ونحوها

تهانئ الدكتور بلس

كراسة جمعت فيها بعض التهانيء التي رفعت الى استاذنا الفاضل الدكتور بلس عند استعفائهِ من رئاسة المدرسة الكلية السورية الانجيلية وهي بالعربية خطبة لحضرة مراد افندي باروي الصيدلاني وخطبة لحضرة الاستاذ جبر ضومط ورسالة من اميركا من ثلاثة من تلامذتهِ وهم نعمة افندي يافث وسليم افندي ابرهيم الخوري والدكتور سعيد ابو جمره وقصيدة للاستاذ ابرهيم الحوراني . وبالانكليزية كتاب من استاذنا الفاضل الدكتور ورتبات وكتاب آخر من حضرة قسطنطين افندي خوري ترجمان قنصلاتو اميركا في بيروت وخطبة لحضرة الدكتور هنري جسب . ونشر في اول هذه الكراسة ترجمة الدكتور بلس ورسمهُ منقولين عن المقتطف . ولقد احسن جامعوها وناشروها لان سير الفضلاء واعمالهم خير ما تزدان بهِ الصحف والدكتور بلس فضل على السوريين خصوصا والشرقيين عموماً لا يقومون بشكرهِ مهما تكرر نشرهُ

حادثة المنشاوي

حادثة المنشاوي معروفة في هذا القطر لا تحتاج الى التعريف وقد نظمها حضرة الشاعر المشهور احمد افندي محرَّم في ارجوزة بديعة سماها ارجوزة محرَّم او قول الراوي في حادثة المنشاوي . وهو شاعر مطبوع يطيعهُ القريض كيف شاء وكنَّا نظن انهُ يتحامى في هذه القصيدة اموراً ينكرها غيرهُ او لم تقم الادلَّة على اثباتها بالوضوح الذي اثبتها بهِ كقولهِ ناسباً الفعل الى المأمور

فامر الخدَّام والعبيدا ومَن رآهُ بطلاً صنديدا
ان يحضروا العصي والحبالا ويفعلوا بامرهِ الاهوالا
فعذبوا اللصوص حين ذاكا وقيل ذوقوا الموت والهلاكا

وكقولهِ ناسباً الفعل الى رئيس النيابة حينما بُلّغ شكوى المدعين انهم عذّبوا

فاهتزَّ من فرط السرور والطرب وقال يا بشرى بادراك الارب
اليوم اشفي غلة الفؤادِ وادرك الثار من الاعادي
لا بدَّ من اذلال ذاك الرجلِ لينقضي نفوذهُ ويتجلي
لا بدَّ من هذا ليدري الكلُّ ان العزيز عندنا يذلُّ
ويعلم الجميع ان الامرا للانكليز منذ جاؤوا مصرا

فاذا اطلع على هذه الارجوزة مَن لا يعرف احوال القطر المصري حسب اننا عدنا الى عصر المماليك . لكن قد يغتفر في الشعر ما لا يغتفر في النثر

المكتشفات المصرية

اجتمعت جمعية النقب عن الآثار المصريّة ببلاد الانكليز في ٧ نوفمبر الماضي وخطب رئيسها السر جون اقانس خطبة الرئاسة فذكر اولاً الذين توفوا من اعضائها في غضون العام الماضي ثم انتقل الى الآثار التي كشفت في ذلك العام فقال :

ان من النتائج التي نتجت في العام الماضي اضافة اسم الى اسماء الملوك الذين حكموا القطر المصري قبل عصر الدولة الاولى من الدول المصريّة فصارت هذه الاسماء خمسة كا ورو وززر ونارمار وسما . ومما وُجد من الآثار القديمة قطع من الصوان في شكل الشنار والفؤوس والمقاشط والسكاكين . ووجدت قطعة من الصوان في شكل رأس ثور وقطعة اخرى في شكل تمساح وقطع مسننة الحد يظن الاستاذ بتري انها كانت مستعملة لنزع حراشف السمك

وقطعٌ هلالية وهي غريبة الشكل . ووجدت آنية كثيرة من الحجر ولكنها مكسَّرة كلها وآنية الحجر والخزف كثيرة وادوات من البرونز مختلفة الاشكال وعظام منقوشة نقشاً بديعاً . وقد وجد كثير من الخرز والعوذ وصفائح التقادم فاغنت المتاحف التي اضيفت اليها وطُبعت هذه الخطبة في كراسة اهديت الينا نسخة منها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) نقصان مياه الارض

بغداد . يوسف افندي يعقوب مسيح . وقفنا على ما جئتم به من اجواب في الجزء الاول من مقتطف هذه السنة من ان مياه الارض آخذة في النقصان لدخولها في الاجسام المتبلورة وعليه فستجف الارض يوماً ما كما جفَّ القمر . ولا مشاحة ان جوابكم صادر عن يقين بميزانية المياه الارضيَّة التي منها استدللتم على نقصانها وقررتم على جفافها يوماً ما فما دليلكم على ذلك مع تحديد المدة التي تجف فيها الارض.

ج ان القول بنقصان مياه الارض وجفافها مبني على الاستقراء والتمثيل اما الاستقراء فيدلُّ على ان الاجسام الذائبة او المصهورة تتبلور حينما ترسب او تبرد فينحبس فيها الماء التبلور ولما كانت حرارة الارض آخذة في الاشعاع فلا بدَّ من ان يزيد بردها فيزيد التبلور وكذلك ترسب الذوائب منها مع الزمان والتمثيل يدل على ان القمر قد جفَّ الآن او قرُب من الجفاف ويعلم من بعض الادلة انهُ شاخ ولو كان احدث من الارض عهداً لانهُ اصغر منها جرماً فاذا شاخت الارض مثلهُ فمن المرجح انها تصير مثلهُ خالية من الماء . اما مقدار الماء الذي يدخل سنويًّا في الاجسام المتبلورة فلا سبيل لمعرفته بالتدقيق ولا لمعرفة الزمن الذي تجفُّ فيه مياه الارض . لكن علم بالبحث ان سمك قشرة الارض في القارات كلها نحو عشرة اميال وان الماء في صخور الارض نحو ٢/١ ٢ في المئة فمقدار الماء الذي في صخورها طبقة عمقها ٢/١ من العشرة الاميال او ١٣٠٠ قدم ويوجد

الماء ايضاً في الصخور التي تحت البحار لكن سمك هذه الصخور قليل ولذلك قدَّر الاستاذ دانا خسارة ماء البحر من حين اخذت الصخور تتكوَّن الى الآن بما سمكهُ ٨٠٠ قدم من ماء البحر فاذا قدَّرنا عمر الارض من حين شرعت صخورها بالتكوُّن الى الآن مئة مليون سنة وظلت المياه تدخل في تركيب الصخور على معدل ما دخلت في العصور الغابرة وحسبنا متوسط عمق البحر ١٦٠٠٠ قدم فلا تزول المياه كلها الاَّ بعد مئتي مليون سنة

(٢) انتقال جبل

ومنهُ . نقل الينا احد معارفنا انهُ طالع في احدى مجلات لفربول منذ اربع سنوات عن انتقال جبل عظيم في فرنسا يبلغ ارتفاعهُ ٣٨٠ متراً وان هذا الجبل ظلَّ يسير ثلاثة عشر يوماً حتى وقف بالقرب من جبل آخر تجاههُ فهل لذلك من صحة

ج فيهِ شيءٌ من الصحة فان جانبًا من جبل انقدَّ ومال رويدًا رويدًا الى ان انهدم على قرية فخربها وقتل كثيرين من سكانها وامثال ذلك كثيرة في البلدان الجبليَّة ولاسيما التي تقع فيها الامطار الغزيرة والثلوج الكثيرة فان المياه تحفر سفح الجبل حتى يميل ثم يتدهور بثقلهِ ويسرع فعلها بتراكم الثلوج عليهِ

(٣) السيمياء

كفر الزيات . ناشد افندي فريد . ما هو علم السيمياء وبماذا تعللون المناظر التي يراها الانسان كأنها حقيقيَّة

ج جاء في كتب اللغة ان السيمياء إحداث مثالات خياليَّة لا وجود لها في الحس وقد يطلق على ايجاد تلك المثالات بصورها في الحس . ويظهر من هذا التعريف انها نوع من الاستهواء فيؤثر انسان في آخر ويقنعهُ بانهُ يرى خيالات فيراها كما يقنع المتوّم المنوَّم بانهُ يرى ما لا وجود لهُ فيراهُ . وتعليل ذلك ان للمحسوسات كلها صوراً في ذهن الانسان فللتفاحة صورة وللبرتقالة صورة وللفرس صورة وهلمَّ جرًّا فاذا ذُكر اسم شيءٍ من هذه المسميات فالغالب ان يلتفت العقل الى صورتهِ الذهبية كما يلتفت اليها اذا رآهُ فان كانت عيناهُ مفتوحتين ترىان ما امامهما وكان ذهنهُ مشغولاً بما يراهُ لم تتمثَّل لهُ الصورة العقليَّة جيدًا ولكن ان كانت عيناهُ مغمضتين وكان ذهنهُ غير مشغول بما يراهُ بل بما يشعر بهِ في الداخل تمثلت لهُ الصورة الذهنيَّة واضحة فيراها كأنها في الخارج . ويكثر حدوث ذلك في المواجس والحميات . ثم اذا ضعفت القوة المميزة بالنوم او بالتنويم او بالمرض تعذر على المرء ان يحكم بان ما يراهُ صورة عقليَّة لا وجود لها في الخارج فيبنى على شعورهِ الاول وهو انها صورة شيءٍ حقيقي ولذلك يحسب النائم انهُ يرى ما يحلم بهِ حقيقة ويحسب المحموم ان الصور الخيالية التي يتصورها اشباح حقيقية

(٤) الحسد

ومنهُ . هل الحسد حقيقي او هو اشبه بالحب

ج الحسد شعور حقيقي في النفس فيتألم الحاسد من نعمة غيرهِ ويتمنى زوالها . وهو متولد اصلاً من الجياد وطلب الكسب والشعور بالالم عند الخيبة . فاذا قوي هذا الخلق في انسان ولم يُصلَح بالتربية وتهذيب النفس بقي يشعر بالخسارة كما رأى ربحاً لغيره . وهو خلق في النفس مثل الحب والكرم ولكنهُ خلق رديء يضرُّ ولا ينفع

(٥) فعل الحشيش

ومنهُ . هل الحشيش يذكي العقل كما يقولون

ج قد يحدث عنهُ شيء من التنبه اولاً ولكن يعقبهُ خمول ونتيجتهُ ضعف العقل واختلال قواه ولذلك فاكثر المجانين في بيمارستان المجانين في هذه العاصمة من مستعملي الحشيش

(٦) لبس الصوف

ومنهُ . ايهما افيد استعمال الصوف ملاصقاً للبشرة او منفصلاً عنها بقميص من القطن مثلاً

ج ملاصقاً للبشرة لانهُ يمتص المواد الدهنية من البدن ويحفظ حرارتهُ ويقيهِ من الحر والبرد

(٧) عدوى الزهري

ومنهُ . يقولون انهُ توجد اجسام لا تتأثر من الداء الزهري ولا تصاب بهِ مطلقاً فهل ذلك صحيح

ج يقول الباحثون في هذا الموضوع ان الامم التي تصاب بهذا المرض ويستمرُّ فيها زماناً طويلاً يتطعَّم دمها بهِ حتى يضعف فعلهُ بها وحينئذٍ قد يتعرَّض لهُ بعض افرادها ولا يصابون بهِ او تكون الاصابة خفيفة يتغلَّب عليها دمهم من غير ان تظهر اعراضها فيهم

---

(٨) العلم والتعصب

سان باولو بالبرازيل . الخواجه ابرهيم شحاده فرح . لقد اكثرت مجلاَّتنا العلمية وجرائدنا العمرانية من البحث عن اسباب انحطاط الشرق واجمعت على ان الاسباب الرئيسة لانحطاطهِ هي الجهل والتعصُّب الديني وقالت ان الاول اصل والثاني فرع فمتى زال الاول زال الثاني . غير اننا نرى اكثر المتعلمين من الشرقيين اشد تعصُّباً من غيرهم واكثر تأييداً للجامعة الدينيَّة فاذاً ما هو الدواء الناجع لازالة التعصُّب الديني من الشرق والمشارقة

ج اننا اذا ذكرنا فائدة العلم في هذا المقام اردنا بهِ التربية العقلية والادبية فاذا أُحسنت تربية الناس حتى تهذَّبت اخلاقهم ورسخ في نفوسهم ان الدين من وسائط تهذيب النفس لا من وسائل الكسب ونفوذ الكلمة زال منهم الجهل الذي يؤدي الى التعصُّب الديني . اما الذين يتعلمون ولا تتهذب اخلاقهم

فيكتفون باتخاذ العلم وسيلة للكسب واذا وجدوا في التعصب الديني مغنماً التمسوهُ وتذرعوا بهِ للكسب

(٩) التعصب الجنسي

ومنهُ . نرى التعصب الجنسي او الوطني بالغاً مبلغاً عظيماً في هذه البلاد وكذلك نقرأ عن البلدان الاوربية حتى اصبح الاجنبي مهضوم الحقوق غالباً وقلما تبرئ الحاكم اجنبياً اعتدى على وطني . فهل ترون ان هذا التعصب من واجبات الامم الحية المرتقية ومن لوازم العمران او هو وهم يزول في مستقبل الايام كما زال قبلهُ التعصب الديني في اوربا

ج هذا التعصب الجنسي كان لازماً في اوائل العمران لما كانت اسباب المعيشة قليلة او صعبة المنال اما الآن فلم يبقَ لهُ موجب عند الامم المرتقية بل صارت هذه الامم تسرُّ بمن يضاف اليها وتعدهُ كسباً كما تسرُّ بزيادة مواليدها ولذلك نجد الانكليز يكرمون الالمانيين الذين نزلوا بلادهم واستوطنوها مثل عائلة بارنغ ومثل مكس ملر ونجد الناس من كل الامم تهاجر الى الولايات المتحدة الاميركية وتستوطنها ولا يشكو الاميركيون الا من البُهَّل والكسالى الذين يعيشون من تعب غيرهم ولا تكتسب البلاد منهم . فالعمران آيل الى ازالة التعصب الجنسي من الذين يستوطنون بلاداً واحدة ولكنهُ لم يصل حتى الآن الى ازالة هذا التعصب من بين الامم المختلفة مثال ذلك ان الامة الانكليزية لا ترضى بنجاح الامة الالمانية لانها تعدها مزاحمة لها ومناظرة اياها في الجهاد العام . وسيزول هذا التعصب ايضاً اذا كثرت الخيرات وسهلت اسباب المعيشة جدًّا وقلَّ العائشون على اكتاف غيرهم من اهل السيادة الذين يقسمون الامم ليسودوها

---

(١٠) الجنين او الوالدة

بيروت . ج . ز . دعي طبيب لتوليد امرأة حامل فوجد انهُ لا يستطيع ان ينقذها وينقذ جنينها معاً ولا بدَّ لهُ من المجازفة في واحد من الاثنين لتخليص الآخر فاي نفس اولى بالتخليص

ج تخليص المرأة اولى لانها اثمن عند الامة بما أُنفق على معيشتها وتربيتها ولان الحياة مقدورة لها اكثر مما هي مقدورة للطفل فان الاطفال يموت نصفهم قبل السنة الرابعة او الخامسة واما النساء فلا يموت نصفهنَّ في خمس سنوات ولا في عشر سنوات

---

(١١) شرب الماء السخن

اخميم . مرقس افندي ميخائيل اعتدت شرب الماء السخن قبل الفطور قدر نصف فنجان شاي فرأيت انهُ مفيد في تقليل كمية شرب الماء نهاراً فهل من ضرر يحتمل حصولهُ في المستقبل من شرب الماء السخن

ج ان شرب الماء السخن لا يضرّ بل ينفع ولاسيما قبل الاكل لانهُ يغسل جدران المعدة من المادة المخاطية التي تكون لاصقة بها فيقوى فعلها على هضم الطعام سريعاً . ولا نرى وجهاً لحصول الضرر منهُ في المستقبل الا اذا اعتادتهُ معدتكم ثم اضطررتم ان تبطلوهُ . ولذلك لا يحسن بالمرء ان يعوّد جسمهُ شيئاً وهو لا يستطيع ان يستمر عليهِ

(١٢) الماء والطلمبا

ومنهُ . اذا غرزت طلمبا في ساقية عمقها ستة امتار وانزلت الطلمبا ستة امتار أُخرى فهل يصعد الماء فيها بدون آلة رافعة

ج لم يتضح لنا مرادكم ولكن ان كنتم تريدون هل يصعد الماء في انبوب الطلمبا اثني عشر متراً فالجواب انهُ لا يصعد اذا كانت المروحة او الاسطوانة التي تحدث الفراغ عالية ١٢ متراً عن سطح الماء. لان الماء يرتفع في الطلمبا بضغط الهواء الجوي وهذا الضغط يساوي نحو ٣٤ قدما من الماء فاذا حصل فراغ فوق الماء ارتفع فيهِ نحو ٣٤ قدما لا اكثر ولكن اذا وضعت المروحة على علو تسعة امتار فوق الماء وارتفع الانبوب فوقها ثلاثة امتار اخرى او اكثر ارتفع الماء فيهِ حسب قوة الآلة الرافعة



عجائب الراديوم

الراديوم عنصر من عناصر الارض اكتشفهُ المسيو كوري وزوجتهُ منذ نحو خمس سنوات كما ذكرنا في جزء فبراير سنة ١٨٩٩ وقد ثبتت لهُ الآن خاصة جديدة لم تثبت لغيرهِ من العناصر وهو انهُ تتولَّد منهُ الحرارة من غير ان يحدث فيهِ اقل تغير كيماوي او نحوهِ وتشع منهُ هذه الحرارة الى ما حولهُ ثم يتولَّد غيرها فيهِ وهلم جرًّا كأنهُ يجمع بعض القوة من الاثير المحيط بهِ ويحولها الى حرارة .

اكتشف هذه الخاصة المسيو كوري وزوجتهُ واطلع عليها اكادمية العلوم بباريس فانهُ وجد ان حرارة ملح الراديوم تكون اعلى من حرارة الهواء المجاور لهُ درجة ونصف درجة بميزان سنتغراد وتبقى كذلك دائماً فاذا وضع في الثلج اذابهُ وتبقى حرارتهُ اعلى من حرارة الثلج درجة ونصف درجة ولو استمرّ وضع الثلج حولهُ اشهراً

وقد ثبت قبل الآن انهُ يخرج من الراديوم اشعة اذا وقعت على لوح مدهون ببلاتينو سيانيد الباريوم او كبريتيد التوتيا جعلت ذلك اللوح ينير كأن فيهِ مادة فصفورية .

وامتحن السر وليم كروكس ذلك امام الجمعية الملكية ببلاد الانكليز في اواخر الشهر الماضي (مارس) فبيَّن للحضور انهُ يصدر من الراديوم ذرات صغيرة جدًّا تقع على اللوح المشار اليهِ فتنير حالما تصيبهُ كما تنير قنابل المدافع حينما تصيب الغرض . ويختلف النور البادي على اللوح باختلاف نوعهِ كما ان المطر الواقع على لوح قد يبلّهُ كلهُ وقد يجمع نقطًا منفردة . وكان مع السر وليم كروكس مقدار قليل جدًّا من ملح الراديوم وهو بضع ميليغرامات لكنهُ ابان ان كل جسم يلمسهُ ينير بهِ اللوح المذكور آنفًا كأنهُ دهن بالفصفور ومع ذلك يبقى ملح الراديوم على حجمهِ ووزنهِ ولا يظهر فيهما اقل نقص

اما انارة الراديوم للاجسام المتصلة بهِ فانها شبيه في الاجسام الفصفورية وفي الفصفور نفسهِ ولكن إشعاعهُ الحرارة من غير ان تقل حرارتهُ لم يكشف لهُ مثيل في الطبيعة حتى الآن وهو اغرب اكتشافات العصر. وقد ابان المسيو بكرل قبلاً ان عنصر الاورانيوم يشع اشعة تؤَثر في الواح التصوير الشمسي كما ذكرنا غير مرة الآن المسيو كوري وزوجتهُ بينّا الآن ان الراديوم اقوى من الاورانيوم من هذا القبيل خمس مئة الف ضعف . واشعةّ الراديوم هذه شديدة الفعل فسيولوجيًّا فاذا وضع في زجاجة ووضعت الزجاجة قرب جلد الانسان بضع ساعات قرَّحتهُ لانها تتلف بشرتهُ وادمتهُ اي الجلد الظاهر والباطن ولكن لا يتصل فعل الراديوم الى النسيج الخلوي الذي تحت الجلد فلا يغور الجرح في الجسم بل يبقى سطحيًّا . واذا كانت الاعصاب قريبة من سطح الجلد اماتها . وهذه الافعال كلها من الغرائب التي لم يعهد لها مثيل

رئاسة المدرسة الكلية السورية

يحتفل في العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر مايو المقبل بتنصيب الدكتور هورد باس رئيسا للمدرسة الكلية الاميركية في بيروت. وقد أُرسلت اوراق الدعوة الى هذا الاحتفال بامضاء المستر مورس جسب رئيس لجنة وكلاء المدرسة في اميركا والمستر سورت ضدج سكرتيرها. فتتلى في اليوم الاول وهو يوم الاحد خطاب موضوعها اسس الايمان الديني وتجتمع في اليوم الثاني جمعيات المدرسة العلمية والادبية وتلعب فيهِ الالعاب الرياضية ويسمّى يوم التلامذة . وتتلى في اليوم الثالث خطب من التلامذة المنتهين والذين تخرَّجوا في المدرسة وتولم لهم وليمة ويستقبل الرئيس السابق الرئيس الجديد والاساتذة وزوجاتهم في النادي الجديد المسمى بنادي بوست . وتتم في اليوم الرابع مذاكرات ومحاورات علمية .

هبات اميركا لسوريا

بينا نرى اهالي القطر المصري يبذلون

الجيد في جمع المال لانشاء مدرسة عالية في الاسكندرية فلا يجتمع لديهم عشرة آلاف جنيه نرى لجنة وكلاء المدرسة الكلية السورية تجمع لها المال من محسني اميركا بمئات الالوف فقد اتصل بنا حين كتابة هذه السطور ان اللجنة المشار اليها عزمت على جمع نصف مليون ريال اي مئة الف جنيه وقد جمعت منها حتى اوائل الشهر الماضي ١٢٧ الف ريال اي اكثر من خمسة وعشرين الف جنيه ولا بدَّ من ان تنجح في جمع المال المطلوب ولكن تبقى فائدة تلك المدرسة لبلاد الشام قليلة جدًّا ما دامت حكومة البلاد تأبى الانتفاع بها

كيف تعشب الارض

من ينظر الى الاراضي القاحلة في هذا القطر وليس فيها نبات اخضر يعجب من نمو انواع مختلفة من النبات حيث لا يزرعها الانسان ولكن لو وقع المطر في هذا القطر كما يقع في غيره من الاقطار ما رأيت شبرًا من الارض خاليًا من النبات سواء زرعهُ الانسان فيهِ او لم يزرعهُ فان الرياح والطيور تنقل البزور من مكان الى آخر وتفرّقها على وجه الارض . مثال ذلك انهُ لما ثار البركان في جزيرة كراكاتوى سنة ١٨٨٣ لم يبقَ فيها حيًّا لا حيوانًا ولا نباتًا ثم زار الدكتور ترب تلك الجزيرة بعد ثلاث سنوات فوجد بعض الطحالب اخذت تنمو على الحمم البركانية فغطتها بمادة غروية حالت الطبقة الظاهرة منها وجعلتها تربة صالحة لنمو الاشنان فنمت وبلغت انواعها حينئذ اثني عشر نوعًا ونمت معها نباتات اخرى من ذوات الازهار

وسنة ١٨٩٧ زار الجزيرة جماعة من علماء النبات فوجدوا انواع النبات قد كثرت فيها حتى بلغت ٥٣ نوعا ورجحوا ان اربعة انواع منها حملتها الطيور الى الجزيرة و ١٨ نوعًا حملتها الرياح و٣٢ حملتها امواج البحر والقتها هناك . والجزيرة تبعد عشرين ميلاً عن جاوى وعشرين ميلاً عن سمطرة ولا يعلم ان انسانًا نقل اليها بزرة واحدة من بزور النباتات التي نبتت فيها

جواهر المادة

كان المظنون منذ بضع سنوات ان جواهر الاجسام هي اصغر جزءٍ يمكن الوصول اليهِ منها . ولا شبهة في انها صغيرة جدًّا لا ترى بالعين ولا باقوى انواع الميكرسكوب ولكن قد ثبت الآن وجود جواهر اصغر منها جدًّا سُمّيت بالالكترون او الايون (الشوارد) وقد قال السر اوليفر لدج في خطبةٍ خطبها حديثًا ان قطر الجوهر الفرد من الهيدروجين اكبر من قطر الشاردة من هذه الشوارد مئة الف ضعف. والشوارد تكون في الجوهر الفرد كالنمل في المدن واوضح ذلك بمثَل قائلاً هب

اننا كبّرنا الجوهر الفرد حتى صار مثل كنيسة كبيرة طولها ١٦٠ قدماً وعرضها ٨٠ قدماً وعلوها ٤٠ قدماً وكان فيها الف شاردة لا يكون جرم الشاردة منها أكبر من جرم النقطة التي توضع على الحروف المنقوط في هذه الصفحة . وبهذه الشوارد يعلل النور والكهربائية والجاذبيَّة والاستمرار وسنأتي على خطبة الخطيب في جزء تالٍ

هبات اميركية جديدة

وهب المستر جون ركفلر مئتي الف جنيه لمدرسة شيكاغو الجامعة ووُهبت تلك المدرسة هبات اخرى حديثاً يبلغ مجموعها ١٠٥٢٠٠ جنيه . وستنال مدرسة تولاين الجامعة مئتي الف جنيه من تركة المستر هتشنصن . ونالت مدرسة بنسلفانيا من الهبات في غضون السنة ما مجموعهُ ١٨٧٣٧٠ جنيهاً . ووهب المستر كجايت مدرسة كلجايت الجامعة عشرين الف جنيه بعد ان وهبها مئتي الف جنيه . والهبات التي مقدار الهبة منها عشرون الف جنيه وعشرة آلاف جنيه كثيرة فلا نتعرَّض لذكرها

ثوران بزوف

ثار بركان بزوف في اوائل الشهر الماضي واشتدَّ ثورانهُ في الحادي عشر من الشهر فقذف اعمدة كبيرة من البخار وقطعاً من الحمم الملتهبة ارتفع بعضها الف قدم في الجو

مصباح البكتيريا

يتذكر الذين زاروا معرض باريس ودخلوا قصر البصريات انهُ عرضت عليهم هنالك قناني صغيرة فيها سائل ينير في الظلام ولاسيما اذا حرّك . وسبب الانارة وجود احياء صغيرة تنير في الظلام كالاحياء التي ينير بها ماء البحر احياناً . وقد جاء من قيْنا الآن ان الاستاذ مولش صنع مصباحاً ينير بهذه الاحياء او الميكروبات فيبطَّن من الداخل بالملام وملح البارود وتزرع فيهِ الميكروبات المنيرة فلا يمرُّ يومان حتى يأخذ المصباح ينير بنور ساطع ويبقى نورهُ ساطعاً اسبوعين او ثلاثة

الاستاذ هركنس

توفي الاستاذ هركنس مدير مرصد الحكومة الاميركية في مدينة وشنطون وكان من علماء الفلك المعدودين تولّى ادارة ذلك المرصد وتدريس علم الفلك منذ سنة ١٨٦٣ وبهمتهِ صار مرصد وشنطون الشان الاول بين المراصد الكبيرة

رئيس المجمع البريطاني

انتخب المستر بلفور وزير انكلترا الاول رئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني في اجتماعه التالي سنة ١٩٠٤ في مدينة كمبردج ومتى صار وزراء البلاد رؤساء مجامعها العلمية عن دراية تامة فيشتدها بالنجاح التام

الكتابة الافرنجية القائمة

اثبت بعضهم ان الكتابة الافرنجية المائلة الحروف تجعل الكاتب ينحرف ويحرف عموده الفقري فتتشوه قامتهُ واشار ان يتعلّم الاولاد الكتابة القائمة الحروف فيسلموا من هذه الشائبة

شركات الترنسفال

في جنوبي افريقية ٣٥٠ شركة من الشركات الصناعيّة التجارية لاستخراج الماس والمعادن وما اشبه رأس مالها نحو ١٢٥ مليون جنيه

جرائد تلغراف مركوني

انشأت ست من السفن التجاريّة التي تسير بين اوربا واميركا جرائد اخبار تجمع الاخبار بتلغراف مركوني وهي في عرض الاوقيانوس وتطبعها وتنشرها على الركاب

امتلاك بركان

اشترى جماعة من الاميركيين بركانًا في بلاد المكسيك بمليون جنيه لكي يستخرجوا منهُ الكبريت الراسب حول قنتهِ

عاصفة بلاد الانكليز

ثارت عاصفة شديدة على البلاد الانكليزية في السابع والعشرين من شهر فبراير الماضي بلغت سرعة الريح فيها ٩٢ ميلاً في الساعة فقلبت قطارًا من قطارات سكة الحديد واقتلعت ما لا يحصى من الاشجار وقطعت اسلاك التلغراف ويقال انهُ لم تصب تلك البلاد بعاصفة مثلها منذ ٦٤ سنة الى الآن

مركبة مصرية قديمة

اضيف الى المتحف المصري في هذين اليومين الجانب الامامي من مركبة الملك تحتمس الرابع من ملوك الدولة الثامنة عشرة الذي كان قبل المسيح باكثر من الف وخمسماية سنة. وهو صفيحة من الخشب ملبَّسة بالمقوَّى من الداخل والخارج شكلها كنصف اسطوانة مجوفة خطوطها كابها منحنية انحناء جميلاً وسطحاها الظاهر والباطن مغطيان بالنقوش البديعة وعلى السطح الظاهر صورة واقعة حربية رمزية فترى على الجانب الايمن الملك واقفًا في مركبتهِ يجرها جوادان وقد اوتر قوسهُ وقتلى الاعداء وجرحاهم تحت عجل المركبة ومركبات جنودهِ سائرة امامهُ وعلى الجانب الايسر تراهُ واقفًا في مركبتهِ وقابضًا على نواصي اعدائهِ. والاعداء كلهم من شمالي سورية شم الانوف قصار اللحى كالاكراد او كالحثيين. وفي الوسط بين الجانبين صورة الآلهة بشت برأس لبوة وبدن صقر والشمس ذات الصلين فوق رأسها وتحتها الاسرى او امم الشمال مقيدين بالحبال بمصر العليا والسفلى. وعلى الظاهر والباطن كتابات ورموز كثيرة ربما اتينا عليها بالتفصيل في فرصة اخرى

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثامن والعشرين

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثامن والعشرين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٣ صفر سنة ١٣٢١

عمران العراق

(١) شرائع همورابي

سننشر في مكان آخر من هذا الجزء خطبة للسر وليم ولككس عن العراق وما يمكن ان يفعل فيهِ حتى يعود العمران اليهِ وتتدفق الخيرات منهُ كما كانت تتدفق على عهد سكانهِ الاولين من البابليين والاشوريين. وقد كُشف في تلك البلاد منذ عهد قريب كتابات قديمة فيها شرائع احد ملوكها الاقدمين المسمَّى همورابي كما ذكرنا في الجزء الثاني من هذه السنة . ورأينا الآن في جريدة التيمس مقالة مسهبة عن هذه الشرائع فلخصناها واضفنا اليها ما تتم بهِ الفائدة .

قال همورابي في فاتحة شرائعهِ . " انا همورابي الملك المجيد عابد الحي سننت شريعةً لنشر العدل في البلاد للشاهد والمدعي والمدعى عليهِ لكي يبيد الظالم ويُنصَف المظلوم ". هكذا بُدئت اعجب كتابة تاريخية كُشفت حتى الآن في اطلال المدن القديمة . وحينما نقرأُ ما كتبهُ هذا الملك الذي يجب ان يحسب ابا الشرائع والقوانين في كل زمان ومكان يعسر علينا ان نصدّق ان شرائعهُ هذه على ما فيها من الدقة سُنَّت قبل زمان موسى بالف سنة وقبل شرائع مانو وغيرهِ من المشترعين الاقدمين بل هناك ادلة كثيرة على ان بعض الشرائع التي جمعها كانت معروفة قبل زمانهِ

والاثر الذي وجدت هذه الشرائع مكتوبة عليهِ عمود من الصوان الاسود طولهُ ثماني اقدام اكتشفهُ المسيو دو مورجان في خرائب السوس في غرَّة العام الماضي فصوَّرهُ وقرأ الدكتور شيل الكتابة التي عليهِ وترجمها ثم نُشرت بامر نظارة المعارف الفرنسوية . وعلى العمود صورة هذا الملك واقفاً امام معبودهِ والمعبود جالس على عرش واللهب منتشر من منكبيهِ في

شكل جناحين وهو يملي على الملك هذه الشرائع . وفي رأي الدكتور شيل ان هذه الصورة هي صورة اله الشمس ولكن المرجح انها صورة الاله بل او اللو رب الجبل العظيم ويلقب في فاتحة الشرائع بالاله العظيم ملك الارواح ورب السماء والارض ويسمى هيكلهُ ببيت الجبل . وكان البابليون يعتقدون ان الاله "بل" يسكن جبل الارض ويعطي الشرائع للناس ويلبس على صدرهِ لوحاً فيهِ علم الغيب

والكتابة منقوشة على العمود في تسعة واربعين حقلاً فيها نحو ثلاثة آلاف سطر وهي سفينة متقنة جداً من الكتابة التي بقي ملوك بابل يستعملونها الى ما بعد اختراع الخط المعلَّق بزمن طويل كما يرى في كتابة الملك سرجون الثاني التي تاريخها سنة ٧٢١ قبل المسيح وهي الآن في متحف برلين

وتبتدئ الكتابة بذكر القاب الملك وتنصيب الآلهة لهُ ورفع بابل الى مقام العاصمة ونحو ذلك من الاخبار التي لولا ما يتلوها من نص الشرائع لعدَّت وحدها من اهم الكتابات التي كُشفت حتى الآن لكثرة ما فيها من الاخبار التاريخية كقولهِ " انا مسكن القبائل ومرشد الشعوب الذي ردَّ الى مدينة اشور صنمها الكريم وجعلهُ يشرق ببهائهِ الملكُ الذي جعل حلى الآلهة استار تشرق في هيكل نينوى " . فتبيَّن من ذلك ان اشور ونينوى كانتا معاصرتين لهُ

والشرائع تملأ تسعة عشر حقلاً مقسومة الى ٢٨٠ فصلاً وقد قال في مقدمتها " اقمت شريعة العدل في البلاد فاسعدتُ بها العباد " . هذا هو الاساس الذي بنى عليهِ الناس شرائعهم وبهِ نجحت الامم وسارت الممالك . ويجب ان يبدل القول القائل " العدل اساس الملك" بقول اصحّ منهُ واعمّ وهو العدل اساس العمران . العدل عمَّر بلاد العراق وقد خربت لما زال منها . ثم بيَّن السبب الذي دعاهُ الى كتابة هذه الشرائع على عمود فقال انهُ كتبها عليهِ ليراها المظلومون ويطلبوا الانصاف من الظالمين ونصبهُ في هيكل مُردخ في بابل ليراهُ الجميع . ويظهر من رسائلهِ التي وجدت هناك وهي الآن في دار التحف بمدينة لندن ان قولهُ هذا ليس من قبيل الدعوى بل كان ينصف المظلوم من الظالم حقيقةً ويهتم باضعف رعاياهُ كما يهتم باعظمهم. وقد كتب شرائعهُ بلغة بسيطة جداً خالية من كل تعقيد وابهام حتى يفهمها الفقراء والضعفاء ولذلك حقَّ لهُ ان يقول " اني كنت لشعبي كالاب لبنيهِ"

والشرائع تتناول كل معاملات الناس من الفرائض الدينية الى اجور العمال. ولها ثلاثة اصول تبنى عليها الاصل الاول مسئولية الانسان فيجازى بمثل ما فعل مع تخفيف الجزاء بالفدية. والثاني الاعتماد على القسم بالله كما في الشريعة الموسوية . والثالث لزوم المستندات المكتتبة . فان كل المعاملات التجارية والحقوقية كانت تقتضي صكوكاً مكتوبة ومختومة فلا يسلّم احد

مالاً او بضاعة لغيرهِ ما لم يأخذ منهُ وصلاً مختوماً بختمهِ تذكر فيهِ كمية المال ومفردات البضاعة

والشرائع المختصة بالارض على غاية الاسهاب كما هو الواجب في البلدان الزراعية . من ذلك ان الارض يجب ان تزرع واذا اهمل صاحبها زرعها يبقى مضطرًا ان يدفع المال عنها كما يُدفع المال عن الاراضي المجاورة لها . واذا تلف الزرع بسبب آفة جوية أُعفي صاحبهُ من ربا ما استدانهُ عليهِ من المال . ومن اتلف ارضاً بسبب ترعة حفرها لجر الماء الى ارضهِ وجب عليهِ ان يدفع لصاحبها قيمة ما اتلفهُ

وشرائع التجارة على غاية الاهمية كما ينتظر من بلاد راجت فيها التجارة ولاسيما ما يتعلّق منها بالعملاء والذين يجولون من مكان الى آخر لبيع البضائع . ومن البنود التي وردت في شأنهم ما يأتي : اذا ادَّعى بائع من هؤلاء الباعة ان العدو هجم عليهِ وسلب منهُ البضاعة واكّد دعواهُ بقسم يطلَق سراحهُ واذا سلَّم تاجر بضاعة الوكيل يتّجر بها وجب على الوكيل ان يكتب ما يستلمهُ من النقود ويسلمها للتاجر ويستلم منهُ وصلاً مختوماً بختمهِ. واذا وقعت خصومة بين اثنين او اكثر وجب على كلٍّ من المتخاصمين ان يبرز كل ما عندهُ من الشهود والمستندات

وكان بيع الخمر عندهم خاصاً بالنساء ولا يجوز لهنَّ بيعها الاَّ في مكان خاص بذلك ومن خالفت هذا الامر فعقابها الموت . وهذا عقاب بائعة الخمر اذا اسكر عندها الناس واجتمعوا ولم تسلمهم للقضاء

وكان للمرأة شأن رفيع عندهم كما يظهر من البنود التالية . اذا اشار رجل بيدهِ الى امرأة غيرهِ ولم يبرر نفسهُ يكوى في جبينهِ . لا يتم عقد الزواج الاَّ بتسجيلهِ . يجوز للرجل ان يطلق زوجتهُ اذا كانت عاقرًا والاَّ لزمتهُ نفقتها ونفقة اولادها وان يعطيها من ميراثهِ نصيب ابن من ابنائهِ ويجوز لها ان تتزوج رجلاً آخر . يجوز للمرأة ان تطلب طلاقها من زوجها فان طلقها فبهِ والاَّ فلا واذا كانت مريضة جاز لهُ ان يتزوج غيرها ولكن لا يجوز لهُ تطليقها

وشرائع الملك كثيرة وهي مبنيَّة على نظام المساواة وحفظ حقوق الضعفاء . مثال ذلك ما جاء في الكلام على الارملة التي تتزوج وهو

اذا ارادت ارملة اولادها قصَّر ان تتزوج وجب عليها ان تستأذن القاضي واذا اذن لها وجب عليهِ ان يسلم زوجها الثاني بيت زوجها الاول وممتلكاتهِ كلها ويأخذ عليهِ صكًّا بها مشترطاً عليهِ ان يعتني بها وباولاد زوجتهِ من زوجها الاول ويحفظ لهم املاكهُ ولا يجوز لهُ ان يبيع شيئًا منها وان باع يلزم المشتري رد ما اشتراهُ ويخسر ثمنهُ

وكانت المحكمة في الهيكل العظيم وهو في باب المدينة وهناك كانت خزينة الحكومة التي تدفع منها فدية الاسرى من رؤساء الجند

ثم قابل الكاتب شريعة همورابي بشريعة موسى وبيّن وجوه الاتفاق بينهما مثال ذلك في شريعة همورابي اذا ضرب انسان آخر في خصام وجرحهُ واقسم انهُ لم يضربهُ عن قصد يدفع اجرة الطبيب . وفي شريعة موسى " اذا تخاصم رجلان فضرب احدهما الآخر بحجر او بلكمة ولم يقتل . . . يكون الضارب بريئًا الاَّ انهُ يعوض عطلتهُ وينفق على شفائهِ " . ومن يشتم اباهُ يعاقب في الشريعة البابلية بقطع يديهِ وفي الشريعة الموسويَّة بالقتل . واذا نطح ثور رجلاً او امرأةً فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمهُ في شريعة موسى واما صاحبهُ فيكون بريئًا ولكن اذا كان ثورًا نطَّاحًا من قبلُ وقد أُشهِدَ على صاحبهِ ولم يضبطهُ فقتل رجلاً او امرأةً فالثور يرجم وصاحبهُ ايضاً يقتل ان وُضعت عليهِ فدية يدفع فداء نفسهِ كل ما يوضع عليهِ . وكذلك في شريعة همورابي يكون صاحب الثور بريئًا اذا نطح انسانًا وقتلهُ واما اذا نطح انسانًا وعرف صاحبهُ بذلك ولم يكسر قرنيهِ او لم يربطهُ لكي لا يخرج من دارهِ ثم نطح انسانًا آخر وقتلهُ وجب عليهِ ان يدفع ثلاثين شاقلاً من الفضة

ومن رأي الكاتب ان الشريعة الموسوية استمدَّت بعض اصولها من الشريعة البابليَّة لاسيما وان سلطة ملوك بابل كانت منتشرة في فلسطين قبل كتابة الشريعة الموسوية وعندهُ . ان اسرة همورابي عربيَّة الاصل . فالعرب هم الذين وضعوا تلك الشريعة

(٢) اصل اهالي بابل

بابل او العراق على ضفاف الفرات ودجلة في الدلتا المكوَّنة من طينهما وسننشر رسم البلاد كلها مع خطبة السر وليم ولكس . وقد كان بحر فارس في قديم الزمان ممتدًا شمالاً وحسب بعضهم انهُ يتأخر جنوبًا اكثر من مئة قدم كل سنة بدليل ان مدينة المحمرة كانت على ميل واحد من البحر في زمن الاسكندر المكدوني فصار بعدها عنهُ سنة ١٨٣٥ سبعة واربعين ميلاً اي بلغ انحسار ماء البحر ٤٦ ميلاً في ٢١٦٠ سنة او نحو ١١٥ قدماً كل سنة . والمرجح ان متوسط انحسار الماء لم يزد على مئة قدم في السنة من السنين الغابرة . ويعرف الآن ان مرفأ المملكة الكلدانيَّة القديمة كان مدينة اريدو حيث الخرائب المعروفة بالنواويس وهي الآن على مئة وثلاثين ميلاً من شاطئ البحر . او ٦٨٦٤٠٠ فقد كانت مرفأً لبلاد الكلدان قبل المسيح بستة آلاف وثمانمئة واربع وستين سنة اذا صحَّت القاعدة المتقدمة وهي ان انحسار الماء نحو قدم كل سنة

وعلى ثلاثين ميلاً من اريدو شمالاً خرائب مدينة اور المذكورة في التوراة باسم اور الكلدانيين ولا تزال انقاض هيكلها الى الآن واسمهُ المقيَّر اي المشيد بالقار ويظن الدكتور

بيترس ان قوماً من اهالي (نبور) نفار شمالي بابل هاجروا اليها وبنوها على رمال الصحراء قبلما صارت الارض التي بين الفرات ودجلة صالحة للسكن . ومن نبور واريدو نشأ العمران البابلي وانتشر في المسكونة . قال الاستاذ سايس ويسمَّى سكانها الاصليون باسم السماريين وكانوا يتكلمون لغة ممزوجة من لغات مختلفة وهم اوجدوا عمران بلاد بابل انشأوا مدنها وبنوا هياكلها واستنبطوا كتابة صورية جُزِمت الكتابة السفينيَّة منها وعلَّموا جيرانهم الساميين مبادئ العلوم والفنون . وبذلك على قدم عمرانهم ورسوخ قدمهِ ان عمران غربي اسيا كان جارياً بلغة السماريين وكتابتهم . ومهما كانت قبيلة الكاتب وامتهُ لم يكن يعبّر عن افكارهِ اذا اراد التعبير عنها كتابة الا بلغة السماريين وحروفهم

ومن السماريين تعلَّم الساميون سكن المدن فان الكلمة التي معناها مدينة في اللغة العبرانية وهي الو او أُهل معناها الاصلي خيمة . والكلمة التي معناها قصر وهي هيكل مأخوذة من السمارية فانها فيها اكل اي بيت كبير

ثم كثر الساميون في العراق وامتزجوا بالسماريين سكان البلاد الاصليين وامتزجت لغتهم بلغتهم فصاروا شعباً واحداً وصارت لغتهم واحدة اي مزيجاً من اللغتين الاصليتين . واصلح الساميون ما ورثوهُ من السماريين واختزلوا كتابتهم . وبلغت الكتابة حدها من الاتقان على المرجح في بلاط الملك سرجون وهو اول ملك انشأ مملكة سامية في اسيا . ويستدل مما قالهُ عنهُ المؤرخون البابليون انهُ كان قبل المسيح بثلاثة آلاف وثمانمئة سنة وامتدت سطوتهُ الى بحر الروم غرباً او الى جزيرة قبرص . وخلفهُ ابنهُ نرام سن ووصل في غزواتهِ الى جبل سينا واستخرج النحاس منهُ وكانت بلاد الشام خاضعة لهُ

وكثر الساميون في العراق وجاءهُ العرب وتغلبوا عليهِ وكان ملوكهُ منهم في زمن ابرهيم الخليل كما يظهر من اسمائهم المحفوظة الى الآن . وكان الكتّاب البابليون يسمونهم باسمائهم العربيَّة ويترجمونها الى اللغة البابليَّة . وفي ذلك الزمن جاء امير اسمهُ كلدة ونزل في بطائح الفرات ونشأ من نسلهِ الملك مردخ بلادان ملك بابل فسميت البلاد باسم قبيلتهِ بلاد الكلدانيين لانهُ حارب الاشوريين ومنعهم من التسلُّط على العراق

ثم جاء على البلاد اقوام من جبال عيلام وملكوها وهم الذين سمّاهم استرابون المؤرخ باسم الكوسان فصار اهالي بابل اخلاطاً من السماريين والساميين والكوسانيين ومتى اختلطت الامم قوي نسلها ولذلك فاق عمرانُ بابل عمرانَ نينوى . ووجد البابليون في ارضهم في خصبها الطبيعي وموقعها الجغرافي ما حملهم على اتقان الزراعة والتجارة والعلوم والفنون فكانوا

اهل زراعة وتجارة ووضعوا الهندسة والحساب لكي يحسنوا ري ارضهم وحفظ تجارتهم وركبوا بحر فارس وداروا حول بلاد العرب . وكانت بلادهم سهلاً لا حجارة فيهِ فبنوا بيوتهم باللبن المجفف في الشمس او المحروق بالنار وسقفوها بجزوع النخل وطلوها بالشيد ونقشوها وزوقوها فنشأت عندهم صناعة البناء وصناعة النقش

ولقلة الحجارة في بلادهم صاروا يحتفظون بكل حصاة يجدونها وينقشونها ويصنعون منها ختماً يختمون بهِ ما يريدون توقيعهُ اما كتاباتهم فكانوا يكتبونها على اللبن والاجر فكانت ابقى من القرطاس

(٣) معاملاتهم المالية

لو أُرسل رجل مثل لورد كرومر سفيرًا الى مدينة بابل في عهد ملوكها الاولين وطُلِب منهُ ان يخبر دولتهُ عن احوالها وانشأ في ذلك تقريرًا مسهبًا كما ينشئ الآن عن القطر المصري لبدأ تقريرهُ بوصف احوالها المالية لان المال المقياس الحقيقي لتقدم الممالك . وها نحن نجري مجراهُ ونلخص هذا الفصل عن احوال البابليين المالية لانهُ يُستدلُّ منها على تقدمهم في العصور الغابرة وعلى ما تحتملهُ بلادهم من التقدم لو أُصلحت ادارتها

وهذا الفصل ملخصهُ عمَّا كتبهُ الاستاذ سايس حديثًا في كتابهِ عن بابل واشور قال

كان لاقراض الدراهم المقام الاول بين الاعمال المالية التي كان البابليون يتعاطونها فانهُ كان من اربح اعمالهم ولم يكن احد يأنف من تعاطيهِ مهما كان مقامهُ رفيعًا حتى اولاد الملوك كانوا يدينون المال بربا فاحش ويرتهنون املاك المديون وكانوا يفعلون ذلك على يد وكلائهم ولكن اذا وقع خلاف بينهم وبين المديون فهم المطالَبون لدى القانون لا الوكلاء

والسبب الاول للدين في ما يظهر اضطرار الملوك الى جمع الضرائب للانفاق على جيوشهم قبلما تباع غلة الارض فكان المموَّلون يضطرون ان يقترضوا ما يوفوا بهِ مال الحكومة كما يفعل الفلاحون في مصر الآن

ونشأت عندهم بيوت مالية دامت مئات من السنين مثل بيت اجيبي فانهُ نشأ قبل ايام سنحاريب ودام الى ايام داريوس فكان مثل بيت روشيلد في هذا العصر . كان يقرض المال للمملكة والتجار ويوكل عن الناس في الاشغال والدعاوى وتودع عندهُ الصكوك والعقود ولا يزال كثير من صكوكهِ وسفاتجهِ وحججهِ محفوظًا الى الآن . وكان اهل بابل يوفون اصل الدين وربا هُ في زمن الموسم او يقسطونهما اقساطًا شهريةً او يقسطون الربا ويتركون الاصل حتى يدفع كلهُ دفعةً واحدةً . واختلف مقدار الربا عندهم فكان اولاً عشرين في المئة ثم قلَّ رويدًا رويدًا

حتى بلغ في عهد نبوخذنصر عشرة في المئة ثم قلَّ عن ذلك حتى بلغ اثنين في المئة لكن كان هذا في زمن ضعف بابل وقلة الطلب على النقود حتى ان واحداً من بيت اجبي اقرض رجلاً وامرأتهُ نقوداً من غير ربا مشترطاً عليهما ان يوفياهُ الاصل حينما تسود السكينة على البلاد وكان الدائن يرتهن املاك المديون ضماناً لدينهِ ويُشهد عليهِ الشهود مثال ذلك صك كُتب



صورة صك مكتوب بالقلم السفيني على قطعة من الآجر تاريخها اليوم الثامن من شباط في السنة التي ارتقى فيها نريغلاسر ملك بابل الى عرش الملك وعليهِ اسماء الشهود

في زمن الملك نبونيدس عن مال اسنِدين من واحد من بيت اجبي وهذه ترجمتهُ " منًا من الفضة مُلْك ندين مردخ بن اقبي بعل بن نورسن استلمهُ نبوبلادان بن ندين. سمي وبودهرت بنت شمس ابوس في شهر تسري وتعهدا بدفع المال ورباهُ ورهنا عند ندين مردخ بستانهما الاعلى المجاور لبستان سم يكين بن سانبوسو وبستانهما الاسفل المتاخم بيت سير

وهو مزروع نخلاً واذا عجزا عن ايفاء هذا الدين فلنَدين مردخ الحق الاول في هذين البستانين لا يحق لاحد ان يمتلكهما قبلما يستوفي الدين ورباه . وفي شهر تسري يثمن التمر الذي في النخل بسعره الجاري في مدينة سخرين ويأخذه ندين مردخ بدل الربا . والمديون استدان المال لايفاء الضريبة المفروضة عليه لاجل ابتياع الاسلحة لجنود الملك. شهد بذلك نيوبل سونو بن بواخي بن داهق ونبودني ابوس بن كنونة ونبوزيرا اوسابسي بن سمس بن يزوزو ومردخ ابرا بن ندين والكاتب بعل الدين بن بعل يجير بن دبيبو كتب في مدينة سخرين في الثامن والعشرين من شهر ايار في السنة الثالثة لنبونيدس ملك بابل "

وكانت نقودهم من الذهب والفضة كانوا يتعاملون بها وزناً في اول الامر وكانت نسبة الذهب الى الفضة عندهم في عهد نبوخذنصر كنسبة ١١ الى ١ اي ان المثقال من الذهب يساوي احد عشر مثقالاً من الفضة ثم زادت نسبة الذهب الى الفضة قليلاً في السنة الحادية عشرة من ملك نبونيدس خليفته فصارت مثل ١٢ الى ١ . وكانت معايير الذهب والفضة واحدة وهي الوزنة وتساوي ٦٠ مناً والمنا يساوي ستين شاقلاً . وقيمة الشاقل من الفضة ١٥ غرشاً مصرياً فقيمة المنا تسعة جنيهات وقيمة الوزنة ٤٥٠ جنيهاً . واستعملوا النحاس ايضاً في معاملاتهم ولكن استعماله لم يكن قديماً بل حدث في آخر زمان بابل . وكان اعتمادهم في المعاملات على الفضة وعلى المنا لا على الوزنة ولا على الذهب فهو كان المقياس وقد حُدّد وزنهُ في زمن الملك دنجي سنة ٢٧٠٠ قبل المسيح ووجدت قطعة من الحجر الصلب كُتب عليها ان وزنها منا وانها معايَرة مع منا نبوخذنصّر ملك بابل بن نبوبولصّر ملك بابل على المعيار الذي وضعهُ الملك دنجي. ووُزن هذا المنا فاذا هو ٩٧٨ غراماً واذا فرض انهُ خسر غرامين بالاستعمال فوزنهُ الاصلي ٩٨٠ غراماً هذا هو المنا الاصلي او السلطاني وكان عندهم منا آخر وزنهُ نحو ٥٦١ غراماً

وكانت قطع النقود توزن وزناً في اول الامر كما تقدَّم ثم صار وزنها محدوداً ولكنها بقيت تعاير وقت التعامل بها خوفاً من الغش. ثم صار ينقش عليها زنتها وقيمتها. والظاهر ان البابليين فعلوا ذلك من عهد ابرهيم الخليل وكان عندهم نقود مختلفة في زمن نبوخذنصّر قيمة الواحد منها شاقل او خمسة شواقل او خمسة اسداس المنا او ثلثاه او ثلثهُ او نصفهُ او ربعهُ او ثلاثة ارباعهِ . ومن رأي الاستاذ سايس ان البابليين هم اول من استنبط سك النقود وان الليديين واليونانيين تعلموا ذلك منهم

وقد ظهر من المكتشفات الحديثة انهُ وجد في بابل بيت مالي آخر مثل بيت اجيبي قبل المسيح بالفين وسبع مئة سنةٍ ولكن كانت التجارة في ايامهِ مقتصرة على حاصلات البلاد كالغنم والبقر والصوف والحبوب والتمر والثمار. وسيأتي الكلام على اشياء اخرى من مقومات العمران البابلي

الاوقاف الاسلامية

الامم من حيث كيانها متشاكلة وفي وجوه مرافقها ومصالحها متشابهة تتبع المتأخرة منها سنن المتقدمة وقلما تخالفها الاَّ فيما هو من طبيعة الارتقاء الطبيعي والتدرج الحيوي. كان الانسان في اول دوره لا يعرف الشفقة وربما أكل لحم أخيهِ حياً او ميتاً ولم يكرههُ فلما قضى زمن الهمجية الاولى بدأت تدبُّ الشفقة فيهِ دبيب الحياة في الاجسام وأخذت اذواق البشر تلطف وعواطفهم ترقّ فيتعارفون ويتآخون ويتآسون بالمعروف فأصبح الكبير والغنيّ يشعران بان وراءهما مُطالبٌ من الدين او الانسانية يستحثهما على العناية بالصغير والبائس وإطعام القانع والمعترّ ومن هنا كانت مشروعية الصدقات والزكوات. والوقف هو من جملة الحسنات المتكفلة بهذه الغاية الشريفة. سنّت الاوقاف في الاسلام على عهد صاحب الرسالة ذلك ان أحد شهداء وقعة أُحُد واسمهُ مخيريق عهد الى الرسول قبل قتلهِ ان يضع اموالهُ حيث اراد فحبسها على سبعة حوائط وهي كروم النخل في المدينة فاصبحت الاموال المحبوسة من ذلك العهد لا تشرى ولا تورث ولا توهب وأخذ بعض الناس يحبسون اموالهم على أعقابهم واعقاب اعقابهم.

قال في الاسعاف تصدّق النبيّ (ص) بسبعة حوائط في المدينة وقد وقف الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة وهذا اجماع منهم على جواز الوقف ولزومهِ ولان الحاجة ماسة الى جوازهِ لقول زيد بن ثابت لم نرَ خيراً للميت ولا للحيّ من هذه الحُبس الموقوفة أما الميت فيجري أجرها عليهِ وأما الحيّ فتحبس عليهِ ولا توهب ولا تورث ولا يقدر على استهلاكها

هذا مبدأ الوقف الاسلامي قال الشافعي لم يحبس أهل الجاهلية فيما علمت وانما حبس أهل الاسلام (1) وما برحت الاوقاف تنمو بنمو الثروة والتبسط في مناحي الملك

(1) من احب التوسع في معرفة الوقف وما تفرّع منهُ فليرجع الى كتب الفقه خصوصاً كتاب الوقف في الجزء الثالث من حاشية ابن عابدين والاسعاف في احكام الاوقاف لبرهان الدين الطرابلسي واحكام الوقوف والصدقات للخصاف ومجلة الاحكام العدلية

وامتداد السلطة بامتداد الفتوح حتى تكاملت اجزاؤُهُ وتكاثرت موادهُ في صدر الخلافة العباسية وخصوصاً على عهد المأمون فانهُ وقف هذا الموقف المحمود ووقف الأوقاف الكثيرة في العراق وغيرها على العلماء ودور العلم والجوامع والمباني العامة لتبقى دائمة الانتفاع على الدهر وتكفي العلماء مؤونة قرع ابواب الملوك والامراء والمحاويج واصحاب الزمانات والعاهات من التكفف والاستجداء فمن ثمَّ كثرت الاوقاف النافعة كثرتها في الولايات المتحدة الاميركية لهذا العهد ومعظمها على دور العلم والبائسين

من احسن القوانين الصريحة عند المسلمين احكام المواريث فانها تقضي على المورّث ان لا يوصي بغير الثلث من مالهِ في وجوه المبرّات وان يبقي الثلثين لوارثيهِ يستمتعون بهِ استمتاعهُ من قبل. ولذا لم يكن الاَّ في الوقف مندوحة في خرق هذه القاعدة فتوسَّع القوم فيها لاسيما ما كان منها اهلياً حتى كاد ينقلب ما هو خير الى شرّ. على انهُ محال إيجاد الخير المحض. يقف الواقف اموالهُ او شطراً منها لتكون من بعده وسيلة للتعارف والتعاطف بين الذراري والاعقاب فما هو الاَّ جيل حتى تغدو اوقافهُ ذريعة للتقاطع والتدابر فتقوم ثائرات الخصومات بين الاسرات للاستئثار بادارة الوقوف واقتسام مَغَلّهِ خصوصاً عند كثرة المستحقين وقلة الانصبة وربما تكاثرت ذرية الواقف بعدُ حتى يصيب الفرد من الدَّخل بضعة غروش. ولا تسلْ كيف تكون حال تلك العقارات والاراضي الموقوفة من العمران في تعدُّد الموقوف عليهم تعدُّد للمناحي وتباين في الآراء. وربما استأثر بالوقف فردٌ واحد يكون اشدَّ المستحقين مراساً فيغصب حقوق الآخرين من اجل هذا ترى الغاصبين وفي مقدمتهم المتولي او الناظر يقضون حياتهم على دكات المحاكم الشرعية مدافعين ذوي الحقوق بالباطل حتى جرى في حكم الامثال قولهم «نصف الاوقاف موقوفة على الحكام»

بالغ المتأخرون في احترام الاوقاف اهلية كانت او عمومية حتى قالوا ان شرط الواقف كنص الشارع ولو كان فيما هو ظاهر ضررهُ ومكروهٌ عند العارفين. وعدَّت الاوقاف على طول الزمن من أعظم القرُبات حتى قالوا ان مَن لم يمت عن وقف فكأنما مات ميتة جاهلية. ومن مضحكات ما يروى ان رجلاً قارب الموت وهو لا يملك شروى

نقير فأشار الى ابنه وهو في النزع ان يبيعهُ بعض حوانيت لهُ ليقفها باسمهِ تقرباً بها الى جوار ربهِ اذ شقَّ عليهِ ان يغادر دنياهُ دون ان يجري على يدهِ مثل هذه المحمدة ولو على حساب ابنهِ الذي ربما لم يجب الطلب الاَّ حيىٌ . وليست هذه القصة بأعجب ممن يجمع اموالاً من السُّحت البحت والحرام الذي لا يوافق عليهِ عقل ولا نقل ويتطالُ الى وقفها زاعماً أنها تُنيلهُ الزلفى من مولاهُ وتبرِّر ما قدمتهُ يداهُ في اولاه

كان اكثر العمال وأصحاب الاموال في عصور المصادرات يقفون الاوقاف على الجوامع والمدارس والمستشفيات وغيرها فراراً بأموالهم من مصادرات الملوك اذا غضبوا عليهم ونحّوهم عن وظائفهم او قضوا نحبهم فطمعوا في وَفْرِهم . ومن الاوقاف ما منحهُ الملوك بعض عمالهم وحاشيتهم ليستمتعوا بها ما داموا احياء على سبيل الاقطاع فما عتم المنعم عليهم ان جعلوا ذاك العقار او تلك القرية بواسطة القضاة وأهل الحكم اوقافاً شرعية يتناولها أعقابهم من بعدهم فتنوزع عليهم بعد ان يكونوا ألفوا الاتكال او انقطعت ايديهم عن كل عمل الاَّ من بسطها لتناول واردات اوقافهم الحقيرة

ولقد تفنَّن القوم في انواع الاوقاف حتى لا يكاد يخطر ببالك خاطر في الوقف الاَّ وتجد مَن سبقك اليهِ مما أوشكت معهُ ان تكون نصف بلاد الاسلام موقوفة . خذ مثالاً لذلك مدينة دمشق فقد روى ابن بطوطة ان انواع اوقافها ومصارفها لا تحصر لكثرتها فمنها اوقاف على العاجزين عن الحج لمن يحج عن الرجل منهم كفايتهُ ومنها اوقاف على تجهيز البنات الى ازواجهنَّ وهنَّ اللواتي لا قدرة لاهلهنَّ على تجهيزهنَّ ومنها اوقاف لفكاك الاسرى ومنها اوقاف لابناء السبيل يُعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم ومنها اوقاف على تعديل الطرق ورصفها ومنها اوقاف لمن تكسر لهُ آنية او صحاف في الشارع ومنها اوقاف لسوى ذلك من أفعال الخير

ومما هو مستفيض على الالسنة اليوم بدمشق ان بعضهم كان وقف اوقافاً كثيرة يصرف ريعها لجرف الثلج من جبل سنير في الشعبة المطلة على الغوطة لكثرة تراكمهِ عليها أيام الشتاء والربيع حتى لا يضر هواؤهُ بأنوار الاشجار فتصاب بالجد والصقيع وتقل الثمار والازهار . وان عند بني القاري وهم من الأُسر المعروفة بالشام حجة هذا

الوقف ولهُ آثار الى يومنا هذا . و يزعمون ان الاشجار اخذت تتناقص اثمارها منذ تقاصرت الهمم عن رفع الثلوج في إبانها وضاعت اوقافها فان صحت فائدة هذا العمل فيكون وقف الثلج حسنة من حسنات الاوقاف تدلُّ على بعد نظر الواقف في الابداع والاختراع

ومن العادة في معظم البلاد الاسلامية ان يشرط الواقفون في اواخر صكوكهم شروطاً منها ان الوقف اذا انحلَّ بفقد الذرية وانقراض المستحقين يعود بجملتهِ الى الحرمين الشريفين . ومن الناس من يقفون عليهما مباشرة فلهذا كثرت اوقافهما كثرة زائدة . قال احد الفضلاء بشأن هذه الاوقاف : " لم تزل يتولاها أناس ينصبهم القضاة من اهل الامانة حتى سنة ١٢٤٢ وقد أنشئت خزينة الاوقاف السلطانية واستلمت اوقاف الحرمين للسلاطين السلجوقيين والغوريين والصفويين والقرمانيين والعثمانيين وغيرهم. وسنة ١٢٥٦ ضبطت الاوقاف الشاغرة[٢] بموت المتولين او باعتزالهم وجعل النظر عليها الى نظارة الاوقاف العمومية . وتنقسم هذه الاوقاف الى ثلاثة أقسام يطلق على الاول اسم « مستغلات » وهي القرى والمزارع وعلى الثاني اسم « مسقفات» وهي العقارات والحوانيت وعلى الثالث اسم « نقود موقوفة » وهي كمية من النقدين . وأنشئت خزينة خاصة لاستلام النقود الموقوفة ثم ألغيت وأضيفت الى املاك السلاطين العظام وهي تبلغ سبعة ملايين من الليرات العثمانية أُخذ ما يقرب من نصفها واختصت نظارة المالية بالنصف الآخر على سبيل القرض وتصرفت فيهِ . ثم ضبطت نظارة المالية قسماً من اوقاف المستغلات وهي تبلغ نحو مليون ونصف ليرة سنوياً مع ان قسماً من هذه المستغلات لجوامع ومدارس وصارت نظارة المالية تدفع للاوقاف تسعين الف ليرة مساناة وتدنَّى هذا المبلغ حتى نزل الى ستة وثلاثين الف ليرة

"اما قسم المسقفات وهو أهم انواع الاوقاف فاستصعبت نظارة الاوقاف ادارتهُ فباعت ما هو موقوف منها على الحرمين الشريفين اما المسقفات الموقوفة على غير الحرمين فباعت منها قسماً يساوي خمسة ملايين ليرة فبقي لنظارة الاوقاف دخل يبلغ نحو مليونين ونصف الى ثلاثة ملايين ليرة في السنة يصرف منها على الجوامع والمساجد

(٢) الارض الشاغرة التي لم يبقَ لها احد يحميها و يضبطها

واحداث الجوامع وانشاء التكايا "

وقال عبد الرحمن شرف في كتابهِ تاريخ الدولة العثمانية وهو مما يدرَّس في المدارس العالية بالسلطنة ما ترجمته

" منذ نشأت الدولة اخذ السلاطين العظام ووزراؤها ورجالها ونخبة من اهل الثراء يشيدون في جميع اطراف الممالك المحروسة ما لا يقع تحت عد ولا حصر من الخيرات والمبرات كالجوامع والمساجد والمكاتب والخانات والحمامات والمنازل والتكايا والزوايا والفساقي والطرق وغيرها ويقدرون لبقائها وادارتها مقدارًا كافيًا من الاوقاف على امل ان تستمطر عليهم الرحمة من الخلف وتنيلهم الزلفى والقربى

" ومضى زمن انقرضت فيه سلالة الواقفين فولي عليها أناس من ذوي الكفاءة وكان يطلق على امثال هذه التوجيهات اسم تولية الصدقة ويتصرف فيها بأمر السلطان بمعنى انها كانت نوعًا من الوظائف اما اليوم فتدعى امثال هذه الاوقاف بالاوقاف المضبوطة وتدير شؤونها توًّا نظارة الاوقاف السلطانية

" وغير نكير ما قامت بهِ الاوقاف من المنافع العظيمة في عمران البلاد وبهائها ونشر المعارف وتسهيل الصادرات حتى ان ما صرفهُ على خيراته الصدر الشهير سنان باشا الكبير يربو على مليوني ليرة . وعليهِ فصار من اللازم في نظر الادارة المدنية ان يدقق ابدًا في تنفيذ شرط الواقفين ولما انتشرت فوضى المتولين ومشوا على هواهم اشرف كثير من المباني الخيرية على الخراب وبعبث المتولين وعيث الجباة تغيرت شروط تلك الاوقاف وتبدلت اعيانها

" ولما بدئ بالاصلاح العام على عهد محمود خان الثاني ألفت نظارة للاوقاف سنة ١٢٤٢ وعين الحاج يوسف افندي ناظرًا عليها على ان يكون لهُ حق النظارة على المتولين وان لا يتداخل في اوقاف الحرمين والسلاطين العظام . وسنة ١٢٥١ احيلت اوقاف الحرمين الى مدير ثم انفصلت بالمرة عن نظارة اغوات دار السعادة فاحدثت لها نظارة اوقاف الحرمين مستقلة وجعل ناظرًا عليها الحاج ادهم افندي . واتحدت النظارتان سنة ١٢٥٢ زمن موسى صفوتي افندي وتقرر سنة ١٢٦٠ ان يعد ناظر الاوقاف من نظار الدولة

و يكون لهُ حقُّ الدخول في المجلس الخاص وضمت الى نظارتهم كل الاوقاف السلطانية واستثني من ذلك سبعة اوقاف مثل وقف اورنوس بك وميخال بك وغيرهما لخطر على نظارة الاوقاف التداخل في ادارتها اه "

هذا ما انتهى اليهِ حال الاوقاف في السلطنة العثمانية وهي في كل البلاد تابعة لمقتضيات الزمان والمكان بل لما تقضي بهِ حكوماتها فمصر ضبط اوقافها وكانت كثيرة جداً محمد علي الكبير وتصرف فيها بما شاء واعطاها لمن اراد على انهُ لا يزال منها كمٌّ غير قليل لهُ نظارة خاصة تدير شؤونهُ

ولا جرم ان الاستكثار من الاوقاف أخر سير الشرق في محجة العمران ولا يزال مؤخراً لها وكم في البلاد من آثار ودور وقصور ومحال عامة هجرت وتعطلت بضياع اوقافها وكثرة المتنازعين عليها . وقد علم بالاستقراء ان المسلمين كانوا احسن حالاً ايام لم يكن يُعهَد الوقف عندهم بهذه الكثرة فكانوا يستعمرون البلاد وتجري قاعدة تنازع البقاء مطردة على اصولها يغنى الفقير باعمالهِ و يفقر الغنيّ باهمالهِ

ولقد عبثت ايدي المطامع بالاوقاف المسبلة على المصالح العامة فلم تفد الفائدة التي كان يتوقعها لها واقفوها ولم يسلم من الآثار والعاديات الاَّ ما عرضت لهُ اسباب أخرى أخرت القضاء عليهِ وهاك المثال : انت تعلم ان لصلاح الدين يوسف بن ايوب رنة في تاريخ الشرق والغرب وأن بيض اياديهِ على المسلمين وغيرهم لا تنسى على المدى ومع هذا فقد بلغت القحة باهل جوار قبتهِ والمتولين عليها ان استولوا على معظم دارهِ فصيروها مساكن وحجراً ولو لم يرفع عنهُ الاذى المرحوم ضيا باشا احد اعاظم ولاة سورية منذ سبع وعشرين سنة لاستصفيت الدار جملة واحدة اليوم ولو كان البرُّ والبحرُ وقفاً عليها .

زار غليوم الثاني امبراطور المانيا في اواخر جمادى الثانية سنة ١٣١٦ ضريح السلطان صلاح الدين بدمشق وقال فيهِ عشية دُعي لتناول الطعام في دائرة المجلس البلدي من خطاب ارتجلهُ : (انني ابتهج من صميم الفؤاد بانني وطئت بلداً عاش فيهِ من كان اعظم ابطال الاعصر السالفة بأسرها من كان بافعالهِ يعلّم اعداءهُ كيف تكون الابطال السامي المقام السلطان صلاح الدين الايوبي الشهير) ثم بعث في العام التالي

باكليل من الذهب عنوانًا على احترامهِ لهُ وتذكارًا لزيارتهِ قبرهُ . وفي غضون تلك المدة جرى لي حديث مع احد افاضل الافرنج فقال لو كان قبر صلاح الدين في بلادنا لصيغ بالاحجار الكريمة وقيمت لهُ التماثيل والهياكل وبنيت على اسمهِ المعابد والمدارس وسمت بهِ الشوارع والساحات . فقلت لهُ ان الاسلام لا يسمح باقامة القبور على هذا النحو ولا يبيح وضع التماثيل والنصب للاحياء ولا للاموات ولكن احباب صلاح الدين يقنعون ولو بالمحافظة على قبرهِ بسيطًا غير مزخرف ثم سردت عليهِ ما كان ينويهِ القائمون على ضريحهِ من تمفية اثره عرضًا او عمدًا فأخذ منهُ العجب

هذا ما وصل اليهِ العلم القاصر من حال الاوقاف العامة والخاصة وقد حذت الدولة العلية حذو الممالك المتمدنة في ضبط الاوقاف على امل تعميرها . وللاوقاف بمصر طريقة حسنة فان نظارتها تتعهد باصلاح الاوقاف الاهلية من خزائنها ثم ترجع الى العقار تستوفي ما اسلفتهُ اياهُ من ايرادهِ على ان الخراب لم يبرح منتشرًا في معظم العقارات الموقوفة على اختلاف ضروبها . واذا كانت الاوقاف احدى علل التقهقر في المشرق كان على الباحثين في علم الاجتماع ان يفيضوا في هذا البحث والمريض اذا برّحت بهِ العلة يتوقع من طبيبهِ شفاء عاجلاً او آجلاً والام اذا انزل بها الهرم يبحث أساتها في عللهِ وكذلك يفعلون

بحاث دمشقي

ظاهر العمر

(تابع ما قبله)

كان بين عثمان باشا والي الشام وبين علي بك والي مصر منافرة واحقاد ناهيك ان عليًا لما رسخت قدمهُ في مصر حدثتهُ نفسهُ بالتوسع حتى بغداد وكان يتحيّن الفرص لذلك فارسل ظاهر العمر اليهِ بالهدايا واستنجدهُ على والي الشام ووعدهُ انهُ اذا ظفرا بهِ كان ظاهر برجالهِ في خدمة علي بك كيف شاء

وكانت الدولة العلية في ايان ذلك تحارب الدولة الروسية لعهد القيصرة كاترينا فراسلها علي بك وحبّب اليها ارسال بضعة سفن من اسطولها مشحونةً بالرجال وهو يمكنهم من الاستيلاء على الثغور الشامية .

فلما جاءتهُ رسالة الشيخ ظاهر سرَّ بها جدًّا وللحال جهَّز عشرة آلاف فارس وعقد عليهم لاسماعيل بك الكبير واردفهُ بستة امراء من السناجق وجعلهم تحت امرتهِ وامر الجميع ان يطيعوا الشيخ ظاهر واكثر لجيشهِ من المؤَن والذخيرة فخرجوا واتوا غزة وكان عثمان باشا والي الشام في القدس يجمع اموالها فارسل يسألهم عن خبرهم فلم يجيبوهُ بشيءٍ فاوجس منهم شرًّا وارتحل الى دمشق اما الشيخ ظاهر فارسل اولادهُ للقاء الغزاة فساروا بهم في موكبٍ جليل الى عكاء حيث التقاهم ظاهر بالاعزاز والاكرام

واما عثمان باشا فانهُ تجهَّز بعد رجوعهِ للذهاب الى الحج الشريف حتى اذا دنا وقت ذهابهِ برزت العساكر المصريَّة وجماعة ظاهر العمر من عكاء وعدتهم جميعًا نحو عشرين الفًا وقصدوا المزيريب

وكان اسماعيل بك قد رأَى من خشونة اولاد ظاهر العمر ما ساءهُ فتلكأَ عن اتمام العمل المعهود اليهِ من علي بك حتى اذا سألهُ ظاهر ان يقصد دمشق ابى وقال لا يجوز ان نقاتل زوار بيت الله وانما نرسل الى عثمان باشا ان يبرز الينا بعسكرهِ لانهُ هو المطلوب فلما راسلوهُ اجابهم اني عازمٌ على الحج ولست لا تأخر عن ذلك فان كنتم تريدون حرب رجال الله فقد استعنا عليكم بهِ فاجاب اسماعيل حاشا لله ان نقاتل زوَّار بيتهِ ونقع تحت غضبهِ فلما رأَى ظاهر امتناعهُ لوى الاعنة وعاد ادراجهُ صوب يافا وفي اثرهِ العسكر المصري وكتب بما وقع لعلي بك شاكيًا ما فعلهُ قائد عسكرهِ وملتمسًا استبدالهُ فاستاءَ علي بك من ذلك وجهز فريقًا آخر من جندهِ وعقد اللواء على البعثة لرجلهِ المشهور محمد بك ابي الذهب وسيَّرهُ في بدء سنة ١١٨٤ فلما وصل الى غزة التقاه اسماعيل بك ومن معهُ من السناجق والشيخ ظاهر وحلفاؤهُ من المتاولة وغيرهم حتى بلغ عدد الجيش ستين الفًا او يزيدون فزحف ابو الذهب بهم صوب دمشق وقد عاد واليها من الحج وعلم بمسير ابي الذهب اليهِ فارتاع ولكنهُ تجلَّد وباشر الاهبة لدفع الطارئة حتى اذا جاءَت العساكر ونزلت بداريا الكبرى من ارباض دمشق برزت للقائهِ الجنود الشامية وبينهم عبد الرحمن باشا والي حلب وخليل باشا والي كلِّس ومحمد باشا والي طرابلس الذين امرتهم الدولة العلية بنجدة عثمان باشا وذلك ان عثمان باشا لما علم بما كان من بعثة علي بك ومراسلتهِ بعض اعيان الشام في طلب تسليم البلد اليهِ كتب الى باب الدولة فصدر امرها للولاة المذكورين بمساعدتهِ

فلما تلاقى الجيشان في سهل داريا اقتتلا ساعةً فانكسر العسكر الشامي وفرَّ كل من خليل باشا وعبد الرحمن باشا هاربًا بعسكرهِ بعد ان قُتل منهم شرذمة ولكن ثبت عثمان باشا وابنهُ

محمد باشا والي طرابلس ودام قتالها بالعسكر الشامي والطرابلسي ثلاثة ايام الاَّ ان كثرة العدو غلبت شجاعتهما فهربا لا يلويان على شيء فاحاطت العساكر المصرية واحلافها بدمشق ثم بعث اليهم ابو الذهب بكتاب كان معهُ من علي بك يستدعيهم فيهِ للتخلف عن عثمان باشا لظلمهِ وغشهِ ويسألهم التسليم فلما وصلهم الكتاب خرج بعض الاعيان الى ابي الذهب فدعاهم الى تسليم المدينة وتوعدهم ان هم تمنعوا بالاستيلاء عليها عنوةً وحرقها واسر اهاليها فاستمهلوهُ الى اليوم التالي وفي تلك الليلة فرَّ عثمان باشا وابنهُ مع كثيرٍ من الاعيان والجند حتى خلت دمشق من الحامية وارتاع الاهلون لذلك وازدحموا في الجامع الاموي حيث كان قد اجتمع اهل القرى المجاورة باالهم وهاج الاهلون وماجوا اذ خافوا على انفسهم وما يملكون وسألوا العلماء والاعيان ان يسلموا المدينة فسلموا بان خرج منهم نفرٌ الى ابي الذهب وسألوهُ الامان فدخل المدينة وجلس في دار الوزارة

وبعد ايام كتب ابو الذهب الى اهل دمشق يقول اننا جئنا الشام في طلب عثمان باشا فلو خرج الينا لما مسسناكم بسوء ثم ظنناهُ في القلعة فلما تحققنا انهُ ليس فيها وليس لنا بحضرتكم ارب لاسيما وان المدينة لمولانا السلطان فرفعنا القتال عنكم فادعوا لمولانا السلطان واذكرونا بالخير ثم رحل عن دمشق ورحلت على اثرهِ عساكر ظاهر العمر واحلافهُ وفي صدورهم على فعلة ابي الذهب حزازات ودخل ابو الذهب مصر واعتذر الى علي بك عن عودتهِ بشكاسة اخلاق ظاهر وعشيرتهِ وقال انهم قوم لا يعرفون الوفاء ولا يشكرون الجميل وانهم كانوا كلما ظفروا منا برجلٍ قتلوهُ واخذوا اسلابهُ فخشينا العطب ورأينا انا قد فزنا بطرد عثمان واخرجناهُ من الشام فرجعنا ادراجنا فلما سمع الامير علي ذلك كاد يتميَّز من الغيظ فكتب الى الشيخ ظاهر يلومهُ فاجابهُ بتكذيب مقال ابي الذهب وسألهُ ان يأمر باستكتاب اسماء القتلى من عسكرهِ ليرى في الامر وقال لهُ ان ابا الذهب تيسَّر لهُ امتلاك البلاد غنيمةً باردة ولكنهُ دان لرأي اسماعيل بك في عدم الخروج على السلطان لان في ذلك مساساً بالدين وان ابا الذهب تمنَّع في بادئ الامر عن قبول هذا الكلام من اسماعيل بك ولكنهُ عاد فاقتنع اذ ان امين الصرة ساعد على اقناعهِ ووعدهُ ان عاد ادراجهُ بالحصول على رضا الدولة والانعام عليهِ باحدى ولاياتها وقال لهُ انهُ مرسل ابنهُ عثمان رهناً على صدق كلامهِ فان وجد في مقال ابي الذهب ذرةً من الصدق فدم ابنهِ مباحٌ لهُ واحتال ظاهر على ابنهِ فحملهُ على الذهاب الى مصر وهو لا يدري بما كتب ابوهُ فلما وصل جواب ظاهر الى علي بك فحص القضية فعلم صدق مقال ظاهر العمر فوقعت الشحناء بينهُ وبين ابي الذهب وفرَّ هذا من وجههِ الى الصعيد فالتفَّ عليهِ جمهور

من اصحابهِ فارسل علي بك اليهِ عسكرًا مع اسماعيل بك فانحاز اليهِ وكان عثمان باشا قد رجع الى دمشق وجمع عسكرًا جرارًا وبرز الى الحولة يريد غزو ظاهر العمر والمتاولة فلما علموا جمعوا رجالهم وبيتوا الباشا فما افاق رجالهُ الاَّ والاعداء محيطة بهم من كل جانب وقد الهبوهم بضرب السيف والنار فذعروا وتشتتوا وولوا الادبار والقوم يضربون في اقفيتهم تحت جنح الليل حتى بلغوا شاطئ البحيرة فالقى كثيرون منهم انفسهم في الماء نجاةً من المنيَّة ففروا اليها وفرَّ عثمان باشا بنفرٍ من رجالهِ فغنم الظافرون اسلابهم وعادوا فكتب ظاهر بذلك مبشرًا علي بك الاَّ ان هذا كان قد راعهُ انضمام بعتهِ الى ابي الذهب واخبار زحفهِ عليهِ بمن اجتمع اليهِ فخرج من مصر هاربًا بسريةٍ من فرسانهِ وما عندهُ من الاموال والذخائر قاصدًا حمى ظاهر العمر مستصحبًا معهُ الشيخ عثمان الظاهر فلما بلغ الديار الشامية التقاهُ ظاهر بالتجلة والاكرام وذهب بهِ الى عكاء فكتب منها الى الدولة الروسية يطلب المدد البحري الذي كان قد سألهُ من قبل وتعهد بتسليمها الثغور من مصر الى صيداء فتستطيع حينئذٍ ان تمدَّ فتوحاتها ما شاءت واقتدرت فوافقهُ ظاهر العمر على هذا الطلب والوعد .

وكان على ولاية صيداء ابنٌ آخر لعثمان باشا اسمهُ درويش باشا فهذا كان جبانًا وقد راعهُ قرب المتاولة منهُ ففرَّ من صيداء الى دمشق وحاول الامير يوسف الشهابي ان يشدّد عزائمهُ فما استطاع ولذلك طمع المتاولة فيهِ وفي بلاد الشوف ومرج عيون والحولة فاستاء الامير يوسف وتجهز عليهم بعشرين الفًا من المقاتلة فاكتسح بلادهم واحرق منها حتى جباع حيث وردهُ كتاب منهم عن يد ابن ظاهر يسألونهُ الصلح ويتعهدون بالبقاء على خاطرهِ فلما استشار الذين معهُ في ذلك اشار عليهِ عبد السلام العماد بحربهم وانما قصد ذلك لينكسر الامير يوسف ويعود خائبًا فتعلو منزلة صديقهِ الامير منصور فسلَّم الامير يوسف لرأيهِ فكتب عبد السلام الى المتاولة يشدّد عزائمهم ويعدهم بالانهزام فكان كما قال وارتدَّ الامير يوسف منكسرًا وخرج الدروز الذين كانوا على خفارة صيداء فارسل اليها ظاهر العمر متسلمًا من قبلهِ كان رئيسًا للمغاربة الذين في خدمتهِ يقال لهُ احمد اغا الدنكزلي .

وتوفي عثمان باشا والي الشام وخلفهُ على الولاية عثمان باشا المصري الذي كان سردار العساكر في عرب استان وتجهز للاغارة على المتاولة وكتب بذلك الى الامير يوسف الشهابي وزحف بجيشٍ عدتهُ عشرون الفًا فيهم احمد بك الجزار الذي نال بعد ذلك الشهرة الذائعة في سوريا وبلغوا صيداء وحصروها حتى ضايقوا حاميتها وكاد احمد اغا يسلمها لو لم يكن قد تراجع اكثر عسكر الامير يوسف الى بلادهِ وجاء الخبر بمجيء السفن الروسية الى عكاء وكانت خمسة

من الطرز الكبير المسمى يومئذٍ غليون يصحبها قطع عدة من صغيرات الحجم فاوعز اليها ظاهر العمر ان تقلع الى صيداء فلما وصلتها شرعت تضرب القنابل على عسكر الامير يوسف فرحلوا عن مواقفهم الى حارة صيداء وفي خلال ذلك كتب ظاهر العمر الى الامير ان يقوم الى جسر صيداء للاجتماع والاتفاق والاَّ فهو آتٍ اليهِ فلم يرضَ بذلك فنهضت عساكر ظاهر ومن جاء مع علي بك من مصر حتى بلغت ضواحي صيداء وهناك وقع القتال فاسفر عن انكسار عسكر الوالي والامير يوسف وانهزامهم واما السفن الروسية فانها ذهبت من صيداء الى بيروت وفتحتها وظلّت في مياهها حتى ادّاها الامير يوسف مالاً عنها وكتب الى والي الشام فارسل الى محافظ بيروت نائبهُ محمد اغا ومعهُ احمد بك الجزار وبعض المغاربة

ثم وقع الخلاف بين الامير يوسف والجزار على امتلاك بيروت الامير فاتفق يوسف مع عمهِ الامير منصور وكتب الامير منصور الى ظاهر العمر يسألهُ استحضار السفن الروسية لاستخلاص بيروت من يد الجزار فاجابهُ ظاهر الى ذلك واستدعى السفن المذكورة فجاءت واتفقت مع الاميرين على ثلثمئة الف درهم واسترهنت لوفائها الامير موسى بن الامير منصور واطلقت السفن النار على المدينة حتى تضايق الجزار فطلب التسليم عن يد ظاهر العمر ايضاً فارسل ظاهر رجلاً من اخصائهِ يقال لهُ يعقوب الصيقلي فجاء بالجزار الى عكاء واقام هذا بها اياماً حتى سنحت لهُ الفرصة فسرق بعض بغال الشيخ ظاهر وفرَّ بها هارباً بل قيل ان ظاهراً ارسلهُ لجباية الاموال السلطانية فجمع منها شيئاً وفرَّ

هذه زبدة رواية الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ الَّا انا رأينا في تضاعيفها مواضع تحتاج الى التمحيص منها تاريخهُ بدء تحالف ظاهر العمر وعلي بك سنة ١١٨٣ والعهد بالامارة على الجيش المصري لابي الذهب سنة ١١٨٣ مع ان المرادي يذكر زحف ابي الذهب سنة ١١٨٥ ويوافقهُ على ذلك فولناي بقولهِ ان علي بك انفذ السرية الاولى سنة ١٧٧٠ م والثانية سنة ١٧٧١ م ومنها ان ظاهراً وعلي بك هما اللذان خابرا الدولة الروسية لارسال اسطولها الى الثغور الشامية مع ان عبارة فولناي تدل على ان الاسطول المذكور كان في البحر المتوسط فلما علم بثورة ظاهر على الدولة جاء ميناء حيفا لاخذ المؤونة منها حين كانت جنود والي الشام واحلافهُ تحاصر صيداء فاستأجرها ظاهر بستمئة كيس لاسعافهِ على رفع الحصار فكان منها ما كان وهذه الرواية اقرب الى الواقع لانهُ لو كانت الدولة الروسية تقصد نجدة العصاة على الدولة لما اقتضى اسطولها منهم اجرة عملهِ والحال انا رأينا الاسطول يتقاضى الاجور في كل حركة يبديها بايعاز ظاهر . ومنها ان عثمان باشا المصري كان قد تعيّن والياً على الشام مع انهُ يظهر

من اسماء ولاة الشام المدرجة في سلنامة ولاية سورية ان صادق عثمان باشا تولّى من سنة ١١٧٤ الى سنة ١١٨٤ وخلفهُ محمد باشا العظم وليس عثمان باشا المصري

ومما روى ڤولناي من اعمال ظاهر ان بعضاً من المخلصين في طاعة الدولة العلية في يافا ونابلس تملصوا من طاعتهِ حين بلغهم ان نصيرهُ علي بك المصري هارب من وجه ابي الذهب وقادم اليهِ وان عساكر الدولة تحتشد في حلب للزحف عليهِ وشاع هذا القول بين القوم حتى حسبوا ان ظاهرًا لا يبرح عكاء خوفًا عليها وفيما هم يظنون كذلك خرج ظاهر برجالهِ صوب نابلس فلقي الخارجين عليهِ فيها وضربهم ونكّل بهم واقرّ الامور في نصابها ثم سار من هنالك فالتقى بعلي بك وجاء بهِ آمنًا الى عكاء اما يافا فانهُ امهلها حتى قضى امر صيداء فعاد اليها في صحبة علي بك واحاطَ عليها فحُصرت حصارًا شديدًا سنة ١٧٧٢ ثم عاد الى عكاء يدبر شؤونها تاركًا علي بك على امرة الحاصرين فظلَّ عليها ثمانية شهور الى سنة ١٧٧٣ حين ملكها ونظَّم شؤونها وجعل عليها متسلمًا يحكمها باسم ظاهر العمر ثم عاد عنها الى عكاء

وحدث في خلال ذلك ان ابا الذهب احتال على علي بك بان دسَّ اليهِ ان يعود الى مصر فيلقى خيرًا فاعتزَّ علي بك بذلك وسعى الى الرجوع في كل سبيل وكان الروس قد وعدوهُ بالنجدة فما لبث حتى تجيء اليهِ الشرذمة التي ارصدوها لمرافقتهِ بل الحَّ على ظاهر بالذهاب فارسل معهُ الفًا وخمسمائة من فرسانهِ تحت امرة ابنهِ عثمان فلما وصلوا بهِ الى غزة غُدر بعلي بك فقُتل مع جماعةٍ من رجالهِ وفرَّ الباقون فأُسقط ظاهر في يدهِ لمصرع حليفهِ القوي وحاك ذلك في نفسهِ ولكن ما لبث ان فرجت كربتهُ بما رويناهُ من التجاء الامير يوسف الشهابي الى معونتهِ على اخذ بيروت من الجزار

وكأني بالدولة العليَّة رأت انها اذا عفت عن ظاهر العمر عاد الى طاعتها فاراح ولاتها من حربهِ ولهذا كتب عثمان باشا الى الامير يوسف الشهابي يعالنهُ بصدور الامر السلطاني بالعفو عن ظاهر اجابةً لاسترحام الوالي وان الدولة العلية قد انعمت عليهِ فوق ذلك بولاية صيداء على وجه المالكان على ان يؤدي خمسمائة الف درهم عن بقايا المال المتراكم عليهِ ومئتي الف مسانهة عداء عن خدمة الجردة . فعظم وقع هذا الخبر على الامير يوسف لما فيهِ من الامر بطاعة ظاهر العمر ولكنهُ لم يبدِ اعتراضًا على مؤادهُ حرصًا على مودتهِ

وفي سنة ١١٨٨ ورد الفرمان العالي صحبة قبجي من باب الدولة مؤذنًا باحالة ولاية صيداء لعهدة الشيخ ظاهر فطابت نفسهُ بهذه الولاية لثبوت حكمهِ على صيداء وعكاء وحيفا ويافا والرملة وجبل نابلس وبلاد اربد وصفد والمتاولة ولان رسوخ قدمهِ في حكمها كان من اماني نفسهِ

غير ان في خلال ذلك عرض ابو الذهب لباب الدولة عمّا يعلم من امر ظاهر العمر وعلي بك وافشى اسرارهما واستأذن الدولة العلية في الحملة على الشام وكبت ظاهر وقومهِ فوقعت عريضة ابي الذهب من الدولة موقع القبول سيما لان العفو عن ظاهر كان في عهد السلطان مصطفى فلما توفي الى رحمة ربهِ وتبوأ الاريكة اخوهُ السلطان عبد الحميد الاول اجاز لابي الذهب الحملة على الشام للاقتصاص من ظاهر العمر جزاء اتفاقهِ مع علي بك وخروجهما على الدولة

جرجي يني

الراديوم ومزاياهُ

اشرنا في باب الاخبار العلمية في الجزء الماضي الى خطبة السر وليم كروكس التي تلاها في الجمعية الملكية ببلاد الانكليز واظهر فيها بعض مزايا الراديوم . وقد رأينا ان نلخص تلك الخطبة الآن لانهُ سيكون لهذا العنصر شأن كبير بين مكتشفات القرن العشرين فيليق بقراء المقتطف ان لا تفوتهم فائدة تتعلق بهِ . قال الخطيب :

جُفّف قليل من مذوَّب ملح الراديوم (النيترات) وتُرك حتى تبلور ووُضع في غرفة مظلمة فانار بنور ضعيف . ثم أُدني من لوح مدهون ببلاتينوسيانيد الباريوم فانار اللوح بنور باهر ضارب الى الخضرة وكان نورهُ يزيد بتقريب الملح منهُ ويقلُّ بتبعيدهِ عنهُ الى ان يزول تماماً . ويحدث مثل ذلك اذا أُدني ملح الراديوم من لوح مدهون بكبريتيد التوتيا ويبقى النور على اللوح مدةً بعد ابعاد الملح عنهُ . والآنية التي وضع فيها ملح الراديوم ثم أُخرج منها اذا أُدنيت من لوح مدهون ببلاتينوسيانيد الباريوم او بكبريتيد التوتيا تجعلهُ ينير ولو كانت قد غُسلت جيداً بعد اخراج الراديوم منها (كأنهُ يبقى فيها منهُ شيء قليل جداً لا يزول بالغسل وهو كافٍ ليفعل فعل الراديوم باللوح) . واللوح المدهون بكبريتيد التوتيا ينير اذا خُمش بسكين او ضُرب برأسها او برأس قلم كأنهُ مدهون بمادة فصفورية

واذا أُدني حجر ماس من ملح الراديوم انار نوراً ضارباً الى الخضرة والزرقة واذا أُبعد عن الملح انطفأ نورهُ حالاً لكنهُ اذا وُضع حينئذٍ على اللوح المار ذكرهُ يبقى على اللوح هنيهةً بعد ابعاد الماس عنهُ . واتفق ان حجر الماس لمس ملح الراديوم ثم وُضع على اللوح فتطاير الشرر من اللوح . ونُظر الى الشرر بالميكرسكوب في غرفة مظلمة فاذا في كل شرارة مركز مظلم وحولهُ هالة منيرة وينبعث من المركز المظلم اشعة منيرة تنتشر في كل الجهات فيظهر في اللوح حول

الهالة شهب من النور تروح وتجيء بسرعة فائقة جدًّا حتى لا تدرك العين انتقالها

واذا أُدني نيترات الراديوم من اللوح تغيَّر اشراق النور عليهِ حسب بعد الراديوم عنهُ كما تقدَّم واذا نُظِر اليهِ بزجاجة مكبّرة والراديوم بعيد عنهُ ونورهُ ضعيف. ظهر فيهِ نقط برَّاقة متفرقة وكلما قُرِّب الراديوم من اللوح زادت هذه النقط عددًا ولمعانًا حتى اذا صار الراديوم قرب سطح اللوح تمامًا كثرت النقط وتوالى بريقها بسرعة فائقة فيصير اللوح بها كبحر من النور المتموّج . فاذا كان الراديوم بعيدًا بانت هذه النقط البرَّاقة كالنجوم المتفرقة في جلد السماء وتظهر وتنطفئ ولا يبقى نور مكانها ولكن اذا زاد قرب الراديوم من اللوح زاد عددها وبقي شيء من نورها حيث كانت فينتشر النور على اللوح من غير ان يمنع بريق النقط اللامعة فيهِ

واذا غطّس طرف سلك من البلاتين في مذوب نيترات الراديوم وجُفِّف وقُرِّب من اللوح كثر بريق النقط اللامعة وزاد عددها ولكنها تزول تمامًا حالما يُبعَد السلك عن اللوح . واذا لمس السلك اللوح فالنقطة التي يلمسهُ فيها تصير مركزًا تنبعث منهُ الاشعة اللامعة كالشهب الثواقب ويبقى النور في تلك النقطة وما حولها اسابيع كثيرة

والبلونيوم (وهو عنصر آخر شبيه بالراديوم) يفعل فعل الراديوم ولكن هذه النقط المنيرة تكون قليلة في نورهِ

وتلوَّثت الانامل بالراديوم فصار اللوح ينير بها كلما أُدنيت منهُ . والنور الذي يظهر بالعين متصلاً مستطيرًا يظهر بالميكرسكوب نقطاً منيرة يشعُّ النور منها ويفيض على ما حولها . واذا كانت الانامل نظيفة لم يظهر شيء من النور حولها ولكن اذا لمست الراديوم يصير النور يظهر حولها حيث تمس اللوح ولو غُسلت بعد ذلك مرارًا

ووصف السر وليم كروكس تجارب اخرى من هذا القبيل واستنتج منها كلها انهُ ينبعث من الراديوم دقائق صغيرة جدًّا تقع على اللوح كما يقع رصاص البنادق على الغرض وسرعتها مثل سرعة النور في سيرهِ فهي اشد من سرعة رصاص البنادق بما لا يقدَّر ولذلك لا عجب اذا انارت حينما يصدُّها اللوح ويوقف حركتها . وهذه الدقائق لا ترى لصغرها ولكن يرى فعلها على اللوح كما ترى الدوائر الكبيرة في الماء الصافي اذا وقعت عليهِ نقط المطر الصغيرة

هذه خلاصة ما قالهُ السر وليم كروكس وقد بقيت اشياء كثيرة ذكرها في خطبتهِ من حيث المشابهة بين اشعَّة رنتجن واشعَّة الراديوم ومن حيث اشراق نور الراديوم في الهواء اكثر من اشراقهِ في الفراغ . ولم يشر الى حرارة الراديوم لان امرها لم يكن معروفًا يومئذٍ اما الآن فصار لها شأن كبير كما تقدَّم في الجزء السابق

منشأ علم الجبر

ان اكثر العلوم الرائجة اليوم تعسر نسبتها الى رجل بعنيهِ كأن يُقال فلان وضع العلم الفلاني . وجلُّ ما يقال في هذا الباب هو ظنون راجحة مسندة الى القرائن التي تجعل البعض منها يقينيًّا . والسبب في ذلك هو ان اكثر العلوم ان لم نقل كلها نشأت عن حاجات الناس واخذت تنمو بالتدريج الى ان وصلت الى حدها الحاضر وكلها ترجع الى مبادئ اولية يدركها الانسان بالبداهة وهذه المدارك الجزئية عرفها الناس وبلغوها منذ امد بعيد وقبل عهد التاريخ المعروف. فالعد من الحساب والاشكال من الهندسة وحركات النجوم من الهيئة والتبخير والعوم والحرارة والمرونة والاحتراق الخ من الطبيعيات وانواع الصخور والتربة من الجيولوجيا والجهات والاقاليم من الجوغرافيا والنمو والتوليد من النبات والحيوان والاستنتاج من المنطق وغير هذه من اساس العلوم الحاضرة كلها عرفها الانسان وادركها قبل ان صارت فروعًا مستقلّة تؤلف فيها الكتب او المقالات

واكثر هذه العلوم توغلاً في الابهام العلوم الرياضية اي الحساب والجبر والهندسة والهيئة اذ يتعذر الوصول الى معرفة الرجل الاول الذي عرف الجمع والطرح وعيّن مراتب الاعداد . وهي من الامور التي احتاج اليها البشر وهم بعد في ظلام الهمجية فالصياد يعدُّ سهامهُ والراعي يفرق قطعانهُ والزارع يمسح ارضهُ والكاهن يرصد نجومهُ ويتعقّب حركاتها .وهذه الحاجات هي مما صاحبت الانسان منذ انفرادهِ في حلقات النموّ وظهورهِ على الارض مناضلاً للحيوان ومدالكًا للطبيعة

وان كنا اليوم نجهل تاريخ العلوم الرياضية منذ نشأتها فهذا الجهل لا يضرُّ بها لانهُ لا ينقص شيئًا من موسوعاتها وهي منذ ظهرت الى اليوم لم تزل تتقدم رويدًا رويدًا فما مرَّ عليها عهد رجعت فيهِ الى الوراء او ضاع فيهِ شيءٌ من حلقاتها فتقدمها ثابت وان كان بطيئًا

مرَّ بعض الادوار على العلوم الطبيعية والفلسفة واللاهوت جهلت فيها حقيقتها وضاع جوهرها وفقدت المؤلفات منها وحظر على علمائها الانتساب اليها اما الرياضيات فلم تقاسِ ما قاساهُ غيرها من صنوف الاضطهاد ولا قامت امامها العقبات التي امسكت سير العلوم زمانًا طويلاً الاَّ ما اختصَّ بالهيئة منها وكان لهُ احتكاك بالدين فهي ما زالت تسير الى الامام دائبة في كشف الحقائق والجهر بها على رؤُوس الملاِ

الحاجة ام الاختراع والامم التي الجأتها الحاجة الى نوع من الفنون دأبت في تلك الجهة

ووضعت اساساً بنى عليهِ غيرها من خلفائها او معاصريها فالفينيقيون اشتدت حاجتهم الى الحساب في تجارتهم والمصريون احتاجوا الهندسة والمساحة في زراعتهم وريّ اراضيهم واقتسام حقولهم والكلدان اضطرتهم عبادتهم الى معرفة مطالع الاجرام ومغاربها احتفاظاً باحوال آلهتهم وقياماً على رعاية معبوداتهم . ومثل هذه القرائن تبعثنا الى القول بان هذه القبائل هي التي وضعت آساساً لهذه الفنون

من الاقوال المأثورة " ان الشرائع نامية غير مصنوعة " وهذا القول يطلق على سائر العلوم بجميعها نامٍ من جرثومة صغيرة الى جسم كبير منتقل من البساطة الى التركيب ومن القلّة الى الكثرة شأن كل مادّة تنفعل بها القوّة وشأن كل منزع من منازع العقل . اوّل رجل قسم اربع ثمراتٍ مع رفيقهِ فاعطاهُ اثنتين واخذ اثنتين هو واضع علم الحساب لان العلم هو المعرفة الصحيحة في الاشياء . يكون بهذه الصورة من البساطة والسهولة ثم يأخذ بالنمو والمعاظلة الى ان يصير مضاعاً للعقول ومحيّرًا للمدارك . يكون بذرة صغيرة تزرى لحقارتها وتمتهن لصغر شأنها ثم لا تمهل حتى تصبح شجرة كثيفة او غابة غبياء

لم يبلغنا في الرياضيات نموٌّ يستحق الذكر حتى قام بها اليونان فاظهروا فيها غرائب الاكتشاف وكان لهم فيها الفضل الذي لا يجارى . وعند ذكر علمائهم لا يبقى محلٌّ لذكر غيرهم من القدماء في ترقية هذه العلوم . ولا يسعنا الاَّ ان نشعر بالاحترام والاجلال عند ما نذكر طاليس وفيثاغورس وهيبارخس وبقراط وافلاطون وارسطو وارخميدس واقليدس وبطليموس وابولونيوس والعدد العديد غيرهم ممن لهم في الرياضيات القدح المعلَّى والكعب الارفع

الحساب والهندسة والفلك كانت تعتمد بعضها على بعض في الارتقاء والنمو اما الجبر فلم يعدّ بين العلوم ولا ظهر مستقلاً الاَّ بعد ان كان غيرهُ قد بلغ درجة سامية من الاتقان والاحكام

واول ما ظهر فجرهُ على ما يظن في كتاب الفهُ اقليدس وسماهُ معاصروهُ حساب اقليدس لانهم لم يفهموهُ وقد فقد هذا الكتاب تماماً انما اشار اليهِ كتبة اليونان في بعض مؤلفاتهم بما يفهم منهُ ان اقليدس الف كتاباً غير مفهوم في الحساب العالي والراجح الآن ان مؤلفهُ هذا كان في الجبر اذ انهُ يعسر التصديق ان مبادئ الجبر كانت خافية وهو يستعملها في هندستهِ التي من مراجعتها يظهر ان اقليدس استخدم الجبر في حلّ المسائل الهندسية

واقدم ما انتهى الينا من امر الجبر مؤلف وضعهُ ديوفنطوس (Diophante) المتوفى سنة ٤٠٩ بعد المسيح في ثلثة عشر كتاباً لدينا منها ستة فقط والسبعة الباقية مفقودة . ومباحث الستة الاولى هي في المعادلات البسيطة والسيَّالة من الدرجة الاولى لمجهولين فقط يتبعها مسائل

منشورة مع حلها والمجهول في جميعها دليلهُ واحد ثم كتاب في المعادلات المفردة من الدرجة الثانية اي ما كان المجهول فيها مربعاً فقط مع حل بعض المسائل من هذا القبيل . ولعلَّ السبعة المفقودة فيها مسائل اكثر صعوبة مما ذكر لان درجة الكتب ترتفع بالتدريج في الستة الموجودة . ولم يسبقهُ احد لاستعمال العلامات بل هو اول من نبَّه اليها باستخدام الخط القصير علامة للطرح

وقد اشتغل الهنود والعرب في الجبر غير انهم لم يضيفوا الى موضوعات اليونان فيهِ شيئاً يذكر ولم يستعملوهُ الا في حلّ المسائل العددية وبقي عندهم مسلكا متوعرًا وهم يعتبرونهُ حساباً عالياً

وفي سنة ٥٩٨ مسيحية نشر براهماغوبتا الهندي (Brahmegupta) كتاباً في الحساب والجبر يلحقهما ذيل في الهندسة وهو كتاب نفيس في بابهِ حمل الكثيرين على القول ان علم الجبر كان راقياً درجة سامية بين الهنود قبل براهماغوبتا ودعا آخرين الى القول ان هذا الهندي هو واضع علم الجبر دون غيرهِ . ولعلهُ اطلع على كتاب ديوفنطوس اليوناني فان كان ذلك فالواضع هو ديوفنطوس وحدهُ والاَّ فيكون براهماغوبتا قد نازعهُ الشرف والفخر في وضع هذا الفن . اما كتاب الرياضي الهندي فيشبه كتاب ديوفنطوس في كثير من الوجوه ولا يزيد عنهُ شيئاً وهذا حمل البعض على القول بانهُ منقول عنهُ ويعزّز هذا الزعم قصر باع الهنود في سائر العلوم الرياضية كالهندسة والهيئة عمَّا لليونان فيهِ المبلغ الاعلي والخطة المثلى . فلو كان الهنود اهل اكتشاف في الرياضيات لاكتشفوا في الهندسة وهي اقرب الى الحاجة من الجبر

وفي اواخر القرن الثاني عشر نشر بهسكارا (Bhascara) الهندي كتاباً شرح فيهِ كتاب براهماغوبتا مع بعض اضافات تناولها من العرب او من نفسهِ وبهذا الشرح عظم امر الجبر الهندي وارتفع شأنهُ بين الامم فترجم هذا الكتاب الى الانكليزية بصورٍ شتى ترجمهُ عدد ليس بقليل من الراغبين في نشرهِ

ثم بعد براهماغوبتا بزمنٍ طويل اي في الربع الاول من القرن التاسع نشر محمد بن موسى الخوارزمي قيّم خزانة كتب المأمون كتاباً بامر المأمون في الجبر والمقابلة وهو اول كاتب كتب بالعربية في هذا الفن فهو واضع الاصطلاحات الجبريَّة وهو الذي اعطاهُ هذا الاسم العربي الذي نقلهُ الافرنج بلفظهِ عن عرب الاندلس وعرب المشرق حتى خيل للكثيرين ان العرب هم واضعو الجبر وانهُ لم يسبقهم اليهِ احد

وقد اشتهر هذا الكتاب في الشرق والغرب وطار ذكرهُ في جميع الاصقاع وكثرت

شروحه وترجماتهُ الى لغات كثيرة في ازمنة مختلفة وكان هو المعوَّل عليهِ في هذا الفن مدة طويلة ولا يشكُّ الاوربيون اليوم ان محمد بن موسى اخذ هذا العلم عن الهنود واليونان فهو كان قيم خزانة الكتب في بغداد ولهُ الاستطاعة ان يستنبث ركازها ويقف على محتوياتها

اما ابحاث الكتاب فهي الجمع والطرح والضرب للكميَّات الحاوية مجهولاً واحدًا او جذر المجهول او مربَّعهُ . وطرائق الجمع والطرح موضَّحة بخطوطٍ يعبَّر بها عن القيم وفيهِ بعض امثلةٍ على المعادلة المفردة من الدرجة الثانية محاولة بعد ايضاحات طويلة مبهمة وفيهِ باب عن التجذير والترقية للكميات ذات الحد الواحد

وقام بعدهُ تلميذهُ ثابت بن قرَّة فالف كتابًا بيَّن فيهِ كيفية استخدام الجبر في الهندسة وجمع بين الاثنين. وكثرت بعدها كتب العرب في هذا الفن غير ان جميع ما أُلّف بعدها لم يخرج عما وضعهُ محمد في كتابهِ الاول فكلهم نقلوا عنهُ كما نقل هو عمَّن سبقهُ من الهنود واليونان

ودامت العلوم الرياضيَّة مزدهرة عند العرب مثل غيرها اكثر من سبع مئة سنة في الشرق والغرب الى ان دالت دولتهم وسلَّموا ما في ايديهم الى الاوربيين بعد ان زادوا فيهِ شيئًا كثيرًا في الفلك والمثلثات وقليلاً في الهندسة والجبر

اما بين الافرنج فلم يظهر بعد ديوفنطوس احدٌ الى اواسط القرن العاشر حين قام جربرت الافرنسي (٩٣٠ — ١٠٠٣) (Gerbert) وكان راهبًا شبَّ في احد الاديرة وتلقن فيهِ من الرهبان العلوم التي كانت بين الافرنج في عهدهِ ومهر في الطبيعيات مهارةً اطارت صيتهُ في البلاد وجعلت الناس يتَّهمونهُ بالسحر ثم ترك الدير ورحل الى الاندلس التي كانت في ذلك العهد مقصدًا لطلبة العلم ومحبي الحكمة من الافرنج وتلقَّى في احسن مدارسها العلوم الرائجة بين العرب في تلك الايام وقصد اشهر علمائها واخذ عنهم في جميع الفنون وكان شديد الذكاء قويَّ الحافظة فرجع الى بلادهِ بغنائم وافرة واسس مدرسة كبيرة اتسع ذكرها وطارت شهرتها . ثم رقي العرش البابوي باسم سافستروس الثاني

واهم المسائل التي اشتغل بها وحلَّها ايجاد ساقي المثلث القائم الزاوية اذا عيّن الوتر والمساحة اي انهُ استخرج قيمة ك وقيمة ى في هاتين المعادلتين وهي مسألة كان لها في زمانهِ شأن كبير حتى حارت بها عقول العلماء واليوم تعد من اسهل المسائل الجبرية التي يحلُّها صبيان المكاتب.

$$\left\{ \begin{array}{l} \text{ك}^{2} + \text{ى}^{2} = \text{ب}^{2} \\ \frac{\text{ك ى}}{2} = \text{ت} \end{array} \right.$$

واستخرج عدَّة عبارات هندسية تتعلق باقواس المضلعات ووضع عبارة لمجموع السلسلة الهندسية ولهُ غير ذلك كثير من الاكتشافات والاوضاع مما جعلهُ يعد في مقدمة ابطال الجبر

وفي اوائل القرن الثالث عشر قام ليونارد دي بيز الايطالي (Leonard de Pise) وكان لهُ في الرياضيات شهرة واسعة اكتسب جلّها من رحلتهِ الى الشرق حيث امتزج بعلمائهِ واخذ ما عندهم من علم وادب وعاد الى مواطنيهِ يدهشهم بما لم يكن لهم بهِ عهد

واقترح عليهِ فريدريك امبراطور جرمانيا مسائل كثيرة اكتشف وهو يحلها عدّة قضايا في الجبر والهندسة واليهِ يعزى حل المعادلات من الدرجة الثالثة والرابعة اذ ان ذلك كان غير معروف الى عهدهِ . ولم يقم بين الافرنج في القرون المتوسطة غير هذين الاثنين من اهل الشهرة الذين اضافوا الى الجبر شيئًا يؤرخ . اما حرصهم على ترقيتهِ وفعال ابطالهم فيهِ بعد القرن الخامس عشر فسنأتي على تفصيلهِ في فرصة اخرى

دمشق فارس الخوري

الحرارة الحيوانية

من المسائل العويصة التي لم يهتدِ العلماء الى حلها حتى الآن حلاً مقنعاً كيفية تولُّد الحرارة في جسم الانسان والحيوان وبقائها على درجة واحدة تقريبًا سواء كان في الاقاليم الحارة حيث تبلغ حرارة الهواء الدرجة الاربعين والخمسين فوق الصفر او في الاصقاع القطبية حيث تبلغ الدرجة الاربعين والخمسين تحت الصفر .

ولما التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدينة بلفست في اواخر الصيف الماضي قرأ فيهِ العلاّمة الطبيعي الشهير لورد كلفن رسالة وجيزة موضوعها الترموستات الحيواني قال فيها ما معرّبهُ

" الترموستات آلة تبقي الحرارة على درجة واحدة فما هو الترموستات الذي يبقي حرارة جسم الانسان على الدرجة ٩٨ واربعة اعشار بميزان فارنهيت فقد عُلم منذ عهد طويل ان الحرارة التي يعتمد عليها هذا الترموستات هي من اتحاد طعام الانسان بالاكسجين ان كانت حرارة الهواء اوطأ من حرارتهِ . وقد اكتشف لافوازيه ولابلاس ومنغس ان محل القسم الاكبر من هذا الاتحاد في انسجة تحيط بالانابيب الدقيقة التي يدور فيها الدم ويجري في الجسم كلهِ كما ان محل القسم الاصغر منهُ في الاعضاء الباطنة كالقلب والرئتين وما يتصل بهما . ولا يبعد ان يكون محل تعديل الحرارة حتى تبقى على درجة واحدة تقريبًا هو في القلب او في ما حولهُ . هناك الترموستات الذي يعدّل حرارة الانسان ويمنع انخفاضها

"ولكن اذا علت حرارة الهواء وزادت على حرارة الجسم وكانت الرطوبة كثيرةً فيهِ حتى

تعذَّر تبخُّر العرق فكيف يفعل هذا الترموستات في تعديل حرارة الجسم ويمنع ازديادها مع انها مستمرَّة التولُّد فيهِ واذا كان النفَس يخرج وحرارتهُ مثل حرارة الجسم وفيهِ الحامض الكربونيك المتولّد من الجسم فاين تذهب الحرارة التي تتولَّد من احتراق الكربون الذي في الطعام . فان الطعام يُؤكل حينئذٍ وحرارتهُ مثل حرارة الهواء المحيط بالانسان ثم تزيد باتحادهِ بالاكسجين داخل الجسم فاين تذهب الحرارة الزائدة التي تتولَّد من هذا الاتحاد

"لا بدَّ من اجراء التجارب الكثيرة ليُعْلَم كم تزيد حرارة الانسان اذا اقام في هواء حار رطب واذا اقام في ماء حرارتهُ ١٠٦ درجات مثلاً وكانت حرارة الهواء حولهُ على هذه الدرجة ايضاً وهو مشبع بالبخار المائي اذا لم يكن من ذلك ضرر . ولا بدَّ من امتحان حرارة الفم حينئذٍ كل دقيقتين ومن امتحان حرارة النفَس ومعرفة مقدار ما فيهِ من البخار والحامض الكربونيك"

ثم كتب في الخامس من شهر دسمبر الماضي يقول نبهني البعض بعد كتابة ما تقدم لما كتبهُ الدكتور ادير كروفرد سنة ١٧٨١ عن تجارب جرَّبها فاكتشف بها مقدرة بعض الحيوانات على احداث البرد فانهُ وضع الضفادع الحيَّة والضفادع الميتة في مكان حرارتهُ ١٠٦ درجات بميزان فارنهيت وكانت حرارة الضفادع الحيَّة ٦٧ وحرارة الضفادع الميتة ٦٨ وابقاها في ذلك المكان ٢٥ دقيقة وكان يقيس حرارتها في كل دقيقة فوجدها على ما في هذا الجدول

	حرارة الهواء	حرارة الضفدع الحيّة	حرارة الضفدع الميتة
في آخر الدقيقة الاولى		٦٧ ١/٢	٧٠ ١/٢
" " " الثانية	١٠٢	٦٨	٧٢
" " " الثالثة	١٠٠	٦٩ ١/٢	٧٢ ١/٢
" " " الرابعة	١٠٠	٧٠	٧٣
" " " الخامسة والعشرين	٩٥	٧٨ ١/٢	٨١ ١/٢

وكانت حرارة باطن الضفادع مثل حرارة ظاهرها . ويتضح من ذلك ان الضفدع الحيَّة تقاوم حرارة الهواء اكثر من الضفدع الميتة فلا بدَّ من ان يكون الفضل في ذلك لاعضائها الحيويَّة

وقد يُظن لاول وهلة ان التبخُّر من جسم الحيوان الحي يمنع وصول حرارة الهواء اليهِ فجرب التجربة التالية ليعلم ما اذا كان هذا الظن صحيحاً او غير صحيح ووضع الضفادع الحية والميتة في ماء حرارتهُ ٩٨ درجة حتى يمتنع التبخُّر من ابدانها وكانت حرارتها ٧٥ درجة فوجد انها تغيرت في ثماني دقائق كما ترى في هذا الجدول

	حرارة الضفدع الحية	حرارة الضفدع الميتة
في آخر الدقيقة الاولى	٨١	٨٥
" " الثانية	٨٥	٨٨ ١/٢
" " الثالثة	٨٧	٩٠ ١/٢
" " الخامسة	٨٩	٩١ ١/٢
" " السادسة	٨٩	٩١ ١/٢
" " الثامنة	٨٩	٩١ ١/٢

وكانت حرارة الماء قد هبطت الى الدرجة ٩١ ١/٢ بسبب برد جسمَي الضفدعين وبسبب تحريكهِ فصارت حرارة الضفدع الميتة مثل حرارتهِ في خمس دقائق واما حرارة الضفدع الحية فبقيت اقل من حرارتهِ درجتين ونصف درجة دلالةً على ان في جسمها شيئاً يقاوم اشتداد الحرارة وهو غير التبخُّر لان التبخر لم يكن ممكناً وهي غائصة في الماء . ويظهر من تجارب الدكتور فورديس ان في جسم الانسان قوةً مثل هذه على تعديل حرارتهِ سواءٌ كان في هواء رطب او جاف فمن المحتمل ان هذه القوة فيهِ لا تتوقف على تبخر العرق من جسمهِ

ومما يحسن ذكرهُ هنا ان الضفدع الحيَّة اذا وضعت في هواءٍ حرارتهُ فوق ٧٠ درجة بميزان فارنهيت تبقى حرارتها اوطأ من حرارة الهواء ولكن يكون باطنها اسخن من ظاهرها فانهُ حينما بلغت حرارة الهواء الدرجة ٧٧ كانت حرارة ظاهر الضفدع التي فيهِ ٦٨ درجة وحرارة باطنها ٧٠ ١/٢ ووضعت ضفدع في ماء حرارتهُ ٦١ درجة فصارت حرارة ظاهرها ٦١ ١/٢ وبقيت حرارة باطنها ٦٦ ١/٢

وأُتي بكلب حرارتهُ ١٠٢ بميزان فارنهيت وغطِّس في ماءٍ حرارتهُ ١١٤ درجة وترك انفهُ فوق الماء ليتنفس وترك في الماء ٣٠ دقيقة فتغيرت حرارتهُ كما ترى في هذا الجدول

	حرارة الكلب	حرارة الماء
بعد ٥ دقائق	١٠٨	١١٢
" ٦ "	١٠٩	١١٢
" ١١ دقيقة	١٠٨	١١٢
" ١٣ "	١٠٨	١١٢
" ٣٠ "	١٠٩	١١٢

واسرع تنفُّسهُ عند الدقيقة الحادية عشرة وانحطت قواهُ عند الدقيقة الثلاثين

وأُخرج قليل من دمهِ حينئذٍ فاذا حرارتهُ لم تزد عن الدرجة الطبيعيَّة الاَّ قليلاً جدًّا . الاَّ انهُ حدث تغير غريب في لون دمهِ فان لون الدم الوريدي قاتم ولون الدم الشرياني فاتح ولكن لما اقام الكلب في الماء السخن نصف ساعة صار لون دمهِ الوريدي فاتحًا مثل لون دمهِ الشرياني وصار يصعب التمييز بينهما . وكُرّرت هذه التجربة ست مرات فكانت نتيجتها واحدة وهي صيرورة الدم الوريدي مثل الدم الشرياني

ووُضع كلب حرارتهُ ١٠٢ في هواء سخن حرارتهُ ١٣٤ درجة ليُرى هل فعل الهواء السخن مثل فعل الماء السخن في ازالة الدكنة من الدم الوريدي وصيرورتهِ مثل الدم الشرياني . ثم فُصد في وريدهِ الوداجي واستُخرج بعض دمهِ فاذا جانب كبير من دكنتهِ قد زال منهُ

ويعلم الآن ان الحامض الكربونيك الذي يصل الى الدم الوريدي هو الذي يلوّنهُ باللون القاتم . ثم يخرج الحامض الكربونيك من الدم الوريدي حينما يصل الى الرئتين فيطهر ويفتح لونهُ ويصير شريانيًّا . فاذا كان الكلب الذي يوضع في الماء السخن يصير دمهُ الوريدي مثل دمهِ الشرياني كما اثبت الدكتور كروفرد بالامتحان فذلك دليل على ان الحامض الكربونيك يُنفَث منهُ حينئذٍ . وعسى ان يُمتحن ذلك في الانسان ويُمتحن ايضًا تنفسهُ وهو قائم في الماء السخن . واذا ثبت انهُ يحدث في دمهِ ما حدث في دم الكلب اتضح من ذلك سبب بقاء جسمهِ باردًا ولو احاط بهِ الماء الحار ولكن اذا وُجد في نفسهِ حينئذٍ كثير من الاكسجين فمن المحتمل ان يكون سبب البرودة انحلال المواد التي فيها اكسجين وخروج الاكسجين منها . واذا كانت المادة المنحلَّة ماء وجب ان يكون في النفَس حينئذٍ شيءٌ من الهيدروجين اذا لم يتصرف الجسم بالهيدرجين على اسلوب آخر . انتهى

هذا وقد بلغنا بعد ترجمة هذه السطور ان العلماء ولا سيما الاطباء جرَّبوا التجارب الكثيرة في هذا الباب فوجدوا ان حرارة الجسم تزيد درجتين او ثلاثًا . ومعلوم ان الانسان يستطيع ان يدخل فرنًا حرارتهُ مئتا درجة او اكثر وكان المظنون ان البخار الخارج من بدنهِ يمنع فعل الحرارة الخارجية بهِ حينئذٍ لانهُ يشملهُ بغلالة غير موصلة للحرارة . فان كان فيهِ فاعل كيماوي يبرّد جسمهُ فيكون قد كشف سبب آخر لاحتمالهِ الحر الشديد والاَّ فخروج البخار من جسمهِ كافٍ لذلك . ولا بدَّ من ان تجلو التجارب العلمية هذا الامر وتقرّهُ على قرار مكين وسنوافي القراء بما نقف عليهِ من هذا القبيل

اصلاح القطر المصري

اصبح المال عماد الدول واساس تقدم الامم ولذلك يُنظَر الآن في اصلاح مال البلدان قبلما يُنظر في اصلاح حالها . وهذا ما فعلتهُ الدولة المحتلَّة في هذا القطر

صدر الآن تقرير اللورد كرومر السنوي مبدوءًا بفصل مسهب موضوعهُ السياسة المالية وهو يبحث عن مالية هذا القطر وما تمَّ فيها من الاصلاح في العشرين السنة الماضية اي منذ ابتدأ الاحتلال الانكليزي الى الآن . فرأينا ان ننقلهُ الى المقتطف لانهُ خلاصة تاريخ الاصلاح الذي تمَّ في القطر المصري على عهد الاحتلال ولان فيهِ فائدة للبلدان المجاورة اذا ارادت ان تنسج على منوال هذا القطر . قال جناب اللورد بعد ذكر حساب الحكومة المصرية في العام الماضي وحسابها التقديري لهذا العام ما ترجمتهُ

مرادي ان اراجع الآن بعض الاسهاب اهم الحوادث المالية التي حدثت في غضون العشرين سنة الاخيرة لانهُ قد حان الوقت لذلك

فاولاً يظهر لي من كثرة المقترحات التي تقتضي النفقات الطائلة ان حال المالية المصرية غير معروف تماماً . نعم ان حالها الآن مقارن للنجاح ولكن هذا النجاح لا يستمرُّ اذا فعلت الحكومة دفعةً واحدةً عشر ما يُطلَب منها بالمقترحات التي اشرتُ اليها مع ان كثيرًا من هذه المقترحات معقول ويستحق ان يُعمَل بهِ اذا نظرنا اليهِ لذاتهِ

ويحسن ان يتذكر سكان هذا القطر اوربيين كانوا او وطنيين ان ما يطلبونهُ الآن مرةً بعد اخرى ويتهمون الحكومة بالبخل لانها لا تجيب طلبهم فيهِ كان يعدُّ من الطفائف منذ عهد قريب لان الحاجة كانت ماسة الى امور اخرى اهم منهُ جدًّا فلم يكن يذكر معها . لما التأمت لجنة التحقيق التي كنتُ عضوًا منها سنة ١٨٧٨ والتي جُعل تقريرها مبدأً للاصلاحات التي تمت بعدها لخصتْ وصف حالة البلاد حينئذٍ بقولها " والمراد انشاء ادارة مالية يتولاَّها عدد قليل جدًّا من الموظفين اما الآن فلا يكاد يوجد شيءٌ مما يجب ان يكون " . وقد وجدتْ تلك اللجنة الداء مستحكمًا في كل فرع من فروع الحكومة المصرية حتى يتعذر برؤْهُ مهما كان العلاج . ولم يكن ذلك الجسم مصابًا بعلة واحدة بل بعلل كثيرة في كل عضوٍ من اعضائهِ . مثال ذلك ان مال الحكومة الذي هو اقوى الوسائل لاصلاح شأن الامَّة ادبيًّا ومادياً كانت نظارة المالية تستخدم اقبح الوسائل واحرمها لابتزاز كل ما يمكنها ابتزازهُ منهُ ثم تنفقهُ غالبًا في سبُل لا تفيد الامة مطلقًا

كتبت لادي دف غوردون سنة ١٨٦٧ تصف حال مصر والمصريين وصفًا منطبقًا على الحقيقة فقالت "ان قلمي يعجز عن وصف الشقاء النازل بهذا القطر . تجد كل يوم ضريبة جديدة فتؤخذ الضرائب على البهائم كلها على الجمال والثيران والغنم والحمير والخيل ولم يعد في طاقة الفلاحين اكل الخبز فهم يعيشون الآن على دقيق الشعير يجبلونهُ بالماء ويأتدمون بالفول والبقول . ويتعذر على المرء ان يعيش مع ما يُطلَب منهُ من الاموال فانهُ مضطر ان يدفع الضرائب عن كل ما يزرعهُ وما يقتنيهِ وما يملكهُ حتى عن الفحم والملح . وقد اخذ الناس يهربون جماعات من الصعيد لعجزهم عن دفع الضرائب الجديدة وعن عمل الاعمال التي يسخَّرون لعملها حتى في القاهرة تجد الناس يُجلَدون بالسياط جلدًا مبرحًا ليدفعوا ما يطلب منهم من المغارم " (١).

ولم يتهيأ لي ان اقول في تقريري "ان الحالة المالية قد اعتدلت بعد جهاد طويل وبعد الريب الكثير في استطاعة البلاد على القيام بما يُطلب منها وثبتت الموازنة بين الدخل والخرج " الآ سنة ١٨٩٠ اي بعد ما قالت لجنة التحقيق قولها المشار اليها آنفًا باثنتي عشرة سنة

نعم انهُ في السنوات الاولى من سني الاحتلال زُرعت البزور التي اتت بثمر صالح اخيرًا ولكن لم يزل الخوف من افلاس الحكومة المصريَّة الآ منذ عشر سنوات او اثنتي عشرة سنة فصارت قادرة على الاهتمام باعمال الاصلاح اما قبل ذلك فلم يكن المال ميسورًا لها وهو اساس كل اصلاح . ومن ثمَّ فلا عجب اذا كان الاصلاح قد اقتصر على الضروريات ولم تتناول يد المصلح حتى الآن اشياء كثيرة ممَّا يجب اصلاحهُ او لم تصلحهُ الاصلاح الكافي

هذا هو الامر الاول والامر الثاني ان السياسة المالية التي أُتُّبعت منذ بدء الاحتلال البريطاني الى الآن غير معلومة عند البعض العلم الكافي على ما يظهر . وقد تختلف الآراء في كونها اصلح سياسة مالية لهذا القطر في الاحوال التي استُعملت فيها . وسأبين قريبًا انهُ كان يمكن ان تُتبع سياسة اخرى ولهذه السياسة ادلَّة قويَّة تؤيدها لكنها محدودة في رأيي ولا شبهة في ان السياسة المالية التي أُتُّبعت كانت جليَّة واضحة سواء كانت حكيمة او غير حكيمة . وقد جرت الحكومة عليها سنوات عديدة مع انها اضطرَّت ان تتوقف في عملها احيانًا بسبب بعض الطوارىء الطبيعية والعوارض الوقتية واهمها استرجاع السودان واجسر واقول زيادة على ذلك ان هذه السياسة وفت بالغرض المقصود منها تمامًا كما هو ثابت بالدليل القاطع

والامر الثالث ان اغراض هذه السياسة المالية لم تتم كلها حتى الآن ولكنها قاربت التمام وسأبين الاماكن التي يحسن ان يحدث فيها تغيير متدرّج

(١) مكاتيبها الاخيرة من مصر صفحة ١٠٨ و١٦٦ ثم زادت الخطوب تفاقمًا بعد ذلك

وهذه الاسباب كافية على ما اظن لذكر الملخص التاريخي التالي في هذا التقرير. فان معرفة الماضي بوجه عام لازمة لادراك الحالة الحاضرة وللاستدلال على الجهة التي يحسن ان يتجه فيها الاصلاح في المستقبل . وها انذا اشرح حقيقة السياسة المالية التي كان العمل بها

لما أُخمدت الثورة العرابية اتضحت ثلاثة امور في وسط التشويش والاضطراب اللذين كانا سائدين حينئذٍ

الاول . ان الضرائب كانت فوق الطاقة وان النظام المالي كان كثير الشوائب مع ما تمَّ فيهِ من الاصلاح في زمن المراقبة (من سنة ١٨٧٦ — ١٨٨٢)

والثاني . انهُ لا بد من انفاق اموال كثيرة على الري والصرف بنوع خاصٍ اذا اريد ان يستفيد اهالي هذا القطر من خصب ارضهم واستعدادها الزراعي الذي جادت بهِ الطبيعة عليهم

والثالث . انهُ لا بدَّ من الاصلاح في كل فرع من فروع الحكومة وكل ذلك يقتضي نفقات طائلة .

وكان من البيّن ان بلوغ هذه الغايات كلها معاً دفعةً واحدة ضرب من المحال لاسيما وان بعضها كان مناقضاً للبعض الآخر في ذلك الحين فكان لا بدَّ من الاختيار بين الاصلاح المالي والاصلاح الاداري

وقد قلتُ سابقاً انهُ كان في الامكان اتباع سياسة اخرى يصعب اثباتها جدلاً ومن ادلتها الجائزة ان الضرائب كان يجب ان تبقى على الحال الذي كانت فيهِ سنة ١٨٨٢ لكي يسهل اجراء الاصلاحات وبعد ذلك تخفض عن عاتق الاهلين

اما الادلة التي تغلَّبت على هذا الدليل وعُمِل بها فمدارها على ان جمهور الاهالي يهمهُ تخفيف الضرائب اكثر مما تهمهُ الاصلاحات الادارية مهما كانت هذه الاصلاحات مطلوبة لذاتها في عيون الاوربيين . ثم ان تخفيف الضرائب يبقي جانباً من المال في جيوب الاهالي فيستثمرونهُ وتزيد بهِ ثروة البلاد ويأول ذلك اخيرًا الى زيادة المال في خزينة الحكومة فيسهل عليها اتمام الاصلاحات الادارية ولو تأخرت في اجرائها الى ذلك الحين وتلقى من الامة حينئذٍ معاضدة في اجرائها اكثر مما كانت تلقى لو شرعت فيها قبل غيرها

اما الانفاق على الاعمال العمومية ولاسيما اعمال الري فشأنهُ غير شأن الانفاق على الاصلاحات الادارية لانهُ يأتي بالربح الكثير فضلاً عن كون جمهور الاهالي يدرك فوائدهُ حالاً ويرضى عنهُ اكثر مما يرضى عن غيره . وقدّرت انهُ يمكن الحكومة اخيرًا من الحصول

على الاموال الكافية للاصلاحات الادارية والاصلاحات الصحيَّة ايضاً ولو لم يكن ذلك بالغرض الوحيد منهُ

وعليهِ يمكن وصف السياسة المالية التي أُتبعت حينئذٍ بما يأتي : الاصلاح المالي مع تخفيف الضرائب عن عاتق الاهالي قُدِم على غيرهِ وجعل اولاً . ويتلوهُ انفاق الاموال التي تستطيع الحكومة الاستغناء عنها على الاعمال العمومية التي منها ريع وبنوع خاص على الري والصرف . واما الاصلاحات الادارية التي تقتضي نفقات طائلة فجُعلت في الدرجة الثالثة وأُخرت عن غيرها. وبقولي ان هذه الاصلاحات جعلت في الدرجة الثالثة وأُخرت عن غيرها لا اعني انهُ لم يتم شيءٌ منها وانهُ أُهمل كل ما لا يدخل في القسم الاول والثاني من الاصلاح كلاً فقد ابنت في تقاريري السنوية الماضية انهُ تمَّت اصلاحات كثيرة في القضاء والتطبيب والتعليم اقتضت نفقات طائلة فان نفقات نظارة الحقانية بكل فروعها كانت ٢٥٥٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٢ فبلغت ٤٠٧٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠١ . ونفقات السجون كانت ٢٠٠٠٠ ج . م فبلغت ٦٠٠٠٠ ج . م ونفقات مصلحة الصحة كانت ٧٠٠٠٠ ج م فبلغت ١٠٥٠٠٠ ج . م الاَّ ان الاموال التي أُنفقت على هذه المصالح وغيرها كانت ثانوية بالنسبة الى النفقات الضرورية التي اقتضاها القسم الاهم من السياسة المالية وهو تخفيض الضرائب والانفاق على الاعمال العمومية ذات الريع .

والتقدم الآن الى بسط الكيفية التي جرت عليها الحكومة المصرية لادراك غايتها من السياسة المالية التي اتبعتها

فاولاً انها الغت السخرة وهي تنفق على الغائها ٤٠٠٠٠٠ ج . م كل سنة . والسخرة لا تخلو مبدئيًّا من ادلة تبيحها ولكن العمل بها دعا الى كثير من المنكرات وكانت البلاد تئنُّ من وطأتها . وكان الاغنياء والذين يلوذون بهم معفين منها فيقع كل ثقلها وحيفها على الفقراء

وخُفضت اموال الاطيان ٥٧٠٠٠٠ ج . م في السنة مع ان ريعها زاد كثيرًا بواسطة اصلاح الري والصرف وحينما يتمُّ تعديل الضرائب الجاري الآن تصير توزَّع بالقسط اكثر مما توزَّع الآن

وأُلغيت رسوم البطاطة فرفع عن الاهلين ١٨٠٠٠٠ ج . م في السنة . وهي من الرسوم العادلة ولكنها لا توافق هذا القطر لان حملها كان واقعاً على الاهالي الوطنيين واما الاوربيون نزلاء مصر فكانوا معفين منها

وأُلغيت رسوم الشعاري (رسوم الغنم والمعزى) وهي ٤٠٠٠٠ ج . م في السنة وكانت

وطأتها ثقيلة على الفلاحين ويقع في جمعها كثير من الحيف

وأُلغي رسم القبانة وكان ايراده ٢٨٠٠٠ ج . م والمرجح ان الاهالي كانوا يدفعون اكثر من ذلك كثيرًا لسهولة التلاعب فيهِ

وأُلغيت رسوم اخرى صغيرة يبلغ مجموع دخلها السنوي ٥٣٠٠٠ ج . م وكلها مما يتألم الناس منهُ

وأُطلقت حريَّة الملاحة في النيل فخسرت الحكومة بذلك ٤٦٠٠٠ ج . م كل سنة

والغيت الدخوليات من كل مكان وكان دخلها السنوي نحو ٢٠٠٠٠٠ ج . م

وأُصلح الاسلوب الذي تُستغلُّ بهِ مصايد الاسماك فرفع عن عاتق الصيادين ٤٠٠٠٠ ج . م كل سنة وأُنقذت هذه الحرفة من شوائب كثيرة كانت فيها

وقللت رسوم النثارات ٣٣٠٠٠ ج . م كل سنة خفت عن التجارة الخارجية

وخُفض ثمن الملح ٤٠ في المئة فزادت المقطوعية كثيرًا فانها كانت ٢٤٠٠٠ طن سنة ١٨٨٦ فبلغت ٥٠٠٠٠ طن سنة ١٩٠١

وأُنقصت أُجور البوسطة كثيرًا وكان عدد الرسائل التي مرَّت في البوسطة المصرية ٤٣٥٤٠٠٠ سنة ١٨٨٢ فبلغ ١٧٢٥٦٠٠٠ سنة ١٩٠١ ورغمًا عن نقص الاجور زاد ربح الخزينة فان صافي الايراد من مصلحة البوسطة كان ١٣٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٣ فبلغ ٢٦٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠١

وحدث ما يشبه ذلك في مصلحة التلغراف فأُنقصت اجرة التلغرافات خمسين في المئة وكانت النتيجة ان زاد عدد التلغرافات كثيرًا فقد كان عددها ٤٨٩٠٠٠ سنة ١٨٨٢ فبلغ ٤٢٥١٠٠٠ سنة ١٩٠١ . والنقص الذي حدث من تنقيص الاجرة استُرِد من زيادة عدد المراسلات . وبلغ صافي ربح هذه المصلحة ١٢٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠١ وكان ١١٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٢

وخُفضت اجور سكة الحديد ايضًا ولكن زيادة البضائع سدَّت مسدَّ النقص الحاصل من ذلك. كان عدد الركاب ٢٧٦١٠٠٠ سنة ١٨٨٣ ووزن البضائع ١١٧٦٠٠٠ طنًا سنة ١٨٨٣ فبلغ عدد الركاب ١٣٠٤٠٠٠٠ ووزن البضائع ٢٩٧٥٠٠٠ طنًا سنة ١٩٠١ وزاد صافي الايراد في هذه المدة من ٦٩٣٠٠٠ ج . م الى ١١٦٥٠٠٠ ج . م

وعوائد الاملاك التي كان دفعها مقصورًا على رعايا الحكومة المحلية عمَّ الآن جميع السكان من غير فرق وكانت هذه العوائد ٦٠٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٣ فبلغت ١٤٥٠٠٠ سنة ١٩٠١

ولم يُزد الاَّ رسوم التبغ كانت ١٤ غرشاً على الكيلو فصارت ٢٠ غرشاً على الكيلو

وجملة القول ان الضرائب خفضت ١٦٠٠٠٠٠ ج . م سنوياً[٢] في غضون العشرين سنة الماضية عدا التخفيض في ثمن الملح واجور البوسطة وسكة الحديد والتلغراف فنقصت الضرائب عن كل نفس من سكان القطر من ١٠٣ غروش سنة ١٨٨٢ الى ٧٨ غرشا و٩ مليمات سنة ١٩٠٢

وعندي انهُ لا شيء يثبت باجلى بيان مقدرة القطر المصري على استرجاع قوتهِ مثل هذين الامرين الاول ان تخفيض الضرائب قد تمَّ رغمًا عن تحمُّل المالية المصريَّة ٣٠٠٠٠٠ ج . م كل سنة بسبب استرجاع السودان والثاني انهُ رغمًا عن تخفيض الضرائب زاد ايراد الحكومة المصرية من ٢٠٠٠٠٠٠٠ الى ٢٥٠٠٠٠٠ ج . م في السنة فقد كانت الايرادات العادية منذ عشرين سنة ٩٠٠٠٠٠٠ ج . م وكانت تُحصَّل بالصعوبة وكثيرًا ما كانت الاطيان تحجز وتباع لعجز اصحابها عن ايفاء مالها . وكان يتأخر جانب كبير من الاموال الاميرية من سنة الى سنة . وفي بدء زمن الاحتلال تجاوزت الحكومة عن مبلغ مليون جنيه من المتأخرات دفعةً واحدة والآن تبلغ الايرادات العادية من ١١٠٠٠٠٠٠ ج . م الى ١١٥٠٠٠٠٠ ج . م وقلَّ حجز الاطيان وبيعها بسبب عدم دفع اموالها . فان الاطيان التي تدفع الاموال عنها الآن تبلغ مساحتها ٥٥٤٠٩٠٠ ولم تبع الحكومة منها بالحجز سنة ١٩٠١ الاَّ ٥٩٢ فدانا . ويبلغ مال الاطيان ٤٦٩٨٠٠٠ ج . م ولم يتأخر منهُ في آخر السنة الاَّ ١٨٢٧٨ ج . م

ولنعُدْ الى الغرض الثاني من اغراض هذه السياسة وهو انشاء اعمال عمومية ذات رَيْع فاقول انهُ أُنفق نحو ٩٠٠٠٠٠٠ ج . م[٣] حتى آخر سنة ١٩٠٢ على اعمال الري والصرف وفوائد ذلك ظاهرة في كل مكان . فمُنع الضرر الجسيم الذي كان يحصل حتمًا من وطوء النيل سنوات متوالية . ووثق الناس بري اطيانهم واستغلالها وعادت الثقة المالية الى القطر ورغب الماليون الاوربيون في ارسال اموالهم اليهِ ولم تعد الموازنة المالية تابعة لتغيرات الفصول . وارتفعت اسعار الاطيان ارتفاعاً باهظاً وزادت مساحة ما تُدفَع عنهُ الاموال الاميرية من ٤٧٥٨٤٧٤ فدانًا سنة ١٨٨٢ الى ٥٥٤٠٩٠٠ سنة ١٩٠١ وزادت قيمة الواردات من نحو ٨٠٠٠٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٣ الى ١٥٠٠٠٠٠٠ سنة ١٩٠١ رغمًا عن رخص اسعار

(٢) اعتبر في هذه الارقام الغاء الدخوليات من العاصمة الذي تمَّ حديثاً

(٣) ومن ضمن ذلك نفقات الخزان

البضائع (٤) وزادت قيمة الصادرات في هذه المدة من نحو ١٢٠٠٠٠٠٠ ج . م الى نحو ١٦٠٠٠٠٠٠ ج . م وزاد محصول القطن المصري من ٢٥٠٠٠٠٠ او ٣٠٠٠٠٠٠ قنطار الى ٥٠٠٠٠٠٠ او ٦٠٠٠٠٠٠ قنطار . وكان مقدار السكّر الصادر من القطر يختلف بين ٢٠٠٠٠٠٠٠ و ٢٥٠٠٠٠٠٠ كيلوغرام فبلغ ٧٣٥٠٠٠٠٠ كيلوغرام سنة ١٨٩٦ ثم انخفض قليلاً ولكنهُ لم يقلّ في سنة من السنين التالية عن ٤٩٠٠٠٠٠٠ كيلوغرام

واجسر واقول ان هذه الحقائق وهذه الارقام مقنعة تمام الاقناع وتدل دلالة قاطعة على ان السياسة المالية التي أُتبعت بعد تمام التروي انجت النتائج المقصودة منها . فخففت اثقال الضرائب عن عاتق الاهلين وأُنشئت اعمال عمومية كبيرة جاءت باعظم المنافع

واني استلفت نظر القارىء الى الجدول التالي زيادة في ايضاح هذا الموضوع الهام فقد كان مجموع ايرادات الحكومة المصرية في العشرين سنة الماضية من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٩٠١ هكذا

	ج . م	ج . م
١ ايرادات اعتيادية		٢٠٤٨١٦٤٢٠
٢ سلف من قروض ومصادر اخرى		
(ا) الدين المضمون الذي استدانتهُ سنة ١٨٨٥ لدفع تعويضات الاسكندرية وغير ذلك	٩٤٩٥٩١١	
(ب) دين سنة ١٨٨٨ بفائدة ٣/١ ٤ في المئة لاستبدال المعاشات وقسم من مرتبات العائلة الخديوية ثمّ جعل من الدين الممتاز	٢١٥٨٣٠٤	
(ج) اسهم أُصدرت من الدين الممتاز سنة ١٨٩٠ لاجل الري واستبدال المعاشات ونفقات التحويل	٢١٦٢٥٦٧	

(١) متوسط الاسعار سنة	١٨٨٢	١٩٠١
القطن	٣٫٦٠٠	٣٫١٢٧
القمح	١٫٠٤٠	٠٫٨٥٤
الشعير	٫٥٨٢	٫٤٨٣
السكر العال	١٫١٠٢	٠٫٤٧٢

(د) من مصادر أُخرى واكثرها مما كان في اليد في ابتداء المدة	٩٨٢٩٢١	١٤٧٩٩٧٠٣
٣ وفر من تحويل دين الدائرة والدومين وفوائد الوفر		١٥٨٤٠٢٠
٤ من ثمن اراضي وفوائد المال الاحتياطي العمومي		١٩٤٨٤٨٤
٥ متفرقات دُفعت للمال الاحتياطي الخصوصي اهمها مبلغ ٧٧٩٠٠٠ ج . م دفعتهُ الحكومة البريطانية لمساعدة حملة السودان سنة ١٨٩٨		١٠٥٧٥٢٤
والمجموع		٢٢٤٢٠٦١٥١

ويحق للسكان الذين يدفعون الضرائب ان يسألوا كيف أُنفق أُمناؤُهم هذه الاموال الطائلة . اقول امناؤُهم لان رجال الحكومة امناء من قبل الامة على اموالها ولو كان هذا المعنى لا يدركهُ دافعو الضرائب تماماً حتى الآن في هذه البلاد ولا في كل بلاد الشرق . واذا نظرنا الى تاريخ الماضي لم نستغرب اعتقاد السكان ان مصلحة الحاكم ومصلحة المحكوم مختلفتان بل متضادتان . ولا يزول هذا الخطأُ من اذهان المصريين عموماً الاَّ بمرور الازمان

وهاك بيان الكيفية التي أُنفقت بها هذه الاموال

أ المصروفات العادية	ج . م
١ مرتبات العائلة الخديوية	٥٩١٩ ٩١٧
٢ الحقانية	٧٠٥٤ ٥٠٣
٣ الاشغال العمومية	١٠٤١٩ ٨٠٧
٤ المعارف العمومية	١٨٢٢ ٥٤٧
٥ مصلحة الصحة	١٨٥٢ ٥١٥
٦ مصاريف ادارية اخرى	٢٢١٥٢ ٣١٠
٧ المصالح ذات الايراد	٢٠٧٦٩ ٠٣٦
٨ الحربية	١٢٣٦٨ ١٠٩
٩ المعاشات	٨٦٥٥ ٧٤٥
١٠ ويركو مصر	١٣٣٩٣ ٩١٠
١١ فائدة الدين	٧٩٤٤٨ ٧٨٦
١٢ الغاء العونة	٠٥٩٧٧ ٤٥٤

١٣ السودان	٣٦٧٨ ٨٨٩
مجموع المصروفات العادية	١٩٣٥١٣ ٥٢٨

٣ المصروفات غير العادية مأخوذة من المال الاحتياطي العمومي والخصوصي والسلف ومصادر اخرى

(ا) مصروفات ابتدائية

١ تعويضات الاسكندرية	٤١٤٣ ٩٥٦
٢ للري والصرف (٥)	٤١٢٠ ١٢١
٣ إصدار السلف	٠٩٨٨ ٠١٤
٤ استبدال المعاشات	٣٦٣٣ ٦١٢
٥ مباني عمومية	٠٩٤٣ ١٨٣
٦ بواخر البوسطة	٠٢١٠ ٥٦٩
٧ سكك الحديد	٠٩٦٦ ٧٢٧
٨ السودان	٢٦١٨ ٨٢٧
٩ متفرقات	٠٧٥٩٩٤٣
	١٨ ٣٨٤ ٩٥٢

(ب) سلف مأخوذة من المال الاحتياطي العمومي وستوفيها الحكومة

١ للمباني العمومية	٣٨٢٠٩
٢ لسكك الحديد	٩٠٧٦١٨
٣ متفرقات	٢٤٣٦٧
	٩٧٠١٩٤
وجملة المصروفات غير الاعتيادية	١٩٣٥٥١٤٦
٣ المدفوع لاستهلاك الدين	٨٩٦٧٤١
جملة المصروفات الاعتيادية وغير الاعتيادية والاستهلاك	٢١٣٧٦٥٤١٥

وقد تقدّم ان مجموع الاموال التي قبضتها الحكومة في غضون السنوات العشرين الماضية هو ٢٢٤ ٢٠٦ ١٥١ ج . م ومجموع الاموال التي انفقتها ٢١٣ ٧٦٥ ٤٤٥ ج . م فالباقي عندها ١٠ ٤٤٠ ٧٣٦ ج . م وهذا بيانهُ

(٥) عدا الاموال التي صرفت على الخزانات

		ج م
١	مبلغ يرحَّل من سنة الى اخرى منذ سنة ١٨٩٠ بسبب تغيير ميعاد رصد الايرادات المخصصة للدين	١٢٥٣٩١٤
٢	رصيد وفورات التحويل	٤٤٩٠٥٠٠
٣	رصيد المال الاحتياطي العمومي	٣٧٩٤٧٨٥
٤	رصيد الاحتياطي الخصوصي بعدطرح ٣٨٥ ٨١٥ وهي وفر سنة ١٨٨٠ — ١٨٨١	٥٣٧ ٩٠١
	والجملة	١٠٤٤٠٧٣٦

واول شيءٍ يستحقُّ الالتفات في امر هذه الارقام ان كل غرش دخل خزينة الحكومة المصرية في السنوات العشرين الماضية يعرَّف كيف صرف . وغني عن البيان ان هذه الارقام التي ذكرتها جملة يمكن ذكرها بالتفصيل التام . وهذا امرٌ لم يكن معروفاً في هذا القطر فان لجنة التحقيق قرَّرت سنة ١٨٧٨ ان مبالغ وافرة أُرسلت الى الاستانة "ولم يقدَّم عنها حساب". وهذا الخلل قد زال تماماً

ويمكن ان تدار الاموال ادارة سيئة جدًّا ومع ذلك تكون دفاترها وحساباتها على تمام الضبط ولكن يستحيل على السياسي او المالي ان يشرعا في الاصلاحات الادارية او المالية قبلما ينظمان اساليب الحسابات لكي يعلما كل ما يتعلق بايرادات الحكومة ومصروفاتها . ومن الاسباب الجوهرية التي احبطت المساعي التي بذلت اولاً لاصلاح المالية المصرية كون الحسابات كانت على اتم الارتباك . وقد نُظم قلم المحاسبة الآن جيداً واهمية ذلك لا يبالغ فيها مهما أُطنب فيها . ومن رجال الانكليز الذين لهم اليد الطولى في اعمال الاصلاح في هذا القطر من غير دعوى قلَّ من لهُ فضل اكبر من فضل السر جرلد فتزجرلد الذي تولَّى هذا العمل الشاق اولاً وبجدهِ واجتهادهِ ودأْبهِ تغلَّب على كل المصاعب التي اعترضتهُ . نعم انهُ لم يعمل كثيرًا من اعمال الاصلاح نفسها لكنهُ عمل الاعمال التي كان لا بدَّ منها لسير الاصلاح والعمل الذي عملهُ هو وخلفاؤُهُ لا تجهاليهِ الانظار كثيرًا ولكن الذين يرجع اليهم في امور الحكومة يعرفون قيمتهُ

ومرادي الآن ان آخذ ابواب المصروفات العادية بابًا بابًا واعلق عليها شيئًا من الشرح لانها اهم ابواب المصروفات

مرتبات العائلة الخديوية

بلغت الاموال التي أُعطيت للعائلة الخديوية في العشرين سنة الماضية ٥٩١٩٩١٧ ج.م او نحو ٣ في المئة من مجموع المصروفات العادية

وكان اهم اصلاح نتج من تعيين لجنة التحقيق سنة ١٨٧٨ قبول الخديوي حينئذ بمرتبات بدل ايراد ما كان يسمى بالاملاك الخاصة (وصحة تسميته بذلك لا تخلو من الريب) . ثم جعلت تلك الاملاك رهناً لدين مقداره ٠٠٠ ٨٥٠ وهو دين الدومين . وقد ساءت احوال بلدان كثيرة ولا سيما في الشرق من عدم التمييز بين اموال الحكومة واموال الحاكم الخصوصية ولذلك كان تعيين مرتب خصوصي لخديوي مصر اساساً بنيت عليه كل الاصلاحات التالية

وسنة ١٨٨٢ بلغت هذه المرتبات ٠٠٠ ٣٨٤ ج . م في السنة وبقيت كذلك تقريباً الى سنة ١٨٨٩ وحينئذ استبدلت بعض معاشات العائلة الخديوية بمبلغ ٠٠٠ ١٣١٠ ج . م وبعد ذلك اختلفت هذه المرتبات من ٠٠٠ ٢٧٥ الى ٠٠٠ ٢٥٥ وهي ليست فائقة الحد اذا اعتبرت كل الاحوال المتعلقة بها

الحقانية

لا يصح ان يقال ان الحكومة بخلت على نظارة الحقانية فقد بلغ ما انفقته عليها في العشرين سنة الماضية ٥٠٣ ٧٠٥٤ ج . م او نحو ٦٫٣ في المئة من مجموع مصروفاتها

وقد نقصت نفقات ديوان الحقانية قليلاً فانها كانت ٣٥٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٢ فصارت ٠٠٠ ٢٩ ج . م سنة ١٩٠١ ولكن زادت النفقات على كل ما سوى ذلك

فزادت نفقات المحاكم المختلطة من ٠٠٠ ١٣٢ ج . م سنة ١٨٨٢ الى ٠٠ ١٥٨ سنة ١٩٠١ واشغال هذه المحاكم متزايدة دائماً وزادت ايضاً الايرادات من رسوم القضايا والتسجيل والتمغة من ٠٠٠ ٢٠٠ ج . م الى ٠٠٠ ٥٢١ في السنة

وزادت نفقات المحاكم الشرعية من ٠٠٠ ٣٥ ج . م سنة ١٨٨٢ الى ٠٠٠ ٤٧ ج . م سنة ١٩٠١ اما ايراداتها فبقيت على حال واحدة او انخفضت قليلاً فانها كانت ٠٠٠ ٩٦ ج . م سنة ١٨٨٣ فصارت ٠٠٠ ٧٣ ج . م سنة ١٩٠١

اما الزيادة البالغة فكانت في نفقات المحاكم الاهلية وهذا كان منتظراً . فانهُ لم يكن في البلاد قبل سنة ١٨٨٢ ما يستحق ان يسمى محاكم اهلية ولذلك كان لا بد من انشائها جديداً . وكانت نفقاتها ٠٠٠ ٥٤ ج . م فقط سنة ١٨٨٢ ثم زادت زيادة مستمرة حتى بلغت ٠٠٠ ١٧٣ سنة ١٩٠١ والايرادات السنوية من رسوم القضايا زادت في هذه المدة من ١٠٠٠٠ ج . م الى ٠٠٠ ١٤٨ ج . م

ولا ريب عندي انهُ متى وجدت الاموال اللازمة تزاد نفقات المحاكم وتزيد الفائدة بزيادتها

وان تكن هذه النفقات قد زيدت قبلاً . وسأعود الى هذا الموضوع قريباً[٦]

الاشغال العمومية

ان المبلغ الذي أُنفق على الاشغال العموميَّة من المصروفات العادية بلغ ١٠٤١٩٨٠٧ وجانب كبير منهُ انفق على اعمال جديدة . وانفق على الاشغال العمومية من المصاريف غير الاعتيادية ما يأتي

للري والصرف	٤١٢٠١٢١ [٧]
للمباني العموميَّة	٠٩٨١٣٩٢
لسكك الحديد	١٨٧٤٣٤٥
والجملة	٦٩٧٥٨٥٨

وجملة ما انفق على الاشغال العمومية من كل نوع ١٧٣٩٥٦٦٥ ج . م او نحو ١ و٨ في المئة من مجموع المصروفات كلها الاعتيادية وغير الاعتيادية . وانفاق هذه المبالغ نتج عن السياسة المالية التي فصَّلتها آنفاً

المعارف العمومية

والتفتُ الآن الى ادارة التعليم فأقول ان الاموال التي انفقت في هذا الباب في غضون السنوات العشرين الماضية بلغت ١٨٢٢٥٤٧ج م او اقل من ١ في المئة من مجموع المصروفات العموميَّة ولكن هذا المقدار لا يدل على كل النفقات التي انفقت في هذا الباب كما سترى

كانت نفقات نظارة المعارف العمومية ٧٦٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٣ وكان عندها خمس مدارس عالية واثنتان وعشرون مدرسة ابتدائية وكان فيها ٥٦٤١ تلميذًا و٣٥٤ معلماً ولم يكن يصرف شيء من اموال الحكومة على الكتاتيب

وقلما التُفت الى امر التعليم في السنوات الخمس الاولى من سني الاحتلال . وقلَّت النفقات المعينة للمعارف في ميزانية الحكومة حتى بلغت ٦٣٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٧ ولكن اصلح ذلك حال تحسن مالية الحكومة وقد بلغ المال المعين للمعارف في ميزانية الحكومة ١٠٨٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠١ وبلغت المرتبات التي دفعها التلامذة ٤٥٠٠٠ ج . م والتي دفعها ديوان الاوقاف ٢٠٠٠٠ ج م والجملة ١٧٣٠٠٠ ج . م يقابل ذلك ٧٦٠٠٠ ج . م وهي كل ما كان

(٦) انظر ما كتب تحت فصل الجبايات

(٧) هذا ما صرف على الخزانات وأن القسم الذي دفعتهُ الحكومة من ذلك لم تدرجهُ في حساباتها الا بعد اقفال حسابات سنة ١٩٠١ ثم ان الاموال التي صرفت على الغاء الدونة يمكن ان تحسب من مصروفات نظارة الاشغال العمومية

يدفع للمعارف سنة ١٨٨٢ . ويبلغ عدد المدارس العالية الآن ٩ والابتدائية ٤٠ وتتولى نظارة المعارف ايضاً ادارة ٨٧ كتَّابا وعندها ١١٩٣١ تلميذًا و٧٦٠ معلمًا

فقد عُمل كثير لاجل التعليم ولكن لا ينكر انهُ بقي شيء كثير يجب ان يُعمَل . وقد بحثتُ في هذا الموضوع باكثر تفصيل في قسم آخر من هذا التقرير . وانما اقول هنا انهُ اذا توفَّرت الاموال اللازمة فمن المفيد ان تزاد المساعدات المالية للكتاتيب وللمدارس الصناعية ومدارس البنات ولكني لا ارى لزومًا لان تزاد كثيرًا او بسرعة في هذا الباب بل ان زيادتها كذلك ليست ممكنة اذا اريد انفاقها بالحكمة حتى تنتج منها كل الفوائد الممكنة للبلاد اذ لا يخفى انهُ يجب تعليم المعلمين كما يجب تعليم التلاميذ وزد على ذلك ان التعليم الثانوي والابتدائي العالي يجب ان يكونا على نفقة المتعلمين كلهما او اكثرها

التدابير والاحتياطات الصحية

ان الاموال التي انفقت على مصلحة الصحة العمومية في السنوات العشرين الماضية بلغت ٥١٥ ١٨٥٢ او اقل من ١ في المئة من مجموع المصروفات الاعتيادية وكان المبلغ الذي يصرف سنويًا يتغير مقدارهُ كثيرًا حسب تفشي الاوبئة وزوالها . ولكن يقال جملة ان المال المقطوع لمصلحة الصحة كان ٧٠٠٠٠ ج . م في بدء عهد الاحتلال فبلغ ١٠٨٠٠٠ ج.م سنة ١٩٠١ والجانب الاكبر من هذا المبلغ صرف على التطبيب لا على التدابير الصحية . ثم ان المبلغ الذي ذُكر انهُ أُنفق على المباني العمومية في المصروفات غير الاعتيادية ومقدارهُ ٩٤٣٠٠٠ يتضمن مبالغ كبيرة أُنفقت على المستشفيات والمرجح انهُ ستنفق نفقات اخرى من هذا القبيل وبنوع خاص على البيمارستانات

اما من حيث التدابير الصحيَّة فيخطئ من يظن انهُ لم يفعل شيء حديثًا لاصلاح حالة البلاد الصحية لان هذا القول بعيد عن الحقيقة . فقد اختيرت اماكن مناسبة للمدافن في كل قرى القطر المصري تقريبًا وبذلت الهمَّة في جعل الجوامع في حالة صحية منذ سنوات كثيرة الى الآن . وأُوجد الماء النقي للشرب في كثير من مدن الاقاليم والصعوبة الكبرى قائمة الآن في جعل الاهالي يستعملونهُ . ورُدم كثير من البرك التي تحيط باكثر القرى وأُنفقت النفقات الكثيرة على مكان الكورنتينا في الطور . ومع ذلك بقيت اشياء كثيرة يجب عملها . وعندي انهُ يخطئ من يظن ان التدابير الصحية التي هي علم حديث يمكن ان تنتج في هذا القطر النتائج التي انتجتها في اوربا قبلما يتسع نطاق التعليم وتتغير آراء الناس وعاداتهم تغيرًا جوهريًا ومع ذلك اسلّم تمام التسليم ان الحكومة يجب ان تتقدم الامة في ما كان من هذا القبيل

ولا بدَّ من ان تُنفَق الاموال اللازمة على التدابير الصحية حالما تتوفر لدى الحكومة[٨]

مصاريف الادارة

ان مجموع مصاريف الادارة بلغ ٢٢١٥٢٣١ اي ٥ ,١١ في المئة من مجموع المصروفات العمومية. ومن الجدول التالي تظهر المقابلة بين ما أُنفق سنة ١٨٨٢ وسنة ١٩٠١ في هذا الباب

	١٨٨٢	١٩٠١
مجلس النظار	٦٧٣٨	٤٧٢٤
مجلس شورى القوانين	١٢٨٦٧	٨٤٠٢
نظارة الخارجية	١٠٧٢٨	١١٣١٣
نظارة المالية	١٠٧١٣٢	٩٣٢٧٥
نظارة الداخلية (ومعها السجون)	٢٥٨٢٣٣	٣٣١٢٢٥
الاقاليم وادارة تحصيل الاموال	٥٣٠١٥٦	٥١١٣٩٨
خدمات متنوعة	١٢٨٤٩٣	١٣٩٠٦٠
والجملة	١٠٥٤٣٤٥	١٠٩٩٣٩٧

ويظهر من ذلك ان الفرق قليل جدًّا وفي بعض الابواب كانت المصروفات سنة ١٩٠١ اقل مما كانت سنة ١٨٨٢ والزيادة الكبيرة في مصروفات نظارة الدخلية وسببها الاكبر انشاء ادارة مناسبة للسجون لم تكن موجودة قبلاً . وهذه الارقام تدل دلالة واضحة على الاقتصاد الاداري

ومصروفات البوليس داخلة ضمن مصروفات نظارة الداخلية والشكوى من البوليس سببها الاكبر قلة رواتب رجاله فاذا وجد المال الكافي فلا بدَّ من اصلاح هذا الخلل

المصالح ذات الايراد

بلغت الاموال التي انفقت على المصالح ذات الايراد في العشرين سنة الماضية ٢٠٧٦٩٠٣٦ج م او نحو ٧ ,٠١ في المئة من مجموع المصروفات العمومية وزادت المصروفات السنوية من ٧٠٨٠٠٠ سنة ١٨٨٢ الى ١٢٩٩٠٠٠ سنة ١٩٠١

والانتقاد الوحيد الصحيح الذي يمكن ان ينتقد به على هذه النفقات هو انها قد تكون غير كافية . وقد اشرت في كثير من تقاريري السابقة الى الخطإ في محاولة تحديد نفقات التشغيل في سكة الحديد بخمسة واربعين في المئة من مجموع الدخل ولحسن الحظ اصلح هذا الخطأ الآن

(٨) انظر كلامًا آخر في هذا الموضوع في فصل الكوليرا

الجيش

ان الاعتماد على السياسة المالية التي اوضحتها سابقًا لم يمنع تقديم الاموال اللازمة لبقاء الجيش في حالة الكفاءة . وقد بلغت الاموال التي أُنفقت على الجيش المصري في السنوات العشرين الماضية ١٠٩ ٨ ١٢٣٦٨ ج . م او نحو ٣ ر٦ في المئة من مجموع المصروفات العمومية

وقد تغيَّر مقدار المبلغ الذي كان يصرف سنويًّا حسب مقتضى الحال كما هو الواجب في مثل ذلك اي حسب ما تستدعيهِ الاحوال السياسية والحربية . ففي سنة ١٨٨٢ التي تسلّط عرابي فيها بلغت مصروفات الجيش ٨٦٤٠٠٠ ج . م ولم تبلغ هذا الحد بعد ذلك . وأنقصت المصروفات الحربيَّة بُعيْدَ الاحتلال وهبطت سنة ١٨٨٦ الى ٣٣٦٠٠٠ ج . م ثم لما نجت الحكومة من خوف الافلاس زيدت مصروفات الحربية رويدًا رويدًا بعد ان بلغت حدًّا لا تكفي فيهِ لحاجة البلاد . ثم لما عُقدت النية على استرجاع السودان زيدت هذه النفقات كثيرًا حتى بلغت ٨٢٦٠٠٠ ج.م سنة ١٨٩٩ ثم خفضت بعد ذلك قليلاً وجُعلت ٧٤٥٠٠٠ ج.م [9] سنة ١٩٠١ ويمكن حسبان هذا المبلغ عاديًّا كافيًا ولا يخفى ان جانبًا كبيرًا منهُ لازم عن الاضطرار الى بقاء حامية في السودان

المعاشات

بلغت الاموال التي صرفت معاشات في العشرين سنة الماضية ٨٦٥٥٧٤٥ ج . م اي نحو ٤ ر٤ في المئة من مجموع المصروفات

وهذه النفقات الطائلة اقتضاها نظام المعاشات الذي كان قبل الاحتلال فان لائحة المعاشات التي وضعت على عهد سعيد باشا مسرفة جدًّا ولم تظهر كل نتائجها الأ بعد وضعها بزمن طويل . فان المعاشات السنوية التي كانت ٢٠٨٠٠٠ ج.م سنة ١٨٨٠ بلغت ٣٤٣٠٠٠ ج.م سنة ١٨٨٢ و ٤٦٠٠٠٠ ج . م سنة ١٨٨٤ وبلغت اعلاها سنة ١٨٨٨ اي ٥٣٦٠٠٠ ج.م ثم جعلت تقل والسبب الاكبر لقلتها استبدال المعاشات الذي استغرق ٣٦٣٣٦١٢ ج . م [10] من المصروفات غير الاعتيادية في العشرين سنة الماضية . وتبلغ المعاشات الآن نحو ٤٣٠٠٠٠ م.ج في السنة والمرجح انها لا تقل عن ذلك كثيرًا من الآن الى سنين كثيرة الأ بالاستبدال . وحتى الآن لا تزال لائحة المعاشات المصرية حاتمية بالنسبة الى لوائح اكثر الدول الاوربية .

---

(٩) ومن ذلك مبلغ ٨٥٠٠٠ ج . م لجيش الاحتلال

(١٠) دفع من ذلك مبلغ ١٤١٠٠٠٠ لاستبدال معاشات العائلة الخديوية . انظر الكلام على مرتبات العائلة الخديوية

وكل تغيير فيها يراد بهِ الاقتصاد يدعو الى التذمر الشديد حتمًا لان الناس في هذه البلاد يدافعون عن مصلحة الفرد اكثر مما يدافعون عن مصلحة الامة. بل لا يدافع عن مصلحة الامة التي تدفع اموال الحكومة الأرجال المالية كما هي الحال في كل مكان ولو على قلة بالنسبة الى القطر المصري

ومما يساق ذكرهُ هنا ان ثلث المعاشات كلها يدفع لاناس معاش الواحد منهم اقل من ٦٠ ج . م في السنة ونحو ثلاثة اثمانها لاناس معاش الواحد منهم من ٦٠ جنيهًا الى ٢٠٠ جنيه في السنة

الويركو والدين

بلغ مجموع الويركو الذي دفعتهُ مصر في العشرين سنة الماضية ١٣٣٩٣٩١٠ ج . م ومجموع فوائد الدين المصري ٧٩٤٤٨٧٨٦ ج . م(١) وجملة ذلك ٩٢٨٤٢٦٩٦ ج . م او ٤٨ في المئة من مجموع المصروفات العادية . وغنيٌّ عن البيان ان مصروفات الحكومة في كل ابوابها قليلة جدًّا بالنسبة الى هذه المبالغ الطائلة ولكن لا يخفى ان الحكومة لا تستطيع ان تصرف الأ ٥٢ في المئة من ايراداتها وجانب كبير من هذا المبلغ لا تستطيع صرفهُ بل تضطر ان تدفعهُ الى صندوق الدين حسب اتفاقها مع الدول الاوربية

ومال الويركو وهو الآن ٦٦٥٠٠٠ ج . م ثقيل على مصر ولكن دفعهُ مربوط بمسائل سياسية لا اريد التعرض لها الآن. ومعلوم ان ويركو مصر زاد كثيرًا على عهد اسمعيل باشا مقابلة لامتيازات نالها من الباب العالي

اما الدين فبعضهُ كان لمقاصد نافعة افادت اهالي القطر ولكن اكثرهُ اقتضاهُ الاسراف وسوء الادارة

لما تنصَّب اسمعيل باشا سنة ١٨٦٣ كان دين مصر ٣٢٩٣٠٠٠ ج . م وبعد ثلاث عشرة سنة بلغ ٩٤٠٠٠٠٠٠ ج . م وحينئذٍ قابل المستر كايف بين الايرادات والمصروفات من سنة ١٨٦٤ الى سنة ١٨٧٦ وكتب يقول

"ان في هذه المقابلة امرين حريين بالالتفات الاول ان الايرادات بلغت ٩٤٢٨١٤٠١ جنيه انكليزي اي اقل قليلاً مما صرف على ادارة البلاد والويركو للباب العالي والاعمال التي لا شك في نفعها واعمال اخرى يشك في نفعها فان مجموع هذه النفقات ٩٧٢٤٠٩٦٦ جنيه

(١) ودفع ايضًا ٨٩٦٧٤١ ج . م لاستهلاك الدين

انكليزي . اما مبالغ الدين الطائل فلم يذكر لما سبب غير ترعة السويس (١٢) وقد انفقت السلف كلها والدين السائر على دفع الفوائد والاستهلاك عدا ما انفق على ذلك العمل العظيم "

ثم أجلى البحث بعد ما أتمّ المستر كايف عمله عن السبل التي ذهبت فيها الاموال المستدانة فان جانباً كبيراً منها أُرسل الى الاستانة وجانبا آخر بنيت به القصور الكبيرة التي لا فائدة منها وهي الآن تشغل الارض في القاهرة والاسكندرية وحولها

ثم ان الاسراف كان بالغاً حدهُ في كل جهة . اذا سمع مدير المدفعية انهُ اخترع مدفع جديد لم يطلب مدفعاً واحداً يمتحنهُ بل طلب عشرات من المدافع لكي لا يقال ان مصر دون غيرها من الامم في الامور الحربية كما أوضح ذلك لجنة التحقيق سنة ١٨٧٨ . وقد ظهر من حساب الدين السائر ان اسمعيل باشا كان يرشو بعض الجرائد الاوربية بالاموال الطائلة لتطنب في مدحهِ . وكان لخياطة واحدة في باريس دين مقدارهُ ١٥٠٠٠٠ جنيه انكليزي . وكان بين الحسابات حسبة كاد الباحثون يعجزون عن حلها وظهر منها ان اسمعيل باشا كان يضارب في البورصة هو وناظر ماليتهِ قاصداً ان يخفض اسعار القراطيس المصرية . وكانت مبالغ باهظة تدفع اجرة لبعض الاعمال او ثمناً لبعض البضائع مثال ذلك ان نفقات مينا الاسكندرية بلغت ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي ويظهر من تقدير الثقات ان نفقات ذلك المينا كان يجب ان لا تزيد على ١٤٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي . الآن ان هذا العمل نافع وقد عمل جيداً ولو زادت نفقاتهُ عما يجب ان تكون . وصرفت مبالغ كثيرة والحكومة لا تعلم كيف صرفت . ولا نبالغ اذا قلنا انهُ ضاعت ملايين كثيرة بالربا الفاحش وبما كان يدفع لتجديد الصكوك وللفرق بين قيم الضمانات الاسمية والحقيقية ونحو ذلك من الحيل المالية . وايضاحاً لذلك اذكر هذا المثل وهو ليس من اغرب ما حدث : ارادت الحكومة مرة ان توفي جانباً من الدين لبنك من البنوك المحلية فاعطتهُ سندات من الموحد قيمتها ٢٣٠٠٠٠ جنيه انكليزي بسعر ٣١ ٪ اي انها ارادت ان توفيهُ ٧٣٠٠٠ جنيه انكليزي فاعطتهُ من سنداتها ما يساوي ٢٣٠٠٠٠ جنيه انكليزي وفائدة هذه السندات السنوية ١٣٨٠٠ جنيه انكليزي حسب معدل الفائدة حينئذٍ وهو ٦ في المئة

ويحسن بابناء الناشئة الجديدة من المصريين الذين يسمعون احياناً اقوالاً بعيدة عن محجة الصواب ان يتذكروا هذه الامور . ولا بدَّ من دفع فائدة الدين لان دفعها واجب لاسباب منها ان ليس من مصلحة مصر مطلقاً الامتناع عن دفع هذه الفائدة ولكن يحسن

(١٢) المبالغ التي دفعت لترعة السويس تبلغ نحو ١٦٠٠٠٠٠٠ ج انكليزي

بالمصريين ان يعرفوا الآن كيف حصل هذا الدين وتراكم وماذا يجب عليهم ان يحملوا اثقاله ويورثوها لاولادهم . وان يعلموا ايضاً ان الاوربيين الذين اثقلوا كاهلهم هم في الغالب غير الاوربيين الذين استطاعوا بمساعدة الوزراء المصريين المتنورين ان يشيروا بالوسائل التي خففت اثقالهم ومتعتهم بنجاح لم تره هذه البلاد قبل الآن

الغاء العونة

بلغت الاموال التي صرفت لالغاء العونة منذ سنة ١٨٧٦ (اي منذ الغيت السخرة) ٥٩٧٧٤٥٤ ج . م او نحو ٣ في المئة من المصروفات الاعتيادية وهذا المبلغ يُذكر في باب المصروفات وهو في الحقيقة من قبيل تخفيف الضرائب والمبلغ الذي يصرف سنوياً على الاعمال التي تُعمل بالعونة هو ٤٠٠٠٠٠ ج . م وصرفهُ في محلهِ

السودان

بلغت مصروفات السودان من المصروفات الاعتيادية ٣٦٧٨٨٨٩ ومن المصروفات غير الاعتيادية ٢٦١٨٨٢٧ وذلك في العشرين سنة الماضية وجملتها ٦٢٩٧٧١٦ ج . م او نحو ٣ في المئة من مجموع المصروفات الاعتيادية وغير الاعتيادية

اما المصروفات الاعتيادية فصرف منها نحو ٢٤٠٠٠٠٠ بين سنة ١٨٨٢ وسنة ١٨٨٥ اي في زمن اخلاء السودان . وكل المصروفات غير الاعتيادية صرفت بين سنة ١٨٩٦ و ١٨٩٩ اي مدة استرجاع السودان

وقد ذكرت النفقات التي تنفقها الحكومة المصرية الآن على السودان في فصل آخر من هذا التقرير

السياسة في المستقبل

قلت في اول هذا الفصل ان البروجرام المالي الذي وضعتهُ الحكومة المصرية منذ سنوات قد تمَّ الآن او قارب التمام . ويحسن ان ابين الآن حقيقة الحالة الحاضرة بأكثر تدقيق :

انهُ بالغاء الدخوليات زالت آخر شائبة كبيرة من شوائب النظام المالي الذي كان في هذا القطر وقت الاحتلال البريطاني . ولا اقول ان هذا النظام خلا الآن من كل شائبة ولكن بلوغ الكمال عسير جدًّا في الاصلاح المالي كما هو عسير في غيرهِ وانما مرادي ان بلوغ الكمال في النظام المالي يجب ان لا يبقى لهُ بعد الآن المحل الاول في نظر الحكومة

اما الانفاق على اعمال الري فامرهُ غير ذلك لان اعمال الري لم تتم حتى الآن ولو قاربت التمام وسينفق في سنتي ١٩٠٣ و ١٩٠٤ مبلغ ١٥٠٠٠٠٠ ج . م على اتمام الاعمال التي

اقتضاها انشاء خزاني اصوان واسيوط وحينما تتم هذه الاعمال تكون قد تمت الاعمال الجوهرية التي قصدت الحكومة عملها (١٢)

ومن الممكن وضع بروجرام آخر مداره على استخدام مياه البحر الابيض او البحر الازرق او كليهما ولكني سابين قريبًا ان ذلك ليس مما تمسُّ الحاجة اليهِ الآن . فاننا الآن في دور الانتقال فعلى الخزينة المصرية ان تتحمل في سنة ١٩٠٣ نصف القسط الذي يجب دفعهُ من نفقات انشاء الخزانات . ومن سنة ١٩٠٤ فصاعدًا تصير مضطرة ان تدفع القسط السنوي كلهُ وهو نحو ١٥٤٠٠٠ ج م ولا تستفيد الخزينة من زيادة الايراد بسبب انشاء الخزانات قبل سنة ١٩٠٥ ومن ذلك الوقت فصاعدًا يصير للاصلاحات الادارية المتوقفة على المال المقام الاول في نظر الحكومة اكثر مما كان لها حتى الآن . وعندي ان الادارات التي تحتاج ان تُوجَّه العناية اليها اكثر من غيرها هي البوليس والحقانية والصحة

واثق اني لم اطل الكلام في هذا الفصل على غير طائل لان كل ما فيهِ هامٌّ جدًّا فان انتظام المالية هو اساس انتظام الحكومة في مصر كما هو في غيرها من البلدان . اذ لا بدَّ من وجود مالٍ كافٍ لاصلاح فروع الحكومة من غير الالتجاء الى ضرب ضرائب جديدة يأباها الناس ويستثقلونها . وهذا كان اساس السياسة العمومية في القطر المصري في العشرين سنة الماضية . ومن المحتمل انهُ وقع شيءٌ من الخطإِ في العمل بهذه السياسة . وقد تختلف الآراء في افضليتها او في بعض ما نتج عنها . وزد على ذلك ان انفاق اكثر من ٢٢٤ مليون جنيه قد يقع فيهِ بعض الخطإِ الطفيف ولكني اقول بثقة ان ادارة هذه الاموال كانت على تمام الاقتصاد واثق ان ما ذكرتهُ يقنع المصريين الذين يدفعون الضرائب ويقرأون هذا التقرير ان اموالهم التي دفعوها لم تبذَّر كما كانت تبذَّر قبلاً وان السياسة المالية التي جرت عليها الحكومة المصرية وُضعت بأمانة واخلاص لخيرهم واسعادهم . انتهى

[المقتطف] استعملنا المصطلحات المصرية في تعريب هذا الفصل لكي لا تفوت فائدة من فوائدهِ احدًا من القراء . ومعلوم ان المراد بما عرَّبناهُ بالنظام الماليّ هو اموال الحكومة اي ما يرد عليها من ضرائب وما اشبه وكيفية جمعها وانفاقها

---

(١٢) اشرت في الكلام على مشروعات الري في اعالي النيل الى انهُ من الممكن انشاء خزان او اثنين جنوبي اصوان واذا قرَّ الرأي على انشائهما فيمكن تدبير المال اللازم لها من غير ان يقلل المال اللازم للاصلاحات الادارية حينما يراد اتمامها

توقيعات الخلفاء

كان لرسالتي المدرجة في الجزء الثاني من المقتطف الاغر عن خواتم الخلفاء قبول لدى القراء فرأيت ان اتبعها بتوقيعات الخلفاء ومنها يستشف القارئ الكريم شيئًا من اخلاقهم . وقد رأيت في كتب التاريخ كثيرًا من هذه التواقيع فاخترت منها ما قلّ ودلّ

توقيعات الخلفاء الراشدين

❊ عمر بن الخطاب ❊ كتب اليهِ سعد بن ابي وقاص في بنيان يبنيهِ فوقع في اسفل كتابهِ " ابن ما يكنُّك من الهواجر واذى المطر " . ووقَّع الى عمر بن العاص " كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك اميرك "

❊ عثمان بن عفان ❊ وقَّع في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا انهُ امر بوجء اعناقهم " فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون " . ووقع في قصة رجل شكا عيلةً عليهِ " قد امرنا لك بما يقيمك وليس في مال الله فضل للمسرف "

❊ علي بن ابي طالب ❊ ووقع في كتاب جاءهُ من الحسن بن علي " رأي الشيخ خير من جد الغلام " . ووقع في كتاب سلمان الفارسي وسأَلهُ كيف يحاسَب الناس يوم القيامة " يحاسبون كما يُرزقون " ووقع في كتاب الحصين بن المنذر بعثهُ اليهِ يذكر ان السيف قد كثر في ربيعة " بقية السيف انمى عدداً " وفي كتاب صعصعة بن صوحان يسأَلهُ في شيء " قيمة كل امرىء ما يحسن "

الخلفاء الامويون

❊ معاوية بن ابي سفيان ❊ . كتب اليهِ عبدالله بن عامر في امر عاتبهُ فيهِ فوقَّع في اسفل كتابهِ " بيت امية في الجاهلية اشرف من بيت حبيب في الاسلام فانت تراهُ " . وفي كتاب لعبدالله المار ذكرهُ وقد سأَلهُ ان يُقطَع مالاً في الطائف " عش رجباً ترَ عجباً " . وفي كتاب زياد يخبرهُ بطعن عبدالله بن العباس في خلافتهِ " ان ابا سفيان وابا الفضل كانا في الجاهلية في مسلاخ واحد وذلك حلف لا يحلهُ سوء رأيك " . وكتب اليهِ ربيعة بن عسل اليربوعي يسأَلهُ ان يعينهُ في بناء دارهِ بالبصرة باثني عشر الف جذع " ادارك في البصرة ام البصرة في دارك "

❊ يزيد بن معاوية ❊ وقَّع في كتاب عبدالله بن جعفر اليهِ يستمنحهُ من خاصتهِ " احكم لهم بآمالهم الى منتهى آجالهم " فحكم بتسعمائة الف فاجازها . وكتب اليهِ مسلم بن عقبة

المري بالذي صنع اهل الحرّة فوقّع في اسفل كتابهِ " فلا تأسَ على القوم الفاسقين " . وفي كتاب مسلم بن زياد عاملهِ على خراسان وقد استبطأهُ في الخراج " قليل العتاب يحكم مرائر الاسباب وكثيرهُ يقطع اواخي الانتساب " . والى عبدالله بن زياد " انت احد اعضاء ابن عمك فاحرص ان تكون كلها "

✵ عبد الملك بن مروان ✵ وقع في كتاب اتاهُ من الحجاج " جنبني دماء بني عبد المطلب فليس فيها شفاء من الطلب " . ووقع لهُ ايضا عندما اخبرهُ بسوء طاعة اهل العراق وما يقاسي منهم ويستأذنهُ في قتل اشرافهم " ان من يمن السائس ان يأتلف بهِ المختلفون ومن شؤمهِ ان يختلف بهِ المؤتلفون " وفي كتاب الحجاج ايضًا يخبرهُ بقوة ابن الاشعث " بضعفك قوي وبخوفك خلع " . ووقع في كتاب ابن الاشعث

فما بال من اسعى لاجبر عظمهُ . حفاظًا وينوي من سفاهتهِ كسري

ووقع ايضًا في كتاب

كيف يرجون سقاطي بعدما شمل الرأس مشيبٌ وصلعْ

✵ الوليد بن عبد الملك ✵ كتب اليهِ الحجاج لما بلغهُ انهُ خرق فيما خلف لهُ عبدالملك ينكر ذلك عليهِ وانهُ غير صواب فوقع في كتابهِ " لاجمعنَّ المال جمع من يعيش ابدًا ولافرقنهُ تفريق من يموت غدًا " ووقع الى عمر بن عبد العزيز " فقد رأب الله بك الداء واوذم بك الشفاء "

✵ سليمان بن عبد الملك ✵ كتب اليهِ قتيبه بن مسلم يتهددهُ بالخلع فوقّع في كتابهِ

زعم الفرزدق ان سيقتل مربعًا ابشر بطول سلامة يا مربعُ

ووقّع في كتابهِ ايضًا " العاقبة للمتقين " . والى قتيبة ايضًا جواب وعيدهِ " وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا "

✵ عمر بن عبد العزيز ✵ كتب اليهِ بعض العمال يستأذنهُ في مرمّة مدينتهِ فوقّع اسفل كتابهِ " ابنها بالعدل ونقِّ طرقها من الظلم " . والى بعض عمالهِ في مثل ذلك " حصنها ونفسك بتقوى الله " . والى رجل ولاهُ الصدقات وكان دميمًا فعدل واحسن " ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرًا " . وكتب اليهِ صاحب العراق يخبرهُ عن سوء طاعة اهلها فوقع لهُ " ارضَ لهم ما ترضى لنفسك وخذ بجرائمهم بعد ذلك " . والى عدي بن ارطاة في امر عاتبهُ عليهِ " ان آخر آية انزلت واتقوا يومًا ترجعون فيهِ الى الله " . والى عاملهِ على الكوفة وكتب اليهِ انهُ فعل كما فعل عمر بن الخطاب " اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " . والى عاملهِ بالمدينة وسألهُ ان يعطيهُ موضعًا يبنيهِ فوقع " كن من الموت على حذر "

وفي قصة متظلم " العدل امامك " . وفي رقعة محبوس " تُبْ تطلق " . وفي رفعة رجل قتل " كتاب الله بيني وبينك " . وفي رقعة منتصح " لو ذكرت الموت شغلك عن نصيحتك " . وفي رقعة رجل شكا اهل بيتهِ " انما في الحق سيان " . وفي رقعة امرأة حبس زوجها " الحق حبسهُ " . وفي رقعة رجل تظلم من ابنهِ " ان لم انصفك منهُ فانا ظلمتك "

﴿ يزيد بن عبد الملك ﴾ وقع الى صاحب خراسان " لا تترك حسن رأيي فانما تفسده عثرة " . والى صاحب المدينة " عثرت فاستقل " . وفي قصة متظلم " سيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون " . وفي قصة متظلم شكا بعض اهل بيتهِ " ما كان عليك لو صفحت عنهُ واستوصلتني "

﴿ هشام بن عبد الملك ﴾ وقع في قصة متظلم " اتاك الغوث ان كنت صادقاً وحل بك النكال ان كنت كاذباً فتقدم او تأخر " . وفي قصة قوم شكوا اميرهم " ان صح ما ادعيتم عليهِ عزلناه وعاقبناهُ " . وفي رقعة مجوس " لزمهُ الحد " تزل بجدك الكتاب " . والى جماعة يشكون تعدي عاملهم عليهم " لنفوضنكم فاني خصم دونكم " . وفي كتاب عامل يخبرهُ بقلة الامطار في بلدهِ " مرهم بالاستغفار " . والى سهل بن سيار " خف الله وامامك فانهُ يأخذك عند اول زلة "

﴿ يزيد بن الوليد ﴾ وقَّع الى مروان " اراك تقدم رجلاً وتؤخر اخرى فاذا اتاك كتابي هذا فاعتمد على ايهما شئت " . والى صاحب خراسان " نجَمَ امر انت عنهُ نائم وما اراك منهُ او مني بسالم "

﴿ مروان بن محمد ﴾ كتب الى نصر بن سيار في امر ابي مسلم " نجوم الظاهر تدل على ضعف الباطن والله المستعان " . ووقَّع الى هبيرة امير خراسان " الامر مضطرب وانت نائم وانا ساهر " . والى الحويرة بن سهل الموجهة الى قحطبة " كن من بيات المارقة على حذر " . ووقَّع حين اتاهُ غزو قحطبة وانهزام ابن هبيرة " هذا والله الادبار والا فمن رأى ميتاً هزم حيَّاً " . وفي ابيات نصر بن سيار اذ كتب اليهِ

اري خلل الرماد وميض جمر ويوشك ان يكون لهُ ضرامُ

" الحاضر يرى ما لا يرى الغائب فاحسم الثؤلول " فكتب نصر " الثؤلول قد اشتدت اعضاؤُهُ وعظمت نكايتهُ " فوقَّع اليهِ " يداك اوكتا وفوك نفخ "

الخلفاء العباسيون

﴿ السفاح ﴾ كتب اليهِ جماعة من اهل الانبار يذكرون ان منازلهم أُخذت منهم وادخلت في البناء الذي امر بهِ ولم يعطوا اثمانها فوقع " هذا بناء أُسس على غير تقوى " . ثم امر بدفع قيم منازلهم اليهم . ووقَّع في كتاب ابي جعفر وهو يحارب ابن هبيرة بواسط " ان حلمك افسد

عملك وتراخيك اثر في دناعتك فخذ لي منك ولك من نفسك " . ووقع اليهِ في ابن هبيرة بعد ان راجعهُ فيهِ غير مرة " لستُ منك ولستَ مني ان لم تقتلهُ " . ووقع في كتاب جماعة من بطانتهِ يشكون احتباس ارزاقهم " من صبر في الشدة شورك في النعمة " . ثم امر بارزاقهم . والى عامل تظلم منهُ " وما كنت متخذ المضلين عضداً "

❊ ابو جعفر المنصور ❊ وقع في كتابهِ الى عبدالله بن علي عمهِ " لا تجعل للايام فيَّ وفيك نصيباً من حوادثها " . ووقع اليهِ ايضاً " ادفع بالتي هي احسن السيئة الى قولهِ وما يلقاها الاَّ ذو حظ عظيم فاجعل الحظ لك دوني يكن لك كلهُ " . ووقع الى عبد الحميد صاحب خراسان " شكوت فاشكيناك وعتبت فاعتبناك ثم خرجتَ عن العامة فتأهب لفراق السلامة " . والى اهل الكوفة وقد شكوا عاملهم " كما تكونوا يؤمَّر عليكم " . وفي قصة رجل شكا عيلة " سل الله من رزقهِ " . وفي قصة رجل شكا الدَّين " ان كان دَينك في مرضاة الله فضاه " . والى رجل سأل الحج " ولله على الناس حج البيت من استطاع اليهِ سبيلاً " . والى عاملهِ على حمص وجاءهُ كتاب فيهِ خطاء " استبدل بكاتبك والاَّ استبدل بك " . والى صاحب ارمينية " ان لي في قفاك عيناً وبين عينيك عيناً ولها اربع آذان " . والى رجل استوصلهُ " لا مانع لما اعطاه الله " . وفي كتاب اتاهُ من صاحب الهند يخبرهُ ان جنداً شغبوا عليهِ وكسروا اقفال بيت المال فاخذوا ارزاقهم منهُ " لو عدلت لم يشغبوا ولو وفيت لم ينتهبوا "

❊ المهدي ❊ . ووقع الى صاحب ارمينية عند ما شكا سوء طاعة رعاياهُ " خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين " . والى شاعر مدحهُ " اسرفت في مديحك فقصرنا في حبائك " . وفي قصة رجل من الغارمين " خذ من بيت مال المسلمين ما تقضي بهِ دينك وتقر بهِ عينك " . وفي قصة رجل شكا الحاجة " اتاك الغوث " . والى صاحب خراسان في امر جاءهُ " انا ساهر وانت نائم " . وفي قصة قوم اصابهم القحط " يقدَّر لهم قوت سنة القحط والسنة التي تليها " . والى رجل من بطانتهِ استوصل " ليت اسراعنا اليك يقوم بابطائنا عنك " . وفي قصة رجل حبس في دم " ولكم في القصاص حياة يا أُولي الالباب " . والى صاحب خراسان وكتب اليهِ يخبرهُ بغلاء الاسعار " خذهم بالعدل في المكيال والميزان " . والى يوسف الرومي حين ظفر بهِ في خراسان " لك اماني ومؤكد ايماني " .

❊ هرون الرشيد ❊ وقع الى صاحب خراسان " داوِ جرحك لا يتسع " . والى عامل على مصر " احذر ان تخرب خزانتي وخزانة اخي يوسف فيأتيك منهُ ما لا قبل لك بهِ ومن الله اكثر منهُ " . ووقع في قصة البرامكة " انبتتهُ الطاعة وحصدتهُ المعصية " . والى عامل على

فارس "كن مني على مثل ليلة البيات". والى خزيمة بن حازم اذ كتب اليهِ انهُ وضع السيف حين دخل ارض ارمينية "لا ام لك تقتل بالذنب من لا ذنب لهُ". وفي قصة محبوس "من لجأَ الى الله نجا". وفي قصة متظلم "لا يجاوز بك العدل ولا يقصر بك دون الانصاف". والى صاحب السند "اذا ظهرت المعصية كل من دعا الى الجاهلية تعجل الى المنية". وفي رقعة متظلم من عامل وكان بالمتظلم عارفًا "قد وليناك موضعهُ فتنكب سيرتهُ". والى محفوظ صاحب خراج مصر "يا محفوظ اجعل فرح مصر فرحًا واحدًا وانت انت". والى صاحب المدينة "ضع رجليك على رقاب اهل هذا البطن فانهم قد اطالوا ليلي بالسهاد ونفوا عن عيني لذيذ الرقاد". ووقع الى السندي بن شاهك "خفهما الله وامامك فهما نجاتك". وكتب اليهِ يحيى بن خالد من الحبس حين احسَّ بالموت قد تقدم الخصم الى موقف الفصل وانت بالاثر والله الحكم العدل وستقدم فتعلم. فوقع فيهِ الرشيد "الحكَم الذي رضيتهُ في الآخرة لك هو اعدى الخصم عليك وهو من لا يرد حكمهُ ولا يصرف قضاؤهُ"

❋ المأمون ❋. وقع الى ابن هشام في امر تظلم فيهِ "من علامة الشريف ان يظلم من فوقهُ ويظلمهُ من دونهُ فاي الرجلين انت". والى الرستمي في قصة متن تظلم منهُ "ليس من المروءة ان تكون آنيتك من ذهب وفضة وغريمك خاوٍ وجارك طاوٍ". وفي قصة رجل متظلم من عمرو بن مسعدة "يا عمرو عمّر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها". وفي قصة رجل متظلم من ابي عباد "يا ثابت ليس بين الحق والباطل قرابة". وفي قصة متظلم من ابي عيسى اخيهِ "فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون". وفي قصة متظلم من حميد الطوسي "يا ابا غنم لا تغترر بموضعك من امامك فانك واخس عبيدهِ في الحق سيان". والى طاهر صاحب خراسان "احمد ابا الطيب اذا احلك خليفة محل نفسهِ من نفسهِ فمالك موضع تسمو اليهِ نفسك الاَّ وانت فوقهُ عندهُ". وفي كتاب بشر بن داود "هذا امان عاقدت الله في مناجاتي اياهُ". وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي "قد احتملنا بذاءك وشكاسة خلقك فاما ظلمك الرعية فانَّا لا نحتملهُ". ووقع الى بعض عمالهِ "طالع كل ناحية من نواحيك وقاصية من اقاصيك بما فيهِ استصلاحها". وكتب اليهِ ابرهيم بن المهدي في كلام لهُ ان غفرت فبفضلك وان اخذت فبحقك فوقع في كتابهِ "القدرة تذهب الحفيظة والندم جزء من التوبة وبينهما عفو الله". ووقع في رقعة مولى طلب الكسوة "لو اردت الكسوة للزمت الخدمة ولكنك اثرت الرقاد فخطك الرؤيا"

طرابلس الشام حكمت شريف

ري العراق العربي

أتنفض بابل واشور عنهما غبار العصور الغابرة . ويعود الى بغداد عصر الرشيد والمأمون . ويرتع الامن في ربوع العراق وتفيض الخيرات من دجلة والفرات . كل ذلك محتمل وقد صار على قاب قوسين بعد ان اعتمدت الدول الاوربية على مد سكة الحديد الى بحر فارس . ولكن كم يبقى للسكان من خيرات بلادهم بعد ان تتمكن فيها اقدام الاوربيين وتُعطى لهم الاراضي الواسعة مع الامتياز وكيف يجاري ابناء المشرق الذين ضعفت هممهم من طول ما لقوا من الذل والامتهان ابناء المغرب الذين نشطوا للعمل منذ مئتي عام وهم لا يرون غير مثيرات النخوة ومقويات العزائم حتى من ملوكهم وامرائهم . هذه مسألة يصعب النظر فيها من الآن

اما تلك البلاد فكانت مهد العمران وخصبها الطبيعي مما لا يختلف فيه اثنان وقد كان ريها منتظماً في العصور الغابرة انتظاماً لا يفوقهُ انتظام الري في القطر المصري الآن . ومن رأي السر وليم ولككس المهندس المشهور في هذا القطر انهُ يسهل اعادتها الى ما كانت عليهِ فتصير مثل القطر المصري من حيث سهولة الري والصرف وتدفُّق الخيرات . وقد انشأ خطبة مسهبة في ذلك تلاها في الجمعية الجغرافية فلخصنا منها ما يلي لعلَّهُ يكون محرّضاً لابناء الشام والعراق على ترك المهاجرة الى البلدان القاصية وانتظار ما يمكن عملهُ في بلادهم . قال ما مفادهُ

ان مدينة بغداد تعلو عن سطح البحر (بحر فارس) ٦٦ متراً وتبعد عنهُ ٥٥٠ كيلو متراً على خط مستقيم او ٨٠٠ كيلومتر اذا قيس البعد على مسير دجلة . وحولها الآن قفار قاحلة ولكنها كانت في سالف الزمن تاج ما تمتلكهُ الدول التي دان لها المشرق . هذا كان شأن البلاد على مئة ميل حول بغداد من كل ناحية

اذا نزلت في دجلة من الشمال الى الجنوب تصل اولاً الى دورا مأخذ ترعة نهروان والسهل الذي نصب فيهِ نبوخذنصر التمثال الذهبي ولعلَّهُ نصبهُ تذكاراً لتجديد هذه الترعة . ثم تل الج حيث مات الامبراطور يوليانوس من جراحهِ حينما أخرج الرومانيون من تلك الاقطار واستولى عليها ملوك الفرس فدان لهم المشرق كلهُ . ثم تصل الى اوفيس التي كان فيها اغنى اسواق المشرق التجارية ومنها الى بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين . فالمدائن عاصمة آل ساسان ملوك الفرس فسلوقية عاصمة المكدونيين في المشرق واخيراً تصل الى بابل سيدة المدائن وهي على الفرات لا على دجلة

والبلاد بين ترعة نهروان وبين دجلة شرقاً وغرباً عجزت قبائل العرب عن العيث فيها فظلَّت اخصب بلدان المشرق وكأن ملوك الكلدان انشأوا تلك الترعة وغيرها من الترع لكي يمنعوا الغزاة عن بلادهم كما فعل مينا ملك مصر لما حوّل مجرى النيل الى الجهة الشرقية امام منف لكي يكون فاصلاً بينها وبين القبائل التي كانت تغزو بلاده آتيةً من بلاد العرب

ويقع المطر في تلك البلاد لكنهُ قليل جدًّا لا يكفي للزراعة . يقع في السنة من اربعة سنتيمترات الى ٢٤ سنتمترًا لا غير فلا بدَّ من ري الارض من الانهار والترع اذا اريد ان تزرع شيئًا

ودجلة من بغداد الى بحر فارس قليل التحدُّر لا يزيد تحدُّرهُ على $\frac{1}{12000}$ فهو مثل النيل من هذا القبيل ويفرق عنهُ في ان الدلتا التي يرسب فيها طمي دجلة بعيدة عن مصبهِ وليست مثل الدلتا التي بين فرعي النيل

ويبتدئ دجلة من الآكام التي الى الجنوب الغربي من بحيرة وان ويمر من عند مدينة نينوى القديمة ويقطع تلالاً حجرية ويعمق مجراهُ حتى يصير نحو ٢٥ مترًا وسرعتهُ مترين ونصف متر في الثانية من الزمان ثم يخرج منها ويدخل واديًا منبسطًا فتقل سرعتهُ وتصير مترًا في الثانية وهناك يلقي ما كان يحملهُ من الطمي فتكوَّن منهُ سهل خصيب حول بغداد . وعلى ثمانين كيلومترًا من بغداد جنوبًا تصير الرواسب التي ترسب منهُ ناعمة جدًّا مخلوطة بالملح وتستمرُّ على ذلك الى البحر فلا تصلح للزراعة مثل الاراضي التي حول بغداد . ويفيض كما يفيض النيل ويغمر الاراضي التي حولهُ من بغداد الى البحر ويصبُّ فيهِ نهران من الجهة الشمالية الشرقية احدهما فوق بغداد والآخر تحتها ويتفرَّع من ثانيهما ترع كثيرة

ويبتدئ فيضان دجلة في اواخر فصل الشتاء حتى اذا اشتدَّ الحرُّ واذاب الثلج عند مصادرهِ ومصادر نواصرهِ زاد فيضانهُ فصلح للري الصيفي مثل انهار الهند . وكلما زاد الحرُّ شدَّةً وزادت حاجة المزروعات الى الماء زادت مياههُ فيضانًا

وفي رأس دلتا دجلة خرائب مدينة اوفيس وهي مثل القاهرة في مصر ومنها تبتدئ الترع العظيمة التي تروي دلتا العراق

وكان للري هناك سبيلان كبيران الواحد بترعة نهروان والثاني بترعة دجيل جنوبيهُ وكان الاقدمون قد اقاموا سدودًا في الاماكن العالية ترتفع بها المياه ويقال ان الاسكندر المكدوني خرب بعضها ليغزو الماء في دجلة ويسهل عليهِ ركوبهُ بسفنهِ ولا بدَّ من ان يكون بناها بعد ذلك

وترعة نهروان في العراق مثل احد الرياحات الكبيرة في القطر المصري طولها اربع مئة

كيلومتر وقد بلغت اعلى درجة من الانتظام على عهد بني ساسان ملوك الفرس ثم على عهد هرون الرشيد. ولها مأخذان من دجلة حتى اذا ملأ الطمي احدها ولزم تطهيره جرى الماء اليها من المأخذ الثاني. وبُعد المأخذ الاول عن الثاني ستون كيلومترًا وعند ملتقى المأخذين قنطرة موازنة تسمى القنطرة الكسروية وعند مأخذ الترع الاعلى قنطرة اخرى للموازنة تسمى قنطرة الرصاص لان الرصاص مصبوب بين حجارتها وكذلك عند المأخذ الثاني قنطرة موازنة اخرى وهي الآن خراب

ثم اسهب في وصف الاعمال الهندسيَّة التي كانت على دجلة من ترع وقناطر وسدود وما اشبهُ لتسهيل الري وبيَّن ذلك كلهُ بالرسوم وقال في وصف ترعة نهروان ان ترع مصر لا تقابل بها لان اكبر ترعة في القطر المصري لا يزيد عمقها على عشرة امتار وعرضها على ستين مترًا واما ترعة نهروان فيبلغ عمقها احيانًا خمسة عشر مترًا واتساعها ١٢٠ مترًا. هذا من حيث نظام الري الاول واما نظام الري الثاني بترعة دجيل فمداره على ترعة طولها مئة كيلومتر وعرضها خمسون مترًا

وبيَّن كيف خربت تلك البلاد وعفت آثار مدنها بطغيان دجلة على ترعتيهِ وتخريبهِ سدودها وجرفهِ كل ما في البلاد من مدن وقرى ومزارع وانسان وحيوان فانتشر الخراب في بلاد طولها اربع مئة كيلومتر وعرضها ثلاثون كيلومترًا كانت اعمر بلدان المسكونة واكثرها سكانًا. وعندهُ ان تلك البلاد تعود الى مجدها السابق باصلاح ترعة نهروان واصلاح ري العراق بها. ثم شرح الاعمال الهندسية اللازمة لذلك وقدَّر ما يلزم لها من النفقات وما ينتج عنها من الفوائد فقال ان النفقات تبلغ ثمانية ملايين من الجنيهات يصلح بها مليون و ٢٨٠ الف فدان من اجود الاراضي الزراعيَّة فيصير الفدان منها يساوي ٣٠ جنيهًا على الاقل فتساوي كلها ٣٨ مليون جنيه ولا يقلُّ صافي ريعها في السنة عن مليوني جنيه فيكون المال الذي ينفق على اصلاحها قد جاء بفائدة ٢٥ في المئة سنويًّا

هذا من حيث الارض العالية التي في بداءة دلتا دجلة اما البطائح التي تحتها ولاسيما بين دجلة والفرات فهي قاحلة الآن ولكن الدلائل كثيرة على انها كانت تروى وتستغلُّ في قديم الزمان كما يظهر من آثار الترع والاعمال الهندسيَّة التي فيها. وهناك ارض مساحتها مليون ونصف مليون من الفدادين بين بغداد وبابل يمكن اعادة ريها وزرعها وقد تلفت منذ عهد طويل وصارت مستنقعات لان الترع التي فيها أُهملت لما تولَّى البلاد اناس لا يحسنون امرها فامتلأت مجاريها طميًا وحشائش وتهدَّمت جسورها فلم تعُد تكفي لاحتواء ما يجري فيها من الماء ففاض على الارض التي حولها واغرقها فصارت مستنقعات وبطائح

وقابل تلك البلاد بالقطر المصري وقال ان مجرى النيل لم يمتلئ بالطمي مع ما مرَّ عليهِ

من القرون لان ري الحياض كان من مقتضاه اجراء ماء الفيضان الى الحياض على جانبي النيل فيرسب ما فيهِ من الطمي ويعود اليهِ صافياً ولكن اذا بطل ري الحياض في القطر المصري خشي ان يرسب الطمي كلهُ في مجرى النيل فلا يعود كافياً لاحتواء ماء الفيضان كلهِ فيطغى على البلاد ويغرقها وحثَّ على الانتباه لذلك من الآن . ثم عاد الى ري العراق فقال ان نجاح مصر ابتدأ يوم صمم مهندسو الملك مينا اول الفراعنة على اعلاء جسر النيل الغربي وترك الجانب الشرقي من غير جسر حتى يمتنع طغيانهُ على الجانب الغربي فيصلح للزراعة ومثل ذلك يمكن ان يفعل في العراق فيقام جسر لدجلة على الضفة الغربية وجسر للفرات على الضفة الشرقية ويمد جسر الفرات الى ما تحت بابل وجسر دجلة الى عند منعطفهِ . وتصلح الارض التي بين هذين النهرين وتفتح فيها الترع وتزرع .

وقد ثبت لي من اعمال الري في مصر ان كل النفقات اللازمة للسدود والترع والمصارف وما اشبه تبلغ خمسة جنيهات ونصف جنيه عن كل فدان والنفقات اللازمة لهُ من تقسيب وتلويط وما اشبه تبلغ ثلاثة جنيهات ونصف جنيه والجملة ٩ جنيهات فيصير يساوي ثلاثين او اربعين جنيهاً وقد قدرنا ثمن فدان الارض على ترعة نهروان في بلاد العراق بخمسة وثلاثين جنيهاً بعد اصلاحهِ واصلاح ريهِ لان الفدان الذي مثلهُ في مصر يساوي الآن من ستين جنيهاً الى مئة فنقدر الفدان الذي يصلح بين دجلة والفرات بخمسة عشر جنيهاً اي بنصف ما يساويهِ الفدان الذي مثلهُ في مصر وهناك مليون وخمس مئة الف فدان يمكن اصلاحها كذلك ينفق على اصلاحها وريها وصرفها ١٣ مليون جنيه فتصير تساوي ٢٢ مليون جنيه

وباضافة الاراضي التي في رأس دلتا دجلة الى البطائح التي تحتها تصير المساحة ٢٨٠٠٠٠٠ فدان والنفقات اللازمة لاحيائها ٢١ مليون جنيه فتصير تساوي ٦٠ مليون جنيه على الاقل

وفي دلتا الفرات ودجلة خمسة ملايين فدان اي قدر مساحة الاراضي الزراعية في القطر المصري كلهِ واذا ابتدأ العمل في اصلاحها سهل جلب المال من اوربا لاتمامهِ فان الفدان في مصر يحمل من الدين عشرين جنيهاً ومع ذلك لا يجد الحمل ثقيلاً . ثم اذا مُدَّت سكة الحديد وكثرت فروعها في البلاد زاد السكان وزادت الخيرات وارتفع ثمن فدان الارض المصلحة في اعالي البلاد من ٣٥ جنيهاً الى ثمانين وفي اسافلها من ١٥ الى ٣٥

وختم خطبتهُ بكلام بليغ قال فيهِ

ان امامنا الآن إحياء بلاد قديمة كان اسمها مرادفاً للخصب والفلاح والعظمة مدة قرون كثيرة فقد كان هناك سهول خصبة ومدن عامرة وملوك اعزاء وقوَّاد اشداء ورجال حكماء

تداولوها الوفاً من السنين كما تشهد كتب الاخبار ونقوش الآثار وهي لا تقل عن اخبار مصر وآثارها قدماً وصحة. وهناك أدلة كثيرة على غنى تلك البلاد وانها كانت مطمح انظار الفاتحين والتملك عليها غاية ما يفاخرون به فان الدولة التي كانت تملك تلك البلاد في العصور الغابرة كانت تملك المشرق والدولة التي تفقدها تفقد المشرق . بلاد مثل هذه جديرة بأن تحيا من مواتها وان عرفنا السبب الذي افقرها سهل علينا ان نعيد اليها خصبها السابق . والارض التي اجابت داعي العلم القديم فتدفقت منها خيرات كفت بلاط ملوك الفرس مع ما يؤثر عنهم من الانغماس في الترف والملاذ لا بدَّ من ان تجيب داعي العلم الحديث وتردَّ المال الذي ينفق عليها اضعافاً كثيرة . ولا بدَّ الآن من الاستعانة بمعارف الغرب على هذه الاعمال كما استعين سابقاً بمعارف الشرق . وقد كانت تلك البلاد تروى وتزرع بواسطة معارف حكماء الكلدان ومهندسيهم ومراقبي الاحداث الجوية منهم وصار احياؤها وزرعها الآن اصعب مما كانا قبلاً ولكن علوم ابناء هذا العصر صارت ارقى من علوم الاقدمين ولا يصعب معها رد تلك البلاد الى سالف مجدها فتعود جنة الشرق كما كانت قبلاً ويقصدها الناس من مشارق الارض ومغاربها

وتسمّى بغداد دار السلام وقلما وجدت السلام من حين بنيت الى الآن لما حلَّ بها من تيمور لنك وهولاكو وخلفائهما الذين اضروا بالبلاد اكثر مما اضرَّ بها تحوُّل دجلة عن مجراه. ولكنها ستجد السلام الذي اضيفت اليه تيمُّناً وستجتمع الوف عشرات الالوف من العمَّال من الهند ومن مصر ايضاً يجتمعون في ذلتا دجلة يمدون سكة الحديد من الكويت الى الشمال ويفتحون ترعة من اوفيس الى الجنوب

وستشرع السكة الحديد بنقل العمَّال والادوات من خليج العجم لحفر الترع واحياء الموات وانشاء المدن ولا يتم مدها واتصالها بآسيا الصغرى حتى يكون جانب كبير من الارض قد أُصلح وكثرت خيراتهُ لتنقلها السكة شرقاً وغرباً وليس على وجه البسيطة ارض اصلح من اراضي دجلة لزرع الحبوب ولقد سمعت الدكتور شوينفرت رئيس هذه الجمعيَّة السابق يقول فيها ان من هناك اصل القمح وانهُ كان ينبت برياً في تلك البطاح ومنها نقل الى اربعة اقطار المسكونة . ويخصب هنالك القطن والذرة وقصب السكر وكل الحاصلات المصرية التي تنبت صيفاً وهناك وطن المزروعات الشتوية كالحبوب والقطاني والبرسيم والافيون والتبغ . وليست بي حاجة الى الكلام على فراديس بابل وبغداد القديمة . والارض التي اقليمها يزكي المزروعات زكاءها في الاقاليم الحارَّة وانهارها تسقى من ثلج الجبال فتروي ملايين الفدادين وقت اشتداد

الحرّ والظلماء لا يعقل انها تبقى قفراً قاحلاً بعد ان تخرقها سكة الحديد وتسمى عاصمتها بغداد وراء موارد الثروة . ولا بدَّ من ربح وافر لتلك الطريق مما تنقلهُ من بضائع الشرق والغرب ولكن اذا عاد الى البلاد سابق خصبها وتدفقت منها الخيرات زاد ربحها ربحاً وتحققت فيها آمال الذين انشأوها وخالج نفوسهم احياءُ البلاد لما اشاروا بها

انتهى كلام السر وليم ولككس ملخصاً وقد الحق خطبتهُ برسوم كثيرة نقلنا واحداً منها لكي يتضح للقارىء مواقع الاماكن التي ذكرها واضفنا اليهِ اسماء اماكن أُخرى اتماماً للفائدة

شياطين تولستوي

تولستوي فيلسوف روسي من اشهر كتّاب العصر كما لا يخفى وقد كتب الآن في ذم التمدُّن الحاضر وعدَّ اركانهُ كلها اضاليل وحبائل نصبها ابليس لاقتناص نفوس الناس . ومفاد ما كتبهُ ان ابليس جلس يوماً في دركات جهنم آسفاً لانهُ اضاع ملكهُ في هذه الدنيا بمجيء السيد المسيح وتخليصهِ لبني آدم . ومرَّت عليهِ السنون واليأس يمزق احشاءهُ لكن اعوانهُ لم ييأسوا يأسهُ فطافوا في الارض يكيدون المكايد للناس ثم عادوا وبشائر الظفر في وجوههم فقال واحد منهم انني زرعت بين الناس بزور الشقاق الديني واقنعت كل فريق منهم انهُ على هدًى وغيرهُ على ضلال ولا بدَّ لكل فريق من ان يحارب الفريق الآخر ويقتلهُ لكي يقنعهُ بفساد معتقدهِ وقد تركتهم والحيلة ناجعة فيهم على ما يرام ولكنني خشيت ان ينتبهوا لها فينفسد عليَّ قصدي ولذلك اخترعت لهم ما يسمَّى بالكنيسة او الجماعة حتى اذا القوا اعتمادهم عليها اطمأنَّ بالي من قبلهم . فقال لهُ ابليس ماذا تعني بالكنيسة او الجماعة . وكأنهُ استاء لان بين اعوانهِ واحداً يعرف ما لا يعرفهُ هو . فقال ذاك اني اعني بذلك الناس الذين يستشهدون بالله على صدق ما يقولون اذا علموا ان الناس لا يصدقون اكاذيبهم . ثم اخذ يشرح ما فعلتهُ الكنائس والجماعات من اضطهاد بعضها بعضاً . فاستغرب ابليس ذلك وقال لهُ ولكن ماذا فعلوا بالوصية القائلة كما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضاً بهم . فقال سمعت منهم قصَّة يتداولونها وهي ان ساحراً اراد ان ينقذ رجلاً من شر ساحر آخر فحوَّلهُ الى حبَّة حنطة فحوَّل الساحر الآخر نفسهُ الى ديك واسرع اليها ليلتقطها فسبقهُ الساحر الاول وافرغ عليها اردباً من الحنطة فتعذَّر على الديك الاهتداء اليها وتعذَّر عليهِ ان يأكل حبوب الحنطة كلها لكي يأكلها في جملتها . وقد نصحتُ للناس ان يفعلوا مثل ذلك فغطُّوا هذه الوصيَّة بالوف من الوصايا والتعاليم حتى

تعذَّر عليهم اكتشافها بينها وتعذَّر عليهم حفظها كلها

فتبسم ابليس وقال له احسنت واجملت وضجَّ الابالسة كلهم ضحكا وطربًا

ثم قال اذًا لا يزال حال الارض على ما كان عليهِ جرائم ومنكرات ولصوص وقتلة . فصعد اليهِ شيطان كبير الهامة في رأسهِ قرنان اعقفان وقال نعم ايها المولى وقد اعدناها كما كانت لما القينا في قلوب بني اسرائيل ان يملّكوا شاوول عليهم وقلنا لهم خير لكم ان يسلبكم رجل واحد من ان يسلب بعضكم بعضاَ فسنّوا الشرائع والقوانين التي يسود بها اهل البطالة والكسل وهم الفئة الصغرى على اهل الجد والاجتهاد وهم الفئة الكبرى واغرينا كل امة بانها افضل من غيرها فوقع بينهم العداء والبغضاء ونشبت الحروب وتفاقمت الخطوب

فسرَّ ابليس بهذا الخطاب والتفت الى مخترع فن الاجتماع (السسيولوجيا) وسمع شرحهُ لهُ وتعديدهُ شرورهُ ومنكراتهِ فاثنى عليهِ جميلاً ووعدهُ بالجزاء . وحينئذٍ ضجَّ جمهور من الابالسة قائلين يظهر انك نسيتنا ولم تفطن لنا . فقال لهم هاتوا اخبروني بما فعلتم

فقال واحد منهم انا شيطان الصناعة وقال آخر وانا شيطان تقسيم الاعمال وقال آخر وانا شيطان الطرق والمواصلات . وقال آخر وانا شيطان الطباعة . وقال آخر وانا شيطان الفنون الجميلة . وقال آخر وانا شيطان الطب . وقال آخر وانا شيطان التهذيب وهلمَّ جرًّا . وحاولوا الكلام كلهم معًا فانتهرهم وقال تكلموا واحدًا واحدًا . فقال شيطان الصناعة اني علّمت الناس ان يكثروا المصنوعات ويسرعوا في عملها فصاروا يقضون العمر في عمل ما لا يستطيع مبتاعهُ استعمالهُ ولا يستطيع مستعملهُ ابتياعهُ

وقال شيطان تقسيم الاعمال اني جعلت الناس كالآلات الصماء لا يستطيع الواحد منهم ان يعمل اكثر من عمل واحد فبقوا عبيدًا لاصحاب المعامل

وقال شيطان الطرق والمواصلات لقد علّمت الناس ان لذة العيش بالتنقُّل فصاروا يباهون بمسابقة الطيور في الانتقال من مكان الى آخر

وقال شيطان الطباعة اني علمتهم ان ينشروا اسخف الآراء على العدد الاكبر من القراء

وقال شيطان الفنون الجميلة اني علمتهم ان يزوّقوا الرذائل حتى تغري النفوس وتخلب الالباب

وقال شيطان الطب اني علمتهم ان غايتهم الكبرى صحة ابدانهم فتركوا نفوسهم ونفوس غيرهم

وقال شيطان التهذيب اني رسَّخت في اذهانهم ان التهذيب يقوم باستحسان آثار الصناعة وتقسيم الاعمال والطرق والمواصلات والطب والطباعة ومَن نال هذا التهذيب فقد بلغ الكمال ولم تعد بهِ حاجة الى شيء

فشكرهم ابليس واثنى على همتهم ثم بسط جناحيهِ ونهض فاجتمعوا حولهُ وامسك كلٌّ منهم بذنب الآخر وجعلوا يطوفون بهِ راقصين وهم يطفرون ويضحكون وهو يرقص في وسطهم طرباً والناس على الارض يبكون وينتحبون و يصرُّون باسنانهم . انتهى مُلخصًا

وفلسفة تولستوي على ما فيها من الغلو في تقبيح اعمال الناس لا تخلو من الحقائق ولكن مَن قرأ تاريخ العصور الخالية ورأى مقدار الضنك الذي احتملهُ الانسان مِن الانسان . مَن نظر في الصورة المنقوشة على هياكل مصر وبابل واشور ورأى الملوك تدوس الاسرى بسنابك خيلها وتمزق مفاصلهم بالدهق . مَن قرأ تاريخ المماليك وما كانوا يفعلون منذ اقل من مئتي عام . مَن قرأ تاريخ ديوان التفتيش وما فعل من الفظائع باسم الدين . مَن رأى ذلك كلهُ لا يسعهُ ان ينكر ان ظلَّ مملكة ابليس قد تقلَّص من هذه المسكونة وان الناس لم يكونوا في عصرٍ من العصور ارغد عيشاً منهم الآن . ولا بدَّ من ان يزيدوا تعقُّلاً فيطرحوا كثيرًا ممَّا هم في غنًى عنهُ ولا فائدة منهُ سوى تكثير التعب والضنك . وتبقى الحروب من آثار القرون الغابرة لكن وطأتها تخفُّ رويدًا رويدًا وشرورها تقلُّ الى ان تزول . وسيرى صغار القرَّاء ذلك قبل انقضاء عشرين او ثلاثين عاماً . وما حسبهُ تولستوي من اعمال الشيطان انما هو السبيل الطبيعي الذي سار فيهِ الانسان حتى تمكن من الوصول الى ما وصل اليهِ الآن وفي هذا السبيل كثير من المعاثر والمخازي ولكن مصدرها ليس من الشيطان بل من الجهاد العام الذي تشترك فيهِ الاحياء جمعاء نباتًا كانت او حيوانًا او انسانا . الجهاد الذي لا بدَّ منهُ للارتقاء فتجد نبات الحقل يزاحم بعضهُ بعضاً ويتخاطف القوت من التراب والهواء ويعتدي بعضهُ على بعض حتى يبقى القوي ويهلك الضعيف . وانواع الحيوان من الميكروبات الصغيرة الى الانسان سيد المخلوقات جارية هذا المجرى تتسابق وتتساجل ويأكل بعضها بعضا ولا تشفق على ضعيف ولا ترحم متألمًا . تدخل الميكروبات بدن الانسان وتبتليهِ باشد الآلام ولا تبالي لان معيشتها غرضها الوحيد من الحياة. ويصطاد الباشق العصفور ويمزق بدنهُ ويأكلهُ ولا يسمع صراخهُ ولا يرحم فراخهُ . ولا يقلُّ فعل الانسان عن ذلك فيذبح الخروف امام امهِ ويصطاد السمك ويشويهِ حيًّا ويدوس النمل والدود كانهما من تراب الارض . سنة الله في خلقه بل سنة الكون التي سنها موجود الكون واخضع لها كل ما فيهِ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

الطفل

يجب ان تستعد الحامل لولادة الطفل وتهيئ لهُ كل ما يلزم من الثياب ونحوها وتضعهُ جانبًا. ويحسن ان تضع لوازمهُ في سلة واسعة قليلة العمق يوضع فيها بذلة وفوط وعلبة بودرا وعلبة حامض بوريك وقليل من النسالة ومجبر فازلين وابر وخيطان ومقص

وحينما يأتي الطبيب توضع الطاولة التي اشرت اليها قبلاً ويوضع عليها والخيطان ومجبر الفازلين وكاس من الماء الفاتر اذيب فيهِ ملعقة صغيرة من الحامض البوريك

وحالما تربط سرَّة الطفل يوضع في ملاءة دافئة من الفلانلا ويدرك كلهُ بالفازلين وتغطس خرقة نظيفة او قليل من القطن في مذوب الحامض البوريك ويغسل بها عيناهُ كل عين على حدة وترمى الخرقة التي تغسل بها العين الواحدة وتغسل عينهُ الثانية بخرقة اخرى. وتلف خرقة حول الاصبع ويغسل بها فم الطفل مرارًا ويقلب على وجهه ويضرب صدرهُ وكتفاهُ باليد بلطف ثم يلف جيدًا كلهُ حتى رأسهُ ووجههُ ويوضع في مكان دافئ ثم يلتفت الى امهِ

وقد قلت سابقًا ان ليس من غرضي التطويل في الكلام على النفساء وانما اقول بالاختصار انهُ حينما تتم الولادة يغسل منها كل ما تلطخ بالدم وتلف بثيابها وتغطى وتسقى قليلاً من اللبن (الحليب) السخن او المرق او فنجانًا من الشاي او القهوة وتترك ويوجَّه الالتفات الى الطفل

الحمام

على القابلة او المرأة الموكلة بالاعتناء بالطفل ان تستحضر اناء كبيرًا وتملأهُ ماء فاترًا وتضع فيهِ اسفنجة وتضع قربهُ كرسيًّا تضع عليها سلة الطفل التي فيها ثيابهُ ثم تجلس على كرسي واطيء وتضع على ركبتيها مربولاً من المشمع وفوقهُ مربولاً من الفلانلا وتضع الطفل في حضنها وتغسل عينهُ الواحدة بخرقة ثم عينهُ الاخرى بخرقة ثانية ثم فمهُ بخرقة ثالثة وتغسل بدنهُ بالاسفنجة وتنشفهُ جيدًا ثم ترغي على الاسفنجة بالصابون وتمسح بها رأسهُ وتغسلهُ بالماء من الصابون وتنشفهُ

ومتى تمَّ غسل رأسهِ ووجههِ بالماء والصابون وتنشيفهما ترغي على الاسفنجة وتمسح بها بدنهُ كلهُ ولاسيما تحت ابطيهِ وبين فخذيهِ وتقلبهُ على بطنهِ وتغسل ظهرهُ ثم تضعهُ في اناء الماء الفاتر ويدها اليسرى تحت رأسهِ وظهرهِ وتأخذ الاسفنجة بيدها اليمني وتغسل بدنهُ من الصابون. وتضع منشفة على حضنها وتضع الطفل فيها ووجههُ الى الاسفل وتنشفهُ جيدًا بمنشفة اخرى ولاسيما تحت ابطيهِ وفي طيات مفاصلهِ وتبودرهُ وتقلبهُ على ظهرهِ وتنشف صدرهُ وساقيهِ وتضع خرقة ناعمة على سرتهِ وقليلاً من الفاسلين بين طيات فخذيهِ اذا لزم الامر وتبودرهُ جيدًا وتلبسهُ

ولا بدَّ من غسل الطفل كذلك كل صباح ومن غسل وجههِ ويديهِ وساقيهِ كل مساء . وغسل عينيهِ يمنع الرمد وغسل فمهِ يمنع القلاع والبودرة تمنع التسميط والربَّة

لباس الطفل

يختلف لباس الاطفال باختلاف العادات . ولكني اشير على الامهات ان يقللن ثياب الطفل ويجعلنها مما يدفئ . ويحسن ان يقمّطنهُ بقطعة من الفلانلا تلف حول صدرهِ وبطنهِ مرتين وتمكن خياطةً لا بالدبابيس ولا يجوز استعمال الدبابيس العادية مطلقًا وانما يجوز استعمال الدبابيس الموقية لتمكين الحفاض . ولفائف الفلانلا تمنع البرد والمغص ولكن لا يجوز شدها كثيرًا . وهذا يطلق ايضًا على الثياب التي ينام الطفل فيها

السرير

ان السرير الذي يربط بهِ الطفل مضرٌّ جدًا وخير منهُ الارجوحة التي تعلق في السقف ويجب ان لا ينوَّم الطفل بالهز لان نومهُ حينئذٍ من قبيل الدوران . واذا بكى كثيرًا ولم ينم ففيهِ سبب يمنع نومهُ ويجب ان يفتش عن هذا السبب وهو اما الجوع او الالم من دبوس او ما اشبه او القلق من بلل فوطهِ . ولا شيء يُبكي الطفل مثل بلل الفوطة

الرضاعة

اذا كانت الوالدة قويَّة صحيحة الجسم فخيرٌ لها ان ترضع طفلها بنفسها والاَّ فلتأت بمرضع صحيحة الجسم. واذا لم تستطع ذلك لم يبقَ امامهما الاَّ قنية الرضاعة . والقنينة خير من لبن المرأة السقيمة وكثيرون ربوا عليها وهم على اتم الصحة . ولا بدَّ من ان تنظف القنينة جيدًا حتى تبقى على تمام النظافة . وخير القناني المسطحة القصيرة العنق . واما القناني الكثيرة التراكيب التي فيها فلينة وانبوبة من الزجاج وانبوبة وحلمة من الكاوتشوك فلا تصلح للرضاعة واذا كانت القنينة غير نظيفة حمض اللبن فيها واضرَّ بالطفل وسبَّب لهُ المغص . ويجب ان يكون عند الوالدة قنينتان ترضع الطفل بواحدة منهما وتنظف الاخرى ثم ترضعهُ بهذه وتنظف تلك وهلمَّ جرًّا

واذا بقي في القنينة شيءٌ بعد ان يشبع منها يطرح ما فيها ولا يترك من وقت الى آخر وتغسل جيدًا وتوضع في وعاء كبير فيهِ ماءٌ نقي ولا يوضع فيها اللبن الاَّ حالما يراد ارضاعهُ منهُ

واللبن القريب من لبن المرأة يصنع بمزج لبن البقر بالماء الثلثين من لبن البقر والثلث من الماء السخن وملعقة صغيرة من السكر وملعقة ملح صغيرة من الملح ويجب ان يرضعهُ الطفل فاترًا

واذا اريد اختيار مرضع للطفل وجب ان تكون صحتها جيدة وعمر طفلها يقارب عمر الطفل الذي يراد ان ترضعهُ وحلمتا ثدييها غير صلبتين ولا كبيرتين جدًّا ويجب ان يكون الطفل قادرًا على مص اللبن منهما بسهولة

ويرضع الطفل اولاً مرة كل ساعتين بالانتظام التام ولا يحسن ان يرضع كلما بكى والاَّ مرض وفسدت معدتهُ . واذا كان يرضع من القنينة وجب على والدتهِ ان تمسكها بيدها وتمنعهُ من الاسراع في الرضاعة ويجب ان لا تضع في القنينة الاَّ ما يكفيهِ مرةً واحدة

وتمريض الاطفال صعب جدًّا لانهُ لا يعلم ممَّا يشكون . والقاعدة العموميَّة انهُ اذا كان الطفل يفتح عينيهِ ويشدها فالالم في رأسهِ واذا كان يتنفَّس شديدًا وسريعًا ومنخراهُ واسعين فمحل الالم في صدرهِ ورئتيهِ . واذا كانت شفتاهُ مطبوقتين طبقًا شديدًا فالالم في معدتهِ واذا كان يلبط ويصرخ فهو مصاب بالمغص . واذا كان الالم في رأسهِ فالامر هام ولا بدَّ من استدعاء الطبيب. وكل ما يمكن ان يفعل لهُ حينئذٍ الى ان يحضر الطبيب هو لبخ الماء البارد على رأسهِ هذا اذا كان سخنًا . واذا كان التعب في صدرهِ فافركهُ بقليل من الزيت او الفاسلين وضع عليهِ خرقة سخنة من الفلانلا ويستعمل هذا العلاج البسيط في الشهقة والمغص . ويجب ان تراقب مرات الخروج ومادتهُ ولونهُ . ويجب ان يخرج الطفل مرتين كل ٢٤ ساعة وان يكون خروجه ُليناً ولونهُ خفيفًا. واذا اصابهُ قبض فيسقى من المغنيسيا او ملعقة صغيرة من الزيت

وفي الشهر السادس او السابع يشرع في اطعام الطفل اطعمة نشوية وهي مختلفة الاشكال والانواع فاذا جرّب نوع منها ولم يوجد صالحًا يجرَّب غيرهُ

وحينما تشرع الاسنان في الظهور وذلك في نحو الشهر السادس تلاحظ الامعاء جيدًا ويمنع القبض . واذا تألم الطفل من لثتهِ فاغسلها لهُ بماء الورد والغليسرين بعد ما يأكل وفي الصباح والمساء حينما يقوم وقبلما ينام . واذا اصيب بهزة الخيط وهو يسنِّن وجب ان يستدعى لهُ الطبيب حالاً ويوضع في مغطس من الماء السخن الى حين حضورهِ

ويجب ان يقيم خارجًا في الهواء النقي كل ما يمكن من النهار . ويشرع في اخراجهِ وهو ابن اسبوعين . وتكون المدة اولاً نحو عشر دقائق ثم تزيد رويدًا رويدًا

فن التمريض

وذوات الشفقة على المريض

يظهر لكل من لازم مطالعة المقتطف منذ نشأتهِ الى اليوم ان من اسمى رغائبهِ واقصى امانيهِ ترقيتهُ شؤُون المنزل الشرقي بحاجيَّاتهِ وكالياتهِ واعلاء شأن القائمات على ادارتهِ وخدمة العيال بتلقي التهذيب القلبي والعقلي والاداري حسبما انتهى اليهِ ارتقاء العلم وادركتهُ حاجات المجتمع الانساني بجهد النظر والاعتبار على مرّ الزمان وطول الاختبار . ومن اسطع الادلة على فضل المقتطف وتوخّيهِ الاصلاح الحقيقي في فتح هذا الباب مع ما يعانيهِ من النصب في متابعة الابحاث العلميَّة والشؤُون الزراعيَّة والفنون الصناعية انهُ كان ولا يزال القدوة الاولى في ذلك لسائر المجلاَّت التي قامت بعدهُ في هذه البلاد فانها بمثالهِ اقتدت وبانوارهِ اهتدت وما احسن الاقتداء مع الاهتداء

ونحن على يقين بالنظر الى احوال الشرق اليوم ان خدمة المقتطف هذه في اصلاح شؤُون العائلة الشرقيَّة قد لا تقلُّ اعتبارًا عند الحكماء المتبصّرين عن انارة الاذهان بضروب المعارف العلمية والفلسفية وصنوف الابحاث الفنيَّة حتى لقد علمنا ان اقوى البواعث على دخول المقتطف كثيرًا من البيوت ما يُدرَج في ابوابهِ من الامور المنزليَّة فتجد فيهِ ربَّة المنزل وكريمتهُ ما يُبصّرها بحقيقة مقامها النسائي الخطير ويدرّبها على ما يعود على عائلتها بالنفع الماديّ والادبي مقرونًا بلذة وفاء الواجب التي هي بهجة الحياة

وفي جملة ما قرأناهُ بمزيد الارتياح والامتنان في هذا الباب ما جاء في الجزء الثالث من مقتطف هذا العام في تمريض المرضى بقلم السيدة الكريمة ادلا ورتبات وما قدَّمهُ المقتطف في ضرورة تعلُّم ربَّات المنزل وذوات الرحمة هذا الفن الانساني المحض مجلى ارقّ العواطف من الحب والحنان . والذي استوقف نظرنا على الخصوص من اقوال تلك السيدة الشريفة الاصل والفرع عبارةٌ يحقُّ ان تكتب بماء الذهب بل تنقش بقلم من ماس على القلب وهي

" التمريض صناعة رائدها الحبُّ "

ومن المشهور ان الميل الى تمريض المريض من اخصّ مفاخر الجنس الرقيق اللطيف واطيب محامد النساء في كل قطر وفي كل عصر لتولُّدهِ عن عاطفة الشفقة والعطف على كل متألم كئيب . والحنوُّ لا شكَّ الى قلب المرأَة اقرب جوارًا واسرع صدورًا وظهورًا منهُ في الرجل الغليظ الكبد الشديد الفؤَاد . بل ليس اقتحامهُ الصفوف وهزهُ السيوف يوم القراع ولا الهجوم على الحصون والقلاع باحقّ فخارًا من ذات خدرٍ تجلس الى فراش عليل ذليلٍ بقلبٍ

كما اذابهُ الوجد عليهِ شدّدهُ الصبر وطرف ما اذبلهُ السهر الاّ ايقظهُ الحذر . بل يكاد من يشهد غرفة المريض لا يفرّق أمن قلبها الجريح تصعّد هاتيك الأنّات ام من ذاك الفؤاد السقيم . فمن هناك يعلم حقيقة الصلاة والصيام وهناك يعلم كيف يكون السهر والقيام لا من اوراق تسوّدها المحابر ولا من اصوات تبحّ على المنابر

وعلى الجملة فقلّ من عاقل منصف لم تمرّ بهِ ليال وايام كانت المرأة فيها هي ملاك الرحمة وكمال الاحسان وعنوان الرأفة ومثال الحنوّ من بني الانسان

غير ان العواطف وحدها لا تكفي في ميدان الاعمال كما اشارت تلك السيدة النبيلة بقولها " الحب لا يفيد بلا علم " . والظاهر ان الشرق نفذت فيهِ سنّة الارتقاء فمرّ عليهِ الطور الاول الابتدائي من اطوار التعليم وهو الاندفاعي التقليدي وكاد يدخل الطور الثاني الاختباري الرزين اريد بهِ اندفاعنا في تعليم البنات العقلي الخارجي مما يعدّهُ بعض المحققين مقصّرًا عن حاجيّات الاصلاح وضروريّات العيال واغفالنا معنى التهذيب الحق الشامل لعلوم الادارة البيتيّة وفنون التربية فضلاً عن اسعاد الحياة الزوجيّة بتبادل الحب وحكمة الاخلاص حيث تستكمل راحة مالك القلب وفلذة الكبد وشقيق الفؤاد . الاّ ان سنّة الدهر حكمٌ مبرم لا مفرّ منهُ فقد قضي على كل مجتمع انساني كما قضي على كل فرد منهُ انهُ لا يصيب النافع حتى يذوق الضارّ ولا يقع على الصواب الاّ بعد ان يؤدّبهُ الزمان بعواقب الغرور والاوهام

ولذلك فقد اصبح (تدبير المنزل) وفي جملتهِ فن التمريض من العلوم المستقلّة المبنيّة على القواعد والاصول . وقد انشئت لتدريسهِ المدارس وفتحت للتدريب عليهِ ابواب المستشفيات فيندرج في سلكهِ اليوم العدد العديد من ذوات النبل والفضل من كل من اوحى اليها الحب الانساني وتهيأَت لها الاحوال

وكان ممن عثرنا على تراجمهنّ من ذوات الانسانية المنكرات للذّات والانّات لمّةٌ من طلائع الممرّضات الانكليزيات كنّ في مقدمة من درسن هذا الفن وخدمنَ بهِ الوفا من ذوي الاسقام ففرّجن الكروب وأحيين القلوب فرأينا ان الالماع الى حياة بعضهنّ على صفحات المقتطف بعد ما قدّمنا في هذا الشان قد لا يخلو من حسن الوقع عند كثيرات من اخواتنا الشرقيّات ولا سيما السوريّات منهنّ عسى ان يكون ذلك تذكرةً لغافلةٍ وتنشيطًا لراغبةٍ او راهبة لا سيما وان المقتطف قد صرّح برغبتهِ في متابعة نشر تراجم فضليات النساء

مس نيتنكال Nightingale

واول من نقش تاريخ الانكليز اسماءهنّ باقلام من نور على صفحات الدهور من اولئك

الباسلات الممرّضات صاحبة هذا الاسم ذلك انهُ قبل ان قامت هذه الفاضلة الكريمة لم يكن يؤخذ لتمريض المرضى الَّا الخوادم العاديَّات فأيقن الناس ممَّا اتتهُ تلك الشريفة المحسنة في خدمة الجرحى وتمريض المرضى ان التمريض ينبغي ان يكون فنًّا قائمًا بنفسهِ يستحق الدرس الخاص والانقطاع للحذق فيهِ والدربة عليهِ . ومما قالتهُ صاحبة الترجمة بعد شهادة الاختبار " لقد طالما قيل ان كل امرأةٍ تصلح ان تكون ممرضة بالطبع . الَّا اني اقول بالخلاف ان اصول التمريض تبقى مجهولة كل الجهل قبل اخذها بالعلم والتمرين "

وملخص ما جاء في حياة المترجمة الممرّضة الاولى في بلاد الانكليز على ما نقلناهُ انها كانت من صبايا القرن الماضي حلاَّها مولاها البارى بمحاسن الخُلْق والخَلْق وقد ولدت في بيت الثروة والجاه ونشأت على مهد الدلال وبساط الرغد والرفاه . الَّا انهُ ولد بين اضلاعها حبٌّ غريب للقريب وخدمة الذليل المسكين . ومع ما كان في محيطها من جواذب المسرات ونعيم الصبا انكرت على نفسها تلك اللذات الزائلات وعقدت العزم على السلوك في ذلك المسلك المكرب الثقيل على نفوس ذوات الدلال . وكانت فاتحة اعمالها التطوُّع في تعليم اطفال الفقراء وزيارة المساكين وخدمة المرضى منهم باشباع الجوف والتمريض

ولما اتسع لديها مجال الاعمال شرعت تطوف المستشفيات وتغشى السجون وتزور ملاجئ المساكين وفيما كانت تعلّم في المدارس لم تكن تصرف اشهر العطلة كما تُصرَف عادةً في منازه سويسرا وجبال سكوتلاندا وسواحل البحار بل كانت تقصد بعض مستشفيات المانيا ومدارس التمريض فتعلَّمت غسل الثياب والمسح (بالفرشاة) وتنظيف الاثاث ثم جعلت تترقى في فن التمريض القانوني علمًا وعملاً والسهر على المرضى حتى بلغت فيهِ شأوًا أهَّلها لخدمة قانونية في المستشفيات

ولما عادت الى وطنها انكلترا دخلت مستشفى فيها في احد الازقة الضيقة التي تضيق فيها الصدور والانفاس بعد ان غادرت سكنى منزلها الفخيم في ضواحي مدينتها بما فيهِ من طيب الهواء واسباب الهناء . واكبَّت على تمريض المرضى المعلوم الحال بما لم تنشأ عليهِ من سوالب الراحة ومتلفات الصحة ومقرّبات الآجال

وبعد ان اضطرّت الى الراحة اياماً استردَّت بها نشاطها وقواها وكانت حرب القرم يومئذٍ يضطرم سعيرها ويعلو زفيرها بلغها استغاثة المستغيثين طالبًا الممرضات المحسنات . فلبَّت صوتًا يناديها من اعماق ذلك الفؤاد وخفَّت الى ساحة الدمار ومصرع الاهوال تنعش الصريع وتداوي الجريح ولم تألُ جهدًا حتى ألفت هيئة للتمريض كانت تديرها بعين الرقيب وقلب الحبيب ،

وما القارئ في حاجة الى تمثيل عواطف اولئك الجرحى من الجنود حين كانت تطوف عليهم ساعات الظلام وبيدها المصباح بل بوجهها شمس الصباح تخفف الآلام وتأسو الجراح . فلا حرج علينا اذا قلنا ان تعلّق قلوبهم بها كاد يُعدُّ عبادة الانسان للانسان — وما ذلك ببعيد فلا يستعبد القلوب الاَّ الاحسان حتى كانت شمس رشادهم وصلاحهم . ولم ينحصر احسانها اليهم في شأن التمريض بل كانت تُعنى باسعاد احوالهم الشخصيَّة فتراسل ذوي قرباهم في متفرق البلدان وتختزن لهم ما كانوا يقتصدون من المرتَّبات .

وعلى مثل ذلك انفقت تلك الحياة العزيزة المثال وقد استفزَّ مثالها وهمم غيرها من امثالها الانكليزيات نظير مسس ستانلي ومسس فادنسن ليز فاقتفوا آثارها وتحدَّوا طريقتها في الاستعداد لفن التمريض مجاهدات مخاطرات يهجرنَ الاوطان ويقصدن اقصى البلدان لخدمة الاعلاَّء البائسين

ومن مأثور اقوال مترجمتنا في حياة الجندي الامين " ان الشجاعة الصادقة والذوق السليم وقوة الاحتمال بالاذعان والسكوت وسائر ما عسى ان يقول الناس عن المفاخر الانسانية والفضائل الدينيَّة كل ذلك لا يوجد على التحقيق الاَّ في من يضحي الاوقات والمواهب حتى الحياة من اجل شيءٍ — هو غير ذاته — وان كان وطنهُ او مليكهُ اوذويهِ لا في تقشف الزهَّاد وانقطاع العبَّاد الى تكرار الادعية والاوراد " وكان في رأيها " ان فضائل الغيريَّة وانكار الذات اشد رسوخًا واظهر أثرًا في صلاح الشعب الانكليزي من شعوب الارض "

هذا ولقد ذكرنا من محفوظنا ما قرأناهُ منذ زمن غير بعيد عن شكوى بعضهم من قلَّة رغبة السوريَّات في خدمة التمريض في المستشفيات حتى حسبوا ذلك من الجنس السوري نقصًا فطريًّا يستحق التشهير في الآفاق . ولسنا ندري علة هذه الشكوى على التحقيق اهي نقص في الاستقراء وتحكُّم قبل التجربة الكافية ام هي من قبيل الاحجام عن كل امر حديث اذا لم تكن نتيجة التمييز والتفريق الكافة في روح الاجنبي ظهرت في بعض المستشفيات كما تشاهد في سائر دوائر الاعمال حتى الخيريَّة ممَّا يثبط الهمم ويغلّ الايدي ويسوق الزهد في النفوس . والاَّ فان التاريخ اصدق شاهد على ان السوريَّات بل الشرقيات اجمع مؤهلات بالطبع لاظهار كل ما توحيهِ الرقة واللطف وتبعث عليهِ الشفقة والعطف فاذا بلغن من العلم الحقيقي ما يتمنى لهنَّ المنصف الكريم فلا نعدم منهنَّ من يسطّر لهن التاريخ حياةً من المجد والفخر ما يبقى ابد الدهر

دمشق احد القرَّاء

الاعتناء بالوجه

جاء في كتابٍ للدكتورة فلونس درسلر الفتةُ حديثاً كلام مسهب في هذا الموضوع تودُّ كل ربَّة بيت ان تطلع عليهِ قالت

ان جمال الوجه يتوقف على شفافية الجلد وصحتهِ وحالة الدم ونوع الطعام . واذا بقي الجسم نظيفاً داخلاً وخارجاً بقي الجلد شفافاً صحيحاً وبقي دمهُ نقياً

والاغتسال ينظف ظاهر الجسم ولكنهُ لا ينظف باطنهُ . ولا ينظف الباطن الاَّ اذا كان الطعام جيداً معتدلاً في كميتهِ وكان الماء نقياً ايضاً

والعيوب التي تذهب بنضارة الوجه كثيرة وهي الصفرة والبزور والنقط السوداء واللطع والنمش والغضون . وبعضها يحدث من التعرُّض للشمس والريح وبعضها يحدث من الاهمال

اما الصفرة فسببها اضطراب وظيفة الكبد او قلة التغذية ودواؤها حسن الغذاء واعتدالهُ والاغتسال والرياضة التي توجب التنفُّس العميق . واذا كان التعب في الكبد فلا بدَّ من الاكثار من اكل الاثمار والخضر . ويحسن ان تشرب المصابة بذلك كاساً من الليموناضة غير محلاة بالسكر قبلما تنام . واذا ساء هضمها فلتقتصر على الاكل مرتين في النهار الساعة العاشرة صباحاً والساعة الرابعة بعد الظهر فيعود الهضم الى انتظامهِ ويعود الى الوجه لونهُ الصحي

والبزور والنقط السوداء سببهما انحباس المادة الشحمية من قلة فرك الوجه وغسلهِ وعلاجهما ان يعتنى بالطعام وتوضع على الوجه خرقة ناعمة مبلولة بلبن سخن جداً وتترك عليهِ مدة ثم يغسل بماء بارد وتنزع المادة الشحمية بالعصر ويغسل الوجه بماء سخن ثم بماء بارد دواليك حتى تتقلص مسامهُ ويغسل بعد ذلك بغسولٍ مؤلف من اوقية من مذوب البوتاسا واوقيتين من الكولونيا واربع اواقٍ من العرق . ولا بدَّ من الاعتناء بالامعاء حتى لا يحدث فيها قبض

واذا أُضيف الى الماء الذي يغسل بهِ الوجه نقط قليلة من الحامض الكربوليك شفاهُ من البزور في الغالب ولاسيما اذا استعمل مع الرياضة وسائر التدابير الصحية

ويتم غسل الوجه بالماء السخن او تنطيلهُ هكذا . تخاط قطعة من الفلانلا السميكة حتى تغطي الوجه كلهُ ويخرق فيها خرقان صغيران للمنخرين ثم تبل بماء سخن وتوضع على الوجه وتترك عليهِ حتى تكاد تبرد ثم تبلَّل بالماء السخن ثانيةً ويكرَّر ذلك مراراً كثيرة . ويغسل الوجه بعد ذلك بالماء البارد الذي اذيب فيهِ قليل من كربونات الصودا المستعملة في عمل الكعك ويغسل الوجه اخيراً بالماء البارد الصرف وينشف جيداً ويدهن بالزيت او الفاسلين او الزبدة. وخير الادهان لهُ زبدة جوز الهند

اما النمش فالتعرُّض للشمس يزيدهُ دكنةً وخير ما يستعمل لهُ عصير الليمون الحامض يدهن بهِ الوجه ويترك عليهِ بضع دقائق ثم يغسل بماء بارد . وقبل وضع عصير الليمون يغسل الوجه جيدًا بالماء السخن والصابون

والغضون يظن لاول وهلة انها من لوازم التقدُّم في السن ولكن البعض تتغضن وجوههم وهم في سن الشباب او الكهولة والبعض لا تتغضن وجوههم ولو بلغوا سن الشيخوخة لانهم يعتنون بها وبصحتهم عمومًا . ويمكن ان تزال الغضون من الوجه هكذا ينطَّل اولاً بالماء السخن كما تقدَّم ثم يدهن جيدًا بزبدة جوز الهند ويفرك بها حتى يتورد الدم الى مكان الغضون . وعند المعتنيات بوجوههنَّ كاس مثل الكاس التي يمص بها اللبن من الثدي لها كرة من الكاوتشوك فتوضع فوق الغضون وتضغط حتى يفرغ منها بعض الهواء فتجذب الجلد والدم . وبتكرير ذلك على طيات جلد الوجه المختلفة يأتيها الدم ويغذيها فتزول الطيات في وقت قصير . واذا لم توجد هذه الكاس فالفرك بالاصابع يقوم مقامها ولا بدَّ من فرك الغضون وقرص الجلد حتى يعلو المنخفض منهُ ويكرَّر ذلك مقدار ربع ساعة او نصف ساعة كل يوم قبل النوم

واذا تلوَّح الوجه من الشمس فامزج زيت الزيتون بماء الجير اجزاء متساوية وادهنهُ بهِ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

كفن المسيح

حضرات منشئي المقتطف الاغر المحترمين

ذكرتم في باب الاخبار العلمية في الجزء الخامس من المجلد السابع والعشرين (مايو سنة ١٩٠٢) ما ملخصهُ ان في كنيسة تورين الكبرى كفنًا قديمًا يقال انهُ كفن السيد المسيح وان عليهِ صورتين يقال انهما صورتا وجه المسيح وظهرهِ وانهما ارتسمتا فيهِ من مجرد لفهِ بهِ . وان

المسيو فنيون رأى بعد امعان النظر وعمل التجارب الكثيرة انهُ اذا دهن نسيج بالوكا دهن كفن المسيح ولف بهِ الجسد ترتسم صورة الجسد في النسيج بطريقة مثل طريقة التصوير الشمسي . الى ان ختمتم بالقول — " فمن المحتمل علميًّا ان تكون هاتان الصورتان حقيقيتين "

فما ادق هذه النتيجة وما الطف هذا الاحتمال الذي ذكرتموهُ وما اصوبهُ وحسب فكري القاصر ارى ايضًا احتمالاً آخر مبنيًّا على الاحتمال المذكور منكم وهو انهُ " يحتمل علميًّا " ايضًا ان جسد المسيح قام من الاموات بدون ان يرى فسادًا . لانهُ من الواضح انهُ لو انحل جسد المسيح كبقية الاموات لكانت المواد المنحلة منهُ اعدمت تلك الصورة المرتسمة على ذلك الكفن او لوثتها بالكلية حتى لا يمكن ان يرى على ذلك الكفن شيءٌ يقال عنهُ انهُ صورة انسان مرتسمة " بطريقة مثل طريقة التصوير الشمسي " (الفوتوغرافية)

وبما ان الاحتمال العلمي صادق على ما هو مقرر بكل وضوح في كتب التوراة والانجيل وموت المسيح وقيامتهُ هما اساس الديانة المسيحية كانت لدينا نتيجة اخرى وهي " من المحتمل علميًّا " ان اساس الديانة المسيحية حقيقي . وبالمحافظة على لفظ العبارة التي ذكرتموها اقول اخيرًا — " فمن المحتمل علميًّا " ان كل مكذب لاساس الديانة المسيحية هذا يكون قولهُ ليس حقيقيًّا نجيب ضعون

[المقتطف] لما كثر الجدال في امر هذا الكفن كتب الاب هربرت ثرستن اليسوعي في جريدة التيمس في ٢٤ ابريل من العام الماضي يقول " ادَّعى الاب شفاليه انهُ اثبت بالدليل ان الكفن المعروض في تورين هو اثر مزور مصنوع في القرن الرابع عشر وانهُ صنع قصد الغش . ونحن غير مضطرين الى الاعتقاد بان الذين اكرموا هذا الاثر بعد ذلك كانوا يعرفون انهُ مزور بل الارجح ان الذين صنعوهُ اولاً لم يقصدوا ان يغشوا بهِ احدًا ومثلهُ مثل الصور الكثيرة المنقولة عن المنديل (الذي يقال ان المسيح مسح وجههُ بهِ وارسلهُ الى ملك الرها) فان الصور التي صنعت اولاً لاغراض تقوية صارت تحسب صورًا اصلية وتولَّد الاعتقاد من الميل اليهِ ولكن من غير قصد الخداع على الراجح "

ثم ألَّف الدكتور فنيون كتابًا حاول ان يثبت فيهِ صحة هذا الكفن ونشر فيهِ صورًا كثيرة من صورهِ فعادت المناظرة بين العلماء في شأنهِ حديثًا واثبتوا من شكل الصور التي نشرها الدكتور فنيون في كتابهِ انها لا يمكن ان تكون الصورة ارتسمت على الكفن من لف جسد الميت بهِ بل انها مصنوعة باليد وصانعها غير ماهر لانهُ اخطأ في تمثيل ما يمكن ان يحدث لو كانت الصورة حادثة من لف الكفن حول جسم انسان ميت وفي نسبة الاعضاء بعضها الى بعض فضعفت دعوى الدكتور فنيون وقوي ما قالهُ الاب شفاليه

رد على ردود

سيّدي الفاضلين صاحبي المقتطف الاغر

امعنت النظر في الرد الذي نشرهُ المقتطف البهي في جزئهِ الرابع من هذه السنة مذيلاً بامضاء حضرة صديقي وزميلي محمد افندي فاضل على ردين نشرهما المقتطف الازهر ومجلة عين شمس البهية بما كان من مناظرة حضرتهِ مع حضرة صاحبها بشأن " القبطية والعربية " وبعد ان راجعت ما نقلهُ من عبارات التاريخ في ردهِ المذكور على اصلهِ وجدت مباينةً لا تغتفر بالاستشهاد وحيث يجب تنزيه عبارة التاريخ من التحريف والتأويل لغير المقصود منها فلذلك قد راجعت حضرة زميلي في شأن الخلل مراجعة شفاهية اراجع بها الآن حضرات القراء الكرام الذين لا ريب انهم يؤثرون متابعة ما يكون بشأن هذا البحث الجلل فقد قال حضرتهُ

اولاً — ان برهانهُ على استعمال الالفاظ العربية المذكورة قبل العائلة الثانية عشرة " اي في سنة ٢١٦٠ ق . ﻫ (هكذا) لا يستغرق الاّ القليل من الزمن للبحث في ذلك العصر لمعرفة دقائقهِ ومقارنتها بتاريخ العرب القديم لاستخراج المجهول " . والحق يقال ان العائلتين الحادية عشرة والثانية عشرة حكمتا من سنة ٣٦٨٦ — ٣٤٧٣ ق ﻫ او من سنة ٣٠٦٤ — ٢٨٥١ ق م فلو اراد بعد ذلك تطبيق حوادث تاريخ العرب القديم على حوادث سنة ٢١٦٠ ق ﻫ المذكورة لوقع تطبيقهُ على العائلة الثامنة عشرة التي حكمت من سنة ٢٣٢٥ — ٢٠٨٤ ق ﻫ او من سنة ١٧٠٣ — ١٤٦٢ ق م وليس على العائلة الثانية عشرة كما حصل التوهم لان بين حكم العائلتين المنوه بهما مدة طويلة تتجاوز حدود الالف وخمسماية سنة كما يتضح بادنى تأمل وحكم العائلة الثانية عشرة كان سابقاً لحكم العائلات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة " المعروفة بدول الرعاة " بمدة تتجاوز حدود الثمانماية وخمسين سنة اي من سنة ٣٦٨٦ المذكورة الى سنة ٢٨٣٦ ق ﻫ بداءة حكم دول الرعاة ومن المسلم عقلاً ان دول الرعاة المنسوب اليها نشر لغتها العربية في مصر ما تيسر لها قط نشر لغتها في مصر في زمن سبق زمن وجودها فيها بمدة تزيد عن الثمانماية وخمسين سنة كما تبين

ثانياً — قال حضرتهُ انهُ ورد في التاريخ ان لغة مصر القديمة كانت هيروغليفية وان ذلك ثابت في كتاباتهم — مع ان الهيروغليف هو نسبة الى القلم المصري القديم وليس الى اللغة المصرية القديمة كما ان الديموتيقي كان نسبة للقلم العامي وليس الى اللغة العامية ولا يغرب عن ذوي الالمام في اللغات ان التفنن بكتابة الفاظها باقلام و باشكال متنوعة لا يدل على نوعيتها ولا على جنسيتها لجواز كتابة " القبطية والعربية " وسواها بقلم الهيروغليف كما تكتب التركية

بالارمنية وتلفظ تركية فلا ينجم من ذلك امكانية اثبات اقدمية احدى اللغتين المذكورتين على الاخرى خصوصاً وان الكتابة الهيروغليفية كانت مستعملة حتى في زمن حكم الدولة اليونانية التي تقدمتها دولة الرعاة بالني سنة تقريباً ويثبت ذلك الحجر الرشيدي الموجود الآن بمتحف لندن الذي كتب في سنة ١٩٤ قبل المسيح

ثالثاً — قال حضرتهُ ان العائلات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة كانت عائلات عربية او عمالقة او هكسوس او رعاة نزح رجالها الى مصر تخضعت لسلطانهم دولة الفراعنة وان في عهد الريان احد ملوكهم جاءت السيارة بيوسف الصديق الى مصر الخ فمن يمعن النظر في جملة التاريخ الأصلية المنقول عنها الاستشهاد المذكور يجدها كالآتي" اما منشأ ملوك الرعاة ويدعوهم اليونانيون هيكسوس فقد اختلف المؤرخون في حقيقتهِ والاظهر انهم اخلاط من العرب واهل الشام واكثرهم من الحيثيين الخ" ومن يعطف النظر على ما رواهُ العلاَّمة ابن خلدون عن العرب في الفصل الخامس والعشرين صفحة ١٣٠ من مقدمتهِ يجد "انهم كانوا اهل انتهاب وعبث ينتهبون ما قدروا عليهِ من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون الى منتجعهم بالقفر ولا يذهبون الى المزاحفة والمحاربة الاَّ اذا دفعوا بذلك عن انفسهم فكل معقل او مستصعب عليهم فهم تاركوهُ الى ما يسهل عنهُ ولا يعرضون لهُ . والقبائل الممتنعة عليهم باوعار الجبال بمنجاة من عيثهم وفسادهم لانهم لا يتسنمون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر الخ" ثم بيَّن بعد ذلك باسهاب ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب وان الملك لا يحصل لهم الاَّ بصبغة دينيَّة من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين وانهم ابعد الامم عن سياسة الملك الى غير ذلك مما تضمنتهُ الفصول السادس والعشرون والسابع والعشرون والثامن والعشرون من مقدمتهِ المذكورة التي ثبت فيها ان العرب اكتفوا من لبس المخيط شعاراً ومن لبس العمائم تيجاناً على رؤوسهم ولا صلة نسبية بينهم وبين العمالقة اصحاب فلسطين يضاف اليهِ عدم وجود نسبة اتحادية او اتفاقية تجمع بين العرب والعمالقة لاختلاف الدارين واللغتين والاخلاق والعادات والاستعداد والدين بين القومين

اما العمالقة واهل الشام والحيثيون فكانت تجمعهم اللغة والاتحاد ومجاورة البلاد وتناسب الاخلاق واتفاق الدين والمصالح وهم الذين لقبهم اليونانيون بالهيكسوس او الرعاة

رابعاً — قال حضرتهُ انهُ ثبت من براهينهِ ان اللغة الهيروغليفية هي غير اللغة القبطية وان ذلك يعلم من حروف الاثنتين . فان كان يقصد بذلك اللغة التي كان يتكلمها المصريون القدماء فقد اثبتنا لحضرتهِ ان الهيروغليف ليست بلغة بل هي علامات خطية استعملها المصريون

القدماء لاظهار افكارهم كما نظهر افكارنا في هذه الايام باصطلاحات الارقام الهندية او اللغة التلغرافية لانها رموز فقط لمدلولات معلومة وان كان يقصد اللغة القديمة بذاتها فلماذا فرّق بينها وبين اللغة القبطية فان اعتبر هذه محدثة فلماذا لا يبين تاريخ احداثها حتى نقابله بتاريخ وجود اللغة العربيّة الواجب ايضًا بيان اصل اشتقاقها وزمنه لمقابلتهما باصل وزمن اشتقاق اللغة القبطية لعلهما يتفقان مصدرًا ويكون مصدر تلك الكلمات واحدًا كما هو الحال في اللغات اللاتينية وفروعها وبمثل هذه المقابلة يزول الاختلاف من نسبة استعارة الواحدة كلمات الاخرى . فاذا ساعد الاجتهاد والتنقيب على اثبات ذلك وعلى كون العمالقة والحثيين واهل الشام قد تكلموا اللغة العربية او اتحدوا مع العرب (مع اختلاف اللغات) على فتح مصر من سنة ٢٨٣٦ الى ٢٣٢٥ ق . م او من ٢٢١٤ الى ١٧٠٣ ق . م كما رواه تاريخ مصر صفحة ٤١ او على الرواية الاخرى من سنة ٢٠٠٠ ق . م كما نقلها تاريخ حقائق الاخبار عن دول البحار صفحة ١٥٨ فيمكن الحكم عندئذٍ بتاتًا او استنتاجًا اما الآن فليس بالامكان الاَّ الوقوف عند حد الانتظار لاظهار تلك الحقائق المدفونة من قديم الزمان التي لا يبعثها الاَّ اجتهاد العلماء ولا يحيي رميمها الاَّ الفضلاء

معسكر حلفا السودان سمعان عارج

العربية والقبطية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

لما اطلعتُ على رسالة حضرة الاديب محمد افندي فاضل المدرجة في الجزء الاول من هذه السنة رأيتهُ ينفي فيها قول من قال بقبطيةِ بعض الكلمات مستدلاً على انها عربية بورودها في القرآن الكريم كقولهِ ان ادهى "عربية الاصل والمبنى قال تعالى وقوله القديم والساعة ادهى وامرّ" . وكقولهِ ان "يم بالعربية البحر قال تعالى اذ اوحينا الى امك ما يوحي ان اقذفيهِ في التابوت فاقذفيهِ في اليم فليلقهِ اليم في الساحل". فخفتُ ان يكون الرد على ما قالهُ حضرة اقلاديوس افندي لبيب بمثل ذلك داعيًا الى اقفال هذا الباب فاستشهدت بما قالهُ السيوطي من ان ورود الكلمة في القرآن لا نقطع بعربيتها لدى جمهور من العلماء المحققين ونقلت الالفاظ التي قال انها ليست عربية الاصل ولو وردت في القرآن ليكون قولهُ انموذجًا يتَّبع في هذا البحث ويشدّد عزائم المجتهدين . فحمل قولي على غير ما قصدت وليس من غرضي ان اجادلهُ في ذلك ولكنني ارى ان لا بدَّ من ايضاح حقيقة اخرى يخطئ الباحثون في اغفالها

وهي انهُ اذا تضارب قولان في موضوع قول رجل عالم بهِ وقول آخر غير عالم بهِ وجب ان نأخذ بقول الاول ونهمل قول الثاني فاذا قال العارف باللغة القبطية والعربية ان كلمة يم قبطية وبيَّن اصلها فيها ومشتقاتها واثبت ان ليس لها مشتقات في العربية لزمنا ان نأخذ بقولهِ وكذا اذا قال العارف بالرومية والعربية ان كلمة قلم رومية الاصل ومعناها القصبة وهي مقحمة في العربية لا اشتقاق لها فيها ولا كان القلم معروفاً عند العرب لما كان معروفاً عند الرومانيين وجب ان نأخذ بقولهِ . وكذلك اذا قال العارف بالانكليزية والعربية ان كلمة قاضي الانكليزيَّة عربية لان لها مشتقات كثيرة بالعربية وليس لها شيء من المشتقات في الانكليزية

اما الادلة التاريخية التي لجأ اليها فيؤخذ بها متى عُرف للعرب تاريخ موثوق بهِ اما الآن فلا يعرف من تاريخهم وتاريخ لغتهم شيء موثوق بهِ يمتد الى ما قبل الهجرة بمئة سنة

هذا ولا ازال اعجب بالفصل الذي كتبهُ السيوطي ولا يهمني اختلاف العلماء في كيفية حسبان تلك الكلمات عربية وهي عجمية الاصل لان اختلافهم من قبيل الرأي واما قولهم ان ابريق مثلاً " فارسي معرب ومعناهُ طريق الماء او صب الماء على هينة " فليس من قبيل الرأي بل هو ذكر حقيقة وقس عليها غيرها من الكلمات التي قالوا انها معربة. ولو عرف السيوطي العبرانية والسريانية والقبطية والحبشية واليونانية كما يعرفها اهلها لوجد في العربية كلمات كثيرة منها غير ما ذكر

مصر باحث مصري

باب التقريظ والانتقاد

خزائن الكتب في دمشق وضواحيها

تصفحنا هذا الكتاب فرأيناهُ مرشداً الى ما بقي من كنوز العلم في مكاتب دمشق وضواحيها وضعهُ حضرة الكاتب الفاضل حبيب افندي زيات بعد بحث طويل وتنقيب كثير يوجبان لهُ الشكر من كل ناطق بالضاد. ولو نُشر مثل هذا الكتاب منذ مئة عام لنجت مكاتب الشام من سلب السالبين ولرأيناها الآن حافلة بكتب كثيرة تفرقت في مكاتب اوربا واميركا. وعسى ان يؤول نشرهُ الآن الى حفظ ما بقي فيها واهتمام اولي الحميَّة بطبع ما من نشرهِ فائدة كبيرة كبعض كتب التاريخ والادب والحساب

والكتاب اربعة اجزاء في الجزء الاول منهُ كلام على الخزانة الظاهرية بدمشق ذكر ما

فيها من كتب الفرائض والتوحيد والتصوُّف واللغة وعلومها والطب والكيمياء والرياضيات . وقد ذكر من كتب الطب شرح كليات القانون لفخر الدين الرازي وكتاب الكافي في طب العين للصوري وتقدمة المعرفة لابقراط وتفسيرهُ لعبد اللطيف البغدادي وشرح فصول ابقراط لابن ابي صادق ومجموعًا لابن عبد الهادي في ادوية القلاع واللثة واللسان والعين والقلب والاذن واليرقان. وكتاب بذل الماعون في فضل الطاعون لابن حجَر العسقلاني وكتاب شاناق الهندي في السموم نقلهُ للمأمون العباس بن سعيد الجوهري

ومن كتب التعاليم مرشد الطالب لابن الهائم وكتاب المقالات لابن البنّا والحساب الهندي لعبد اللطيف البغدادي ونزهة النظار في قلم الغبار لابن الهائم . وكشف القناع في رسم الارباع لمحمد ابن العطار ووسيلة الطلاّب لمحمد سبط المارديني في استخراج المسائل الجيبيّة بالحساب

وقدّم لهذا الجزء مقدمة مسهبة دلت على واسع علم ودقيق بحث وسننشر خلاصتها في جزء تالٍ

والجزء الثاني عن صيد نايا ومكتبة دير الشاغورة التي حُرِق اكثرها لكي لا تكون كتبها حجة بيد السريان يتقوَّون بها على اثبات حقوقهم على الدير

والجزء الثالث عن معلولا ولهجتها السريانية وما وجد فيها من الكتب القديمة . والرابع عن يبرود ومكتبة المطران غريغوريوس عطا وفيهِ بحث دقيق وانتقاد اليم

وجملة القول ان كتاب " خزائن الكتب " من نفائس الكتب وحبذا لو اسهب المؤلف في وصف بعض الكتب المفيدة التي يحسن طبعها ونشرها ونقل عنها بعض ما منهُ فائدة كما نقل عن نسمات الاسحار عسى ان يكون في ذلك مرغب للساعين في نشر الكتب العربيَّة حتى يسعوا في استنساخها ونشرها فوق ما فيهِ من الدلالة على حقيقة تلك الكتب عند الذين يجهلونها لان قولنا ان في خزانة الكتب الظاهرية بدمشق "كتاب مرشد الطالب الى اسنى المطالب لابن الهائم " لا يستفيد منهُ مَن لم يرَ ذلك الكتاب في مكان آخر او من لم يقرأ عنهُ ما تُعرَف بهِ حقيقتهُ . وكذلك كتاب مفرح النفس للمارديني لا يكفي في وصفهِ قولهُ ان اوّلهُ " اما بعد حمد الله تعالى خالق الداء والدواء " الاَّ الدلالة على انهُ في الطب . وغنيٌّ عن البيان ان الاسهاب على النحو الذي نريدهُ يستغرق وقتًا كثيرًا ويملاء صفحات عديدة ولكننا لا نظن ان الكتب التي تستحق ان ينوَّهُ بها كثيرة وعلى كل حال تكون الفائدة اتم . ويتلو ذلك في الفائدة تحقيق الزمن الذي الِّف فيهِ الكتاب اوخط اذا كان الى ذلك سبيل

وخلاصة القول اننا نعترف لحضرة المؤلف بالفضل في جمعهِ هذا الكتاب ونشرهِ وكنّا نودّ ان تكون فوائدهُ اتم بالاسهاب في وصف الكتب النادرة التي يحسن طبعها ونشرها

المنتحل

للامام الثعالبي

وقد نظر فيهِ وصحّح روايتهُ وترجم شعراءهُ وشرح الفاظهُ اللغوية حضرة الكاتب الفاضل احمد افندي ابو علي امين مكتبة الاسكندرية البلدية

طالما وددنا لو نُشر في العربية كتاب مجموع من نخبة اشعار العرب مبوب حسب المواضيع التي يدور الشعر عادة عليها ولذلك نرحّب بهذا الكتاب شاكرين لحضرة ناشرهِ عنايتهُ في تصحيحهِ وشرح لغويهِ وترجمة شعرائهِ اتماماً للفائدة. وحبذا لو قام من ابناء هذا العصر من حذا حذو الثعالبي وابي تمام فجمع ما يستحق الجمع والحفظ من اشعار الذين نبغوا بعد زمانهما الى الآن ولو جاء ذلك في مجلدات . ويجب ان لا يقتصر على ما اقتصرا عليهِ من الابواب بل يذكر ايضاً ما يدخل في باب الوصف الطبيعي كوصف المدن والمباني والبلدان والرياض والحيوان والنبات والشمس والقمر والغيم والمطر ونحو ذلك مما تلذّ مطالعتهُ ويودّ المنشئ ان يرصّع منشآتهِ بهِ. ويحسن ايضاً ان يرتّب هذا الكتاب ترتيباً آخر كما فعل الثعالبي في كتابهِ الايجاز والاعجاز اي يذكر الشعراء حسب ازمانهم ومع كل شاعر ما يصحّ ان يستشهد بهِ من نظمهِ

وفي المنتحل خمسة عشر باباً كالبلاغة والتهاني والتعازي والمدح والشكر والعتاب والهجاء وشكوى الزمان ونحو ذلك مما يكثر دورانهُ في الشعر العربي

وقد اجاد حضرة ناشرهِ في ما علقهُ عليهِ من الحواشي والحقهُ بهِ من التراجم وهو مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد وثمنهُ عشرون غرشاً

تقويم المؤيد

يتحفنا حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود في بداءة كل سنة هجرية بتقويم يزيد اتقاناً وفائدة على مر السنين . ففي التقويم الاخير لسنة ١٣٢١ فصول كثيرة في علم الفلك وتاريخ العرب واحوال الممالك واحوال مصر والسودان وهذان الفصلان منقولان عن تقرير اللورد كرومر لسنة ١٩٠١ بالحرف الواحد من غير اشارة الى ذلك وهو عيب نود ان يجل هذا التقويم عنهُ . وفيهِ ايضاً فصول في المعاهدات الدولية والمسائل السياسية وتراجم المشاهير والاكتشافات والاختراعات وتدبير المنزل ونحو ذلك من الفوائد الكثيرة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) زمن الشمس

بيتانكيراس بالبرازيل . الخواجه نقولا ابو عسلي . قلتم ان الشمس اقدم من الارض جدًّا والتوراة تقول ان جميع الكائنات تكونت في ستة ايام فقط فكيف هذا التناقض الصريح

ج يقول علماء التفسير ان تأويل الكتاب اولى من مناقضة الامور العلمية المقررة . ومن المقرَّر علميًّا ان الارض مشتقة من الشمس وقد مرَّ عليها من حين انفصلت عن الشمس الى الآن ملايين كثيرة من السنين وتأويل التوراة سهل عندهم فانهُ يقال فيها "في البدء خلق الله السموات والارض" فيراد بالسماوات الشمس والنجوم ولاحدَّ لقدم البدء الذي تشير اليهِ التوراة اما قولها ان النورين الاكبر والاصغر وجدا في اليوم الرابع ففسروهُ بان الارض كانت مغطاة بالضباب فلما ارتفع عنها ظهرت الشمس نهارًا والقمر ليلاً . واستدلوا على ذلك من قولهِ فعمل الله النورين او النيرين العظيمين وقولهِ في الاول خلق الله السماوات والارض ويقولون ان الفعل "عمل" ليس معناهُ خلق مثل معنى الفعل

(٢) ثمن الميكرسكوب

ومنهُ . كم يساوي ثمن الميكرسكوب ومن اين يطلب وهل يمكن ارسالهُ بالبريد

ج يختلف ثمنهُ من نحو مئة فرنك الى الف فرنك او الفي فرنك حسب كبرهِ ودقتهِ وهو يطلب من كل باعة الآلات البصرية ويمكن ارسالهُ بالبريد

---

(٣) ضرب النقود

الاسكندرية . موسى افندي واصف . ما هو نوع العملة التي كان الناس يستعملونها قبل سك النقود ومن سك النقود اولاً

ج كانوا اولاً يتعاملون بقطع الذهب والفضة موزونة وزنًا ثم صاروا يسكونها . وقد وُجدت في الصين نقود ضربت فيها قبل المسيح بنحو الفين ومئتي سنة . واول من ضرب النقود في مصر المرزبان اريندس الذي ولي مصر من قبَل كمبيس قبل المسيح بنحو خمس

مئة وعشرين سنة . واليهود ضربوا النقود في عهد سمعان المقابي قبل المسيح بنحو مئة واربع واربعين سنة . وضربت النقود اليونانية اولاً في ليديا قبل المسيح بنحو سبع مئة سنة والرومانية ضربت اولاً سنة ٢٦٩ قبل المسيح

(٤) قياس محيط الارض

ومنهُ . ما هي الطريقة لقياس محيط الكرة الارضية

ج يقسم محيط الارض مثل محيط كل الدوائر العظيمة الى ٣٦٠ درجة فاذا عين طرفا درجة من هذه الدرجات وقيس البعد بينهما وضرب في ٣٦٠ فالخارج محيط الارض. لنفرض ان اثنين وقفا في سهل فسيح طولهُ سبعون ميلاً او اكثر ووقفا في طرفيهِ حتى يكون البعد بينهما من الشمال الى الجنوب ٦٦ ميلاً تماماً ورصدا نجم القطب معاً في دقيقة معلومة من ليلة واحدة فاذا وجد الشمالي منهما نجم القطب مرتفعاً عن الافق ٤٠ درجة فالراصد الآخر الذي الى جنوبيهِ يجد نجم القطب مرتفعاً عن الافق ٣٩ درجة او نحو ذلك فيكون البعد بين الراصد الاول والراصد الثاني درجة واحدة . وقد تقدَّم ان البعد بين الراصدين ٦٦ ميلاً فطول الدرجة على سطح الارض ٦٦ ميلاً وطول الثلاثمئة والستين درجة ٢٣٧٦٠ ميلاً او نحو اربعة وعشرين الف ميل. وقد استطاع الاقدمون ان يعرفوا محيط الارض بالتقريب من قياس مثل هذا وذلك ان احد علماء الاسكندرية في عهد اليونان راقب الشمس وقت الظهر في اصوان فوجد نورها يقع عموديًّا تماماً في بئر هناك وكان نورها في الاسكندريَّة حينئذٍ مائلاً سبع درجات و١٢ دقيقة والمسافة من اصوان الى الاسكندرية نحو ٥٥٠ ميلاً في خط مستقيم فالدرجة منها نحو سبعين ميلاً وهذا اكثر من الحقيقة قليلاً . ثم قيس طول الدرجة في عهد بطليموس وعهد العرب مع قلة وسائطهم وهاك ما نشرناهُ في هذا الصدد في المجلد السابع من المقتطف

"في حدود سنة ٨٢٨ للميلاد امر الخليفة ابو جعفر المأمون بقياس درجة من الهاجرة لاستقراء جرم الكرة الارضية وقام بهذا العمل اربعة من علماء الهيئة مدوَّنة اسماؤُهم في صفحات التاريخ وهاك ما قالهُ ابو الفداء في هذا الشأن . قد قام بتحقيق حصة الدرجة طائفة من القدماء كبطليموس صاحب المجسطي وغيرهِ فوجدوا حصة الدرجة الواحدة من العظيمة المتوهمة على الارض ستة وستين ميلاً وثلثي ميل . ثم قام بتحقيقهِ طائفة من الحكماء المحدثين في عهد المامون وحضروا بامرهِ في بريَّة سنجار وافترقوا فرقتين بعد ان اخذوا ارتفاع القطب محررًا في المكان الذي افترقوا منهُ واخذت احدى الفرقتين في المسير نحو القطب الشمالي والاخرى نحو القطب الجنوبي وساروا على اشد ما امكنهم من الاستقامة

حتى ارتفع القطب للسائرين في الشمال وانحط للسائرين في الجنوب درجة واحدة ثم اجتمعوا عند المفترق وتقابلوا على ما وجدوهُ فكان مع احداهما ستة وخمسون ميلاً وثلثا ميل ومع الاخرى ستة وخمسون ميلاً بغير كسر فأخذ بالاقل وهو ستة وخمسون ميلاً اه. ولم يذكر ابو الفداء الأ عملاً واحداً والحال انهما عملان جريا في آنٍ واحد احدهما في برّية سنجار من بلاد ما بين النهرين والآخر الى الشمال من بلد الشام بين تدمر والفرات وقد اثبتهما ابن يونس وهو من فحول علماء الهيئة الذين نبغوا في عصر الخلافة العباسية وكانت وفاتهُ سنة ١٠٠٨ للميلاد. قال سناد بن علي امرني المأمون ان احقق وخالد بن عبد الملك درجةً من الدائرة العظيمة على سطح الارض فذهبنا لذلك وسار عليُّ بن عيسى الاسطرلابي وعلي بن البحتري في طريق اخرى اما نحن فتوجهنا الى ان وصلنا بين فامية وتدمر فوجدنا الدرجة ٥٧ ميلاً ووجدها كذلك علي بن عيسى وعلي بن البحتري و بعثنا بالخبر فوصل في آنٍ واحد . وذكر ابن يونس رواية احمد بن عبدالله الملقب بحبش في كتابهِ مطالع الارصاد وحاصلها ان العلماء ساروا في برية سنجار وتحققوا الدرجة فوجدوها ستة وخمسين ميلاً وربع ميل من اميالهم". والطرق المستعملة الآن لقياس طول الدرجة الارضية دقيقة جداً اعتمادها على قياس المثلثات

(٥) مستعمرات الدول

طنطا . الخواجه جوزف دهان ما رأيكم في المستعمرات التي للدول الاوربية هل تنهض وتطالب بحقوقها وتتولَّى ادارة نفسها

ج يختلف ذلك باختلاف الحاكم والمحكوم من حيث القوة والضعف وحسن السياسة وسوءها . فالممالك الضعيفة كاسبانيا لا يحتمل انها تبقى متسلطة على مستعمراتها زماناً طويلاً والممالك القوية كانكلترا لا يحتمل انها تفقد مستعمراتها في زمن قصير. والمستعمرات القوية كاستراليا لا يحتمل انها تبقى خاضعةً لغيرها ابد الدهر والمستعمرات الضعيفة كجمايكا لا يحتمل انها تفوز بالاستقلال بعد زمن قصير. والظاهر ان الممالك القوية صارت ميّالة الى التساهل مع مستعمراتها ومسكها بربط المصالح المتبادلة حتى اذا تعلم ابناؤها وتقووا وصار الاستقلال سهلاً عليهم لا يرون فيهِ مصلحةً لهم بل يرون مصلحتهم في بقائهم متصلين بالمملكة المتسلطة عليهم لقلة ما يخسرون بهذا الاتصال وكثرة ما يربحون منهُ . ولكن المتسلط ميّال الى استضعاف من ليس من جنسهِ ولاسيما اذا وجدهُ اضعف منهُ حقيقةً وسيكون ذلك آفة الاستعمار ومقوّضاً لدعائمهِ واذا لم تسعَ الامم الكبيرة المستعمرات في تلافيهِ من الآن فلا يبعد ان تتربص بها مستعمراتها الى ان تقع في ورطة فتقلب لها ظهر المجن وتخلع نيرها وتستقل

(٦) الاصمعي

بيروت . مارون افندي عنيق . هل للشاعر المعروف بالاصمعي كتاب يحتوي على كل اقواله او ما يروى عنهُ شذرات غير مجموعة

ج يقال ان لهُ كتباً كثيرة وهي كتاب خلق الانسان وكتاب الاجناس وكتاب الانواء وكتاب الهمزة وكتاب المقصور والممدود وكتاب الفرق وكتاب الصفات وكتاب الاثواب وكتاب الميسر والقداح . وكتاب خلق الفرس وكتاب الخيل وكتاب الابل وكتاب الشاء وكتاب الاخبية وكتاب الوحوش وكتاب فعل وافعل وكتاب الامثال وكتاب الاضداد وكتاب الالفاظ وكتاب السلاح وكتاب اللغات وكتاب مياه العرب وكتاب النوادر وكتاب اصول الكلام وكتاب القلب والابدال وكتاب جزيرة العرب وغير ذلك. والظاهر ان ما يروى عنهُ منقول من هذه الكتب لا من كتاب واحد

(٧) الجرد

صدفا . ناشد افندي جبرائيل . لي صديق عمرهُ ٢٤ سنة تقريباً لحيتهُ غزيرة الشعر ولكن ليس لهُ شنب الآ في الجانبين طول شعرهما نحو مليمترين وقد استعمل علاجات كثيرة فلم تفدهُ شيئًا فهل من علاج ينبت شعرهُ

ج ان هذا النوع من الجرد نادر ولا علاج لهُ

(٨) استئصال الشعر

ومنهُ . أصحيح ما يقال ان الابرة الكهربائية تميت الشعر من اصولهِ حتى لا يعود ينبت وهل من واسطة أُخرى تزيل الشعر وتمنعهُ من ان ينبت ثانية

ج نعم ان كي اصل الشعرة بالكهربائية يميتها ويمنع نموها ثانية . والمرجح عندنا انهُ اذا قلعت الشعرة مرارًا كثيرة جدًّا لا تعود تنبت اما العلاجات التي تزيل الشعر من ظاهر الجلد فلا تميت اصولهُ ولا تمنع نموَّهُ

(٩) زمان انقراض الانسان

بغداد . الخواجه يوسف يعقوب مسيح . جاء في الجزء الثاني من المقتطف ان الزمن الذي يجف فيهِ ماء الارض بعيد وسينقرض نوع الانسان عن وجه البسيطة قبل الوصول اليهِ . وهذا ما يدلُّ اعتياديًّا على انتهائكم الى معرفة زمن انقراض البشر فهل لكم ان تبينوا لنا كيفية توصلكم اليهِ مع تقييد الزمن الذي ينقرض فيهِ الانسان بتة

ج ابنا لكم في الجزء الماضي من تقدير الاستاذ دانا الجيولوجي ان ماء الارض يجف بعد نحو مئتي مليون سنة ومعلوم ان هذا الجفاف يكون تدريجيًا فمتى قلَّ الماء على سطح الارض حتى لم تعد صالحة لسكن الناس انقرضوا منها اما ذلك الزمن فلا يمكن تقييدهُ . ومتى كان الكلام على العوالم فالف سنة مثل

يوم او مثل ساعة ولذلك لا ينتظر من العلماء الباحثين في هذه المواضيع ان يصلوا الى تحديد الازمنة بالسنين ولا ان يصلوا الى نتائج ثابتة مقرَّرة لانهُ قد توجد فواعل اخرى تغيّر استنتاجهم كل التغيير وهم لا يعلمون بها الآن . وغاية ما يقال ان معارف البشر الحاضرة تدلُّ على ان الكرة الارضية ستجف وقتًا ما وتصير مثل القمر وان ذلك الوقت بعيد يقدَّر بنحو مئتي مليون سنة . ولا تستغربوا وجود افعال تقتضي ملايين من السنين فاننا نحن البشر نرى بالميكروسكوب مخلوقات حية تولد وتعيش وتموت في ساعة من الزمان فنسبة العمر الذي تعيشهُ الى عمر الانسان الذي يعيش مئة سنة كنسبة واحد الى مليون فلا عجب اذا وجدت مخلوقات نسبة عمرنا الى عمرها كنسبة واحد الى مليون فاذا كنا نعمر مئة سنة تعمر هي مئة مليون سنة وهلم جرًّا الى ما شاء الله

(١٠) الكمأة

طرابلس الشام . احد المشتركين كيف تنمو الكمأة وهل صحيح ما يقال من ان لكثرة الرعد تأثيرًا في نموها

ج الكمأة نبات فطري لهُ بزور صغيرة تقع منهُ وتنتشر في الارض فيتولَّد منها وان كان للرعد تأثير في نموها فيكون لانهُ يكثر مركبات النيتروجين في الهواء فتذوب في ماء المطر وتقع على الارض غذاء للكمأة لانها كثيرة المواد النيتروجينيَّة. وقد وصفنا كيفية زرعها في الصفحة ٢٨٩ من المجلد الثاني عشر

(١١) شجر الظل

ومنهُ . في دارنا قطعة ارض صغيرة تحيط بها الجدران فلا تشرق فيها الشمس الَّا قليلاً ونحب ان نتخذها حديقةً فما هي الاشجار التي لا تحتاج في نموها الى نور كثير ويمكن ان ننتفع من ثمرها وهوائها

ج يتعذَّر وجود شجر طيب الثمر والهواء وهو يعيش في الظل ايضًا فالموز مثلاً يعيش في الظل ويثمر ولكن لا ينتظر ان يكون هواؤُهُ طيبًا لكثرة ما يحتاج اليهِ من الماء . والليمون هواؤُهُ طيب لانهُ عطري الزهر والورق ويعيش في الظل ولكنهُ لا يثمر الَّا قليلاً او لا يثمر ابدًا . والتوت يعيش ويثمر في الظل ولكن هواءهُ غير جيد. والدراقن يعيش في الظل ويثمر وهواؤُهُ حسن ولكنهُ لا يعيش طويلاً . ولو كنا مكانكم لاخترنا الاشجار او الرياحين الجميلة المنظر الطيبة الرائحة ولو لم تثمر شيئًا

(١٢) حرارة القمر

مصر . امين افندي حنا . هل توجد حرارة في نور القمر

ج نعم ولكنها قليلة جدًّا وقد ظن الفلكي بيازي سميث ان الجلد يمتصها فصعد على جبل يعلو اربعة آلاف قدم عن سطح البحر وقاسها هناك فوجد ان الشمعة البعيدة عنهُ ١٥ قدمًا حرارتها الواصلة الى الآلة اشد من حرارة

القمر الواصلة اليها ثلاثة اضعاف . ثم قاس الاستاذ لنغلي حرارة القمر فوجدها جزءا من مليون جزء من الدرجة ولم يقطع بانها آتية من القمر اذ يحتمل ان تكون من الشمس



رسوب الغبار

اكتُشف امر غريب جدًّا في رسوب الغبار على سطوح الاجسام اذا كانت حرارتها ارفع قليلاً من حرارة الهواء فقد كتب الدكتور رسل في جريدة نانشر مقالة في هذا الموضوع بيَّن فيها انهُ اذا أُحمي لوح من الزجاج قليلاً حتى صارت حرارتهُ ارفع من حرارة الهواء نحو عشر درجات ووضع في غرفة انتشر الغبار الدقيق فيها رسب الغبار عليهِ بعد عشر دقائق في اشكال هندسيَّة منتظمة تمام الانتظام فاذا كان لوح الزجاج مربع الشكل انتظم الغبار عليهِ في شكل صليب تبتدئ فروعهُ الاربعة من زوايا المربع وتنتهي في مركزهِ ويكون شكل كل فرع منها مغزليًّا . واذا كان اللوح مثمن الزوايا اجتمع الغبار عليهِ في شكل نجم مثمن وتبتدئ فروعهُ من زوايا المثمن واذا كان شكل اللوح مثلثًا اجتمع الغبار عليه في شكل مثلث وهلمَّ جرًّا . واذا لمس اللوح بقطعة من الزجاج او بدبوس زاد تجمع الغبار فوق النقطة التي لمست . هذا اذا كان اللوح افقيًّا واما اذا كان مائلاً فالغبار المجتمع عليهِ يزيد اجتماعهُ على الجانب المنخفض . ولا فرق بين ان يكون اللوح زجاجًا او حديدًا او نحاسًا او معدنًا آخر

هبات كارنجي

جاء من اخبار اميركا ان المستر كارنجي وهب الدار العلمية التي انشأها في بتسبرج باميركا ٣١٠٠٠٠ جنيه فصار مجموع ما وهبها اياه ١٥٧٠٠٠٠ جنيه عدا ٤٠٠٠٠٠ جنيه وهبها للمكاتب الفرعية المرتبطة بها وللبحث عن الاحافير ووعد بان يهبها هبات اخرى تبلغ ٦٠٠٠٠٠ جنيه الى ١٠٠٠٠٠٠ جنيه لانشاء دار للصناعة . وجاء من اخبار اوربا انهُ وهب حكومة هولندا مليونا ونصف مليون من الريالات الاميركية اي ثلثمئة الف جنيه لكي تبني بها قصرًا يجتمع فيهِ مجلس التحكيم وتنشئ مكتبة تابعة لذلك المجلس

هبة اوسيرس

ذكر ناغير مرة ان المسيو اوسيرس الفرنسوي وقف مالاً اربعة مئة الف فرنك توهب لمن

يكتشف اكتشافاً علمياً او صناعياً او ادبياً يفيد نوع الانسان فائدة كبيرة وإناط الاستيتو الفرنسوي بتعيين من يستحق الجبة فاقر هذه السنة على اعطائها للدكتور رو مكتشف علاج الدفثيريا

وزن الدماغ

اثبت العالم مارشند ان متوسط دماغ الرجل من سن ١٥ الى سن ٥٠ الف واربع مئة غرام ومتوسط دماغ المرأة في هذا السن ١٢٧٥ غراماً . وهذا الفرق بين دماغ الرجل ودماغ المرأة اعظم من الفرق بين جسم الرجل وجسم المرأة

النور الازرق والالم

زعم احد اطباء انربس ان النور الكهربائي الازرق يزيل الالم وقت العمليات الجراحية ويقال انهُ القى كثيراً من النور الازرق على مريض فغاب كما يغيب بالكلوروفورم وصنع لهُ عملية جراحيَّة اقتضى عملها ثلث ساعة فلم يشعر بالم

آثار كريت

لم تنتظم حكومة كريت حتى اخذ العلماء يبحثون عن آثارها القديمة ويستجلون غوامض تاريخها . وقد قرأنا الآن في الجرائد العلمية ان الباحثين الايطاليين اكتشفوا فيها خرائب فايستوس القديمة قرب هيرا كايون ووجدوا فيها آثار قصر فاخر

الجذام والسمك

يذهب الدكتور جوناثان هتشنصن الى وجود علاقة بين مرض الجذام واكل السمك وقد مضى الى بلاد الهند وبحث في احوال المجذومين فيها بحثاً دقيقاً وعاد مقتنعاً بوجود هذه العلاقة كأن مرض الجذام ينتج من اكل السمك الفاسد

الراديوم واعمدة التلغراف

يظن الاستاذ اقرت ان صدور اشعة النور والحرارة من عنصر الراديوم شبيه بطنين اعمدة التلغراف فان اعمدة التلغراف واسلاكه تلتقط الاضطرابات التي تحدث في ما يجاورها وتردد صداها وكذا عنصر الراديوم يلتقط الاضطرابات الحادثة حوله في الاثير ويرددها فتصدر منهُ كأنها صدى صوت يرتد من برج او جانب جبل

لندن اسيا

سار احد الانكليز واسمهُ لندور من بلاد فارس الى بلوخستان ومرَّ في طريقهِ على خرائب مدينة زيدان وقال انهُ وجدها منتشرة في ارض طولها خمسة وثمانون ميلاً فسماها لندن اسيا لاتساعها الفائق الحد لكن الماجور سيكس رأى تلك الخرائب قبلاً وقال انها ليست خرائب مدينة واحدة بل خرائب قرى كثيرة كانت منتشرة على ضفتي ترعة ماء طويلة

اكبر خيارة

نمت خيارة في بلاد بنسلفانيا باميركا حتى صار طولها سبع اقدام وثقلها اربعين رطلاً (ليبرة)

دماغ الالبانيين

قال الدكتور وركو ان جماجم الالبانيين تدلُّ على انهم اذكى الشعوب الاوربيَّة عقلاً

ما تستحسنهُ المرأَة في الرجل

التي هذا الموضوع على كثيرات من نخبة الكاتبات الانكليزيات فكتبت سارة تولي تقول ان المرأَة تعجب بشجاعة الرجل واستقلالهِ وتودُّ ان يكون زوجها متسلطاً عليها ولقد كان ذلك شأنها منذ العصور الغابرة وان كان العمران الحاضر قد ساوى بين الرجل والمرأَة في الحقوق لكن الاعجاب بقوة الرجل لا يزال ديدن المرأَة ولذلك تراها تعجب بالجنود لانهم يمثّلون القوة البدنيَّة وبخدَمة الدين لان لهم سلطة ادبيَّة ودينيَّة

وكتبت للياس داڤدصن ان المرأَة ضعيفة فتعجب بقوة الرجل سواءٌ كانت جسديَّة او عقليَّة او ادبيَّة وهي تطلب رجلاً يسود عليها فاذا وجدتهُ خضعت لهُ . وقد غُرس هذا الخلق في فطرتها ولذلك تصف الرجال بما ينقصها وتعبدهم ولا يعبأُ النساءُ بالوجه الجميل ولا ينفرنَ منهُ اذا لم يكن جميلاً لان ليس فيهن ذوقاً خاصاً بالجمال كما في الرجل وقد خصَّت الطبيعة الرجل بحسب الجمال وخصَّت المرأَة بالجمال لكي يكون جاذباً لهُ اليها وكذلك خُصَّ الرجال بالقوة فصارت قوتهم جاذباً للنساء اليهم . وهنَّ يُعجبن بالشجاعة والقوة والصبر على المكاره هذه هي الفضائل التي تود المرأَة ان يكون زوجها متصفاً بها وهي لا تسامحهُ اذا فقد هذه المزايا ولكنها تسامحهُ اذا فقد غيرها

وكتبت ادلين سرجنت . ان القوة الجسدية تجذب المرأَة والقوة العقلية تسحرها والقوة الروحيَّة تتسلَّط عليها وسبب ذلك واضح وهو ضعف المرأَة . فلا شيءَ يستولي على قلبها مثل الاعتقاد بان زوجها قوي الارادة او قوي الذراع

وكتبت سارة دودني ان المرأَة تعجب بقوة الرجل . ونادرة واحدة الى رجل قوي تنسينا منهُ وجه جميل وخطاب فصيح الا اذا كانت لنا عيون لا تبصر . واقول بالاختصار ان الشيءَ الذي نعجب بهِ اكثر من غيرهِ هو القوَّة والعظمة مع الميل الى الحلم

وكتبت ماري كنور ليتن انهُ اذا كان في رجل دليل على انهُ يفعل فعل الجبابرة حينما تدعو الحال الى ذلك فهو الذي تعجب بهِ المرأَة اكثر من غيرهِ وتفضلهُ على غيرهِ وما من امرأَة تعجب بجبان او تحبهُ . وليس لجمال المنظر شأن كبير في عيون النساء

وكتبت مس اليصابات بنكس ان

الشجاعة والحلم اسمى مناقب الرجال في عيون النساء وكل امرأة تحب ان يكون زوجها سيدًا عليها

وكتبت السيدة ميد ان المرأة تتبع الرجل اذا كان قويًّا وتعبدهُ اذا كان مع قوتهِ كريم الاخلاق

وكتبت مس اثل هدل ان كرم الاخلاق خير الصفات التي يتصف بها الرجل

والكاتبات خمس عشرة من اشهر كاتبات الانكليز وقد كدن يتفقن كلهنَّ على ان المرأة تفضّل الشجاعة على غيرها من اوصاف الرجال

الوشم في اوربا

شاعت صناعة الوشم في اوربا وصار الغواني يستخدمنها للتجميل وجوههنَّ فيشمنَ شفاههنَّ ووجناتهنَّ بلون احمر فيظهر كاللون الاحمر الطبيعي ويشمن اذرعهنَّ بصور جميلة يروق العين منظرها . ومهر الصناع في الوشم حتى صاروا يصورون بهِ الصور الفوتوغرافية على جلد الانسان ويقال ان اليابانيين امهر الامم في هذه الصناعة

الحياة في الكواكب

كتب الدكتور رسل ولس العالم الشهير مقالة في مجلة المعاصر الانكليزية اقامت الناس واقعدتهم حتى اضطرَّ اصحاب تلك المجلة ان يعيدوا طبع الجزء الذي ظهرت فيهِ ثلاث مرات لكثرة طلب القراء لهُ . وموضوع مقالتهِ ان الكون كلهُ خُلق لاجل الانسان . فاعاد مذهب القدماء وخالف علماء العصر الذين اثبتوا بالدليل ان الكرة الارضية ليست الاَّ نقطة صغيرة في هذا الكون الواسع . ومدار دليلهِ على ان الحياة لا تكون في اطراف الكون بل في مركزهِ وعندهُ ان الارض في مركز الكون ولذلك فالحياة محصورة فيها . والعلماء يخالفونهُ في ذلك وينكرون وجود الارض او النظام الشمسي في مركز الكون ويقولون انهُ ان كان النظام الشمسي الآن في مركز الكون فهو غير ثابت في مقرهِ بل سائر في هذا الكون بسرعة فائقة ولا بدَّ من ان يكون قد مرَّ بعوالم كثيرة من حين وجدت الاحياء على الارض اي منذ خمسين مليون سنة او مئة مليون سنة الى الآن . واذا كان العالم محدودًا كما يدَّعي الدكتور ولس فتكون الشمس وسيَّاراتها والارض في جملتها قد قطعتهُ من طرف الى طرف في هذه المدة فلم تبقَ في مركزهِ الاَّ وقتًا قصيرًا . ويقال ان الدكتور ولس آخذ في تأليف كتاب كبير في هذا الموضوع

رئيس المدرسة الكلية

يُحتَفل بتنصيب الدكتور هورد بلس نجل الدكتور دانيال بلس رئيسًا للمدرسة الكلية السوريَّة الانجيليَّة في بيروت في العاشر من هذا الشهر والايام الثلاثة التي تليهِ وقد ارسلت اوراق الدعوة الى ابناء المدرسة الكلية في كل الاقطار

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثامن والعشرين

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثامن والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٥ ربيع الاول سنة ١٣٢١

تعاون النبات والحيوان

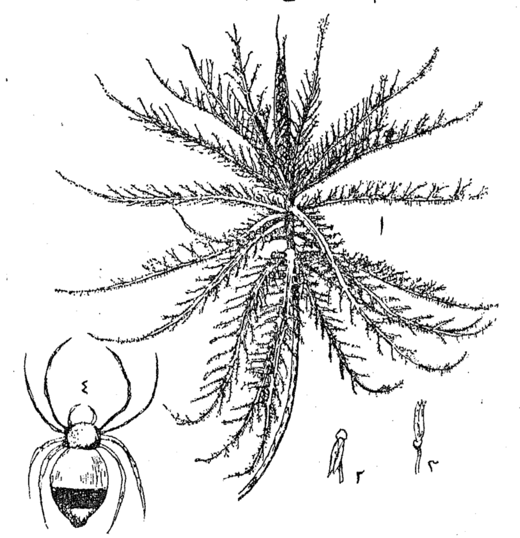
الخصام والوئام ناموسان تخضع لهما الاحياءُ كلها فتراها تتزاحم وتتخاصم ويسلب بعضها بعضاً ويعيش بعضها بقتل البعض الآخر او تراها تتآلف وتتحالف ويعاون بعضها بعضاً على مبدإ الاخذ والعطاء والاشتراك في المنفعة

وقد يُظَنُّ لاول وهلة انهُ ان كان في الطبيعة هجوم ودفاع واقتناص وافتراس فهو بين طوائف الحيوان واما النبات فوديع سليم يُعتَدى عليهِ ولا يعتدي على احد وليس لهُ معيشة الاَّ من عناصر التراب التي لا تشعر بالم ولا تشكو من مصاب . لكنَّ هذا الحكم لا يؤْخذ على اطلاقهِ فقد بيَّن الشهير دارون ان بعض انواع النبات ينصب الشباك للحيوانات ويصطادها ويغتذي بها. وبديهيٌّ انهُ لا يحاول افتراس الوحوش الكبيرة بل الحشرات الصغيرة . لكنَّ من النبات انواعاً اصغر من كل صغير لا تراها العين لصغرها وهي هذه الميكروبات التي تسبب الطاعون والهواء الاصفر والسل والجذام ونحو ذلك من الامراض المعدية التي تفتك بالالوف من الناس والبهائم كل عام فهذه من انواع النبات ولذلك فالنبات ليس كلهُ بالوديع السليم ولا يكتفي بمعاداة الحشرات بل منهُ ما هو اشد عداء للانسان نفسهِ واكثر فتكاً بهِ من الاسود الضواري

غير ان الميكروبات النباتية لا تُرى بالعين كما تقدَّم فلا يندهش العقل من اعمالها كما يندهش من رؤْية نبات كبير يبسط اوراقهُ كانها بُسُط وثيرة موشاة بالديباج حتى اذا لمستها ذبابة مجذوبة اليها بجمال منظرها انطبقت الاوراق عليها وضيقت خناقها الى ان تميتها ثم تمتص دمها وتغتذي بلحمها . او من رؤْية زهرة بديعة المنظر ينتشر شذاها الطيب او ريحها الخبيث حتى تراها الحشرات وتغرى بمنظرها او تشم رائحتها فتنخدع بها وتظن فيها اربًا طيبًا او لحمًا منتنًا

فتقع عليها ولا تعود تقوم بل تسكر سكرة الموت ويمسي الآكل أُكلاً والمفترس فريسةً

وظاهر الامر ان كل النباتات التي تصطاد الحشرات انما تصطادها لمنفعتها لكي تغتذي بها لا لغرض آخر . لكن من النبات ما يفعل ذلك مسخَّرًا للحيوان اي انهُ يصطاد الحشرات لا لكي يغتذي بها هو بل لكي يغتذي بها الحيوان مثال ذلك نبات صغير ينبت في بلاد الراس في جنوبي افريقية وهو نجم يعلو نحو اربع اقدام ولهُ اوراق دقيقة متشعبة كما ترى في هذا



الشكل مغطاة بهلب عليهِ مادة لزجة اذا وقع الذباب عليها التصق بها فيستعملهُ الاهالي هناك لمسك الذبان ولا ترى نباتًا منهُ الاَّ وترى الحشرات الصغيرة من البعوض ونحوهِ لاصقة باوراقهِ

هناك نوع من العناكب وهو المرسوم تحت الرقم ٤ في الشكل ابطل نسج البيوت واعتاض منها هذا النبات حاسبًا انهُ نشأَ لاجلهِ . والمادة الدبقة التي تلصق بها الحشرات لا تلصق بها هذه العناكب فتبني لها عشاشًا صغيرة بين اوراق النبات تبيض فيها وتربي صغارها وتأوي

اليها تترصد فرائسها كأنَّ اوراق النبات خيوط البيوت التي تنسجها العناكب مصائد للذباب حتى اذا قادت ذبابةً حتفها الى الوقوع على هذه الاوراق فلصقت بها هجمت العنكبوت عليها وافترستها غنيمة باردة كأنَّ هذا النبات مسخَّر لخدمة هذه العناكب

وفي بلاد بورنيو نبات آخر من النوع الذي يزهر ازهارًا كبيرة كالاباريق ويكون فيها سائل تقع فيهِ الحشرات فيترصد لها نوع آخر من العناكب حتى اذا وقعت هجمت عليها العناكب وافترستها. ويقال ان هذه العناكب اذا شعرت بخطر دنا منها غاصت في ذلك السائل واختفت عن الانظار

وهناك غريبة اخرى متعلقة بالنبات الذي صورناهُ آنفًا وهي ان من الذباب الذي يقع عليهِ ذبابة لا يأدبق دبقهُ بها ولا تخشى منهُ شرًّا بل تتوقع منهُ خيرًا لان في ازهارهِ اريًا سكريًّا فتقصدهُ لاجلهِ ولها حمة تخرق جوف الزهرة بها وتمتص الاري (العسل). ولكن النبات لا يسلّم عسلهُ عفوًا ولا الذبابة تمتنع منهُ وتحجم عن نفعهِ بل علمت سنَّة الاخذ والعطاء وجرت عليها. فان سمات الزهرة اي الخيوط الدقيقة التي فيها او اعضاء التلقيح تكون اولاً نازلة الى الاسفل كما ترى عند الرقم ٢ فاذا وقعت الذبابة على رأس الزهرة لتثقبها وتمتص العسل منها ارتفعت السمات حالاً واجتمعت في الاعلى كما ترى عند الرقم ٣ فيطير اللقاح منها حينما تحرَّك هذه الحركة السريعة ويقع على الذبابة وينتقل بها من زهرة الى اخرى فتتلقح الازهار بواسطة هذه الحشرات ولو لا ذلك لضعف نسلها وذوت نضارتها

وجملة الكلام انهُ يقصد هذا النبات نوع من العناكب ونوع من الذباب لغاية معاشيَّة الاوَّل يتخذهُ مصايد لما يلصق بهِ من الذباب والثاني يجني العسل منهُ ويحمل لقاحهُ من زهرة الى اخرى فيستفيد منهُ ويفيدهُ

الهمَّة بعد الستين

يظنُّ الكثيرون انهم اذا بلغوا الاربعين فقد جازوا العمر كلهُ ولم يبقَ امامهم مجال للعمل والسعي وطلب المزيد وتراهم ولسان حالهم يردد ما قالهُ الشاعر العربي

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حدَّ الاربعينِ

غير ان هؤلاء ليسوا كل الناس بل لا يزال هناك بقيَّة باقية تحسب ان العمر مهما طال واستطال فالعمل والسعي لا ينفدان منهُ وان فرص النجاح مبثوثة في ساحة العمر وجوانبهِ بثَّ الصيد في جوانب الصحراء فان لم يصب المرء صيدًا في اوائل يومهِ اصابهُ في اواخرهِ ولا بدَّ

لقانص الفرص من السعي والصبر والمثابرة على العمل كما لا بدَّ منها لقانص الوحش والطير .
وكأن قد كُتب على جبين الزمان ما قالهُ ابن الوردي

لا تقل قد ذهبت اربابهُ كلُّ من سار على الدرب وصلْ

واعظم شاهد على صحة هذا القول بين معاصرينا المستر مورغان الغني الاميركي الشهير الذي لم تنقطع الشركات البرقيَّة عن ذكر مشروعاتهِ التجاريَّة العظيمة وخصوصاً ما يتعلق منها بضم شركات البواخر الاميركيَّة بعضها الى بعض وضمّ معظم الشركات الانكليزيَّة اليها فانهُ حصَّل معظم غناهُ بعد ان جاز سن الكهولة ودخل سن الشيخوخة اي بعد ان صار عمرهُ خمسين سنة. واعظم عمل عملهُ ونجاح بلغهُ انما كان بعد ما بلغ الستين

لما كان ابن خمسين سنة كان صرَّافاً معتدل الثروة فلم يكن يُعبأ بهِ بالنسبة الى كبار الاغنياء الاميركيين مثل غولد وفندربلت واستور وغيرهم بل كان يملك نحو ١٥ مليون ريال او عشرين مليوناً . ولكنهُ لم يقل في نفسهِ اني جاوزت الخمسين من عمري فلا فائدة لمن بلغ هذا السن مثلي من السعي والجدّ بل ثابر على العمل ونسي او تناسى عدد سنيهِ ولم يبالِ بشباب غيرهِ ولا هالتهُ رؤوس اموالهم الكبيرة . فانشأ الشركة الكهربائية العمومية في الولايات المتحدة وكثيراً من المشروعات المالية الكبيرة . فجعل مالهُ يزيد زيادة بالغة دفعات متوالية لا تقلُّ الواحدة منها عن ثلاثة ملايين ريال او اربعة

وبعد بلوغهِ الستين — وهو السنُّ الذي ينقطع معظم الناس عندهُ عن السعي والعمل الشاق شرع في مشروع اعظم من كل ما تقدم فضمَّ شركات الحديد الاميركية كلها وجعلها شركة واحدة رأس مالها ١٥٠٠ مليون ريال . وضمَّ شركات البواخر في بلادهِ ومعظم شركات البواخر الانكليزية وجعلها شركة واحدة فعلَّم الانكليز انهُ لا يجوز لهم ان يتغنوا في ما بعد باغنيتهم المشهورة التي مطلعها " بريطانيا سلطانة البحار "

ولا يعلم الاَّ الله ما اذا كان يبقى في الولايات المتحدة شركات لا يوحِّدها قبلما يبلغ السبعين او الثمانين من العمر ما دام هذا اقدامهُ وهذه همتهُ واذا صدقت ظواهر الحال فانهُ يعمّر طويلاً

وقد وجّه همتهُ الآن الى جعل الانتخابات التالية لرئاسة الجمهورية مطابقة لاهوائهِ فاذا نجح في ذلك ونُصب في الولايات المتحدة رئيس من صنائعهِ يسمح بانشاء الشركات العمومية التي تبتلع الشركات الخصوصيَّة اتسع لهُ المجال لانشاء شركات اخرى من هذا القبيل فيقبض على مقاليد الصناعة والتجارة ويصلي اوربا حرباً عواناً لم ترَ مثلها ولا ينفعها فيها ماعندها من العَدَد والعِدَد والبوارج والمدافع فتزيد ثروتهُ وثروة بلادهِ ويكون المستقبل للاميركيين

العمي يبصرون والصمّ يسمعون

ان لم يكن للتمدن الحالي حسنة يمدح اهلهُ عليها ومأثرة يحمدون لاجلها غير سعي الانسان في تخفيف بلايا الانسان فكفى بها حسنة تذكر ومأثرة تشكر. وان لم يكن هناك دليل على ما يستطيع الانسان عملهُ بالصبر والمثابرة والثبات غير الحكاية التي نحن بصددها فكفى بها دليلاً على ان هذه المناقب قد تفعل العجائب . فان كان العمي قد ابصروا والصم قد سمعوا قديمًا بيد غير منظورة امتدت مما وراء الطبيعة وخرقت حجابها فهم يبصرون الآن ويسمعون بوسائط طبيعيَّة واسباب منظورة رائدها الصبر ومحورها طول الاناة

هلن كلر فتاة اميركيَّة ولدت سنة ١٨٨٠ وما استكملت سنة ونصفًا من عمرها حتى منيت بمرض ذهب ببصرها وسمعها وبقيت حاستا الذوق والشم فيها طبيعيتين وصحتها حسنة . وبفقد بصرها وسمعها فقدت كلَّ واسطة للتفاهم والتخاطب بل فقدت المقدرة على النطق وهي اخصُّ ما يميز بهِ الانسان على الحيوان . ولو فقدت بصرها فقط لكان تعليمها الكلام بسيطًا كتعليمهِ لسائر العميان ولكنها فقدت معهُ السمع ولذلك لم تسمع كلامًا حتى تقلدهُ وتتعلم النطق فباتت عمياء طرشاء خرساء وبات التخاطب معها امرًا مستحيلاً او في حكم المستحيل

على انها تعلمت التفاهم بالاشارات فقامت مقام الكلام فصارت تَفهم وتُفهم بالاشارات واللمس. واغرب من ذلك انها صارت تكتب وتتكلم. ومن جملة ما كتبتهُ قصة عنوانها "حكاية حياتي" قصَّت فيها الوسائل التي استعملت لها منذ طفوليتها حتى الآن فقالت في وصف ما تعلمتهُ بين اهلها " هزُّ الرأس ذات اليمين وذات الشمال يقوم مقام الكلمة لا وإنغاضهُ الى الامام مقام نعم . وجذب المخاطب باليد مقام تعال ودفعهُ مقام اذهب . وكنت اذا أردت ان اطلب خبزًا وزبدةً لآكل أُقلد حركات قطع شرائح الخبز ودهنها بالزبدة. واذا اردت ان يصنعوا لي شيئًا من الدندرمة للعشاء كنت اقلد حركات صانع الدندرمة وحركات الذي تأخذهُ القشعريرة من البرد . ولما بلغت الخامسة من عمري تعلمت طي الثياب النظيفة بعد غسلها وكنت اميز ثيابي من ثياب غيري "

ولما بلغت العاشرة من عمرها كتبت تقول " لما كنت طفلة صغيرة كنت اجلس في حضن امي واكره ان اترك وحدي وكنت اضع يدي على وجهها واسرُّ بجسّ شفتيها وهي تتكلم فلم اكن اعلم حينئذٍ ما ذا كانت تفعل لانى كنت اجهل كلَّ شيءٍ "

وقصت قصصاً اخرى عما تذكرتهُ من امور طفوليتها نجتزئ بما تقدَّم منها ونذكر بعض الشيء عن طرق تعليمها : وذلك ان اهلها اتوها بمعلمة في ٣ مارس سنة ١٨٨٧ اي بعد ما بلغت السابعة من عمرها . وهاك ما قالتهُ المعلمة في وصف اجتماعها بها المرة الاولى قالت : —

" استعملت لتعليمها في بادئ الامر لعبة صغيرة وكعكة لانها كانت مولعة باللعب واكل الحلاويات شأن الصغار . فاعطيتها اللعبة ورسمت اشارات حروف اسمها باصبعي في كفها . فابدت الحيرة ومست يدي فأعدت ذلك لها فقلَّدت حركات يدي واشارت الى اللعبة . وبعد ذلك اخذت اللعبة منها على نية ان ارجعها اليها بعد ما تتعلم رسم حروف اسمها جيداً ولكنها ظنت اني اريد سلبها اياها فغضبت وحاولت استرجاعها مني فلم اعطها اياها بل قدمت لها الكعكة ورسمت حروف اسمها في كفها فمدت يدها لأخذها ولكني ترددت في اعطائها اياها واعدت رسم الحروف في كفها فقلدتني حالاً فاعطيتها الكعكة "

وبقيت المعلمة نحو اسبوعين على هذه الحال وهي ترسم اسماء بعض الاشياء والافعال في كف الفتاة مثل اللبن والماء والاب والام ومشى وجلس فتعلمتها ورسخ في ذهنها ان جميع الاشياء يعبَّر عنها بالحروف والاشارات فجعلت تسأل عن اسم كلِّ شيءٍ عثرت عليهِ منذ ذلك الحين اي عن الاشارات الكتابيَّة التي تدل على ذلك الشيء حتى تعلمت مرةً ثلاثين اسماً جديداً في ساعات قليلة . وفي ٢٢ مايو بلغ ما تعلمتهُ نحو ٣٠ كلمة . وفي ١٩ يونيو ٤٠٠ كلمة وفي آخر اوغسطس ٦٢٥ كلمة . وفي آخر السنة الاولى من تعليمها ٩٠٠ كلمة

ولم تطل الحال عليها حتى اخذت تتعلم الجمل بعد الكلمات . وكانت قد كتبت مكتوباً مؤلفاً من ٣٠ كلمة بعد اربعة اشهر من شروعها في تعلم الكتابة . وسنة ١٨٩٠ بلغت السنة العاشرة من عمرها وكانت قد اتقنت التخاطب بالاشارات اليدوية مع من يفهمها ولكنها ابدت رغبتها في التلفظ والنطق باللسان بدلاً من الاشارات باليد وقد قالت في ذلك " وكنت أحدث اصواتاً واضع يداً على عنقي واخرى على شفتيَّ . وكنت اسرُّ بكل شيء يحدث صوتاً حتى اني كنت التذ بوضع يدي على عنق القط وهو يموء والكلب وهو ينبح والمغني وهو يغني ". وسألت معلمتها يوماً " كيف تستطيع بنت عمياء ان تبلغ السامعين مرادها بواسطة فمها " فاخذت المعلمة يدي الفتاة ووضعتهما الواحدة على عنقها والاخرى على شفتيها وجعلت تتكلم فشعرت الفتاة بحركات الحنجرة والشفتين ثم جعلتها تقلد تلك الحركات على قدر الامكان فتعلمت بذلك احداث الاصوات . وبعد صبر طويل ومشقة كثيرة وسنين من التمرين تعلمت كيفية النطق ولكن جاء نطقها ناقصاً غير مفهوم جيداً بعيداً عن النطق الطبيعي

ولم تزل تتقدَّم شيئًا فشيئًا حتى دخلت كلية ردكلف واخذت تتعلم مبادئ الفلسفة كل ذلك وهي لا تسمع ولا تبصر. فاذا اراد رجل غريب محادثتها وضعت اصابعها على شفتيهِ وعنقهِ وقرأَت الاصوات عند خروجها من فيهِ ولكن يقتضي ان يكون التكلم معها بطيئًا واضحًا . وبهذه الطريقة تعلمت التكلم بالفرنسوية والالمانية والايطالية

وهي شديدة التأثر باهتزازات امواج الهواء حتى يخيل للناظرين اليها انها تسمع الاصوات سمعًا. وقد كتبت في هذا الصدد تقول اذا امسكتُ يد انسان شعرتُ بما يدور في نفسهِ وايدي الذين التقي بهم فصيحة ولو كانت لا تنطق فملمس بعض الايدي يدعو الى الاشمئزاز وملمس غيرها يدل على ان قلوب اصحابها خالية من كل مسرَّة فكنت اشعر حينما المسها كأني اصافح زوبعةً في القطب الشمالي . واياديَ غيرهم كانت تفيض بنور كنور الشمس فاذا لمستُها شعرت بحرارة دبَّت في قلبي ولذلك كنت اسرُّ بمصافحة الاصدقاء المحبين كما اسر بتلاوة مكاتيبهم وكنت اقف وسط الكنيسة عند اللعب على الارغن الكبير فاشعر بصدمات امواج الصوت لجسمي كما تصدم امواج الماء السفينة الصغيرة في البحر . قالت معلمتها في وصف تجربة جربوها معها وهي في الثامنة من العمر ليعلموا ما اذا كانت تسمع او لا " فكانوا يصفرون لها ويحدثون اصواتًا اعتيادية فتدير رأسها وتبتسم كأنها سمعت ما جرى حتى دهش الحاضرون وكنت واقفة بجانبها وماسكة يدها فظننت ان التأثيرات كانت تنتقل مني اليها فوضعت يديها على مائدة كانت امامها ووقفتُ بعيدة عنها وجعل الحاضرون يصفرون ويحدثون اصواتًا ولكنها لم تبدِ حراكًا ولم يظهر عليها انها علمت بما كان يجري "

وكانت تطمح منذ صغرها الى دخول المدرسة ولما دخلتها أظهرت اقتدارًا خصوصيًّا في اكتساب اللغات ودرس التاريخ والادب وقد نشرت كتابها المشار اليهِ وهي لم تتمَّ السنة الثالثة في كلية ردكليف المتقدم ذكرها

وكانت تدرك خطب الاساتذة باشارات ترسم لها في كفها وهاك ما قالتهُ في هذا الصدد "كانت كلمات الخطيب تكتب حروفها في يدي بما يمكن من السرعة فاشعر بها واقرأُها بسرعة فائقة فتمر المعاني في ذهني سباقًا لحاقًا ولا اظن ان اللواتي كنَّ يسمعن الخطيب ويكتبن ما يسمعنهُ كنَّ يدركنَ من معانيهِ اكثر مما ادرك"

اي انها كانت تسمع بكفها ما يسمعهُ غيرها باذنهِ وقد ذكرنا ذلك لبعض النبهاء حين كتابة هذه السطور فاستغربوهُ واستبعدوهُ ولم يصدقوهُ ولا ندري كيف يصدقون ان الاذن تتأثر من تموُّجات الهواء تأثرًا يكفي لجعل العقل يدرك معاني الالفاظ او ان العين

تتأثر من امواج النور المنعكسة عن الكتابة تأثُّرًا يكفي لجعل العقل يدرك معناها ولا يصدقون ان الكف تتأثر من كتابة الكلمات فيها بالاصبع تأثُّرًا يكفي لجعل العقل يدرك معانيها. واي واحد من المبصرين يغمض عليهِ ويضع يدهُ على كتاب ولا يعلم انهُ كتاب او يضع يدهُ على تفاحة ولا يعلم انها تفاحة او يضع انامله على كتابة كبيرة بارزة الحروف ولا يقرأُها اذا كان يستطيع القراءة. وعلى هذا النحو كانت هذه الفتاة تدرك ما تلمسهُ باناملها او ما يكتب في كفها الأَ انها مرَّنت شعورها فصار اداركها سريعًا جدًّا وقامت فيها حاسَّة اللمس مقام حاستي السمع والبصر

اما حاسَّة الشم فليست من الحواس التي يكثر الاعتماد عليها ولكن اذا فقد الانسان حاسَّة او حاستين فلا عجب اذا مرَّن الحواس الاخرى وقوَّاها ولذلك قويت حاسة الشم في هذه الفتاة كما يستدل مما جاء في كتابها. من ذلك قولها "مشينا الى العريش ورتشدين اليهِ برائحة الميعة التي كانت تغطيهِ واذا بتغير عظيم حدث في الجو لاني شعرت بانخفاض حرارة الشمس فعلمت ان الغيم حجب وجهها. وشممت من الارض رائحة غريبة وهي التي كنت اشمها منها قبيل العواصف الكهربائيَّة". وقولها "كنت يومًا من ايام الربيع جالسة في المصيف اقرأُ فشممت رائحة عطرية لطيفة ثم تبينتها فاذا هي رائحة زهر السنط". وقولها "كنا نسرُّ بالخروج الى الغابات في عصر النهار واستنشاق الرائحة العطرية التي تعبق من الارض في اواخر النهار" وقولها "شعرت بسعال الريح من حركات عيدان الذرة واوراقها وبنخير الفرس لما امسكناهُ ووضعنا اللجام في فمهِ. ولا انسى رائحة نفَسهِ النفَليَّة". وقالت في وصف زيارتها للدكتور هلمس "لما دخلت غرفتهُ شممت رائحة الجلود وحبر الطباعة فعلمت انها مملوءة بالكتب"

وقال الاستاذ جسترو الذي نقلنا عنهُ ما تقدَّم انهُ سواءٌ سار الانسان بالاكسبرس او بمركبة عادية او سار ماشيًا على قدميهِ فالوصول الى المكان المقصود هو واحد كيفما كان السير اليهِ الأَ ان الطريقة الاولى سريعة والثانية بطيئة والثالثة متعبة وهذه الفتاة فقدت الحاستين اللتين يكون الاعتماد عليهما عادةً في اكتساب المعارف ولكنها استخدمت حواسها الاخرى فبلغت الغرض المطلوب ولو بمشقة. وقد قالت في هذا الصدد "اني لما رأيت نفسي محرومة السير في السبيل المطروق لنيل المعارف اضطررت ان اسير اليها في طرق غير مطروق".

ومن رأي الاستاذ جسترو ان قواها العقلية فائقة جدًّا ولا سيما في تعلم اللغات وكتابها يدل على انها ممتازة بتوقد الذهن وقوة الذاكرة ودقة الملاحظة وسرعة الخاطر ومحبة الادب واتساع المدارك ومحبة الطبيعة والكتب هذه هي الصفات التي اشتركت في تكييف حياتها ومطالبها

منزلة الشعر من التاريخ

﴿١٧﴾ الطب

الطبُّ من ادلّ البينات على المدنية وقد سبق لنا الاتيان بالشواهد العديدة على سمو مكانة العرب في الهيئة الاجتماعية فكان من المحتم علينا ان نورد شواهد الطب عندهم. قال عنترة العبسي في صفة جس الطبيب العليل

يقول لك الطبيب دواك عندي — اذا ما جسَّ كفك والذراعا
ولو عرف الطبيب دواء داء — يردُّ الموت ما قاسى النزاعا

وقال النابغة الذبياني

وقد حال همٌّ دون ذلك شاغل — مكان الشَغَاف تبتغيهِ الاصابعُ (١)

وقال جرير بن عطية الخطفي من ابيات "غمز الطبيب نغانغ المعذور" (٢) وقال ايضاً "غمز الطبيب مكان عظم الفائق" (٣). وذكر المداواة سعيد بن عريض بن عاديا في قولهِ

لباب داوني ولا تقتلي — قد فضل الشافي على القاتلِ

فمن امراضهم الحمّى وقد ذكروا منها اربعة انواع الصالب والنافض والورد والربع فشاهد الصالب قول الاخنس بن شهاب التغلبي

وقفتُ بها ابكي واشعر سخنة — كما اعتاد محموماً بخيبرَ صالبُ (٤)

وقال المتلمس يصف جارية

فلو انَّ محموماً بخيبر مدنفاً — تنشّق ريّاها لاقلع صالبُهْ

وشاهد النافض قول طهمان بن عمرو

ألا حبذا والله لو تعلمانهِ — ظلالكما يا ايها العلمانِ
وماؤُكما العذبُ الذي لو شربتهُ — وبي نافض الحمّى اذن لشفاني (٥)

وشاهد الوِرد قول مزرّدِ اخي الشماخ

---

(١) الشغاف غلاف القلب ويروى داخل دخول الشغاف فيكون الشغاف اسم داء يدخل تحت الشراسيف في البطن

(٢) الغمز الجس او الغمس · والنغنغ اللحمة في الحلق عند اللهازم ج نغانغ · والمعذور من اصيب بالعاذور وهو داءٌ في الحلق (٣) الفائق موصل العنق والراس

(٤) هيَ الحمى التي معها حرٌّ شديد وليس معها برد (٥) النافض حمى الرعدة

اذا ذكرت سلمى على النأي عادني ثلاجي فعقاع من الورد مُردم (٦)

وحمى الرِّبع او حمى ربع هي ان يحمّ العليل يوماً ويترك يومين قال اسامة بن حبيب الهذلي

من المربعين ومن آزلٍ اذا جنهُ الليل كالناحطِ

والآزل من اصيب بشدة . والناحط من صات من الاعياء

ومن امراضهم السل قال عروة بن حزام

بيَ السلُّ او داء الهيام اصابني فاياك عني لا يكنَ بك ما بيا

وقال يزيد بن الحكم

وقال النطاسيون انك مشعر سُلالاً ألا بل انت من حسدٍ جوي (٧)

ومن هذا القول نستدل انهم كانوا يستدلون على السل بالنحول . وعرفوا السقي وهو ماء يقع في البطن قال ابن احمر الباهلي

ارانا لا يزال لنا حميم كداء البطن سلاً او صُفارا (٨)

والطاعونَ قال عروة بن حزام

فما لكما من حاويين رميتما بحمى وطاعونٍ الا تنقفانِ

وقالوا بان الامراض العضالة تنشأ عن بعض الامراض الخفيفة الوطأة قال مسلم ابن سعيد الوالبي

وكنت لهم كداء البطن يؤذي وراء صحيحه داء عياء

وذهبوا الى ان بعض الامراض لا دواء لها قال قيس بن الخطيم

وبعض خلائق الاقوام داء كداء البطن ليس لهُ دواء

وبعض الداء ملتمس شفاء وداء الحُمْق ليس لهُ شفاء

ولعلَّ هذين الشاعرين يريدان بداء البطن داء الزحير

واما المداواة فكانوا تارة يحمون المريض من بعض الاطعمة قال كعب بن سعد الغنوي

تقول سُليمى ما لجسمك شاحباً كأنك يحميك الطعامَ طبيبُ

وذلك لانهم كانوا يقولون بتولد الامراض من الطعام قال شمير بن الحارث الضبي

أمِطْ عنا الطعام فان فيهِ لآكلهِ النقاصة والسقاما

وكانوا في مداواتهم تارة يستخدمون بعض الاعشاب او بعض الثمار قال رؤبة .

---

(٦) الفعقاع الحمى التي تفعقع الاضراس والثلاجي الشديد والورد قيل هي الحمى وقيل يوم الحمى اذا اخذت صاحبها . واراها نوعاً من الحمى والمردم الدائم

(٧) الجوي من به الجوى وهو داء القلب (٨) الصفار الماء الاصفر يجتمع في البطن

ان كنتَ من دائك ذا اقلاسٍ فاستقشِنْ بثمر القسقاسِ (٩)

وقد ذكر النابغة الذبياني مداواة السليم (الملسوع) بقولهِ

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في انيابها السم ناقعُ
يسهَّدُ في ليل التمام سليمها لحلي النساء في يديهِ قعاقعُ

اي انهُ كانوا يسهدونهُ الى الصباح واضعين في يديهِ الحليّ ذات القعاقع فيمتنع عنهُ النوم ويجفوهُ الكرى وعملهم هذا نجم عن ذهابهم الى ان السم يدبُّ فيهِ اذا نام بخلاف ما لو كان مسهَّدًا وعلى هذه الحكمة جاء قول ابي تمام الطائي

وليلٍ بتُّ اكلأهُ كأني سليم او سهرتُ على سليمِ

وكانوا يداوون المكلب بالكي قال النابغة الجعدي

وقوم يهينون اعراضهم كويتهمُ كيَّة المكلَبِ

واستعملوا الكي ايضًا لغير المكلب قال يزيد بن الحكم

فما برحتْ نفس عدوٍّ حشيتها تذيبك حتى قيل هل انت مكتوي

واستعملوا الذرور للجراح قال عبيد الله بن عتبة بن مسعود

شققتِ القلب ثم ذررتِ فيهِ هواكِ فليم فالتأمَ الفطورُ (١)

واستعملوا للجراحة الفتائل ايضًا كما جاء في التهذيب "تردُّ على السابريِّ السبارا" والسبار الفتيلة . واستعملوا الجبائر للكسر كما اورد ابو تمام في ديوانهِ الحماسة

بني اسدٍ الاَّ تنحوا تطأكمُ مناسمُ حتى تحطموا وحوافرُ (٢)
ضممناكمُ من غير فقر اليكمُ كما ضمت الساقَ الكسيرَ الجبائرُ

وكانوا يعالجون المصفور بقطع النائط وهو عرق مستبطن الصلب تحت المتن قال العجاج يصف ثور وحش ضرب الكلب بقرنهِ فخرج منهُ دم كدم المفصود او المصفور

وبجَّ كلٍّ عاندٍ نعور قضب الطبيب نائط المصفورِ (٣)

وهذا الشاهد نستأنس بهِ ان العرب عرفوا البزل من باب دلالة البعض على الكل

ومن طرق المداواة عندهم ان يستقطروا من دماء الملوك والشرفاء فيستعملوهُ دواء للكلب

(٩) القلس ما خرج من الحلق ملء الفم او دونهُ وليس بقيء والقسقاس بقلة تشبه الكرفس

(١) جمع فطر وهو الشق (٢) مناسم جمع منسم وهو خف البعير

(٣) بج شق وكل عاند اي كل عرق عاند والعاند الذي لا يرقأ لهُ دم ونعور ينعر بالدم اي يفور والقضب القطع والمصفور الذي يخرج من بطنهِ الماء الاصفر

والمجنَّة (الجنون) والخبل . قال الكميت الاسدي في مديح آل البيت

احلامكم لسقام الجهل شافية . كما دماؤكم تشفي من الكَلَبِ

وقد علق العلاَّمة الدسوقي في الجزء الثاني من حاشيتهِ على مختصر التفتازاني على التلخيص كلاماً نوردهُ بحروفهِ وهو " قيل بشرط كون ذلك الدم من اصبع من اصابع رجلهِ اليسرى فتؤخذ منهُ قطرة مع تمرة وتطعم للمعضوض يجد الشفاء باذن الله تعالى . وقيل دم الملوك نافع لذلك الداء مطلقاً اي من اي محل كان ولهذا كانت الحكماء توصي الحجامين بحفظ دم الملوك لاجل مداواتهم هذا الداء بهِ " . وقال المتلمس في مداواة المجنة والخبل (افساد الاعضاء والفالج)

من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المجنة والخبلْ

ودعي المشتغل بمداواة الجراح طبيباً كما مرَّ معنا في شعر العجاج وآسياً قال الحطيئة

حتى اذا ما بدا لي غيب انفسكم ولم يكن لجراحي فيكمُ آسي

ولربما كانت دعوة المداوي الجراح بالطبيب تجوزاً والصحيح ان يدعى آسياً وقد ذكر الاثنين معاً الحطيئة في قولهِ

هم الآسون امَّ الرأس لمَّا تواكلها الأطبَّة والإساه

وكانت النساء يتعاطين معالجة الجراح قال قيس بن الخطيم

يهون عليَّ ان تردَّ جراحها عيونَ الاواسي اذ حمدتُ بلاءها(٤)

وقد روى ابو الفرج الاصبهاني في اغانيهِ ان احد الاعراب زار بني اود لتكحلهُ امرأة من رمد اصابهِ فقالت لهُ اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينيك فاضطجع وتمثل بقول الشاعر

امخترمي ريب المنون ولم ازرْ طبيب بني اود على النأي زينبا

فضحكت وقالت اتدري بمن قيل هذا البيت قال لا قالت فيَّ فانا زينب طبيبة بني اود . وكانت هذه المرأة مشهورة بين العرب باحكام العلاج وطب العيون

وقد ضرب المثل في الطب بابن حذيم قال اوس بن حجر

فهل لكمُ فيها اليَّ فانني طبيب بما اعيا النطاسي حذيما(٥)

يريد ابن حذيم واما معالجة الحيوان الاعجم فقد ذكر النابغة الذبياني مداواتهُ بالكي قال

لكلَّفتني ذنب امرئٍ وتركتهُ كذي العرّ يكوى غيرُهُ وهو راتعُ(٦)

وبالطلي بالقار قال

---

(٤) الاواسي جمع آسيه (٥) وجاء في نطاسي نطيس قال رؤبة وقد اكون مرةً نطيساً . طباً بادواء الصبى نقريساً . والنقريس الماهر النظار المدقق (٦) العرّ الجرب

فلا تتركني بالوعيد كأنني الى الناس مطليٌّ بهِ القار اجربُ

وبالقطران ايضاً قال القلاخ المنقري " اني انا القطران اشفي ذا الجَرَبْ ". وقال دريد بن الصمة

متبذلاً تبدو محاسنهُ يضع الهناء مواضع النُقْبِ (٧)

وبالفصد قال النابغة الذبياني

شكَّ الفريصة بالمدرى فانفذها طعن المبيطر اذ يشفي من العَضَدِ (٨)

وبالبزل قال مرَّة بن محكان

اقبَّ لم ينقُبِ البيطار سرَّتهُ ولم يَدِجهُ ولم يغمز بهِ عصبا

ذكر هذا الشاهد صاحب معجم لسان العرب في مادة نقب واتبعهُ بما يأتي . " وفي حديث ابي بكر رضي الله عنهُ انهُ اشتكى عينهُ فكرهَ ان ينقبها قال ابن الاثير نقب العين هو الذي تسميهِ الاطباء القدح وهو معالجة الماء الاسود الذي يحدث في العين " وفي هذا الكلام دليل على ان العرب كانوا يلمّون بجراحة العيون . ولنرجع الى طب الحيوان فاقول ان الراعي ذكر الجبار في تطبيبهِ قال

وقلتُ لهُ ألصِقْ بايبس ساقها فان يجبر العرقوبُ لا يرقإِ النَّسا (٩)

وكان معالج الحيوان الاعجم يدعى مبيطراً كما مرَّ في شعر النابغة و بيطاراً كما ورد في شعر مرة وكما جاء في شعر حميد الارقط يصف فرساً

ولم يقلب ارضها البيطارُ ولا لحبليهِ بها حبارُ (١٠)

وكانت بعض ادويتهم لا تخلو من خرافة كما مرَّ معنا في شعر النابغة في معالجة الملسوع وكما جاء في شعر عروة بن الورد العبسي عن مداواة حمَّى خيبر قال

وقالوا احبُ وانهقْ لا تضيرك خيبر وذلك من دين اليهود ولوعُ

لعمري لئن عشّرت من خشية الردى نهاق الحمير انني لجزوعُ

اي ان من اراد السلامة من حمى خيبر عليهِ ان يحبو تقليد الحمار و ينهق عشر مرات و بما ان الطب عندهم كان لا يخلو من الخرافات والشعوذة كانوا يسمّون الطبيب عرّافاً قال عروة بن حزام

وقلتُ لعرّاف اليمامة داوني فانك ان ابرأتني لطبيبُ

وقال ايضاً جعلتُ لعراف اليمامة حكمهُ وعرّاف نجد ان هما شفياني

---

(٧) الهناء القطران والنقب الجرب (٨) المدرى هنا القرن . والعضد داء في اعضاد الابل فتشق (٩) النسا عرق من الورك الى الكعب (١٠) الحبار الاثر

فما تركا من حيلة يعرفانها ولا سلوة الاَّ بها سقياني
وقالا شفاك الله والله مالنا بما تشتكي منك الضلوع يدانِ

والعرافة ضرب من الخرافات كما لا يخفى امين ظاهر خير الله

ظاهر العمر

(تابع ما قبلهُ)

ولما اجازت الدولة لابي الذهب الزحف على سورية تجهز لذلك بما استطاع اليهِ سبيلاً من جمع الجند وعقد الالوية وحشد الذخائر والمؤن وخرج من مصر بستين الفاً على قول الامير حيدر فارتجّت لهُ البلاد وهلعت القلوب. اما ظاهر العمر فانهُ بعث الى يافا ابن اخيهِ الشيخ كريم الايوب بجماعةٍ من عسكرهِ سماهم المرادي بالفداوية فاقاموا في قلعتها حتى جاءهم ابو الذهب وحاصر المدينة وضربها بالقنابل ستين يوماً فملكها واسرف في قتل حاميتها ورجالها وكان ظاهر قد لبث في عكاء يزيدها تحصيناً ويذدخر فيها الاقوات ومهمات الحرب فلما وردهُ نبأُ امتلاك يافا انقبضت نفسهُ وبعث يستحضر الامير يوسف الشهابي وهو يومئذٍ في بيروت فعقد الامير ديواناً من عظماء لبنان واستشارهم في الامر فلم يروا من السداد اسعاف الشيخ ظاهر خشية من بأس ابي الذهب الاَّ ان الامير يوسف تلطَّف في الجواب وضمَّنهُ رسالةً لابي الذهب استعطافاً لخاطرهِ على الشيخ ظاهر فابى هذا ان يقدمها لابي الذهب لانهُ علم انها تذهب صرخةً في واد

وتابع ابو الذهب زحفهُ حتى صار في ضواحي عكاء فخرج ظاهر منها باولادهِ وعيالهِ وما يملكون وصحبهُ في فرارهِ الى صيداء احمد هاشم القبجي الذي كان قد حمل اليهِ فرمان العفو والولاية واقام عندهُ مكرّماً حتى وقعت هذه الغزوة ولما علم الناس بفرارهِ هلعت قلوبهم وفرَّ الشهابيون من بيروت الى لبنان اما الامير يوسف فارسل الى ابي الذهب كثيراً من الهدايا وكتب اليهِ يستعطف خاطرهُ ويطلب منهُ الامان فاجابهُ الى ذلك

واراد ظاهر الاجتماع بالامير يوسف لعلهُ يقنعهُ على موا ثقتهِ فكتب اليهِ بموافاتهِ الى جسر صيداء فخاف الامير غائلة هذا الاجتماع فاباهُ معتذراً

وكان من الشيخ علي بن ظاهر العمر بعد ذهاب ابيهِ الى صيداء وقبل وصول ابي الذهب الى عكاء انهُ قصدها واخذ ما فيها من السلع والبضائع لاسيما ما كان منها في خان الافرنج فاغتاظ ابو الذهب من جراء ذلك وسعى في القبض عليهِ فما نال منهُ اربًا وقال قولتاي ان

عليًّا حسب ابا الذهب من اصدقائهِ لما كان بينهما من العهود اثناء امرتهِ على جيش علي بك ولذلك تخلف عن ابيهِ حين برح عكاء واقام فيها حتى اوجس من ابي الذهب خيفةً فرحل

اما الشيخ ظاهر فلما رأى انفرادهُ وان حلفاءهُ الذين كان يشدُّ بهم ازرهُ قد ابتعدوا عنهُ في ابَّان هذه الشدة ولم يجد من نفسهِ قدرةً على موافقة ابي الذهب خرج بعشيرتهِ من صيداء الى صفد فحوران ونزل ضيفًا على عرب عنزة ولما برح ظاهر صيداء بقي على حكومتها متسلمهُ احمد اغا الدنكربي رئيس فرقة المغاربة فخاف هذا غائلة عصيان ابي الذهب فاسرع بعد فرار مولاهُ الى مراسلة ابي الذهب في قيامهِ على طاعتهِ فسرَّ بذلك وامَّنهُ وارسل متسلمًا من قبلهِ الى صيداء ومعهُ مئتان من الغز

واما المتاولة فانهم كانوا في جملة الذين خذلوا ظاهرًا ولم يجسروا على مخالفة ابي الذهب حتى ان زعيمهم الشيخ ناصيف النصار لحق بهِ وقدَّم لهُ عشرين جوادًا فقبلها ابو الذهب وطيب خاطرهُ ولكنهُ لم يسمح لهُ في الرجوع الى بلادهِ او يأتي سائر مشايخ المتاولة و يؤدوهُ الطاعة

وخلت البلاد لابي الذهب فاستولى على صفد وما اليها وهدم قلعة ديرحنا ومار الياس الكرمل وقتل رهبانهُ و بعث رجالهُ حكامًا وحاميات الى البلاد المسلمة لهُ

ولكنهُ بينما كان في طغيانهِ وجبروتهِ خرَّ مغشيًّا عليهِ ثم افاق وقد جحظت عيناهُ وجعل يزمجر ويصيح ردوا عني الشيخ المغضوب وما زال كذلك حتى قضى نحبهُ فتناقل الناس بشائر موتهِ وسرُّوا ايما سرور حتى نظم السيد احمد البربير شاعر العصر بيتين قال فيهما :

لما دنا نيل المنى والهم عنا قد ذهب
والسعد اقبل نحونا ارخت مات ابوالذهب

واختلف الناس في سبب موتهِ فذهب قومٌ الى انهُ اصيب بمرض فجائي وقال آخرون ان ظاهرًا بعث من دسَّ لهُ السم في طعامهِ

ولما مات ارتدَّ جيشهُ ورجالهُ من مواضعهم وحملوهُ الى مصر واغتنم الشيخ ناصيف النصار فرصة الاضطراب في جيش الغز فنهب كثيرًا من الاموال والذخائر وحملها الى بلادهِ وكانت رسل الامير يوسف قادمة لابي الذهب بهدايا وتحف فلما عرفت بموتهِ رجعت الى مرسلها وطمع المتاولة بالغز قبل رحيلهم من صيداء فحملوا عليهم واتقعوا فانكسر المتاولة ورجع الغز من المتاولة سالمين

وما لبث ظاهر ان عاد بعشيرتهِ واسترجع بلادهُ واقام فيها احكامهُ ورجالهُ على ما كان من امرهِ فيها قبل فرارهِ الاَّ ان ذلك لم يكن طويل الامد لان الدولة كانت قد صممت من قبل على كبتهِ فلما علمت بمصرع ابي الذهب وارتداد عسكرهِ جهزت اسطولها تحت امرة حسن

باشا الجزائري فلما بلغ مدينة صيداء ارسل ظاهراً في اداء المال السلطاني الباقي عليهِ فيبقى على عمالتهِ على ان ظاهراً كان قد ملَّ الحرب لبلوغهِ التسعين من عمرهِ ولانهُ رأى ان الروس صاروا على وشك مصالحة الدولة العلية بحيث تنقطع امالهُ من مساعدتهم وتتفرغ الدولة لاقتناصهِ ومعاقبتهِ فرغب في موادعة رجال الدولة واجابتهم الى الاخلاص في الطاعة غير ان لكل شيءٍ آفة من جنسهِ ذلك ان بنيهِ كانوا ما برحوا ينقمون عليهِ ما سبق الالماع اليهِ من اهمالهِ تعيين خلفهِ منهم وامساك التوسعة عليهم في المال حتى انهُ كان لا يتخذهم للاستعانة بهم في القتال دون ان يصغي الى مشورتهم او يعمل بما يريدون وانما كان موضع سرهِ ومشيرهُ رجل اسمهُ ابرهيم الصباغ وقد اتخذهُ قيِّماً على اموالهِ وارزاقهِ ومدبرًا لتجارتهِ وازدادت ثقتهُ بهِ بنسبة ابتعاد ابنائهِ عنهُ في آرائهم واعمالهم فكان كلما انس منهم استيحاشاً ازداد للصباغ اقترابًا وبهِ ثقةً ورأى الابناء ذلك من ابيهم فزادوهُ جفاءً فاصبحت ثقة ظاهر محصورةً بالصباغ وصار الاستيحاش منهُ عامًّا بين رجالهِ واخصائهِ وزاد الحال شدةً حين حسدوا الصباغ على تزايد ثروتهِ المستترة تحت ثوب الفقر المدقع

فلما وردت مراسلة امير البحر جمع ظاهر ابناءهُ ورجالهُ وتلاها عليهم فدارت المذاكرة واحتدم الجدال اذ ان بعضهم رأوا السداد في وجوب اداء مال الدولة العلية وفاءً للعهود وابقاءً على ما بايديهم من البلاد فمال ظاهر الى قولهم ولئن قال بعضهم بمناهضة امير البحر وقتالهِ

فلما سمع ابرهيم الصباغ بما كان من رأي مولاهُ انكر وجود مال يكفي مطلب الدولة فانبرى لمحاجتهِ احمد اغا الدنكزلي الذي كان متسلماً في صيداء وقال اعطني مئة الف درهم احملها الى حسن باشا ولا ارجع الاَّ بعهد الامان وتقرير الولاية وفوق ذلك اعلم يا ابرهيم ان سيف الدولة طويل والخروج عليها عسير وليس مما يستطيعهُ كل انسان ولا يرضى بهِ الناس فاجاب الصباغ ليس عند الشيخ الاَّ سيف يلمع ونار تسطع وقام من المجلس وانصرف

فلما رأى الدنكزلي ان ظاهرًا مال الى الصباغ ورأيهِ خرج مغضباً واذ كان رئيس المغاربة الذين في خدمة ظاهر وبايديهم القلاع والحصون قصد اتباعهُ وانباءهم بغرور القوم وان الخروج على الدولة حرامٌ في الاسلام واوعز اليهم ان يعطلوا المدافع فلا تضرب سفن الدولة بايديهم واذا جاءهم احدٌ من رجال ظاهر لا يمكنوهُ من الدخول اليهم وكتب الى حسن باشا يخبرهُ بما كان وكان الباشا قد استبطأ الجواب من ظاهر فاقلع بسفنهِ نحو عكاء فلما اقبل عليها واطلق القنابل اراد ظاهر ان يقابلها بمدافعهِ واوعز الى المغاربة ان يفعلوا فاجابوهُ حاشا لله ان نقاتل سفن الدولة فامرهم ان يخرجوا من الابراج فابوا واخبروهُ انهم عطَّلوا المدافع حتى لا تصلح

للضرب فلما علم بذلك وهت عزائمهُ فرأى ان يولي الادبار فركب وقصد باب المدينة واذا بمغربي صوب النار عليهِ واطلقها فاصابهُ وارداهُ ميتاً

اما اولادهُ فكان قد ارسلهم لحشد العساكر من البلاد فلما علموا بمقتلهِ فرُّوا الى جبل عامل ملتجئين الى الشيخ ناصيف النصار زعيم المتاولة

واراد ابرهيم الصباغ ان يفرَّ كمولاهُ فما استطاع بل اختبأ في منزل رجل يقال لهُ علي درويش حتى اذا فاز حسن باشا بدخول عكاء واستولى على اموال ظاهر وتحفهِ من مستودع الصباغ وقيمتها على ما قال الامير حيدر زهاء اربعين الف الف درهم نقوداً غير الخيول والسلاح والتحف وغير الحدائق والبساتين والدور والحوانيت التي ضبطها طلب الصباغ فسلمهُ مضيفهُ علي درويش فعذَّبهُ كثيراً حتى اعترف بكل ما يعلمهُ من اموال ظاهر ثم امر بهِ فشُنق في احدى السفن

ولقد مرَّ بنا خبر مقتل ظاهر العمر ولم نقل في وصفهِ شيئاً مع انهُ جديرٌ بالوصف اذ كان من افراد الرجال في الشجاعة والفروسيَّة ومعرفة ابواب الحرب حتى قال فيهِ فولناي انهُ مرَّ على سورية زمنٌ طويل لم ترَ لهُ مثيلاً

وقد كان مقتدراً في السياسة وفيهِ حكمة والمام ولولا اطماعهُ الزائدة وتشوقهُ الى ما فوق قدرتهِ لما خابت مساعيهِ على انهُ كان يكره التحيل والدهاء ويختار الاجهار بنوآيهِ ولو تكلف ما لا يُطاق وكانت العدالة ضاربة اطنابها في بلادهِ لا فارق عندهُ في شمولها اهل المذاهب المختلفة

اما اولادهُ الذين التجأُوا الى جبل عامل فقد راسلهم حسن باشا للرجوع اليهِ وامَّنهم على ارواحهم وما يملكون واوعز اليهم انهُ يقلدهم مناصب ابيهم تحت طاعة السلطان فاجابوهُ الى ذلك ونزلوا اليهِ وهم عثمان وسعيد واحمد وصالح اما اخوهم الاكبر علي فكان في دير مار يوحنا آمناً اذ لحق بهِ مغاضباً اباهُ قبل وقوع هذه الحوادث فلما وصل ابناء ظاهر الى الباشا امر بتوقيفهم واذ فرط من احدهم سعيد كلام ضد الدولة العلية امر بهِ فقُتل ثم اخذ اخوتهُ في السفن ونقلهم الى الاستانة الَّا عثمان فانهُ جعلهُ شيخ البلد في عكاء

وتولى عكاء بعد ذلك احمد باشا الجزار المشهور فرأى ان يتعقب علياً كبير ابناء ظاهر العمر فزحف عليهِ والتفَّ حول عليّ كثير من الجند والاتباع فلم يقتدر على الثبات طويلاً تجاه عسكر الجزار لا سيما بعد ان قُتل ابناهُ الحسن والحسين فتخلَّص عن الحرب وقصد العزلة في بلاد الشوف لكنَّ الامير يوسف الشهابي منعهُ من سكناها فقصد بلاد نابلس وهناك اجتمع عليهِ كثيرون من الناس فكتب الجزار الى باب الدولة يشكو والي الشام محمد باشا العظم بانهُ

اجار علي الظاهر في بلادهِ فلما علم محمد باشا بذلك بعث رجلاً من اخصائهِ اسمهُ علي اغا القيصرلي متظاهرًا بعداء الوالي فلما وصل اليهِ قتلهُ اغتيالاً فبعث الباشا برأسهِ الى دار السعادة

اما عثمان بن ظاهر فاقام في عكاء سنةً بمنصب شيخ البلد ثم عزلهُ حسن باشا واخذهُ الى الاستانة فاقام ثمة على خدمة الدولة نحوًا من ست سنين علي غير منهاج ابيهِ فسرَّت الدولة بهِ وارسلت من قبلها مباشرًا مخصوصًا سنة ١١٩٦ الى صيداء فاخذوا عيالهُ منها الى بروسه وكانت عدتهم ثلاثين نفرًا ونال رتبة ميرميران ومنصب خداوندكار مؤبدًا على ان يقوم باود عياله واخوتهِ وان يخصص من دخلهِ ثلاثة آلاف غرش في السنة لاخيهِ الشيخ احمد (روى ذلك جودت باشا ونوفل نوفل)

وخلَّف علي طفلين نبغ احدهما شاعرًا مشهورًا اسمهُ فاضل بك وكذلك نبغ من ابناء الشيخ احمد شاعر مجيد اسمهُ يوسف خالص بك ذكرهُ جودت باشا ايضًا

ثم تبعثرت الاسرة بكرور الايام وتقلبات الدهور واحط الدهر علي بعضهم حتى اضطرت بعض مخدرات هذا البيت الى التسوُّل علي ما قال الامير حيدر في تاريخهِ فسبحان من بيدهِ الامر . انتهى

جرجي ينّي

الاخصاء

اذا اجال المستبصر طرفهُ فيما انتهى اليهِ ارتقاء العلم على اختلاف ضروبهِ في بلاد الغرب وقاسهُ بما وصل اليهِ في بلاد الشرق من الاضمحلال بعد ان كان في اعلى درجات الارتقاء على عهد الخلفاء الأمويين بالاندلس والفاطميين بمصر والعباسيين ببغداد لا يُعتم في الغالب ان ينسب ذلك التميّز للاخصاء وهو تعلم علم واحد واختصاص كل طائفة من الناس بما تنصرف وجهتهم اليهِ ويرون الخير في خدمتهِ من اسباب العلم ومقوّمات الحضارة . وقد يظن بعض من لا يعرف دروس الغرب واساليب القاء العلوم في مدارسهِ المتنوّعة ان كل من اشتهروا وتميّزوا بفن ونالوا حظًّا وافرًا من علم نافع لا تتعدَّى معارفهم حدود ما هم بسبيلهِ فالفيلسوف لا يحسن بزعمهم الانشاء والمنشئ لا يعرف التاريخ والطبيعي لا يحسن الرياضيات والالهي لا يذوق الاجتماعيات والسياسي لا يدرك الاقتصاد ولكن ليس الامر على ما يذهبون اليهِ

سألتُ يومًا احد المبرّزين في علوم الاوائل والاواخر من المشارقة لِمَ كان الاخصاء في الغرب نافعًا ولا يتأتى الانتفاع بغيرهِ ولِمَ لا نجد في بلادنا اهل إخصاء فقال التخصيص لا يظهر

الاَّ بعد التعميم فان الناس في اوربا يقرأُون على ترتيب خاص يقضي على الداخل الى المدارس ان يتعلم كل العلوم اللازمة لهُ في حياتهِ حتى اذا وافق بعضها مزاجهُ او ميلهُ ينصرف اليهِ جملةً ويمهر فيهِ فالاختصاص يأتي من ترقي العلم ليس الاَّ

قال وهكذا كان شأن سلف هذه الامة العربية ايام كانت دروس العلم حافلة وحلقات المعارف منظمة فقد رأينا مثل ابن السرَّاج المتوفى سنة ٣١٦ نحويًّا فيلسوفًا مع انهُ لا علاقة بين العلمين والسيرافيُّ المتوفى سنة ٣٦٨ من ائمة النحو وشارح كتاب سيبويه ذا يد طولى في الفلسفة وكان الفلاسفة يرجعون اليهِ في علمهم . ورأينا الصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ يستدعي الي بغداد ابا عليّ الفارسي من مشاهير النحاة ليزورهُ فيستفيد منهُ مع ان الصاحب عالم كبير من اهل العلم . والرمانيُّ المتوفى سنة ٣٨٤ احد فلاسفة العراق كان نحويًّا متكلمًا وهكذا شأن كثير من اضراب هؤُلاء ممن نقل عنهم ابو حيان التوحيدي المتوفى على رأس الاربعمائة مذاكراتهم في مقابساتهِ

ثم قصَّ عليَّ ما رواهُ ابن ابي اصيبعة في ترجمة الرئيس ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ احد فلاسفة الاسلام وهو الذي كتب المجلدات الممتعة في الطبيعيات والرياضيات والالهيات والطب قال كان الرئيس جالسًا يومًا من الايام بين يدي الامير علاء الدولة من امراء ما وراء النهر وابو منصور الجبائي حاضر فجرى في اللغة مسئلة تكلم الشيخ فيها بما حضرهُ فالتفت ابو منصور الى الشيخ يقول انك فيلسوف وحكيم ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها فاستنكف الشيخ من هذا الكلام وتوفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين واستهدى كتاب تهذيب اللغة من خراسان من تصنيف ابي منصور الازهري فبلغ في اللغة طبقة قلَّما يتفق مثلها وانشأ ثلاث قصائد ضمنها الفاظًا غريبة من اللغة وكتب ثلاثة كتب احدها على طريقة ابن العميد والآخر على طريقة الصابي والآخر على طريقة الصاحب وامر بتجليدها واخلاق جلدها ثم اوعز الامير فعرض تلك المجلدة على ابي منصور الجبائي وذكر انا ظفرنا بهذه المجلدة في الصحراء وقت الصيد فيجب ان تتفقدها وتقول لنا ما فيها فنظر فيها ابو منصور واشكل عليهِ كثير مما فيها فقال لهُ الشيخ إن ما تجهلهُ من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة وذكر لهُ كثيرًا من الكتب المعروفة في اللغة كان الشيخ الرئيس حفظ تلك الالفاظ فيها وكان ابو منصور مجزفًا فيما يوردهُ من اللغة غير ثقة فيها ففطن ان تلك الرسائل من تصنيف الشيخ وان الذي حملهُ عليهِ ما جبههُ بهِ في ذلك اليوم فتنصَّل واعتذر اليهِ . ثم صنف الشيخ كتابًا في اللغة سماهُ لسان العرب لم يُصنَّف في اللغة مثلهُ ولم ينقلهُ الى البياض حتى توفي

فبقي على مسوّدتهِ لا يهتدي احد الى ترتيبهِ

قلت ولو لم يكن الرئيس درس اللغة في صباهُ حقَّ دراستها ا عذّر عليهِ ان يكون في ثلاث سنين من اعلم الناس بها . واذا راجعنا سِيَر الرجال قديمًا وحديثًا نرى مثلهُ افرادًا ليسوا بقلائل في كل امة وبلد فقد كان الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ عالمًا في كل فن وكان الحجة الثبت في كل ما كتب . وكان فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ عالمًا بالادب والطب والشريعة والفلسفة " يهاجر اليهِ الناس من كل ناحية على اختلاف مطالبهم في العلوم وتفننهم فيما يشتغلون بهِ فكان كل منهم يجد عندهُ الغاية القصوى فيما يرومهُ منهُ " . وكان ابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ اوحد في علم الفقهِ متميزًا في الطب اوحد في الفلسفة ولخص كتب ارسطاطاليس وجالينوس . وكان عبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ فردًا في العلوم العقلية والنقلية كافة غلب عليهِ الادب اولاً ثم الفلسفة والطب تشهد لهُ بذلك تآليفهُ

فاق مثل هؤلاء الاعلام بما تهيأ لهم من النظام المتبع والاسلوب الحميد الذي ينسنَّى لكل شعب عرف معنى العلم وطرق تحصيلهِ . وربما كان ميل الفرد لعلم دون آخر على درجات تختلف باختلاف التلقي والبداءة فيهِ . ومن حصلت لهُ ملكة في فن او صناعة ومرن عليها واشتد ساعدهُ فيها يصعب عليهِ ان يتقن غيرها الاَّ قليلاً اما الاخصاء في فرع من فروع العلم فلا يتأتى الاَّ بعد النظر بالجملة في اكثر الآلات والادوات التي لا غنية لمن يريد ان يوسم بالعلم بدونها . والنُتَفَة وهو الذي ينتف من العلم شيئًا ولا يستقصيهِ قلَّ ان ينجح في البلاد الراقية وهو مقبول عند المشارقة الآن لضعف العلوم بين ظهرانيهم وقد يستفيد صاحبهُ في الماديات اكثر مما يستفيد المخصي اي المتعلم علمًا واحدًا مثال ذلك الكاتب في العربية فانهُ لا يرتزق الاَّ اذا كتب في كل موضوع قليلاً او كثيرًا واذا اراد الاخصاء فقد لا يعيش من صناعتهِ وما اشبههُ بالشمعة تحرق نفسها لتضيء لغيرها . قال عبدالله بن مسلم بن قتيبة من اراد ان يكون عالمًا فليطلب فنًّا واحدًا ومن اراد ان يكون اديبًا فليتفنن في العلوم

نعم لا يطلب من العالم بالنحو والصرف والبيان والمنطق مثلاً ان يكون من النوابغ في الانشاء وانما يعاب عليهِ كثيرًا ان يملأ رأسهُ بالقواعد حتى اذا جاء ليطبقها ويستعملها ينقطع ولا يحير جوابًا ولا يكتب كتابًا كما لا يرجى من الباحث في الاديان ان يكون راسخًا في سير الافلاك وانما يراد منهُ ان يكون لهُ نوع من المشاركة في هذا العلم حتى يعرف ما يقول في التوقيت والاهلَّة ولا يطالب المؤرخ ان يكون متمكنًا من العلم الطبيعي والرياضي بل عليهِ ان تحصل لهُ ملكة قليلة في معرفتهما وهكذا الحال في علوم البشر كافة

قال ابو حاتم السجستاني قدم علينا عامل من اهل الكوفة لم ارَ في عمّال السلطان ابرع منهُ فدخلت عليهِ مسلّماً فقال يا سجستاني مَن علماؤكم بالبصرة قلت الزيادي اعلمنا بعلم الاصمعي والمازني اعلمنا بعلم النحو وهلال الرازي افقهنا والشاذكوني اعلمنا بالحديث وانا أُنسب الى علم القرآن وابن الكلبي اكتبنا للشروط . فقال لكاتبهِ اذا كان غداً فاجمعهم لي فجمعنا فقال ايكم المازني فقال ابو عثمان انا فقال هل يجزى في كفارة الظهار عتق عبد اعور فقال المازني انا صاحب عربية لست بصاحب فقه فقال يا زياد كيف تكتب بين رجل وامرأة خلعها زوجها على الثلث من صداقها فقال ليس هذا من علمي هذا من علم الشاذكوني فقال لهُ ياشاذكوني من قرأ الا انهم يثنوني صدورهم فقال ليس هذا من علمي هذا من علم ابي حاتم فقال لي يا ابا حاتم كيف تكتب الى امير المؤمنين تصف فيهِ خصاصة اهل البصرة وما اصابهم في الثمرة من الجوائح وتسأل النظر لهم فقلت انا صاحب قرآن لست بصاحب بلاغة وكتابة. فقال اقبح بالرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف الا فنّاً واحداً حتى اذا سئل عن غيرهِ لم يجز فيهِ لكنّ عالمنا بالكوفة الكسائيّ لو سئل عن هذا لاجاب

ومثل هذا الاخصاء يقع في ايامنا لطائفة كبيرة من العلماء والفضلاء في بلاد الافرنج فقد صحبتُ احد علماء الحقوق من الالمان وكان هبط مصر لتعلم العربية فكنت اذا حدثتهُ في الموضوعات الاجتماعية يتبرّم ويجيب اجوبة متقطعة لا تنبئ بتبحر ولا بقلة وقوف مع انهُ درس في اعظم كليات المانيا على الاصول الحديثة وناهيك بمن يدرس في مدارس هذه المملكة فانهُ لا يُعد متعلماً في الغاية عند اهل اوربا انفسهم الا من قضى اعواماً في مدارس الالمان كما لا يُعدُّ متمدناً عندهم الا من زار باريز ورأى حضارة اهلها وازياءهم واهواءهم . واجتمعت مراراً كثيرة باحد اهل الاخصاء في الآثار من الفرنسيس فكنت كلما باحثتهُ في احوال الشعوب والممالك يناقش مناقشة مَن لا يعلم الا ما هو آخذ نفسهُ بهِ من دراسة آثار الشام

وقصارى القول ان الاخصاء يتأتى حصولهُ اذا نُظمت طريقة العلم وساعدت البيئة والمحيط على انتفاع المشتغِل والمشتغَل لهم بثمارهِ الغضة . وقد جمع بعض الحكماء سرّ الاخصاء في قولهِ إقصد من اصناف العلم الى ما هو اشهى لنفسك واخفّ على قلبك فان نفاذك فيهِ على حسب شهوتك لهُ وسهولتهِ عليك . وقال يحيى بن خالد لابنهِ عليك بكل نوع من العلوم فخذ منهُ فان المرء عدوّ ما جهل وانا اكره ان تكون عدوّ شيء من العلم وانشد

تعلّمْ وخذ من كل علم فانما   يفوق امرؤٌ في كل فن لهُ علمُ
فانت عدوٌّ للذي انت جاهل   بهِ ولعلم انت تتقنهُ سلمُ

وقال آخر يشكو صعوبة التحقيق في العلم

برَّح بي ان علوم الورى شيئان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها وباطل تحصيلهُ لا يفيد

دمشق الشام محمد كرد علي

احدى غوامض التاريخ

من يطالع تاريخ اوربا في القرن السابع عشر والثامن عشر ويطلع على ما بزغ فيها من نور العلم والفضل ثم يراجع على ما كان يجري في قصور ملوكها وامرائها من المنكرات لا يعجب من قيام كرومول في انكلترا وحدوث الثورة في فرنسا بل يعجب من احتمال النفوس للقهر قرناً بعد آخر من غير ان تزهق . ثم اذا قاس الامم الغربيَّة بالامم الشرقيَّة لم يتوقع ان يرى في اوربا عشر ما يراهُ فيها الآن من الارتقاء فاننا نحن ابناء المشرق كانت حالنا منذ الف عام اصلح من حال اوربا منذ مئتي عام وقد كرَّت القرون ولم نرتقِ قيد شبر بل المرجح اننا زدنا انحطاطاً حتى ماثلت حال كثير من ممالكنا الآن حال اوربا في القرن السابع عشر . ولعلَّ كاتب تاريخ القرن التالي يكتب من سجون الاستانة عاصمة مملكتنا ما كتبهُ الفرنسويون من سجن باريس عاصمة مملكتهم وهاك طرفاً من ذلك

في الثامن عشر من شهر سبتمبر سنة ١٦٩٨ فتح باب الباستيل سجن باريس المشهور في التاريخ ليمرَّ عليهِ المحافظ الجديد سان مارس وكان راكباً مركبة ستائرها مدلاَّة وحولها ثلة من فرسان الحرس الملكي والى جانبهِ كهل تلوح عليهِ لوائح النبل ولكنَّ وجههُ كان مغطى ببرقع من المخمل الاسود مثبت حول رأسهِ بابازيم من الحديد . وكانا قادمين من سجن سان مرغريت في جنوب فرنسا الذي كان سان مارس محافظاً لهُ مدة سنين طويلة

وكان الملك لويس الرابع عشر يعدُّ سان مارس هذا مقدام السجانين في مملكتهِ فانهُ وقف نفسهُ على اتقان خدمتهِ منذ كان عمرهُ خمساً وثلاثين سنة فنال نعمة في عيني مولاهُ وصار من اخصّ المقربين اليهِ . وقد ضاعف همتهُ الآن في المحافظة على السجين وبالغ في الاحتياط عليهِ فكان ينام بجانبهِ ويجلس معهُ على الطعام وبجانبهِ فردان . اما السجين فلم يكن ينبس ببنت شفة بل كان يجلس دائماً وظهرهُ الى جهة النور ولم يحاول مكالمة انسان ولا بالى باهتمام الحرس والناس بمشاهدتهِ في المحطات التي كان يقف ليبيت فيها

وبعد ما عبر السجان وسجينهُ الجسر الذي امام باب الباستيل رُفع الجسر ولم يعد السجين يرى عايهِ حيًّا . وسير بهِ الى غرفة في احد ابراج السجن حيث عاش خمس سنوات. ولم يعرف الناس من امرهِ شيئًا ولم يرفع البرقع عن وجهه نهارًا ولا ليلاً . لان سان مارس كان قد امر بقتلهِ اذا حاول رفع البرقع عن وجههِ. وقلما كان يتكلم ولم يشك امرهُ البتة الى احد ولا قال لاحدٍ من هو

وكان يعامل بالتجلَّة والاكرام ويُقدَّم اليهِ فاخر الطعام والشراب . ويُلبَس افخر الملابس ويلعب على الرباب ولم يألُ سان مارس جهدًا في مراقبتهِ كلَّ يوم وارسال التقارير الطويلة الى الملك عنهُ . فدلَّ ذلك على انهُ كان اعظم سجين في فرنسا كلها

وقد حاول مرةً وهو في سجن سان مرغريت ان يبوح بخبرهِ . وبيان ذلك ان الطعام كان يقدَّم اليهِ في صحاف فضيَّة فتناول ذات يوم صحفة منها وكتب عليها شيئًا بسكين ثم القى بها من نافذة السجن على قارب صياد رسا بقاربهِ عند اسفل السجن فتناول الصياد الصحفة ولكنهُ كان اميًّا فظنَّ انها سقطت من البرج اتفاقًا فاخذها الى محافظ السجن وهو لا يدري شيئًا من امرها . فلما قرأ المحافظ ما كتب على الصحفة اخذتهُ الرعدة والتفت الى الصياد مذعورًا وسألهُ "هل قرأت ما كتب وهل رآهُ احد غيرك" فاجابهُ الصياد انهُ اميٌّ لا يستطيع القراءة ولا الكتابة وانهُ لم يرَ احد الصحفة غيرهُ. ولكن المحافظ لم يطلقهُ حتى وثق من صحة حكايتهِ فخلَّى سبيلهُ قائلاً "ان جهلك القراءة وقاك من المهالك"

وبعد هذه الحادثة وُضع السجين تحت المراقبة الشديدة وهو على المائدة فكانوا يفحصون كلَّ صحفة يرفعونها من امامهِ ليكونوا على ثقة من انهُ لم يكتب عليها شيئًا وكانوا يفعلون مثل ذلك بملابسهِ التي كان يخلعها حتى انهم كانوا يفحصون الشموع التي توقد في غرفتهِ خشية ان يكون قد انتزع الفتيلة ووضع مكانها ورقة مكتوبة . وكان المحافظ يفتّشهُ كلَّ يوم . فتمَّ بذلك مراد الملك لويس وهو القضاء على ذلك السجين بالموت مجهول الاسم والنسب

هذا ولم يعرف احد كم كانت مدة سجنهِ ولكن البعض يقول ان امر المحافظة عليهِ وُكل الى سان مارس في سجن بنيارول اولاً ثم في سان مرغريت فالباستيل وتقدَّر مدة سجنهِ بخمس وعشرين سنة على القليل وخمس واربعين على الكثير . ولا غرابة اذا لم يحاول الافلات من سجنهِ بعدان زُجَّ في اعماق الباستيل فان الملك كان شديد القسوة على سجنائهِ كثير الاكرام لسجانيهِ مغرمًا بقراءة التقارير المفعمة باخبار العذابات المبرحة التي كان المسجونون يسامونها وهم في السجون فتودي بهم الواحد اثر الآخر . وقد كان هذا نصيب كثيرين من رعاياهُ بعد

دخولهم ابواب السجون

وفي طليعة اولئك المنكودين فوكه اغنى اهالي فرنسا ووزير ماليتهِ في اوائل ملكهِ فان غناهُ أثار الحسد والحقد في قلب الملك فطرحهُ في سجن بنيارول حيث بقي ست عشرة سنة يذوق غصص الموت ويسام من العذاب الالوان ثم مات ولم يعلم عنهُ شيء . ويقال انه مات ودفن سنة ١٦٨٤ ولكن بعض الذين يعوَّل على رأيهم قالوا انهُ هو نفسهُ هذا السجين المبرقع

ومنهم افديك بطريرك الارمن في القسطنطينية فانهُ احتقر الجزويت وازدراهم وكان لويس ناصرًا لهم فسعى حتى تمكن من خطفهِ واحضارهِ الى فرنسا حيث زجهُ في اعماق السجون فمات بعد ان فقد بصرهُ وانقطع حبل رجائهِ من الخلاص ويذهب بعضهم الى انهُ السجين المبرقع نفسهُ

ومنهم الجنرال دي بولوند الذي اخفق في حصار مدينة كون وكان مطلعًا على بعض اسرار الملك فخشية ان يبوح بها سجنهُ فاختفى خبرهُ بعد ذلك وظن البعض انهُ السجين المبرقع

ومنهم ضابط اسمهُ مار يشيل كان رئيسًا لمؤامرة كبيرة دبرت ضد الملك فألقاهُ الملك في السجن ولم يسمع عنهُ شيء بعد ذلك . وقد رجح آخر باحث في هذا الموضوع ان هذا الرجل هو صاحب الوجه المبرقع

ومنهم الكونت متيولي مستشار الدوق منتوى وهو الذي باع لويس حصن كازال مفتاح بيدمونت باعهُ اياهُ سرًّا وكان لويس يطمع في الحصول عليهِ منذ زمن طويل ولكن متيولي اطلع اسبانيا والنمسا وسافوى على ذلك قبل تسليم الحصن الى الفرنسويين لخلصهُ وصيرن لويس بذلك اضحوكة في اوربا كلها فاوفد من خطف متيولي واحضرهُ اليهِ فسجنهُ ولم يجسر احد ان يسأل عنهُ وهكذا انطفأ خبرهُ . وقد زعم كثيرون انهُ هو ذو الوجه المبرقع ولكن ذلك لم يثبت بالبرهان

على ان ذلك كلهُ لا يميط النقاب عن وجه الحقيقة ولا يزيح الستار عن صاحب الوجه المبرقع ولا ينبئ بسبب وضع البرقع على وجههِ لان كل انسان من معاصري لويس علم بسجنهِ للذين تقدم ذكرهم ولم يحاول احد تخليصهم فلا بدَّ ان يكون هناك باعث آخر حملهُ على فعل ما فعل . وعليهِ قام المذهب المشهور الذي هو اقرب الى الخيال منهُ الى الحقيقة وبنى فولتير ودوماس وغيرهما من مشاهير الكتاب كتاباتهم عليهِ ومآلهُ ان صاحب الوجه المبرقع هو اخو الملك لويس الرابع عشر من امهِ فقط او من ابيهِ وامهِ او ابن غير شرعي لهُ وعلى الراي الاول هو ابن الملكة حنة من دوق بكنهام او من الكردينال مازارين وعلى الثاني ان بعضهم تنبأ

للويس الثالث عشر بانهُ سيولد لهُ توأمان يتنازعان الملك بعدهُ ويفضي نزاعهما الى حرب اهلية في فرنسا. فلما ولد التوأمان ارسل اصغرهما الى فلاَّح يربيهِ كأنهُ ابنهُ حتى اذا بلغ التاسعة عشرة من عمرهِ رأى صورة شقيقهِ الملك واطلع على كتاب من والدتهِ الى مربيهِ تلمح فيهِ الى سرّ مولدهِ ففطن الى دخيلة الامر وصرّح بعزمهِ على الذهاب الى البلاط الملكي للمطالبة بحقوقهِ فصدرت الاوامر من باريس حالاً بسجنهِ مدة الحياة فوضع البرقع المذكور على وجههِ وجُعل سان مارس سجَّانًا لهُ. وقد وجد كتاب من ماري دي مورينا بين اوراق الكردينال ريشيليه وزير لويس وفيهِ حكاية ذلك السرّ من اولها الى آخرها ولكن معظم المحققين المحدثين يعتقدون ان الكتاب المذكور موضوع لا حقيقة لهُ. وعلى القول الثالث انهُ دوق ڤرمندوى ابن للملك لويس الرابع عشر من المداموازل ده لاڤاليه لطم اخاهُ ولي العهد مرةً فحكم ابوهُ عليهِ بالسجن مدى الحياة

ومهما يكن من سرّ المسألة فقد ثبت انهُ في ليلة من ليالي نوفمبر سنة ١٧٠٣ أُنزل جسر الباستيل ومرَّت عليهِ جنازة ضئيلة سارت بالميت الخفيّ الى مدفن القديس بولس. وكان يسير خلف النعش رجلان من حفظة السجن حتى اذا بلغت الجنازة المدفن دفن الميت ثانية في التراب بعد ما دفن اولاً وراء الحجاب. ولم يعلم احد خارج السجن بموتهِ ما عدا الملك. وكأنهُ اراد ان يمحو ذكر وجودهِ من صفحات الاذهان فامر ان تحرق ثيابهُ وتذاب صحون الفضة التي كان يأكل منها وان تكشط جدران غرفتهِ وسقفها وارضها ثم ترمم ويمحى كل اثر باقٍ منهُ. وكتب عنهُ في سجل الموتى ان اسمهُ مرشيالي وعمرهُ ٤٥ سنة. وفي سجل المسجونين "مسجون من الداخلية"

وظن لويس ان القصة برمتها تمسي في زوايا النسيان قبلما تنحل رفات ضحيتهِ في قبرها مع ما ضمها من الاكفان على ان السرّ باح بنفسهِ واثار حبّ استقصاء الحقائق من مكامنهِ. فما نسي الفلاحون السجين المبرقع ايام مرّ في مزارعهم يحرسهُ سان مارس ولا انقطع ذكرهُ عن السنة اهل البلاط همسًا في الآذان ان لم يكن نداء عن السطوح. ولا عن السنة حرس الباستيل في مجالساتهم ومسامراتهم ومرَّت السنون على ذلك حتى زجَّ بعض رجال الادب في الباستيل فسمعوا عن تلك القصة ما اسال قرائحهم واجرى مدامع اقلامهم فكتبوا ما ينيف عن خمسين كتابًا في هذا الموضوع. على ان تلك الكتب لم تهتك ستارًا ولا كشفت مخبأً بل كل ما كشفتهُ انما هو ظلم الملك لويس الرابع عشر وقسوتهُ. والمظنون ان السر المكنون مدفون في سجلات الفاتيكان برومية اذ يرجح ان السجين اخبر الكاهن الذي كان يعرّفهُ بحقيقة امرهِ ومن المحتمل ان يكون الكاهن قد اخبر رؤَساءهُ بذلك فاذا استطاع احد ان يطلع على تلك السجلات وجد فيها الخبر اليقين

ركفلر ومقدرة المال



لما هلَّ القرن الماضي كانت اوربا واقفة ترقب بونابرت القائد العظيم الذي نبغ من مصاف الجنود فقاد الفيالق وساد الممالك بعلو همتهِ وصدق عزيمتهِ ومهارتهِ في فنون القتال ودرايتهِ في اختيار الرجال . وقد هلَّ القرن الحاضر واميركا ترقب رجالاً نبغوا من صفوف العامَّة فبلغوا بعلو همتهم وصدق عزيمتهم ومهارتهم في ادارة الاعمال واستخدام الاكفاء من الرجال مقاماً لا ينحط عن مقام بونابرت ولا هو اقل منهُ خطرًا ولكنهُ اسلم منهُ عاقبةً واقل ضررًا . وفي مقدمة هؤُلاء الرجال جون ركفلر صاحب الملايين الوفيرة والمبرَّات الكثيرة . وقد ذكرنا ترجمتهُ منذ عهد قريب فلا نعود اليها ولكننا اطَّلعنا الآن على وصف بديع لهُ في جرنال نيويورك وعلى ما يستطيع عملهُ باموالهِ تحت عنوان " شلالات من المال والقوة " فاقتطفنا منهُ ما يأتي

جون ركفلر اعظم رجل على وجه البسيطة من حيث قوتهُ وما يستطيعهُ · فليس في الناس رجل مثلهُ ولا وجد قبلهُ شبيهٌ لهُ . وقوتهُ متنوعة فهو شجاع مثابر صبور قادر على ترتيب الاعمال وتنظيمها زكين في الدرجة القصوى يعرف طباع الناس واخلاقهم . يملأُ الزمن الذي هو فيهِ كأنهُ خُلق لهُ . بعيد النظر في العواقب ينظر الى المستقبل البعيد ويراهُ واضحًا جليًّا ولو خفي على غيرهِ ويصرّف الامور ويعدها حتى توافقهُ بينما غيرهُ يستعد ويتهيأ حتى يوافقها . مَعِدَتهُ المالية على غاية المرونة فتكتفي بالارنب الصغيرة وتستطيع ان تبتلع الجاموس الكبير . عندهُ الآن اكثر مما يحتاج اليهِ هو والف الف نفس مثلهُ ولا يزال يغترف الاموال اغترافًا كالحوت لا يرويهِ شيءٌ بلهمهُ . تراهُ رابضًا في ربوع اميركا كالتنين الكبير واعضاؤهُ واصلة الى اوربا واسيا وقد فغرفاهُ ليبتلع ما يمكن ابتلاعهُ منهما· تظنهُ قد شبع واتخم فنام ولم يعد يستطيع النهوض ولكنهُ في الحقيقة فاتح عينيهِ واذنيهِ فلا تدنو فريسة منهُ الاَّ ابتلعها

لو كان من ذوي المطامع والآمال الكبيرة كما كان بونابرت للقي الناس منهُ الامرَّين لانهُ يستطيع كلَّ شيءٍ في هذا الزمن زمن الدينار يستطيع ان يستأجر مليون رجل ويجعلهم طوع امرهِ ويحكم بهم وباموالهِ على خمسين مليونًا من النفوس لكن العناية حرمتهُ من هذه المطامع وجمتهُ كما تلجم مياه البحر حتى لا تتعدى ساحلهُ ولم تعطهِ الاَّ الرغبة في جمع المال وعمل بعض المبرات

ولو كان من ارباب العلم واهل الغيرة الشديدة على نوع الانسان لاستطاع ان يعمل العجائب بمالهِ لكنهُ قانع بان يكتب على قبرهِ كان فلان اغنى الاغنياء لا ان يقال انهُ انفق غناهُ كلهُ على نفع ابناء نوعهِ

كما امتاز الاسكندر بقوتهِ الحربية امتاز ركفلر بقوتهِ المالية · الاسكندر قهر الفرس وتسلَّط عليهم بحفنة من الجنود المكدونية وكذلك ركفلر تغلَّب على الاميركيين وتسلط على الملايين من اموالهم بالمال القليل لذي كان معهُ اولاً فاصبح سلطان المال واغنى مَن على وجه البسيطة وكل ريال من اموالهِ بمثابة رجل يعمل نهارًا كاملاً فقوتهُ قوة ملايين من الرجال

ان الذين حفظت اسماؤهم من ملوك مصر الاولين هم الذين استطاعوا ان يستخدموا الرجال ويديروهم فجعلوهم يبنون لهم الاهرام والهياكل · جمعوا بين القوة الحربية والدينية والجهل الذي كان متسلطًا على الناس واستخدموا هذه القوى الثلاث للتسلط على الالوف من بني الانسان وتسخيرهم في الاعمال · هذا كان شأن الملوك في الزمن الغابر . اما ملوك المال في هذا العصر فاموالهم تعمل لهم ما يشاءون وهي في خزائن البنوك لا تأكل ولا تشرب ولا تنام ولا تتعب

لكن كل ريال منها يعمل ما يعملهُ العامل في يومهِ • وهي ليست مثل جنود الملوك تعمل وقت الحرب وتنام او تتفرَّق وقت السلم بل تعمل دواماً نهاراً وليلاً صيفاً وشتاء وتتوالد وتتكاثر من غير زواج ومن غير مخاض • ولا هي مثل عمال المعامل تعتصب وتتآمر وتشكو من قلة الاجور وطول ساعات العمل • ولا موضوعة حيث يفسد السوس والصدأُ وينقب السارقون و يسرقون

على ان الناس عموماً لا يدركون حقيقة قوة ركفلر وربما لا يدركها هو ايضاً تماماً لانها فاقت تصوراتهِ ومطامعهُ . فان لهُ جميع منابع زيت البترول في الولايات المتحدة والبترول لا يفيد شيئاً الاَّ اذا كان ملك ركفلر لان سكك الحديد لا تجسر على نقلهِ من مكان الى آخر الاَّ برضاهُ وموافقتهِ . ويقال ان عندهُ الآن الف مليون ريال (٢٠٠ مليون جنيه) لكن ثروتهُ اكثر من ذلك فان ثمن منابع البترول وحدها يبلغ خمسة آلاف مليون ريال على اقلّ تقدير وهي إما لهُ او مآلها اليهِ .وهو يستطيع ان يزيد ثمنها قدر ما يشاء بزيادة ثمن البترول وقد ضاعف ثمن الكازولين بكلمة واحدة حالما عرف ان طلبهُ سيزيد باستعمال مركبات الاوتوموبيل لهُ فزاد ربحهُ منهُ اضعافاً مضاعفة

ومما لا ريب فيهِ انهُ لو شاء ان يبيع كلَّ ما يمتلكهُ الآن باسعارهِ الحالية ما وُجد في الولايات المتحدة كلها بل في العالم باسرهِ ذهبٌ كافٍ لدفع الثمن نقدًا . فتضطر البنوكة ان تعمل اوراقاً مالية غير التي فيها لدفع المال المطلوب لهُ

ولهُ كثير من سكك الحديد ملكاً وجميع سكك الحديد الاميركية تحت سلطتهِ فهو سلطانها الذي يُجاب ولا يُعانَد. وقد اخذ يدرب الآن احد ابنائهِ على ادارة سكك الحديد حتى اذا مات خلفهُ من يستطيع احتكارها كما احتكر هو زيت البترول . وهو صاحب شركات الكهربائية والغاز التي تنير مدينة نيويورك وغيرها من مدن اميركا الكبيرة. ولهُ اكثر الاسهم في سكك الحديد الممتدة في شوارع نيويورك ومدن كثيرة غيرها

ومن العبث ان يفكّر احد في تقدير ممتلكاتهِ كلها فيقال بالاختصار ان المال مَلِك وهو مَلِك المال وتحت امرهِ نحو مليون من العمال الذين لهم حق الانتخاب . ولو اراد ان يزيد اجورهم ضعفين او ثلاثة لاستطاع لانهُ يتقاضى الزيادة من الجمهور باضافتها الى ثمن ما يشترونهُ او يستعملونهُ . وهم طوع امرهِ فيستطيع ان يتسلط بهم على كل الانتخابات من انتخاب رئيس الجمهورية الى انتخاب شيخ القرية فتصير حكومة البلاد في يدهِ ولكن مطامعهُ لا تتجه الى تلك الجهة فان التجارة والامارة لا تجتمعان في شخص واحد وركفلر تاجر لا امير فلا يمكن ان يحذو حذو نبوليون ولا يهمهُ التسلُّط على الممالك مثلهُ

وهو لا يميل الى الشخشخة والابهة الخارجية ولا يُعدّ من المسرفين ولا يستخدم احدًا من الخدم الذين لا عمل لهم مثلما كان يفعل الاغنياء من اهل الجاه والترف فهو من الوجهة الاقتصادية اقلُّ ضررًا من امير او من وجيه يقوم الغلمان في بابهِ من غير عمل يعملونهُ . وهو خير وصيٍّ يمكن تعيينهُ لادارة اموالهِ . لا ينفق على نفسهِ من ثروتهِ الطائلة سوى النزر القليل لضعف معدتهِ ولا يتمتع من الملاهي بسوى لعبة " الجولف " ولا يراهن فيها على اكثر من ريال . وقد عمَّر بيوتًا كثيرةً فاغتنى كثيرون بالاتصال بهِ او بالانتفاع منهُ ولا يبعد ان يكون قد خرب بيوتًا اخرى من الذين تضاربت مصالحهم ومصالحهُ ولكن يقال بالاجمال انهُ هو وامثالهُ قوة عقلية في الدنيا لتكثير الراحة وتقليل التعب

توحيد الدين العثماني

رغمًا عمّا ينتاب الدولة العثمانية من المتاعب في الزمن الحاضر نرى المتمولين من الاوربيين لاهين عن حوادث مقدونية ودائبين وراء توحيد الدين العثماني الذي تتولى ادارتهُ لجنة دولية منذ ٢٢ سنة . وهذا التوحيد ليس بحديث العهد اذ ان الدولة العثمانية حاولت منذ سنوات تغيير الهيئة التي عوَّل عليها دائنوها لاستيفاء ديونهم . فالارادة السنية التي صدرت في شهر محرم سنة ١٢٩٩ قاضية بنوعية دفع فوائد القروض التي عقدتها الدولة حتى سنة ١٨٧٥ واقساطها لم تكن مستوفاة الشروط من حيث التقسيط على الاخص . لهذا ارتأت الدولة ان تحوّر بعض البنود من تلك الارادة آملة اصابة بعض الفوائد المالية من وراء التحوير . وآخر ما عولت عليهِ هو ان تكل الى المسيو روڤيه قبل توليهِ وزارة المالية الافرنسية تحقيق امانيها. وقبل شروعنا في الكلام عن كيفية توحيد الدين العثماني يجدر بنا ان نبين اصلهُ

في ٢٠ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٨٨١ صدرت ارادة سنيَّة دعاها الماليون ارادة محرَّم وبها جمع شمل القروض التي عقدتها الدولة منذ سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٨٧٥ اي الى اليوم الذي فيهِ توقفت الدولة العثمانية عن دفع اقساط الدين وفوائدهِ . وهذه القروض مع فوائدها المتأخرة واضافة ١٠ بالمائة اليها عوضًا عن الفوائد التي لم تدفع في اوقاتها بلغت ٠٦٢ ١٣٥ ١١٦ ليرة عثمانية سنة ١٨٨١

ولما كانت اكثرية الدائنين من الاجانب تشكلت لجنة بالنيابة عن الدائنين غرضها استيفاء هذه الديون من بعض الايرادات كالملح والتبغ والمشروبات الكحولية ومصائد الاسماك

واعشار الحرير والدخان الخ . وهذه اللجنة لا تزال حتى اليوم صاحبة الحل والعقد في جباية تلك الايرادات وصرفها في استهلاك الدين . وقد نهضت بهذا الحمل نهضة كانت الداعية الى عقد الدولة قروضاً جديدة تحت شروط لا تحسب مجحفة بثقة المالية العثمانية لان الفرق بين اسعار القروض القديمة وفوائدها و بين اسعار القروض الجديدة وفوائدها ظاهر لا يحتاج الى اعمال الفكرة

وقد اتخذت اللجنة طريقة حسبتها مصيبة في البداءة وهي تقسيم الديون الى اربعة ابواب لقبتها A .B .C .D وهذه الابواب لا تختلف الاَّ في نوعيَّة الاستهلاك اذ ان الفائدة واحدة للكل على السواء وهي ١ في المائة والفرق الذي نراهُ في اسعار هذه الابواب تسببهُ سرعة الاستهلاك واما الباب الاول A فانهُ قد استهلك تماماً ولم يبقَ منهُ شيء

وكيفيَّة الاستهلاك هي هذه : تشترى القراطيس في البورصة بسعر لا يتجاوز ٢/٣ ٦٦ في المائة اذا كانت الفائدة ١ في المائة واما اذا زيدت هذه الفائدة الى ١/٤ ١ في المائة يكون المشتري بسعر لا يتجاوز ٧٥ في المائة . وهذه الطريقة لا تزال جارية حتى اليوم اي ان الفائدة لم تتعدَّ ١ في المائة . وهذا ما دعا الى زيادة الاموال الاحتياطيَّة في آخر كل عام وعجَّل في الاستهلاك الى حد ان الدين العثماني قد استُهلك منهُ حتى الآن ٢٤ مليونًا من الليرات العثمانيَّة . ومما زاد في سرعة الاستهلاك تخصيص ١٥٩٥٠٠ ليرة عثمانيَّة كل سنة لهذه الغاية وهذه الكمية حصلت من تحويل الدين الممتاز سنة ١٨٩٠ اذ ان فائدة هذا الدين اصبحت منذ ذاك الحين ٤ في المائة بدلاً من ٥

اقتراح المسيو روڤيه

لما انتدبت الحكومة العثمانية المسيو روڤيه كما قلنا سابقًا للبحث عن طريقة توحيد الدين رأى ان لا بدَّ من اصدار قرض جديد قدرهُ ٠٠٠ ١٧٥ ٣٢ من الليرات العثمانيَّة بفائدة ٤ في المائة يتم استهلاكهُ في مدة ٤١ سنة ويكون مضمونًا بالايرادات الحالية التي جُعلت منذ اواخر سنة ١٨٨١ ضمانًا للقروض القديمة . والايرادات المشار اليها تبلغ نحو ٠٠٠ ٢٩٠ ٢ ليرة عثمانيَّة سنويًّا . فاذا اسقطنا منها ٥٠٠ ٤٣٠ ليرة للدين الممتاز و ٠٠٠ ٢٤٠ ليرة للسكك الشرقية بقي ٥٠٠ ١٦١٩ ليرة وهذه الكمية تكفي لاقساط الدين الجديد وفوائده اذ ان المبلغ اللازم لذلك هو ٠٠٠ ٥٢٨ ١ ليرة . واما كيفية التحويل فهي هذه : يعطى من القراطيس الجديدة لحاملي القراطيس القديمة B ما يعادل ٦٦ في المئة ولحاملي القراطيس C ٤١,٦٢ في المئة ولحاملي القراطيس D ٣٧,٥٠ في المئة وهذا التحويل يكفل الفوائد الآتية :

لحاملي القراطيس B ٦٤ ,٣ في المئة ولحاملي القراطيس C ٣/٢ ١ في المئة ولحاملي القراطيس D ٣/١ ١ في المئة

غير ان المسيو روفيه اصبح بعد عودتهِ الى الوزارة المالية الفرنسيَّة غير قادر على متابعة البحث في ما انتدبتهُ اليهِ الحكومة العثمانية فاخذ البنك العثماني في المخابرة مع الباب العالي بهذا الشأن وقدَّم اقتراحين احدهما مطابق في كثير من الوجوه لاقتراح المسيو روفيه والثاني يختلف عنهُ بعض الاختلاف

اقتراح البنك العثماني

يرتئي البنك العثماني في الثاني من اقتراحيهِ اصدار قرض يبلغ ٤١ مليونًا من الليرات العثمانيَّة ويضم الدين الممتاز الى الدين المقصود توحيدهُ . فهذا القرض الاخير يقتضي استهلاكهُ ٤٠٠٠٠ ليرة سنويًّا زيادة عن القرض الاول ويتعين اذ ذاك للسكك الشرقية ٣٠٠٠٠٠ ليرة في السنة

اقتراح المستر سمث

عدا الاقتراحين السابقين نرى اقتراح المستر سمث وكيل الدائنين الانكليزيين ورئيس ادارة الدين العثماني حاليًّا . وهذا الاقتراح يختلف اختلافًا تامًّا عن الاقتراحين اللذين ذكرناهما . فالمستر سمث لا يرتئي اصدار قرض جديد بل يذهب الى زيادة الفائدة السنويَّة من ١ الى ٤/١ ١ في المئة طبقًا لرغبة فريق كبير من حاملي السندات واكثرهم من الانكليز . ومن مدة سنوات كثيرة كان هؤلاء قد طلبوا هذه الزيادة ولم يجب طلبهم خوفًا من ان الزيادة لا يستطاع ادامتها حتى منتهي استهلاك الدين ثم يصعب العود الى الفائدة القديمة اي الى ١ في المائة . فاقتراح المستر سمث فيهِ بعض الافضلية من حيث الفائدة المالية الممكن حصولها للخزينة العثمانية حالاً فضلاً عن اتقاء المصاريف التي لا بدَّ منها عند كل تحويل جديد لكن فيهِ بعض الغبن على حاملي قراطيس السكك الحديد الشرقية وربما لقي معارضة منهم . وخلاصة اقتراحهِ ان يدفع للخزينة العثمانية ثلاثة ارباع الزائد عن المبلغ اللازم للفوائد والاقساط بعكس ما هو جارٍ الآن اذ ان كل الايرادات تبقى في قبضة ادارة الدين الى ان يتم استهلاك كل الديون التي شملتها ارادة محرَّم

يرى مما تقدم ان كل قرض من القرضين اللذين اشار بهما المسيو روفيه والبنك العثماني لا يتم استهلاكهُ قبل ٤١ سنة وفي آخر هذه المدة يتم ايضًا استهلاك الدين العثماني الحالي اذا ظلت الحال كما هي الآن وذلك لان القراطيس B. تستهلك في مدة ٩ سنوات والقراطيس

C في مدة ٣٠ سنة والقراطيس D في مدة ٤٠ سنة على الاقل

ولنبحث الآن عن الفرق بين الاقتراحات التي ذكرناها والطريقة الحالية

(١) اقتراح المسيو روڤيه واقتراح البنك العثماني :

لا تأمل الدولة اصابة فائدة مالية عاجلة من وراء اقتراح المسيو روڤيه لان الايرادات تقدر بـ ٢٢٩٠٠٠٠ ومن هذا المبلغ يفيض ٩٠٠٠٠ ليرة تقريباً بعد دفع مخصصات الدين الممتاز والسكك الشرقية وبما ان التوحيد يتطلب مصاريف غير قليلة لا يبقى للخزينة العثمانية سوى قسم طفيف لا يفي اتعاب الدولة ومشاغلها مدة سنوات طويلة فضلاً عن بقاء ايراداتها مرهونة لمدة ٤١ سنة وخاضعة لسيطرة الادارة الدولية . وهكذا قل عن اقتراح البنك العثماني (وهو الاقتراح المعول عليهِ اليوم) وان نجم للدولة عنهُ قبض ١١٠٠٠٠٠ ليرة معجلاً بداعي زيادة مبلغ القرض الجديد لاشتمالهِ على الدين الممتاز الذي لم يشملهُ اقتراح المسيو روڤيه

(٢) اقتراح المستر سمث : لم يصادف هذا التقرير قبولاً عند الحكومة العثمانية لانها ترى فيهِ بقاء الايرادات مدة طويلة تحت سيطرة ادارة الدين وان اصابت بعض الاموال من وراء هذا الاقتراح الذي يحتم بتسليمها ثلاثة ارباع الزائد عن مخصصات الدين

فاذا تأملنا في حالة الحكومة العثمانية رأيناها الآن مرتبكة البال بشأن توحيد دينها . فهي من جهة لا ترغب بزيادة الفائدة الحالية الى ٤ ½ في المائة كما عولت عليهِ اكثرية دائنيها وربما جرت هذه المسألة الى التحكيم . ومن جهة اخرى لا تجد سبيلاً الى قبض كمية طائلة من وراء اقتراحي المسيو روڤيه والبنك العثماني فضلاً عن بقاء ايراداتها الكافلة لديونها القديمة في قبضة دائنيها . فبعد رؤيتها انها قبضت من وراء تحويل دين الجمارك ١٩٠٠٠٠٠ ليرة ومن وراء تحويل دين مصائد الاسماك ١١٠٠٠٠٠ ليرة رغماً عن كون هذين القرضين لم يبلغا معاً سوى ٦١٠٠٠٠٠ ليرة تقريباً عند تحويلهما مع ان الباقي من القراطيس B, C, D هو مبلغ ٧٧١٠٠٠٠٠ ليرة لا تجد بدًّا من متابعة المخابرات علّها تبلغ امنيتها في قبض مبلغ اعظم اما بزيادة مبلغ القرض الجديد واما باطالة مدة استهلاكهِ لان حالتها الحاضرة تستدعي بعض المصاريف التي لا مهرب لها منها . وعلى كل لا نظنها الآ راضية باقتراح البنك العثماني اذ ان مماطلتها ربما جرت عليها بعض الخسارة بداعي زيادة الفائدة كما يشتهيهِ فريق كبير من حاملي قراطيسها استناداً على المادة الحادية عشرة من ارادة محرم

ثم باي سعر يصدر القرض الجديد . فاذا تصفحنا الجداول المنشورة عن قيم القراطيس في بورصة باريز وجدنا ان القراطيس العثمانية التي فائدتها ٤ في المائة يساوي الواحد منها ٤٨٠

فرنكا اي بنسبة ٩٦ في المائة لان سعرها الاسمي هو ٥٠٠ فرنك . ومعلوم ان هذه القراطيس تتعلق رأساً بوزارة المالية العثمانية ويحسب حاملو القراطيس ان ضمانتها لا تعادل ضمانة القرض الجديد لان الكافل لهذا القرض هو الايرادات الحالية الممنوحة للدائنين القدماء منذ سنة ١٨٨١ وهذه الايرادات ستبقى تحت سيطرة اللجنة الدولية كما هي الآن . فلذلك لا نرانا في غلط اذا قلنا ان سعر القرض الجديد لا يقل عن ٩٦ في المائة

فمن هذه الملاحظة يصح الاستدلال على ان الدائنين القدماء سيجنون من وراء القرض الجديد ارباحاً لم يكونوا لينتظروها وهذه الارباح تتراوح بين ١٨ و ٢٤ في المائة ويسبق كدليل صادق على الكسب ارتفاع اسعار القراطيس العثمانية في هذه الآونة الاخيرة

بنك باره بالبرازيل يوسف ضاهر

ربّات التحرير وربّات الخدور

دع ابناء المشرق يتجادلون في وجوب الحجاب وحبس النساء في الخدور ويوجبون ما لم يوجبهُ اسلافهم الاولون(١) ولا شاع في بلاد الا لما مال نجم سعدها الى الافول وهلمَّ بنا الى ربوع اوربا واميركا حيث يشارك النساء الرجالَ في كل الاعمال لا في الحرث والزرع والحرف الحقيرة فقط كما يفعل نساء الفلاحين والفقراء عندنا بل في الاعمال الكبيرة ايضاً التي تقتضي علماً ودراية كالطب والتجارة والتحرير والمحاماة

اطّلعنا الآن على مقالة في مجلّة كاسل الانكليزية وصف فيها كاتبها النساء محرّرات الجرائد في مدينة لندن ويظهر من وصفهِ ان اولئك الكاتبات يحررنَ جرائدهنَّ او جرائد غيرهنَّ اسماً وفعلاً فيبحثنَ عن المواضيع وموادها وينشئنَ المقالات فيها ويحررنَ ما ينشئهُ غيرهنَّ كما يفعل كبار المنشئين والمحررين . من هؤلاء المحررات مسز بير وهي صاحبة الجريدة المسماة صنَدي تيمس وقد كانت مساعدة في تحرير الجريدة المسماة بالابزرفر لما كانت تلك الجريدة لزوجها . ثم انشأت الصندي تيمس واشتغلت بتحريرها فصيّرتها من الجرائد ذات الشأن

(١) قال الامام الرحالة شرف الدين بن بطوطة في رحلته المشهورة انهُ دخل دمشق وسمع في جامع بني أمية على جلة علمائها فاجازوهُ كلهم وفي جملتهم الشيخة الصالحة ام محمد عائشة بنت محمد بن مسلم الحرّاني والشيخة الصالحة رحلة الدنيا زينب بنت كمال الدين احمد المقدسي وكان ذلك سنة ست وعشرين وسبعماية للهجرة الموافقة سنة ١٣٢٦ للميلاد

ومنهنَّ مس هلدا فردركس وهي لغوية مشهورة تتكلَّم بكل اللغات الاوربيَّة . تعرَّف بها المستر ستد صاحب مجلَّة المجلاَّت الانكليزيَّة حينما كان عازماً على تحرير البال مال غازت فطلب منها ان تكون سكرتيرًا لهُ فقبلت ذلك وصارت تكتب في جريدتهِ ايضًا وكان ينظر الى مقالاتها كما ينظر الى مقالات الرجال تماماً ويعطيها اجرة ما تكتبهُ كما يعطي الرجال الذين يكتبون مثلها . ثم لما ترك تلك الجريدة كانت قد صارت من المحررين فيها فتركتها هي ايضاً وانضمت الى محرري الوستمنستر غازت . ثم عرض عليها تحرير الوستمنستر بدجت فقبلتهُ وجرت في تحريرها على خطتها وهي خطَّة الاحرار ويقال إنها من النابغات في انشاء المقالات السياسيَّة

ومنهنَّ مسز بدفُوْد فنك صاحبة جريدة التمريض . اخذت في تحرير هذه الجريدة لكي تبين نفع الممرضات وتنقل اليهنَّ الفوائد التي يحتجنَ اليها وتحثَّ الامَّة على تعليمهنَّ والاعتناء عليهنَّ . ورأست فرع التمريض في معرض شيكاغو وكان لها شأن كبير في المؤتمر الذي تلاهُ . وانشأت مؤتمر التمريض في مدينة لندن. ولمَّا نشبت الحرب بين تركيا واليونان جمعت ما يكفي من المال ومضت الى ساحة الوغى ومعها ثلاثون من الممرضات الانكليزيات لتمريض الجرحى

ومنهنَّ مس جوبث هيل وقد ربيت في قصر الملكة فكتوريا لان اباها كان خزندارًا لهُ ودرست في مدرسة الملكة. وعُرض منصب مساعدة في تحرير جريدة ميرا على احدى صديقاتها فوجدت نفسها غير قادرة عليهِ واشارت على الذين عرضوهُ عليها ان يعرضوهُ على مس هيل فعرضوهُ وقبلت بهِ من غير تردُّد وكان ذلك منذ خمس عشرة سنة وهي الآن المحررة الاولى لتلك الجريدة ولها في هذا المنصب سبع سنوات

ومنهنَّ مس رنا شل محررة جريدة السيدة (لادي) والذي ينظر اليها وما على صدرها من الحلى وما في غرفتها من فاخر الاثاث يظنها من الغواني ذوات الغنج والدلال ولكنهُ اذا تكلَّم معها رأى علماً وذكاء وهمَّة عالية . وقد ابتدأت من الدرجة السفلى في تحرير الجرائد وارتقت رويدًا رويدًا الى ان صارت رئيسة التحرير

ومنهنَّ مسز هركورت وليمصن وقد انشأت جريدة اسبوعية منذ سنة ونصف فابلغتها الدرجة العليا بين الجرائد الاسبوعية لانها كثيرة التردد على بلاط الملك وعلى قصور الامراء والعظماء فتقف على اخبار يتعذَّر على غيرها الوقوف عليها . وهي بارعة في التحرير لانها مارست هذه الصناعة عند رجل من كبار المحررين وكانت تكاتب جريدة العالم (الورلد) وتكتب فصول الجمعيَّة في الدايلي مايل ثم في الدايلي اكسبرس

وذكرت مجلة كاسل كثيرات غير هؤلاء المحررات اجتزأنا عن ذكرهنَّ بمن ذكرنا

هذا وكثيرات من النساء الاوربيات والاميركيات يؤلفن الكتب المختلفة الانواع ولاسيما الروايات وقد جارين الرجال في هذا المضمار او فقنهم فيهِ وهنَّ يكتسبن من رواياتهنَّ كما يكتسب الرجال او اكثر وبعضهنَّ يكاتبن المجلات الكبيرة. وقد ذكرنا غير مرة انك اذا رأيت في المجلة خمس عشرة مقالة فالغالب ان ثلاثًا منها باقلام النساء . واكثر كتاباتهنَّ في المواضيع الادبيَّة والاجتماعيَّة مثال ذلك الجزء الاول من مجلة القرن التاسع عشر الصادر في غرة هذا العام فيهِ خمس عشرة مقالة ثلاث منها باقلام النساء الاولى بقلم لادي غندولين رمسون وموضوعها هل الآداب احط الآن مما كانت عليهِ قبلاً

والثانية بقلم مس اني غلادستون وموضوعها نظرة اخرى الى روايات جنة اوستن . وجنة اوستن هذه كاتبة انكليزيَّة شهيرة قال ماكولي الكاتب الثقة انها في مقام شكسبير وفضَّلها هولس على سكوت وبلوَر ودكنس وثكري وجورج اليوت وكلهم من نخبة كتَّاب الانكليز بل هم اشهر مؤلفي الروايات

والثالثة بقلم مسز كليفورد وهي رواية تمثيليَّة صغيرة

وفي الجزء الصادر في فبراير ست عشرة مقالة اربع منها باقلام النساء الاولى بقلم لادي بنسبي عن بورت رويال وبسكال وقد ابدعت في وصف ذلك الدير وذكرت من اوصاف بسكال وشدَّة تدينهِ ما قلما تراهُ في ترجماتهِ . والثانية بقلم السيدة مود بونسفرت عن مدينة وشنطون عاصمة جمهورية اميركا . والثالثة بقلم مسز فردرك هريصن زوجة فردرك هريصن الفيلسوف الشهير وموضوعها الخادمة ومولاتها استهلَّتها بقولها ان جماعة من السيدات كنَّ مجتمعات في بيت وجعلنَ يذكرن ما يمكن ان يفتخرنَ بهِ لو عشنَ سبعين سنة اخرى في مدينة لندن مما يتمتعنَ بهِ الآن فقالت الواحدة اني اقول كنت ساكنة في بيت وحدي وكلهُ لي وقالت الثانية وانا اقول انهُ كان لي مركبة تجرها خيولي . وقالت الثالثة وانا اقول اني كنت اكتب مكاتيبي بقلمي . وقالت ربة البيت اني اقول انهُ كان عندي خدَم يخدمنني . ثم اخذت الكاتبة في تفصيل ذلك كلهِ وسرعة انتشارهِ في تلك المدينة حتى تصير البيوت شققًا يسكنها الناس ويقدَّم لهم فيها ما يحتاجون اليهِ من طعام وشراب باقل ما يكون من النفقة . ثم ابدت النصائح الكثيرة للبنات لكي لا يحتقرنَ الخدمة في البيوت بل يفضلنها على غيرها من الاعمال التي يستطعنَ عملها والنصائح لربات البيوت ليعاملنَ الخادمات كبناتهنَّ فيخدمنهنَّ بامانة ونشاط وتصير الخدمة البيتيَّة من الاعمال الشريفة التي يرغب فيها . والرابعة بقلم مسز بارنت عن كيفيَّة انشاء توينبي هول وهي دار في افقر احياء لندن ينزل فيها اهل الفضل لكي يستطيعوا

ان يعاشروا السكان ويعلموهم ويساعدوهم وقد سميت كذلك نسبة الى المستر توينبي الذي اشتهر بعلمهِ وفضلهِ ومبراتهِ الكثيرة وكان لهُ اليد الطولى في انشاء هذه الدار ثم توفي شابًّا وعمرهُ احدى وثلاثون سنة واقترحت مسز بارنت الكاتبة ان تسمى باسمهِ فاتخذها زوجها القانون بارنت وسميت باسم توينبي . ووصفت في هذه المقالة كيفية اهتمام جلة القوم من الانكليز ولاسيما من تلامذة اكسفرد وكمبردج باصلاح شأن الفقراء

وقد طالعنا كثيرًا مما يكتبهُ نساء الافرنج في مواضيع مختلفة فرأيناهنَّ يطرقن في الغالب المواضيع الادبيَّة التي من هذا القبيل ولا يكتفين بالاقوال والآراء بل يدرسنَ ويبحثنَ ويحققنَ ثم يستخلصنَ نتيجة بحثهنَّ وينشرنها والغالب انهنَّ يكتسبنَ باقلامهنَّ كما يكتسب الرجال لانهنَّ يتأهلنَّ للكتابة مثلهم ويجتهدنَ اجتهادهم

سدني كوبر المصور

اذا صحَّ للناس ان يكرموا الذين فاقوا في اتقان الفنون المادية التي تقضى بها حاجات الجسد العرضيَّة فما اخلقهم ان يبالغوا في اكرام الذين اتقنوا الفنون الجميلة التي تقضى بها حاجات النفس الجوهرية كالشعر والموسيقى والتصوير

على ان الناس لم يقصروا في اكرام الشعراء والموسيقيين والمصورين في كل عصر وقطر فان كان اليونان قد اكرموا ارسطو وسقراط وافلاطون وغيرهم من كبار فلاسفتهم فهم قد الَّهوا هوميرس شاعرهم المشهور من قبلهم وفيدياس النحات الشهير . وان كان الرومان قد اقاموا التماثيل لفلاسفتهم فهم قد رفعوا اسم فرجيل شاعرهم فوق كل اسم . وذكر رفائيل وانجلو ودانتي وروسيني احلى في مسمع كل ايطالي من ذكر غليليو . والالماني يطرب لذكر جيتي وبيتهوفن اكثر مما يطرب لذكر هجال الفيلسوف الكبير . وذكر هيجو عند الفرنسوي اطيب من ذكر لافوازيه ودياس وكل انكليزي يرى في صور كوبر الحقيقية من المعاني ودواعي انبساط النفس وانشراح الصدر ما لا يراهُ في صور الفيلسوف هربرت سبنسر الخيالية

وكوبر الذي نحنُ في صدد الكلام عليهِ من اعظم مصوري الانكليز في القرن التاسع عشر واعظم ما اشتهر بهِ صورهُ عن قطعان الغنم والبقر السائمة في مراعيها الرابضة في مراتعها فوصف بقلم المصور قناعة البقر ووداعة الغنم وصفًا يعجز ابلغ الكتاب عن المجيء بمثلهِ لانهُ مثَّل بهِ الطبيعة كما ترى في الصورة التالية

ولد صاحب الترجمة سنة ١٨٠٣ ايام كان الانكليز يحاصرون عكاء بقيادة الاميرال السر سدني سمث وكان لهُ عمٌّ من نسباط بارجتهِ فلما انتهى الحصار سألهُ السر سدني سمث عما اذا كان عندهُ اخبار من عائلتهِ في انكلترا فاجابهُ ليس عندي اخبار تذكر سوى انهُ ولد لشقيقي ابنٌ آخر منذ غادرنا انكلترا فقال لهُ السر سدني قل لهم اذا ان يسموهُ باسمي. ولكن لم يبلغهم ذلك حتى كانوا قد عمّدوا الطفل وسموهُ توماس فاتخذ لنفسهِ اسم سدني فيما بعد فصار اسمهُ توماس سدني كوبر

ولد فقيرًا وعاش كدودًا . وشغف بالتصوير وهو طفل صغير ولما بلغ التاسعة من عمرهِ لم يكن في جيبهِ درهم ففي ذات يوم تأبط لوح حجر وسار الى المروج يئسًا منقبض النفس لفقرهِ وكان قد لقي رفيقًا لهُ في اثناء الطريق فاخبرهُ رفيقهُ ان اباهُ سيرسلهُ مرتين في الاسبوع الى معلم يعلمهُ الرسم والتصوير فزاد وجهُ كوبر اكتئابًا ونفسهُ انقباضًا على ذلك الخبر. فسار الى المروج المذكورة وجعل ينتقل فيها من مكان الى مكان حتى قاربت الشمس الزوال واخذت تتوارى في الحجاب وسالت بفيض شعاعها الذهبية الاودية والهضاب فأثر ذلك المنظر تأثيرًا عظيمًا في نفسهِ وصورهُ بعد اربعين سنة فجاءت صورتهُ بديعة المثال بعيدة الشهرة فسماها " انقشاع الغيوم عند المغيب " وكانت رائد اشتهارهِ واول معارك انتصارهِ

ولما بلغ الحادية عشرة من العمر كان بونبارت يتهدد اوربا بحروبهِ فرأى بلوخر في لندن قبل اشتراكهِ مع دوق ولنتون في معركة واترلو الشهيرة ورأى الجنود تجمع استعدادًا للذهاب الى محاربة بونبارت بعد هربهِ من جزيرة ألبا وكان اذ ذاك تلميذًا في المدرسة

قلنا انهُ كان فقيرًا فلم يستطع الانفاق على نفسهِ لتعلُّم التصوير ولكن صديقًا لاهلهِ استخدمهُ لدهن المركبات وتلوينها فتعلَّم التلوين وتمرَّن عليهِ مدة واهدى اليهِ بعض المصورين رزمة من اقلام الرسم والتلوين ولكن لم يكن معهُ مبراة ليبريها بها فرأى ذات يوم كاهنًا يتمشى على الطريق ويداهُ خلف ظهرهِ فتقدم منهُ وسألهُ عما اذا كان معهُ سكين فأجابهُ بالايجاب وقال ماذا تريد بها فاخبرهُ بمرادهِ فرقَّ لهُ وبرى اقلامهُ كلها وكان كوبر قد اراهُ بعض صورهِ فاعجب بها واطنب في مدحها ثم سار في سبيلهِ ولم يكد يغيب عن بصرهِ حتى علم انهُ رئيس اساقفة كنتربري وكان في طليعة الذين جرَّأوهُ على عملهِ فانهُ اشترى صورة من صورهِ بخمسة جنيهات وكان قد طلب بها خمسة شلينات .

ولم يعدم نصراء آخرين غير رئيس الاساقفة فان طبيبًا في الجيش رقّ لهُ وكان بارعًا في التصوير فعلمهُ بعض الشيء منهُ . وما زال يكدّ ويجدّ حتى استخدم في جمعية تمثيل لتصوير

المناظر وكانت تعطيهِ جنيهاً في الاسبوع . ولكنهُ عاد بعد ذلك الى دهن المركبات وتلوينها حتى اسعدهُ الحظ بدخول مدرسة التصوير فدرس فيها بعض المبادئ الى ان اضطرهُ اعوازهُ ان يعود الى وطنهِ حيث اخذ في تعليم مبادئ الرسم والتصوير لبعض الاولاد فكان يقطع نحو ١٥٠ ميلاً في الاسبوع وهو يجول من مكان الى مكان لتعليم صناعتهِ



منقولة عن صورة من صور كوبر الشهيرة

ولما بلغ الرابعة والعشرين اتفق هو وصديق لهُ على السفر الى اوربا والاشتغال بفن التصوير هناك فسافرا الى فرنسا ولم يكونا يعرفان الفرنسوية ولكن كوبر كان يحسن اللعب على الفلوت فقال لصديقهِ اذا لم استطع كسب رزقي بالتصوير كسبتهُ باللعب على الفلوت . ثم سافرا الى دنكرك فبروكسل عاصمة البلجيك وجعلا يعملان اولاً في كتابة آرمات الحوانيت ودهنها . ووجد كوبر تلاميذ من كبراء القوم فتعرف باحد مشاهير المصورين بواسطتهم

ولم تمضِ على ذلك سنتان حتى تزوج ابنة رجل انكليزي ساكن في بروكسل ثم عاد الى انكلترا بامراتهِ وكان في جيبهِ ثلاثة عشر جنيهاً لا غير فاقام في كنتربري ثم في لندن حيث اتفق هو ورجل آخر ان يرسم لهُ رسوماً على ان يأخذ خمسة شلينات ثمن كلٍّ منها فنجا بذلك من مخالب الموت جوعاً هو وزوجتهُ

وذات يوم جال في خاطره ان يصوّر البقر والغنم التي في الحديقة المعروفة برجنت بارك وكان ذلك بدء عمله الحقيقي فجعل يذهب كلّ يوم الى المكان المذكور وفي جيبه برتقالة وقليل من الكعك ثم يجلس برسم ويصوّر البقر والغنم حتى الساعة الرابعة مساء وكان يصورها في جميع حركاتها وسكناتها ولفتاتها وجثماتها . وكان بين تلك الانعام بقرة اراد تصوير حركاتها وهي تقضم العشب وتمضغهُ ولكنها كانت كثيرة الحركة لا تستقر على حال فاتعبتهُ جدًّا وقد قدر انهُ مشى نحو مئة ميل في اثرها حتى استطاع تصويرها

وقضى العمر وهو يعود الى تصوير قطعان الغنم والبقر وما يتّصل بها من مناظر المزارع والحقول والرعاة والفلاحين حتى بلغ فيها حد الابداع وصار لصوره المقام الاول في معارض الصور وتهافت المصورون على نقلها اكثر مما تهافتوا على نقل غيرها . وقد انتقدوا عليهِ في اول الامر هذا التكرار بل هذا الاخصاء لكنهم عادوا فاعترفوا لهُ بالفضل وبانهُ اجاد في اتقان شيء يتعذر على المرء اتقانهُ ان لم ينقطع لهُ . وقد خالف مقتضى طبعهِ مرارًا لكنهُ ما لبث ان عاد اليهِ حالاً وقد قال في صدد ذلك ما ترجمتهُ

" لقد حاولت مرارًا ان اعلو فوق المناظر العادية مناظر الحقول والقطعان لكنني كنت كمن يخالف طبعهُ فلا يقر لي قرار حتى اعود اليها"

ولم يكن قويّ البنية ومع ذلك عاش تسعًا وتسعين سنة . ولما بلغ الخمسين من عمرهِ اصابتهُ تخمة شديدة وكان طبيبهُ يظن انهُ لا يعيش الى الستين فهجر سكن المدن وفرّ الى الجبال للاستشفاء من دائهِ ولكن صحتهُ لم تحسن في بادىء الامر حتى ان طبيبهُ قال لهُ " كل ما استطيع عملهُ لك هو ان اخفف عنك آلامك لا ان اشفيك لانني لا استطيع ان اخلق لك معدة جديدة " فاجابهُ كوبر " اذًا انا اشفي نفسي " وهكذا فعل . فانهُ انقطع عن مآدب لندن وولائمها وهوائها المتكاثف بالدخان الى عيشة الجبال باكلها البسيط وهوائها النقيّ . وهاك ما كتب في وصف معيشتهِ حينئذٍ قال :—

" بذلت جهدي في استعادة صحتي فكنت انهض باكرًا وانصب لوحة التصوير قبل الفطور ثم اتناول الطعام الساعة الثامنة وكنت غالبًا ابدأ العمل قبل الطعام : ولم اصوّر داخل المنزل بعد الساعة الثالثة . وكنت امشي خمسة اميال او ستة كلّ يوم قبل العشاء ولكنّ ذلك لم يشفني من التخمة والاضطراب العام الذي المّ بي . ولقد عشت عيشة حرّةً غير مقيدة بقيود الهيئة الاجتماعية وروابطها حتى بلغت الثلاثين من العمر فلم اشرب كاسًا من الخمر لاني لم اعاشر الذين يشربونها ولا كانت دنياي تمكنني من شربها . وسأعود الآن الى

عيشة البساطة فاترك شرب الشاي واكتفي بالطعام الساذج في الصباح من مطبوخ الدقيق والملح بلا لبن . وأعتني بمضغ طعامي جيداً فلا احمّل اسناني ما يجب ان تحمله السكين ولا احمّل معدتي ما تستطيعهُ اضراسي . ولا آكل اكثر مما اظنهُ كافياً لي لانني لا اريد ان انبش قبري باسناني وقد عزمت ان اسيّر حياتي في المستقبل على الخطة التي اتبعتها في صباي وهذا استطيعهُ في القرى اكثر مما استطيعهُ في المدن"

فكانت نتيجة السير على هذه الخطة انهُ عاش تسعاً وتسعين سنة . ولما بلغ السنة الثامنة والثمانين كان يستطيع القراءة بلا نظارات ويحسن التصوير بالالوان اكثر مما كان يحسنهُ وهو ابن ستين سنة . وهذا ما قالهُ وهو يناهز التسعين :—

" اؤكد ان الرياضة اليومية وانتظام المعيشة وخصوصاً انتظام ساعات الطعام خير مساعد للانسان على مداواة عسر الهضم . فقد كنت امشي خمسة اميال او ستة كل يوم اما الآن فامشي ثلاثة او اربعة ولكن بانتظام وفي سرعة واحدة . واصوّر كل يوم من الساعة السابعة صباحاً في فصل الصيف والساعة السابعة ونصف في فصل الشتاء حتى الساعة الثامنة وهي وقت تناول الطعام وبعد الطعام اعود الى التصوير حتى الغداء الساعة الثانية عشرة فآكل جيداً واشرب قليلاً ثم اصوّر حتى الساعة الثالثة وحينئذٍ اخرج للنزهة واعود قبيل الساعة السادسة فاغتسل ثم اجلس للعشاء الساعة السادسة وكنت اشرب كأساً من الخمر مع العشاء ولكنني هجرتها وهجرت سائر انواع الخمر بعد مرضي الاخير. ثم اقرأ الجرائد . وفي الساعة التاسعة ادخن سيجاراً ثم انام الساعة العاشرة "

وعاش كذلك الى ان توفي في السابع من شهر فبراير سنة ١٩٠٢ وعمرهُ تسع وتسعون سنة وكانت شهرتهُ في تصوير المناظر الطبيعية قد طبقت البلدان وجمع من ذلك ثروة طائلة فانشأ مدرسة للتصوير في بلدهِ ووقف عليها ما يقوم بنفقاتها

هذا ومن طالع فصل المصورين العظام في كتاب سر النجاح يجد ان كثيرين منهم نشأوا في الفقر وقاسوا شظف العيش وتحملوا اشد المشاق قبلما عرف معاصروهم قيمة اعمالهم وقدروهم قدرهم . ومنهم من مات ولم يقدَّر قدرهُ الا بعد موته وكان يبيت على الطوى وتمرُّ الايام وهو لا يكاد يجد كفافهُ من الطعام . فلم يكن كوبر من الشواذ التي لا يبنى عليها حكم بل كان شأنهُ شأن كثيرين غيرهِ من كبار المصورين . فعسى ان يكون ذلك مشدداً لعزائم الذين تعاطوا هذه الصناعة من ابناء المشرق ولم يروا من مواطنيهم الاقبال الذي ينتظرونهُ

عمران العراق

العائلة

عقد الاستاذ سايس فصلاً مسهباً للكلام على العائلة عند البابليين القدماء فاقتطفنا منهُ وممّا كتبهُ غيرهُ في هذا الموضوع السطور التالية

اول شيء ينظر فيهِ عند البحث عن العائلة لمن من الزوجين كانت السيادة في البيت . فانَّ الناس اختلفوا في ذلك والغالب ان السيادة كانت للزوجة اولاً ثم صارت للزوج الاَّ ان انتقالها من الزوجة الى الزوج لم يقع في وقت واحد ولا في درجة واحدة من درجات ارتقاء الامم . والامم التي عمَّرت بابل كانت من اصلين مختلفين احدهما يجعل السيادة للزوج والآخر يجعل السيادة للزوجة فالشعوب السمارية كانت من الاصل الثاني اي الذي يجعل السيادة للزوجة والشعوب السامية من الاصل الاول الذي يجعل السيادة للزوج كما يظهر من الاناشيد القديمة المحفوظة في لغتيهما

وبقي للمرأة شأن كبير عند البابليين فكان نساؤهم يشاركن الرجال في اعمالهم التجاريَّة يبعنَ ويشترين ويقترضنَ ويداعين في مجالس القضاء ويشهدنَ على الخصوم ويهبن املاكهنَّ . وقد وُجد عقد من عهد الملك نبونيدس الذي كان قبل المسيح بخمس مئة وخمس وخمسين سنة وفيهِ ان رجلاً كتب كل ما يملكهُ لابنتهِ وتعهَّدت الابنة ان تقوم بكل ما يحتاج اليهِ من مأكل ومشرب ومأوى . وصك من عهد قورش يقال فيهِ ان امرأة اسمها نبطة (اي نخلة) استأجرت عبدًا مدة خمس سنوات على ان يتعلم صناعة الحياكة ويحيك لها على نولها وهي تعطيهِ اجرةً معلومة من الحبوب كل يوم . ويستدلُّ من ذلك انهُ كان عندها معمل للنسج وكانت تستأجر العبيد ليعملوا فيهِ . ويقال في نسبتها انها ابنة رجل سوري تبناهُ سوري آخر واستوطن بابل ولما مات المتبني ادَّعت زوجتهُ انها كانت تتَّجر مع زوجها بعد زواجهما واشتريا بيتًا دفعا ثمنهُ من صداقها وبلغ الثمن ١١٠ امناء و٥٠ شاقلاً او نحو ٦٢٥٠ غرشًا ولكن قام اخو زوجها وادَّعى انهُ من ممتلكات اخيهِ ورُفعت الدعوى الى ستة من القضاة في السنة التاسعة من مُلْك نبونيدس فحكموا لها . وفي عقد من عهد ابرهيم الخليل ان رجلاً وهب زوجتهُ جاريةً لتكون ملكًا لها هي واولادها سواء بقيت الزوجة في عصمتهِ او طُلّقت منهُ او مات عنها . وفي عقد من اول عهد نبونيدس ان رجلاً مصريًّا استوطن بابل فاعطي الرعويَّة البابليَّة ومات عن ابن وابنة يورثاهُ معًا على السواء . ويقال في كتابة أُخرى ان رجلاً استدان مالاً من كمبيسس بن قورش

في السنة الرابعة لابيهِ ورهن عندهُ بيتهُ ثم توفي فرفع كبيسس الدعوى على ورثتهِ فأوفت زوجتهُ الدين واستفكّت الرهن . ووجدت صكوك يقال فيها ان الرجال ونساءهم كانوا يستدينون الاموال معاً بالتضامن والتكافل وان النساء كنَّ يبعنَ العبيد او يشترينها ويتاجرن ويداعين ونحو ذلك مما يدلُّ على ان المرأة كانت مساوية للرجل تماماً في كل الحقوق والمعاملات سواء كانت متزوجة او ايّماً

وكان النساء مثل الرجال في الحقوق الدينيَّة كما في الحقوق المدنية فكان منهنَّ الكاهنات والنبيَّات والمترهبات في خدمة الآلهة وكان الملوك يستشيرونهنَّ كما يستشيرون الكهان . ومن هؤلاء المترهبات ابنة الملك ابي صادق وهو الرابع بعد حمورابي

وكانت شرائع بابل تُطلَق على كل مَن يستوطنها من الامم المجاورة وقد كشفت عقود وصكوك كثيرة من هذا القبيل مثال ذلك ان امرأة امورية رفعت دعوى علي رجل وضع يدهُ علي حقل كان لابيها لحكم لها بهِ ثم قام رجلان واختهما وادعوا على هذه المرأة واخيها ببيت وحقل وعبيد فرفض القضاة دعواهم . ووجد في الكتابات التي كشفت في تل الامرنة بمصر رسالة بابليَّة من امرأة كنعانية تخاطب بها ملك مصر في بعض الشؤون السياسيَّة

والظاهر ان شرائع بابل كانت مرعيَّة في سوريَّة على عهد ابرهيم الخليل كما يظهر من اقتناء سارة لهاجر امتها ومن توريث بني اسرائيل بناتهم كما يرث ابناؤهم عند اول دخولهم بلاد كنعان

وكانت الزوجة تأتي بالصداق من بيت ابيها ويبقى صداقها ملكاً لها توصي بهِ لمن تشاء بعد موتها واذا طُلِّقت من زوجها عادت بصداقها الى بيت ابيها . وكثيراً ما كان الزوج يلزم بنفقتها بعد طلاقها اذا كان ذلك مشروطاً في عقد الزواج مثال ذلك عقد تاريخهُ السنة الثالثة عشرة لنبوخذنصر فيهِ انهُ اذا تزوج الرجل امرأة اخرى فذلك بمثابة تطليقهِ زوجتهُ الاولى فيلزم بان يرد اليها صداقها ويعطيها ايضاً منّاً من الفضة (اي تسع مئة غرش)

وكانت مفردات الصداق تذكر في عقد الزواج فالنقود يذكر وزنها والعبيد والجواري والمواشي والعقارات تذكر اعيانها وقيمتها فيقال مثلاً عبد ثمنهُ كذا شاقلاً وبيت ثمنهُ كذا منّاً . وقد لا يدفع الصداق كلهُ فيتعهد الاب بدفعهِ بسند او برهن

وهذه العادة اي دفع صداق الابنة من ابيها لا من زوجها بابليّة محضة مخالفة لعادة الاسرائيليين وغيرهم من الساميين فان الزوج منهم يدفع صداق زوجتهِ

واذا توفي ابو الابنة قبل زواجها تقوم امها بصداقها ولو كانت مطلقةً والاَّ قام بهِ اخوتها

مثال ذلك عقد تاريخهُ السنة السادسة عشرة للملك نبونيدس يقال فيهِ ان اخوين زوَّجا اختهما من رجل واعطياها صداقًا ارضًا موروثة من امها وعبدًا وثيابًا واثاثًا

وكان الزوج يهتم بصداق زوجتهِ ولهُ حق الانتفاع منهُ ما دامت الزوجة في عصمتهِ وكثيرًا ما كان يستعين بصداقها في عملهِ او تجارتهِ فقد وجدت صكوك يقال فيها ان الزوج والزوجة تشاركا في تجارة رأس مالها صداق الزوجة . ولكن الغالب ان الزوجة كانت تقوم بنفسها على استغلال صداقها او الاتجار بهِ

واذا توفي رجل واقترنت زوجتهُ برجل آخر اخذت صداقها معها . ويرث اولادها من زوجها الاول ثلثي صداقها عند موتها . وكذلك اذا تزوج رجل زوجة ثانية فلاولادهِ من زوجتهِ الاولى ثلثا ميراثهِ ولاولادهِ من زوجتهِ الثانية الثلث فقط . هذه هي الفريضة الشرعيَّة ويجوز تغييرها بوصية يوصيها الرجل ويشهد على صحتها شهودًا عدولاً

ولا يجوز للمرأة ان تهب صداقها او تبيعهُ في حياة والديها الاَّ برضاهما فقد وجد صك بيع من عهد الملك نرجلشامر وفيهِ ان امرأة باعت عبدًا كان في صداقها ولم يصح البيع حتى امضى ابوها وامها على صحتهِ

والصداق لا يقطع الميراث فكانت الابنة ترث نصيبها من والديها غير صداقها وتتصرَّف باملاكها وكل ما تكتسبهُ تصرُّف المالك بملكهِ ولا تُسأل عن دين يستدينهُ زوجها او ذووهُ

ومجيء المرأة بالصداق من بيت ابيها جعل لها المنزلة المساوية لمنزلة الرجل وحفظ استقلالها ورفع مقامها في عيني زوجها وابقى لها حق التصرف المطلق بنفسها وممتلكاتها وجعلها شريكة لزوجها يتعاونان على اخلاف النسل وتربية الاولاد وقضاء مهام الحياة . ولو كان الصداق من زوجها لعُدَّ ثمنًا لها او قيمة تسليمها نفسها لهُ كما يقول الفقهاء عندنا فانحطَّت منزلتها كما انحطَّت في كل البلدان التي يكون فيها الصداق من الزوج

وقبل ذلك كان الزوج يعطي الصداق للزوجة والظاهر ان هذه العادة قديمة جدًّا واصلها سامي ايضًا وبقي منها حق الزوج في تطليق الزوجة وتشديد العقاب عليها اذا تركتهُ وتخفيف العقاب عليهِ اذا تركها . وبقيت هذه الشريعة من ايام ابرهيم الخليل الى ايام نبوخذنصر فقد جاء في عقد زواج كتب في ايامهِ بين رجل وامرأة مغنية انهُ اذا طلقها فعليهِ ان يعطيها ستة امناء (٥٤٠٠ غرش) واما هي فاذا تركتهُ وصارت لآخر فعقابها القتل . والمرجح ان هذه المرأة لم تكن من مقام زوجها فهُدِّدت بالعقاب الشديد ردعًا لها عن البغاء ولم يكن معها صداق فكانت كاحدى السراري

وكان التسري شائعًا عندهم والسراري زوجات يشتريهن الازواج الاغنياء ويستولدونهنَّ ويعقدون عليهنَّ عقدًا شرعيًا واذا طلقوهنَّ وجب عليهم ان يعطوهنَّ ما يصير الاتفاق عليهِ في عقد الزواج مثال ذلك عقد كتبهُ رجل تزوج ابنة فاعطى امها منًا ونصفًا من الفضة (اي نحو ١٣٥٠ غرشًا) وعبدًا ثمنهُ نصف منًا (٤٥٠ غرشًا) وتعهَّد انهُ اذا تزوج بأخرى يطلق ابنتها ويعطيها منًا من الفضة (٩٠٠ غرش) ويردها الى بيت امها . فكأنهُ اشتراها بمالهِ ثم يضطرُّ ان يطلقها اذا تزوَّج باخرى لان الجمع بين زوجتين معًا لم يكن مباحًا . وكان يباح للاغنياء في الزمن الغابر ان يجمعوا بين زوجتين معًا فقد جاء في كتابة قديمة من عهد حمورابي ان رجلاً تزوَّج امرأةً ثم تزوَّج ابنةً تبناها ابوها واشترط في عقد زواجها ان تخدم زوجتهُ الاولى فتهيئ طعامها وتحمل كرسيها الى الهيكل لتجلس عليهِ حينما تذهب الى العبادة . ويستدل من ذلك ان الزوجة الثانية كانت في مقام جارية مشتراة لانها لم تأتِ بصداق ولانها قبلت ان تخدم الزوجة الاولى ولذلك يمكن ان يقال ان الاضرار لم يكن مشروعًا عند البابليين لا قديمًا ولا حديثًا واما الطلاق فكان مشروعًا وكان يجوز للمطلقة ان تتزوَّج كما يجوز للارملة ولكن اولادها من زوجها الاول لا يرثون من زوجها الثاني . فقد جاء في كتابة تاريخها السنة التاسعة من ملك نبونيدس ان رجلاً اسمهُ بعل قصير تبنَّاهُ عمهُ وتزوج ارملة لها ولد ولم تلد لهُ اولادًا فطلب من عمهِ ان يسمح لهُ بجعل ابن زوجتهِ وريثًا لهُ فابى عمهُ ذلك وقرَّ القرار اخيرًا على انهُ اذا لم يولد لبعل قصير اولاد وجب عليهِ ان يتبنَّى اخاهُ حتى ينتقل ميراث عمهِ اليهِ ويبقى الارث في العائلة ولا ينتقل الى غيرها

ولم يكن الزواج عندهم شرعيًا الَّا اذا كتب بعقد شرعي وقَّع عليهِ القاضي والشهود . وكان للزواج صفة دينيَّة ايضًا فتجري فيهِ بعض الرسوم ويقول الزوج للزوجة لقد صرتِ زوجتي وصرتُ زوجك ليمتلئ حضنك ذهبًا وفضةً ولتثمري كما تثمر اشجار البساتين . ثم تشدُّ الاحذية على اقدام الزوجين ويعطيان كيسًا فيهِ ذهب وفضة . واقتصرت الخدمة الدينيَّة في عهد نبوخذنصر على وضع يد العروس في يد العريس

وقد ذكر هيرودوتس المؤرخ كلامًا مفادهُ ان البنات البابليات الجميلات كنَّ يقمن في هيكل الزهرة يتجرنَ بعرضهنَّ لكي يدفعن صداق الشنيعات لكن الآثار البابلية التي كشفت حتى الآن لا تؤيد هذا الخبر مطلقًا نعم كان في البلاد مومسات تعترف بهنَّ الشريعة وتحميهنَّ لكنهنَّ كنَّ فئة معلومة لا اتصال بينها وبين بقية النساء وكان للعفة والصيانة شأن كبير عند البابليين حتى انهم كانوا يعاقبون الزانية بالقتل . والظاهر ان ما ذكرهُ هيرودوتس كذب اختلقهُ

اليونان لتحقير البابليين

وكان الاولاد يرثون والديهم على السواء ذكوراً واناثاً الاَّ اذا اوصى والدوهم بغير ذلك والظاهر ان الوصية من مخترعات البابليين . وكان لا بدَّ من عقود شرعية لاثبات الملكيَّة مهما كانت فكل معاملات البابليين كانت بعقود مكتوبة يكتبها الكاتب ويوقعها القاضي حتى انتقال الاملاك من المورّث الى المورَّث صار بعقد شرعي ومن ثم نشأت الوصيَّة اي انها كانت اولاً لتمليك الوريث حسب الفريضة الشرعية ثم صارت لتمليك العين سواءٌ كانت ارثاً حسب الفريضة الشرعية اوهبةً حسب اختيار الموصي

من ذلك ان رجلاً اوصى بكل اموالهِ لابنتهِ وكتب في رأس الوصية انهُ حرم ابنهُ لانهُ عقهُ . وكان مسَّاحاً ولهُ ثلثا مكتب للمساحة ولاخيهِ الثلث فاوصى لها ايضاً بما يخصهُ منهُ .

ومما عُثر عليها من آثار اشور وصيَّة الملك سنحاريب فانهُ اوصى لابنهِ اسرحدون بخواتم من الذهب ومقادير كبيرة من العاج وكؤوس من الذهب وصحاف وقلائد وثلاثة حجارة كريمة زنتها منا ونصف وشاقلان ونصف

وقُتل سنحاريب في هذه الوصية لأنَّ ابنيهِ الاخرين تربصا الى ان مضى اسرحدون مع الجند الى ارمينية فقاما على ابيهما وقتلاهُ واغتصبا الملك . ووصيَّة سنحاريب غير مصدَّق عليها من المحكمة كأن ملوك اشور كانوا فوق الشريعة اما في بابل فان معاملات الملوك كان يصدق عليها مثل معاملات الرعايا . وقد كشف عقد زواج ابنة الملك نرجلشرزر باحد قوَّاد جيشهِ وهو مثل سائر عقود الزواج وفيهِ شهادات الشهود

وكان التبني قديم العهد عندهم واساسهُ ان ملوكهم لا يستحقون التسلُّط على المسكونة الاَّ بتبني الاله مردخ لهم . وكانت حقوق التملُّك مقرَّرة عندهم كما في كل البلدان التجارية فاذا كان لانسان ملك ولم يكن لهُ وارث رأى من حقهِ ان يتبنى مَن يرثهُ حتى لا يضيع ملكهُ . وكان النساء يتبنَّينَ كالرجال لانهنَّ يمتلكن ويرثنَ ويورثنَ مثلهم .

ولم يقتصر تبنيهم على الاحرار بل كانوا يتبنون العبيد ايضاً ومتى تبنُّوا العبد عُتِق ولم يعد استعبادهُ ممكناً لانهُ يصير حرًّا الاَّ اذا نقض المتبني عهدهُ واعادهُ عبداً ولذلك كان يقال في عقود بيع العبيد انهم لم يُتبنُّوا . وقد كشفت وقائع دعوى اقيمت على عبد اسمهُ براشيل ادَّعى انهُ تبني وعتق فبيعهُ فاسد وحكم في هذه الدعوى على العبد امام المحكمة الابتدائيَّة فاستأنف الى محكمة الشيوخ واستمرَّت المحاكمة زماناً طويلاً في عهد نبوخذنصر ونبونيدس وذكرت المستندات التي تدل على ان الرجل عبد رقيق وقد بيع ورهن مراراً وكانت عقود البيع

وعقود الرهن يذكر فيها انهُ لم يعتق ولم يتبَنَّ واعترف العبداخيرًا بانهُ لم يعتق قط فسلِّم لاسيادهِ

اما إبطال التبني فمثالهُ عقد قيل فيهِ ما ترجمتهُ " ان اقصى ابلا بن نورسن امضى عقدًا تبنَّى بموجبهِ عبدهُ رماني بل المسمى عادة رموت مقابل تقديمهِ الطعام والكساء لسيدهِ لكنهُ لم يقم بهذا العقد ولم يقدم لسيدهِ طعامًا ولا زيتًا ولا ثيابًا واما اساجل رمات بنت زيريا بن نبا زوجة ندين مردخ بن اقصى ابلا بن نورسن فآوَتْ حماها وقدَّمت لهُ الطعام والزيت والثياب فلذلك الغى اقصى ابلا بن نورسن عقد التبني وامر رماني بل بعقد شرعي ان يخدم اساجل رمات وابنتها نبتا ويطيعهما . ومن يغير هذا العقد او ينقضهُ ليكن الاله مردخ والآلهة زرفانت خصيمهِ " ويلي ذلك اسماءِ اربعة شهود والكاتب وحاشية يقال فيها ان العقد كتب امام بسا بنت اقصى ابلا

ومن مزايا التبني عند البابليين منح الرعوية البابليَّة للاجانب فاذا نالها احدهم صار بابليًّا ولو كان قبل ذلك عبدًا رقيقًا

وخلاصة ما تقدَّم عن نظام العائلة في بابل ان الإضرار كان نادرًا جدًّا وانهُ كان للنساء الحق المطلق في امتلاك الاملاك وبيعها وفي كل المعاملات المدنيَّة . وانهنَّ كن يأتينَ بالصداق من والديهنَّ او اقاربهنَّ فيصرنَ بهِ مستقلات عن ازواجهنَّ . وان الصبيان والبنات كانوا يرثون على حدٍّ سوى ويحق للمورث ان يوصي بمقتنياتهِ لمن يشاء حتى صار التوريث نوعًا من الوصيَّة لدفع النزاع . وكان التبني شائعًا عندهم

وقد تقرَّر عندهم الاستقلال الشخصي وكانت حقوق الفرد مرعيَّة تمام الرعاية يحميهِ القانون ويطالبهُ كشخص مستقل . وقد بقي عندهم شيءٌ من آثار حقوق الجماعة فاذا كُتب كتاب فتاة سلَّمها والداها او اخوتها او اقاربها الادنون الى زوجها واذا بيع ملك قديم شهد اقرباءِ البائع على صحة البيع وهذا وذاك من آثار الايام التي كانت فيها للجماعات حقوق مشتركة قبلما تتقرر حقوق الفرد وتتقرر استقلالهُ

وكان الميراث يقسم على الورثة من غير وصيَّة هكذا : الميراث كلهُ للزوج او للزوجة وبعدهُ او بعدها للاولاد على السواء حظ الذكر مثل حظ الانثى وحظ المتبنَّي مثل حظ الولد الحقيقي ويزاد حظ البكر مقابل اعتنائهِ بالتركة . ولما رأوا ان الورثة يختلفون احيانًا انشأوا مجلسًا حسبيًّا يستلم الميراث الى ان تفصل بينهم محاكم القضاء ثم اعتمدوا على الوصيَّة دفعًا لكل نزاع وقلما كانوا يحيدون عن فريضتهم الشرعيَّة في وصيتهم

هذا ركن آخر من اركان العمران البابلي وسيأتي الكلام على بقيَّة الاركان التي ساد بها البابليون

حمّى الدنج (ابو الركب)[1]

بحث في باثولوجيّة المرض وطرق انتشاره

لم يعرف شيءٌ اكيد عن باثولوجيّة هذا المرض وعن طرق انتشارهِ رغماً عما كتب من المجلدات الضخمة والتقارير المفيدة عنهُ منذ انتشارهِ في جزيرة جاوى والقاهرة والاسكندرية سنة ١٧٧٩ الى ان دخل البلدان التي شرقي البحر المتوسط سنة ١٨٨٩

وقد شرّح بعض المدققين كثيرًا من جثث المتوفين بهذا المرض فلم يروا تغيرات ظاهرة فيها . وكان يظنُّ سابقًا انهُ مرض ناشئٌ عن العفونة والرطوبة ولكن بعد تفشيهِ سنة ١٨٩٩ عمّ الاعتقاد جمهور الباحثين فيهِ بانهُ مرض معْدٍ. وقد ذكر الاستاذ الدكتور هلنسترن (في باثولوجية نوتناجل) فولاً جمع فيهِ ملخص ما كُتب عن هذا الداء وهو " انهُ ينتقل بالعدوى ولكنهُ لا ينتشر الاَّ حيث توجد المستنقعات او المتصعدات الميازمية " ومما يثبت انهُ مرض معْدٍ سرعة انتشارهِ من منزل الى منزل في مدينة دخلها وسرعة انتقالهِ من شخص الى آخر من افراد عائلة واحدة

ومما يجمل ذكرهُ ان عدم انتشار المرض في الاماكن الخالية من المستنقعات ادَّى بكثيرين من الباحثين الى الاعتقاد انهُ ليس من الامراض المعدية بل انهُ مرض ميازمي ينشأُ عن متصعدات الاراضي الواطئة الرطبة. والادلة كثيرة على عدم انتشارهِ في غير الاماكن الواطئة التي تطيب لهُ الاقامة فيها . فقد ظهر من تفشيهِ في كوبا وجاميكا والهند الشرقية وريثيون ومارتينيك ومدغسكر انهُ لم ينتشر في الاماكن العالية الجافة التي في الداخلية مع كثرة المواصلات والاختلاط . وكثيرًا ما يحدث ان بعض اهالي الداخلية يقصدون السواحل ثم يعودون منها وقد ادركهم المرض واشتدت عليهم وطأة الحمى ولا يصاب بهِ احدٌ من اهلهم المقيمين معهم في منزل واحد . فسهولة الاصابة بهِ في احوال مخصوصة وصعوبتها في احوال اخرى بقيا سرًّا غامضاً الى الآن

على ان تفشي هذا المرض في بيروت في صيف ١٩٠١ مهّد السبيل الى درسهِ درساً دقيقاً ومعرفة الاحوال التي تصيّرهُ معدياً في بعض الاحيان وغير معْدٍ في الاخرى . فان لبيروت مزايا طبيعيَّة ظاهرة تجعل درس هذا المرض سهلاً وتمكّن الباحث من عمل تجارب لا يمكنهُ

---

(١) وهي مقالة للدكتور جرام استاذ الباثولوجيا في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت قدمت الى المؤتمر الطبي الذي عقد في القاهرة في شهر دسمبر الماضي

عملها في مكان آخر . فهي واقعة على ساحل البحر في سهل تتاخمهُ قمم لبنان التي تختلف بين ٢٠٠٠ و ٩٠٠٠ قدم في الارتفاع . ففي ساعة او ساعتين من الزمان يستطيع الباحث درس احوال هذا المرض في الاماكن التي على مساواة سطح البحر والتي تعلو عدة آلاف من الاقدام عنهُ

وفي اوائل يوليو سنة ١٩٠١ ظهر المرض وكان بطيء السير ولكنهُ اخذ يشتدُّ بزيادة الاصابات وانتشر في جميع احياء بيروت والقرى المجاورة لها حتى لم يكد منزل يخلو منهُ واذا دخل منزلاً لم يكد احد ينجو من عدواه . وكانت الحمى تدوم من ثلاثة ايام الى ثمانية وفي اثناء انخفاضها يظهر نقاط جلدي يختلف في كثرتهِ وقلتهِ . وكان كثيرون من الذين يصابون بهذا المرض — وهم ٣٠ في المئة من السكان حسب اختباري — يصابون بهِ ثانية اصابة اخف من الاولى عادة وذلك بعد مدة تتراوح بين ٤ ايام و ١٥ يوماً من الاصابة الاولى ويشكون في اثناء ذلك ضعفاً عمومياً . وقد عرفت قليلين اصيبوا بالمرض ثلاث دفعات شديدة في اوقات مختلفة وكان يعقب كلَّ دفعة نقاط جلديٌّ وسقوط قشور من الجلد . وبلغت الحوادث التي وقعت تحت مشاهدتي مدة تفشي المرض ٥٠٠ حادثة فلم أرَ فيها ما يخالف الحوادث التي وصفها منسون وغيرهُ من الاطباء

هذا وقد شاهدت بعض حوادث المرض الذي تفشى في سواحل سورية سنة ١٨٨٩ فتبين لي منها ومن تقارير غيري من الباحثين في اماكن اخرى ان البعوض هو الذي يجعل المرض شديد العدوى في مكان وعديمها في مكان آخر . فان بين بيروت ولبنان من الجهة الجنوبية سهلاً واسعاً من الرمال والى شمالهِ بساتين مغروسة توتاً تروى بمياه النهر . والبعوض يغشى منازل بيروت بكثرة ويكثر وجودهُ او يقل في قرى سفح لبنان فلا يسلم منهُ الاَّ قليل منها . وليس في مدينة بيروت نفسها اثرٌ لنوع البعوض المسمى انوفو ليس (بعوض الملاريا) مع انني دققت في التفتيش عنهُ انا وغيري ولكن النوعين المسميين كولكس فاتجنس Culex fatigans وستغوميا فاسياتا Stegomyia fasciata يغشيانها بكثرة ووجدت نوع كولكس فاتجنس (البعوض العادي) في كثير من قرى لبنان المشرفة على بيروت الى علو ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر وكذلك نوع ستغوميا فاسياتا ولكنهُ اقل من الاول

وفي اوائل تفشي المرض جربت عدة تجارب لا تحقق ما اذا كان البعوض المسمَّى كولكس فاتجنس ينقل العدوى من شخص الى آخر . واول تجربة جربتها كانت في امٍ وطفل رضيع لها . ففي بدء اصابتها أُعدم البعوض كلُّهُ من غرفتها بواسطة غاز الكلور وكانت تنقل كلَّ يوم من غرفة الى اخرى بعد اعدام البعوض منها . وقد بقيت مريضة مدة خمسة عشر يوماً كانت

الحمى فيها شديدة وسمح لها بارضاع طفلها في تلك المدة كلها ولكنهُ لم يصب بمكروه البتة

والتجربة الثانية تمت على الطريقة نفسها واتخذت جميع الاحتياطات لابعاد البعوض كما في الاولى وكان المريض فيها صبياً عمرهُ احدى عشرة سنة ولهُ ثلاثة اخوة دونهُ سنّاً وعمر اصغرهم اربع سنوات وكان الاربعة ينامون في فراش واحد موضوع على الارض فلم يصب احد من الثلاثة الاصحاء بالمرض واعتني بطرد البعوض من الغرفة مدة ١٣ يوماً.

والتجربة الثالثة جرت لرجل لهُ ثلاثة اولاد قد اصيب بالمرض ورضي باحتمال كل مشقة ليحمي زوجتهُ واولادهُ منهُ فاتخذت التدابير اللازمة كما في الحادثتين السابقتين . وكانت الحمى معهُ شديدة واستمرت خمسة ايام وظهر نفاط على الجلد وتساقطت منهُ قشور. وطرد البعوض من الغرف مدة ١٧ يوماً فلم يصب احد غيرهُ من افراد عائلتهِ بالمرض

وقد اعدت هذه التجارب في حوادث اخرى ولكنني عدت فعدلت عنها بسبب اهمال اهل المرضى فانني كنت أرى البعوض في الغرف عند عيادتي لمرضاهم وكانوا يقولون انهم يفضلون الاصابة بالحمى على العزل . وخلاصة القول ان النتائج جاءت على ما يرام حيث اتخذت الاحتياطات اللازمة

على ان الدلائل في التجارب المتقدمة كانت سلبية وعليهِ جربت تجارب اخرى للوصول الى نتيجة ايجابية وذلك بالتلقيح . وعذري في تعريض الناس للعدوى هو ان كل شخص قابل لها في المدينة كان لا بدَّ ان يصاب بالمرض على كل حال . ثم ان المرض ليس ذا خطر على من كان شابًّا وصحيح الجسم . وكنت اصف ماهية التجربة لمن يتقدم لها من الشبان — ولم أكن اختار سوى الشبان الاصحاء — فكان يبدي رضاءهُ التام باحتمالها مقابل دراهم ينقدها. ولم تكن هناك صعوبة في وجود اشخاص يرضون احتمال التجربة بل في اختيار اصلحهم لها . فاخترت اربعة اشخاص من عائلات لم يصب احد من افرادها بالمرض وكنت آخذ كلَّ مرة عدة بعوضات من داخل ناموسية المصابين بالدنج واضعها داخل ناموسية الاشخاص المراد تلقيحهم وكانوا ينامون ليلة بعد ليلة وهذه البعوضات داخل ناموسياتهم . فاصيب احدهم بالمرض بعد وضع البعوضات داخل ناموسيتهِ بخمسة ايام والثاني بعد وضعها بستة ايام والثالث باربعة . اما الرابع فمضى عليهِ اسبوع ولم يصب بسوء فجئت ببعوضات اخرى مكان البعوضات الاولى فاعدن الكرة عليهِ وعدن خائبات . وقد اخبرني هذا الشاب انهُ اصيب بالمرض مدة تفشيهِ سنة ١٨٨٩ وصحب ذلك ظهور نفاط على الجلد وسقوط قشور منهُ . ولعلَّ ذلك كان السبب في عدم قبولهِ للعدوى هذه المرة

وقد اصبت انا بالمرض سنة ١٨٨٩ واشتدَّت وطأتهُ عليَّ ولكني لم اصب بهِ هذه المرة مع اني تعرضت لهُ على الدوام ولم أُعنَ بوقاية نفسي منهُ . وقد اشترطت على الذين عملت التجارب فيهم ان لا يخرجوا من منازلهم فلا يأخذوا العدوى من الخارج ومع ذلك كلهِ لم اثق تمام الثقة انهم لم يأخذوا العدوى من طريق آخر نظرًا الى كثرة انتشار المرض وشدتهِ في مدينة مثل بيروت . فلتلافي هذا الامر اخذت بعض البعوض من داخل سرير رجل مصاب بالدنج وصعدت بهِ الى قرية على سفح الجبل لم يكن احد من اهلها قد اصيب بالمرض بعدُ وكنت قد اغتسلت وغيرت ملابسي قبل صعودي الى الجبل . والقرية المذكورة تعلو نحو ٣٠٠٠ آلاف قدم عن سطح البحر ولا يكاد يكون للبعوض اثر فيها وهواؤها جافٌ موافق للصحة جدًّا . وبعد بحث قليل اهتديت الى شابين يقطن كلٌّ منهما منزلاً بعيدًا عن الآخر فرضيا ان تعمل تجربة التلقيح فيهما . فأُصيب احدهما بنوبة شديدة من الدنج بعد ان نام اربع ليالٍ تحت ناموسية فيها عدد من البعوض والآخر بعد خمس ليالٍ وبقيا ينامان في غرفتيهما اياماً بعد ان نقها وكنت قد اعدمت البعوضات التي داخل ناموسيتيهما حتى لا يصاب احد غيرهما بالمرض . فلم اعلم باصابة واحدة هناك مدة الصيف كلهِ مع انني لم آلُ جهدًا في البحث والتحقيق

وحدثت اصابات كثيرة في قرية كبيرة اسمها عاليه وهي على علو ٢٣٠٠ قدم عن سطح البحر ومعظم منازلها يغشاهُ البعوض (كولكس فاتجنس) . وهناك قرية اخرى اسمها بحمدون على علو ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر وهي جافة الهواء وقلما يرى للبعوض اثر فيها وواقعة على خط سكة الحديد . وقد جيء اليها ببعض المصابين بالدنج من بيروت ولكن المرض لم ينتشر بين الذين لم ينزلوا الى بيروت منها . وحدثت عدة اصابات في عين صوفر وهي على علو نحو ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر ولكن هواءها اقلُّ جفافاً من هواء بحمدون وبعوضها كثير اما عاريا والشويفات وغيرهما من القرى الواطئة المجاورة لبيروت فاشتدت فيها وطأة الدنج مثل اشتدادها في بيروت تقريباً

وفي ابتداء المرض سنة ١٨٨٩ قضيت ليلة في بيروت ثم مضيت انا وجماعة من اصحابي الى مكان في جبال طورس يعلو ٤٦٠٠ عن سطح البحر وكان اثنا عشر شخصاً منَّا ينامون في مكان واحد بين شجر الصنوبر حيث لم يكن للبعوض اقلُّ اثر . وفي الليلة السادسة من خروجي من بيروت أُصبت بنوبة شديدة من الدنج دامت خمسة ايَّام واختلفت درجة الحرارة فيها بين ١٠٣ و ١٠٥ بمقياس فارنهيت وعقِبَ ذلك ظهور طفح على الجلد وسقوط قشور منهُ كمن اصيب بالحمى القرمزيَّة ولم يصب احد من الاحد عشر شخصاً الذين كانوا يقيمون معي في مكان واحد .

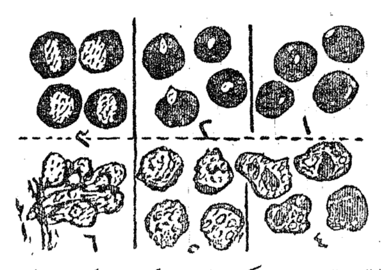
فيلوح لي من التجارب المتقدمة ومن ابحاث الآخرين في هذا الصدد ان البعوض هو ولا ريب السبب في نشر المرض وان النوع العادي المسمى كولكس وهو ما كنّا نعدهُ عديم الضرر الى الآن ينقل العدوى بلا شكٍ ولا ارتياب

. والتجارب التي شرحتها في صدر هذه المقالة وابنت بها اني وقيت الاصحاء بمنع البعوض من الوصول الى المصابين مع ان الاصحاء كانوا في اختلاط دائم معهم تدل ايضاً على ان المرض لا يعدي ما لم ينقل البعوض سمّ العدوى

ولما تقرَّر عندي ان البعوض واسطة نقل العدوى من شخص الى آخر استدللت طبعاً ان سبب المرض او سمَّهُ انما هو في الدم وعليهِ فحصت دم اكثر من مئة شخص اصيبوا بحمَّى الدنج املاً بان اجدهُ فيهِ . فاخترت لتجاربي الاشخاص الذين كانت درجة الحمى فيهم عالية واعراض المرض ظاهرة وسيرهُ قانونيًا ولم أُبالِ بالاصابات الخفيفة التي دامت يومًا او يومين ولم ترتفع درجة الحرارة فيها فوق المئة . واستعملت في تحضير الانموذجات وفحصها نفس الطرق المستعملة لفحص الدم الذي يحتوي على جراثيم الملاريا . فجاءت النتيجة على ما يرام عند فحص الدم جديدًا اما الانموذجات فكنت استحضرها على حسب طريقة ارلخ والونها بازرق المتيلين او بهِ مع البورق وصبغة ارلخ ولكن النتيجة لم تأتِ بالمرام في اول الامر مع شدة الاعتناء وتكرير البحث . واخيرًا رأيت في كريات الدم الحمراء جسمًا ذا حركة يشبه مكروب الملاريا المسمَّى بلازموديوم ملاريا من وجوه عديدة . غير اني وجدت صعوبة عظيمة في تتبع ادوار حياتهِ لانهُ بطيء النموّ جدًّا حتى ان كريات الدم كانت تفسد وتنحلّ في الانموذجات التي استحضرها لفحص مهما بالغت في العناية بها قبلما اتمكن من معرفة شيء يذكر عن ادوار حياتهِ . وكانت الحمى تستمرُّ في هذه الحوادث من اربعة ايام الى ثمانية او عشرة . فلكي اراهُ في ادوارهِ المختلفة استحضرت عدة انموذجات من الدم من ابتداء الحمى الى آخرها وكنت ادوّن تاريخ ابتداء الحمى باليوم والساعة وتاريخ استخراج الدم لفحصهِ . وبعد تمرين قليل على العمل صرت أرى هذا المكروب في كلّ اصابة . وقد صوَّرت ما كنت اراهُ بالميكرسكوب في فحص الانموذجات ورتبت الاشكال ترتيبًا طبيعيًا على قدر ما امكن

الشكل الاول يمثّل ما رأيتهُ في عدة كريات حمراء عند فحص الدم مدة الاربع والعشرين ساعة الاولى من الاصابة . ولون المكروب اخفّ من لون الكريات الحمراء وهو يرى احيانًا في وسط الكرية واخرى في طرفها ولكنهُ يغيّر موكزهُ في الكرية على الدوام والكريات التي يوجد فيها اقلّ كثيرًا من الكريات التي يوجد فيها مكروب الحمى المثلثة ولكن الذي يدقق الفحص يجدهُ على الدوام

الشكل الثاني يمثّل المكروب في الادوار المتقدمة من حياتهِ ورؤيتهُ اذ ذاك اسهل مما هي عليهِ في سائر الادوار ويظهر انهُ يبقى كذلك حتى اواخر الحمى . ومن الاسباب التي تجعل اكتشافهُ في الدم اصعب من اكتشاف مكروب الملاريا فقد اللون منهُ خلافاً لمكروب الملاريا فان اللون الذي يكوّنهُ اسهل رؤية تحت المكرسكوب من المكروب نفسهِ . وهو حيوان من فصيلة البروتوزوا ولكنهُ بلا لون وبهذا يختلف عن مكروب الملاريا



الشكل الثالث والرابع يمثلان المكروب في ادوار اكثر تقدماً مما في الشكل الثاني . ومن نحو اليوم الرابع الى السادس من ابتداء الحمى ترى قطع كثيرة من كريات الدم المتكسرة تحت المكرسكوب وفي هذه الانموذجات يرى غالباً وهو خارج من قطع الكريَّة او محاط ببقاياها . وبعد خروجهِ منها يدركهُ الانحطاط . ولم أرَ كريَّة بيضاء تهاجم مكروباً وتبتلعهُ وهو في دور النمو والحركة بل كنت اراها غالباً تفعل ذلك بعد ما يدركهُ الانحلال وينقطع عن الحركة

وعند انتهاء المرض وهبوط الحمى كنت أرى الكريات البيضاء متضخمة مما ابتلعتهُ من المكروب الميت . وقد دققت كثيرًا في فحص الدم وقت الاصابة الثانية والثالثة فرأيت ما رأيتهُ في الاصابة الاولى . ولما كانت هذه المكروبات اقلّ عدداً في الدم من مكروبات الملاريا وابطأ نموًّا وغير ملوَّنة كانت ايضاً اقلّ ظهورًا منها واعسر اكتشافاً . ولكن الذي تعوّد رؤية مكروب الملاريا لا يخطئ اكتشافهُ مرةً واحدة

فيستنتج اذًا من وجود هذا المكروب في الكريات الحمراء من دم المصابين بالدنج ومشابهتهِ لسائر صور المكروبات التي ثبت انها تسبّب الحميات وانتقالهِ من شخص الى آخر بواسطة البعوض ان هذا المكروب سبب حمّى الدنج

هذا وان سكان بيروت فئتان فئة تقضي الصيف في الجبال واخرى في المدينة نفسها .

وفي اواخر صيف ١٩٠١ تفشت حمى الدنج فيها ولم يبقَ احدٌ الاَّ اصيب بها . ولما زالت واخذ الهواه يبرد عاد المصطافون الى المدينة آمنين شرَّها . ولكنها فتكت بهم ولم تنتهِ حتى اوائل ديسمبر . فيظهر من هذا ومن كثرة الذين أُصيبوا بها — وهم يبلغون ٧٥ الى ٨٥ في المئة — ان السبب في زوالها ليس برودة الهواء بل كون القابلين عدواها قد أُصيبوا بها

وفي شهر يناير سنة ١٩٠٢ عالجت اربعة اشخاص مصابين بالدنج وفي فبراير ثلاثة وكانوا كلهم قد جاؤوا حديثاً من داخلية البلاد حيث لم يكن للدنج اثر فوجدت المكروب فيهم كلهم عند فحص الدم في اوائل المرض . ولم يقم احدهم في بيروت سوى ايام قليلة قبل اصابتهِ . فيستدلُّ من هذا ان حمَّى الدنج قد تكمن مدة طويلة بعد ما تزول آثارها ظاهرًا

ومما يجب ذكرهُ اني لم اختر لتجاربي في الحوادث المتقدمة سوى اصابات الدنج الواضحة وكلنا يعلم ان من اسهل الامور عندنا ذكر " ابو الركب " فكلُّ اصابة بالحمّى يعسر استقصاؤُها وتشخيصها نقول انها ابو الركب وذلك على مدار السنة سواءٌ كان ابو الركب منتشرًا او لا فتطمئنّ بذلك خواطر اهل المريض وان كانت ضمائرنا لا تطمئنُّ بهِ . فاذا كانت الاصابة في الشتاء ولا اثر لحمّى الدنج قلنا انهُ " ابو الركب الشتوي ". وغايتنا من ذلك حمل اهل المريض واصدقائهِ على الاطمئنان وسكون البال من جهتهِ . على ان قسماً عظيمًا من امثال هذه الحوادث لا علاقة لهُ بالدنج البتة فيجب ان يسمَّى اسماً آخر

وفي اعتقادي ان التجارب المتقدمة تزيل ما بين الباحثين من اختلاف الآراء . فان بعض المشاهير من الاطباء يذهبون الى ان الدنج مرض شديد العدوى ويخالفهم غيرهم من مشاهير الاطباء ايضاً فيقولون انهُ مرض ينشأ عن الرطوبة ولا يعدي في الاماكن العالية . والسبب في هذا الاختلاف ان الاولين راقبوا المرض في اقاليم تكثر انواع البعوض فيها على حين ان الآخرين راقبوهُ حيث لا وجود للبعوض او حيث وجودهُ قليل

اما التجارب الاولى التي عملتها في صيف سنة ١٩٠٠ فقد جمعت البعوض فيها بلا تحرّ ولا اختيار فجاء معظمها من نوع الكولكس ولكني كنت أجد بعوضاً من النوع المسمى ستكوميا في كل مرة تقريباً

وفي صيف سنة ١٩٠٢ عملت عدة تجارب لتتبُّع سير المكروب وتقلباتهِ في اجسام البعوض واخترت لذلك نوع الكولكس فاتجنس لاني وجدتهُ اسهل للتجارب من جميع الوجوه نظرًا الى شراهتهِ وبعض عوائدهِ الاخرى . ولكني وجدت صعوبة عظيمة في الاهتداء الى اصابات واضحة بالدنج . فانهُ رغماً عن ان الدنج قد يصيب الشخص الواحد مرارًا وجدت ان معظم الاصابات

الوافدة انما هي اصابات الذين قدموا المدينة من الخارج او الذين لم يصابوا بالمرض في السنة السابقة وكنت اذا اهتديت الى الاصابة آخذ ثلاثين او اربعين بعوضة جائعة واضعها داخل سرير المصاب . وفي المساء التالي كنت آخذ ربعها او ثلثها وقد امتلأَت معدها دماً واضعها في قفص فيهِ ماء وقشور موز او عنب واكتب ورقة فيها تاريخ وضع البعوضات في القفص وغير ذلك من المعلومات والصقها عليهِ . وهكذا حتى صار عندي من الاقفاص بقدر عدد الاصابات . وكنت كل يوم اقتل بعوضة وافحص محتويات معدتها وجدرانها والغدد اللعابية تحت قوتي المكرسكوب الواطئة والعالية واشرّح جدران المعدة والغدد اللعابية تحت المكرسكوب فكان هذا العمل يقتضي وقتاً طويلاً وتعباً كثيراً وكنت افحص الدم في محلول ملحي فوجدت المكروب فيهِ وشاهدت تقلباتهِ في ادوارهِ المختلفة فاذا هي تشبه تقلباتهِ التي شاهدتها في الدم المستخرج من العليل في صيف سنة ١٩٠١

على انهُ ظهر لي ان نموّ المكروب في معدة البعوضة كان اسرع واكثر وضوحاً مما هو عليهِ في دم العليل . وقد وجدت المكروب في كل تجربة من التجارب التي عملتها حتى بعد امتصاص البعوضة للدم بخمسة ايام وظهر لي ان وجود المكروب اسهل واكثر تحقيقاً في معدة البعوضة منهُ في دم الانسان وان نموَّهُ ابطأ في الدم الذي امتصهُ البعوض في اوائل المرض منهُ في اواخرهِ . ولكن التغيرات التي كانت تطرأ من يوم الى آخر على الميكروب الذي في معد البعوض لم تكن تختلف بشيء جوهري عن التغيرات التي كانت تطرأ على ما كان منهُ في جسم الانسان

وقد فحصت بعوضاً امتص دم مريض في اليوم الرابع من مرضهِ فوجدت البزور بين خلايا الغدد اللعابية في مدة اربع وعشرين ساعة . وذلك يدل على ان البعوض يستطيع نقل العدوى بعد امتصاص الدم من جسم المصاب بوقت قصير

اما عدد البزور التي تقذف من كيس مكروب واحد فيختلف باختلاف الاحوال ولم يمضِ سوى وقت قصير على خروجها من الكيس الاصلي حتى وجدت في جدران المعدة وبين خلايا الغدد اللعابية . ولا ريب عندي ان هذه البزور تدخل الجسم مع لعاب البعوض عند امتصاصها لدم الانسان ثم تنمو في الدم وتسبب حمى الدنج

وقد اتفق ذات يوم ان قرينتي كانت تحضر لي بعوضة من القفص المعدّ لتربية البعوض فما شعرت الا وبعوضة اخرى تلسعها وفي اليوم الثالث من تلك الحادثة اصابها غثيان شديد وقيء ثم حمى شديدة مثلما يصيب المحموم بالدنج . وكانت هذه اول مرة اصيبت فيها بحمى الدنج ولم يكن احدٌ من سكان منزلنا قد اصيب بها في الصيف ولا ذهبت الى مكان تعرضت

فيهِ لهذه الحمى . وكانت البعوضات التي في القفص قد امتصت الدم من العليل المصاب بالحمى قبل لسعها لقرينتي بخمسة عشر يوماً

وقد تمكنت من حفظ بعض البعوض التي في القفص حيةً مدة شهر بعد امتصاصها للدم ووجدت في آخر تلك المدة بزور المكروب في الغدد اللعابية . وحقنت البعض بالغدد اللعابية بعد ما مزجتها بمحلول الملح المعقَّم وكنت قد اخذت الغدد اللعابية من بعوضة دخلها المكروب منذ ٢٧ يوماً . وفي اليوم الثالث من الحقن تحت الجلد اصيب المحقون بقشعريرة وحمى شديدة واعراض اخرى تشبه اعراض المصاب بالدنج وكانت الحمى شديدة الى حدّ ان احجمت عن عمل تجارب اخرى من هذا القبيل . وعملت تجارب اخرى لأعلم ما اذا كانت بيوض البعوض تحتوي على هذه البزور ولكنني لم اهتدِ الى الحقيقة بعد

هذا وقد نشرت المجلة الطبيَّة الانكليزيَّة مقالة في ١٢ يوليو سنة ١٩٠٢ عن حمَّى الدنج من قلم الدكتور ستدمان في هنغ كنغ . ومن جملة ما قالهُ فيها انهُ وجد مكروب الملاريا في دم بعض الذين عاودتهم الحمى وسمع ان آخرين ايضاً وجدوهُ مثلهُ وذلك يدلُّ على ان حمَّى الدنج اما انها تثير الملاريا الكامنة في الجسم او تعد المصاب لقبول عدوى جديدة قد تعرض لهُ

وعندي ان الدكتور ستدمان لم يشاهد مكروب الملاريا بل مكروب الدنج . نعم ان مكروب الدنج يكون اكثر عدداً في نكسات الحمَّى مما يكون عليهِ عادة في الاصابة الاولى ولكنهُ يرى في الاصابة الاولى ايضاً بعد الفحص الدقيق . وكثيرون من الذين عاودتهم حمَّى الدنج لم يصابوا بالملاريا قبل اصابتهم بالدنج ولا بعدها ومعظمهم في سورية يسكنون اماكن لا اثر لنوع البعوض المسمى انوفليس فيها لينقل الملاريا اليهم.وميكروب الدنج يشبه مكروب الملاريا تحت المكرسكوب ولكن نموّهُ في معد البعوض واجسامها وادوار حياتهِ وتقدّمهِ تختلف كثيراً عن صفات المكروب الذي اكتشفهُ ماركيافافا وسلّي فلا يقع التباس بينها . ولست اعلم نوع المكروب الموجود في هنغ كنغ ولكنني اعتقد إن المكروبات التي رآها الدكتور ستدمان هي نفس الميكروبات التي وصفتها في مقالتي هذه وهي تعيش وتنمو مثلها كما يظهر للباحث المدقق

ويستدلُّ من اكتشاف سبب حمى الدنج انها من نوع الحمى الملارية وان العلاجات المستعملة لمنع الملاريا يجب ان تستعمل ايضاً لمنع الدنج. فالمسألة اذاً مسألة حرب مشهورة على البعوض . وعندي انهُ متى ابدنا جيوش البعوض العادي المسمى كولكس فالجنس من بيننا باتت حمَّى الدنج في خبر كان

[المقتطف] توسعنا في كلمة ميكروب فاطلقناها على كل حي صغير لا يرى الا بالميكروسكوب سواء كان من انواع الباشلّس او من غيرها



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الدكتور سليمان الخوري

رزئت مدينة حمص في ٢٢ تشرين الاول سنة ١٩٠٢ ش بوفاة احد اركانها وكبار اعيانها المرحوم الدكتور سليمان افندي الخوري ولد سنة ١٨٣٠ وبرع في كثير من المعارف وحصل الطب اولاً بنفسهِ ثم درسهُ على بعض الاطباء المصريين وكان قد تعلم العربية والتركية والفارسيَّة

وفي سنة ١٨٤٩ انفذ الباب العالي طبيباً من قبلهِ لامتحان الاطباء والجراحين والصيادلة في ولايات الاناضول وسورية فلما وصل حمص لم يجد فيها من يحسن التطبيب سوى صاحب الترجمة ووالدهِ فاعطاهما اجازتين بذلك وصدر امر سامٍ من نظارة الداخلية سنة ١٢٩٤ هجرية يعترف بهِ طبيباً قانونيًا . وقد اشتهر بغيرتهِ على صناعتهِ ومعالجة الفقراء مجاناً وخصوصاً في سني تفشي الكولرا في حمص فانها ظهرت ست مرات فيها من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٩٥

وبعد وفاة والدهِ عين وكيلاً للبطريرك الانطاكي في ابرشية حمص سنة ١٨٦٥ ثم نائباً لمطران حمص واعطي لقب المحامي عن حقوق المسيحيين وعين وكيلاً لاوقاف طائفتهِ . ولما كان المطران لا يحسن العربية كان صاحب الترجمة ينشئ عظة كل اسبوع ويدفعها الى كاهن من الكهنة فيقرأها على جماعة المصلين

ولم تقتصر اعمالهُ على خدمة طائفتهِ بل خدم الدولة خدمة تذكر فعيّن عضواً نائباً من المسيحيين في مجلس ادارة حمص سنة ١٨٦٥ حين ابتدأ تشكيل الولايات الشاهانية ثم انتقل مركز المتصرفية الى حماه فأُعيد انتخابهُ ولكنهُ رفض ذلك حبًّا بخدمة مدينتهِ ومسقط رأسهِ . وعين عضواً في محكمة البداية سنة ١٨٨٠ ثم مستنطقاً في السنة التالية وبقي كذلك الى سنة ١٩٠٠ فاستعفى لطعنهِ في السن

وقد كافأتهُ الدولة على خدمتهِ الصادقة فمنحتهُ الرتبة الثانية المتمايزة . ولما فشت الكولرا في حمص سنة ١٨٩٠ ارسلت الولاية اليها وفداً من الاطباء العسكريين ليؤلفوا هم واطباء المدينة لجنة صحية لمقاومة الوباء فعين صاحب الترجمة رئيساً لتلك اللجنة



وكان وديعاً لين الجانب كارهاً للتعصب تقياً بارعاً في الانشاء والخطابة اميناً في خدمة الدولة متضلعاً من قوانينها ونظاماتها وكان يحب المطالعة فاقتنى مكتبة جامعة لانفس الكتب القديمة والحديثة وعُرف بميلهِ الى المجلات العلمية وخصوصاً المقتطف اقدمها وقد خدمهُ خدمة غيرة واخلاص منذ اول انشائهِ . وكان ولاة الامور يكرمونهُ ويجلونهُ ولما توفي اقيم لهُ مأتم

حافل وابنّةُ العلماء ورثاهُ الشعراء ونعتهُ الجرائد السورية وبعض المصرية . اكثر الله من امثالهِ وجعل من تجليهِ الدكتورين البارعين خير خلف لخير سلف

حمص رزق الله نعمة الله عبود

المدارس السورية الانكليزية

قرأتُ في المقتطف الاغر في الجزء الرابع من المجلد الثامن والعشرين مقالة لحضرة صاحبة الامضاء س . خ . بعنوان " المدارس السورية الانكليزية " فوجدت فيها بضع هفوات احببت ان انبّه صاحبة المقالة اليها لتتجنب الوقوع في مثلها ولكي يزول اثرها من النفوس

قالت حضرتها " لئن تعددت المدارس السورية على اختلاف اجناسها وطبقاتها فانها لم تدرك شأو المدارس السورية الانكليزية فائدة وفضلاً الخ " الى ان قالت " حتى بلغ عدد المدارس الانكليزية في ايامها (اي السيدة كارولين طمسن) ٥٩ ما بين داخلية وخارجية وبلغ عدد المعلمات الوطنيات ١٣٦ والاجنبيات ١٨ والطالبات ٤٦٨ "

مجال الانتقاد هنا هو تفضيلها المدارس الانكليزية على غيرها فبناءً على اي شيءٍ فضّلتها؟ فان كان الفضل بعدد الطالبات فما هو عدد ٤٦٨ طالبة من عدد الطالبات في سوريا ؟ او بالفائدة التي تنالها الطالبة فاين اضاعت فضل بقية المدارس كالبروسيانية ومدرستي الاميركان في بيروت وصيدا ؟ وقد اخذت حضرة الكاتبة المدرسة الداخلية الكبيرة في بيروت اساساً لكلامها عن المدارس الانكليزية وتفضيلها على غيرها فهذه المدرسة هي مصب كل المدارس الانكليزية الاخرى على اختلاف طبقاتها ولا يخرج منها في السنة اكثر من ٨ طالبات الى ١٢ طالبة من الحائزات شهادتها وكل من المدارس الثلاث السابق ذكرها تخرج عدداً يفوق هذا . ثم ان كانت فضلتها في نوع التعليم فمدرسة الاميركان في صيدا تفوقها في تعليم تدبير المنزل ومدرسة الاميركان في بيروت تفوقها في تعليم مبادىء العلوم ومدرسة القديس يوسف (في بيروت) تفوقها في تعليم الاشغال اليدوية والمدرسة البروسيانية في بيروت تفوقها في تعليم العلوم الابتدائية والتكميلية . فلو فضلت المدارس الانكليزية على المدارس الفرنسوية وحدها او الاميركية وحدها او البروسيانية لكان من الممكن ان يصح قولها ولكن تفضيلها اياها على الكل معاً خطأ وحضرتها لا تجهل ذلك . وهي حرّة ان تمدح المدرسة التي تعلمت فيها ما شاءت ولكن لا يحسن بها ان تغض من كرامة غيرها من المدارس

ثم ختمت مقالتها بما يأتي قالت " ومما يجدر بنا الاشارة اليهِ اقراراً بالفضل هو ان السيدات

اللواتي اخذن على انفسهنَّ ادارة المدارس السورية الانكليزية لم يبذلن ما بذلن من العناية والاهتمام في شؤُون الفتيات الاَّ ابتغاء وجه الله الكريم وحبًّا بالقريب الخ "

فاني اسلم بان الاقرار بالفضل واجب ولكن لماذا خصصت حضرة الكاتبة السيدات اللواتي اخذن على انفسهنَّ ادارة المدارس السورية الانكليزية بابتغاء وجه الله الكريم وحب القريب دون غيرهنَّ ؟ أَوَ هل لبقية السيدات المهذبات والمعلمات والمؤَدبات قصد غير هذا ؟ وانا واثق انها لا تقصد الغض من كرامة سائر المعلمات المهذبات ولو تضمَّن كلامها ذلك فعسى ان تجلي الحقيقة دفعاً لما يتبادر اليهِ الوهم وارجو منها المعذرة على هذا التعقيب الذي لا اقصد منهُ الا جلاء الحقيقة بيروت تاجر

توجيه نظر

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

لا يخفى ان كثيرين ممن يلبسون الطربوش يشكون من عدم ملاءمتهِ ووفائهِ بالغرض الذي يلبس من اجلهِ لانهُ لا يقي الرأس الحرَّ والبرد وقايةً تامَّة واذا تبلل من العرق او المطر انكمش وتقلَّص واذا اصابهُ الغبار ظهر عليهِ وان سافر لابسهُ في بلاد ليس بها مكواة (كما يتفق للمسافرين في اوربا واميركا او الجبال والارياف) اضطر ان يحمل معهُ المكواة او يلبس الطربوش على علاتهِ مجعداً متقلصاً ينفر منهُ الذوق السليم. هذا وانهُ لا يمضي عام او شهر الاَّ ونسمع فيهِ باختراع جديد للاوربيين والاميركيين او اصلاح لمخترعات الموجودة فنوجه انظار الاذكياء من الشرقيين بواسطة مقتطفكم الاغر الى اختراع طربوش وافٍ بالغرض خالٍ من العيوب او اصلاح الطربوش الموجود واخذ امتياز بهِ وفي ذلك من الفائدة للمخترع او المصلح ما لا يخفى على احد دمشق الشام احد المشتركين

الغربان والنخل

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف

ذكرتم في ما كتبتموهُ عن طبائع الغربان قولاً للجاحظ طلبتم من القراء ان يطرفوكم بما يثبتهُ او ينفيهِ . فرأَيت ان اكتب اليكم بما اعلمهُ وهو انهُ اذا سقط الغراب على نخلة يبحث عن ثمرة طيبة واخذ في نقرها وهو يلتفت ذات اليمين وذات اليسار او ينقرها ويطير عنها من شدَّة خوفهِ فاذا لم يجد زاجراً يزجرهُ رجع اليها واكلها كلها وفتش عن غيرها الى ان يشبع . ولا يتساقط التمر الى جوف الليف بل يقع على الارض لان الاعذاق تكون بعيدة عن الليف . ولم ارَ قط غراباً التقط ثمرة من جوف الليف اسكندر نبيه

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مسز هكفورد

هي الكاتبة الفاضلة المتوقدة ذكاء الجريئة التي لا تعرف الخوف العاطفة على بني الانسانية والمخففة للآلام لم يدفعها الى ذلك عوز ولا اقتادتها فاقة بدليل انها ولدت في بيت شرف عريق في النسب . وانما وجدت من جنانها حنانًا ومن عواطفها انبعاثًا سارا بها الى احمد المساعي واشرف الاعمال. خمدت انفاسها الطاهرة وهي تجاهد الجهاد الحسن في خدمة الانسانية وحسبنا ان نقول فيها ما اوردتهُ جريدة التيمس في تأبينها . قالت

"وقع نعيها وقع الصاعقة في نفوس معارفها العديدين ولا غروَ فان السامعين بمُشر اعمالها العظيمة ومساعيها المشكورة يشعرون ان بلادها مفتقرة اليها اشدَّ افتقار ولا نبالغ اذا قلنا انها من النساء القليلات اللواتي تحتاج البلاد اليهن" ثم ذكرت طرفًا من تاريخ حياتها فآثرنا تلخيصهُ ليكون قدوة تقتدي بنات الشرق بها

ولدت الفقيدة عام ١٨٣٦ ولم يذع فضلها ولا سار في البلاد ذكرها الاَّ عام ١٨٦٦ حين دخول الهواء الاصفر الى انكلترا فانها تركت القصور وما فيها من رخاء وصفاء مفضلة عليها تمريض المصابين بالوباء وتحمل العناء ومعاناة الشقاء غير طالبة من الناس شكرًا وانما راجية في الآخرة اجرًا . وكان هناك طبيب ذو ثروة واسعة يجاهد مثلها ويحذو حذوها فلما زال الوباء اقترنا واشتركا في حلو الحياة وصابها . ونمت عاطفة الحنان في ذينك الصدرين المملوئين شهامةً ومروءة وزادها الارتباط الزوجي تحركًا وحياةً فاستفزتهما الى استئجار بناء جعلاهُ مستشفى لتمريض النساء والاولاد وسكنا في الطبقة السفلى منهُ وانهمكا في عملهما الشريف انهما كاً لم يعرفا معهُ طيب نعيم ولا ذاقا لذة وسن فتضوع طيب ذكرهما وسمت منزلتهما وكثر الزائرون لهما من علية الانكليز

ثم افتقدها الله بقرينها الصالح وبقيت هي قائمة على قدم الهمة في العمل لم يقعدها التقدم في السن ولا اوهن عزمها الحزن . ثم شيد بناء فخيم لذلك المستشفى وتولت ادارتهُ لجنة من ذوي العزم الثابت وسافرت هي ومعها وحيدتها الى نابولي حيث اقامت عدة سنين وتزوجت

ابنتها بمحام فيها وسافرت هي الى اصقاع كثيرة في الهند ولازمت مستشفى هناك نحو سنتين ثم آبت الى انكلترا . ولما ضُمَّت الترنسفال الى انكلترا اول مرة سافرت اليها فلاقت من شظف المعيشة ما أوهن قواها الَّا ان عوامل الحياة في قلبها لم يضعف خفقانها بل بقيت حية نشيطة . وقدر لها السكنى مع عائلة احد النواب فكانت تُعلم اولاده ُ ثم اشترت ارضًا واعتنت بها الَّا انها نكبت مع الذين نكبوا من الرعايا الانكليز لما ثار البوير عام ١٨٨٠ ولسوء بختها انها كانت من الذين حوصروا في بريتوريا عامئذٍ . ولما القت الحرب اوزارها قفلت راجعة الى انكلترا الَّا ان حنينها الى الترنسفال جعلها تسافر اليها ثانية فتاجرت فيها واتسع نطاق تجارتها ووضعت كتابًا بليغ العبارة دعتهُ " تجارة سيدة في الترنسفال " ولقيت من رجال الحكومة الترنسفالية اضطهادًا شديدًا لانها كانت تكشف الحجاب عن مساوئهم وتراسل جريدة التيمس وغيرها من الصحف الانكليزيَّة ذاكرة ظلمهم للانكليز القاطنين في جوارهم

وعند ما شبَّت الحرب الانكليزية الترنسفالية الاخيرة كانت مستوطنة بلادًا تبعد اربعين ميلاً عن بريتوريا فلما سمعت ان الانكليز ملكوها امتطت جوادًا منطلقة اليها وابلغت اللورد روبرتس كل ما تعلمهُ من احوال البلاد . ثم رجعت الى انكلترا منذ ثمانية عشر شهرًا لتساعد على سنّ لائحة لانشاء مدرسة لابناء البوير الفلاحين ووضع كتب لهم في التاريخ والجغرافية ووقفت على ذلك ما تملكهُ من مال وعقار . وكانت تنوي العودة الى الترنسفال في الخريف القادم مؤملة انها اذا لم يطل الله في اجلها خلفها من يقوم بعملها مكانها الَّا ان صحتها اخذت تضعف وتنحط حتى قُبِضَت الى رحمة ربها وهي في السادسة والسبعين من عمرها . هذه سيرة امرأة فاضلة وقفت نفسها على نفع بني الانسان وحب الوطن وبذل الاحسان وسيحفظ الشعب الانكليزي ذكرها الطيب على توالي الاعوام" .

اسحق صرّوف

تمريض المرضى

امراض الاطفال

امراض الاطفال الاعتيادية اربعة وهي الشهقة والحصبة وجدري الماء والتهاب الغدد النكفية المسمى عند العامة " ابو كعيب " . وليست هذه الامراض ذات خطر ولكنها معدية فقد تنتقل من ولد الى آخر في العائلة الواحدة حتى يصابوا كلهم . وتتصل بهم غالبًا من المدرسة

الشهقة

اذا اصيب الطفل بالشهقة فلا يعمل لهُ شيءٌ الَّا اذا رافقها التهاب الشعب فيجب حينئذٍ

ابقاؤُهُ في الفراش الى ان يزول الالتهاب واعطاؤُهُ طعامًا خفيفًا مغذيًا خشية ان تأخذهُ نوبة الشهقة بعد الطعام الثقيل . واذا ظهر عليهِ الضعف والاعياء فليعطَ ملعقة صغيرة من زيت السمك ثلاث مرات في النهار بعد الطعام . فاذا لم يستفد من هذه المعالجة ودامت الشهقة فيجب ان يؤخذ الى مكان عالٍ يكون هواؤُهُ جافًّا

الذبحة

الذبحة مرض آخر من امراض الجهاز التنفسي وقد تصيب الطفل وعمرهُ سنة . واعراضها سعال يشبه صياح الديك وعسر في التنفُّس وازرقاق في الوجه . وهي مرض يُخشى منهُ فيجب استدعاءُ الطبيب حالاً . وبعض الاطفال معرضون للذبحة فتصيبهم مرارًا متعددة وتكون كلُّها ذات خطر على السواء فيجب من ثمَّ ان يكون في المنزل الدواءُ الذي وصفهُ الطبيب في المرة السابقة وابريق من المعدن لهُ حلمة طويلة فيغلى الماءُ فيهِ على السبيرتو وينشق الولد البخار المتصاعد من الحلمة

التهاب الغدد النكفية او ابو كعيب

وهو ورم الغدد التي تحت الفكين وفي الحلق ولما كانت الحمَّى ترافقهُ عادة في اوائلهِ فالاحسن ان يبقى الولد في الفراش وتلفَّ عنقهُ بشمع يوضع فوقهُ لزقات من الفلانلا المغموس بالماء الحار فيخفُّ الالم كثيرًا . وهذا المرض معدٍ وقد تستمرُّ عدواهُ ستة اسابيع واذا دخل منزلاً او مدرسة فمنهُ تعب كثير

جدري الماء

وهو مرض خفيف الوطأة تصحبهُ حمَّى خفيفة تميزهُ عن الجدري الحقيقي لان الجدري الحقيقي يبتدئُ بقشعريرة وحمى شديدة جدًّا وتظهر البثور اولاً على الجبهة والوجه وتكون صلبة اما جدري الماء فيبتدئُ ظهور البثور فيهِ على الصدر والكتفين وتكون البثور لينة وتزول سريعًا . فيجب ابقاءُ الولد في الفراش اياماً قليلة واعطاؤُهُ طعاماً خفيفًا وملاحظة امعائهِ . وهذا المرض معدٍ جدًّا

الحصبة

اول اعراضها سيلان الدموع والمخاط والحمى ثم ظهور البثور في اليوم الثالث . فيجب ابقاءُ الطفل في الفراش حفظًا لحرارتهِ واعطاؤُهُ طعاماً سائلاً وقليلاً من الخبز المغموس في اللبن او من الرز المطبوخ باللبن ومسهلاً خفيفًا اذا دعت الحال

الفصل الرابع

امراض الجهاز التنفسي

تندرج الذبحة والشهقة تحت هذا العنوان وقد تقدم الكلام عليهما فلا حاجة الى الاعادة بل نبحث الآن في الدفثيريا او الخانوق وهي تصيب الاولاد والبالغين

الدفثيريا

هذا المرض ناشيء عن عدم ضبط المصارف والكنف او السكن في منازل رطبة مضرة بالصحة . واول اعراضهِ فقد الشهية والم في الحلق والراس وقفا العنق . ويقال بالاختصار ان الدفثيريا هي تسمُّم الدم في الحلق حيث تظهر رقع بيضاء فيجب دهنها مرارًا في اليوم بالسائل الذي يصفهُ الطبيب بواسطة فرشاة. ولكن يجب على الذي يفعل ذلك ان لا يتنفس والمريض فاتح فاهُ لان الدفثيريا تعدي بالنفس

ويجب نقل كل ما يمكن نقلهُ من اثاث غرفة المريض الى مكان آخر مثل السجادات وغيرها حتى الستائر الَّا اذا كانت مما يغسل اذ لا بدَّ من تطهير الغرفة وجميع ما فيها بعد انتهاء المرض . ويجب فرز الفناجين والكؤوس والصحون التي يستعملها العليل عن غيرها وغسلها على حدة ثم اتلافها او غليها او نقعها في محلول قويّ من الحامض الكربوليك . ومتى شفي العليل وخرج من غرفتهِ يجب تطهيرها باحراق الكبريت فيها بعد سدّ جميع منافذها سدًّا محكمًا

وقد استعمل اللقاح المضاد للدفثيريا في السنوات الاخيرة فجاء بفائدة عظيمة ولكن الاعراض قد تشتد احيانًا حتى يضطر الامر الى عمل عملية جراحية فاذا كان لا بد من العملية فلتعمل بأسرع ما يمكن لان الحلق يأخذ في الورم حتى ينسد فينقطع التنفس ويموت العليل اختناقًا . ولكن اذا دعي الطبيب في حينهِ فانهُ يفتح فتحة في العنق ويضع فيها انبوبة تؤدي الى القصبة فيتنفس العليل منها بدلاً من انفهِ

على انهُ يجب اعداد الامور الآتية قبل حضور الطبيب تسهيلاً للعمل . وهي زجاجة فارغة وريش دجاج وخرق صغيرة بقدر الكف ومقدار كافٍ من الماء الحار والفوط النظيفة وغيرها

اما الزجاجة فلتوضع تحت عنق العليل مدة العملية حتى تثبت العنق موضعها ويرتفع الراس ويبرز الحلق . ويجب ان يقف شخص عند راس العليل ويمسكهُ بين يديهِ وآخر مع الطبيب لمساعدتهِ

واما الريش فلتنظيف الانبوبة من المواد الغريبة . واما الخرق فلتنظيف ما حول الانبوبة

وبعض الاطباء يضع قطعة من قطن الكربوليك على فم الانبوبة فلا تدخلها مواد غريبة تعيق العليل عن التنفس ولكن يجب الحذر حتى لا يسد القطن فم الانبوبة وهذا اهم شيء يجب الانتباه اليهِ في مثل هذه الحوادث . وعليهِ فان رجلاً واحداً لا يكفي لتمريض عليل مصاب بالدفثيريا لان الانبوبة عرضة لان تسدَّ في كل دقيقة فاذا تمَّ ذلك وانقطع تنفس العليل مات بالاختناق او بتوقف عمل القلب . فيجب من ثمَّ ان يتناوب عدة اشخاص على حراستهِ ومراقبتهِ وخصوصاً في الليل لانهُ يكون اسوأ حالاً حينئذٍ فيحتاج الى زيادة الاعتناء . ثم انهُ لا يجوز ان يسمح لعليل مصاب بالدفثيريا ان يجلس البتة بل يجب ان يطعم بفنجان خاصّ بذلك او بملعقة وهو مستلقٍ . ويسيَّر وهو مستلقٍ ويصلح سريرهُ من جانب ثم يوضع عليهِ ويصلح من الجانب الآخر حتى لا يجلس

وليكن طعام العليل خلاصة لحم البقر القويَّة او الحليب مرة كل ساعتين حفظاً لقوتهِ ومنعاً لفعل سمّ الدم ولكنهُ اذا كان ميالاً الى النوم فيجب ان لا يوقظ . اذ لا يعرف الالم الشديد الذي يشعر بهِ المصاب بالدفثيريا في حلقهِ الا الذي اصابتهُ الدفثيريا وكذلك ألم الراس يشتد حتى يخيَّل للمريض ان اخفَّ صوت يسمعهُ يكاد يشقُّ راسهُ

ذات الرئة

هو التهاب احدى الرئتين اوكلتيهما . يبتدئُ بنوبة قشعريرة تعقبها حمَّى عالية جداً فيشكو المريض المًا في جنبهِ ويعسر التنفس عليهِ وينفتح منخراهُ ويئن عند التنفس

اما تمريض المصابين بهذا المرض فيقتضي حذقاً عظيماً وعناية شديدة لان المرض ذو خطر وتغيراتهِ سريعة فيجب الانتباه اليها ومراقبتها

وهناك ثلاثة امور يجب تذكرها في هذا الصدد وهي

اولاً يجب ان يسند راس المريض بالمخدات لان ارتفاع رأسهِ عن مساواة بدنهِ يسهّل التنفس عليهِ

ثانياً اذا امر الطبيب بوضع اللزقات فيجب ان تكون حارة وخفيفة ومستوية اي ليست متكتلة في مكان ورقيقة في آخر لانها اذا كانت كذلك كان ضررها اكثر من فائدتها ويجب تغييرها كلّ ٣ او ٤ ساعات حتى لا يبرد مكانها

ثالثاً ليكن طعام المريض من المواد المقوية مثل المرق واللبن . ولما كان المصابون بهذا المرض يشعرون بعطش شديد بسبب ارتفاع درجة الحمَّى فلا بأس ان يسقوا شراباً بارداً اذا ارادوا كالماء مثلاً او ماء الشعير

ويجب تذكر اليوم الذي بدأت القشعريرة فيهِ اذ السؤَال عنهُ من اول المسائل التي يسألنا الطبيب وذلك لان التحسن يبدأ غالبًا في اليوم السابع من المرض . ويجب ايضًا ان تراقب التغيرات عند حدوثها ومعرفة ذلك سهلة على من تعوَّدهُ فان المريض يشعر بنعاس ويعرق ويسهل تنفسهُ وتهبط درجة حرارته بغتة عدة درجات . فاذا تمَّ ذلك يجب ان تنزع الملاءات المبللة ويوضع مكانها ملاءات نظيفة بعد تدفئتها بالنار وتنزع اللزقة عن صدر المريض اذا كان هناك لزقة ويفرك صدرهُ وظهرهُ بفوطة ناشفة مسخنة على النار ويوضع مكان اللزقة قطعة من الفلانلا الناشفة السخنة ويسقى ماء حارًا وتخفف اغطيتهُ ويترك لينام فلا تمضي ايام قلائل حتى يتمتع بالصحة بشرط ان يحافظ عليهِ محافظة تامَّة

والممرضات الخبيرات يرغبن في تمريض المصابين بهذا المرض لانهنَّ يعلمنَ ان الشفاء منهُ متوقف على شدة عنايتهنَّ بهم وحذقهنَّ في تمريضهم . فاذا لم تتحسن احوال المريض في اليوم السابع او التاسع او الحادي عشر من ابتداء المرض على الاكثر فذلك دليل على ان مرضهُ شديد وانهُ يجب ان يضاعف الاعتناء بهِ ولكن لا يجوز لوم الطبيب على ذلك لان اشتداد المرض ينشأ اما عن جهل في التمريض او عدم عناية بهِ واما عن علة متأصلة في جسم المريض

وقبل الختام لا بدَّ من ذكر شيء عن بصاق المريض اذ فحصهُ من اهم واجبات الطبيب فيجب ان يؤتى بفنجان فيهِ قليل من محلول الحامض الكربوليك ويبصق المريض فيهِ ليرى الطبيب البصاق . وبعد ذلك يجب القاء ما في الفنجان بحيث لا يمسهُ احد خشية العدوى وكذلك يجب اجتناب المناديل التي يستعملها المريض وعدم مسها . وفي درجات المرض الاولى يكون البصاق مشربًا بالدم دائمًا

التهاب الشُعب

قلنا ان ذات الرئة هو التهاب الرئتين وانهُ يبتدئ بنوبة قشعريرة وحمى عالية جدًا وان المريض يتحسن بغتة . اما التهاب الشعب فعلى ضدّ ذلك فانهُ التهاب شعب الرئتين وهو يبتدئ تدريجًا وينقضي كذلك والحمى فيهِ ترتفع وتهبط ببطوء . ثم ان ذات الرئة مرض شديد الوطأَة فاما ان ينتهي بالصحة او بالموت . واما التهاب الشعب فقد يصير مزمنًا ويعيش المصاب بهِ طويلاً هذا هو الفرق بين المرضين . واما طريقة التمريض فيهما فواحدة في ما سوى ان الطبيب قد يصف في التهاب الشعب تنشيق المريض البخار فيجب من ثمَّ استحضار الادوات اللازمة لذلك كما تقدم وصفهُ في الكلام عن الدفثيريا ويجب ان ينقط في الماء المعدّ للاغلاء

نقط من الدواء الذي يصفهُ الطبيب ويضاف بعضها كلما زيد الماء ولكن يجب ان يبقى الماء على النار دائمًا حتى لا ينقطع التبخُّر البتة . ويفعل في بصاق المريض كما تقدم في الكلام على ذات الرئة واذا انحطت قوى المريض بذات الرئة او بالتهاب الشُّعب واخذ وجههُ يزرقُّ ولم يكن الطبيب حاضرًا فيحلُّ اعطاؤُهُ قليلاً من الكنياك او العرق

ذات الجنب وهو التهاب البليورا

هو التهاب غشاء الرئتين الرقيق ويبتدئُ فجأَة بقشعريرة وحمًّى مرتفعة والم حادّ مثل الشكَّة تحت الثدي وتنفُّس عسر سريع . فاذا صار التنفس شاقًّا وتفتَّح المنخران كان ذلك دليلاً على ان الرئتين مصابتان

وقد يتكوَّن هناك سائل احيانًا فيضطرُّ الطبيب ان يعمل عملية جراحية بسيطة وهي انهُ يغرز ابرة مثقوبة فيجري السائل فيها الى الخارج ويستريح المريض حالاً . غير ان السائل يتحوَّل احيانًا الى صديد فيقتضي الامر عمل عملية اصعب قليلاً . فيفتح الطبيب فتحة ويضع فيها انبوبة لاستخراج الصديد . على انهُ يجب الاستعداد لهذه العملية وان تكن صغيرة في نفسها لان كمية الصديد تكون كثيرة فيجب احضار عدة آنية كبيرة ومقدار من الماء بعد ما يغلي ويوضع في اناء نظيف وفوط نظيفة وماء حارّ وصابون ودلو (جردل) للماء القذر ولفافة عرضها نحو نصف ذراع وطولها يكفي لان تلف حول الصدر مرتين . والغرض منها حفظ الضمادات في اماكنها . ويجب ان يوضع حول الانبوبة بعض القطن المضاد الفساد (قطن الكربوليك) وتغطى بالقطن ويحضر اناء من الحامض الكربوليك لتوضع الانبوبة فيهِ عند ما يخرجها الطبيب احيانًا وتغسل جيدًا وتنظف من الصديد داخلاً وخارجًا . ويجب ان تلف الضمادات بفوطة نظيفة وتوضع في درج نظيف او علبة من الصفيح (التنك) كعلبة الكعك المعروف بالبسكت مثلاً

السلُّ

هو اشدّ امراض الرئتين هولاً وقد يصيب الانسان عن طريق العدوى او الوراثة . وهو اما حادّ ينتهي بالموت واما مزمنٌ يقاسي صاحبهُ الآلام مدى الحياة . ولقد طالما كتب مؤلفو الروايات عنهُ في رواياتهم وبحث العلماء فيهِ شفاهًا وكتابة وقضوا اعمارهم وانفقوا اموالهم وبذلوا قواهم كلها في اكتشاف دواء لهذا الداء العضال فلم يظفروا منهُ بطائل . وكلُّ ما ثبت لهم الى الآن عنهُ ان الهواء النقي والوسائط الصحية خير العلاجات لهُ ولكنها لا تضمن السلامة منهُ . وعليهِ بنيت المستشفيات الخاصة بهِ وفتحت فيها منافذ وشبابيك وابواب كثيرة بلا مصاريع

ولا دوفات تفتح وتغلق طلباً لتجديد الهواء واطلاقهِ . ولوقاية المرضى من الريح والشمس والمطر بنيت قناطر حول الغرف التي يقيمون فيها

وعند ما يناءون يغطون جيداً ويلبسون قبعات تحفظ حرارة رؤوسهم ولكنهم يتنفسون الهواء النقيّ مهما كان بارداً . ومتى جاء وقت الطعام يحضر الطبيب على الدوام فيزن لكلّ مريض طعامهُ بحسب ما يلزمهُ منهُ . وعلى كلِّ مريض ان يأكل كلّ ما يصفهُ الطبيب لهُ . والممرضون يقيسون حرارة المرضى كل اربع ساعات او في الصباح والمساء على القليل تبعاً لاوامر الطبيب . والغالب ان الحمى ترتفع ليلاً وتعود فتصير طبيعية صباحاً فيشعر المريض بالراحة حينئذٍ . واذا بلغت درجة الحرارة ١٠٠ بميزان فارنهيت او ٣٨ بميزان سنتغراد أُرسل المريض الى الفراش

وهذه المستشفيات خاصةٌ بالمسلولين . ولكن هناك كثيرين من المسلولين لا يرون انفسهم مضطرين الى دخول تلك المستشفيات لخفة وطأة المرض فامثال هؤلاء يستطيعون معالجة انفسهم بالسكن في الخلاء والرياضة واكل الطعام المغذّي والاعتدال في المعيشة وتنظيم اوقات الطعام والرياضة والنوم واجتناب اتعاب الدرس والعمل والهموم العائلية سواء كان المريض فتًى او فتاة او تاجراً او ربة منزل . ثم ان السفر والصعود الى الاماكن العالية الجافة الهواء خير طرق المعالجة للذين يستطيعون الانفاق على انفسهم . فانّ كلّ ما في هذه الدنيا فدى الصحة والحياة

والسلُّ قد يكون اكتسابيًّا ولكنهُ وراثيٌّ بلا خلاف ومعدٍ في بعض الاحوال ولكن ليس الى الحدّ الذي يتصورهُ الناس فقد روي عن رجل ان زوجتهُ اصيبت بالسلِّ ولزمت الفراش فكان يكلمها وهو واقفٌ في الباب ومنديلهُ على فمهِ وانفهِ

فمكروبات السلّ ورئات الناس اشبه بالبذور التي تسقط على التربة الصالحة او الارض الصخرية فان رئات بعض الناس صخرية لا تقبل العدوى ورئات البعض الآخر ضعيفة تقبلها وتعريضها للبرد واهمال امرها بعد الاصابة بذات الرئة او غيرهِ من الامراض الرئوية يفضيان الى السلّ . وقد ثبت من الجهة الاخرى ان الممرضات القويات البنية الجيدات الصحة اللواتي مرّضن المسلولين سنين طويلة لم يصبنَ قط بالسلّ . على انَّ اهمّ ما تجب معرفتهُ حتى في الامراض المعدية ماهية الاحتياطات التي يجب اتخاذها في كل مرض وكيفيتها . ففي السل لا يجوز النوم في فراش المسلولين ولا لبس ملابسهم ولا استعمال مناديلهم . بل يجب ان تغسل ملابسهم على حدة ولا يسمح لهم بالبصاق الّا في علب مخصوصة فيها محلول الحامض

الكربوليك او السليماني او الزمل . واذا مات المسلول فلا بأس من استعمال فراشهِ ودثارهِ بعد غسلهما بمضادات الفساد القوية ويجب تبييض غرفتهِ وطلاء ما فيها من الاثاث الخشبي بالفرنيش . اما الملابس التي لا يمكن غسلها وغليها فالاحسن ان تعطى للفقراء المصابين بالمرض نفسهِ وخصوصاً الفلانلا فانها اعظم ما يحتاجون اليهِ في السل ولكنهم لا يستطيعون شراءها لارتفاع اثمانها . ويجب على جميع المسلولين ان يلبسوا الفلانلا مباشرة لابدانهم حفظاً للحرارة ومنعاً للبرد بعد العرق الذي ينتابهم عند زوال الحمى مساء

باب التقريظ والانتقاد

نهاية الاحكام في بيان ما للنية من الاحكام

لحضرة الحسيب النسيب السيد احمد بك الحسيني آثار علمية جمعها في ساعات الفراغ ولم يسمح ان تبقى في بطون دفاترهِ فهو يطبعها ويتحف بها القراء مجاناً ومن هذه الآثار العلمية الدالة على فرط اجتهادهِ كتاب جمعهُ في بيان ما للنيَّة من الاحكام . اورد فيهِ اقوال العلماء في حقيقة النيَّة والمقارنة والاستحضار المطلوبين في نيَّة الصلاة وسائر ابواب العبادات . وكلامهُ في هذه الابواب يدلُّ على انهُ طالع مئات من كتب الفقه وجمع ما فيها مما يتعلَّق بهذا الموضوع. والحق ذلك بفوائد في تحقيق مقدار المد والصاع والدرهم وقد حقق ان اختلاف الائمة في وزن المد ناشيء عن انهم لم يراعوا نوع المكيل فيهِ اي لم يراعوا الثقل النوعي ولذلك فالاختلاف بينهم لفظي فاذا قيل ان المد ثمانية ارطال بالعراقي فذلك من الماء واذا قيل خمسة ارطال وثلثا رطل فذلك من الشعير . وقال في خاتمة هذا البحث ان المد من الشعير والتمر ٣/٢ ١٧٣ الدرهم ومن الذرة الدقيقة ٣/٢ ١٩٥ الدرهم ومن الذرة الشامية ٣/٢ ٢٠٢ ومن القمح والحمص ٢١٦ درهماً ومن الفول والحلبة ٢٢٤ درهماً ومن العدس ٢٢٧ درهماً ومن الماء العذب الصافي ٢٦٠ درهماً . والقدح المصري يبلغ مدين الا ثمن مد

هذا ويسمح لنا حضرة المحامي الفاضل ان نقول كلمة كانت تتردَّد على لساننا كلما نظرنا في صفحة من كتابهِ وهي ما اثمن الفرص التي اضاعها اولئك الكتَّاب الذين استشهد بهم في ما لم تستفد الامَّة الاسلامية منهُ فائدة تذكر . فان الانكليزي اذا افتخر قال اننا نحن معاشر الانكليز ندخل بلاداً فنجعلها تنبت عشرين سنبلة من سنابل الحنطة حيث كانت تنبت عشر

سنابل اما علماؤنا الاعلام فاعطاهم الله الجدل ومنعهم العمل دخلوا مصر والشام والعراق وهي مهد العمران وفيها زهاء اربعين مليونًا من السكان فبارت اكثر سهولها وليس فيها الآن ثلث سكانها الاولين . ويصعب علينا ان نعيّن كم من هذا الانحطاط ينسب الى اغفال اولئك العلماء مصالح دنياهم وكم منهُ ينسب الى فساد الاحكام وتسوُّد الظلاَّم ولكن ان كنا نجد تسعة اعشار اعياننا فقهاء وشعراء كما يظهر لمن يطالع وفيات الاعيان ولا نجد عالمًا واحدًا يهتم باتقان الزراعة او الصناعة او تسهيل طرق التجارة فلا نخطئ اذا نسبنا الى تهاونهم في امر الدنيا كثيرًا من الانحطاط الذي اصاب هذه البلاد

وهذا الاستطراد لا يحط من شأن عمل المؤلف لانهُ انما جمع هذا الكتاب وامثالهُ في ساعات الفراغ ولم ينقطع للاشتغال بهِ بل ان اشتغالهُ الاهم بعمل شريف نافع مدارهُ حفظ الحقوق لاصحابها ولم يقصر كتابتهُ على تحقيق مسألة فقهيَّة نظرية بل اضاف اليهِ تحقيق مسائل اخرى علمية عملية

وحبذا لو شغل امثالهُ كل اوقات الفراغ بما يزيد قوة الامة عقليًا وجسديًا وادبيًا وماديًا

القصائد الهاشميات

اذا كانت هذه القصائد اصليَّة وقد وصلت الينا كما هي من غير تغيير ولا تبديل فالشعر العربي في القرن الاول بعد الهجرة مثل الشعر في هذا العصر وقد نسج الشعراء على منوال واحد مع اختلاف الازمنة والامكنة والمؤثرات

والهاشميات للكميت بن زيد الكوفي المتوفى سنة ست وعشرين ومئة مدح بها بني هاشم فنسبت اليهم وهي ميميَّة ولامية وعينيَّة واربع بائيات وكلها من فحل الشعر وبليغهِ . وقد روى بعضهم ان الكميت اتى الفرزدق فقال لهُ يا ابا فراس انك شيخ مضر وشاعرها وانا ابن اخيك الكميت بن زيد الاسدي قلت شعرًا فاحببت ان اعرضهُ عليك فان كان حسنًا امرتني باذاعتهِ وان كان قبيحًا امرتني بسترهِ فقال لهُ الفرزدق اما عقلك فحسن واني لارجو ان يكون شعرك على قدر عقلك فانشدني ما قلت فانشدهُ بائيتهُ التي مطلعها طربت وما شوقًا الى البيض اطربُ فقال لهُ الفرزدق اذع ثم اذع فانت اشعر مَن مضى ومَن بقي

وقد اعتنى بتصحيح هذه القصائد وضبطها بالشكل وبيان معانيها ورواياتها حضرة محمد افندي شاكر الخياط النابلسي الازهري بعد ان تلقاها عن العلاَّمة اللغوي المشهور الشيخ محمد محمود الشنقيطي

الصحراء الشرقية

تخطيطها وجيولوجيتها

Topography and Geology of the Eastern Desert of Egypt, by T. Barron A.R.C.S.,F.G.S. and W. F. Hume D. Sc., A.R.S.M.,F.G.S.

كنا بالامس نشكو من ان المحتلين لهذا القطر قصروا اهتمامهم على اصلاح ماليتهِ وريهِ ولم يعنوا بالمباحث العلمية كما عني الفرنسويون لما احتلوهُ في زمن بونابرت . لكن هذه الشكوى قد زالت الآن او كادت بهمة جناب الكبتن ليونس ورجال قسم المساحة الذين معهُ فان مباحثهم العلمية متواصلة وكتبهم متوالية وامامنا الآن كتابان نفيسان منها اكبرها هذا الكتاب عن القسم الاوسط من الصحراء التي شرقي القطر المصري وهو كتاب ضخم فيهِ ٣٣٠ صفحة وكثير من الصور والخرائط . وقولنا الصور والخرائط لا يؤدي المعنى المراد الى ذهن القارىء فان الصور التي في هذا الكتاب مطبوعة في المانيا طبعاً بالغاً حد الاتقان حتى تظنها صوراً فوتوغرافية مصنوعة بالبلاتين وقد تزيد على الصور الفوتوغرافية وضوحاً ورونقاً . والخرائط مطبوعة في مطابع ادارة المساحة الجيولوجية وفي بعضها اربعة عشر لوناً مختلفة واتصال الالوان بعضها ببعض على غاية الدقة والاحكام حتى اننا لم نرَ شيئاً يفوقها في كل ما وقفنا عليهِ من مطبوعات الحكومات الاوربية .

والكتاب قسمان في الاول منهما وصف البلاد الطوبوغرافي وما فيها من الجبال والوهاد والسهول والادوية والآثار القديمة ويتلو ذلك كثير من الفوائد التاريخية ووصف ما في البلاد من النباتات والحيوانات وما يحدث فيها من الآثار الجوية كالحر والبرد والضباب والرياح والعواصف

وفي هذا القسم كلام مسهب عن جيولوجية البلاد وما فيها من المعادن والمواد المعدنية والحجارة الثمينة . ويظهر منهُ ان كل ما قيل حتى الآن عن وجود معادن غنية من الذهب والفضة والرصاص غير قرين الصحة وانما يوجد انواع من المرمر الثمين ولا سيما البرفير السلطاني ولكن لا سبيل للكسب من استخراجهِ الآن لغلاء اجرة العمل والنقل اما في الازمنة الغابرة فكان يُستخرج لان ملوك مصر كانوا يسخرون الاسرى في استخراجهِ ونقلهِ . ويظهر لنا ان مطالعة هذا التقرير تقي الناس من انفاق الاموال على غير طائل للحصول على ما لا يأتي بنائل من المعادن ونحوها . ولو وقفت عليهِ شركة الزيت ما انفقت اموالها على استخراجهِ من جبل الزيت ولا اهتمَّ غيرها باستخراج الفحم الحجري ولا غيرها باكتشاف معادن غنية من الذهب بين قنا والقصير . وحبذا لو نشر بالعربية ايضاً مترجماً او ملخصاً

تقرير الاحداث الجوية

A Report of the Meteorological Observations.

هو تقرير مسهب عن رصد الاحداث الجوية في مرصد العباسية سنة ١٩٠٠ ولا ندري ما السبب لتأخير نشره الى الآن

ويظهر منهُ ان عرض مرصد العباسية ٨٣ر٣٥ َ٤ َ٣٠° وكان يحسب قبلاً ان عرضهُ ٤٠ َ ٤ َ٣٠°. وان متوسط الحرارة في العباسية عن خمس سنوات من سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٨٩٨ كان ٢٠ درجة و٥٨ في المئة اقلها في يناير اذ كان المتوسط ١٢ درجة و٣ في المئة . واكثرها في يوليو اذ كان المتوسط ٢٧ درجة و٨٢ في المئة

وان الحرارة هبطت سنة ١٩٠٠ الى الدرجة ٣ وعشرين في الساعة السادسة صباحاً من اليوم الرابع عشر من شهر يناير وارتفعت الى الدرجة ٤٠ وثمانية اعشار في الساعة الاولى بعد الظهر من اليوم الثاني عشر من شهر مايو وهذا الحد معظم ما بلغتهُ في العباسية تلك السنة

ووقع تلك السنة ٥٢ مليمترًا من المطر وفي شهر فبراير ٢٨ مليمترًا و٤٥ في المئة ووقع في يوم واحد منهُ وهو الخامس والعشرون نحو ٢٥ مليمترًا ووقع في يوم من دسمبر اكثر من ثمانية مليمترات وفي الذي قبلهُ سبعة مليمترات

وفي هذا التقرير خلاصة رصد الاحداث الجوية في الاسكندرية وبورت سعيد واسيوط وام درمان . وكان اقل متوسط للحرارة في الاسكندرية في السنوات العشر من سنة ١٨٩١ الى سنة ١٩٠٠ في شهر يناير وهو ١٤ درجة وعشر واكثر متوسط في شهر اغسطس وهو ٢٦ درجة وستة اعشار والمتوسط العام ٢٠ درجة و ٦ اعشار . واقل ما وصلت اليهِ الحرارة في الاسكندرية ٥ درجات وخمسة اعشار واعلى ما بلغت اليهِ اربعون درجة

وكانت اقل السنين مطرًا سنة ١٨٩١ فبلغ ما وقع من المطر فيها ١٠٨ مليمترات وعشرين واكثرها مطرًا سنة ١٨٩٨ فبلغ ما وقع من المطر فيها ٣٠٧ مليمترات و٩٣ في المئة واكثر الشهور مطرًا شهر دسمبر ويتلوهُ شهر يناير

وفي التقرير رصود اخرى عن الرطوبة وثقل الهواء وحركات الرياح وا تجاف الارض ومغنطيسيتها ونحو ذلك مما لهُ آلات دقيقة في مرصد العباسية وبعضها قديم وبعضها حديث او مجدد وقد بلغ بها هذا المرصد درجة عالية بين المراصد الكبيرة

الري في وادي البو

Irrigation in the Valley of the River *Po*, by Ismail Sirry Bey.

لو قام عشرة من ابناء هذا القطر كل سنة وقضوا شهرًا في البحث عما فيهِ فائدة عمومية كما فعل واضع هذا التقرير حضرة المهندس الشهير اسمعيل بك سري لبلغ القطر اعلى درجات الارتقاء

وقد كنا ونحن نطالع مقدمة تقريرهِ نتصورهُ يصل الليل بالنهار وهو يجول من مكان الى آخر في بلاد ايطاليا يبحث عن اساليب الري المتَّبعة فيها ويكتب ما يراهُ ويسمعهُ ويشغل المهندسين والرسَّامين بمساعدتهِ حتى جمع ما ملأ كتابًا كبيرًا من المباحث العويصة والرسوم الدقيقة في اقل من شهر من الزمان. ولا بدَّ من ان تظهر نتيجة بحثهِ ودرسهِ في اعمال الري العظيمة التي يعملها الآن في المديريات المتوسطة لان مهندسي ايطاليا الذين لقيهم ورأى اعمالهم من اشهر المهندسين في اعمال الري

ومن الفوائد التي نؤْثرها عن تقريرهِ انهُ يمكن عمل الكباري الصغيرة التي يبلغ طول الكبري منها ثمانية امتار وعرضهُ ثلاثة من السمنتو والخرسانة في ثماني ساعات ولا تزيد نفقة الكبري منها على اربعين جنيهًا

ومنها ان تكسية الحجر تغني عن الرؤُوس في وقاية الجسور عند منعطفات الانهر

ومنها سهولة استخدام القوة المائيَّة لتوليد الكهربائيَّة فانهُ رأى في مكان عشرة تربينات ارتفاع الماء النازل فيها ٢٨ مترًا وايرادهُ ٥٠ مترًا مكعبًا في الثانية وتحصل من انحدارهِ قوة تساوي ١٤٠٠٠ حصان . ورأى في مكان آخر ثمانية تربينات ينزل فيها الماء على ٢٨ مترًا وهو ٤٥ مترًا مكعبًا في الثانية فتتولَّد منها قوة تساوي ١٢٠٠٠ حصان يستعمل عشرة آلاف حصان منها لانارة مدينة ميلان بالكهربائية ولتسيير ما فيها من مركبات الترامواي ولبعض معاملها . ومن رأيهِ انهُ يجب ابدال الآلات المائية المستعملة الآن في الفيوم بآلات مائية متقنة مثل المستعملة في ايطاليا

وقد لقي حضرة مهندسنا الفاضل مزيد الحفاوة والاكرام من وزراء ايطاليا ومهندسيها . ولا بدَّ من ان يكونوا قد اعجبوا بعلمهِ وسعة اختبارهِ وتدقيقهِ في المباحث الهندسيَّة كما اعجب هو بمهارتهم وتسارعهم الى اكرامهِ

وفي التقرير ١٨ من الرسوم والخرائط الكبيرة عدا الصور الصغيرة وهو مكتوب باللغة الانكليزيَّة وحبذا لو نُشر بالعربيَّة ايضًا

جامع بيان العلم وفضله

تأليف الامام المجتهد حافظ المغرب ابي عمر يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٣ هجرية وقد اختصرهُ وطبعهُ حضرة احمد بن عمر المحمصاني البيروتي الازهري وجعل ثمنهُ خمسة غروش فقط تسهيلاً لاقتنائهِ. والكتاب نفيس فيهِ ابواب شتّى معززة بالآيات والاحاديث واقوال الايمة والشعراء . ولا ندري كيف كان القدماء يستطيعون جمع هذه الكتب مع قلة وسائل الاهتداء الى ما يطلبون من الفهارس ونحوها فنجد في بعض فصول هذا الكتاب مئات من الآيات والاحاديث والاقوال المأثورة والاشعار التي يستشهد بها في كل باب من ذلك قول محمود الوراق

الفقر في النفس وفيها الغنى ... وفي غنى النفس الغنى الاكبرُ
مَن كان ذا مالٍ كثير ولم ... يقنع فذاك الموسر المعسرُ
وكل مَن كان قنوعاً وان ... كان مقلاً فهو المكثرُ

وقول ابي فراس الحمداني

غنى النفس لمن يعـ ... ـقل خير من غنى المالِ
وفضل الناس في الانفـ ... ـسِ ليس الفضل بالمالِ

وقول خلف الاحمر

خيرُ ما ورَّث الرجال بنيهم ... ادب صالح وحسن ثناء
هو خير من الدنانير والأو ... راقِ في يوم شدّة ورخاء

وقول ابي العتاهية

وانما العلم من عيانٍ ... ومن سماع ومن قياسِ

وقولهُ

واعظم الاثم بعد الشرك نعلمهُ ... في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها ... منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

وقد عني حضرة ناشرهِ بضبط الفاظهِ الغريبة وإيضاحها مع ترجمة كثيرين من الاعلام المذكورين فيهِ اتماماً للفائدة فاجاد وافاد

تراجم مشاهير الشرق

لرصيفنا العالم المحقق جرجي افندي زيدان فضل كبير على ابناء العربية بما ينشئهُ في

هلالهِ وبما ينشرهُ من الكتب في كل المواضيع العلمية والتاريخية والادبية . وقد اتحفنا الآن بالجزء الثاني من تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر وفيهِ تراجم كثيرين من الذين لا يختلف اثنان في شهرتهم وفي انهم افادوا ابناء العربية كالشيخ ناصيف اليازجي ورفاعه بك الطهطاوي والمعلم بطرس البستاني وعلي باشا مبارك والدكتور كرنيليوس ڤان ديك . وتراجم غيرهم من الذين لا نعلم انهم افادوا البلاد فائدة كبيرة حتى يذكروا بها او لا نرى شهرتهم في شيءٍ نافع . لكن مقياس الشهرة غير محدود فلا ندعي ان مقياسنا لها اصح من كل مقياس غيرهِ . وقد اجاد حضرة المؤلف بذكرهِ بعض النابغين من الهنود والاتراك كالسيد احمد خان الهندي ومحمد نامق كمال بك التركي. واحسن في اقتصارهِ على ذكر المتوفين وفي نشرهِ بعض ما جادت بهِ اقلامهم. وحبذا لو اطال في هذا الباب لان الفائدة من آثار المرء كالفائدة من ذكر اوصافهِ

والكتاب ٢٤٤ صفحة بقطع كبير وثمنهُ اربعة فرنكات وهو يطلب من مكتبة الهلال في مصر

ديوان الرافعي

مصطفى افندي الرافعي شاعر مطبوع فتح لهُ الشعر ديوانهُ فجنى من رياضهِ ثمار الجنان وعرض عليهِ درر بحورهِ فنظم من فرادها قلائد العقيان . ترى قريحتهُ الوقادة في باب الوصف والنسيب وبعض المقاطيع كقولهِ في الخيام والقصور

قصور تدلُّ بأيامها ... دلال الرياض بآذارها
وقد سامحتها خطوب الزمان ... وضنَّت عليها بأكدارها
ودارت بمعصمها كالسوار ... رياض تسامت باسوارها
تحاكي المجرَّة انهارها ... وتحكي النجوم بازهارها

وقولهِ في القمر

زهتهُ الملاحة حتى سفر ... وخلَّى الدلال لذات الخفر
وبات يسامر اهل الهوى ... وقد طاب للعاشقين السمَر
يحدثنا عن بني عذرة ... ويروي لنا عن جميل خبَر

وابلغ من ذلك وصفهُ لحريق ميت غمر . ومن مستحسن شعرهِ ما نظمهُ في صدد اعلان نشرتهُ غانية يابانيَّة حيث قال

فما العز في حجرات الكعاب ... ولا في الرياض وريحانها

ولا في الشعور كموج السحاب اذا ما تراخت على بانها
ولا في الحواجب مثل الهلال ولا في العيون واجفانها
ولا في جمال زهور الرياض اذا اختلن في ثوب نيسانها

وما قاله في خمول البعض من قومهِ

وقد اراني في قوم اولي كسل كانما انتفضوا من تحت ارماسِ
فبعضهم بين اخفاف الهوان هوى وبعضهم ضل بين الكاس والطاسِ

وقوله

الشرق سوق الغرب لكنها لا يشترى منها سوى البائر
باع بنوها بعضهم بعضهم فالويل للرابح والخاسر

وقد شرح هذا الديوان حضرة الاديب محمد افندي كامل الرافعي اخي الناظم

الفضيلة

مجلة ادبيّة عموميّة تصدر في اول كل شهر لحضرة منشئها الاديب سليم افندي المضم فيها قسمان الاول المقالات الادبية المفيدة والقصائد العصرية الشائقة والثاني تاريخ حوادث الشهر الداخلية والخارجية . وفي الجزء الاول الذي صدر منها قصيدة في مدح صاحب السعادة ادريس بك راغب واخرى في مدح صاحب السماحة السيد ابي الهدى الصيادي ومقالة في الجمعيات ومقالة في الجرائد والمجلات وتاريخ حوادث فبراير ومارس. وقيمة الاشتراك فيها اربعون غرشاً فنتمنى لها النجاح

البلهارسيا والنواصير البولية

خطبة لحضرة الفاضل الدكتور علي لبيب القاها في المؤتمر الطبي المصري بيّن فيها ان النواصير البولية مسببة في الغالب عن مرض البلهارسيا الكثير الانتشار في القطر المصري وقال انهُ وصل الى هذه النتيجة بعد بحث اربع عشرة سنة. وقد شرح مرض البلهارسيا شرحاً مسهباً وبيّن سبب انتشارهِ في الوجه البحري وقال ان الذين يصابون بهِ ويستقلون من حيث تكثر ديدانهُ الى حيث لا توجد زالت منهم من نفسها كبعض الشبان الذين كانوا مصابين بها ثم مضوا الى اوربا لاتمام دروسهم فانها زالت منهم من غير علاج . والخطبة مسهبة وفيها فوائد جمّة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسألتهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ .

(١) زمن آدم

مصر . الخواجه ميخائيل بساراني . قرأت في احدى المجلات المصرية ان وكيل كلية كمبردج قضى ١٥ سنة في البحث عن تاريخ مولد آدم ابي البشر واخيراً قال انهُ ولد في ٢٣ اكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل المسيح . وايضاً كنا نطالع في مقتطفكم الصادر في الشهر الحالي عن عمران العراق وشرائع حمورابي فذكرتم ان مدينة اريدو كانت مرفأً للمملكة الكلدانية قبل المسيح بستة آلاف وثمانماية واربع وستين سنة فكيف توفقون بين قولكم هذا وقول وكيل كلية كمبردج

ج لا نقدر ان نوفق بين القولين . وغاية ما يُقال ان العلماء الذين يؤْخذ بقولهم في هذه المواضيع يقولون ان الانسان وُجد على وجه هذه البسيطة منذ الوف كثيرة من السنين . ومعلوم ان صور الامم المنقوشة على الآثار المصرية منذ نحو خمسة آلاف سنة او اكثر تدلُّ دلالة واضحة على ان الفروق التي نراها الآن بين الزنوج والمصريين واهالي البلدان الشمالية كانت حينئذٍ كما هي الآن تماماً وهذه الفروق لا تتكوَّن في الامم اذا كانوا من اصل واحد الَّا اذا مرَّت عليهم قرون كثيرة . ومعلوم ايضاً ان العمران المصري قديم جداً وبعض المباني التي لم تزل قائمة الى الآن كاهرام الجيزة بني قبل المسيح باربعة آلاف سنة او اكثر وذلك العمران لم يبلغ ما بلغهُ حينئذٍ الَّا في مئات او الوف من السنين اذا فرضنا ان نواميس العمران جارية على سنن واحد . وقد وجدت عظام من عظام الناس وآثار من آثارهم في امكنة رسبت فيها رواسب الانهر واختلطت بها عظام حيوانات انقرضت في زمن العصر الجليدي الذي عمَّ البلدان الشمالية منذ اكثر من عشرة آلاف سنة كما يستدلُّ من بعض الادلَّة الفلكيَّة والجيولوجيَّة فلا مهرب من القول بان اصحاب تلك العظام وتلك الآثار عاشوا وماتوا منذ اكثر من عشرة آلاف سنة . وهذه الادلة وامثالها اقنعت جمهور العلماء الذين اطَّلعنا على كتبهم بان الانسان وُجد على وجه البسيطة منذ الوف كثيرة من السنين

(٢) قدم العالم

ومنهُ . نؤكد ان حضرتكم لا تعتقدون انهُ وجد آدم واحد الذي يقال انهُ ابو البشر بل وُجد اوادم كثيرون حيث تقولون ان عمر الارض يبلغ ملايين من السنين فلماذا لا يوجد كتب تدلّ على ان العالم مخلوق من مدة هذه الملايين حتى يؤمن الجميع بما تقولون

ج من اين عرفتم اننا لا نعتقد بوجود آدم واحد فاننا لم نقل هذا القول ولا كتبناهُ كأنهُ معتقدنا . وقولنا ان عمر الارض يبلغ ملايين من السنين لا ينتج انهُ وجد اكثر من آدم واحد . اما سؤالكم عن وجود كتب تدل على ان عمر الارض ملايين من السنين فالجواب ان كل كتب الجيولوجيا والبلينتولوجيا تدل على ذلك حتى ان التوراة وهي اقدم الكتب الدينية تقول " في البدء خلق الله السموات والارض " ولم تحدد زمن هذا البدء فيحتمل ان يكون منذ ملايين كثيرة من السنين وقد اتفق الشرّاح الذين اطلعنا على تفاسيرهم على ان المراد بالبدء هنا زمن قديم جدًّا او هو اول الزمن اذ لم يكن كائن الاَّ الله . فالزمن الذي خلقت فيهِ الارض قديم جدًّا حسب نص التوراة وفهم العلماء لها

(٣) زوال التباغض

ومنهُ . هل يزول التباغض يوماً ما عن وجه الارض او يبقى مكتوماً في صدور الامم

ج ان مصير الناس اخيرًا الى نزع الرذائل وتمكن الفضائل جريًا على الناموس العام وهو ناموس بقاء الاصلح ولذلك ينتظر ان يزول التباغض ايضًا اما الزمن الذي يزول فيهِ فبعيد جدًّا اذا بقي ارتقاء الناس في الفضائل سائرًا سيرًا بطيئًا كما هو الآن

---

(٤) احوال السودان

طنطا . حبيب افندي فهمي . كم انفقت انكلترا حتى الآن على بلاد السودان وما هو الرأي في مستقبل السودان وهل يمكن ان يتجاوز عدد النزلاء الاجانب فيهِ عددهم في مصر

ج انفقت على الحملة التي قصدت بها تخليص غوردون باشا نحو ثلاثة عشر مليونًا من الجنيهات وانفقت على جيشها الذي عاون الجيش المصري في استرجاع السودان ولا تزال تنفق على الحامية التي هناك وردت الى الحكومة المصرية الخمس مئة الف جنيه التي اخذتها الحكومة من صندوق الدين . ويظهر لنا ان مستقبل السودان حسن جدًّا فيستتب فيهِ الامن والعدل وتقوى الزراعة والتجارة بكل الوسائل الممكنة وهذا يدعو الى ازدياد النزلاء فيهِ ولكن يبقى حرّهُ مانعاً من استيطانهم لهُ هم وابناؤهم فيذهب اليهِ اكثرهم للارتزاق ثم يعودون منهُ ولا يقيم فيهِ الاَّ القليلون منهم ولكن لا يبعد ان تتيسر طرق

السفر جداً بعد إذٍ وتستنبط وسائط جديدة لتخفيف وطأة الحر فتزول الموانع التي تمنع النزلاء الآن من استيطان تلك البلاد

(٥) منشأ زي النساء

ومنهُ. ما هي اول مملكة نشأ فيهما زي النساء الاوربي الحالي وهل كان منذ بدئهِ يشبه الزي الحالي

ج المشهور في اوربا ان ازياء النساء تبتدئُ في باريس ومنها تنقل الى غيرها من المدن . واننا لنستغرب سوءَالكم هل كان الزيُّ منذ بدئهِ يشبه الزي الحالي وانتم ترون الازياء تتغيَّر تغيرًا تامًّا كل سنة او كل بضع سنوات

---

(٦) ولاية العهد في تركيا

البرازيل . الخواجه الياس مارون. لمن ولاية العهد في تركيا

ج للارشد من العائلة السلطانية

(٧) النمل

ومنهُ . ماذا يزيل النمل اذا كان كثيرًا في البيت

ج ان تبل اسفنجة بقليل من سائل حلو الطعم وتوضع حيث يجتمع النمل عليها ثم توضع في الماء السخن حتى يموت النمل منها ويكرر ذلك مرارًا ما دام النمل كثيرًا. ونحن نضع ما نخشى عليهِ من النمل في خزانة كبيرة تحت قوائمها الاربع اربع صحاف فيها رماد ومسحوق سام يكرههُ النمل فلا يصل اليها

(٨) البرغش

ومنهُ . وماذا يزيل البرغش

ج منع ركود الماء في اناء في البيت او خارجًا عنهُ وتجفيف كل المستنقعات الصغيرة القريبة من السكن وتربية السمك في البرك الكبيرة فان البرغش يبيض ويتولد في الماء الراكد ولكن اذا كان في الماء سمك اكل بيض البرغش

---

(٩) تحريك الاطراف

مصر . مصطفى افندي رشيد . المشاهد ان اغلب الناس في السير الاعتيادي يحرك الطرف العلوي الايمن مع الطرف السفلي الايسر والعكس بالعكس فما سبب ذلك

ج المشاهد غير ذلك بل يحرك يدهُ اليمنى مع رجلهِ اليمنى ويدهُ اليسرى مع رجلهِ اليسرى وسببهُ واضح وهو اشتراك اعصاب كل شق بعضها مع بعض

---

(١٠) مراكز قوى العقل

كفر الزيات . ناشد افندي فريد . كيف استدلَّ علماء التشريح على مواضع التصوُّر والذاكرة والحافظة في الدماغ واذا كان لكلٍّ منها محلٌ مخصوص فهل هي محدودة واذا كانت محدودة فهل العقل ايضاً محدود

ج انهم استدلُّوا على مراكز بعض القوى بالبحث والاستقراء فتتبعوا مثلاً سير الاعصاب الممتدة من العين الى مراكز محدودة في الدماغ

ثم وجدوا انهم اذا نزعوا تلك المراكز بطل الابصار . وتتبعوا الاعصاب الممتدة من اللسان الى مراكز اخرى في الدماغ ووجدوا انهُ اذا ايفت تلك المراكز بطل النطق او اختلَّ وهلمَّ جرًّا فاستدلوا بمثل ذلك على مراكز بعض القوى . والظاهر ان هذه المراكز محدودة في نصفي الدماغ . ثم ان مراكز القوى العقلية محصورة في الدماغ فلا يفتحتر الانسان بيدهِ ولا بمعدتهِ واذا ازيلت مراكز العقل من الدماغ او اصابها مرض او قلَّت تغذيتها بطلت الافعال العقلية او ضعفت جدًّا وكذلك اذا فعل بالدماغ مخدّر يخدره كالمسكر والبنج لم يعد الانسان يعقل وهو تحت سلطة ذلك المخدّر

(١١) مشابهة الولد لوالديهِ

ومنهُ . لماذا يشبه الولد والديهِ في الخلقة والاخلاق والميل الى الامراض

ج لان كل جزء من اجزاء بدنهِ مكوَّن اصلاً من جسمي والديهِ فكأنهُ قضيب كرمة قطع وزرع في الارض فينبت ويحمل ورقًا وعنبًا مثل الكرمة التي قُطع منها

(١٢) ولادة التوأمين

ومنهُ . كيف تعللون ولادة المرأة لطفلين معًا

ج يعلَّل ذلك بان بيضتين تُلقحان معًا في وقت واحد او في وقتين قريبين فتنميان معًا الى ان تصيرا جنينين

(١٣) اصل الانواع

ومنهُ . يقول دارون ان مرجع الانسان والحيوان الى خمسة اصول ومرجع النبات الى سبعة فهل ظهرت او ينتظر ان تظهر خلقة جديدة في العالم صادرة عن اصول الانسان والحيوان والنبات.

ج اين رأيتم ان دارون يقول بان للحيوانات خمسة اصول وللنباتات سبعة اصول فاننا لا نتذكر اننا قرأنا لهُ قولاً مثل هذا لكنهُ قال ان البحث والاستقراء يدلانهِ على ان للموجودات الحيَّة اصلاً واحدًا او اصولاً قليلة . وكرَّر هذا القول مرارًا وهاكم ترجمة عبارتهِ الاخيرة في كتابهِ اصل الانواع " اذا نظرنا الى الحياة من هذا القبيل رأينا فيها مجالي العظمة رأينا ان الخالق بثَّها اصلاً في شكل واحد او اشكال قليلة فتولَّدت منها اشكال لا تحصى تفوق الوصف جمالاً وتدهش العقول بناء حدث ذلك والارض دائرة في مدارها حسب ناموس الجاذبية المقرَّر ". ونظن انكم تريدون بالقسم الثاني من سؤالكم هل ينتظر ان تتولَّد انواع جديدة من الانواع الموجودة الآن والجواب على ذلك ان هذا الامر محتمل ومن الناس من يقول ان ميكروبات بعض الامراض التي لم تكن معروفة قبلاً كالكوليرا هي انواع جديدة تولَّدت من غيرها . ومعلوم ان ميكروبات الامراض نفسها تربَّى الآن على اساليب مخصوصة فتتغير طبائعها وتفقد كثيرًا

من خواصها حتى ان ما كان منها ميتًا لا يعود ميتًا بل يصير ينجي الجسم من الموت كما ترون في الجدري فانهُ اذا ربي في جسم البقر ضعف فعلهُ وصار ينجي الانسان من خطر الجدري البشري

اما الحيوانات والنباتات الكبيرة فلا ينتظر ان يتولّد نوع جديد منها الاَّ في الوف كثيرة من السنين ولكن يسهل تغيير النوع الواحد في مئات او الوف من السنين حتى يبعد عن اصلهِ كثيرًا كما ترون في كثير من الحيوانات والنباتات الاهلية والبرية فالورد الاحمر او الاصفر الذي في الزهرة منهُ مئات من الاوراق وقطرها عشرة سنتمترات او اكثر بعدت عن الورد البري المعروف بالنسرين الذي في الزهرة منهُ خمس اوراق فقط بعدًا شاسعًا. ولولا وجود الحلقات المتوسطة بين الورد الاول والورد الثاني لعُدَّا نوعين مختلفين مع ان الواحد متولد من الآخر

---

(١٤) اولاد السود والبيض

الاسكندرية . حسين افندي رسمي . لماذا يولد اولاد السود سودًا واولاد البيض بيضًا مع ان البيضة التي يتكون منها الجنين بيضاء في السود والبيض على حدٍ سوى .

ج ان هذه البيضة على صغرها و بساطة تركيبها وكون لونها الظاهر ابيض ضارب الى الصفرة تحتوي جراثيم كثيرة من الوالدين واسلافهما الى اجيال كثيرة ولذلك يظهر في الطفل كثير من مزايا اسلافهِ الجسدية والعقلية لانهُ يكون فيها اصول او جراثيم من الشعر والاظافر والاسنان والاذنيين والعينين والعظام والعضلات والرئتين والقلب والكبد والطحال والكليتين وكل اعضاء الجسم الظاهرة والباطنة . ولا بدَّ من ان يكون فيها ايضًا جراثيم من الجلد والمواد التي تلونهُ باللون الابيض او الاسمر او الاسود حتى اذا كان ابوهُ وامهُ اسودين جاء اسود مثلهما واذا كانا ابيضين جاء ابيض واذا كان احدهما ابيض والآخر اسود فاذا تغلبت المادة المكونة للون الجلد الآتية من احدهما كان لون الطفل مثلهُ واذا تساوتا قوة كان لونهُ بين بين

...

(١٠) فقد السمع

صدفا . احد المشتركين . لي صديق أُصيب بالحمى منذ ثلاث سنوات وبعد شفائهِ من المرض شعر بطنين في اذنيهِ بغير الم ثم اخذ سمعهُ ينقص شيئًا فشيئًا حتى صار الآن نصف ما كان اولاً ولا يزال الطنين موجودًا فهل يحتمل ان يفقد سمعهُ تمامًا

ج نعم ونشير عليهِ ان يري نفسهُ لطبيب من اطباء الاذن قبلما يتسع الخرق على الراقع . اما ما اصاب صديقكم الاول فلا يقطع النسل



الراديوم

اهم ما تتذاكر فيهِ الدوائر العلمية الآن الراديوم العنصر الذي تتولَّد منهُ الحرارة ويصدر النور وهو باقٍ على حالهِ . واهتمامهم بالبحث عنهُ ليس لانهم يرجون منهُ ان ينير ظلمة المستقبل او يزيل برد الشتاء بل لانهم رأوا فيهِ امرًا غريبًا غير مألوف وهم يودون تعليلهُ وردهُ الى النواميس الطبيعيَّة المعروفة او اكتشاف الناموس المجهول الذي يجري عليهِ . اما استخدامهُ كمصدر للنور والحرارة فمما لا مطمع بهِ لانهُ اندر العناصر المعروفة واغلاها. وقد مضى على المسيو كوري وزوجتهِ ثلاث سنوات يهتمان باستحضار مركباتهِ فلم يستحضرا مئة وخمسين درهمًا منها ولذلك فهو غالٍ جدًّا وثمن الدرهم منهُ الآن اكثر من الف جنيه فهو اغلى من الذهب واللؤلؤ والماس والياقوت والزمرُّد ومن كل حجر كريم او معدن من المعادن . والمظنون انهُ نادر على نسبة غلاء ثمنهِ. وهب انهُ اكثر مما يظن الآن فلا يحتمل ان يكون كثيرًا مثل الذهب. وهو اغلى من الذهب ثلاثة آلاف مرة فان ثمن الاوقية من الذهب اربعة جنيهات واما ثمن الاوقية منهُ فاثنا عشر الف جنيه اي ان الدرهم منهُ يساوي ثلاثة آلاف درهم من الذهب . فعنصر ثمين مثل لا يحتمل ان يكثر استعمالهُ حتى يشيع

قدم علوم الهنود

ألَّف الدكتور برافولا شندرا راي استاذ الكيمياء في مدرسة كلكتا الجامعة كتابًا في تاريخ الكيمياء عند الهنود بيَّن فيهِ ان علم الكيمياء كان قديمًا جدًّا في بلاد الهند وان العرب اقتبسوهُ منهم واقتبس اليونان قبلهم شيئًا كثيرًا من معارفهم في الطب والكيمياء والرياضيات. وهم الذين برهنوا القضية السابعة والاربعين من قضايا اقليدس التي يقال فيها ان مربع وتر المثلث القائم الزاوية يعدل مربعي ساقيهِ وكان ذلك قبل ميلاد فيثاغورس بمئتي سنة . وعرفوا فائدة بعض النباتات في علاج الامراض قبل المسيح بالفي سنة وعرفوا من ذلك الحين الذهب والرصاص وعلَّقوا عليهما بعض الفوائد العلاجيَّة فقالوا ان ان الذهب اكسير الحياة والرصاص يبطل فعل السحر . ومشت الكيمياء عندهم مع الطب فتقدمت بتقدمهِ وكانوا يستعملون مستحضرات الزيبق وبعض المعادن الاخرى قبل براسلسوس بقرون كثيرة واستعملوا اكسيد

الزيبق الاسود علاجاً داخلياً في القرن العاشر قبل المسيح وعرفوا قبل ذلك ان لهب النحاس ازرق ولهب الرصاص اصفر وقالوا ان المعدن النقي الممحص هو الذي يُصهَر في البودقة فلا يخرج منهُ شرار ولا فقاقيع ولا صوت ولا يطرش ولا تظهر خطوط على سطحهِ . وقد صبوا عمود الحديد الذي قرب دهلي وثقلهُ عشرة اطنان او نحو ثمانية آلاف اقة منذ الف وخمس مئة سنة وصنعوا سقف رواق الهيكل في كنوراك وهو من الحديد

واستنتج الدكتور راي من شواهد كثيرة اقتبسها من كتب الهند القديمة انهم سبقوا امم الارض كلها ما عدا الصينيين الى كثير من العلوم والمعارف

اكرام العلماء

احتفل الايطاليون في اوائل هذا الشهر بنجح السنيور مركوني حرية مدينة رومية . فعقد اجتماع عظيم في رومية في السابع من الشهر وادبت مأدبة شائقة في مسائهِ اكراماً لهُ وجاءتهُ رسائل التهانيء تترى من جميع جهات المملكة الايطالية . ولا يزال مقيماً في رومية يكرر تجاربهُ وامتحاناتهِ ويقال انها جاءت بالنتائج الحسنة

واحتفل الانكليز في اواخر الشهر بمرور مئة سنة على اعلان دلتون العالم الانكليزي الشهير لمذهب الجوهر الفرد المعروف باسمهِ فانهُ خطب سنة ١٨٠٣ في جماعة من العلماء والفلاسفة عن امتصاص الماء وسائر السوائل للغازات واشار في عرض كلامهِ الى ذلك المذهب

النبات الواقي من البعوض

ارسل الكبتن لاريمور كتاباً الى التيمس يقول فيهِ انهُ جاء بنبات من بلاد النيجر في غرب افريقية الى بلاد الانكليز واهداهُ الى حدائق كيو في لندن ليراهُ كلُّ من شاء . ومن خصائصهِ على ما يعتقد الوطنيون انهُ اذا أُغلي وشرب ماؤُهُ شفى من الحمى الملارية . وكانت جريدة ناتشر الانكليزية قد نشرت خبرًا في اوائل السنة نقلاً عن الكبتن نفسهِ مؤداهُ ان في بلاد النيجر نباتاً من فصيلة الريحان (الحبق) يقي من البعوض كما ذكرنا في حينهِ

وارسل السر جورج بردوود كتاباً آخر الى التيمس يقول فيهِ ان الهنود يعرفون مزايا هذا النبات وانهُ على نوعين بريّ واهليّ . واستشهد على ذلك بالقصة الآتية وهي انهُ بينما كانوا ينشئون حديقة فكتوريا في بومباي اصيب الفعلة بالملاريا من شدة فتك البعوض فزرعوا النبات المذكور في جوانب الحديقة بناء على اشارة ناظر الحديقة الهندسي فأثر ذلك تأثيرًا ظاهرًا فخفت الحمى وقلَّ البعوض

الميكروبات المنيرة

عقدت جمعية العلوم في فينا جلسة قرأ الاستاذ موليخ فيها مقالة عن الميكروبات الفصفورية . ومما قالهُ انهُ صوَّر جماعات منها بمجرَّد نورها وانهُ اذا ملئت زجاجات كبيرة تسع لترًا الى لترين سائلاً ملائمًا لنموها ووضعت كمية منها في ذلك السائل تكون من ذلك "مصباح" يستطيع الواقف امامهُ ان يقرأ الترمومتر او يرى الوقت في الساعة الصغيرة وهو على بعد متر او مترين عن المصباح . واذا كان الليل حالكًا امكن رؤية المصباح على بعد ستين خطوة . وقد اشار باستعمال هذا المصباح في مخازن البارود حيث يحظر ادخال النار خوف الانفجار وفي صيد السمك فان السمك اذا رأى النور تهافت عليهِ فسهل صيدهُ ويبقى المصباح منيرًا اسبوعين او ثلاثة اسابيع اذا وافقتهُ الاحوال

انهيار عظيم

انهار جرف عظيم من الصخور في مدينة فرنك غربي كندا فسد الوادي الذي تحتهُ على تمامهِ وغطت قطع الصخور المتناثرة خط سكة الحديد على مسافة ميل ونصف شرقي المدينة وارتفعت اعمدة كثيفة من التراب والغبار على اثر الانهيار ظنها الناس مسببة عن انفجار بركاني في اول الامر واشاعوا ذلك ولكن ثبت انهُ ليس للبراكين يدٌ في تلك الحادثة

تلغراف مركوني

أجاب احد وزراء الانكليز في مجلس النواب على سؤَال أُلقي اليهِ فقال ان مجلس التجارة وجد مصاعب جمة في استعمال تلغراف مركوني بين السفن والبرّ بخلاف استعمالهِ بين سفينة واخرى في عرض البحر وقال آخر ان متوسط نفقات نظارة البحرية على استعمال التلغراف المذكور بين بوارجها يبلغ الآن نحو ٢٠٠٠٠ جنيه سنويًّا

ونشرت احدى الجرائد النمسوية رسالة برقية وردت عليها من احد مكاتبيها بالتلغراف الذي بلا اسلاك وكان راكبًا قطار سكة الحديد بين مدينتين نمسويتين والقطار ينهب الارض نهبًا فلم يؤَخر ذلك وصول الرسالة

تاريخ الحديد

اجتمعت جمعية المهندسين الميكانيكيين في انكلترا في اواخر ابريل الماضي فخطب رئيس الجمعية في الحديد وتاريخ استعمالهِ لحاجات الانسان فقال انهُ ثبت ان الحديد كان معروفًا في مصر منذ اربعة آلاف سنة قبل المسيح وكانوا يسكُّون منهُ الاسلحة ويطبعون الادوات والآلات المختلفة . ثم أُسدلت الحجب عليهِ ولم يعد يعرف من امرهِ شيء مدة ثلاثة آلاف سنة ولكنهُ عاد فاشتهر في عصر هوميروس اي في نحو القرن العاشر قبل المسيح ولم تعرف طريقة صهر الحديد حتى

اواخر القرن الخامس عشر من التاريخ المسيحي اي منذ نحو ٤٠٠ سنة والآلات التي لم يكن عملها بالمطرقة ممكناً كانوا يصنعونها قبل ذلك من البرونز.

الله والعلم

خطب الاستاذ هنسلو في غرة الشهر الماضي خطبة موضوعها "المذهب العقلي وفحص مذهب دارون" وكان اللورد كلفن اكبر علماء الانكليز حاضراً فنهض لما اتمَّ الخطيب خطبتهُ وقال ما ترجمتهُ "اني موافق على كل الامور الجوهرية التي قالها الاستاذ هنسلو ولكنني لا اوافقهُ على ان العلم يقف موقف المرتاب من حيث الايمان بوجود الخالق لا يثبتهُ ولا ينفيهِ بل هو يثبت وجود القوَّة الخالقة حتماً لاننا لا نحيا ونتحرك ونوجد بالمادة الميتة بل بالقوة المحيية المدرّبة . ولا نقدر ان نتخلص من هذه النتيجة حينما نرى المواد التي حولنا حيَّة كانت او غير حيَّة وندرس خواصَّها الطبيعيَّة وسيعود علماء الحياة الى الاعتراف بوجود الاهل الحي المجهول وبانهُ غير القوى الطبيعيَّة والكيماوية . يضع العلم امامنا شيئاً مجهولاً اذا فكَّرنا فيهِ قصد ادراكهِ رأينا اننا كلنا من اللاادريين وانما نعرف الله باعمالهِ ويضطرُّنا العلم الى الايمان والثقة بقوة مدبّرة بفاعل وراء القوى الطبيعيَّة والكهربائيَّة لقد انكر شيشرون ان الناس والنباتات والحيوانات يمكن ان تكون قد وجدت من انضمام الجواهر الفردة بعضها الى بعض بالصدفة ومن لا يؤمن ايماناً علميًّا راسخاً بوجود الخالق يضطر ان يؤمن بان الجواهر تجتمع من نفسها بالصدفة وتكوّن الكائنات لانهُ لا يوجد فرض ثالث. ومن يتصوَّر انهُ يمكن ان تتألف الجواهر من نفسها فتكوّن بلورة او نباتاً او ميكروباً او حيواناً حيًّا . ان انضمام الجواهر بعضها الى بعض بالصدفة على ما ذكر شيشرون لا يبعد عن تكوُّن البلورات ولكن رجال العلم في هذا العصر يوافقونهُ على القول باستحالة ذلك في تعليل وجود الدقائق في الاجسام الحيَّة او نموها او استمرارها . وهنا لا بدَّ للفكر العلمي من الاعتراف بوجود القوَّة الخالقة

منذ اربعين سنة كنتُ ماشياً مع ليبغ في بعض الحقول فقلتُ لهُ هل تعتقد ان النباتات التي حولنا نمت بالقوى الكيماويَّة . فقال " كلاَّ الاَّ اذا اعتقدتُ ان كتاب النبات الذي يصفها أُلِّف بمجرَّد القوى الكيماوية" وكل فعل من افعال الارادة اعجوبة بالنسبة الى العلوم الطبيعيَّة والكيماوية والرياضيَّة

واني أُعجب بما في خطبة الاستاذ هنسلو من الفكر الحر الخالي من كل ضرر . ولا ضرر من حرية الفكر لان مَن يُعمِل فكرتهُ مليًّا يضطرهُ علمهُ الى الايمان بالله وهذا الايمان هو اساس الدين فيجد العلم عوناً للدين لا عدوًّا لهُ

الغاز المنير من الماء

بيَّن الاستاذ طمس ان الماء الخارج من الآبار الارتوازية ونحوها يكون فيهِ غاز منير انارة كهربائية كالراديوم وهو يخرج منهُ بالاغلاء او بجعل الهواء يمرُّ فيهِ فيحمل الغاز معهُ . وهذا الغاز كثيف جدًّا وتسييلهُ اسهل من تسييل الهواء ورائحتهُ مثل رائحة غاز الفحم وقد امتحن مياهًا مختلفة فوجد هذا الغاز في كل المياه الخارجة من آبار عميقة ولم يجدهُ في ماء المطر ولا في مياه البرك ولا في المياه الخارجة من آبار غير عميقة

جبال القمر

حقق الرحالة مور ما ذكرهُ مئات من السيَّاح قبلهُ وهو وجود جبال عالية في الجهة المتوسطة من شرقي افريقية تمتد من الشمال الى الجنوب وترتفع قننها حتى تصير فوق حد الثلج الدائم فيغطيها على مدار السنة ولو كانت على خط الاستواء . وقد وجد ان الحد الذي يدوم عندهُ الثلج هناك ارتفاعهُ ١٣٥٠٠ قدم عن سطح البحر وارتفاع بعض تلك القنن ١٦٥٠٠ قدم لكن السر هري جنستن قدَّر ارتفاع بعضها اكثر من ٢٠٠٠٠ قدم وهي التي كان القدماء يسمونها جبال القمر قال ابو الفداء "وجبل القمر في الخراب الجنوبي عرضهُ احدى عشرة درجة جنوبي خط الاستواء ومنهُ منابع نيل مصر ولم يثبت وصول احد اليهِ بل شاهدوهُ من بُعد . قال النصير الطوسي في التذكرة انهم شاهدوهُ من بعد وهو ابيض من الثلج الذي عليهِ" . واستبعد ابو الفداء ذلك لشدَّة الحرارة هناك لكن ما استبعد صحتهُ صحيح لا شبهة فيهِ

هبة علمية

وهب المستر كارنجي مئتي الف جنيه لجمعيات المهندسين الاميركيين لكي يبنوا بها دارًا يجتمعون فيها في مدينة نيويورك ويجمعوا فيها مكتبة حافلة بنفائس الكتب

الاعلانات في اميركا

ينفق الاميركيون على نشر الاعلانات ستمئة مليون ريال كل سنة اي مضاعف ثمن القمح الذي يستغلونهُ . ومن مجلاتهم مجلة تأخذ اجرة الصفحة الواحدة اربعة آلاف ريال وعدد ما يطبع منها تسع مئة وخمسون الف نسخة . والذين يعلنون في اميركا لا يزيد عددهم على نحو الف نفس وقد اكتشفوا طريقة للكسب لم يهتدِ اليها غيرهم مع انهم يرونها دائمًا

آثار جازر

اهتمت جمعيَّة النقب في فلسطين بالبحث عن آثار مدينة جازر التي اعطاها ملك مصر مهرًا لابنتهِ زوجة سليمان الملك وهي بين يافا والرملة وقد وجد المستر مكلستر آثار سورها القديم وهو من عهد سليمان او من قبلهِ وآثار

سور آخر بعده وآثار هيكل قديم جداً من قبل ايام بني اسرائيل وكثيراً من الآثار المصرية من الجعلان ونحوها

بعل حرمون

على قنة جبل الشيخ المعروف في التوراة باسم جبل حرمون آثار هيكل قديم وجد فيه السر تشارلس ورن منذ نحو ٣٥ سنة حجراً عليهِ كتابة يونانيَّة فاستأذن رشيد باشا والي دمشق حينئذٍ في نقلهِ الى بلاد الانكليز وتمكن الآن الاستاذ كلرمنت غانو من قراءة كتابتهِ واذا فيها ما ترجمتهُ

"باسم الاله الاكبر القدّوس كل من. . . ."

وارتأى ان هذا الاله هو اله الساميين الذي كان يُعبَد في قنة ذلك الجبل ويسمّى بعل حرمون وقد بني لهُ الهيكل الذي كان هناك

رحلة سفن هدن

خصَّصت حكومة اسوج اربعة آلاف جنيه لطبع رحلة الدكتور سفن هدن في قلب اسيا بكل تفاصيلها وسيكون فيها اطلس كبير في مجلدين ومجلدات اخرى لوصف البلاد التي سار فيها والارصاد الجوية التي رصدها وما رآهُ فيها من النبات والحيوان . وسيطبع هذا الكتاب النفيس باللغة الانكليزية لكي يطلع عليهِ العدد الاكبر من القرّاء

احدى معجزات الجراحة

من معجزات الجراحة عملية عملها جراحو مستوصف الرمد في غلاسكو باسكتلندا لشاب ولد اعمى فابصر . والجراحون هم الدكاترة روجرس وستوارت ومايتلندزمسي . وملخص الخبر ان رجلاً اعمى منذ ولادتهِ وعمرهُ ٣٠ سنة واسمهُ جون كاروث أُخذ في ٢٤ الماضي الى المستوصف المذكور فعملت لهُ عملية جراحية في عينيهِ فابصر وكان اول شيءٍ رآهُ وجه الجراح الذي عمل لهُ العملية فلم يعلم ما هو فلما تكلَّم الجراح علم انهُ وجههُ . ولهُ اقوال واعمال واطوار غريبة فانهُ اعجب بكل شيءٍ رآهُ وسمعهُ مما لا يعجب بهِ الاَّ الطفل الصغير ولا غرابة في ذلك . وقد شرع يتعلم مبادئ القراءة والكتابة وغيرها من الامور الابتدائية التي يتعلمها الطفل من امهِ . ولما كان اعمى كان يعرف اصحابهُ من سماعهِ لاصواتهم فلما ابصر ووقف اصحابهُ امامهُ ظلَّ يعتمد في معرفتهم على سماع اصواتهم فلا يعرفهم الاَّ بعد ما يتكلمون

وقال انهُ لم يرَ بعد احداً يبكي ولا يريد ان يرى ذلك بل يودُّ ان يرى الوجوه والثغور باشة مبتسمة . وركب مرة قطر سكة الحديد فاغرب في الضحك عند ما رأى المنازل والاشجار التي الى جانبي الطريق تتحرك ظنًّا منهُ انها هاربة

ومن اقوالهِ انهُ سئل عن رأيهِ في النساء فقال

"انهن جميلات جداً وكذلك المخلوقات العاقلة . ولقد طالما سمعت وانا اعمى ان النساء يرثين لي ويرفقن بي ويعطفن عليَّ وقد تحققت الآن صدق هذا الخبر وذكرت المثل القائل ليس السمع كالبصر . اما جمالهنَّ وانسهنَّ ولطفهنَّ فمما يعجز عن وصفهِ اللسان ولا يختلف فيهِ اثنان"

وسألهُ احد اصحابهِ عن رأيهِ في الاطيار فقال لهُ انهُ كان يعرفها من اصواتها لكنهُ يراها الآن بعينهِ فيشاهد طيرانها في الفضاء ونشوبها في عنان السماء وينظر ارتفاعها وهبوطها وقيامها وسقوطها ويعجب من عدم مشاركة الناس لهُ في الاعجاب بتغريدها الساحر وجمالها الباهر

ثم رأى بطة تسبح في غدير فشاقهُ منظرها ووقف يتفرّسُ فيها وتأسف لما توارت عن عينيهِ قبلما يتملى رؤيتها ويتمتع منها . ورأى طيوراً داجنة فذكرتهُ الدجاجة الرنقاء فاحبَّ ان يراها حاضنة لبيضها وعائلة لفراخها . ثم رأى ما شاء من الخيل والبقر والكلاب والقطط وغيرها من الحيوانات الاليفة فلم يعجبهُ منظرها كثيراً لانهُ كان يتلمسها وهو اعمى فرسم لها في ذهنهِ صورة من حيث كبرها وصغرها وما يتعلق باختلافها بعضها عن بعض فلم يعد يجد فيها شيئًا يستوجب دهشتهُ واستغرابهُ

التصوير على الاثمار

يعلم الذين رأوا التفاح على الاشجار انهُ يحمرُّ في الجهة المعرَّضة للشمس ويبقى اخضر او اصفر في الجهة التي لا تصيبها الشمس . وقد انتبه بعض الفرنسويين لذلك وجعلوا يقطعون الورق الرقيق على اشكال حروف او صور ويلصقونها بالاثمار قبلما تنضج باسبوع من الزمان فترتسم صورة الورق على الثمرة وتباع بثمن غالٍ من نصف جنيه الى عشرين جنيهاً حسب اتقان الرسم وغنى المشتري

جلود الضفادع

تكثر الضفادع في بلاد الهند كما تكثر في كل بلاد حارَّة كثيرة الماء وقد وجد الهنود فائدة لها الآن بسلخ جلودها واستعمالها في تجليد الكتب والدفاتر ويقال ان جلد الضفدع لين ناعم يتلوَّن بما يراد من الالوان

قبائل الشلُّه

تبين لنا من حديث جرى لنا مع حضرة القس كلي جفن المرسل الاميركي المقيم بين زنوج الشلُّه المعروفين عندنا بالشلك على ضفة نهر السُّبَت في مديرية فشودة بالسودان انهم يعتقدون كلهم بوجود اله كبير واله اصغر منهُ وهذا الثاني هو الذي يهتم بامورهم ويميزون بين الحلال والحرام ويصدقون في كلامهم ويكرمون نساءهم اكثر من كثير من الامم المتمدنة في الشرق ويعتنون بنظافة منازلهم

فهرس الجزء السادس من المجلد الثامن والعشرين

